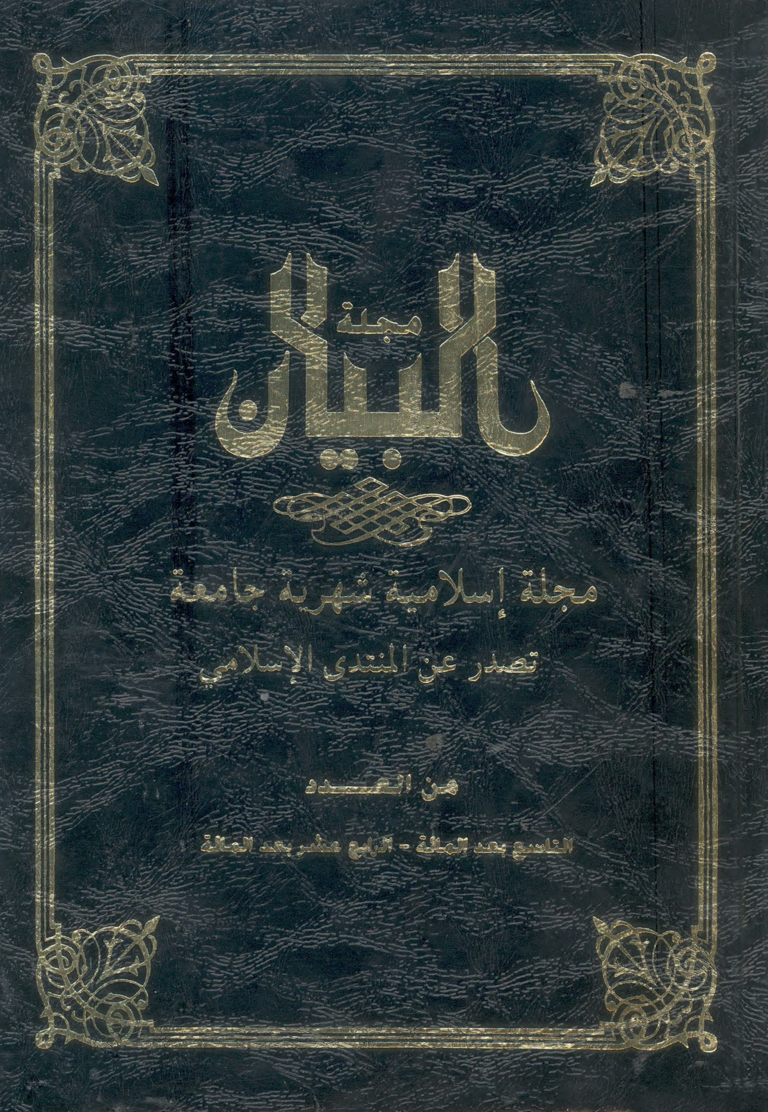

مجلة
البيان
مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي
من العدد
التاسع بعد المائة - الرابع عشر بعد المائة

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس :

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

مخالب الديمقراطية

كثيراً ما يدعو علمانيو عصرنا في عالمنا العربي والإسلامي إلى المنهج الديمقراطي بدعوى أنه وسيلة مثلى لتمثيل الشعوب في المجالس النيابية، ولمواجهة الحكومات بأساليب حضارية، ومن ثَمَّ فرض آرائهم بالأسلوب نفسه، وقد ثبت أن ذلك (قبض الريح) .

غير أن أدعياء الديمقراطية في عالمنا الثالث عموماً ممن تمسكوا بالسلطة لا يمكن بحال من الأحوال أن يسمحوا للرأي الآخر الذي يناقضهم في المبادئ ويخالفهم في المنطلقات .

ولذا نجدهم كثيراً ما يحرصون على تقزيم ذوي الرأي المغاير والتهوين من شأنهم، بل يعملون جاهدين على حرق أوراقهم تماماً : سواء بتشريع منعهم من المشاركة الديمقراطية بدعاوى سخيفة، أو بالتلاعب بصناديق الاقتراع من قِبَلِ السلطات المشرفة على العملية الانتخابية التي لا تستحيي عادة من إعطاء الحزب الحاكم نسبة الأصوات المطلقة والكافية مما يجعل البقية الباقية أقليات هزيلة تسهم في رسم الصورة الديمقراطية ليس إلا .

والموقف العلماني في تركيا حيال (حزب الرفاه) شاهد عيان على زيف ديمقراطية العلمانيين؛ ففي الوقت الذي نال فيه الحزب الأغلبية؛ أصرت الأيادي الخفية على تنحية الحزب من الوزارة، وها هم المتسلطون بأمرهم يحاكمونه بشتى الدعاوي لإسقاط الاتجاه الإسلامي وإلغائه كما تشير كثير من المعطيات .

والعجيب أن يستمر هذا النهج بمباركة الغرب الذي كثيراً ما يتدخل في الدول الأخرى ويعاقبها بدعوى الخروج على النهج الديمقراطي .

هؤلاء هم ديمقراطيونا الذين يدوسون الديمقراطية باسم الديمقراطية في سبيل بقاء سلطاتهم .

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤ / ٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة:
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ –
٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065
الرقم المجاني: (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

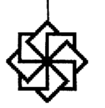
الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٤٠ ريالاً ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ دينار ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

من يهن يسهل الهوان عليه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن من يتابع مواقف القوى الغربية من الصحوة الإسلامية في كثير من البلدان، يلمس ما يقلق تلك القوى، ويذهل لحساسيتها المفرطة حيال أي توجه إسلامي مهما كان! وهذه المواقف غير المستغربة لم تأت من فراغ؛ وإنما هي نتيجة تراكمات تاريخية، ووليدة اتجاهات مقررة سلفاً قام بها نفر من الدارسين والمستشرقين الذين جعلوا من الإسلام عدواً بديلاً من العالم الماركسي البائد؛ ولا سيما إذا عرفنا مكانة منطقتنا في سياسة القوم؛ فهناك لدى صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية عقدة من التيار الإسلامي؛ ولذلك فهم يعملون جاهدين للتنفير منه والإساءة إليه ومواجهته ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ومن النظريات السائدة ما يسمى بنظرية (الدومنو) التي يعنون بها أن قيام أي نظام إسلامي في أي دولة سوف يتبعه سقوط دولة أخرى، وأن المسألة مسألة وقت، ومن هنا نجد أمريكا تعمل جاهدة للحيلولة دون قيام أي نظام إسلامي في أي دولة؛ لأن ذلك ـ حقيقةً ـ سيسهم في كشف مكر الغرب، وكيف يستغل الغربيون خيرات الشعوب، وكيف يستهينون بكرامتهم؛ مع عملهم المتواصل لتثبيت دولة العدو الصهيوني والحرص على تفوقها في مجال السلاح لتبقى خنجراً في قلب العالم الإسلامي ولحمايتها من أي ضربة متوقعة؛ مما يفسر إضعاف أي كيان قوي في المنطقة ومحاولة تقزيمه؛ وما ذلك إلا لصالح ربيبتهم (إسرائيل).



افتتاحية العدد

ومن تلك المواقف المستهترة بكرامة أمتنا محاولاتهم الدائمة لفرض الحصار على شعوب إسلامية بعينها، وأحدثها: القرار الأمريكي الأخير ضد دولة السودان بمحاصرتها اقتصادياً بدعاوى تبنيها الإرهاب وعدم احترامها حقوق الإنسان، والهدف الحقيقي هو تدمير اقتصاد هذا البلد وزعزعة أمنه، وإيجاد الاضطراب الاجتماعي فيه، ولا سيما بعد استقرار نسبي في اقتصاده مما أفقد البنك الدولي الحجج المعادية للسودان.

ومثل هذه الدعاوى لم تعد تنطلي على أحد؛ لا سيما وأن السودان استنكرت تلك الادعاءات ورفضتها؛ والحقيقة خلاف ذلك تماماً؛ لأن علاقة أمريكا بالسودان طويلة ومعروفة للدارسين؛ فقد ذكر أحد المسؤولين الأمريكيين هذه العلاقة في تقرير قدمه للكونجرس منذ سنوات؛ فقد أوضح (لافون ووكر) أهمية السودان ومنطقة القرن الأفريقي بالنسبة لأمريكا؛ حيث ذكر أنها أقطار ذات قيمة إستراتيجية بالنسبة لأمريكا في سعيها للحفاظ على مصالحها.

ويشكل السودان أهمية لأمريكا؛ ولذا بدأت في أواخر السبعينيات في مساعدته في التغلب على مشكلاته الاقتصادية، وسمحت لشركات البترول الأمريكية بالقيام بأعمال التنقيب عن البترول، ولكن الاتجاهات الأخيرة في السودان وتخوُّف أمريكا من امتداد إسلامي يهدد الدول النصرانية المحيطة به جعلتها تحوِّل موقفها نحو مساعدة حركات التمرد في البلاد مع الامتناع عن إمداد السودان بالأسلحة والمعدات، وإيقاف شركة (شيفرون) عن أعمال التنقيب حتى تحدد مخصصات الجنوب من عوائد البترول؛ بالإضافة إلى قيام أمريكا بالضغط على مؤسسات التمويل الدولية لمنعها من تقديم القروض للسودان[1].



من يهن يسهل الهوان عليه

إذن: فالموقف من السودان وحصاره ليس كما قيل بدعاوى تبني الإرهاب

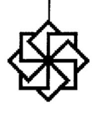
(١) انظر الباحث العربي، العدد (١٧)، ص ٥١ بتصرف.

وعدم احترام حقوق الإنسان!

فالإرهاب فكرًا وتبنيًا وسلوكًا نجده لدى العدو الصهيوني الذي تقوم أمريكا نفسها بدعمه ليل نهار في اغتصابه للأراضي العربية المحتلة، واستهتاره بحقوق الإنسان بطرد الفلسطينيين وتهجيرهم وقتلهم بالقنابل المحرمة دوليًا، وبضرب لبنان ليل نهار، ونجد هذا الإرهاب أيضًا لدى صرب البوسنة الذين قتلوا آلاف المسلمين، وشردوا عشرات الآلاف منهم، ولا تكاد توجد أقلية إسلامية في معظم البلدان إلا وتعاني من الاضطهاد والتمييز العنصري أمام سمع الغرب وبصره!

أما حقوق الإنسان المهدرة في السودان كما يزعمون فقد شهد شاهد من أهلها يكذب هذه الدعوى؛ فها هو: (ماكنير) عضو مجلس اللوردات البريطاني بعد زيارة تقصّى فيها الحقائق عن هذا الزعم كشف في تقريره كَذِبَ تلك الدعاوى، ووجه انتقادات حادة إلى (منظمة التضامن المسيحي) ورئيستها البريطانية: (كوكس) وقال: إن تدخل هذه المنظمة وإثارتها تلك المزاعم ضد السودان هدفها الإثارة، ويأتي ذلك ضمن حملة عالمية لعزل السودان بهذه الحجة [الحياة ، ع/١٢٦٨٣في ٢٠/٧/١٤١٨هـ] .

فأين الحقوق الإنسانية المهدرة؟ وهل هي ما يُزعم كذبًا وزورًا ضد السودان؟ أم هي ما تقوم به الصهيونية من اعتداءات في الأراضي المحتلة وفي جنوب لبنان وما يقوم به الصرب في البوسنة... من قتل الشيوخ والأطفال، وبحصار شعوب إسلامية أخرى؛ حيث يتعرضون للأمراض؛ وسوء التغذية؟! فضلاً عما يحصل من القتل الجماعي بدون أي رحمة!



افتتاحية العدد

أما السودان البلد المسلم الذي أعلن ـ على الأقل ظاهرًا ـ إسلاميته واعتزازه بدينه، ورفضه لتسلط الغرب والشرق، ورفضه لكل من يتدخل في شؤونه؛ فلم يقبل الغرب منه ذلك الموقف؛ لأنه يريد من أمتنا أن تكون تابعة ذليلة له.

وليت أمتنا تعلم حقيقة ما يراد بالسودان، والأهداف الإجرامية الدافعة لحصاره والتي يراد منها محاولة إسقاطه!

إن في هذا البلد جزءاً كبيراً من منابع النيل وهو العمق الاستراتيجي لمصر واللحاء الطبيعي لها، ومن يمتلك السودان فإنه يتحكم بمصر وهذا ما يريده (جون قرنق) الصليبي العميل الذي يريد تنفيذ أهداف أسياده لا سيما إذا عرفنا منطلقاته الصليبية التي ينادي بها عبر استراتيجيته في الانفصال عن الدولة الأم ـ وإن تظاهر بخلافها ـ .

ومما يؤسف له أن تتوالى مآسي الشعوب الإسلامية تحت مطرقة النظام العالمي الجديد، وعالَـمُنا الإسلامي ذاهلٌ عما يجري في الواقع!

وكأننا لسنا خير أمة أخرجت للناس!

وكأننا لم نعد في توادِّنا كالجسد الواحد!

وهكذا تهون علينا كرامتنا بعدما هانت علينا مبادئنا!

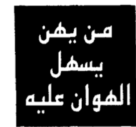
فمتى نعود إلى رشدنا؟

وإلى متى يستمر هذا الهوان؟

وما أصدق قول الشاعر الحكيم:

مَنْ يَهُنْ يسهلِ الهوانُ عليهِ   مَا لِجَرْحٍ بميتٍ إيلامُ





في إشراقة آية

قل هذه سبيلي

بقلم: محمد بن عبد الله الزغيبي

تستوقفك بعض الآيات في كتاب الله، وتتفكر فيها مليًا، فتتحدر منها الأحكام والتوجيهات التي تشخِّص الواقع كأنه رأي العين، وكلما قلبت فيها فكرك ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص:٢٩]، ازددت منها حكمًا ومعاني لا تتوقف. وترجع إلى كتب التفسير، فتزيدك وتغنيك، وتبتهج نفسك بهذه المعاني الصافية، ومن هذه الآيات قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وتجول بناظريك في كل ما كتب عن الدعوة، وفقه الواقع، وضرورة العلم الشرعي، والبراءة من المشركين، وما رُقم من أصول ودساتير وضوابط في هذا المضمار، فتجده لا يخرج عن هذه الآية الكريمة.

ولعلنا نقف معها بعض الوقفات:

١ ـ يقول ـ تعالى ـ لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ للناس، عموم الناس، واجهر بذلك واصدع به من غير حياء أو تخاذل، بأنها قد لا تروق لجمهور السامعين أو لا تعجبهم، أو لخشية أن توصم بعد إعلانها *بصفة كريهة من أصولية أو تشدد*، كلاً فاجهر بها وأعلنها كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]

٢ ـ وتتضمن هذه الآية التأكيد على وضوح سبيل الأنبياء وظهوره، وينبثق ذلك من الجهر بها بين الملأ، فليست في أنفاق أو سراديب، ويؤكد ذلك باسم الإشارة، كأن هذا السبيل شيء قريب محسوس، يشار إليه بالبنان، واضح محدد، لا يلتبس بغيره، وغير قابل للاختلاط والتقارب مع الباطل، بل يدفعه فإذا هو زاهق.

فسبيل النبي ﷺ، ومن قبله الأنبياء، واضح لا لبس فيه، قال ابن كثير عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩] أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء كل أمرهم بيّن واضح

ليس فيه خفاء ولا ترويج[١].

ولا بد من هذا الوضوح والظهور في السبيل الذي يسلكه الأنبياء، فلو كان غامضاً، لكان عسير المنال، صعب الاتباع، والرحمن لا يكلف عباده بمثل هذا.

وقال العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ: والله ما مات رسول الله ﷺ حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً، وأحل الحلال، وحرم الحرام، ونكح وطلّق، وحارب وسالم، وما كان راعي غنم يتبع بها رؤوس الجبال يخبط عليها العضاة بمخبطه، ويمدر حوضها بيده بأنصبَ ولا أدأب من رسول الله ﷺ كان فيكم[٢].

٣ ـ وهو سبيل واحد هو الحق ولا سبيل غيره، بل تحيط به سبل كثيرة، قاطعة عنه، مضطربة مشوَّشة، وهو من بينها مستقيم لا اعوجاج فيه؛ فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه. وقرأ: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾»[٣] [الأنعام: ١٥٣].

قال ابن القيم حول هذا الحديث والآية الواردة فيه: «فوحّد سبيله؛ لأنه واحد لا تعدد فيه، وجمع السبل المخالفة؛ لأنها كثيرة ومتعددة ـ إلى أن قال: والمقصود أن الطريق إلى الله واحد؛ فإنه الحق المبين. والحق واحد مرجعه إلى واحد، وأما الباطل والضلال فلا ينحصر، بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى *باطل فهو باطل*»[٤].

وقفْ قليلاً عند الياء في قوله: ﴿ **سَبِيلِي** ﴾ فتلحظ منها قوة ارتباط المتكلم بها ونسبتها إلى نفسه، وتمسُّكه بها، وأنه يعيش ويموت من أجلها، إنه معنىً سامٍ تتشوق النفوس للتحلي به والموت من أجله، ونسأل الله أن نعيش ونبعث عليه. وتلمح أيضاً من قوله ﴿ **سَبِيلِي** ﴾ أنها سبيلي قبل أن تكون سبيل غيري، فمن شاهد هذا المعنى أدرك أنه لا بد من سلوكه هو لهذا السبيل والتزامه به قبل دعوة غيره إليه.

٤ ـ والدعوة إلى الله هي تعبيد الناس له وحده، وهي الغاية العظمى في هذا السبيل، وتدبّر أنها إلى الله لا إلى النفس،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٣/١٤٦، دار المعرفة.

(٢) قال محقق جامع العلوم والحكم، ١/١٩٦: مرسل رجاله ثقات، وعزاه لطبقات ابن سعد.

(٣) رواه أحمد وغيره، وحسنه الألباني في المشكاة، ١٠/١٦٦.

(٤) طريق الهجرتين، ١٦٨ ـ ١٦٩، طبعة دار الحديث.

ولا إلى الحزب، ولا إلى الشيخ الفلاني أو الطريقة الفلانية؛ فهي خالية من حظوظ النفس، ومن حظوظ الخلق؛ فهي دعوة إلى الله، لا إلى نفوس بشرية، أو مناهج أرضية.

ورحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذ يقول في هذا المقام: «التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه»[*].

٥ ـ وتبرز في هذه الآية حقيقة الاتباع للسبيل النبوي، فها هي أمامنا: أصلها الدعوة إلى الله وهي على بصيرة؛ وهذا يكفي في التأكيد على الاتباع والتأسي؛ لأننا مأمورون بالاقتداء بسنة النبي ﷺ، وعطف عليه الاتباع فهم يدعون إلى الله على بصيرة [١] كما يفعل النبي ﷺ. نعم هذه حقيقة الاتباع، فلا يكون الرجل من أتباعه حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه، ويكفيك فخراً وشرفًا وثباتاً على المنهج أنك من أتباع النبي ﷺ.

ويقول ابن القيم عمن التزم هذا المنهج النبوي: «فهؤلاء خلفاء الرسل حقًا وورثتهم دون الناس، وهم أولو العلم الذين قاموا بما جاء به علمًا وهداية وإرشاداً وصبراً وجهاداً، وهؤلاء هم الصدِّيقون وهم أفضل أتباع الأنبياء»[٢].

وقال أيضًا: «فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعين إلى الله على بصيرة؛ فمن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى»[٣].

وقال في موضع آخر: «فمن دعا إلى الله ـ تعالى ـ فهو على سبيل رسول الله ﷺ وهو على بصيرة وهو من أتباعه. ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله ولا هو من أتباعه»[٤].

٦ ـ وهي على بصيرة وعلم، وهذه البصيرة هي كل ما تحتاجه في الدعوة إلى الله سواء كان علمًا شرعيًا محضًا، أو ما يأمر به الشرع كالعلم بالواقع والوسائل والأساليب، وهذه البصيرة فريضة من الفرائض فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فعلى الداعية أن يكون متبصراً فيما يدعو إليه.

ويتأكد الحرص على التبصّر في

(*) كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

(١) اختلف المفسرون في عطف ﴿ومن اتبعني﴾ والراجح كما قال ابن القيم: «والتحقيق أن العطف يتضمن المعنيين، فأتباعه هم أهل البصيرة، الذين يدعون إلى الله» الصواعق ١ / ١٥٥ . نقلاً عن بدائع التفسير ٢ / ٤٧٧ .

(٢) مفتاح دار السعادة، ص ٨٥ . نقلاً عن بدائع التفسير ٢ / ٤٧٧ .

(٣) المدارج ٢ / ٤٨٢ . نقلاً عن بدائع التفسير ٢ / ٤٧٨ .

(٤) جلاء الأفهام، ص ٢٤٩ . نقلاً عن بدائع التفسير، ٢ / ٤٧٨ .

الدعوة، بل اتخاذه منهجًا شاملاً لكل مناحي الحياة، لا سيما في أزمان الفتن والمحن التي صدق فيها قول الشاعر:

يُقضى على المرء في أيام محنته
حتى يرى حسناً ما ليس بالحسنِ

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ معللاً أهمية البصيرة: «لأن العامل بغير علم وبصيرة ليس من عمله على طائل، بل ربما جاءه الهلاك من جهة عمله، كالحاطب في ظلماء، والسالك في عمياء، ولا سبيل إلى العمل إلا بالعلم، ومعرفة صلاح العمل وفساده لا بد منه ولا يدرك إلا بنور العلم وبصيرته»[1].

وقال أيضاً مفصلاً لهذا المعنى بالمثال ـ في وصية لأهل الأرطاوية ـ: «وأوصيكم أيضاً بالبصيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإذا أمر الإنسان بأمر من أمور الخير نظر: فإن كان يترتب على ذلك الأمر خير في العاجل والآجل وسلامة في الدين، وكان الأصلح الأمر به، مضى فيه. وإن كان يترتب على ذلك شر وفتنة وتفريق كلمة، في العاجل والآجل، ومضرة في الدين والدنيا، وكان الصلاح في تركه، وجب تركه ولم يؤمر به؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ـ إلى أن قال ـ: واعلموا أنه لا ينجي عند اختلاف الناس وكثرة الفتن إلا البصيرة، وليس كل من انتسب إلى العلم وتزيّا بزيّه، يُسأل ويُستفتى، وتأمنونه على دينكم، فلا تأخذوا عمن هب ودب وحُرِم الفقه والبصيرة»[2].

٧ ـ وتتضمن هذه الآية الإشارة إلى فضيلة من اتبع النبي ﷺ من الصحابة والتابعين، وأنهم هم القدوة بعده، وأن أقوالهم تأتي في الأهمية بعد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

فإن مَنْ سلفَ: من الصحابة أجمعين، ومن الأتباع المشتهرين بالديانة والحرص على السنة، يجب الحرص على اتباعهم والنهل من معينهم الصافي؛ فقد كانوا إلى الحق أقرب، وله أحب، وعليه أحرص. قال عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ـ في وصيته لأحد إخوانه بلزوم السنة ـ: «وإن سنة من قَدِم قد عُلِم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر قد كفّوا، وإنهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه، لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من اتبعهم بإحسان، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا فيه بما

(١) الدرر السنية ٤ / ٣٤٢، الطبعة الأخيرة.

(٢) الدرر السنية، ٨ / ٨٢.

يشفي، فمَنْ دونَهم مقصِّر، ومَنْ فوقَهم مفَرِّط، ولقد قصَّر أناس دونهم فجفوا، وطمح آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم»[1].

٨ ـ ويتأكد في هذه الآية تحميل هذا السبيل وهذه الدعوة إلى الله من يقوم بأعبائها وينصرها ويرفع رايتها، ويتم توارثها جيلاً بعد جيل حتى تقوم الساعة، ولنعمل على تهيئة هؤلاء الأتباع، ولنعلم أن الله قد تكفل لنا بذلك، فقد ورد في الحديث عن أبي عنبة الخولاني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته»[2].

وفي الحديث الآخر عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ـ عز وجل ـ»[3]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُولُه، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[4].

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ موضحًا توارث هذه الأمانة بين من يحملونها، فقال واصفًا لهم: «أولئك الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم»[5].

وينبغي التنبيه أنه مع الحرص على إيجاد فئة يحملون هذه الدعوة فإنه لا عبرة بالقلة والكثرة، أو استجابة الناس وإعراضهم؛ فالقلة ليست دليلاً على الضعف والإخفاق. قال ابن القيم في شرحه للأثر السابق عن علي ـ رضي الله عنه ـ: «هذا الصنف أقل الخلق عددًا؛ فإنهم قليلون في الناس، والناس على خلاف طريقهم؛ فلهم نبأ وللناس نبأ، وإياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون؛ فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددًا، والناس على خلافهم... وقال بعض العارفين: انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب»[6].

وكما سبق: فإن الحق لا يعرف بالكثرة؛ وكيف يكون ذلك وقد قال المصطفى ﷺ في صفة الغرباء: «أناس

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى، ٢/٤٨، ت: عثمان الأثيوبي.

(٢) رواه أحمد وابن ماجة وقال البوصيري: إسناده صحيح.

(٣) رواه مسلم وغيره، وروي من وجوه أخر في الصحاح، وعده بعض العلماء من المتواتر.

(٤) يروى مرسلاً. وانظر الكلام عليه في مفتاح دار السعادة، ١/١٩٧، طبعة دار زمزم.

(٥) مفتاح دار السعادة، ١/١٩٧. (٦) مفتاح دار السعادة، ١/٢٣١. بتصرف.

صالحون قليل في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[1].

٩ ـ وحال من يحمل هذه الدعوة هو كمال التقديس والتعظيم والتنزيه لله ـ سبحانه وتعالى ـ، فلا خوف إلا منه، ولا محبة إلا له. بل إن غاية الدعوة هي تنزيه الله وتعظيمه بعبادته وحده لا شريك له.

وفي هذه اللفظة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ إيماء إلى التعلق بالله ـ سبحانه وتعالى ـ فمع هذه الأعباء وهذه التكاليف قد يغفل الداعية عن الاتصال بالله، ويخطئ بأن يبذل وقته للناس وينسى نفسه، فلا يزودها بما يكفل لها الاستمرار والثبات والصبر، وفي الغفلة عن الجانب الروحاني تصاب الروح بالجفاف، وتتسم بالرسمية، ويصبح العمل الدعوي كالعمل الوظيفي الرسمي الرتيب.

١٠ ـ وفي هذه الدعوة تأكيد على الإخلاص والبراءة من الشرك صغيراً كان أو كبيراً، والبراءة من المشركين، فلا أنا من المشركين في جميع أنواع التوحيد: ألوهية وربوبية، وأسماء وصفات، وطاعة، وحاكمية، ولا أنا ممن يطيع المشركين أو يواليهم أو يقدمهم على طاعة الله، ولا تقارب مع كل كافر سواءً كان يهودياً أو نصرانياً أو وثنياً أو علمانياً أو مادياً أو غير ذلك؛ كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب عند هذه الآية: «من أهم مسائل الآية: إبعاد المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير منهم ولو لم يشرك»[2]. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤]. قال ابن كثير: «أي ولا أعبد عبادتكم، ولا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه»[3].

ومتى حصل انحراف ولو يسير عن هذه الدعوة مع غير المؤمنين بشتى أصنافهم، فهي ليست دعوة إلى الله، وليست على بصيرة، وفي النهاية: ليست على سبيل المصطفى ﷺ، بل سبيله هو دعوة أهل الضلال؛ فإن لم يستجيبوا، فعداوتهم ومحاربتهم والنهي عن الشرك هو الطريق.

وختاماً: فإن تجدد المعاني في هذه الآية يبرز في العمل الميداني من خلالها؛ فكلما تمرس بها الداعية تجددت له بها المعاني؛ فإن الأمر ليس قواعد نظرية فحسب. والله أعلم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) رواه أحمد والطبراني وغيرهما، وحسنه بعض أهل العلم.
(٢) كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٥٩٩.

دراسات شرعية

شهر رمضان .. وقفات وأحكام

(٢ من ٢)

بقلم : عبد الله الإسماعيل

تحدث الكاتب في الحلقة السابقة عن مسائل مهمة عن الصيام، فأشار إلى حكم الصيام وحكمته وفضله، وتطرق إلى أحكام الصيام من ثبوت دخوله وشروط وجوبه وصحة صيامه وفرضه ومفطراته، وفي هذه الحلقة يتابع مساءل أخرى تهم الصائمين. ـ البيان ـ

ثامنًا: مسائل القضاء:

١ ـ الحائض والنفساء يجب عليهما القضاء بالإجماع[١]؛ فعن معاذة ـ رحمها الله ـ قالت: سألتُ عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت: أحروريةٌ[٢] أنت؟ قلت: لست بحرورية، ولكني أسأل. فقالت: «كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[٣].

٢ ـ المسافر يجوز له الفطر ولو لم يكن عليه مشقة بالصيام لقوله ـ تعالى ـ **﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾** [البقرة: ١٨٥].

وعن حمزة بن عمرو الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر فهل عليَّ جناح؟

فقال رسول الله ﷺ: «هي رخصة من الله، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه»[٤].

---

(١) حكاه ابن حزم في مراتب الإجماع، ص ٤٧.

(٢) يقال لمن اعتقد مذهب الخوارج: حروري؛ نسبة إلى حروراء، وهي بلدة قرب الكوفة، وكان أول اجتماع للخوارج بها ـ للخروج على عليّ ـ فاشتهروا بالنسبة إليها، انظر: فتح الباري، ١/٥٠٢.

(٣) أخرجه البخاري، ح/٣٢١، ومسلم واللفظ له، ح/٣٣٥.

(٤) أخرجه مسلم، ح/١١٢١.

٣ ـ من أفطر متعمداً في رمضان بغير عذر فهو آثم إثماً عظيماً؛ وعليه التوبة إلى الله، ويجب عليه قضاء ما أفطر على القول الراجح وهو قول الجمهور(١).

والدليل على وجوب القضاء:

أ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض»(٢).

ب ـ قوله ﷺ للمُجامع في نهار رمضان بعد أن ذكر له الكفارة: «وصم يوماً، واستغفر الله»(٣).

أما إذا كان الإفطار بالجماع فيجب مع القضاء الكفارة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً لحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في الصحيحين.

٤ ـ المريض الذي شق عليه الصوم: يجوز له الفطر؛ بل قد يجب إذا ترتب على صيامه إلحاق ضرر به، ويقضي ما أفطر، ومثله في الحكم الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما(٤).

٥ ـ العاجز عن الصيام عجزاً مستمراً كالشيخ الكبير والمريض مرضاً لا يرجى برؤه، فهذا لا يجب عليه الصوم، ويجب عليه أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً، فعن عطاء سمع ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ يقرأ: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤]، قال ابن عباس: «ليست بمنسوخة، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كلّ يوم مسكيناً»(٥).

٦ ـ الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة إذا بلغا الهذيان وعدم التمييز، لا يجب عليهما

(١) أخرجه أبو داود، ح/٢٣٦٣، وابن ماجة، ح/١٦٧٦، وأحمد ٢/٤٩٨، والدارقطني وقال: رواته ثقات كلهم، (٢/١٨٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص (١/٤٢٧) وصححه ابن تيمية في حقيقة الصيام ص ١٤، وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، (شرح المسند ١٠/١١١) وصححه الألباني في الإرواء (٤/٥١).

(٢) أخرجه أبو داود، ح/٢٣٧٦، وابن ماجة بلفظ: «وصم يوماً مكانه»، ح/١٦٧١، ومالك، ح/٢٩ وغيرهم، قال النووي: «رواه البيهقي بإسناد جيد» (المجموع ٣/٧٦) وصححه أحمد شاكر في شرح المسند (٦/١٤٧) والألباني في الإرواء (٤/٩٠).

(٣) انظر بداية المجتهد (١/٣٠٢).

(٤) انظر: مجالس شهر رمضان، ص ٣٣، ٣٦.

(٥) أخرجه البخاري، ح/٤٥٠٥.

الصيام ولا الإطعام؛ لسقوط التكليف.

الوقفة الخامسة: سنن الصيام:

١ ـ تأخير السحور؛ لحديث أنس ـ رضي الله عنه ـ عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: «تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة. قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية»[١].

٢ ـ تعجيل الفطر لحديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[٢].

٣ ـ أن يفطر على رطب؛ فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم تكن فعلى ماء. لحديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء»[٣].

٤ ـ لم يثبت عن النبي ﷺ دعاءٌ عند الإفطار إلا ما جاء في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: كان رسول الله إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله» حديث حسن[٤].

٥ ـ أهم السنن وآكدها أكل السحور لقوله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»[٥]، وقال ﷺ: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر»[٦].

٦ ـ أن يكون في سحوره تمر لقوله ﷺ: «نعم سحور المؤمن التمر»[٧].

٧ ـ أن يقول لمن سابه أوشاتمه: إني امرؤ صائم.

٨ ـ والسنَّة في عدد ركعات التراويح أن لا تزيد عن إحدى عشرة ركعة؛ لحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة»[٨]، والزيادة جائزة لحديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله ﷺ كيف صلاة الليل؟ قال: مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة»[٩].

---

(١) أخرجه البخاري، ح/٩٢٢. (٢) أخرجه البخاري، ح/١٩٥٧، ومسلم ،ح/١٠٩٨.
(٣) صحيح أبي داود، ح/٢٣٥٦. (٤) صحيح أبي داود، ح/٢٣٥٧.
(٥) أخرجه البخاري ، ح/١٩٢٣، ومسلم ،ح/١٠٩٥.
(٦) أخرجه مسلم،ح/١٠٩٦. (٧) صحيح أبي داود، ح/ ٢٣٤٥.
(٨) أخرجه مسلم، ح/٧٣٨. (٩) أخرجه البخاري، ح/١١٣٧.

الوقفة السادسة: زاد الصائم:

ينبغي أن يكون شعار المؤمن في رمضان قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وأن يقتدي بحال النبي ﷺ في رمضان كما في حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»(١).

وإليك أخي المسلم بعض ميادين المسابقة في الخيرات في رمضان:

١ـ قيام الليل: فلا تخلو ليلة من قيام ليحصل على الأجر الوارد في قوله ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢)، وأن يصلي التراويح مع الإمام حتى ينتهي لحديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: صُمنا مع رسول الله ﷺ رمضان فلم يقم بنا شيئًا من الشهر حتى بقي سبع، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا.

فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل.

فقلت: يا رسول الله: لو نفلتنا قيام هذه الليلة.

قال: فقال: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حُسبَ له قيام ليلة».

قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح. قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور.

ثم لم يقم بنا بقية الشهر(٣).

وقد قام النبي ﷺ بأصحابه ثلاث ليال ولم يخرج الرابعة خشية أن يفرض عليهم.

وليس معنى ذلك أن يقتصر على صلاة التراويح فقط؛ فإن أمكنه أن يصلي من آخر الليل وحده فهو من تمام القيام.

٢ ـ قراءة القرآن: قال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنه والحسنة

(١ ، ٢) متفق عليه.

(٣) صحيح أبي داود، ح/١٣٧٥.

(٤) أخرجه مسلم، ح/٨٠٤.

بعشر أمثالها»[1].

٣ ـ تفطير الصائمين: قال ﷺ: «من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»[2].

٤ ـ العمرة: قال ﷺ: «... فعمرة في رمضان تعدل حجة» وفي رواية: «حجة معي»[3].

٥ ـ الصدقة: والنصوص في فضلها مستفيضة من الكتاب والسنة، وقد اختصها الله ـ تعالى ـ؛ فكأن المتصدق يقرض الله؛ ومَنْ أعظمُ وأجزل وفاءً من الله؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ [الحديد: ١١]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فُلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل»، وهي من أسباب دخول الجنة كما قال ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار»[4]، واعلم أخي المسلم أن الصدقة لا تنقص المال، كما ثبت من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ما نقصت صدقة من مال»[5].

وتأمل معي الحديث التالي: الذي يبين سبب تراجع الكثيرين وترددهم في الصدقة؛ فعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «ما يُخرج رجلٌ شيئاً من الصدقة حتى يَفك بها لحيي سبعين شيطاناً»[6]، وبعد هذا العرض المؤثر من نصوص الصدقة أدعوك يا أخي ألا تترك أيَّ فرصة للصدقة: على فقير، أو بناء مسجد، أو طبع كتاب، أو غير ذلك، في البيت، أو المسجد، أو في اللجان الخيرية، حتى تلك الصناديق التي تشاهدها في بعض المحلات التجارية، ولو أن تضع شيئاً يسيراً لتدحر بها شياطين الجن والإنس، وتكفر سيئاتك، وتثقل موازينك يوم القيامة، فتراها كالجبال العظيمة، وتفوز كل يوم بدعاء الملائكة؛ كما ثبت في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه

(١) صحيح الترمذي، ح/٣٠٨٧.
(٢) صحيح النسائي، ح/٨١١.
(٣، ٤) متفق عليه.
(٥) أخرجه مسلم، ح/٢٥٨٨.
(٦) السلسلة الصحيحة، ح/١٢٦٨.

دراسات شرعية

إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[1].

وما أجمل أن يكون المسلم واسطة خير في الصدقة والزكاة بين الناس ومن يستحقها. عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: «الخازن المسلم الأمين الذي يُنفِّذ ما أُمر به كاملاً موفوراً طيباً بها نفسه فيدفعه إلى الذي أمر له به أحدُ المتصدقين»[2].

محاذير وتنبيهات:

١ ـ يمسك بعض الناس قبل الفجر بوقت (عشر دقائق مثلاً) احتياطًا، وهذا لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه؛ فهو غير مشروع.

٢ ـ بعض المؤذنين يحتاط للناس فيؤذن قبل الوقت وهذا خطأ، والصواب أن يؤذن عند دخول الوقت؛ فهذا هو المشروع، وحتى لا يغتر بأذانه بعض النساء في البيوت فيصلين قبل الوقت.

٣ ـ بعض الناس في رمضان يصلون بعد الأذان بوقت يسير؛ والأوْلى أن يتأخروا بوقت تطمئن نفوسهم بدخول الوقت؛ فقد ثبت أن عدداً من التقاويم غير دقيقة وأنها تسبق دخول الوقت بنحو ربع إلى ثلث ساعة.

٤ ـ هذا شهر الصيام وبعض الناس يجعله شهر الطعام، فتضيع الأوقات الطويلة وخصوصًا على المرأة في صنع ألوان الطعام.

٥ ـ الحذر من الوقوع في المحرمات وخصوصًا ما يتفنن به شياطين الإنس من أفلام ومسلسلات.

٦ ـ ينبغي على المرأة المسلمة أن تحذر الخروج إلى الأسواق متطيبة، أو متبرجة، أو بدون حاجة، أو بدون محرم، وكم يتألم المؤمن من امتلاء الأسواق بالنساء ليالي رمضان وخصوصًا في العشر الأواخر منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري، ح/١٤٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، ح/١٤٣٨.

دراسات تربوية

الخصومة وفن المصالحة

بقلم:
عبد القادر أحمد عبد القادر

إن الخصومة معركة معنوية، وقد تتحول إلى قتال... وبداية أقول: إن الخصومة أمر وارد، ويتكرر كلما دعت الأسباب: كمنافسة، أو حسد، أو صراع على غنيمة، أو منصب... إلخ، فكيف تُدار الخصومة؟ وكيف تدار عملية الإصلاح؟ ألتمس من «فقه الدعوة» هذه المتابعة، والله الهادي.

للخصومة مواضع ومواضيع، بعضها تجب معالجته توّاً، أو في وقت لا يزيد عن ثلاث ليال أو ثلاثة أيام، وبعضها قد يطول، ولكن خير الخصمين هو الذي يبدأ بالسلام.

وإن لم ينته سبب الخصام، فإنه يجب ألا تتدهور الخصومة إلى خصومة أشد؛ فإن أنواعاً من الاقتتال الدائر الآن على بعض الساحات كانت بدايته خصومة فردية، ثم اتسعت فصارت جماعية؛ لأنها لم تعالَجْ موضعاً وموضوعاً.

اتصل بي أخ فاضل وقال لي: أرجوك أن تتحرك أنت والأخ (...) لتصلحا بيني وبين الأخ (....)!! فاستحسنت هذا الموقف النادر، في زمن يتعامل فيه الخصوم بمبدأ (يضرب رأسه في الحائط)! وقد تحركت حركة خفيفة (بالهاتف) وتحرك المرشح الثاني لإجراء الصلح... وتم الصلح بفضل الله.

الخصومات أنواع:

تتراوح الخصومات بين شؤون فردية، أو شؤون جماعية... فمن الخصومات الفردية مثلاً:

خصومة بين اثنين (صديقين أو زوجين أو أخوين أو أختين) أو نحو ذلك.

ومن الخصومات الجماعية مثلاً:

خصومة بين قبيلتين أو حزبين أو جماعتين، وقد تكون بين شعبين أو دولتين.

وتندرج تحت كل قسم من الأقسام السابقة أنواع، وسوف نذكر أهم الأنواع في موضعها بتوفيق الله.

خصومة شخصين، أو خصومات الأفراد:

وهي كثيرة كثرة الأفراد، وندر مَنْ لا يُخاصِم أو يُخاصَم، وسببها تعارض المصالح، أو تصادم الأهواء؛ فإذا تعارضت المصالح أمكن التوفيق بينها بطريقة أو بأخرى، أما خصومات تصادم الأهواء، أو تصادم الهوى مع الحق، فتقلُّ فيها احتمالات العلاج، إلا بالرجوع إلى الحق، والتخلص من الهوى.

إن أهواء الأفراد متعددة متنوعة، وهي مطامع الدنيا في الأموال، والمناصب والشهوات كالمذكورة في قوله ـ تعالى ـ: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾** [آل عمران: ١٤].

درس من القرآن:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

إنه عرض لدرس في الخصومة الفردية التي تصاعدت حتى وصلت إلى أن يقتل الأخ أخاه في بيت البشرية الأول، في بيت النبوة!!

دبّت الخصومة بين قابيل وهابيل بشأن مسألة زواج، أيّهما يتزوج الجميلة؟ وأيهما يتزوج الدميمة؟ فاتفقا على أن يقدم كل منهما قربانًا، فأكلت النار قربان هابيل، وتلك علامة القبول، فتمادى الطرف الشرير الخبيث في خصومته، ونقلها من الإطار المعنوي إلى الإطار الحسي المادي **﴿قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ﴾**... وعيد مؤكد بمؤكدَيْن هما: «اللام»، ونون التوكيد الثقيلة... يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ: «وهكذا يبدو هذا القول بهذا التأكيد المنبئ عن الإصرار نابيًا مثيرًا للاستنكار؛ لأنه ينبعث من غير موجب، اللهم إلا ذلك الشعور الخبيث المنكر، شعور الحسد الأعمى الذي لا يعمر نفسًا طيبةً».

فماذا كان حال الطرف الثاني؟

الوداعة والطيبة، طيبة الظاهر، وطيبة السريرة، يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «هكذا في براءة يُرد الأمر إلى وضعه وأصله، وفي إيمان يدرك أسباب القبول، وفي توجيه رفيق للمعتدي أن يتقي الله، وهداية له إلى الطريق الذي يؤدي إلى القبول، وتعريض لطيف به، لا يُصرّح بما يخدشه أو يثيره! ثم يمضي الأخ المؤمن التقي الوديع المسالم يكسر من شرَّة الشر الهائج في نفس أخيه الشرير، فيقول له: **﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي**

دراسات تربوية

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]، وهكذا يرتسم نموذج الوداعة والسلام والتقوى، أمام موقف الشراسة والعدوان والفجور.

لقد كان في هذا القول الليِّن ـ قول الابن الصالح ـ ما يهدئ الحسد، ويسكّن الشر، ويمسح على الأعصاب المهتاجة... لقد كان في ذلك كفاية، ولكن الأخ الصالح يضيف إلى ما سبق النذير والتحذير: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].

إذا أنت مددت يدك لتقتلني، فليس من شأني، ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة بالنسبة لك، فهذا الخاطر ـ خاطر القتل ـ لا يدور بنفسي أصلاً، ولا يتجه إليه فكري إطلاقًا، خوفًا من الله رب العالمين ـ لا عجزاً عن إتيانه ـ وأنا تاركك تحمل إثم قتلي، وتضيفه إلى إثمك... فيكون إثمك مضاعفًا، وعذابك مضاعفًا ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

بعد عرض هذا المشهد لخصومة فردين أخوين يمكننا استخلاص هذه الفوائد، تحت عنواننا المختار: (الخصومة وفن المصالحة).

١ ـ المسلم رباني حتى في أثناء خصومته، وهكذا هو قبل الخصومة وبعدها، يحرص على مرضاة الله، ورضوانُ الله لا يتحقق بمخالفة أمره، أو بالتمادي في الخصومة أو بتطويرها إلى حالة فجور.

٢ ـ عند إظهار الخصومة، يوطّن المؤمن التقي نفسه على أن يبتعد عن الشر قولاً وعملاً ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤].

٣ ـ إن كثرة الخصومات تعني وجود خلل عند طرف، أو عند الطرفين، أو الأطراف في فهم الأمور.

٤ ـ في المجتمعات البعيدة عن تعاليم الإسلام محترفو خصومات وصراعات، وهؤلاء لا تصلحهم المواعظ؛ لأنهم قد عزموا على الطمع، والقطيعة، والعدوان، ويجب ألا يتغاضى عنهم الدعاة والقضاة وأولو الأمر، ويجب أن يُزجَروا بوسائل مكافئة.

وإذا كانت خصومة ابني آدم قد انتهت بمقتل الطرف الطيب التقي، إلا أن اكتمال التشريع ببعثة محمد ﷺ قد أوجد فقهًا وطريقة أو أسلوبًا للتصدي لفجّار الخصومات، من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]

إن الحركة الإسلامية سواء في إطارها

الشعبي أو إطارها التنظيمي مطالبة بإيجاد آليّة التصدي لفجّار الخصومات على جميع المستويات، وإلا فإن حقبة التمزق الداخلي في المجتمع الإسلامي سيطول مداها، وستكون إفرازاتها دمًا غزيرًا وعزيزًا.

٥ ـ لن تزول الخصومات، ولن تنتهي من الوجود البشري، ولكنها ستقل، وستخف آثارها في ظل المنهج الرباني احتكامًا إليه، وتربية عليه.

٦ ـ إذا كان الباعث على الخصومة الطمع في المال، وأمكن لولي الأمر أن يمنح الطامع، فربما تُعالج الخصومة، وقد سلك النبي ﷺ ذلك الطريق. أما إذا كانت الخصومة من أجل منصب، فإن الأمور توزن بمقدار المصلحة والمفسدة، ثم تُحسم الخصومة دون تغليب الهوى الشخصي، والفقه الإسلامي في هذا الباب حكيم عظيم.

٧ ـ إذا اشتدت الخصومة فلا يصح شرعًا أن تتدهور إلى أكثر من الهجر ثلاثًا، ويكون الفضل لمن يبدأ بالسلام. فإن بقي سبب الخصومة، وجب على الخصمين أن ينتقلا إلى التحكيم، ويوطّن كل طرف نفسه على الرضا والتسليم بالحكم الصادر، وإن خالف الرغبة الشخصية ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

٨ ـ إذا لم يكن لدى الطرفين، أو أحدهما ـ على الأقل ـ استعداد للصلح، ضاعت الأوقات وضاعت الجهود، وعلى المصلحين التثبت من وجود هذه الرغبة بدايةً، فضلاً عن وجودها في نفوس المصلحين ﴿**إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء: ٣٥].

٩ ـ تشتد وطأة الخصومة إذا كان مصدرها الحسد، فإنه نار تحرق الحاسد، وقد تحرق مَنْ حوله، إنه الحسد الذي دفع ابن آدم إلى قتل أخيه.

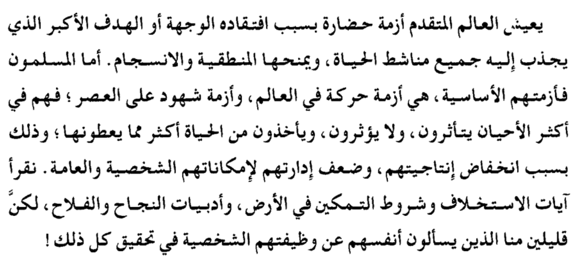
إن خصومات كثيرة تخفى أسبابها الحقيقية؛ لأنها آفة القلب الخفيّة، وإن لم يدركها المصلح فإنه كمن يحرث في الماء، أو من يريد أن يطير بغير جناحين في الهواء!!

وإذا عُرف السبب بطل العجب، فحينئذ يبدأ المصلح بإطفاء النار، ثم يُتبع ذلك بتمديد خطوط المحبة، وذلك يحتاج لوقت وجهد قد يطولان، ويكون الصلح هو البلسم بفضل الله وتوفيقه.

من أجل إنتاجية أفضل

أهمية رسم الأهداف

بقلم : د . عبد الكريم بكار



يعيش العالم المتقدم أزمة حضارة بسبب افتقاده الوجهة أو الهدف الأكبر الذي يجذب إليه جميع مناشط الحياة، ويمنحها المنطقية والانسجام. أما المسلمون فأزمتهم الأساسية، هي أزمة حركة في العالم، وأزمة شهود على العصر ؛ فهم في أكثر الأحيان يتأثرون، ولا يؤثرون، ويأخذون من الحياة أكثر مما يعطونها ؛ وذلك بسبب انخفاض إنتاجيتهم، وضعف إدارتهم لإمكاناتهم الشخصية والعامة. نقرأ آيات الاستخلاف وشروط التمكين في الأرض، وأدبيات النجاح والفلاح، لكنَّ قليلين منا الذين يسألون أنفسهم عن وظيفتهم الشخصية في تحقيق كل ذلك !



إن الأماني الوردية حول قيادة أمتنا للعالم تداعب أخيلة الكثيرين منا، وتدغدغ مشاعرهم، لكن لا أحد يسأل عن آليات تحقيق ذلك، ولا عن الإمكانات المطلوبة للسير في طريقه!

إني أعتقد أن هناك حقيقة أساسية غائبة عن أذهان الكثيرين منا، هي أننا لا نستطيع أن نوجد مجتمعاً أقوى من مجموع أفراده؛ ولذا فإن النهوض بالأمة يقتضي على نحوٍ ما أن ينهض كل واحد منا على صعيده الشخصي، وما لم نفعل ذلك، فإن الغد لن يكون أفضل من اليوم.

إن رسم الأهداف نوع من مدِّ النظر في جوف المستقبل، وإن الله ـ جل وعلا ـ يحثنا على أن نتفكر في الآتي، ونعمل له : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا**

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]

إن المسلم الحق لا يكون إلا مستقبليًا، ولكننا بحاجة إلى أن نعمم روح الالتزام نحو الآخرة على مسلكنا العام تجاه كل ما يعنينا من شؤون وأحوال.

أهمية وجود هدف:

من الأدوات الأساسية في تحسين وضعية الفرد أن يكون له هدف يسعى إلى تحقيقه. ونرى أن حيوية وجود هدف واضح في حياتنا تنبع من اعتبارات عديدة، أهمها:

١ ـ إن كل ما حولنا في تغير دائم، والمعطيات التي تشكل المحيط الحيوي لوجودنا لا تكاد تستقر على حال، وهذا يجعل كل نجاح نحققه معرضًا للزوال؛ ووجود هدف أو أهداف في حياتنا، هو الذي يجعلنا نعرف على وجه التقريب ما العمل الذي سنعمله غداً، كما أنه يساعد على أن نتحسس باستمرار الظروف والأوضاع المحيطة؛ مما يجعلنا في حالة دائمة من اليقظة، وفي حالة من الاقتدار على التكيف المطلوب.

وقد جرت عادة الكثيرين منا أن يسترخوا حين ينجزون عملاً متميزاً؛ مما يضعهم على بداية الطريق إلى أزمة تنتظرهم. ولذا فإن الرجل الناجح، هو الذي يسأل نفسه في فورة نجاحه عن الأعمال التي ينبغي أن يخطط لها، ويقوم بإنجازها؛ فالتخطيط هو الذي يجعل أهمية المرء تأتي قبل الحَدَث. أما معظم الناس فإنهم لا يفكرون إلا عند وجود أزمة، ولا يتحركون إلا حين تحيط بهم المشكلات من كل جانب، أي يستيقظون بعد وقوع الحدث، وبعد فوات الأوان!

٢ ـ إن وعي كثيرين منا بـ(الزمن) ضعيف، ولذا فإن استخدامنا له في حل مشكلاتنا محدود. وحين يجتمع الناس برجل متفوق فإنهم يضعون بين يديه كل مشكلاتهم، ويطلبون لها حلولاً عاجلة متجاهلين عنصر (الزمن) في تكوينها وتراكمها، وطريقة الخلاص منها. ووجود هدف في حياة الواحد منا يجعل وعيه بالزمن أعظم، ويجعله يستخدمه في تغيير

من
قضايا
المنهج

أوضاعه. إذا سأل كل واحد منا نفسه: ماذا بإمكانه أن يفعل تجاه جهله بعلم من العلوم ـ مثلاً ـ أو قضية من القضايا؟ فإنه يجد أنه في الوقت الحاضر لا يستطيع أن يفعل أي شيء يذكر تجاه ذلك. أما إذا سأل نفسه: ماذا يمكن أن يفعل تجاهه خلال خمس سنين؟ فإنه سيجد أنه يستطيع أن يفعل الكثير؛ وذلك بسبب وجود خطة، واستهداف للمعالجة، وهما دائمًا يقومان على عنصر الزمن. إني أعتقد أن كثيراً من الخلل المنهجي في تصور أحوالنا، وحل أزماتنا، يعود إلى ضيق مساحة الرؤية، ومساحة الفعل معًا، وذلك كله بسبب فقد النظر البعيد المدى.

٣ ـ إن كثيراً من الناس يظهرون ارتباكًا عظيمًا في التعامل مع (اللحظة الحاضرة) وذلك بسبب أنهم لم يفكروا فيها قبل حضورها، فتتحول فرص الإنجاز والعطاء إلى فراغ قاتل ومفسد؛ وهذا يجعلنا نقول: إننا لا نستطيع أن نسيطر على الحاضر، ونضبط إيقاعه، ونستغل إمكاناته، إلا من خلال مجموعة من الآمال والأهداف والطموحات، وبهذا تكون وظيفة الهدف في حياتنا هي استثمار اللحظة الماثلة على أفضل وجه ممكن.

إني أتجرأ وأقول: إن ملامح خلاص جيلنا، والجيل القادم ـ على الأقل ـ من وهن التخلف والانكسار قد تبلورت في أمرين: المزيد من الالتزام بالمنهج الرباني، والمزيد من التفوق، ولا نستطيع أن نجعل هذين الأمرين حقيقة واقعة في حياتنا من غير تحديد أهداف واضحة.

سمات مطلوبة في الهدف:

١ ـ المشروعية:

إن مجمل أهداف المرء في الحياة، يعادل على نحو تام (استراتيجية) العمل لديه، ولذا فإن الذين لا يأبهون لشرعية الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها يحيون حياة مضطربة ممزقة، تختلط فيها عوامل البناء مع عوامل الهدم، وينسخ بعضُها بعضَها الآخر. إن الهدف غير المشروع، قد يساعد على تحقيق بعض النمو في جانب من جوانب الحياة، لكنه يحطّ من التوازن

العام للشخصية، ويفجّر في داخلها صراعات مبهمة وعنيفة. وليس المقصود بشرعية الهدف أن يكون معدوداً في (المباحات) فحسب، وإنما المقصود أن يكون مندمجاً على نحو ما في الهدف الأسمى والأكبر الذي يحيا المسلم من أجله على هذه الأرض، ألا وهو الفوز برضوان الله ـ تبارك وتعالى ـ وهذا يعني أن الأهداف المرحلية والجزئية للواحد منا يجب ألا تتنافر معه في وضعيتها أو مفرزاتها أو نتائج تفاعلها. ولعل من علامات الانسجام بينها وبين الهدف الأكبر ـ شعور المرء أنه يحيا (حياة طيبة) وهي لا تولد من رحم الرخاء المادي، ولا من رحم التمتع بالجاه أو الاستحواذ على أكبر كمية من الأشياء، وإنما تولد من ماهية التوازن والانسجام بين المطالب الروحية والمادية للفرد، ومن التأنق الذي يشعر به من يؤدي واجباته.

الهدف المشروع عامل كبير في إيجاد التطابق بين رموزنا وخبراتنا، وهو إلى ذلك مولِّد لما نحتاجه من حماسة للمضي في الطريق إلى نهايته.

٢ ـ الملاءمة:

لكل منا طاقاته وموارده المحدودة، وله ظروفه الخاصة، وله إلى جانب ذلك تطلعات وتشوُّفات؛ ومن الواضح اليوم أن الحضارة الحديثة أوجدت لدى الناس طموحات فوق ما هو متوفر من إمكانات لتلبيتها، وهذا يؤدي بكثير من الناس إلى أن يسلكوا طرقاً غير مشروعة لتلبيتها، أو يؤدي بهم إلى الشعور بالعجز والانحسار.

والهدف الملائم، هو ذلك الهدف الذي يتحدى ولا يعجز. ومعنى التحدي دائماً: طلب تفجير طاقات كامنة أو استخدام موارد مهملة، لكنها جميعاً ممكنة. حين يكون الهدف سهلاً فإنه لا يؤدي إلى حشد إمكاناتنا الذاتية، ولا إلى تشغيل أجهزتنا النفسية والعقلية، كما لو أننا طلبنا من شخص أن يقرأ في كل يوم ربع ساعة، أو يستغفر عشر مرات.

في المقابل فإن الهدف الكبير جداً يصد صاحبه عن العمل له، وفي هذا السياق نرى كثيراً من أهل الخير، يشعرون بالإحباط، ويشكون دائماً من

سوء الأحوال، وتدهور الأوضاع، وهذا نابع من وجود هدف كبير لديهم هو (الصلاح العام) لكن ليس لديهم أهداف صغيرة، أو مرحلية تصب فيه. إن كل هدف صغير يقتطع جزءاً من الهدف الكبير، ويؤدي إلى قطع خطوة في الطريق الطويل؛ وعدم وجود أهداف صغيرة، يجعل الهدف النهائي يبدو دائماً كبيراً وبعيداً، وهذا يسبب آلاماً نفسية مبرحة، ويجعل المرء يظهر دائماً بمظهر الحائر العاجز. إنه لا يأتي بالأمل إلا العمل، وقليل دائم خير من كثير منقطع.

٣ ـ المرونة:

إن أنشطة جميع البشر، تخضع لعدد من النظم المفتوحة، ومن ثم فإن النتائج التي نتطلع إلى الحصول عليها، تظل في دائرة التوقع والتخمين. حين يرسم الإنسان هدفاً، فإنه يرسمه على أساس من التقييم للعوامل الموجودة خارج طبيعة عمله، وخارج إرادته، وهذه العوامل كثيراً ما يتم تقييمها على نحو خاطئ، كما أنها عرضة للتغير، بالإضافة إلى أن إمكاناتنا التي سوف نستخدمها في ذلك هي الأخرى متغيرة؛ ولهذا كله فإن الهدف يجب أن يكون (مرناً)، أي: له حدود دنيا، وله حدود عليا؛ وذلك كأن يخطط أحدنا لأن يقرأ في اليوم ما بين ساعتين إلى أربع ساعات، أو يزور ثلاثة من الإخوة إلى خمسة وهكذا.. هذه المرونة تخفف من ضغط الأهداف علينا؛ فالناس يشعرون حيال كثير من أهدافهم أنها التزامات أكثر منها واجبات، والالتزام بحاجة دائماً إلى درجة من الحرية، وسيكون من الضار بنا تحوُّل الأهداف إلى قيود صارمة، وحواجز منيعة في وجه تلبية رغبات شخصية كثيرة.

٤ ـ الوضوح:

هذه السمة من السمات المهمة للهدف الجيد، حيث لا تكاد تخلو حياة أي إنسان من الرغبة في تحقيق بعض الأمور، لكن الملاحظ أن قلة قليلة من الناس، تملك أهدافاً واضحة ومحددة، ولذا فمن السهل أن يتهم الإنسان نفسه أو غيره بأنه لم يتقدم باتجاه أهدافه خطوة واحدة خلال

عشرين سنة، مع أنك لا تراه خلال تلك المدة إلا منهمكًا ومتابعًا بما يعتقد أنه هدف يستحق العناء!

إنه يمكن القول بسهولة: إن كل هدف ليس معه معيار لقياسه وللكشف عما أنجز منه، وما بقي؛ ليس بهدف. ولذا فإن من يملك أهدافًا واضحة يحدثك دائمًا عن إنجازاته، وعن العقبات التي تواجهه. أما من لا يملك أهدافًا واضحة، فتجده مضطربًا، فتارة يحدثك أنه حقق الكثير الكثير، وتارة يحدثك عن خيبته وإخفاقه؛ إنه كمن يضرب في بيداء، تعتسفه السبل، وتشتته مفارق الطرق! نجد هذا بصورة أوضح لدى الجماعات؛ فالجماعة التي لا تملك أهدافًا واضحة محددة، تظل مشتتة الرأي في حجم ما أنجزته، ولا يكاد خمسة من أبنائها يتفقون في تقويمهم لذلك! لا يكفي أن يكون الهدف واضحًا، بل لا بد من تحديد توقيت لإنجازه، فالزمان ليس ملكًا لنا إلى ما لا نهاية، وطاقاتنا قابلة للنفاد. ثم إن القيمة الحقيقية للأهداف، لا تتبلور إلا من خلال الوقت الذي يستغرقه الوصول إليها، والجهد والتكاليف التي نحتاجها. ولهذا كله فالبديل عن وضوح الهدف، ووضوح تكاليفه المتنوعة، ليس سوى العبث والهدر والاستسلام للأماني الخادعة!

إن من أسباب ضبابية أهدافنا أننا لا نبذل جهدًا كافيًا في رسمها وتحديدها، وهذا لا يؤدي إلى انعدام إمكانية قياسها فحسب، وإنما يؤدي أيضًا إلى إدراكها بطريقة مبتذلة أو رتيبة، مما يُفقدها القدرة على توليد الطاقة المطلوبة لإنجازها.

سنعمل الكثير من أجل أهدافنا إذا أدركنا أنه عن طريقها تتم الصياغة النهائية لوجودنا.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

فرصة سانحة للدعاة

بقلم : عبد الله المسلم

يعتني أهل التجارة بمواسم تدر عليهم ما لا تدره غيرها؛ ولذا تشكل هذه المواسم مصدراً مهمًا من مصادر التجارة، بل إن كثيراً من تجار المسلمين يحصلون في موسم الحج ورمضان أضعاف ما يحصلونه في غيرهما، وبوَّب البخاري ـ رحمه الله ـ في صحيحه (باب : التجارة أيام الموسم والبيع في أسواق الجاهلية).

وإذا كان التاجر قد يضحي بفرص كثيرة حاشا فرص المواسم؛ فالدعاة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ أوْلى وأحرى بأن يحرصوا على استثمار المواسم واغتنامها في نشر دعوتهم، وألا يفرطوا فيها؛ وها هو الداعية الأول ﷺ يستثمر فرصة اجتماع الناس في الحج ليعرض عليهم دعوته، فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموسم فيقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه؛ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[1].



وعن ربيعة بن عباد الديلي قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناس بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: «يا أيها الناس! إن الله ـ عز وجل ـ يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا» قال: ووراءه رجل يقول: هذا يأمركم أن تَدَعوا دين آبائكم، فسألت: مَنْ هذا الرجل؟ فقيل: هذا أبو لهب[2].

وثمة جوانب ومجالات عدة تفتح أمام الدعاة في رمضان لا تفتح أمامهم في غيره؛ فالقلوب تصبح أقل قساوة وأكثر قربًا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ منها في غير رمضان، ولذا نرى الرجل الفاسق المعرض، المسارع في

(١) رواه الترمذي ، ح/٢٩٢٥، وابن ماجه، ح/٢٠١، وأبو داود (٤٧٣٤).

(٢) رواه أحمد ، ح/١٥٥٩٤.

الكبائر تتغير أحواله في رمضان.

وفي رمضان يكثر مرتادو المساجد أكثر مما في غيره.

وفي رمضان يصبح الناس أكثر إصغاءاً وإقبالاً على الموعظة منهم في غيره.

وفي رمضان يكثر توافد الناس على بيت الله الحرام لأداء مناسك العمرة، مما يتيح فرصة للخير لأهل البلد الحرام والوافدين عليه، بل يتيح فرصة لكافة الدعاة في استثمار هذا الجانب ومرافقة من يريدون دعوته لأداء العمرة؛ فيتيح السفر لهم ما لا يتيحه غيره.

وفي رمضان يقبل الناس على إخراج الزكوات والصدقات فيكون ذلك فرصة الدعاة في حث الناس وتوجيه الأموال للمصارف المجدية المفيدة، وتعد مشاريع تفطير الصوَّام ميداناً للإحسان إلى الناس ورعايتهم، ويمكن أن يضم لذلك برامج دعوية وتوجيهية.

ويتيح قدوم المرأة للمسجد في رمضان فرصة لخطاب شريحة واسعة لم يكن يتيسر خطابها قبل ذلك؛ فثمة فئة واسعة من النساء لا تأتي إلى المسجد إلا في صلاة التراويح في رمضان.

إن كثيراً من المسلمين يعتنون بالصيام أكثر من غيره ولا يفرطون فيه، بل إنك ترى فئة كبيرة منهم يصوم وإن كان لا يشهد الصلاة مع المسلمين. والصيام يكشف عن جوانب مهمة في النفوس من القدرة على الامتثال، والقدرة على ضبط النفس والسيطرة على شهواتها. وكثرة أسئلة المسلمين عن أحكام الصيام وعنايتهم بها يكشف جانباً من الخير.

ألا يمكن أن يستثمر ذلك كله في خطاب المسلمين وإقناعهم بأن ثمة جوانب كامنة في نفوسهم ينبغي أن ينطلقوا منها إلى تصحيح واقعهم؟

إن مثل هذه الفرص ينبغي أن تدعونا إلى توسيع دائرة الخطاب وموضوعه؛ فلا يقتصر على مجرد حث الناس على استثمار رمضان، وتلاوة القرآن، وصلاة التراويح فقط، فمع أهمية هذه الأمور وضرورة الحديث عنها، إلا أن هناك ما لا يقل عنها أهمية ووجوباً في حياة المسلمين كالتوبة، وإصلاح القلوب، واجتناب الموبقات، وأداء ما أوجب الله ـ تبارك وتعالى ـ وغير ذلك.

المدح: أنواعه وضوابطه

بقلم: حمود بن جابر الحارثي

المدحُ: نقيضُ الهجاءِ، وهو: حسن الثناء، وقيل: هو الوصف الجميل. وعدُّ المآثر [١]، وقيل: هو وصف المحاسن بكلامٍ جميل[٢].

والمدَّاحون: هم الذين اتخذوا مدح الناس عادةً وجعلوه بضاعةً يستأكلون به الممدوح ويفتنونه[٣].

ثبت في السنَّة أن النبي ﷺ مُدِح في الشعر والخطابة والمخاطبة ولم يمنع المادح كمدح عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه [٤] ـ قائلاً:

إني تفرست فيك الخير أعرفه ... والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يُحرَم شفاعته ... يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبَّتَ الله ما آتاك من حَسَنٍ ... تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فقال له النبي ﷺ: وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة [٥].

---

(١) انظر: لسان العرب ابن منظور، ٢/٥٨٩، ٥٩٠، تاج العروس، الزبيدي، ٧/١١١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٠٨٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، شمس حق العظيم آبادي، ١٣/١٥٩.

(٤) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، شاعر من شعراء الرسول ﷺ. كان أحد النقباء، وشهد بدراً وما بعدها، نذر شعره في مدح الرسول ﷺ والحث على الجهاد، وهو ثالث أمراء جيش مؤتة الذين استشهدوا فيها، وشعره شديد التأثير على النفوس؛ وذلك دليل صدق قائله. (انظر: الإصابة ابن حجر، ٢/٢٩٨، أسد الغابة، ابن الأثير، ٣/٢٣٥).

(٥) عبد الله بن رواحة حياته ودراسة شعره، د. محمد بن سعد الشويعر، ص ٢٣، دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

ومدحه كعب بن زهير ـ رضي الله عنه [١] ـ في قصيدته المشهورة عندما جاء تائبًا مسلمًا:

إن الرسول لنور يُستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلول

في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم ببطنِ مكةَ لما أسلموا: زولوا [٢]

وبما أن الرسول ﷺ أهلٌ للمدح، وكل ممدوح من البشر سواه ناقص. إلا أننا نجده أرشد إلى ما يجوز من المدح، وسد وسائل الإطراء والغلو التي تؤدي إلى الشرك في مدحه أو مدح غيره، أو تؤدي إلى فتنة الممدوح.

ضابط المدح المباح:

ومن خلال استقراء بعض نصوص السنة في المدح والثناء تتجلى ضوابط المدح المباح وهي:

١ ـ الصدق: وهو أن يكون الممدوح أهلاً لما يُقال فيه، ولا يتجاوز المادح الصفات الحقيقية الصادقة في الممدوح.

أما الثناء بما يُعلم حقيقة فهو جائز ومستثنى من التمادح المكروه[٣].

٢ ـ التوسط في المدح وعدم المبالغة ومجاوزة الحد:

فالرسول ﷺ اصطفاه ربه بالرسالة، وهو أفضل خلقه، وهو أهل لكل مدح إذا لم يتجاوز التأدب مع الله؛ ومدح الرسول ﷺ لا يتعدى كونه بشرًا رسولاً، تشرَّف بالعبودية لله، وبَلَّغ ما كُلّفَ به بلاغًا كافيًا، فمنع المبالغة في إطرائه ورفعه أعلى من بشريته.

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، شاعر مشهور، أهدر دمه الرسول ﷺ بسبب قصيدة نال فيها منه ومن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فكتب له أخوه خبرًا يدعوه للمسارعة بالتوبة والإسلام، فجاء متنكرًا وأسلم على يد الرسول ﷺ بعد أن طلب الأمان فأمنه، وقال قصيدته المشهورة في مدح الرسول ﷺ، فأهداه الرسول ﷺ بُردة له. (انظر: الإصابة، ابن حجر، ٣/٢٧٩، أسد الغابة، ابن الأثير، ٤/٤٧٥).

(٢) زولوا: هاجروا إلى المدينة من مكة. (انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٤/٣٧١، شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح رسول الله ﷺ، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. محمود أبو ناجي، ص ٢٩٠).

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/٤٧٨.

دراسات شرعية

قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم. فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[1].

وروى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن مُطرِّف[2] قال: «قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد: الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طَوْلاً[3]، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[4].

هؤلاء أعراب كانوا حديثي عهد بالإسلام، وكره لهم المبالغة في مدحه، فقال لهم: تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه، فيستعملكم الشيطان فيما يريد من التعظيم للمخلوق بمقدار لا يجوز[5].

٣ ـ الأمن من فتنة الممدوح وحدوث الكبر والاستعلاء والفتور عن العمل الصالح.

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي بكر ـ رضي الله عنه[6] ـ «أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً، فقال النبي ﷺ: ويحك قطعت عنق[7] صاحبك ـ يقوله مراراً ـ إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله، ولا يزكي على الله أحداً»[8].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، ٤/١٤٢.

(٢) مُطرِّف بن عبد الله بن الشخير العامري، عابد فاضل ثقة، يكنى بأبي عبد الله. حدَّث عن أبيه الصحابي وعن جمع من الصحابة. مات سنة ٩٥ هـ. (وانظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤/١٨٧، تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ص ٥٣٤).

(٣) طَوْلاً: فضلاً وعلواً على الأعداء، (انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٣/١٤٥).

(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كراهة التمادح، ٤/٢٥٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣/٩١٢.

(٥) انظر: عون المعبود، شرح سنن أبي داود، شمس الحق العظيم آبادي، ١٣/١٦١ ـ ١٦٢.

(٦) نفيع بن الحرث الثقفي، لقب بأبي بكرة، لأنه تدلى في بكرة من سور الطائف في حصارها وأتى مسلمًا. كان من فضلاء الصحابة، سكن البصرة وأنجب أولاداً لهم شهرة، وروى عن النبي ﷺ، مات بالبصرة سنة ٥١ أو ٥٢هـ. (انظر: الإصابة، ابن حجر، ٣/٥٤٢).

(٧) قطعت عنق صاحبك: استُعير قطع العنق لهلاك الممدوح في دينه. (انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨/١٢٧).

(٨) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من التمادح، ٧/٨٧.

فالنهي في الحديث محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الوصف أو من يُخاف عليه فتنة من إعجاب أو كبر، أما من لا يُخاف عليه ذلك لكمال إيمانه وعقله فلا نهي في مدحه إذا لم يكن فيه مجازفة[١].

٤ ـ تقييد المدح بقول: «أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً».

تأدبًا مع الله في رد علم السرائر إليه؛ فهو أعلم بمن اتقى. وإنما الأحكام تجري بالظاهر، والله يتولى السرائر.

المدح المباح:

إذا تحققت ضوابط المدح الآنفة الذكر، فإن الممدوح لا يزداد بها إلا كمالاً، بأن ينشط في فعل الخير والازدياد منه، أو الدوام عليه. خاصة إذا كان المادح من ذوي المكانة والحكمة الذين يقدرون الأمور بقدرها ويحرصون على درء المفاسد وجلب المصالح.

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن سالم[٢] عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كنت غلامًا شابًا، وكنت أنام في المسجد على عهد الرسول ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار. قال: فلقينا مَلَك آخر، فقال لي: لم ترع. فقصصتها على حفصة فقصتها على رسول الله ﷺ فقال: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل. فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً»[٣].

هذا مدح من معلّم الناس الخير ﷺ كانت ثمرته عظيمة للممدوح؛ حيث أخذ على نفسه عهداً بقيامِ الليل حتى إنه كان لا ينام منه إلا قليلاً.

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨/ ١٢٦.

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، إمام زاهد حافظ، يروي عن أبيه وعن أم المؤمنين عائشة وبعض الصحابة. أحد الفقهاء السبعة. مات سنة ١٠٦هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ٤٥٧، تقريب التهذيب، ابن حجر، ص ٢٢٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، ٢/ ٤٢.

وليأمن الممدوح من مداخل الشيطان والفتنة والرياء فإنه يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي ما لا يعلمون. ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون»[1].

وعليه أن يتحرز من آفة العجب أو الفتور. ويظهر كراهة المدح ويراقب نفسه.

المدح المذموم:

وهو ما انعدمت فيه ضوابط المدح المباح. فانعدم فيه الصدق، أو صاحبه النفاق، أو اتُّخِذَ مهمةً للتكسب، وزادَ الممدوحَ بطرًا وتكبرًا وظلمًا ورئاءً.

وهذا النوع هو الذي عناه الرسول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم - رحمه الله - بسنده عن أبي معمر[2] قال: «قام رجل يثني على أمير من الأمراء، فجعل المقداد[3] - رضي الله عنه - يحثي عليه التراب. وقال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب»[4].

قال النووي - رحمه الله -: «حمل المقداد - رضي الله عنه - هذا الحديث على ظاهره ووافقه طائفة. وقال آخرون: معناه: خيبوهم فلا تعطوهم شيئًا لمدحهم - كأنهم من الذين يتكسبون به - وقال آخرون: قولوا له: بفيك التراب»[5].

وقال الطيبي - رحمه الله -: «يحتمل أن يراد به: دفعه وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه من تراب الدنيا استهانة به»[6].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٤٧٨، نقلاً عن البيهقي في الشعب منسوبة إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -.

(٢) عبد الله بن سخبرة الأزدي الكوفي، أبو معمر، حدث عن عمر، وعلي، وابن مسعود، والمقداد، وغيرهم. ثقة. مات في إمارة عبد الله بن زياد في خلافة يزيد. (انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ١٣٣، تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ص ٣٠٥).

(٣) المقداد بن عمرو الكندي، من السابقين للإسلام، وممن أظهر إسلامه، فارس مغوار، تزوج بنت الزبير بن عبد المطلب، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، مات سنة ٣٣ هـ. (انظر: الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ٣/ ٤٣٤).

(٤) صحيح مسلم كتاب الزهد باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، ٨/ ٢٢٨.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨/ ١٢٨.

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/ ٤٧٨.

وقال العلماء في الجمع بين أحاديث الإباحة والنهي: إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين، ومعرفة تامة بحيث لا يُفتن ولا يغتر من ذلك فليس بحرام. وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كُرِه مدحه في وجهه كراهة شديدة[1].

هذا في حق الممدوح.

أما المادح فيتحمل وزر قوله إن كان كاذبًا، أو متكسبًا، ويؤجر إن كان من أهل الحكمة والعلم وإرادة الخير بالناس.

آفاتُ المدح المذموم:

قال الغزالي ـ رحمه الله ـ: في المدح المذموم ست آفات[2]:

أربع على المادح وهي:

١ ـ قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كاذبًا.

٢ ـ وقد يُظهر له من الحب ما لا يعتقده فيكون منافقًا.

٣ ـ وقد يقول له ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الاطلاع عليه، فيكون مجازفًا.

٤ ـ وقد يُفرِحُ الممدوح وهو ظالم أو فاسق فيكون مناصراً لظالم.

وآفتان على الممدوح:

١ ـ قد يُحدث فيه كبراً وإعجاباً؛ وهما مهلكان.

٢ ـ قد يفرح؛ فيفسد عمله، أو يغتر.

أسأل المولى ـ عز وجل ـ أن أكون قد وفقت في بيان بعض جوانب هذا الموضوع، واستغفره من الزلل والنقصان.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم

---

(١) انظر: رياض الصالحين، النووي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ص ٥٦٥.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٣/١٥٩ ـ ١٦٠.

دراسات دعوية

من فقه الدعاء في قصص الأنبياء عليهم السلام

نموذج موسى ـ عليه السلام ـ من خلال سورة القصص

بقلم : د . مصطفى فوضيل

تمتلئ قصص الأنبياء الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بالحكم والفوائد والعبر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف : ١١١] .

ولعل أولى الناس بالاعتبار هم تلك الصفوة من عباد الله ـ عز وجل ـ التي ذاقت طعم الإيمان وحلاوته، واستشعروا ثقل الأمانة، فانطلقوا في الناس يرشدون وينصحون على الرغم مما قد يعترضهم من مضايقة أو بلاء . تلك الصفوة التي ورثت أمانة الدعوة ووظيفة التبليغ من أولئك الأنبياء الكرام ـ عليهم السلام ـ وهم القدوة الذين نجد في قصصهم كثيراً من الزاد على هذا الطريق .

وسأقتصر في هذه الخواطر على عنصر من أهم عناصر ذلك الزاد، ألا وهو الدعاء .

وقد روى ابن ماجة في كتاب الدعاء أن النبي ﷺ قال : « إن الدعاء هو العبادة » . ثم قرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠] كما أن الحديث سيتركز في هذه المقالة على قصة موسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ من خلال سورة القصص .

وتتميز قصة هذا النبي الكريم بكونها غنية بالأحداث وتنوعها؛ ولذلك فقد أخذت حيزاً كبيراً في كتاب الله ـ عز وجل ـ ، وذكرت في عدة سور وبعدة أساليب؛ تبعاً لأغراض القرآن في سوره وآياته ومقاطعه .

فقد واجه أطغى الخلق فرعونَ وملأه، ثم تولى قيادة ـ اليهود ـ أمة تعد من أشد الأمم تفلتاً، وأقساها قلوباً، وإزاء هاتين المهمتين عاش موسى ـ عليه السلام ـ منذ ولادته حياة حافلة بالبلاء والابتلاء .

أ ـ ألقي في اليم وهو رضيع ! !

ب ـ وقع في يد فرعون مباشرة وهو في أوج حملته على بني إسرائيل . قال الراغب في

مفرداته: «﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٤] على التكثير، أي: يذبح بعضهم إثر بعض».

ج ـ ولما بلغ أشده وقع له ذلك الحدث المفاجئ حيث قتل أحدَ جنود فرعون، فخرج من المدينة بعيداً عن فرعون وملئه في هجرة شاقة مضنية.

د ـ ثم كُلِّفَ بعد فترة من الزمن بالرجوع إلى عدوه فرعون ومواجهة السحرة في جمع لم يسبق له مثيل، وقد حكى الله ـ عز وجل ـ على لسانهم: ﴿**فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا**﴾ [طه: ٦٤].

هـ ـ وبعد الانتصار عليهم ونجاته مع بني إسرائيل من فرعون يدخل موسى ـ عليه السلام ـ في مرحلة تميزت بالمتاعب التي لا تنتهي في توجيه بني إسرائيل وسياستهم وتربيتهم وتقويمهم.

موقع الدعاء في منهج موسى ـ عليه السلام ـ : يلحظ المتدبر لهذه القصة في القرآن الكريم أن الدعاء يمثل عنصراً بارزاً في حياة موسى ـ عليه السلام ـ، وذا أثر واضح في سيرورة رسالته وتوالي أحداثها وبناء بعضها على بعض.

وكون الدعاء أحد المعاني الكبرى في القصة فإن ذلك يدل على أنه مكون أساسي من مكونات منهج الرسالة والدعوة والتبليغ عنده ـ عليه السلام ـ، ويكشف ـ في الوقت نفسه ـ عن جانب مهم في شخصيته الموصولة بالله ـ عز وجل ـ، وعلى العناية الربانية التي رافقته وقادته إلى النصر والنجاة.

كما أن المتدبر لمجموع نصوص الدعوات التي دعا بها موسى ـ عليه السلام ـ يجد نفسه أمام فقه عظيم وعلم نفيس. وسأحاول أن نعيش في ظلالهما بما يسر الله ـ عز وجل ـ بمنه وكرمه.

وسيكون تناولي لمجموع هذه الدعوات مراعياً للترتيب الزمني حسب الأحداث وتواليها.

ويمكن تقسيم القصة إلى ثلاث مراحل كبرى حافلة بالأحداث والقضايا والأحوال:

المرحلة الأولى: وتشمل ما بين لحظة الميلاد وزمان التكليم والتكليف.

المرحلة الثانية: وتشمل ما بين التوجه إلى مصر لمواجهة فرعون ولحظة إهلاكه، ونجاة موسى ـ عليه السلام ـ مع بني إسرائيل.

المرحلة الثالثة: وتشمل ما بعد النجاة، حيث قيادة بني إسرائيل وتوجيههم وسياستهم.

أما المرحلة الأولى: فقد شخَّصها ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله حين سأله سعيد بن جبير عن قوله ـ تعالى ـ مخاطباً موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿... **وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا**...﴾ [طه: ٤٠]، قال: خلصناك محنة بعد محنة: ولد في عام كان يقتل فيه

الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير، وألقته أمه في البحر، وهمَّ فرعون بقتله، وقتل قبطيًا، وأجر نفسه عشر سنين، وضل الطريق، وتفوقت غنمه في ليلة مظلمة، وكان يقول عند كل واحدة: فهذه فتنة يا ابن جبير»[1]، وهذه المرحلة وما يتعلق بها من دعاء ذكرت في سورة القصص بشكل مفصل وواضح.

سياق الأدعية التي دعا بها موسى عليه السلام في سورة القصص: يلاحظ أن موسى ـ عليه السلام ـ دعا بثلاثة أدعية قبيل خروجه من المدينة إلى حين وصوله إلى أهل مدين، وقد جاءت إثر ثلاثة أحوال:

الدعاء الأول: قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وقد جاء هذا الدعاء إثر قتله للقبطي: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

الدعاء الثاني: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، وقد كان إثر بلوغه خبر المؤامرة على قتله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

الدعاء الثالث: قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وقد جاء إثر الحالة التي آل إليها من التعب والجوع. قال ابن عطية: «تعرض لسؤال ما يطعمه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، ولم يصرح بسؤال. هكذا روى جميع المفسرين أنه طلب في هذا الكلام ما يأكله. قال ابن عباس: وكان قد بلغ به الجوع واخضرَّ لونه من أكل البقل، وضعُف حتى لصق بطنه بظهره ورئيت خضرة البقل في بطنه، وإنه لأكرم الخلق يومئذ على الله. وروي أنه لم يصل إلى مدين حتى سقط باطن قدمه. وفي هذا معتبر وحاكم بهوان الدنيا على الله ـ تعالى ـ»[2].

من فقه الألفاظ في دعاء موسى ـ عليه السلام ـ : يلاحظ أن موسى ـ عليه السلام ـ قد قدم بين يدي موضوع طلبه وحاجته بقوله: (ربِّ): ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾، ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. وهذا التقديم يشير إلى الإيمان الكامل والتوحيد الصافي والتوجه الصادق والتجرد المطلق من القوة والحوْل؛ فالله ـ عز وجل ـ هو الرب الواحد الذي له الأسماء

---

(١) الكشاف، ٢/ ٥٣٧.

(٢) المحرر الوجيز ١٢/ ١٥٨.

الحسنى، ومنها الغفور والغفار الذي منه المغفرة، والمنجي الذي به النجاة، والرازق والرَّزَّاق الذي بيده الرزق، وهي أسماء دالة على صفات لا يتصف بها على التمام والكمال إلا الله ـ عز وجل ـ. ولا نتصور موسى ـ عليه السلام ـ ينطلق بهذه الكلمة ويصدر بها دعاءه إلا وهو مستشعر لفضل الله عليه فيما مضى من أمره، متطلع راغب في كرم الله وجوده فيما يستقبل منه.

إجابة الله ـ عز وجل ـ لدعوات موسى ـ عليه السلام ـ: يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر: ٦٠] ويقول أيضًا: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والإجابة تكون من الله ـ عز وجل ـ بمقتضى حكمته وعلمه ـ جل جلاله ـ؛ فهو ـ سبحانه ـ الذي يعلم حقائق الأمور ومآلاتها ويجيب العبد بما يَصلح له في دنياه وأخراه.

والسياق يدل على أن الله استجاب لموسى ـ عليه السلام ـ بما يبين حكمته ـ جل جلاله ـ، فيلاحظ أنه جاء في الدعاء الأول بعد قوله: ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي** ﴾ قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ **فَغَفَرَ لَهُ** ﴾.

وجاء في الدعاء الثاني بعد قوله: ﴿ **رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ قوله: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص: ٢٥].

وجاء في الدعاء الثالث بعد قوله: ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ قوله: ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾ [القصص: ٢٥].

بعض التفصيل في هذه الإجابات: الدعاء الأول: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي** ﴾. **الإجابة:** قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «استجاب الله لضراعته وحساسيته واستغفاره: ﴿ **فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾. وكأنما أحس موسى بقلبه المرهف وحسه المتوفز في حرارة توجهه إلى ربه، أن ربه قد غفر له. والقلب المؤمن يحس بالاتصال والاستجابة للدعاء فور الدعاء، حين يصل إرهافه وحساسيته إلى ذلك المستوى، وحين تصل حرارة توجهه إلى هذا الحد. وارتعش موسى ـ عليه السلام ـ وهو يستشعر الاستجابة من ربه، فإذا هو يقطع على نفسه عهدًا، يعده من الوفاء بشكر النعمة التي أنعمها عليه ربه: ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ** ﴾ [القصص: ١٧]. فهو عهد مطلق ألا يقف في صف المجرمين ظهيرًا ومعينًا، وهو براءة من الجريمة وأهلها في كل صورة من صورها، حتى ولو كانت اندفاعًا تحت تأثير الغيظ ومرارة الظلم والبغي. ذلك بحق نعمة الله عليه في قبول

دراسات دعوية

دعائه، ثم نعمته في القوة والحكمة والعلم التي آتاه الله من قبل».

ويؤيد ما ذهب إليه سيد قطب أن الله ـ تعالى ـ قال في سورة طه: ٤٠، في سياق تعداد نعمه ـ عز وجل ـ على موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ﴾ [طه: ٤٠]. قال القاسمي: «أي غم القتل بأن صرفنا عنك ما تخشاه»[١].

وأصل النجاة والنجاء: الانفصال من الشيء، والغم ـ الذي هو الكرب ـ أصله ستر الشيء ومنه الغمام لكونه ساتراً لضوء الشمس. (المفردات للراغب: «نجو» و«غم»). وعلى هذا فكان ما وقع لموسى ـ عليه السلام ـ بسبب قتل القبطي قد ستر عليه نفسه بما نزل عليها من الكرب والحزن الشديد، فنجاه الله ـ عز وجل ـ من هذا الغم أي فصله عنه فانكشف ولم يعد له عليه سلطان. ولا شك أن موسى ـ عليه السلام ـ بقلب المرهف النقي ـ قد أحس بهذا الكرم الرباني العظيم.

الدعاء الثاني: ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾. **الإجابة:** يلاحظ أن الإجابة لم تأت عقب السؤال مباشرة، بل انتقل السياق إلى بيان الوجهة التي اتجه إليها باحثًا عن الأمان، إلى أن وصل إلى أهل مدين، ووقع له ما وقع من إعانة المرأتين بالسقي لهما واستدعاء أبيهما له: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فجاء الجواب على لسان أبيهما ـ ويقال إنه شعيب عليه السلام ـ، وقد حكى كثير من المفسرين أن مدين كانت خارج سلطان فرعون، مما يدل على أنه دخل في أرض الأمان.

وها هنا فوائد: ١ ـ أنه عندما سأل النجاة لم يلزم مكانه ينتظر الإجابة بل توكل على الله ـ عز وجل ـ، وانطلق يلتمس سبيل النجاة، وهذا ما يومئ إليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢] قال ابن عطية: «كان موسى لا يعرف تلك الطريق ولم يصحب معه أحداً فركب مجهلتها واثقًا بالله ـ تعالى ـ ومتوكلاً عليه» ثم قال: «ولما خرج موسى ـ عليه السلام ـ فاراً بنفسه منفرداً حافيًا لا شيء معه رأى حاله وعدم معرفته بالطريق وخلوه من الزاد وغيره؛ فأسند أمره إلى الله ـ تعالى ـ وقال: ﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾، وهذه الأقوال منه تقتضي أنه كان عارفًا بالله ـ تعالى ـ عالمًا بالحكمة والعلم الذي آتاه الله ـ تعالى ـ».

٢ ـ أن قول موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وقول شعيب ـ عليه السلام ـ: ﴿ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، يدل على أنهما

(١) محاسن التأويل، ج١١/١٦٤.

يتواصلان عبر لغة واحدة، متفقين على أصول المفاهيم الدالة عليها، وعلى هذا المنوال قول شعيب بعد ذلك: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [القصص: ٢٧]، وقول موسى أيضاً: ﴿ **وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾ [القصص: ٢٨]، كل هذا يدل على أنهما يستقيان تلك المفاهيم من مشكاة واحدة!!

٣ ـ أن النجاة المذكورة هنا هي ـ في الحقيقة ـ نجاة خاصة بهذه المرحلة بالذات؛ إذ كان موسى ـ عليه السلام ـ في حاجة إلى فترة من الوقت تهدأ فيها نفسه وتستجمع فيها قوته، استعداداً للمرحلة القادمة، وهي أشد وأهول. والقرآن لم يقف طويلاً عند الفترة التي قضاها في أهل مدين، ولم يذكر شيئاً من أحداثها، والظاهر أنها تميزت بالهدوء والخلوة والتفكر مما يكون ـ غالباً ـ مصاحباً لرعي الغنم.

أما النجاة العامة الكبرى فهي التي ستتحقق في المرحلة القادمة الحاسمة، بالفصل النهائي بين موسى ومن آمن به وبين فرعون وملئه، وذلك بعد تخليص بني إسرائيل من ظلم فرعون وإهلاك هذا الطاغية الخبيث أمام أعينهم وهم ينظرون!!

﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٨]، ﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴾ [البقرة: ٥٠].

الدعاء الثالث: ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾. **الإجابة**: قال ابن عطية: «في هذا الموضع اختصار يدل عليه الظاهر، قدَّره ابن إسحاق: «فذهبتا إلى أبيهما سريعتين وكانت عادتهما الإبطاء في السقي فحدثتاه بما كان من أمر الرجل الذي سقى لهما، فأمر الكبرى من بنتيه، وقيل الصغرى أن تدعوه له فجاءت على ما في الآية».

إن تجاوز السياق لهذا التفصيل يومئ إلى سرعة الإجابة؛ وقد حدد القرآن الكريم غرض المرأة من المجيء: ﴿ **قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾ [القصص: ٢٥]. وهذه الدعوة إنما هي ـ في الحقيقة ـ بداية لتكريم رباني عظيم: رزق طيب مبارك، وأمان في ضيافة رجل صالح، وزوجة بارة عاقلة طاهرة عفيفة، وعمل شريف يناسب روحه السنية التي تشوقت إلى الخلوة والسير في الأرض سير تفكر وتأمل، تحنثاً وتعبداً وإعداداً من الله ـ تبارك وتعالى ـ له للمواجهة الحاسمة مع فرعون وملئه!!

مقال

الله أكبر إنها السنن!

نظرات في الاحتفالات برأس السنة

بقلم : أبو محمد الأثري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين. أما بعد :

فاعلم أخي المسلم ـ رحمنا الله جميعًا ـ أنّ من المصائب العظيمة التي حلّت بالمسلمين في هذا الزمان : متابعتهم غير المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الملل الكافرة وتشبههم بهم، حتى تحقّق في غالبنا قول النبي ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذة بالقذة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضب لدخلتموه» قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟! قال: «فمن؟» [١]، أي : فمن أعني غيرهم!. وفي رواية : «حتى لو أن أحدهم جامع أمه بالطريق لفعلتموه»[٢]. الله أكبر إنها السنن.. حتى أصبحنا لا نميز اليوم غالبية المنتسبين للإسلام عن غيرهم، وانقسمت هذه الغالبية إلى أقسام عديدة :

● **قسم**: أعرض عن الدين إعراضًا تامًا، واتبع هواه وكان أمره فرطًا؛ فما عاد يعرف من الدين إلا الاسم، ولا من معالمه إلا الرسم، إما تكبراً واحتقاراً لأهله وموالاة لأعداء الدين، وإما إعراضًا عنه وانشغالاً بالدنيا وتكالبًا على حطامها الفاني.. وهؤلاء كثرٌ، وهم محسوبون على الإسلام بأسمائهم وأنسابهم، والله المستعان.

● **وقسم ثان**: وجد أن نفسه لا تطيق الثبات والتمسك بهذا الدين الذي

---

(١) صحيح رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه مسلم.

كان عليه القرن الأول من صحابة النبي ﷺ؛ لأن في ذلك الالتزام بالوحيين والعض على السنة النبوية بالنواجذ، وفيه مرارة قول الحق والصبر عليه؛ ولما لم يقدروا أن يفعلوا ذلك حاولوا أن يجمعوا بين الإسلام وغيره ليخرجوا لنا إسلامًا عصريًا، ليوافق بذلك أهواء الذين لا يعلمون ويرضيهم.. فذهبوا يلوون أعناق الآيات والأحاديث ويحملونها على غير محملها.. ويتشبهون بأصحاب الجحيم من اليهود والنصارى والمجوس في غالب ما يفعلونه من عاداتهم وهيئاتهم ومعايشهم.. وهؤلاء أيضًا كثر، ولا نشك أنهم من ذلك الغثاء الذي ذكره النبي ﷺ: «بل أنتم يومئذ كثير؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[1]، حتى ولو كان كثير منهم يظهر بقالب الإسلام الظاهري، وربما بمظهر الدعوة والحرص على مصلحتها ومصلحة الدين، إلا أنهم يستنُّون بغير سنة النبي ﷺ، وهديهم مغاير لهديه ﷺ.. وأحسب أنهم ليسوا ممن ينتصر الدين بهم، وإن كثروا وامتلأت أقطار الدنيا بأمثالهم.

● **وقسم ثالث**: وهم الذين هداهم الله إلى الحق وثبت أقدامهم، فلزموا كتاب الله ـ عز وجل ـ وما تركهم عليه رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق، لا يفارقونه ولا يبدلونه حتى يلقوه ﷺ على حوضه، وهؤلاء هم أهل الحق والطائفة المنصورة التي قال فيها النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[2] ـ جعلنا الله منهم ـ فهم أهل الفوز والفلاح، وهم أبعد الناس من التشبه بالكفار؛ فهم المعتزون بدينهم العظيم؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

والقسم الأول: ـ أعاذنا الله منهم ـ هم أهل الخسار والندامة، وأهل الذلة والمهانة، يعيشون بضنك، ويحشرون عميًا، ومآلهم إلى سقر إن لم يبادروا بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله وتجديد الإيمان.

أما القسم الثاني: فهم الذين أردنا أن نذكرهم بهذه الرسالة، وندعوهم إلى العودة إلى الله ـ تعالى ـ واتباع صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح رواه الحاكم.

مقال

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، ونحذرهم من اتباع الأهواء والتشبه بغير المسلمين؛ ذلك أن أكثر هؤلاء إنما يتبعونهم عن جهل وقلة بصيرة وضعف في الإيمان، ولا يجدون من يدلهم على الحق أو يهديهم إلى سبيل الرشاد.

ومن التشبه بالكفار الذي نحن في صدده: الاحتفال برأس السنة أو ما يسمونه بـ (الكريسمس): ففي هذا اليوم يحتفل النصارى الذين قال الله ـ تعالى ـ عنهم: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [المائدة: ١٧]. وقال: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ**﴾ [المائدة: ٧٣]. يحتفلون بهذه المناسبة، ويفترون فيه زوراً وبهتاناً على المسيح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو منهم براء؛ حيث يُحدثون في هذا العيد من الفواحش والمنكرات ما لا يمت بأي صلة إلى شريعة عيسى أو غيره من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وتقام السهرات والحفلات المختلطة التي يتخللها الرقص والغناء وشرب الخمر في كثير من الأحيان.. إلى غير ذلك مما يحدث فيها من المنكرات التي لا يتسع المقام لعدها. وكل ذلك ـ بزعمهم ـ احتفال بالمسيح وذكرى ميلاده، والمسيح بريء من كل ذلك به لا يقرّه ولا يرضاه.. وناهيك إشهارهم لعقائدهم الباطلة من ادعاء الألوهية لعيسى ـ عليه السلام ـ الذي سوف يتبرأ منهم أمام الخلائق كلها يوم القيامة حين يسأله ـ تعالى ـ عن ذلك قائلاً: ﴿**يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

وهذه الافتراءات الباطلة والعقائد الزائفة ـ التي ما أنزل الله بها من سلطان ـ تنفر منها النفوس الصحيحة والفطر السليمة وحتى الجمادات كالأرض والسماوات والجبال الصم الصلاب، قال ـ تعالى ـ واصفًا ذلك الموقف:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾

[مريم: ٨٨ – ٩٥]

فالعجب العجاب من جهال زماننا المنتسبين للإسلام، الذين ذهبوا يتابعون اليهود والنصارى في كل صغيرة وكبيرة، حتى في هذه المناسبات الفاسدة.. ويزعمون بجهلهم أن التقدم والحضارة يُلتَمسان في متابعة اليهود والنصارى في كل شيء.. وما ذلك إلا لجهلهم بدينهم، مصدر عزتهم.. حتى سيطر عليهم مركّب النقص والذلّة، فغدوا إمَّعات.. يلهثون وراءهم ويتابعونهم كالعميان في كل شيء، مع العلم أن من أصول ديننا العظيم؛ مخالفة كل من انحرف عن شريعة الله ـ عز وجل ـ في كل ما يقدر عليه المسلم من شرائعهم وعاداتهم وأعيادهم.. بل وملابسهم وطرق أكلهم وكلامهم وهيئاتهم.

وإليكم قليلاً من الأدلة الكثيرة على ذلك.. لنكون على بينة وبصيرة من ديننا العظيم في زمان يعز فيه الناصحون:

١ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته»[١].

٢ ـ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. ويقول ـ تعالى ـ عن اليهود والنصارى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ١/٨٤.

مقال

[الرعد: ٣٧]. يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره هذه الآية: «وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية ـ على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام ـ».

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ففيه دلالة على أن مخالفتهم مشروعة في الجملة.

٣ ـ قال النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[١]. والحديث فيه وعيد شديد على التشبه بغير المسلمين؛ فمن تشبه بالأتقياء والصالحين فهو منهم، ومن تشبه باليهود والنصارى وغيرهم من الكفار فهو منهم ـ والعياذ بالله ـ. يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في شرح هذا الحديث: «ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها»[٢].

٤ ـ وقال النبي ﷺ: «إن لكل قوم عيداً، وإن عيدنا هذا اليوم»[٣]، وعندما: «قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «ما هذان اليومان؟» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر»[٤].

٥ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك، التي قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ**﴾ [الحج: ٦٧]، كالقبلة والصلاة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج؛ فإن الموافقة في جميع العيد، موافقه في الكفر، والموافقة في بعض فروعه: موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من

(١) صحيح سنن أبي داود، للألباني.
(٢) تفسير ابن كثير في تفسير الآية: ١٠٤ البقرة.
(٣) رواه البخاري ومسلم. (٤) صحيح سنن أبي داود؛ للألباني.

الشعائر؛ فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره. ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه»[1].

وبعد.. فإن الأدلة في هذه المسألة كثيرة جداً لا يتسع لها هذا المقال، والذي يريد التفصيل فليراجع الكتاب القيم لشيخ الإسلام ابن تيمية: (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) وهو كتاب عظيم جدير بالقراءة.

وما ذكرناه من الأدلة، كفاية لطالب الحق ليعلم الضلال والانحراف الذي عليه كثير من الناس في تشبههم بالكفار وتركهم سنة خير البرية محمد ﷺ.

وختاماً: فإن الله قد أمرنا بمخالفة الكفار لحكمة جليلة وعظيمة، منها: كي لا تدخل محبة هؤلاء إلى قلوب المسلمين؛ فهم أعداء الله وأعداء المسلمين، والتوافق والتشابه في الأمور يولد التآلف والتقارب، ومن ثم الود والحب.

وقد نفى الله ـ عز وجل ـ الإيمان عمن أحب أعداءه المنحرفين عن شرعه فقال ـ تعالى ـ: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ..**﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهذا لا ينافي العدل معهم وحسن معاملتهم ما لم يكونوا محاربين. قال ـ تعالى ـ: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾.
[الممتحنة: ٨]

ونسأل الله أن يجعلنا ممن يحب من يحبه، ويعادي من يعاديه، ويوالي من يواليه.. إنه نعم المولى ونعم النصير..

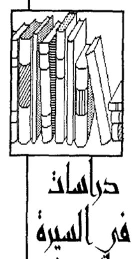
---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ١/٤٧١.

وقفات مع اليهود

من خلال السيرة النبوية

بقلم: عبد الله بن محمد الجفير



دراسات في السيرة النبوية

ما أحوجنا إلى دراسة السيرة النبوية دراسة جادة، وتحقيق مروياتها، وتنقيتها، والتمعن فيها، وربطها بالواقع، واستلهام الدروس والعبر منها؛ فليست سيرة نبينا ﷺ وسنته مجرد أحداث وقصص وقعت وانتهت، تقرأ للتسلية، أو التبرك أو للمعرفة! بل الأمر أكبر من ذلك؛ فقد حفظها الله لنا لتكون لنا نوراً نستضيء به، ودرباً نسير عليه ونطبقه في واقعنا؛ فالقرآن والسنة هما منهج حياة كاملة مثالية حتى قيام الساعة. وهذه دعوة أوجهها لعلمائنا وطلبة العلم والدعاة: للعمل على تبين فقه القرآن والسنة كما أراد الله ـ عز وجل ـ فحياة نبينا محمد ﷺ من بعثته حتى وفاته في جميع شؤونه تعتبر الحياة المثالية والقدوة الحسنة للمسلمين جميعاً من رجال ونساء، وحكام ومحكومين وعامة، وقد أمرنا ربنا ـ عز وجل ـ أن نقتدي به فقال ـ تعالى ـ: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وسنته وطريقه هي الصراط المستقيم والسبيل الوحيد الذي يجب أن يتبع لتحقيق العبودية لله وللفوز بجنته والنجاة من عذابه، وأن ما عداه من طرق وسبل هي ضلال وافتراق عن الحق كما قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهذا الموضوع لإلقاء الضوء باختصار على كيد اليهود لهذا الدين منذ أول أمره، ولبيان نقضهم للعهود التي أبرموها مع نبينا محمد ﷺ، وكيف عاملهم عليه الصلاة والسلام. ولا أريد أن أتطرق لتاريخهم الأسود وخستهم وكفرهم وفجورهم؛ فهذا موضوع طويل؛ ولكن أردت

أن أؤكد كذب ما يصرح به اليهود وأذنابهم، وما تبثه وسائل الإعلام هذه الأيام حول دعاوى السلام معهم، كما أؤكد أن اليهود لا عهد لهم ولا ذمة، وأن يهود الأمس هم يهود اليوم، وهم يهود الغد، وكما غدروا بنبينا ﷺ؛ فإن ما يحدث اليوم هو لعبة من ألاعيبهم؛ كيف لا وهم أشد الناس عداوة للمؤمنين، ولن يرضوا عنا إلا إذا اتبعنا ملتهم، كما أؤكد أن الحل معهم إنما هو إعداد العدة لهم وقتالهم وجهادهم وتطهير الأرض منهم؛ وهذا ما أخبر به ﷺ بقوله: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود»[1]، ونحن موقنون بذلك وهذا ما نؤمن به ونعتقده.

معاهدة الرسول ﷺ مع اليهود: بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، وبعد أن أقام قواعد المجتمع الإسلامي الجديد، ووضع أسس الوحدة العقائدية والسياسة والنظامية بين المسلمين، رأى ﷺ أن يقوم بتنظيم العلاقة بمن يسكنون المدينة ومن حولها من غير المسلمين، وكان همه ﷺ هو توفير الأمن والسلام لهذه الجماعة المسلمة الناشئة والدولة الفتية. وأقرب من يسكن المدينة ويجاورها هم اليهود، فاتصل ﷺ بواسطة عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ وهو أحد أحبار اليهود السابقين والذي أسلم وحسن إسلامه، فدعا اليهود إلى الدخول بهذا الدين والإقرار أنه النبي المنتظر الذي يجدونه مكتوباً في كتبهم؛ ولكنهم أبوا ورفضوا وعاندوا حسداً من عند أنفسهم؛ فعند ذلك عقد الرسول ﷺ معهم معاهدة وكان أهم بنودها:

١ ـ أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

٢ ـ أن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣ ـ أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤ ـ أن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٥ ـ أن النصر للمظلوم.

٦ ـ أن اليهود لا يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

● **وهنا وقفة مع هذه المعاهدة** وهي إظهار العزة للمسلمين، وأن المرجع عند الاشتجار إلى الله ورسوله؛ وأن ليس في بنودها أي ضرر يترتب على اليهود بعكس

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال اليهود. ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

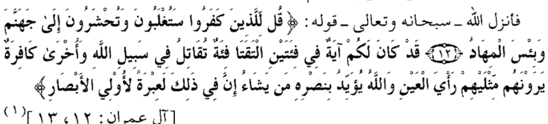
معاهدة الاستسلام المسماة بمعاهدة السلام التي وقِّعت بين اليهود ومنظمة التحرير الفلسطينية والتي جُلُّ بنودها ضرر وظلم وذلة للمسلمين، وعز ونصر لليهود؛ فالمرجع في تفسيرها إليهم، وهم الذين يقررون ما يريدون؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

اليهود يهددون والرسول ﷺ يحذرهم: بعد هذه المعاهدة التي عقدها الرسول ﷺ مع اليهود حرص كل الحرص على تنفيذها، ولكن اليهود الذين يحفل تاريخهم بالغدر والخيانة والمؤامرة والتحريش وإثارة الفتن، وما أن انقضت السنة الأولى من الهجرة النبوية ولاح في الأفق ظهور الإسلام وعزة أهله حتى نجم النفاق وأخذ المنافقون مع اليهود والمشركين بالتحزب والتكتل ضد الإسلام والمسلمين.

وظهر ذلك جليًا بعد معركة بدر التي أعز الله بها دينه ونصر نبيه ﷺ؛ وعند ذلك تفاقم حقد اليهود، واشتد غيظهم وبغيهم، فجمعهم رسول الله ﷺ، وحذرهم مغبة البغي والعدوان. فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لما أصاب رسول الله ﷺ قريشًا يوم بدر، وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال لهم: يا معشر يهود! أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا. فقالوا: يا محمد! لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا غمارًا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا».



فأنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ قوله:


﴿قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

[آل عمران: ١٢، ١٣][١]

فكان معنى إجابة اليهود هو الإعلان السافر للحرب، ولكن النبي ﷺ كظم غيظه وصبر، وصبر معه المؤمنون، وأخذون ينتظرون ما تتمخض عنه الليالي.

اليهود ينقضون العهد: وما لبث اليهود أن نقضوا ما عاهدوا عليه رسول الله ﷺ، فبدأت قبائلهم بالغدر قبيلةً قبيلةً حتى أجلاهم الرسول ﷺ، وطهر مدينته منهم. وأول من نقض العهد يهود بني قينقاع وذلك في السنة الثانية للهجرة بعد غزوة بدر، ثم بني النضير في السنة الرابعة للهجرة بعد غزوة أحد، ثم بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة في غزوة الخندق (الأحزاب).

---

(١) أخرج القصة ابن إسحاق، وابن جرير، والبيهقي في الدلائل.

وتفصيل ذلك كما يلي :

أولاً : يهود بني قينقاع : كانوا حلفاء الخزرج، وكانت ديارهم داخل المدينة، وهم أشجع يهود المدينة وكانوا يعملون بصياغة الذهب وصنع الأواني والحدادة، وتمثل نقضهم للعهد بأن امرأة مسلمة جاءت بجلب لها، فباعته بالسوق، ومالت إلى صائغ يهودي لتشتري منه مصاغاً، فجلست وحوله يهود، فعابوا عليها ستر وجهها، وطالبوها بكشفه فأبت ذلك حفاظًا على عفتها وصيانة لعرضها وشرفها إلا أن أحدهم غافلها وربط طرف درعها من أسفله بطرف خمارها؛ فلما قامت انكشفت عورتها : فصاحت واكشفتاه! فسمعها رجل مسلم فهب لنجدتها، فرأى ما بها، فوثب على اليهودي فقتله، فقام يهود فاشتدوا على المسلم فقتلوه، وهبَّ رجال من المسلمين للحادث فاقتتلوا مع اليهود، فعلم الرسول ﷺ بذلك وأنهم غدروا، فسار إليهم بجنود الله، ولما رآهم اليهود تحصنوا بحصونهم، وكان عدد المقاتلين من اليهود سبعمائة رجل، فحاصرهم الرسول ﷺ أشد الحصار وكان ذلك في شوال من السنة الثانية للهجرة بعد غزوة بدر، ودام الحصار خمسة عشر يوماً، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ ؛ وكان عليه الصلاة والسلام يريد أن يقتلهم، ولكن المنافق عبد الله بن أبي بن سلول حليفهم شفع فيهم وتوسط في خلاصهم، وألح في ذلك، فوهبهم له ﷺ ، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة، فخرجوا إلى نواحي الشام؛ فما لبثوا حتى هلك أكثرهم، فقسم رسول الله ﷺ أموالهم بين الصحابة، وأخذ الخمس لينفقه فيما أمر الله به، وانتهى بذلك أمر يهود بني قينقاع نتيجة خيانتهم.

وهنا وقفتان :

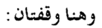
١ ـ موقف اليهود من المرأة المسلمة من الدلائل على خستهم وسوء أخلاقهم، وهذا طبعهم؛ فهم اليوم متغلغلون في وسائل الإعلام المختلفة من سينما ومسرح، وتلفاز وإذاعة وصحافة؛ وغالب ما تحويه هذه الوسائل هي الدعوة إلى الفحشاء والإثارة الجنسية، والانحلال، ونبذ الفضيلة، ونشر الدعارة(١).

٢ ـ وحبهم للمادة بل وعبادتهم لها وتسخيرها لمصالحهم وأغراضهم وشهواتهم؛ ففي وقتنا الحاضر أصبحوا قوة كبيرة مسيطرة على اقتصاديات كثير من الدول

---

(١) انظر لبيان ذلك بالتفصيل في كتاب : *النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية*، للأستاذ فؤاد الرفاعي.

وبنوكها وشركاتها (فقد عبر الحاخام اليهودي « راشورون » عن ذلك بقوله: « إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على العالم فإن الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية »)[١].

ثانياً: يهود بني النضير: وهم حلفاء الخزرج قبل الإسلام، وكانت ديارهم بضواحي المدينة وكان نقضهم العهد بأنهم تآمروا على قتل النبي ﷺ؛ وذلك عندما ذهب إليهم ﷺ في نفر من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأً، وطلب منهم النبي ﷺ ذلك بناءاً على المعاهدة التي بينه وبينهم، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم! اجلس هنا حتى نقضي حاجتك. فجلس ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم... وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وسوّل لهم الشيطان سوءاً، فتآمروا على قتله ﷺ، بأن يصعد أحدهم الجدار فيلقي عليه صخرة كبيرة فتقتله، فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ من عند رب العالمين على رسول الله ﷺ يخبره الخبر، فقام النبي ﷺ مسرعًا وتوجه إلى المدينة، ثم لحقه أصحابه فأمر الرسول ﷺ بالتهيؤ لحربهم وكان ذلك في السنة الرابعة بعد غزوة أحد، وأمر اليهود بالخروج، وتحصنوا بحصونهم، فحاصرهم الرسول ﷺ قرابة خمسة عشر يوماً، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمرهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالخروج من المدينة وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، فبدؤوا بحمل أمتعتهم، وبدؤوا يخربون بيوتهم بأيديهم، فخرجوا من المدينة إلى خيبر ذليلين صاغرين نتيجة غدرهم وخيانتهم وفيهم نزلت سورة الحشر فقال ـ تعالى ـ: **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ**  **وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾** [الحشر: ٢، ٣].

وهنا وقفتان:

١ ـ محاولتهم قتل النبي ﷺ؛ فهم لا يتورعون عن فعل ذلك؛ لأنهم قتلة الأنبياء من قبل، والقتل والتصفية الجسدية عندهم شيء طبيعي لمن عارضهم؛ وهذا

---

(١) انظر لبيان ذلك بالتفصيل في كتاب: النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، للأستاذ فؤاد الرفاعي.

حالهم في هذا العصر (فقد نشر الكاتب اليهودي «إيرل برغر» عام ١٩٦٥م كتاباً بعنوان: (العهد والسيف) قال فيه: (إن المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية هو أن العرب لا بد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معنا؛ ولكن هذا التعاون لن يتحقق إلا بعد القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي، وفي مقدمة هذه العناصر رجال الدين المتعصبين!)[١] وما المجازر التي يرتكبها اليهود في فلسطين إلا شاهد على ذلك.

٢ ـ وقوف المنافقين مع اليهود ومناصرتهم: وهذا ديدن المنافقين في كل زمان، والذين يمثلهم اليوم العلمانيون والمندسون وغيرهم، الذين يعملون لهدم الإسلام من الداخل وإقصاء أحكام الشريعة عن الواقع، وهم الذين يتولون كثيراً من أمور المسلمين مع الأسف، ويديرون جل وسائل الإعلام على ما يريدون.

ثالثاً: يهود بني قريظة: وكانوا حلفاء الأوس، وكانت ديارهم بضواحي المدينة وهم من أشد الناس عداوة للرسول ﷺ، وأغلظهم كفراً به، وكان نقضهم عهد رسول الله ﷺ يوم الخندق (الأحزاب) في شهر ذي القعدة في السنة الخامسة للهجرة، وكان الأحزاب من المشركين يحاصرون المدينة، والمسلمون يشعرون بالخوف؛ فاستغل يهود بني قريظة هذا الوضع ليهزوا المسلمين من الداخل، فسبُّوا رسول الله ﷺ، ونقضوا عهده؛ حيث إنهم أعانوا المشركين المحاصرين للمدينة بالطعام والرجال، وكادت أن تتم لهم خطة وضع المسلمين بين فكي كماشة لولا لطف الله ـ تعالى ـ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «الله أكبر! أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره» ثم التجأ إلى الله بالدعاء، فسلط الله على الأحزاب المحاصرين للمدينة ريحاً شديدة قلعت خيامهم، وأطفأت نارهم، وكفأت قدورهم، فارتحلوا صاغرين؛ وصدق الله إذ يقول: ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

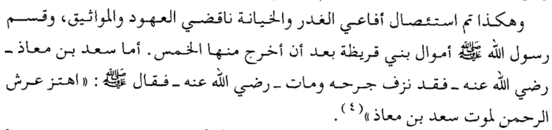
ثم وضع النبي ﷺ والمسلمون سلاحهم وعادوا إلى المدينة، وفي الطريق نزل جبريل ـ عليه السلام ـ على رسول الله ﷺ فقال له: «أوَ قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم. فقال جبريل ـ عليه السلام ـ: فإن الملائكة لم تضع أسلحتها، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله ـ عز وجل ـ يأمرك يا محمد

(١) عداء اليهود للحركات الإسلامية، د. زياد أبو غنيمة.

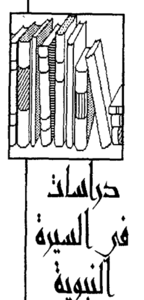
بالمسير إلى بني قريظة؛ فإني عامد إليهم فمزلزل بهم»[١].

فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا فأذَّن في الناس: «من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة»[٢].

ثم تحرك الجيش الإسلامي نحو بني قريظة أرسالاً؛ وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف فحاصروا بني قريظة مدة خمس وعشرين ليلة، وطلب منهم النبي ﷺ النزول فأبوا حتى جهدهم الحصار، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ - رضي الله عنه - وأمر ﷺ باعتقال الرجال وأرسل في طلب سعد بن معاذ - رضي الله عنه - ليحكم بهم وكان حليفًا لهم، وكان مصابًا، فأتي به محمولاً، ورضي بنو قريظة بحكمه لاعتقادهم أنه سيخفف عنهم الحكم، وأثناء الطريق أخذ الأوس يستعطفون سعداً ويلحون عليه بأن يخفف الحكم على بني قريظة فقال - رضي الله عنه -: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فلما وصل - رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ قال: «قوموا إلى سيدكم» فقاموا إليه، فأمره ﷺ أن يحكم فيهم فقال - رضي الله عنه -: أحكمُ فيهم: أن تُقتل الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبى الذراري. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»[٣].



وهكذا تم استئصال أفاعي الغدر والخيانة ناقضي العهود والمواثيق، وقسم رسول الله ﷺ أموال بني قريظة بعد أن أخرج منها الخمس. أما سعد بن معاذ - رضي الله عنه - فقد نزف جرحه ومات - رضي الله عنه - فقال ﷺ: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»[٤].



وفيهم نزل قوله - تعالى -: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد.

(٢) رواه البخاري، ك المغازي، باب غزوة الخندق، ومسلم ك الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو.

(٣) رواه البخاري، ك المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، ومسلم ك الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد. والأرقعة: السموات.

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن معاذ - رضي الله عنه -، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ - رضي الله عنه -.

وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٦ ، ٢٧] .

وهنا وقفة : عندما علم الرسول ﷺ بنقض يهود بني قريظة العهد قال ﷺ : «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره» ثم التجأ إلى الله بالدعاء؛ فيا سبحان الله : الأحزاب يحاصرون المدينة وهؤلاء اليهود والمنافقون يهددون من الداخل، وهذا يؤذن بخطر عظيم على المسلمين؛ ومع ذلك وفي ظل هذه الظروف الحرجة يستبشر الرسول ﷺ ، ويعد الصحابة بقرب الفرج والنصر وقد عمل ما يستطيع، وليس أمامه ﷺ إلا الدعاء والالتجاء إلى الله؛ ذلك السلاح الذي لا يخطئ كما قيل : (سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أجل، وللأجل انقضاء) فنصره الله ـ عز وجل ـ بجند من جنده، فسلط على الأحزاب الريح الشديدة التي طردتهم، وانقلبوا صاغرين مهزومين، وتفرغ المسلمون لهؤلاء الخونة من بني قريظة يتقدمهم جبريل ـ عليه السلام ـ ليزلزلهم وهذا من الرسول ﷺ قوة يقين وإيمان عظيم بالله وبنصره. ومثال آخر كما في قصة الهجرة والنبي ﷺ مطارد لا يملك شيئاً؛ ومع ذلك يَعِدُ سراقة بن مالك ـ رضي الله عنه ـ سواري كسرى!

ونحن اليوم نجد أعداء الله قد تكالبوا علينا، واجتمعت كلمتهم على المسلمين؛ ونجد من الدعاة والمصلحين من هم مكبلة أيديهم ومحاصرة أفكارهم، والمآسي والفتن تزداد على المسلمين يوماً بعد يوم حتى جاء اليوم الذي أُعلن فيه صراحة انتهاء العداوة مع اليهود وقمع كل من يعارض ذلك؛ ولذا فإن أعظم ما يملكه الدعاة والمصلحون هو الدعاء والتضرع إلى الله والالتجاء إليه، بأن يصلح أحوال المسلمين، ويبطل كيد أعدائهم مع فعل الأسباب المتيسرة التي نسأل الله أن يبارك فيها.

وأقول رغم كل ذلك : أبشروا أيها المسلمون؛ فإني والله متفائل؛ فاشتداد ظلمة الليل تؤذنُ بطلوع الفجر وقرب الفرج وكما قال ـ تعالى ـ : **﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾** [يوسف : ١١٠]، وليكن ذلك دافعاً لنا لمضاعفة الجهود والأعمال في الدعوة إلى الله على بصيرة، وأن لا نجعل اليأس والقنوط يدب إلى قلوبنا ويقعدنا نتيجة هذه الأوضاع المؤلمة. والله ولي التوفيق.

العُجْبُ وخطرُهُ على الداعية

(٢ من ٢)

بقلم :

عبد الحكيم بن محمد بلال

تحدث الكاتب في الحلقة السابقة عن مفهوم العجب ومداخله على الدعاة، وعرّج على التحذير منه مبيناً مظاهره ومخاطره وآثاره وأسبابه وعلاجه؛ من خلال الحرص على العلم الشرعي، والإقبال على كتاب الله، وتأمُّل سير العاملين النشيطين، والتأكيد على المسؤولية الفردية، وما للدعاة والمربين من دور في ذلك. - البيان -



حال السلف في الافتقار إلى الله واجتناب العجب: لقد كان حال النبي ﷺ دوام الافتقار إلى الله، والذل بين يديه، واستمداد العون منه؛ لعلمه بأن « قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه كيف يشاء ». وقد تمثل افتقاره ﷺ في دعائه: « اللهم مصرف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك »[١] يقول ذلك وهو سيّد ولد آدم، الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بل يصلي حتى تتورم قدماه، ويقول: « أفلا أكون عبداً شكوراً »[٢] ولا يجتمع الافتقار والعجب في قلب أبداً.

وقد كان ﷺ يغرس في نفوس أصحابه هذه المعاني، ويرشدهم إلى دوام التواضع لله والاعتراف بين يدي الله بالتقصير، مهما بلغوا من منزلة في الإيمان، فهو حينما يطلب منه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ دعاءً يدعو به في صلاته، يعلمه أن يقول: « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم »[٣].

---

(١) رواه مسلم، ح/ ٢٦٥٤. (٢) رواه البخاري، ح/ ١١٣٠.

(٣) رواه البخاري، ح/ ٨٣٤.

ويرشدهم أيضًا إلى إظهار الحاجة إلى الله، وطلب العون منه دومًا، فيقول لمعاذ ـ رضي الله عنه ـ : « يا معاذ! والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، يا معاذ! لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك »(١).

نعم إنه يعلِّم ذلك صفوة الأمة، وخيرة أصحابه، ولكنه تعليم للأمة كلها على الصحيح. ثم تأتي ثمرة هذه التربية متجسدة في مواقف خيرة سلف الأمة:

- فأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يقول: « وددت أني شجرة تعضد ».
- وعمر يسأل حذيفة ـ رضي الله عنهما ـ: هل سمّاني لك رسول الله ﷺ من المنافقين؟

وحينما طُعِنَ وهو خليفة، وجعل يألم، قال له ابن عباس مواسيًا: « يا أمير المؤمنين! ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته، وهو عنك راضٍ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبت صَحبتهم فأحسنت صُحبتهم، ولئن فارقتهم، لتفارقنهم وهم عنك راضون ». فلم يأخذ عمر بكل هذا الثناء ولا أحس بالعجب والخيلاء، بل أسند ذلك إلى فضل الله ومنته، فقال: « أما ما ذكرت من صحبة الرسول ﷺ ورضاه: فإنما ذاك منٌّ منَ الله ـ تعالى ـ منَّ به عليَّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه: فإنما ذاك منٌّ منَ الله ـ جلَّ ذكره ـ منَّ به عليّ، وأما ما ترى من جزعي: فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب الله ـ عز وجل ـ قبل أن أراه »(٢).

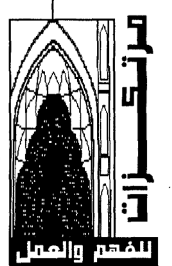
- وعائشة ـ رضي الله عنها ـ لَمَّا نزلت براءتها في حادثة الإفك قالت: « والله ما كنت أظن أن يُنزَل في شأني وحيٌ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم فيَّ بأمر، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها »(٣).
- وهذا مطرِّف بن عبد الله ـ رحمه الله ـ يقول: « لأن أبيت نائمًا، وأصبح

(١) رواه مسلم، ح/٢٦٥٤.
(٢) رواه البخاري، ح/١١٣٠.
(٣) رواه البخاري، ح/٨٣٤.

نادماً، أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً »[1].

ولم يكن هذا حال هؤلاء فحسب، لكنها صفة راسخة من صفات المؤمنين الصادقين، الذين وصفهم الله ـ عز وجل ـ بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وقد سألت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ النبيَّ ﷺ عن هذه الآية، فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال: « لا، يا بنت الصدّيق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات »[2].

الفرق بين العجب بالعمل والفرح بالخير والطاعة: كما أن العجب بالعمل يورث التواكل والتكاسل، فإن احتقار العمل إذا لم ينضبط فإنه يورث أثراً مشابهاً وهو: الإحباط والملل والسآمة؛ لذا كان للعبد أن يفرح بالحسنة، ويغتبط بالطاعة، بل إن هذا دليل الإيمان، قال ﷺ: « من سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن »[3].



ولكن الواجب عليه في هذا الفرح: أن يكون مستشعراً فضل الله ـ عز وجل ـ ومنته ورحمته وتوفيقه، مثنياً عليه بذلك، لا يرى لنفسه في الانبعاث لذلك العمل أثراً يعوَّل عليه؛ إذ إن الذي منح القدرة والهداية هو الله ـ عز وجل ـ قال ـ عز وجل ـ: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: ٥٨]. وأعظم ذلك الفضل نعمة الإسلام والتوفيق للطاعة، « وإنما أمر ـ تعالى ـ بالفرح بفضله ورحمته؛ لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله ـ تعالى ـ وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان، الداعي للازدياد منهما، وهذا فرح محمود »[4] بخلاف الفرح المذموم المقترن باستحضار جهد النفس في العمل، الداعي إلى العجب والغرور؛ وهذا كالفرق بين الفخر بالنعم والتحدث بها[5].

---

(١) السير، ج ٤، ص ١٩٠.

(٢) رواه الترمذي، ح/٣١٧٥، وانظر السلسلة الصحيحة، ج ١، ص ٢٥٥.

(٣) رواه أحمد، ج ١، ص ١٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح/ ٦٢٩٤.

(٤) تفسير السعدي، ص ٢٣٤.

(٥) انظر: الروح، لابن القيم، ص ٥٥١.

من العجب إلى الغرور: يتعلق المعجب بالنعم التي يعيشها، والأعمال الصالحة التي يؤديها، ثم يمتد إعجابه ليشمل صوراً من شدة الإعجاب (الغرور)، ومنها:

أ ـ تنقُّص أعمال الآخرين، وازدراؤها، ورؤيتها دون أعماله[1].

ب ـ ادعاء أمور وهمية، وتضخيم بعض القضايا ـ يظنها كبيرة، وليست كذلك ـ، كمن يعتبر نفسه داعية كبيراً؛ لكونه يحسن التحدث والكلام. أو يرى نفسه عالماً فقيهاً ويتجرأ غروراً بما عنده من نتف علم، أو يعد نفسه مؤهلاً للقيادة، ـ لم تُعرَف مكانته ـ، ونحو ذلك. وكثير من هذه الصور وما شاكلها داخل في دائرة التزوير، الذي قال فيه النبي ﷺ فيه: «المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَيْ زورٍ»[2].

ج ـ العجب بأمور باطلة يظنها حقاً، كغرور العلماء والعباد والمتصوفة والأغنياء بأجزاء من الدين، يحسبونها الدين كله، ويبنون عليها الرجاء، **فمن العلماء** من أحكم العلم وترك العمل، ومنهم من أحكم العلم والعمل وترك الاهتمام بالقلوب، ومنهم من اشتغل بوعظ الناس وتعليمهم وأهمل حاله، ومنهم من اشتغل بعلوم الآلة وأعرض من معاني الشريعة، ومنهم من كان حظه من العلم الحفظ بلا فهم ولا عمل... **ومن العبّاد** من غلا وتنطع، ومنهم من وسوس، ومنهم من أفرط في مراعاة أعمال الظاهر وأهمل أعمال القلوب، ومنهم من حرص على النوافل على حساب الفرائض... **ومن المتصوفة** من اغتر بالزي وترك المجاهدة ومراقبة القلوب، ومنهم من ادعى علم المعرفة والقلوب، وازدرى علماء الشريعة، ومنهم من ادّعى حسن الخلق وتصدر لخدمة الزهّاد طلباً للرئاسة... **ومن الأغنياء** من حرص على ما يخلد ذكره من أعمال الخير الظاهرة، كبناء المساجد ونحوها، ورفضوا ما سواها من أعمال البر الأخرى، ومنهم من ينفق على الفقير الذي ينفعه، ويشكر له معروفه، دون غيره، فهو يرجو الجزاء الدنيوي على نفقته، ومنهم من يضيق صدره بالزكاة ويخرجها من سيئ ماله...

---

(١) انظر: آفات على الطريق، ج ١، ص ١٤١، وما بعدها.

(٢) رواه مسلم، ح/٢١٢٩. وانظر عقبات في طريق الدعاة، عبد الله علوان، ج ١، ٦٩.

وفي كل هذه الأحوال تجد أن نفوس أصحابها تسكن إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع، عن شبهة أو خدعة من الشيطان، وترجو بذلك الخير، وتظن غرورها رجاءً محموداً، غير أن الرجاء المحمود هو ما كان على وجهين:

١ ـ رجاء العاصي التائب؛ الذي يمنعه من القنوط.

٢ ـ رجاء الفاتر عن النوافل؛ الذي يبعث فيه النشاط، ويمنعه من الفتور.

فكل رجاء حث على توبة أو تشمير فهو محمود، وكل رجاء أوجب فتوراً وركونًا إلى البطالة فهو غرور[١].

والغرور في أسبابه وعلاجه كالعجب، وله من المظاهر والآثار ما للعجب غالبًا.

ويل للمعجب من الكبر: الكبر كما عرفه النبي ﷺ: «بطر الحق، وغمط الناس» أي رد الحق، أو رفض قبوله، واحتقار الناس وازدراؤهم، وتنقُّصهم. وحريٌّ بمن انتفش في نفسه، وأُعجب بعلمه أو عمله أن لا يحتقر علوم الآخرين وأعمالهم وجهودهم، ويقوده ذلك إلى احتقار ذواتهم وأشخاصهم، ورؤية نفسه فوقهم، فيقع في الكبر. وهذا يعني أنه سيرد ما لديهم من الحق؛ لأنه تنقَّصهم واحتقر ما لديهم؛ سواء عرف أنه الحق، أم لم يعرف؛ إذ لا اهتمام له أصلاً بالنظر فيما لديهم لتمييز ما فيه من حق وباطل.

فالكبر مرض قلبي من أكثر الأمراض فتكًا بصاحبه، **ومن علاماته الظاهرة**[٢]: إظهار الترفع على الناس، وحب التصدر في المجالس، والتبختر والاختيال في المشي، والتقعر في الحديث، والاشمئزاز عن أن يرد عليه كلامه، وإن كان باطلاً، والاستخفاف بضعفة المسلمين، والافتخار بالآباء والنسب، والحرص على المدح والتعظيم ومحبة أن يسعى إليه الناس، ولا يسعى إليهم، وأن يقوموا له، ومحبة التقدم على الغير في المشية والجلسة، وإسبال الثياب خيلاء.

وينبغي أن يكون الدعاة أكثر حذراً من الكبر؛ نظراً لكثرة مداخله عليهم من جهة العلم والعبادة والدعوة والتصدر للإصلاح؛ فهم أحوج الناس إلى التذكير[٣].

---

(١) انظر: موعظة المؤمنين، للقاسمي، ص ٢٩٩ ـ ٣١١.

(٢) انظر: تهذيب موعظة المؤمنين، ص ٣٥٤، وما بعدها.

(٣) انظر: عقبات، علوان، ج ١، ص ٧٩.

ولا عجب؛ إذ قص الله علينا قصة زعيم المتكبرين إبليس الذي أوصله كبره إلى الطرد من رحمة الله، كما حكى قصة قارون الذي كانت نهاية تكبره خسف الأرض به. وقد دعا النبي ﷺ على الذي أكل بشماله تكبراً، فشُلَّت يده أو يبست فما رفعها إلى فمه بعدها [1].

وأبلغُ ما يعظ كتابُ الله ـ عز وجل ـ، فقد بين الله أنه لم يجعل للمتكبرين نصيباً في الآخرة فقال: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: ٨٣]. وأكد النبي ﷺ هذا المعنى في حق المتكبر فقال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2]. كما بين أنه لا يحب المختالين المتكبرين، فقال: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨]، وأن المتكبر يطمس الله قلبه فلا يبصر الحق فقال: ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ [غافر: ٣٥]، وإنما استحق هذا الجزاء؛ لأنه نازع الله ـ عز وجل ـ في صفة من صفات الكمال، كما في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما ألقيته في النار»[3].

وتتوالى أقوال النبي ﷺ تحذيراً من الكبر والخيلاء، ومنها: «من تعظّم في نفسه واختال في مشيته، لقي الله وهو عليه غضبان»[4].

وللتحرز من الكبر ومدافعته: يجب استشعار نعم الله، وإمكانية زوالها إذا لم تشكر، وأن ما لم يحصل عليه الإنسان مما عند الناس أضعاف ما عنده، فلمَ التكبر؟! كما يجب أولاً وأخيراً: السعي في تقوية الإيمان؛ فإن ضعفه سبب المهالك.

فالواجب: تلمس عيوب النفس وأمراض القلوب، وآفات الأعمال، والسعي الحثيث في علاجها، على نحو الوسائل المتقدمة وغيرها. والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) رواه مسلم، ح/٢٠٢١. (٢) رواه مسلم، ح/٩١.

(٣) رواه مسلم، ح/٢٦٢٠، وابن ماجه، ح/٤١٧٥، واللفظ له.

(٤) رواه أحمد، ج ٢، ص ١١٨، وانظر: صحيح الجامع، ح/٦١٥٧.

مأساة هيئة الأمم المتحدة

في ظل النظام العالمي الجديد

منذ إنشاء منظمة الأمم المتحدة في ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥م، والهيئة خاضعة لمواقف الدول العظمى عموماً وأمريكا والاتحاد السوڤياتي خصوصاً، فإذا ما أراد الإنسان معرفة موقف الأمم المتحدة من قضية ما، فما عليه إلا أن يعود إلى موقف أمريكا وروسيا منها، ولكن بعد سقوط المعسكر الشرقي أضحت الهيئة تجسيداً للسياسة الأمريكية. إن السيطرة اليهودية الأمريكية على هذه الهيئة قديمة ولا تحتاج إلى برهان، وأما بعد منتصف الثمانينات فالقضية أجلى من الشمس في ضحاها، فماذا ينتظر العالم من هيئة أكثر من ٦٠٪ من أعضائها البارزين يهود[(١)] حتى التمويل لهذه الهيئة كان بنسبة ٧٥٪ من الدول الكبرى، وأمريكا وحدها كانت تساهم بثلث الميزانية الإجمالية منذ إنشائها وحتى عام ١٩٦٨م. إننا حينما نعرف هذا لا نستغرب الحقائق الآتية: حتى عام ١٩٩٢م أصدر مجلس الأمن ٦٩ قراراً ضد إسرائيل لم ينفذ منها قرار واحد، وخلال أزمة البوسنة والهرسك صدر ٦٣ قراراً، ولم ينفذ منها قرار واحد، ومنذ أزمة كشمير ١٩٤٧م وحتى الآن صدر لصالح كشمير ١٣ قراراً ولم ير قرار واحد منها النور[(٢)]، وللموضوعية فإننا نقول: إن دول العالم

المسلمون



والعالم

---

(١) عبد الله التل (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) قصر الكتاب، البليدة الجزائر ١٩٨٩م، ص ٢١٦ ـ ٢٢٠، وانظر فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي (النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية) دار الشهاب للطبع والنشر باتنة الجزائر، بدون تاريخ من ص١٠٠ ـ ١١٥.

(٢) البيان العدد: ٧١ ديسمبر ١٩٩٣م، ص ٧٣.



بقلم: أحمد بو سجادة

الثالث في السبعينات خاصة كَوَّنَت شبه لوبي داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأصدرت الجمعية بعض القرارات الهامة مثل:

١ ـ إدانة كل أشكال الاستعمار.

٢ ـ إدانة التمييز العنصري.

٣ ـ اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال التمييز العنصري، وأصدرت في ذلك قراراً سنة ١٩٧٥(١).

وهذا ما تسبب في غضب أمريكا، فانسحبت من منظمة العدل الدولية ١٩٧٧م (مؤقتاً) ومن منظمة اليونيسكو ١٩٧٤م، وهددت بالانسحاب من منظمة الأغذية والزراعة (الفاو)!!

لقد انسحبت أمريكا وبريطانيا من منظمة اليونيسكو؛ لأنهما لا تقبلان المساواة بالدول الصغيرة، وقد قال المندوب الأمريكي آنذاك: «نحن لم نؤسس الأمم المتحدة واليونيسكو من أجل هذه المساواة؛ وإذا كنتم مصرِّين عليها فسنحطمها»(٢)، هكذا وبكل عنجهية.

لقد تكونت لدى أمريكا قناعة بأن نظام هذه الهيئة يجب أن يتغير، وهو الذي حدث بالفعل مع بداية التسعينات، حتى غدت هيئة أمريكية، تجسد سياستها الخارجية، وتسوِّغ هيمنتها، وذلك في ظل النظام العالمي الجديد الذي ينبغي أن يطال كل المؤسسات والهيئات العالمية والإقليمية، فبعد إعلان

(١) شفيق المصري (النظام العالمي الجديد) ملامح ومخاطر، ص ١٥.

(٢) محمد خليفة (النظام الدولي بين المقصود والمنشود)، ص ١٧.

(بوش) عن النظام العالمي الجديد، بدأ أثر ذلك يظهر على هيئة الأمم المتحدة؛ إذ استطاعت أمريكا أن تجمع ١١١ صوتاً لإلغاء القرار الذي أصدرته الجمعية العامة سنة ١٩٧٥م الذي اعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية، وذلك في الجلسة العامة للجمعية بتاريخ ١٦ / ١٢ / ١٩٩١م .

والأغرب في هذه السابقة هو تصويت معظم الدول الإسلامية لصالح إلغاء القرار!!! لقد خيل لي وأنا أتابع دور الأمم المتحدة في أزمة الخليج الثانية؛ أن الأمم المتحدة مجرد خلية تابعة للبنتاجون الأمريكي؛ إذ في مدة ٤ أشهر أصدر مجلس الأمن اثني عشر قراراً ضد العراق؛ والغريب في الأمر أن قوات الحلفاء تجاوزت هذه القرارات القاضية بانسحاب العراق؛ إلى القرارات التي أعدتها المخابرات الأمريكية (تدمير القوة العسكرية العراقية، تدمير لأسلحة التدمير الشامل، إخضاع العراق للتفتيش والمراقبة) وهذا ما عبر عنه المعلق الإسرائيلي الشهير « زئيف سيف » في ٢١ / ١ / ١٩٩١م: « إن قيام الولايات المتحدة بالقضاء على التسهيلات النووية التي يملكها العراق يعد تحركًا له مغزى كبير، فهو يعني أن الرئيس « بوش » لم يعد ملزمًا بالأهداف التي أعلن عنها في البداية وهي إخراج العراق من الكويت، وإعادة النظام الشرعي لهذا البلد، بل أصبح له هدف إضافي هو تدمير « البنية التحتية التي تنتج أسلحة مدمرة من كيمياوية ونووية وبيولوجية » [1]، وهذا ما أكده قائد قوات الحلفاء الأمريكي (شوارزكوف) الذي قال عقب الحرب: لقد خضنا هذه الحرب من أجل إسرائيل!!

إذا كانت الأمم المتحدة لم تدرج هذه الأهداف ضمن قراراتها، فلماذا لم تشجب وتستنكر على الأقل ما فعله الحلفاء عموماً وأمريكا خصوصاً؟!

وحسب ميثاق الأمم المتحدة فقد قضى القرار ٨٣ بحصر القيادة العسكرية في مجلس الأمن دون سواه، إلا أن ما حدث في حرب الخليج هو التخلي عن

(١) السياسة الدولية، ع/ ١٠٤، نيسان ٩١، ص ٨٩.



القيادة لأمريكا؛ إذ تولى القيادة « شوارزكوف » الذي لم يبلِّغ مجلس الأمن بشيء عن مجريات الأحداث ولم يرسل إليه تقريراً واحداً[١]، وكررت الأمم المتحدة بذلك خطأ عام ١٩٥٠م [٢] نفسه.

وفي مؤتمر مدريد بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٩١م لتسوية القضية الفلسطينية، أُسقط دور الأمم المتحدة، حيث دعي إلى المؤتمر ممثل عن الأمين العام كمراقب صامت فقط، رغم أن المؤتمر من اقتراح الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٩٨٣م؛ مع العلم أن قضية القدس والدولة الفلسطينية كانا مُغَيَّبين عن المفاوضات !!

إن العجيب حقًا أنه بدل أن تعمل أمريكا على تنفيذ القرارات ٢٤٢ ـ ٣٣٨ ـ ٤٢٥ القاضية بالانسحاب من جميع الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧م فقد أرسلت عشية المؤتمر رسالة إلى إسرائيل جاء فيها: «إن التحديات التي تواجه إسرائيل تتعلق بأمريكا ذاتها، إننا نعدكم بأن التزامنا بأمن إسرائيل وضرورة التعاون الوثيق بين بلدينا من أجل تحقيق هذه الحاجات من الأمور المستمرة، وكل من يحاول دق إسفين بيننا في محاولة المس بهذا الالتزام لا يستطيع أن يفهم العلاقات المتينة القائمة بين بلدينا وطبيعة أمن إسرائيل»[٣].

ورغم أن الحلفاء في حرب الخليج انتقلوا إلى هناك تحت مظلة الأمم المتحدة، **إلا أنهم تخلوا عن تطبيق نص هام من القانون الدولي، والقاضي بعقوبة المعتدي حتى ولو كان رئيس دولة، وهذا ما لم يحدث وأبقوا (صدام حسين) على رأس حكم العراق لتحقيق غايات سياسية إيديولوجية**، كما سنعرف فيما بعد.

---

(١) انظر: د. شفيق المصري (النظام العالمي الجديد ملامح ومخاطر)، ص ١١٢.

(٢) في تلك السنة قرر مجلس الأمن حماية كوريا الجنوبية وفقًا للمادة ٤٢ بتولي الأمم المتحدة القيادة إلا أنها تخلت عن القيادة للأمريكي (ماك آرثر) فلم يتصل بالمجلس ولم يرسل تقريراً واحداً، ولم يشرك الأمم المتحدة في ظروف الحرب ولو بطرق غير مباشرة.

(٣) الدراسات الفسلطينية، ع/٨، خريف ١٩٩١م، ص٢٨٨.

لقد اتضحت الهيمنة الأمريكية على هيئة الأمم المتحدة من خلال مواقفها التي أيدت فيها أمريكا: في حرب الخليج، وفي العدوان على ليبيا منذ ١٩٨٦م، والتدخل في الصومال، وفي هايتي، وعدم الاعتراف باستقلال الشيشان عن الاتحاد السوفياتي، وفي البوسنة والهرسك، والمضايقات المضروبة على إيران والسودان واعتبارهما دولتين إرهابيتين، ومن خلال تدعيم الحكومات الديكتاتورية، كل ذلك يحدث على مرأى ومسمع الأمم المتحدة، بل تشارك في كثير من الأحيان لإضفاء الشرعية الدولية على السلوكات الأمريكية، ولهذا قال «شفيق مصري»: «إن النظام العالمي الجديد لا يتلاءم في معظم مفاصله مع الشرعية الدولية؛ إذ لم ينطلق أصلاً من قواعدها ولم يلتزم بحدودها، وإنما يحاول أن يكيف بعض آلياتها لكي تتلاءم مع قواعده وحدوده»(١) وقال أيضًا: «إذا ما علمنا أن هيئة الأمم المتحدة قد دعيت كمراقب صامت لمؤتمر مدريد، وأنها لم تحضر مطلقًا «مؤتمر موسكو» أدركنا أن الحديث عن الشرعية الدولية وآلياتها إنما هو خطاب إنشائي لا أكثر»(٢).

إن منظمة الأمم المتحدة تحت تأثير الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت منبراً لتسويغ السياسة الأمريكية بل راحت توسع مجالها لتكون في خدمة المصالح الأمريكية(٣)، ويتجلى ذلك من خلال بعض السلوكات

(١) شفيق المصري (النظام العالمي الجديد: ملامح ومخاطر)، ص ١٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٦.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: د. أحمد منصور (قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد)، ابن حزم، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٩ ـ ٦٦.

ـ وانظر: د. شفيق المصري (النظام العالمي الجديد: ملامح ومخاطر)، ص ١١٢، ١١٥.

ـ وانظر: البيان، ع/ ٧١، ديسمبر، ١٩٩٣م، ص ٧٣.

ـ وانظر: محمد خليفة (النظام الدولي بين المقصود والمنشود)، ص ١٧.

ـ وانظر: أحمد العالم: قراءة أولية لمجلس الأمن رقم ٧٣٠ الوحدة عدد ٩٠ مارس ١٩٩١، ص٩٧.

ـ وانظر: أماني عبد الرحمن صالح (الأزمة الكلية الغربية بين القوة الأمريكية ومعضلة البناء لعربي) الفكر الاستراتيجي العربي، ع/ ٤٢ أكتوبر ١٩٩٢، ص ١٣ ـ ٤٨. =



وأبرزها[1]:

أ ـ إعادة هيكلة دور الأمم المتحدة بالشكل الذي أدى إلى تعظيم مجلس الأمن على حساب الجمعية العامة وبقية الأجهزة الأخرى؛ ويبدو المكر الأمريكي واضحاً هنا ؛ إذ بعد غياب الڤيتو السوڤياتي أعطي لمجلس الأمن هذه الأهمية على حساب الأجهزة الأخرى.

ب ـ إصدار حكم غريب: في عام ١٩٩٢م أصدرت المحكمة العليا الأمريكية حكماً، يقضي بالسماح لأمريكا باختطاف الأشخاص المشتبه فيهم من جميع الجنسيات، لمحاكمتهم في أمريكا، ورغم خطورة هذا القرار إلا أن الأمم المتحدة تقف متفرجة وكأن الأمر لا يعنيها، وهذا ما قد يتسبب في أن تحذو بلدان أخرى حذو أمريكا ليتحول النظام العالمي الجديد الذي تكسبه الأمم المتحدة الشرعية فوضى عالمية تطال كل الدول، وليس باناما، وليبيا. ولعل بريطانيا وفرنسا بدأتا بتبني هذا القرار، وهما يطالبان بتسليم المواطنين الليبيين المتهمين في حادث تفجير طائرة بانام الأمريكية في اسكتلندا!!

ج ـ تطبيق الشرعية بصورة انتقائية: ففي الوقت الذي نشطت فيه قرارات الأمم المتحدة في حرب الخليج ضد العراق وليبيا والسودان فترت في قضية البوسنة والهرسك والشيشان وفلسطين وقبرص، كما سنوضح بعد قليل.

إن حال الولايات المتحدة اليوم هو في قمة الغطرسة التي صوَّرها الفرنسي «جان لاكتور» إذ قال: «إن الأمريكيين يرون أن لديهم الحق المطلق في الهجوم على أي مكان وفي أي زمان يختارونه وكأن العالم بأجمعه قد أصبح بالنسبة

= ـ وانظر ميلود المهذبي (الشرعية الدولية من قوة القانون إلى قوة القوة)، مستقبل العالم الإسلامي، ع/٤ خريف ١٩٩١م، ص ٧ ، ١٤.

ـ وانظر: د. فوزي محمد طايل (مذابح البوسنة والهرسك) أندلس جديدة مرجع سابق، ص ٩٦ ـ ٩٧.

(١) انظر: تفصيل ذلك في د. حسين توفيق إبراهيم (النظام الدولي الجديد في الفكر العربي)، عالم الفكر، مرجع سابق، ص ٧٢، ٧٣.

إليهم مجرد غنيمة للولايات المتحدة تحتم على هذه الأخيرة أن تحكمها وتنظمها طبقًا للمحكمة العليا الأمريكية، وأن تشرف عليها القوى الأمريكية»(١).

الحقيقة أن أمريكا تستخدم قوتها وليس وزنها السياسي والحضاري في المشكلات العالمية؛ وهذا هو المعهود عن السياسة الأمريكية منذ القدم، إلا أن الجديد في السياسة الأمريكية هو تقنين العنف وصبغه بالشرعية الدولية عن طريق الأمم المتحدة(٢).

فبعد الانسحاب السوفياتي استطاعت أمريكا السيطرة على أصوات فرنسا وبريطانيا داخل الأمم المتحدة. أما الصين التي بقيت وحيدة بين الأربعة الكبار فهي تتعرض للترغيب الأورو ـ أمريكي عن طريق المساعدات الاقتصادية وتزويدها بالتكنولوجيا المتقدمة؛ وذلك في الوقت الذي تتعرض فيه للترهيب عن طريق إدانتها بالنسبة للديمقراطية وحقوق الإنسان؛ ولذلك رأينا الأثر الفاتر في موقف الصين من أزمة الخليج، كما سيطرت أمريكا على أجهزة الأمم المتحدة ولجانها، وهذا ما يفسر لنا استطاعة أمريكا حمل هيئة الأمم المتحدة على إلغاء القرار رقم ٣٣٧٩ (٣٠) الصادر سنة ١٩٧٥م والقاضي باعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية وذلك في ديسمبر ١٩٩١م.

إن ما يكاد يُعتقَلُ له اللسان، في ظل الهيمنة الأمريكية، هو ما تقدم به الأمين العام بطرس غالي يوم ٩ فبراير ١٩٩٢م في إطار إدخال تعديلات في نظام الأمم المتحدة، ويتمثل في الشروع فيما نادى به لتكوين «قوة انتشار سريع تابعة للأمم المتحدة تضم جنوداً مسلحين بأسلحة ثقيلة تحت غطاء (الدبلوماسية الوقائية) لوقف الأزمات قبل وقوعها» وهذا دعوة للتجسس على الدول المغلوبة من العالم الثالث، ودعوة صريحة للتدخل في الشؤون

(١) مجلة مستقبل العالم الإسلامي، ع٦، بتاريخ ربيع ١٩٩٢م، ص ١٣٤.

(٢) مجلة المنطلق، ع ١٠٦، شتاء ١٩٩٤م، ص ١١٢.



الداخلية للدول؛ لأن قمع الأزمات قبل وقوعها يتطلب حضوراً مستمراً داخل كل دولة معينة، لتتم مراقبة حركة الأحزاب والجمعيات والمنظمات؛ وهذا ما يحوِّل دولاً ذات سيادة إلى محميات «أممية» بل أمريكية في ظل النظام العالمي الجديد، ومثل هذا الإجراء موجه ضد دول العالم الثالث ليزداد قهرها وفقرها.

ولقد بدأت المعالم؛ فرغم المؤتمرات والندوات والملتقيات في إطار تشكيل النظام العالمي الجديد فقد كان الجنوب مغيَّباً دوماً ولم يخصص له حتى ١٪ من الإشغال.

وفي وقت الحرب الباردة كانت معظم الدول، وخاصة دول العالم الثالث، تناور بين الانحياز مرة لأمريكا ومرة للاتحاد السوفياتي، وحتى دول عدم الانحياز فقد كانت منحازة في الواقع لإحدى القوتين، وكان الاتحاد السوفياتي يستعمل (حق النقض) (VETO).

أما اليوم فقد أضحى الوضع بالغ الخطورة في إطار الهيمنة الأحادية على الأمم المتحدة التي غدت مؤسسة لتسويغ شرعية نهم التنين الأمريكي الذي لا يشبع؛ وهذا من أخطر سمات النظام العالمي الجديد!

المسلمون والعالم



أرض سائبة.. وقيادة خائبة

لك الله يا شعب العراق

نقلت مؤخراً صحيفة (نيويورك تايمز) عن أحد المسؤولين الأمريكيين قوله: «لقد فعل صدام حسين لترويج سياستنا أكثر مما فعلنا ... بارك الله في صدام»!!

العائلة التكريتية بصدامها، والبرزاني والطالباني، وأوجلان بأكرادهم، والخليج، وأمريكا والموساد ولجان التفتيش، ودمشق وأنقرة وطهران بحدودها، وروسيا والصين وفرنسا باعتراضهم، وأشياء أخرى كثيرة، ترسم صورة الحكاية الطويلة المريرة والحسابات المتشابكة والمصالح المتداخلة، ويجري هذا كله على أرض واحدة.. العراق المنكوب بقيادته.

قصة بدأت تفاعلاتها الدرامية المأساوية مع بداية حرب الخليج في العام ١٩٩١م، وخسرها صدام في أم المعارك، وصدرت قرارات مجلس الأمن (المؤمرك) تتوالى على العراق، وفُرض الحصار الجامع المانع، الذي لن يرفع إلا بشرط واحد: وهو أن تقوم اللجنة الدولية المكلفة بتفتيش العراق «أونسكوم» بتقديم تقرير نظيف يفيد أن العراق أصبح خاليًا من أي أسلحة للدمار الشامل، وما لم تقدم اللجنة هذا التقرير فإن الحال سيبقى على ما هو عليه حتى إشعار آخر.

وقد مر حتى الآن ست سنوات عجاف على شعب العراق، وما زال صدام في السلطة، وما زال الحصار مستمراً، وما زالت اللجنة الدولية غير مقتنعة، ويبدو أنها لن تقتنع، وما زالت شعوب المنطقة تخشى «صدام» وتعيش في حالة من القلق الدائم من غدر صدام، وما زالت لعبة القط والفأر التي يحسنها صدام وأمريكا تجري على الأرض المسلمة، فصدام يهدد ويرغي ويزبد ويستأسد، ويرسل الخطب الرنانة عبر إذاعاته، وترسل أمريكا تعزيزات إلى



بقلم: حسن قطامش

المنطقة، وتبدأ الجولات المكوكية للشرح والتفسير وطلب التأييد من قبل الدول المعنية، ثم ... تنقشع الغمة وتعود المنطقة للمراوحة مكانها.

فإلى متى سيستمر هذا المسلسل الدرامي المأساوي للمسلمين!؟ متى يرفع الحصار؟ ومتى يرحل صدام؟ ومتى يطمئن أهل المنطقة على أمنهم وسلامتهم؟ ومتى ترحل الجيوش الأجنبية بلا رجعة؟

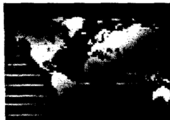
هذه الأسئلة وكثير غيرها يدور في الأذهان كلما ثارت ثائرة الثور الهائج، أو أثاروه لتضطرب المنطقة بأكملها، ولعلنا نقف على بعض المواضيع لسبر غور تلك الأحاجي.

التطورات الأخيرة: بدأت القصة الجديدة في ١١/٦/١٩٩٧م الماضي حين أعلن مجلس الأمن الدولي بأنه سيتخذ إجراءات عقابية شديدة ضد «النظام» العراقي إذا لم يبرهن على التعاون مع اللجنة الخاصة، وأعلن المجلس أنه لن يجري أية مراجعة دورية للعقوبات الدولية على العراق قبل الاستماع إلى التقرير الجديد لرئيس اللجنة الدولية «ريتشارد بتلر» وقدم التقرير الذي أفاد: أن العراق ما زال يستخدم كل الأساليب من أجل منع المفتشين من الكشف عن أماكن الأسلحة الممنوعة وعددها، ومواقع إنتاجها، وتقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا وسبع دول أخرى بصيغة قرار تفرض فيه حظراً على سفر الموظفين العراقيين المسؤولين عن عرقلة لجنة التفتيش، ومع تواضع هذه العقوبة إلا أنه تبلور حولها اعتراض روسي ـ صيني ـ فرنسي، ليس لأجل سواد عيون العراق، ولكن للمتأخرات المالية الكبيرة على العراق لهذه الدول ولحاجتها لبتروله ولسوقه، ومحاولة لاستعادة بعضٍ من الهيبة التي أفقدتهم إياها أمريكا.

ولهذا الاعتراض أجَّلت أمريكا العقوبة ستة أشهر، ثم قام العراق بمنع المفتشين الأمريكيين العاملين ضمن اللجنة، وقام بطردهم، وجاء على أثرها التهديد الأمريكي الأخير وقرار مجلس أمنها الدولي رقم ١١٣٤، وبدأت الزيارات الديبلوماسية لمنع الضربة العسكرية التي هددت بها أمريكا.

قصة العقوبات: بعد أن دمرت قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة القوات العراقية، بما ألقته من آلاف الأطنان من القنابل، ورفضت أن ترمي صدام برصاصة واحدة!! فرضت حظراً شاملاً على شعب العراق، وقلصت مساحة الأراضي العراقية، وقسمته إلى أجزاء ثلاثة: الشيعة في الجنوب، والسنة مع صدام في الوسط، والأكراد في الشمال، وكأن مصطلح «الأكراد» أصبح مذهبًا دينيًا!! ثم حددت الهدف من العقوبات بأنه: ضمان أمن دول الجوار، وتدمير أسلحة الدمار الشامل التي يحتفظ بها صدام، وعودة الأسرى الكويتيين، أما صدام فلم يرد اسمه في قوائم العقوبات البتة على الرغم من أنها شملت الأجنة في بطون أمهاتها، مروراً برجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ إلى أن تنتهي القائمة عند الموتى الذين منع الحظر استيراد أكفانهم. وقد مرت ست سنوات على هذه القصة، ولم ينفذ صدام قرارات مجلس الأمن، ولم يقدم للجنة الخاصة المكلفة بتدمير أسلحة الدمار الشامل القصة الحقيقية حول برامج تسلحه، وما زالت قضية المفقودين الكويتيين بغير حل، وما تزال العقوبات سارية المفعول، فلا يسمح للبلد إلا ببيع ما قيمته مليارا دولار كل ستة أشهر، تذهب منها ٦٠٠ مليون دولار للجنة التعويضات عن أضرار حرب الخليج، وعدة ملايين تذهب للجنة التفتيش، و١٣٠ مليون لمناطق الحكم الكردي في الشمال، ويبقى للعراقي الواحد: ٣٠٠ فلس كل ستة أشهر للغذاء والدواء!! وهذا هو برنامج النفط مقابل الغذاء. ويالله لشعب العراق من جور النظام العالمي الجديد ومن ألاعيب صدام وحزبه.

إن المشكلة الحقيقية في حالة العراق أن العقوبات لا تشكل جزءاً من استراتيجية محددة لإنهاء النظام، بل إن النظام لم يُذكر قط صراحة على أنه هدف لها، بل لقد جاءت التطمينات الأمريكية أن هذه الفكرة غير موجودة

المسلمون

والعالم



أصلاً في «الأجندة» الأمريكية.

ففي المقابلة التي أجرتها معه شبكة «أي.بي.سي» يوم ٨/٥/١٤١٧هـ صرح الرئيس الأمريكي أن «الولايات المتحدة ليس لديها مشروع حل واضح يخلو من التناقضات.. وهنا المشكلة. إن ما تسعى إليه واشنطن هو التأكد من أن الرئيس العراقي سيتقيد بقرارات مجلس الأمن ومن أنه لا يهدد جيرانه، إننا لا نحاول التخلص من صدام، فإن مما تعلمناه من التعاطي مع صدام هو أن يذهب إلى أقصى الحدود، ولهذا وسَّعنا منطقة الحظر الجوي في الجنوب، وهو الآن مقيد الحريات، وبات صعباً عليه تهديد جيرانه». [الحياة ع/١٢٢٦٢/٩/٥/١٤١٧هـ].

وكانت «مادلين أولبرايت» قد كررت القول بأن واشنطن سوف تدعم استمرار العقوبات ضد النظام العراقي الراهن مهما استغرق ذلك من وقت، وهددت أيضاً بعدم تجديد اتفاق بيع النفط مقابل المواد الغذائية والطبية إذا لم تنفذ بغداد كل شرط من شروطه الصارمة، وأوضحت أن السياسة الأمريكية المتشددة هذه سوف تتغير فوراً.. إذا تغيرت القيادة في بغداد، وقالت: إذا حدث ذلك ـ ومتى يحدث!؟ ـ فسوف نكون على استعداد للتنسيق مع حلفائنا وأصدقائنا كي ندخل بسرعة في حوار مع النظام الجديد.

وهذا «كولن باول» رئيس هيئة الأركان في حرب الخليج يطلقها صريحة وبلا مواربة: «إن من غير الحكمة أن نلطخ اسم صدام وسمعته!!، وننعش آمال الجماهير ونحرضهم ضده، ثم نتركه وشأنه بعد ذلك».

فإن كانت أمريكا لا تريد إسقاط صدام، فالمنطق العقلي يفرض عليها اتخاذ إجراءين حيال الوضع الحالي:

الأول: رفع الحصار عن الشعب العراقي مع وجود صدام في السلطة، حتى يشعر الشعب العراقي بنوع من الراحة والاستقرار ويفكر على روية في التخلص من صدام، وهذا لم ولن تفعله أمريكا.

الثاني: دعم المعارضة العراقية بقوة لتنظيم صفوفها للتخلص من صدام، ومن ثمَّ يرفع الحظر، لتعيش شعوب المنطقة في سلام ووئام، وهذا أيضاً لم ولن يحدث.

بل لقد انتقد زعيم المعارضة العراقية «محمد باقر الحكيم» الذي يقود المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ـ وهو هيئة شيعية مؤيدة لإيران ـ انتقد الولايات المتحدة واتهمها بخيانة المعارضة العراقية، وقال: لقد خانت أمريكا الشعب العراقي مرتين حينما كنا على وشك التخلص من صدام، وكان يشير بذلك إلى انتفاضة سكان جنوب وشمال العراق عام ١٩٩١م، وإلى تمرد الجيش العراقي في عام ١٩٩٥م ضد نظام صدام.

إذن: ماذا تريد أمريكا بالضبط من المنطقة ومن العراق؟ ولعلنا مع الوقفات القادمة نتبين إجابة تريح العقول المتعبة.

العداء الصليبي: هناك سياسة عدائية صليبية ضد المسلمين تتزعمها الولايات المتحدة، تمر الآن بفترة حرب باردة من الجانب الأمريكي وتقابل بأعصاب باردة من جانبنا، ولعل المقام لا يتيح التفصيل.

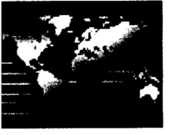
المصلحة الأمريكية: في ١٥/٦/١٩٩٧م زار وزير الدفاع الأمريكي اليهودي «وليم كوهين» إحدى القواعد الأمريكية في المنطقة، وقال مخاطباً الجنود الأمريكيين: إنني متأكد من أن كثيراً منكم يتساءلون من وقت لآخر عن سبب وجودهم هنا، وعما إذا كان ذلك ضرورياً؟ إن الجواب هو: نعم؛ لأن الشرق الأوسط منطقة ذات أهمية كبيرة (لاقتصادنا) وبالنسبة لبقية العالم. إن بلادنا ينبغي أن تحمي منابع النفط في الخليج؛ ولهذا فإن الأمن في هذه المنطقة سيبقى ذا أولوية لوقت طويل. [الأنباء ع/٧٥٧٠/١٦/٦/١٩٩٧م].

ولكيان اليهود نصيب: إن ضمان أمن إسرائيل هو مما آلت أمريكا على نفسها التعهد بالمحافظة عليه، وهي التي رسخت ـ ولا زالت ـ ترسخ أقدام اليهود في المنطقة، بأساليبها المعروفة، والعراق كغيره من الدول العربية التي تسعى العصابات اليهودية لعقد اتفاق سلام معها، وقد جرت اتصالات كثيرة بين الجانبين لعقد اتفاق سلام وتبادل تجاري عن طريق الأردن مع اعتراف عراقي بكيان اليهود، وقد قدم صدام حسين مبادرة علنية للمصالحة مع اليهود حينما قال أكثر من مرة: إن العراق سيبارك أي اتفاق مع إسرائيل يقبله

المسلمون



والعالم



الفلسطينيون والعرب، ولم يحاول الاعتراض على يهود السلام بما في ذلك «مؤتمر مدريد» واتفاقيتي «أوسلو ١ ، ٢».

وقد قام ياسر عرفات أكثر من مرة بمحاولة فتح قنوات اتصال بين صدام وإسرائيل، وآخر هذه المحاولات تم الكشف عنها في مارس ١٩٩٥م عندما بث راديو الجيش الإسرائيلي خبراً يقول: إن صدام حسين طلب من عرفات ترتيب اجتماع مع «موسى شاحال» وجاء في نص الرسالة الشفوية التي حملها عرفات: «إن العراق لم يتخذ موقفاً عدائياً من إسرائيل منذ التوقيع على اتفاق الحكم الذاتي، وهو يرغب في تحسين علاقاته بالدولة العبرية» والمعروف أن (شاحال) من الوزراء الذين يميلون إلى إقامة قنوات اتصال مع العراق، ويرجع ذلك إلى أصوله المنحدرة من العراق، إضافة إلى حاجة اليهود الاقتصادية للبترول العراقي، وقد ذكرت صحيفة «جيروزاليم بوست» اليهودية نقلاً عن مصادر ديبلوماسية أن الشركات الإسرائيلية تبيع حالياً أغذية وأدوية تقدر بحوالي مليوني دولار عن طريق الأردن في مقابل أن يمد العراق إسرائيل بالبترول الذي يتم عن طريق ميناء العقبة الأردني، وتُوُقِّعَ حينها أن تزدهر التجارة بين البلدين بهذه الطريقة لتصل إلى ١٠٠ مليون دولار خلال عام [الأنباء ع/٧١٩٠/٥/١/١٤١٧هـ]. والحاجة الأشد هي أن يوقع العراق اتفاق سلام يسبق الاتفاق السوري حتى يتم الحصار الشامل للأخيرة، وتسقط بين دول مسالمة ومستسلمة لليهود «الأردن ـ تركيا ـ العراق» كذلك فإن الوجود اليهودي في المناطق الشمالية العراقية كان ولا زال بارزاً منذ عقود؛ من خلال عناصر الموساد التي استغلت لعبة الأكراد جيداً لخدمة مصالح إسرائيل.

إيران وسوريا: إن أخوف ما تخشاه الولايات المتحدة هو توسيع الدور الإيراني في المنطقة، خاصة وهو مرشح لذلك، مع وجود مثلث الود الباطني بين إيران وسوريا ولبنان، وحيث إن إيران هي البديل في المنطقة، في حال سقوط الحكم في أيدي المعارضة العراقية التي يتزعمها موالون لإيران، ومع تخوف أمريكا من القوة العسكرية الإيرانية برغم الحصار الاقتصادي المفروض

عليها واحتوائها المزدوج مع العراق، ومع وضعها على قائمة الإرهاب العالمية، ومع الأطماع الفارسية التي تعلمها أمريكا جيداً من إيران في المنطقة ـ مع ذلك كله فإن أمريكا تدرك جيداً أن بقاء صدام حسين معاديًا لحكومة طهران أوْلى من رحيله وتولي حكومة موالية لطهران.

ومع تشابك وتداخل المصالح الإيرانية الأمريكية حول الإرث الشيوعي في آسيا الوسطى يزداد التوتر بين البلدين، ولا مجال هنا للنوايا الحسنة؛ حيث إن كلاً منهما ترتب مصالحها على ضعف الأخرى أو احتوائها أو الخلاص منها.

أما سوريا، فهي الدولة «العنيدة»!! التي استعصت على أمريكا أن تسلمها لإسرائيل لقمة سائغة، ولعل النظام السوري المخضرم يفهم اللعبة السياسية في المنطقة جيداً فلا يريد التوقيع على اتفاق سلام يخسر فيه كما خسر غيره ما ظنه في بادئ الأمر مكسبًا كبيرًا . ومع الانفتاح السوري العراقي الأخير، ومع التهديدات التركية لكلا الدولتين نيابة عن أمريكا وإسرائيل، ـ وهي قوة لا يستهان بها ـ أو مع التلويح بتفعيل مشكلة المياه، أو الضغط بورقة الأكراد وحزب العمال الكردستاني، تبقى سوريا رقمًا صعبًا في الأزمة العراقية المتشابكة.

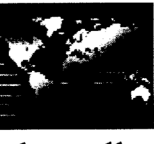
الدول العربية: كانت حسابات الدول العربية مختلفة كليًا عن الحسابات الأمريكية، فأقصى أمنيات العرب كانت رد صدام عن غيّه وتحرير الكويت من الاعتداء الآثم، وعودة الأمان للنفوس المروعة الفزعة؛ وحسبوا أن الوقت لن يطول بمقام قوات التحالف في المنطقة أكثر من عام على أعلى تقدير، أما الحسابات الأمريكية فكانت مختلفة؛ فها هي أعوام ستة تمضي على التعنت الأمريكي، وهذا ما أضر دولاً عربية كثيرة، وتفكك التحالف العربي المجمع على إدانة صدام، وأصبح الجميع يطالبون العراق بتنفيذ قرارات مجلس الأمن؛ إلا أن الجميع أيضاً يعبرون عن تعاطفهم مع شعب العراق.

المصلحة غير غائبة أيضاً عن الحالة العربية، فقد صرح «نبيل العربي» السفير المصري في الأمم المتحدة قائلاً: «إن أحداً لا يفهم لماذا العراق دائمًا تحت

المسلمون



والعالم



الحظر؟ يجب أن يكون بمقدرونا رؤية نهاية النفق»، بل لقد صرحت مصادر مصرية أنها مقتنعة تمامًا بأن العراق ليس لديه أي أسلحة يخفيها!! فقد تضررت مصر بسبب ضياع ما يفوق مليون فرصة عمل كانت متوفرة داخل العراق، فإلحاحها على ورقة مأساة الشعب العراقي يرجع في الأساس إلى عوامل اقتصادية، خاصة بعد التنصل من الوعود بعقود كبيرة في إعمار الكويت.

وهناك من الدول العربية من ارتضى الاحتماء بصدام على وضعه الراهن؛ لأن البديل سيكون سيطرة إيرانية، وهو ما حدا بكل من الإمارات والبحرين، برفع أصواتهما بالتنديد بما يجري داخل العراق.. الآن فقط!! وخاصة أن كلاً منهما لهما مشاكل سياسية كبيرة مع إيران. ومع تزايد الضغط الشعبي المطالب برفع الظلم الواقع على الشعب العراقي، تحركت الحكومات العربية على استحياء، فقد توفي ـ بحسب الأرقام المعلنة ـ منذ بدء الحصار وحتى الآن مليون ومئتا ألف عراقي بسبب فقدان الدواء والعلاج، وحتى لو كان نصف هذا الرقم صحيحًا!! فأي دولة تقبله؟ وأي أمة ترتضيه!؟ وفي أي دولة في العالم يموت مليون إنسان وهم يطلبون الدواء!؟ مع أن حاكمه المستبد يؤتى إليه بأشهر النطاسين وأنجع الأدوية حتى ولو شاكته شوكة؟

الأكراد: الأكراد بأحزابهم الثلاثة الكبار: الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البرزاني، والاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال الطالباني، وحزب العمال الكردستاني بزعامة عبد الله أوجلان، هذه الأحزاب تعتمد (سياسة اللامبالاة) المتعمدة، وتستمر في هذيانها غير واعية لإفرازات خدماتها للأنظمة المحنكة، بل إن بعضها يتصور حقًا أنه يفرز استراتيجية تاريخية دائمة في شمال العراق، ولكن الحقيقة التي يجب أن يعيها الأكراد هي أن أقصى ما تفعله هذه القيادات عمليًا: هو عرض نفسها سلعة للاستقطاب بمعزل تام عن الطموحات الكردية؛ فالعراق وسوريا وإيران وتركيا يلتقون في تطابق معارضتهم لقيام دولة كردية مستقلة في أي جزء من دولهم، كما حرصت هذه الدول كذلك على أن لا تقوى الورقة الكردية في يد أي

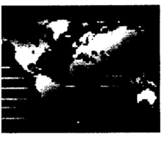
لاعب كان، ومن هذا يبدو أن الحفاظ على موازين القوى بين الفصائل الكردية مرغوب فيه من هذه الأطراف، إضافة إلى الولايات المتحدة التي تركت الأكراد فريسة لصدام حين دخل أربيل في عام ١٩٩٦م، والعجيب أن صدام هاجم الأكراد المتعاونين مع الولايات المتحدة في الشمال، فقامت أمريكا بضرب القوات العراقية في الجنوب!! بحجة انتهاك صدام لحقوق الإنسان الكردي!

النفاق الأمريكي الدولي: لا تتوقف الولايات المتحدة عن ممارسة النفاق السياسي المفضوح كلما تعلق الأمر بحقوق الأكراد، فقد صمتت عن محنتهم حين تعرض «حزب العمال الكردستاني» للتصفية الكاملة من قبل القوات التركية، وحين تعرضت الحركة الوطنية الكردية للقمع من إيران، ثم صمتت عن انتهاكات تركيا وإيران «للمناطق الآمنة» الكردية في منطقة «الحظر الجوي الشمالية»، وفي مناسبات كثيرة اجتاحت القوات التركية أرض كردستان العراق، بل إن أمريكا لم يرف لها جفن حين تعرض أكراد العراق للإبادة في الحرب الأهلية التي نشبت بين أحزابهم، وقد أصبح في حكم المؤكد أن ما يسمى بحقوق الأكراد ليس سوى الاسم الحركي للتدخل الأمريكي في العراق، ولو كانت واشنطن ترغب في تمتع الأكراد بحقوقهم الطبيعية لكان أجدر بها أن تمارس الضغط على تركيا وإيران للاعتراف الدستوري بهذه الحقوق؛ أليس هذا أولى من الدوران بهذا «الشعب المختار» في حلقة مفرغة؟!

وما أشد نفاق المجتمع الدولي حين يصمت عن هذا كله وقد أُصدر باسمه القرار ٦٨٨ / ١٩٩١م عبر مجلس الأمن معتبراً أن نتائج القمع المسلط على الشعب داخل العراق تشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين في المنطقة!! ولذلك أدان القمع مطالباً بوقفه فوراً، كما أعرب عن الأمل في فتح حوار لكفالة احترام حقوق الإنسان والحقوق السياسية لجميع مواطني العراق، وذلك عقب أحداث انتفاضة العام ١٩٩١م.

ثم ها هي (أولبرايت)، وقت أن كانت مندوبة دائمة لأمريكا في الأمم المتحدة تقول: لدينا أدلة كثيرة وغير مشكوك فيها بأن صدام حسين ونظامه





يُخلّون بالوعود، ويتنصلون من التواقيع ويكذبون، ويقتلون، ويضعون مصالح أقلية مختارة فوق مصالح الملايين من المواطنين المقموعين!!! [الوطن ع/٧٤٩٠/٨/٨/١٤١٧هـ].

ولو جئنا بمحلل عراقي لوصف الوضع الداخلي للعراق وشعبه فلن يأتي بمثل هذا التصريح المدرك لحقائق الأمور بجلاء ووضوح.

ثم يأتي خليفتها (ريتشارد سون) في ٢٤/٦/١٤١٨هـ ومع الأحداث الأخيرة ليقول: إننا لا نقترح عقوبات واسعة قد تؤدي إلى معاناة الشعب العراقي، وهدفنا لا يزال مساعدة الشعب العراقي.

وباختصار شديد، فقد وجدت أمريكا في صدام الشخص المناسب لتمرير مخططاتها في المنطقة، ووجد صدام في أمريكا الدولة التي تبقيه في السلطة دون خسائر شخصية؛ فكل من الطرفين منتفع بالآخر في منطقة يراد لها ألا تستقر على حال.

إن أمريكا بأسلحتها الفتاكة، وتقنيتها العسكرية من الأقمار الصناعية، وطائرات التجسس التي تكشف ما وراء العظام لا تستطيع التفريط بصدام!! فهل المعارضة العراقية ستسقطه؟

وإن كانت هذه المأساة في المنطقة بحجة تدمير أسلحة الدمار الشامل في العراق، فماذا عن الترسانة النووية اليهودية؟ وإن كان أمن المنطقة هو المطلب الرئيس، فلماذا لا تعجل أمريكا به لراحة الشعوب الفزعة منها ومن صدامها؟! خاصة وقد ربطت أمريكا رفع العقوبات برحيل صدام؛ فقد صرح كلينتون في ١٤/٧/١٤١٨هـ: أن العقوبات ستبقى قائمة إلى ما لا نهاية... وبأي حال ستبقى ما دام صدام في السلطة!!

لقد كان جديراً بالمسؤول الأمريكي أن يبارك خُطا صدام، ولا عجب إن بُني له مقام في أمريكا لتلمس البركات منه، أو استنساخه لوضعه في مناطق أخرى تريد أمريكا البقاء فيها، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تقرير الحالة الدينية في مصر

(عرض وتحليل)

(٣ - ٣)

في الحلقتين السابقتين عرض الكاتب (تقرير الحالة الدينية في مصر) وبدأ في تحليله، فكانت من عناوين نقط هذا التحليل: (مصداقية وعلامات استفهام)، و(شاهد أم طرف؟)، و(وهنا أيضًا: الكيل بمكيالين)، و(ومن الأرقام ما خدع)، ويواصل الكاتب تحليله لهذا التقرير. - البيان -

وماذا عن الحالة الدينية؟: هناك بعض الملحوظات على الحالة الدينية نفسها، تلح في البروز ويصعب تجاهلها، من أهمها:

* يظهر جليًا من خلال استقراء ما أورده التقرير عن المؤسسات الإسلامية الرسمية أن هذه المؤسسات - بوصفها مؤسسات، وقد يخرج عن ذلك بعض أفرادها - تُستخدم أداة سياسية لتسويغ توجهات المتنفذين في السلطة والدعاية لهم.. فتاريخيًا: «الدولة الفاطمية استخدمت الأزهر من أجل نشر مذهبها الشيعي، وقام علماء الأزهر بدور تعبوي هام من أجل نشر هذا المذهب، وتكرر الشيء نفسه في عهد الدولة الأيوبية من أجل إعادة نشر المذهب السني على أنقاض المذهب الشيعي، وكان تقرب المماليك لعلماء الأزهر ومحاباتهم لهم يعود إلى احتياجهم إلى سند في حكمهم يطمئنون إليه ويستعينون به» (ص ٢٨)، وحتى الصوفية «أخذ الحكام [المماليك] يستغلون الصوفية ليشغلوا الناس عن التفكير في سوء أحوال البلاد» (ص ٢٧٤)، ثم مرورًا بعهد محمد علي وأسرته... إلى أن كانت الحقبة الناصرية فكان تقنين هذا السلوك تجاه تلك المؤسسات؛ حيث «أقدم جمال عبد الناصر في الداخل على إعادة صياغة الفكر الديني بأسلوب يتلاءم مع طبيعة العصر ومتطلبات التنمية كما حددتها الدولة وفق قناعاتها الفكرية والأيديولوجية، فاستخدم الدين - مع أدوات أخرى - في عمليات التعبئة السياسية وإيجاد شرعية لنظامه» (ص ٢٨)، وقد عمل على «القضاء على أي دور محتمل يمكن أن يؤديه الأزهر في شؤون المجتمع باستقلال عن الدولة، وذلك بإصدار

المسلمون



والعالم



بقلم: أيمن محمد سلامة

قانون إعادة تنظيم الأزهر. بجانب هذا سعى النظام الناصري إلى إيجاد أداة إسلامية لسياساته، وهو ما تمثل في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ولم تختلف رؤية الدولة للدور السياسي للأزهر في عهد الرئيس السادات عن رؤية سلفه» (ص ٢٩)، « .. ولم تشهد الثورة صداماً مع الشيوخ، بل استطاع النظام الناصري أن يستثمر الأزهر وشيوخه جيداً لتدعيم وتبرير سياسته، فوصف الشيخ الخضر ثورة يوليو بأنها أعظم انقلاب اجتماعي، ووصف الشيخ تاج الإخوان المسلمين بأنهم يشوهون الإسلام، وأفتى بتجريد [الرئيس السابق] محمد نجيب من حق المواطنة، كما كان الأزهر مكاناً للتعبئة السياسية في حرب ١٩٥٦، كما أفتى الشيخ شلتوت بأن القوانين الاشتراكية لا تتعارض مع الإسلام !... ولم يكن العهد الناصري فقط الذي استخدم الأزهر كمؤيد ومعبئ ومبرر لسياساته، بل في عهد السادات أصدر الشيخ الفحام بياناً أيد فيه الخطوات التي قام بها السادات في ١٥ مايو ١٩٧١م فيما يعرف بثورة التصحيح» (ص٤٥)، و« علاقة الدولة بالأزهر في مرحلة الرئيس مبارك لم تختلف جوهرياً عما كانت عليه في مرحلتي الرئيسين الراحلين عبد الناصر والسادات» (ص ٢٩).

وأيضاً الصوفية وطرقها لها من هذا الاستخدام نصيب، حيث يتساءل التقرير في معرض حديثه عن (تحديث الصوفية): « ما مدى استعداد الأنظمة الحاكمة للتنازل عن الصوفية التقليدية باعتبارها وعاء للشرعية ؟!» (ص ٢٧٦).

والتقرير يعتبر أن المؤسسات الدينية ـ عموماً ـ تشكل « أداة **ضبط واستقرار** إزاء بعض الاتجاهات المغالية في مناهج تفسيرها للنص الديني وشروحه» (ص ٢٦).

وفي ضوء هذا ينبغي أن نفهم أن هذا الضبط والاستقرار قد يقتضي إعطاء بعض المؤسسات قدراً من الحرية حتى تمارس الدور المنوط بها في تثبيت الشرعية المتنفذة « وتحاول الدولة أن توازن بين دور الأزهر في حماية المعتقدات الدينية وإعطاء الضوء

الأخضر له، ذلك من **أجل تثبيت شرعيتها وإضفاء الأسلمة على مواقفها**، وفي الوقت نفسه المحافظة على حرية الفكر والإبداع» (ص ٥٢) ... وعموماً : فإن بعض المواقف المعارضة للسلطة من هذه المؤسسات لم تخرجها عن إطارها المرسوم لها «وأدى ذلك إلى تعاظم دور الأزهر في الرقابة في وقت زاد فيه هامش الحريات، وكانت له فتاوى وآراء معارضة في قضايا حساسة كالعلاقات مع إسرائيل وفوائد البنوك... وبصورة عامة كانت الدولة تستجيب لغالبية فتاوى وآراء الأزهر خاصة فيما يتعلق ببعض القضايا الاجتماعية والفكرية، أما ما يخص منها القضايا الاقتصادية أو تلك التي تمس الأمن القومي فلم تكن الدولة تستجيب لها، وفي خلال تلك المرحلة لم يضغط الأزهر من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية، أو إلغاء معاهدة السلام مع إسرائيل، أو تحريم فوائد البنوك، وفي المقابل أعطت له الدولة قدراً ملحوظاً من الحرية والاحترام» (ص ٢٩)، «ورغم تعاظم دور الأزهر إلا أنه لم يخرج [أي : الشيخ جاد الحق] من إطاره القانوني، ولم يصل دوره المعارض إلى حد الصدام مع السلطة، ولم يضغط من أجل طرح قضية تطبيق الشريعة الإسلامية...» (ص ٤٦).

والفقرتان الأخيرتان توضحان لنا أنه حتى في مراحل الاستقلال النسبي لهذه المؤسسات عن الدولة فإن المواقف المشهودة لها لم تكن تعبر عن تصور منهجي ورؤية واضحة تطالب بها هذه المؤسسات وتعمل على إنفاذها، بل جاءت معظم هذه المواقف نتيجة جهود شخصية في نقد قضايا جزئية أو بطريقة مشوشة، ومن ذلك : « .. بعد مجيء الحملة الفرنسية فتصدى شيوخ الأزهر طليعة الوطنيين المناوئين للحملة وأصبح الأزهر مقراً للحركة الوطنية، ويمثل الشيخ الشرقاوي (١٧٩٣م) الرمز الأزهري الوطني الذي قاوم الحملة، وكان أحد أعضاء مجلس الشورى الذي تقرب به نابليون إلى المصريين، وكان أيضاً ضمن وفد العلماء الذي ألبس خلعة الولاية لمحمد علي واشترطوا عليه أن يحكم بالعدل..» (ص ٤٤ ـ ٤٥)، «وقد أفسح وقوع مصر تحت سطوة الاستعمار الفرنسي ثم الإنجليزي المجال لأن يلعب شيوخ الأزهر وعلماؤه دوراً وطنياً قوياً في تعبئة الجماهير ضد الاستعمار لطرده والحصول على الاستقلال» (ص ٢٨) و«في سبيل تحقيق بعض الإصلاحات العلمية والهيكلية في الأزهر **تحالف الظواهري مع الملك فؤاد ضد الأحزاب**، وفتح بذلك الباب لسيطرة القصر الملكي على الأزهر، ولم يقض ذلك على الدور السياسي للأزهر، وإن لم يكن هذا الدور في الفترة من ١٩١٧م حتى



قبل ثورة يوليو١٩٥٢م موجهًا ضد الحكام **باعتبارهم وطنيين**، ولكن كان موجهًا ضد المستعمر.. «إلا إن الأزهر لم يسكت رغم ذلك على فساد القصر، فقد عزل الشيخ عبد المجيد سليم من المشيخة بعد أن هاجم الملك فاروق بسبب **رحلاته الماجنة** إلى إيطاليا..» (ص٤٥) وقال قولته الشهيرة: « **تقتير** هنا **وإسراف** هناك» (ص٣٨)، ولم نسمع في مقابل ذلك انتقاداً لولائه للنصارى، أو دعوة قوية إلى تحكيم الكتاب والسنة ونبذ القوانين الوضعية، أو محاربة للشركيات والخرافات التي تقع حول القبور والأضرحة تحت سمع وبصر كثير من المشايخ ـ إن لم يكن بمشاركة بعضهم!ـ، هذا فضلاً عن أن نجد المطالبة برؤية حضارية شاملة بديلة للرؤى المسيطرة في ذلك العهد ـ وما تزال ـ.

ولعلنا هنا نورد بعض النماذج التي أوردها التقرير والتي توضح مدى استغلال الدولة للمؤسسات الإسلامية أداة عاملة في آليتها السياسية، وليتضح مدى صدق ادعاء العلمانيين بأن (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين)، حيث يستغلون الدين لتسويغ سياستهم ولا يرتضون أن يكون حاكماً وموجهاً لهذه السياسة:

ففضلاً عما أوردناه من مواقف المشايخ محمد الأحمدي الظواهري، ومحمد الخضر حسين، وعبد الرحمن تاج، ومحمد الفحام، فقد أيد الشيخ عبد الرحمن بيصار «معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية وخطوات التطبيع، وطالب المعارضين للتطبيع في الأزهر بعدم الصدام مع السلطة، والمعارضة فقط في الأمور التي تستحق المعارضة!» (ص٤٦) و«كان للشيخين [جاد الحق، وسيد طنطاوي] مواقف دينية غلب عليها الطابع السياسي الرسمي المعضد للدولة، والمتمثلة في تطويع الفتوى لتتواكب مع الظروف السياسية السائدة، والتراجع في بعض الأحيان عن فتاوى سابقة بحجة الاستجابة للمستجدات بما فيه مصلحة المسلمين... ولعل أبرز الفتاوى السياسية الرسمية التي تبرز ذلك هي الخاصة بالموقف من إسرائيل..» (ص٧٥)... و«شهد عام ١٩٩٥م [الحقل الزمني للتقرير] نشاطًا واسعًا لوزير الأوقاف حينئذ الدكتور محمد علي محجوب سواءً على المستويين الداخلي أو الخارجي، وبصورة عامة عبر نشاط وزير الأوقاف عن السياسة الرسمية للدولة.. فعلى الصعيد الخارجي واصل الوزير نشاطاته خلال عام ١٩٩٥م، وفي المقدمة منها: السعي لتدعيم الروابط بين المسلمين والمسيحيين ـ أو ما يعرف بالحوار بين الأديان ـ استكمالاً لدور الأزهر ودار الإفتاء في هذا المضمار، وتجلى ذلك في تنظيم وزارة الأوقاف لمؤتمر (عطاء الأديان في خدمة الإنسان).. مشيراً

إلى أن ما تشهده مصر يعد نموذجًا مشرفًا وقدوة للعالم كله، حيث شهدت الفترة الأخيرة تجسيداً لذلك من خلال إنشاء المجلس الأعلى للديانات بمصر والذي يضم الإمام الأكبر والبابا شنودة والشيخين محمد الغزالي ومحمد متولي الشعراوي . . » (ص٦٨) .

كما أن « أبرز الأدوار السياسية التي لعبها المفتي ـ مع المؤسسات الإسلامية الرسمية الأخرى ـ هو إقامة المزيد من جسور الحوار مع المسيحيين والتحمس للحوار بين الأديان بصفة عامة، وبذلك الدور فإن المفتي ـ والمؤسسات الإسلامية الرسمية الأخرى ـ تقوم بتدعيم السياسة الخارجية للدولة، والتي تهدف في جانب منها إلى الانفتاح على الغرب دينيًا ومحاولة إيجاد أرضية تفاهم مشتركة معه . . » (ص٧٨) .

وتأييد وزير الأوقاف لفتوى المفتي في فوائد البنوك كان ذا طابع سياسي : « ويكتسب تأييد وزير الأوقاف لفتوى المفتي ـ رغم تحريم شيخ الأزهر لها والعلاقة الطيبة معه ـ طابعًا سياسيًّا؛ لأنه يتمشى مع مصلحة الدولة، وبالطبع فإن وزير الأوقاف هو المنفذ الأمين لسياسة الدولة في هذا المضمار، وقد اتخذ الوزير نفس الموقف وبنفس الدوافع تجاه وثيقة الزواج » (ص ٦٩) .

وهدف ضم المساجد الأهلية إلى وزارة الأوقاف لم يكن رعايتها، وإنما كان الهدف « هدفًا سياسياً وليس دينياً، وبالتالي فقدت المساجد تأثيرها الروحي ولم تقم بتنفيذ سياسة الدولة في تطويق أفكار الجماعات المتشددة دينياً » . . (ص ٦٥) .



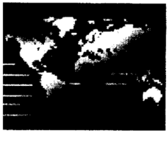
وهدف قوافل الدعوة لم يكن دعوة الناس إلى دين الله وسبيله، بل دعوتهم إلى نبذ ما أسموه (الفكر المتطرف) الذي يناقض توجهات الدولة « وفي إطار قوافل التوعية والتي تسمى في بعض الأحيان (قوافل التنوير) التي ترى وزارة الأوقاف أنها الوسيلة المثلى لمحاربة الفكر المتطرف وسحب البساط من تحت أقدام الجماعات المتشددة حرص وزير الأوقاف على المشاركة فيها ومعه شيخ الأزهر والمفتي في بعض الأحيان » (ص ٦٩)، و« بصفة عامة فإن تلك القوافل قد استحدثت لسد العجز في الدعاة خاصة في الأماكن النائية كما أسلفنا ولمجابهة الفكر المتشدد، ولكن تجربة القوافل أثبتت أنها لم تؤد الغرض الذي خصصت من أجله بصورة إيجابية نظراً لقصر المدة التي يقضيها (دعاة القوافل) في المساجد المختلفة، **وعزوف المصلين عن الاستماع لهؤلاء الدعاة نظراً للطابع الرسمي الذي يغلب عليهم** » (ص ٦٤) .

* ودوران هذه المؤسسات في الفلك السياسي العام كان هدفًا سعى إليه بدأب

من يملكون أزمَّة الأمور على مدار التاريخ بوسائل شتى، ومن هذه الوسائل:

ما بدأه محمد علي، «فقد قام علماء الأزهر بتولية محمد علي الذي فطن إلى قوتهم فعمل على تهميش دور الأزهر وأحدث شرخًا في استقلاليته، فتراجع نفوذ علمائه الاجتماعي في مقابل تقديم صفوة شبه علمانية في تفكيرها» (ص ٢٨)، «ولكن سرعان ما رجحت كفة الحاكم على العالم في عهد محمد علي الذي بطش بالعلماء وأراد لمصر نموذجًا غربيًا هو وأحفاده على حساب الأزهر» (ص ٤٥)، وكان من أخطر ما قام به «لما تولى محمد علي استولى على الأوقاف [التي كانت محبوسة على الأزهر جامعًا وجامعة، العامة والخاصة] وتعهد بالإنفاق على المساجد وجهات البر ووضع نظام جديد لملكية الأراضي» (ص ٦٠)، ثم كانت الحلقة الأخيرة في هذا المسلسل عندما «أضعف النظام الناصري من استقلال العلماء من خلال سياسته تجاه المؤسسات الإسلامية التي انطلقت في عدة محاور تمثلت في القضاء على الاستقلال المالي بإصدار قانون إلغاء الوقف الأهلي وتحويل جانب كبير من أراضي الأوقاف لوزارة الإصلاح الزراعي، فضلاً عن إلغاء المحاكم الشرعية، والقضاء على أي دور محتمل يمكن أن يؤديه الأزهر في شؤون المجتمع باستقلال عن الدولة، وذلك بإصدار قانون إعادة تنظيم الأزهر» (ص ٢٨ ـ ٢٩)، وهكذا «جعلت قوانين تنظيم الأوقاف في عهد الرئيس عبد الناصر الدعوة الإسلامية بلا سند مادي ترتكز عليه، الأمر الذي أثر بصورة مباشرة على استقلال علماء الدين ماديًا وفكريًا، وهو الأمر الذي كان له دوره البالغ في اتخاذ هؤلاء العلماء لمواقف الرفض والمعارضة من الدولة؛ لاطمئنان كل منهم أن هذه المعارضة وهذا النقد لن يؤثر على حياتهم المعيشية ولن تفقدهم بالتالي وظيفتهم» (ص ٦١)، «ولم يبق من الأوقاف الخيرية بعد ذلك إلا وقف المساجد، وقد وافق الأزهر على هذا الإعفاء بحجة سوء صرف ريع الأوقاف على السبل والكلاب، وأن الدولة أصبحت متكفلة بشؤون الدعوة والدعاة !! » (ص ٦٠).

وهكذا تم الإجهاز على العامل الرئيس لاستقلال الأزهر، ذلك العامل الذي كان تاريخيًا العمود الفقري لهذا الاستقلال، « ففي عهدي المماليك والعثمانيين ونتيجة لعدد من العوامل الداخلية أهمها الاستقلال المالي والعلمي ومكانة علماء الأزهر في المجتمع.. أضحى الأزهر مستقلاً في ممارسة دوره.. مما جعل الدين يحتل مكان الصدارة في المجتمع ويصبح معه علماء الأزهر صفوة المجتمع»، «وعملت الدولة



العثمانية أيضًا على التقرب إلى العلماء للحصول على تأييدهم، وأبقت على أوقافهم وأحباسهم التي كرست استقلالية الأزهر».(ص ٢٨).

كما كان من وسائل ضرب الاستقلالية لهذه المؤسسات أن اختيار رؤوسها أصبح بيد الدولة بعد أن كان بيد العلماء أنفسهم «فالأزهر لم تكن له قيادة معينة في بدء نشأته، فقد كان يتولى إدارته في البداية سلاطين مصر وأمراؤها كباقي المساجد، أما شؤونه الداخلية فيقوم بها مشايخ المذاهب الأربعة وشيوخ الأروقة، يعاونهم خطيب المسجد ومشرفون وخدم، حتى عين ناظر للأزهر للشؤون الإدارية، ثم شيخ للشؤون العلمية والإدارية معًا»، «فقد رأى السلطان العثماني سليمان القانوني ضرورة أن يكون للجامع الأزهر شيخ يتفرغ للإشراف على شؤونه الدينية والإدارية معًا ويكون حلقة الوصل بينه وبين العلماء»، ولكن الدولة العثمانية لم تعين «أي عالم عثماني في منصب شيخ الجامع الأزهر طوال حكمها، وتركت منصب شيخ الأزهر للعلماء المصريين.. بل تركت اختيار شيخ الأزهر مطلقًا من كل قيد مذهبي ومنوطًا بالمشايخ أنفسهم.. فقد كان مشايخ الأزهر يقومون باختيار شيخهم ويبلغون الوالي العثماني باسمه» (ص ٢٨).. ثم تغير الحال بعد انقلاب محمد علي على العلماء، إلى أن صدر القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٧م حيث «أصبح تعيين شيخ الأزهر مشتركًا بين الحكومة والملك!» (ص ٤٥)، ثم صدر القانون الناصري الشهير رقم ١٠٣ لسنة١٩٦١م وأعطى «لرئيس الجمهورية حق تعيين شيخ الأزهر.. كذلك أعطى القانون لرئيس الجمهورية الحق في اختيار وكيل للأزهر» (ص٤٩). وبعد إلغاء (جماعة كبار العلماء) أصبح تعيين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية «بقرار من رئيس الجمهورية باقتراح من شيخ الأزهر» (ص٥١)، وكذلك «تتابع تعيين المفتين باسم مفتي الديار المصرية بقرار من الحاكم، إلى أن قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م فصار المفتي الرسمي للدولة يعين بقرار من رئيس الجمهورية وتحت مسمى (مفتي جمهورية مصر العربية)،ويكون بدرجة وزير» (ص ٧٣)، وبدهي أن وزير الأوقاف يعين بصفته وزيراً في مجلس الوزراء.

وحتى الطرق الصوفية صدر في حقهم القانون رقم ١١٨ لعام ١٩٧٦م الذي «ينص على أن يضم المجلس الأعلى للطرق الصوفية ستة عشر عضواً، أولهم شيخ مشايخ الطرق الصوفية رئيساً، وهو يعين بقرار من رئيس الجمهورية من بين مشايخ الطرق..» (ص ٢٧٤).

وصدر مؤخراً قانون يعاقب من يرتقي منابر المساجد بدون تصريح رسمي

المسلمون



والعالم



ـ حتى ولو كان شيخاً أزهرياً ـ بما يعني تكميم أفواه من لا ترتضيهم الدولة ، وهو ما لا يطبق على وعاظ الكنيسة.

وهكذا أطبقت مؤسسات الدولة السياسية على مؤسساتها الدينية وأمسكت بخيوطها، حتى صارت الأخيرة أداة طيعة في يد الأولى توجهها كيف تشاء ـ أو هكذا أرادت ـ !

* وإذا كان هذا ما حدث في جانب المؤسسات الإسلامية فإن المؤسسة الكنسية القبطية استثنيت من عوامل التطويع السياسي القصري.

« فعلى حين عوملت أوقاف المسلمين هذه المعاملة استثنيت أوقاف غير المسلمين من أحكام هذين القانونين، حيث وضع لهما قانونان خاصان، هما القانون رقم ١ لسنة ١٩٦٠ م في شأن استبدال الأراضي الزراعية الموقوفة على جهات البر العام للأقباط الأرثوذكس، والقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧١م بشأن الأحكام الخاصة بتملك الأراضي الزراعية واستبدالها بالنسبة إلى الجمعيات الخيرية وطوائف غير المسلمين. .حيث ترك لكل كنيسة أوقافها في حدود مئتي فدان، وما زاد عن هذا كانت الدولة تأخذه وتدفع ثمنه بسعر (السوق السوداء) وهو ما أدى في السبعينيات لمناداة عدد من الأصوات بمساواة أوقاف المسلمين بأوقاف المسيحيين !!» (ص ٦١).

أما بالنسبة لاختيار رأس المؤسسة الكنسية ـ التي أصبحت تمثل لدى الأقباط سلطة دينية وشعبية ـ فقد أكدت الكنيسة على أنه « لا يستطيع أحد أن يتقدم للكهنوت إلا باختيار شعبي، ومن هنا يبرز مبدأ حق الشعب في اختيار راعيه» (ص ٨٨) .

كما أن اختيار البطريرك يتم من خلال نظام انتخابي دقيق منصوص عليه، ويكون دور رئيس الجمهورية هو تعيين البطريرك الجديد، أو بمعنى آخر: الموافقة على البطريرك المنتخب من قبل الأقباط وهيئتهم الكنسية (انظر ص ٨٢، ٨٣).

كما أن الكنيسة تتحرك قاعدياً من خلال مدارس الأحد (التربية الكنسية) إضافة إلى (مدارس المهجر القبطية) التي تُوَجِّه من خلالها ثقافة شعب الكنيسة وتوجهاته بدون تدخل من الدولة، ويكمل (المجلس الملي العام للأقباط الأرثوذكس) الجوانب الخدمية التي لا تتمتع فيها الكنيسة بالمرونة والحرية المطلوبتين ـ وإن كان حدث مؤخراً تقليص لدور هذا المجلس وتنافس بينه وبين الكنيسة كما وضح سابقاً ـ.

* ويتعلق بالنقطتين السابقتين (تبعية المؤسسات الإسلامية الرسمية للأنظمة المتعاقبة

المسلمون والعالم



واستقلال المؤسسة الكنسية) نتيجة على قدر من الأهمية، حيث أصبحت الكنيسة ممثلة لجمهورها وصاحبة تحرك شعبي مدعوم بالتفاف جماهيري قبطي لا يستهان به؛ مما أعطى الاثنين (الكنيسة، والجماهير) قوة تبادلية في مواجهة القوى الأخرى.

بينما جاء التحرك القاعدي الشعبي في الحالة الإسلامية محروماً من الريادة الطبيعية للعلماء له، حيث نفَّرت تبعية كثير من العلماء للنظام بعض شباب الصحوة الإسلامية من التعاون مع العلماء وألجأهم إلى الارتكاز على مصادرهم العلمية الخاصة، وتفاعلت هذه الحالة مع استخدام الدولة لبعض العلماء في ضرب الصحوة وإجهادها فكريًا، على أمل اتساع الفجوة بين العلماء والصحوة، وفصل الصحوة عن الجماهير ليسهل عزلها ثم استئصالها والقضاء عليها.. وقد أثر ذلك الأمر بالسلب على الجهتين: على العلماء الذين فقدوا حيوية الاتصال بالجماهير والتحرك القاعدي، فباتوا محصورين بين جدران قاعات الدرس ونشاطهم لا يتعدى دفات الكتب، والصحوة التي فقدت سنداً مهماً لها يتمثل في جيش من الدعاة المجهزين ومرجعية علمية موثوق بها، وغطاء قوي لمشروعيتهم التاريخية، هذا الغطاء الذي تحاول الدولة تمزيقه، من خلال اللعب بالموازنة بين إعطاء بعض المصداقية لعلماء المؤسسات الإسلامية الرسمية بالسماح ببعض المواقف الاستقلالية ليكون لهم قبول شعبي، وفي الوقت نفسه: استخدام هؤلاء العلماء لمحاربة الصحوة عبر تضخيم أخطاء المنتسبين إليها، ومن ثم تشكيل صورة مركبة لخطرهم على المجتمع كله، وأيضًا عبر استحضار إشكالية علاقة الصحوة بالعلماء؛ أمام بؤرة وعي العلماء ولذا: فإن من أكثر ما يزعج المناوئين للصحوة الإسلامية أن يكون ضمن المنضوين تحت لوائها : علماء خارجون من المؤسسة الرسمية.

* وخامس هذه الملحوظات تدور حول أعمال التنصير التي وردت بعض ملامحها في ثنايا التقرير:

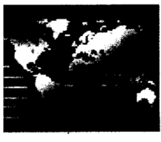
فنلاحظ أن الإرساليات الكاثوليكية حظيت بمساحة كبيرة من إفساح المجال لها وتشجيعها خلال فترة حكم أسرة محمد علي (انظر ص ١٠٦ - ١٠٧، ص ١٤٩ - ١٥٥) ربما بسبب العلاقة الخاصة مع إيطاليا آنذاك، ثم كان بعد ذلك تحالف الحكم الناصري مع الكنيسة الأرثوذكسية فيما أطلق عليه التقرير (التوافق الاستراتيجي) (ص ٩٣) ربما باعتبارها الكنيسة المصرية الوطنية، وفي كل مرحلة عملت كل كنيسة على الاستفادة القصوى من علاقتها بالدولة لتنفيذ أعمالها.

كما نلاحظ أيضًا اختفاء بعض الأنشطة ـ وبخاصة الكاثوليكية ـ خلف أسماء غير ملفتة للنظر وذلك في النشاطات الفكرية والتربوية مثل: (اللجنة المصرية للعدالة والسلام)، و (جمعية الصعيد للتربية والتنمية) التي كانت سابقًا (جمعية الصعيد للمدارس الكاثوليكية)، و(جمعية السنابل)، و(كشافة وادي النيل)، و(كشافة أبو الهول).. (انظر ص ١١٣، ١١٨).

ويهتم الكاثوليك (٢١٠ ألف نسمة) بإنشاء المستوصفات العلاجية والملاجئ بأنواعها والمدارس ذات المستوى الرفيع وإدارتها «ليقوموا بتثقيف وتربية النشء المصري»(ص ١٤٩)، و«تربية وتنشئة الفتاة المصرية» (ص ١٥٣) وهم يفتحون هذه المدارس لجميع الديانات والمذاهب، ويهتمون بصفة خاصة بأبناء الطبقة الراقية، وذلك من خلال حوالي ١٣٧ مدرسة، كثير منها يشمل مراحل التعليم الثلاث، وبعضها ذات إقامة داخلية، إضافة إلى ثلاثة معاهد، كما يقدمون خدمات رعاية المرضى والمسنين في المستشفيات والبيوت والملاجئ، ويركزون كثيراً من نشاطاتهم «**للتبشير** في القرى والأحياء الشعبية» (ص ١٤٩)، يقومون بذلك من خلال (١١٠٧) راهب وراهبة يخدمون في (٥١) رهبانية (انظر ١٤٩ ـ ١٥٥)، إضافة إلى عدد من الجمعيات الأهلية ذات الفروع المتعددة.

وفي الوقت الذي حظرت فيه الدولة نشاط (هيئة الإغاثة الإنسانية) المنبثقة عن نقابة الأطباء ومنعتها من ممارسة أي نشاط إغاثي بعد زلزال عام ١٩٩٢م، نظراً لما لاقته هذه الهيئة (ذات الشبهة الإسلامية) من نجاح وقبول شعبي، نجد أنه لا توجد قيود على الهيئات الأخرى (وبخاصة الكاثوليكية) في ممارسة هذا النشاط (انظر ص ١١٩)، فهي مطلقة اليد في القيام بأعمالها (الخيرية) ! ، ولعل ذلك هو ما دعا مجلة (الكرازة) الأرثوذكسية إلى الدعوة إلى «حق كل فرد مسيحي في اختيار الكنيسة التي يريدها **بشرط عدم استخدام بعض الكنائس لوسائل ترغيب أو ضغط** على الأفراد لضمهم إليها، مثل المال أو المساعدات المادية» (ص ٣٦٩).. (ولا ينبئك مثل خبير) !.

أما بالنسبة للأرثوذكس فيلاحظ ـ على غير ما يتخيله كثير من المسلمين ـ تحول أديرة رهبانهم إلى مجتمعات داخل المجتمعات «حيث حياة الشركة والتعاون والعمل بين الرهبان والنساك من جهة أو بين الأديرة كمؤسسات اجتماعية منتجة والشعب القبطي من جهة أخرى»، وفي هذه الأديرة «أمكن استخدام أساليب الهندسة الوراثية في تطوير



الإنتاج الزراعي مثلما فعل دير الأنبا مقاريوس بوادي النطرون، وأيضًا في مجال الإنتاج الحيواني من زراعة الأجنة وتحسين سلالات الأبقار.. وفي هذا الإطار أنشئت مراكز الصيانة والورش للسيارات والجرارات والآلات.. فضلاً عن أعمال البناء والتشييد والترميم وتعبيد الطرق مع الإنارة والكهرباء.. ومن ناحية أخرى نجد الأديرة تفتح أبوابها لاستقبال الشعب على مستوى الزيارات اليومية والرحلات أو إقامة الشباب بعض الأيام داخل أسوار الدير في خلوات روحية، وهذا الأمر يتطلب بناء أماكن للضيافة والمكتبات لشراء الكتب والهدايا، وأيضًا أماكن لبيع وتسويق المنتجات الغذائية والزراعية وغيرها» (ص ١٣٤، ١٣٥). وقد قام دير البراموس «باستصلاح ٥٠٠ فدان من الأراضي الصحراوية حوله، وتسويرها بسور ضخم بطول ٦ كم فضلاً عن عدد من البوابات الكبيرة.. وتم استصلاح ٥٠٠ فدان أخرى خارج سور الدير، وفي هذا الإطار استخدم الدير تكنولوجيا زراعية متقدمة، وكذلك نظامي الري بالرش والتنقيط.. وقام الدير بإنشاء مزرعة كبيرة ... لتربية الماشية والدواجن والأرانب على أحدث النظم والآلات والمعدات الخاصة بالإنتاج الحيواني مثل فرز اللبن وصناعة الجبن والمسلي.. ناهيك عن شبكة الاتصالات الداخلية (التليفونات)، وذلك للاتصال السريع! بين كل مكونات الدير من البوابة الرئيسية إلى سكن الرهبان إلى أماكن العمل» (ص ١٤٠) والسؤال الذي يفرض نفسه هو: لماذا توجد هذه التجمعات - المتصلة دومًا بالشعب - في أماكن مختارة من الصحراء ولا توجد داخل التجمعات العمرانية؟!

* وآخر هذا الملحوظات تتعلق بالشأن القبطي أيضًا: حيث لوحظ - من خلال ما أورده التقرير - تنامي الشعور الطائفي في مقابل ضمور الشعور الوطني.

يظهر ذلك في محاولة الأقباط التأثير السياسي بشتى الطرق، حتى ولو بفرض القوانين التي يعتبرها بعض الديمقراطيين تخلفًا عن الديمقراطية والوطنية «وقد ترتب على الجدل العام في الحياة السياسية والحزبية والإعلامية عودة اتجاه داخل النخبة القبطية للمطالبة بتعديل الدستور، لضمان تمثيل الأقباط في المجالس النيابية والتمثيلية، أو الرجوع لنظام الدوائر المغلقة على المرشحين الأقباط فقط، كما حدث في بدايات نظام يوليو ١٩٥٢م لمعالجة مشكلة تمثيل الأقباط، وطرح البعض اقتراحًا مفاده ضرورة إصدار تشريع للحقوق المدنية على النمط الأمريكي الذي استهدف دعم الزنوج في إطار الوظائف العامة.. إلخ..

ومن أبرز الظواهر التي كشفت عنها نتائج الانتخابات البرلمانية هو تبني بعض





القيادات الدينية القبطية لاتجاه الحل الدستوري للتمثيل النسبي للأقباط، وفي هذا الإطار رأى البابا شنودة بطريرك الأقباط الأرثوذكس (أن الدولة قادرة على **وضع النظم الديمقراطية التي ينجح بها الأقباط**، كما وضعت من قبل نظاماً ينجح من خلاله العمال والفلاحون!)، ويشكِّل اتجاه تمثيل الأقباط على أساس ديني ومذهبي عودة لفكرة رفضتها الحركة الوطنية والدستورية المصرية عند وضع دستور ١٩٢٣م، وكان على رأس الرافضين لها زعامات الأقباط في الحركة الوطنية المصرية» (ص ٣٢٦)، ولم يقتصر الأمر على البابا فقط، بل شاركه في هذه المطالبة تيار (الرؤى المعارضة) أيضاً، حيث طالب موريس صادق ـ أحد رافعي الطعون القضائية ـ «بغلق ٤٠ دائرة انتخابية من ٤٠٠ دائرة على مستوى الجمهورية يكون الترشيح فيها قاصراً على الأقباط» (ص ٣٢٩)، و«إصدار قانون للحقوق المدنية يسمح بشغل الأقباط للمراكز والوظائف العامة أشبه بقانون الحقوق المدنية الأمريكية وأشبه بتمثيل العمال والفلاحين في المجالس المحلية» (ص ٣٣٠)، كما طالب بعضهم بضرورة أن يكون المجلس الملي للأقباط الأرثوذكس «مجلساً شعبياً للأقباط تحت مسمى المجلس الشعبي القبطي» (ص ٣٢٩).

كما يظهر تنامي ذلك الشعور من خلال محاولة المجادلة عن مواقف أقباط المهجر المسيئة إلى مصر وتلمس الأعذار لهم بشتى الطرق، حتى أن التقرير يقول ـ وكأنه لسان حالهم ـ: «لا بد من توجيه الاهتمام إلى أقباط المهجر وتشكيل لجان (وطنية) تلتقي معهم، وتبحث أولاً شكاواهم من أجهزة الدولة المختلفة، وتغيير الأداء الروتيني للسفارات المصرية، بحيث تجعل من قضية التعامل مع المهاجرين المصريين هناك أولوية على أجندة اهتماماتها، وتغذيهم أولاً بأول بالمعلومات الحقيقية عن الأحداث والتطورات التي يشهدها الوطن، **ثم بعد ذلك تأتي قضية أقباط المهجر كرصيد لمصر** ولسياستها الخارجية» (ص ٢٢٢). فالتقرير بعد أن قدم ما أمكنه من أعذار لهؤلاء (انظر ص ٢١٨ ـ ٢٢١) يقايض ـ فيما يشبه الصفقة المحسومة ـ أولويات الانتماء بالمصالح، هذا الانتماء الذي أوصل بعضهم إلى الدعوة للانسلاخ من العروبة، وتحريض أمريكا على إرسال قوات المارينز إلى مصر [1].

وإذا كانت هذه المطالبة جاءت بالانفصال عن التحدث باسم جميع المصريين في الخارج، فإننا نرى ذلك أيضاً في التحرك الفعلي من خلال إنشاء مدارس ومراكز ثقافية في الخارج خاصة بأقباط المهجر وحدهم، وليس لكل مصريي المهجر.

(١) انظر مقال فهمي هويدي، جريدة الأهرام، ١٥/٧/١٩٩٧م، ع/٤٠٣٩٨.

في دائرة الضوء

الفكر بين الحظر والإباحة

بقلم: د. محمد يحيى

كلما ترتفع أصوات دعاة أو مفكري الإسلام في أقطارنا تطالب بمنع تداول كتاب أو آخر يطعن في الدين والعقيدة أو الشريعة الإسلامية ومنها بل وجُلُّها ما يتطاول على الذات الإلهية أو شخص الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته ـ رضي الله عنهم ـ ، ويزوِّر حقائق التاريخ والفقه الثابتة علت أصوات العلمانيين تتباكى على مجزرة الحرية ومذبحة الفكر التي يقيمها المسلمون، ونسمع المواعظ التي تذكر هؤلاء المسلمين المعتدين على حرية الفكر بأن عليهم اللجوء للحق والمنطق لا للمنع والمصادرة.

كذلك نسمع دعوات بعض المثقفين من أبناء الدعوة تناشد إخوانهم عدم المطالبة بمنع تداول الكتب المسيئة؛ لأن ذلك يثير ثائرة العلمانيين ويسوِّغ لأصحاب الأغراض المتربصين المزيد من الطعن في الإسلام بل واتخاذ القوانين الصارمة ضد العاملين له.

أصبح هذا الموقف متكررًا على امتداد الساحة العربية، بل وفي بلدان بعينها كمصر في السنوات الأخيرة حتى أضحى كالطقس الأبدي لا يفتر. والواقع أن (اللادينيين) الذين يرفعون العقيرة بالهجوم على الإسلاميين في مسألة المطالبة بمنع الكتب المسيئة للعقيدة هم أول من يلجأ لسلاح المنع والحظر والمصادرة، ومعها اللجوء للمحاكم وأعمال الاعتقالات بل والإعدام في مطاردتهم للكتب والفكر الذي يخالفهم مجرد مخالفة، أو الذي يرون أنه يسيء إلى أشخاصهم ورموزهم وليس إلى عقائدهم؛ لأنهم لا توجد لهم عقيدة واضحة.

ولسنا بحاجة إلى العودة إلى الستينيات مثلاً لنرى كيف دفع الكاتب الإسلامي المعروف حياته ثمناً لكتاب لم يُرق للحكام العلمانيين في ذلك الوقت. فقد يكفي أن نشير إلى أن وزير التعليم العلماني في البلد نفسه، والذي يرفع شعارات حرية الفكر والعقل والتنوير... إلخ يعلن في الوقت نفسه بل ويفاخر بأنه أصدر الأوامر بتطهير مكتبات المدارس من الملايين من نسخ الكتب الإسلامية بعد وصفها بأنها تشجع على التطرف رغم أنها كتابات في معظمها لعلماء أجلاء أو لكتاب لا يخرجون عن إطار الدين؛ وتزامن ذلك مع قيام سلطات الشرطة بمصادرة الآلاف من نسخ كتب إسلامية أخرى، كما تزامن مع إحراق هذه النسخ للتخلص منها ومحاسبة من يقتني كتباً دينية بالسجن أو الاعتقال بحجة منع التطرف حتى وإن أشار أصحابها أنها كتب مطروحة بالأسواق لعلماء وكتاب معروفين.

وسلاح المنع والمصادرة والحظر والتعتيم الذي يلجأ إليه العلمانيون وهم في مواقع السيطرة ليس فقط موجهاً ضد الإسلاميين وكتبهم؛ فقد استخدم هذا الإجراء، وما زال، كلما صدر كتاب ينتقد أي رمز من رموز العلمانيين ومذاهبهم؛ وكأنهم قد أصبحوا من المقدسات التي لا تمس!

ولا تسلم من الأذى الكتب التي تنتقد أي مذهب علماني يكون أصحابه من ذوي النفوذ وبالذات من المذاهب السياسية المعروفة كالقومية والاشتراكية أو النعرات العنصرية أوالتوجهات الاقتصادية، وآخرها آليات السوق والرأسمالية الجديدة ... إلخ.

والحجة المشار إليها على الدوام لتسويغ المنع والمصادرة للفكر المخالف لتوجه العلمانيين أو لتقديس رموزهم هي حجة المساس بهيبة الدولة والحكام، أو إشاعة البلبلة والاضطراب في الرأي العام، أو هدم المبادئ المقررة في الدساتير؛ وكأن الطعن في الذات الإلهية وشخص الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسائر منظومات العقيدة والشريعة والتاريخ الإسلامي لا تناهض الدساتير العربية (وكلها تقريباً ينص على أن الإسلام الدين الرسمي للبلاد)، ولا تبلبل الرأي العام، ولا تمس

هيبة الدول والشعوب التي يفترض أنها مسلمة بحكم التاريخ والواقع!

خلاصة القول: أن الحجر على الفكر ومطاردته منعًا للكتب ومصادرةً للتعبير وملاحقةً للكتابات حلال للعلمانيين في الوقت الذي يحرِّمونها على المسلمين مع الفارق الجوهري: فدعاة الإسلام قد يطالبون بمنع كتاب أو مقال يطعن في الذات الإلهية (ولا تستجيب بعض السلطات عادة لهم) أما العلمانيون فيقينًا أنهم حين يطالبون يجابون بسرعة إلى منع الفكر الذي قد يطعن أو ينتقد مجرد انتقاد شخصًا وفكرًا بشريًا وضعيًا زائلاً أضفوا هم عليه القداسة، حتى إن شعارهم الخالد هذه الأيام هو: (رفع القداسة)؛ ولكن عن الدين أي الإسلام وحده دون سائر الملل والنحل، ودعاة الإسلام قد يُطالِبون (ولا يُجابُون عادة) بمنع تداول كتاب يتخذ من التزوير الفاضح للحقائق سبيلاً إلى بث البلبلة بين الرأي العام حول الإسلام وثوابته؛ لكن العلمانيين يُطالِبون ويُجابُون إلى منع الفكر حتى وهو يتناول بالنقد والتفنيد في إطار أكاديمي محدود بعض جوانب مذاهبهم التي يقولون إنها نسبية بشرية متغيرة (وإن لم يعترفوا بذلك علناً أمام الجماهير).

ثم هناك الفارق الجوهري الأكبر: أن بعض دعاة الإسلام قد يلجأون إلى المطالبة بمنع تداول الكتب السيئة لا عجزًا عن مقارعة الرأي بالرأي والحجة بالحجة (هذا ولو كان لدى الجانب الآخر رأي وحجة فعلاً) بل لأنهم يواجَهون بواقع مشهود للجميع تتمتع فيه هذه الكتابات الطاعنة في الدين بترويج واسع في أوساط الجماهير والعامة (ممن لا يقدرون على تبصر التزوير واللف الدقيق وغير الدقيق للحقائق) من جانب الدوائر الفكرية والسياسية العلمانية التي يجب أن نعترف أنها مُنحَت السيطرة شبه التامة على منابر الإعلام والفكر والترويج الدعائي (بالإضافة إلى الثقافة والتعليم) في معظم البلدان الإسلامية.

وإذا كانت هذه الكتابات المسيئة على تهافتها وزيفها تفرض فرضًا على الجماهير بقوة هذه المنابر، وتوصف بأنها الحق الصراح فإن الردود الإسلامية

يُعتَّم عليها ولا تُنشر، بل تُهمل وتُحارب حتى ولو جاءت من جانب علماء أفذاذ يشغلون مناصب في المؤسسات الدينية الرسمية، وليس ببعيد عنا ذلك اليوم الذي اشتكى فيه شيخ الأزهر السابق من أنه يرسل إلى الصحف والإعلام ببيانات توضح آراء هذه الجامعة الإسلامية الكبرى في القضايا المطروحة وتنافح عن الإسلام، لكن هذه الآراء والبيانات لم تكن تنشر. ففي ظل واقع يروِّج فيه للباطل على أوسع نطاق، ويُفرض زيفًا على الجماهير بينما يُحجب صوت الحق بالرد الموضوعي في هذا الواقع يصبح الطلب بالمنع والحظر أقل خط دفاع ممكن. كما أن هذا الطلب له مسوغاته وسنده حتى قانونيًا في الذب عن هيبة وحقيقة العقيدة وهي مبثوثة في الدساتير كدين البلاد أو مصدر التشريع الرئيسي. فإذا كان العلمانيون يتخذون من حجة هيبة الدولة والدستور تكأة لتبرير منع ومصادرة الفكر؛ أفلا يكون لدعاة الإسلام نصيب من الحجة نفسها؟

وفي المقابل فإن العلمانيين يلجأون إلى المنع والمصادرة للفكر المخالف حتى ولو كان ضعيفًا ومحدود الانتشار؛ وحتى وهم يملكون من وسائل التأثير والفعالية في الترويج ما يسمح لهم بكبت هذا الفكر وتشويه صورته لدى الجمهور وإفقاده أي فاعلية، أو مما يسمح لهم على الأقل بأوسع فرص الرد والتفنيد لو كان لديهم ما يقولونه وهو مشكوك فيه. وهم يلجأون إلى المنع والمصادرة حتى وهم في موقع القوة وليس في موقع الدفاع اليائس؛ فوق أنهم لا يجدون في القانون والدستور مسوغًا لإضفاء الحصانة والقداسة على أشخاص زائلين ومذاهب فكرية نسبية زائلة.

إذن: فقضية منع ومصادرة الكتابات ليست بالبساطة التي يصورها بها البعض، وليست أحادية الطرف كما يدعي العلمانيون؛ بل هي موضوع متشابك نجد أن المتهم الحقيقي فيه هو التوجه اللاديني نفسه الذي ألقى بالتهمة باطلاً على التيار الفكري الإسلامي الذي هو في الحقيقة ضحية بريئة.

متابعات

حرية الفكر أم حرية الكفر

بقلم: عبد العزيز بن عبد الله الزهراني

إلى علماء المسلمين وحكامهم في كل مكان. إلى كل الفعاليات الثقافية الإسلامية. إلى كل مسلم غيور: أوجه هذا النداء، بعد أن قام كُتَّابٌ من بعض البلدان العربية والإسلامية بسب دين الإسلام ورسول الإسلام وصحابة الرسول الكرام؛ حيث فاقوا دعاة التنصير والمنظمات الصهيونية المعادية للإسلام: إلى كل أولئك أوجه هذا النداء عبر (مجلة البيان).

بدأت أكتب في خاطرة بعنوان: (أصنام تعبد في داخل الإنسان) وقرأت عن (كتاباتهم التي تهاجم الإسلام والرسول والصحابة)[1]. ومنهم المدعو «سيد القمني» في كتابه: (رب الزمان) الذي يتحدث فيه عن وجود آلهة سماوية وآلهة أرضية. ومنهم «خليل عبد الكريم» عضو أمانة حزب التجمع اليساري في كتابيه: (مجتمع يثرب) و(شدو الربابة في أحوال الصحابة) قالوا في كتبهم: نحن علماء مجتهدون ولا يحق لأحد أياً كان مراجعة فكرنا، وليس للدين ولا للمتدينين علينا وصاية. ويقول أحدهم: إن القرآن يعطي الحق المطلق في حرية العقيدة والفكر، ويتهمون الرسول ﷺ أنه ما كان يهدف من النبوة والرسالة إلا ليقيم دولة عربية قرشية هاشمية تحقيقاً لأمنية جده عبد المطلب إلى غير ذلك من الهراء.

مات فرعون وفكره ما زال يحيا:

وقال القمني: إننا اليوم قادرون على أن نفهم ديننا أفضل مما كان يفهمه الصحابة. وقال: **إنه لا يسمح بأن يسأله أحد عن عقيدته الدينية؛ لأن من**

(١) مجلة المجتمع، العدد ٢٦٧، ٤/٥/١٤١٨هـ.

يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى توكيل من الله؛ والإسلام لا يعرف التوكيلات، وأنا مواطن في دولة مدنية ولست فرداً في دولة الخلافة الإسلامية! والمشائخ لا يدعون إلى مصادرة كتبي بل إلى قتلي واغتيالي، ولكن أفكاري ستبقى مخلدة..!!!.هـ.

أقول: إن التاريخ لا يرحم ولا يحابي ولا يجامل أحداً على حساب أحد. فما يكتبه أصحاب الأفكار السليمة وحتى المنحرفة ستبقى مخلدة كما أبقى الله ـ جل شأنه ـ فكر الأنبياء والصالحين وأبقى دعاوي الفراعنة والملحدين. فذلك فرعون وكفره، وهامان وكبره، وأعداء الرسل وجبابرة الدنيا أخبرنا الله عنهم، فقال عن فرعون ووزرائه حين جاءهم بالبينات: ﴿**فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ [غافر: ٢٤]. وفي مقام الشورى من فرعون لملئه قال: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ [غافر: ٢٦] وفي آية أخرى تقرر كفر فرعون: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ [غافر: ٢٩]، ففي الآية الأولى يطلب من ملئه الموافقة على قتل موسى ـ عليه السلام ـ لخوفه أن يغير موسى عبادة فرعون بعبادة الله الواحد الديان، ويفسد ملك فرعون وألوهيته المزيفة؛ وهذا في عرف فرعون فساد، وفي شطر الآية الثانية يبدو فرعون واعظاً ومذكراً ومحدثاً وداعياً ومرشداً لقوله: ﴿**وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ ويقول في مقام آخر: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ [القصص: ٣٨]، فذلك كفر فرعون ذُكِرَ في القرآن الكريم مع قبيح فعله وتخليده في نار جهنم، وكذلك ما قاله وزيره قارون حينما زعم أن ما لديه من جاه ومال جاءه من تلقاء نفسه ومن علمه: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾ [القصص: ٧٨]، وأورد القرآن الكريم عن قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، فخلد ذكرهم بأسوأ صورة. هكذا يريدون تخليد ذكرهم بإعلان الكفر وسب الإسلام وشعائر الدين الحنيف، وكأنهم لم يجدوا طريقاً أسهل عندهم من الجهر بالإلحاد والتشنيع على محمد ﷺ ورسالته وأصحابه الغر الميامين.

ثم قال القمني: ـ فضَّ الله فاه ـ محذراً من مغبة تقديس الصحابة !!: «لا ينبغي أن نفرط أو نسرف في تقديس الصحابة؛

فهم رجال ونحن رجال، وهم يخطئون كما نخطئ، والإسراف في تقديسهم أحد أسباب الكارثة التي نعيش فيها حتى صرنا نضع أمامنا محرمات من صنع أنفسنا تمنعنا من حرية التفكير وقدَّسنا أشخاصًا غير مقدسين».

كما اتهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنه كان غير صالح للخلافة وغير سوي ليكون خليفة، وأنه مجتهد كما اجتهد عثمان.

والحقيقة أن المسلمين الصادقين يقدرون أصحاب رسول الله ﷺ كما أثنى الله عليهم، وكما قدرهم رسوله ﷺ؛ وحسبُهم أنهم خير القرون.

كفر صريح وردة مكشوفة:

ثم اتهموا الصحابة الكرام بأنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من عاداتهم الجاهلية! ـ سبحان الله ـ وأن الإسلام ومحمداً ﷺ أخفقا في التسامي بهم إلى مكارم الأخلاق؛ مما جعل محمداً يتبرأ منهم. وينكر «خليل عبد الكريم» ـ أعمى البصر والبصيرة ـ أن الإسلام دين إلهي قائلاً: الإسلام تجربة فجرها محمد، وأسهم الصحابة معه في تجسيدها لإقامة الدولة القرشية. ويقول: «سيد القمني»: إن جد الرسول «عبد المطلب» كان يسعى للزعامة؛ وهذا ما دفع أولاده إلى مساندة الإسلام ليحققوا من خلاله حلم الدولة، وفسر ذلك قائلاً: هذا واضح طبيعي لكي تبدو الرسالة النبوية طبيعية ومتوافقة مع ظروف الأوضاع العامة لمن نزلت فيهم.

الطعن في الصحابة:

ولا يتورع هؤلاء السفلة المارقون عن رمي سيف الله خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ بالزنا بامرأة خالد بن نويرة، وأن الخليفة الأول أبا بكر لم يُقِمْ عليه الحد الشرعي، إلى غير ذلك.

واتهموا الصحابة الأخيار بالتشوُّف إلى النساء في موسم الحج وغيره، وأن الرسول ﷺ ما نهى الصحابة عن دخولهم المدينة ليلاً بعذر حتى تمتشط الشعثاء، وتستعد المغيبة إلا خوفاً من أن يلقى الرجل زوجته في وضع يكرهه من الناحية الأخلاقية، وهذه الصيحات الجوفاء وتلك الأقلام المأجورة تحاول أن تلصق قذارتها ضد أطهر مجتمع عرفه التاريخ منذ فجر الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثم قال: وقيل إن بعض الصحابة خالف هذه الأوامر وطرق أهله ليلاً، ففوجئ بزوجته في أحضان رجل، وكان من المحتم اللازم أن يتوقع ذلك أليس هو ابن مجتمع يثرب وربيبه؟!!

ثم يبالغ في إساءته لرسول الله المعصوم ﷺ قائلاً: ومن الواضح أن محمداً ما نهى صحبه عن دخول بيوتهم ليلاً إلا ليجنبهم المرور بتجربة قاسية تحطم معنوياتهم وتمنعهم من الانخراط مرة أخرى في غزواته وبعوثه!! ويضيف المؤلف قائلاً: إن محمداً الحصيف كان يعرف أن الليل هو الوقت المفضل لتلاقي الأخدان، خاصة في ذلك الزمان؛ إذ لم تكن إنارة الشوارع والطرقات قد عرفت؛ الأمر الذي يمكن الدخول والخروج بأمان، لهذا نهى محمد أتباعه عن الدخول على الزوجات في ظلمة الليل حتى لا يفاجأوا بما لا يسر ويفزعهم ويدفعهم إلى الإحجام عن الخروج للجهاد. اهـ. باختصار.

أقول: فلتقر عيون المنظمات الماسونية ومنظمات التنصير والروافض بهذا الهراء الذي قدمه ويقدمه أبناء جلدتنا ومن يتكلمون بألسنتنا ويندسون في صفوفنا ويدمرون عقيدتنا! إنهم معاول هدم وأدوات تخريب استحوذ عليهم الشيطان وكشفوا عن وجوههم الكالحة في صفاقة ووقاحة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، وقد أُعلِنَتْ تلك المفتريات في بلد عربي إسلامي كان ولا زال ينتج العلماء والمصلحين، وقد أمنوا العقاب بدعواهم أنهم ليسوا في دولة الخلافة الإسلامية لاسيما في ظل القوانين المستوردة التي تحمي هؤلاء الزنادقة بدعوى أنهم أصحاب رأي وهم أدعياء وأذناب؛ فيا لله للإسلام، ويا لله للمسلمين.

أي حرية رأي يزعمون؟

ثم إن هذا الكذب الصريح على الإسلام ورسول الإسلام وصحابته الكرام بحجة حرية الرأي يدعونا إلى أن نسألهم: كيف لا تنحصر هذه الحرية إلا ضد القرآن وخاتم الأنبياء والمعتقدات الإسلامية؟ ولماذا تختفي حرية الرأي وتجبن عن ذكر مساوئ المخلوق غير المعصوم بذكره بما فيه من جور وظلم وتعسف؟ ولا يتورع أدعياء حرية الرأي عن الإساءة إلى أطهر خلق الله: الهادي البشير، بأكاذيب وافتراءات ملفقة باعثها النفاق والحقد والعمالة لأعداء الإسلام بعد أن قبض أصحابها الأجر من سادتهم؛ ولكونهم من العرب فقد صار تأثيرهم أشد من تأثير سادتهم وأساتذتهم ممن زعموا أن عزيراً ابن الله والمسيح ابن الله ـ تعالى الله وتقدس عما يقولون علواً كبيراً ـ.

ثم: على من يُوجَّه هذا الهجوم السافر؟ وعلى من تقذف هذه المفتريات المخرجة من الملة إلى الكفر الصريح؟ إنها

مفتريات وقحة على من عصمه الله وحفظه واصطفاه وجعله نبراس هداية، ووصفه الله مع صحابته الأخيار بقوله ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. وتستمر الحملة المسعورة تحركها عواصف الحقد الغربي لسب الدين ورسول رب العالمين في صلف مكشوف جبان؛ وقد أنزل الله في أمثالهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]. ثم قال بعد ذلك: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٢٩، ٣٠].

ثم يوجه بعد ذلك الخطاب للنبي ﷺ ولصحابته الكرام أنه سيمتحنهم بالمنافقين والمرتدين، بقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. نعم وكأن القرآن الكريم قد وقف لهم بالمرصاد ليفضح نواياهم ويكشف مخططاتهم ويحذر حزبه المتقين وأولياءه الصالحين من غدرهم وعمالتهم المستمرة لأعداء الملة الإسلامية في طول الزمان وعرضه.

توصيف عجيب لهؤلاء الأدعياء:

إنهم ليسوا: (عربًا، ولا عجمًا ولا روسًا ولا أمريكان)!!! إنهم مسخ غريب الأطوار، منحرف الفكر، بليت به هذه البلاد إثر ما صنعه الاستعمار بها وترك بذره في مشاعرها وأفكارها.. فهم كما جاء في الحديث: «من جلدتنا ويتكلمون بألستنا» بيد أنهم عدو لنا ولتاريخنا وحضارتنا، وعبء على كفاحنا ونهضتنا، وعون للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة، وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل، يجب أن يُمزَّق النقاب عن سريرتهم، وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع ولا ينطلي لهم زور.

إن هؤلاء الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة، وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسَّرها الاستعمار لهم ووقف بعيداً يترقب نتائجها المرة.

وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبد الله ﷺ.

لقد قرأنا ما يكتبون وسمعنا ما يقولون... ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غايتهم فهم ملحدون مجاهرون بالكفر. يقولون في صراحة: إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية فار بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى، واستطاع في فورته العارمة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري هو الزعيم الكبير محمد ـ ﷺ ـ ..!!

أي أن هذا الدين الجليل نبت من الأرض ولم ينزل من السماء!! وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح، وليس هداية مثالية فدائية جاءت من عند الله لتنقذ العرب من جاهلية مظلمة كانوا بها في مؤخرة البشر، إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم ثم انتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق(*).

الله أكبر ما أشبه الليلة بالبارحة! إن نهج الملاحدة واحد وإن تباعدت أوطانهم وتعاقبت أزمانهم قال ـ تعالى ـ: **﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾** [الذاريات: ٥٢، ٥٣]. ومما يؤسف له أن هذا الإلحاد يُنشر على نطاق واسع في بلد يحوي مَعْلَمًا حضاريًا إسلاميًا وتاريخيًا لا زال إلى يومنا هذا يناضل ويكافح افتراءات الملاحدة.

وهكذا يثير هذان الدعيان شبهاتهما بعد أن تشبعا بأباطيل الغزو الثقافي الغربي، وتشبعا بأفكاره إبان الاحتلال وبما تغذت به أفكارهم من مدرسة التغريب والشعوبية من خلال سماسرة المستشرقين الذين لا زالوا يرددون الشعارات نفسها في أن النبي محمد ﷺ ما أراد بدعوته إلى الإسلام إلا من أجل تحقيق أمنية جده عبد المطلب حيث كان يطمع في إقامة دولة هاشمية قرشية، وإنما اتخذ دعوى الرسالة والنبوة وسيلة ليحقق بها حلم جده، وليست وحيًا من عند الله ـ العلي العظيم ـ.

وبعد: فإن هذه نفثات قلم يحترق غيرةً على ما يذيعه أولئك المجرمون، ولعلها تجد مزيداً من النقد وكشف خفايا أولئك الزنادقة ومنطلقاتهم ليعرفهم الخاصة والعامة. وما ذلك على الله بعزيز.

(*) انظر كتاب مع الله (فصل لا مكان للإلحاد بيننا)، للشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ.

دربـ الهـواة !

ـشعر : مروان كُجُك ـــ

لَـمْ يَـبْـقَ إلاَّ أَنْ نَـقُــــــــو ل بِـأَنَّـهُـمْ أَهْلُ الـصَّـــــوَابِ
وَبِأَنَّ يَعْــرُبَ مُـعْـتَـــدٍ وَالْمُــ لْـلِمُـونَ بِلا كِـتَـــابِ
وَبِـأَنَّـهُـمْ أَهْـلُ الـتُّـــقَىٰ وَالْعَــدْلِ وَاللُّطْفِ الْمُـــذَابِ
وَبِـأَنَّـهُـمْ خُـلِـقُــــوا لِـنَـدْ فَـعَـهُـمْ إِلَىٰ عُلْيَـا الـ لَّـحَـابِ
نَـمْـضِي نُـبَـــارِكُ خَطْوَهُـمْ فِــي كُـــلِّ زَاوِيَـــةٍ وَبَـــابِ
وَنَـلُـوذُ بِـالْـبَـــــغْيِ الَّـذِي زَرَعُــوهُ فِي شَـتَّى الْـهِـضَـابِ
وَنَـشِـيـدُنَا : عَـاشَ الْيَـهُــو دُ عَـلَـى الأَبَـاطِـحِ والـرَّوَابِـي
فَـالأَرْضُ أَرْضُــهُـمُ وَنَـحْـ ـنُ زَوَائِـدٌ تَـحْـتَ الْحِـــ لَـــابِ

* * *

لَـمْ يَـبْـقَ إلاَّ أَنْ يَـصِـيـ ـرَ الأَمْــرُ لِلشَّـعْبِ الْمُـرَابِي
يُـلْقِي بِـنَـا فِي الـتِّـيـهِ لا يَـكْـشَىٰ مُـوَاقَـعَـةَ الْعَـذَابِ
يَلْـهُــو بِأَكْـيَـاسِ الرِّجَــا لِ يُـبِـيـدُهُمْ بَيْـدَ الذُّبَابِ
وَيَـ لُـوسُ أَقْـيَـالَ الـتَّـكَـا ذُلِ بِـالأَمَـــانِيِّ الْـكِـذَابِ
يَـمْـشِي بِـنَـا دَرْبَ الْـهَـوَا نِ، يَقُــودُنَا نَحْـوَ الْـكَـرَابِ
لا شَـيْءَ يَـرْدَعُـهُ سِــوَىٰ سَـيْـفٍ يَـمَـانِيٍّ الإِهَـابِ
يَفْـرِي فَـرَى الْمَـاضِينَ يَمْـ ـحَقُ كُلَّ مُـجْـتَـرِئٍ وَصَـابِي
وَيَـقُــودُ أُمَّـتَـنَا لِـنَصْـ ـرِ اللهِ مِـنْ بَـابٍ لِـبَـابِ

نص شعري



والناس في أوهامهم سجناء

لا شك أن العقيدة التي يحملها الإنسان في صدره ذات أثر كبير في سلوكه، بل نستطيع أن نقول: إن سلوك الإنسان العملي في حياته ومواقفه تجاه الأحداث التي تواجهه في رحلة الحياة ما هي إلا ترجمة حية لما يحمل بين حنايا قلبه من عقيدة، وما ينطوي عليه فؤاده من مبادئ وقيم، وقديمًا قالوا: إن الإناء ينضح بما فيه.

وهذه بدهية مسلَّمة لا يشذ عنها أحد؛ إلا المنافقون الذين يعانون من «انفصام» بين ما يحملون ويعتقدون من عقائد وما يسلكون في الحياة من مواقف، ولذلك فهم أتعس الناس في الدنيا وأشقى الناس في الآخرة.

والوهم ضرب من العقيدة بهذا الاعتبار؛ فإن الإنسان إذا توهم أمرًا في أي شأن من شؤون حياته دفعه ذلك (الوهم) لاتخاذ مواقف معينة وسلوك محدد يتفق نصًّا وروحًا مع ما يمليه عليه هذا الوهم؛ فقد صار الوهم بالنسبة له عقيدة يعتقدها ـ ولو لفترة مؤقتة ـ، وأظنك توافقني إذا قلت: إن خطر الوهم لا يكمن في أنه عقيدة، بل لأنه اعتقاد فاسد قد يجر صاحبه وحامله إلى المهالك في الدنيا قبل الآخرة؛ فكم ضيَّع الوهم من فرص سانحة! وكم بددت الأوهام من طاقات وشتتت من جهود، فأنت قد تخسر صديقًا وفيًا ـ يندر في هذا الزمن ـ لأنك توهمت فيه الخسة والخيانة ولم تحسن تفسير سلوكه. والآن أسمح لنفسي بالقول: «إن الوهم اعتقاد فاسد بسبب تصور خاطئ أو تقدير غير دقيق».

وإذا كان خطر الأوهام على عامة الناس كبيرًا فإن خطرها وضررها على أصحاب المبادئ والقيم وحملة الرسالات ورافعي لواء الحق والهدى والإصلاح، أقول: إن خطرها على هؤلاء أشد وأعظم؛ وما ذلك إلا لأن هؤلاء القوم هم الرواد الحقيقيون لأمتهم وبلادهم نحو الفلاح والرشاد، إنهم الشموع التي تحترق لتضيء للناس الطريق، وإلا فقل لي بربك: من الذي سيوقظ الأمة من غفلتها؟ ومن الذي سيساعدها على النهوض من كبوتها؟ ومن الذي سيحذرها من سهام مسمومة تُصَوَّب إليها من كل حدب وصوب وفي كل وقت وحين؟ ومن..؟ ومن ...؟ أسئلة كثيرة لن يجد أي منصف نفسه إلا قائلاً: إنهم هم بإذن الله ومشيئته وتوفيقه، وعند هذه النقطة أراني وإياك نستشعر حجم الخطر الذي سيقع لو تسلل الوهم إلى نفوس هؤلاء، إنه (خطر متعد) لن يقتصر ضرره عليهم بل سيتعداهم إلى الأمة كلها من ورائهم التي ستحرم من الخير والهدى الذي يحملونه وإليه يدعون، نعم ستحرم الأمة من الحياة الكريمة التي يدعو هؤلاء الأفاضل إليها تحت مظلة منهج الله وشرعه.

إن أثر هؤلاء في أقوامهم وشعوبهم لا يقل إطلاقًا عن أثر المطر الذي ينزل على الأرض الموات التي يأذن الله لها بالإنبات.

وفي ميزان النهوض بالأمم قد لا يؤثر كثيرًا أن يصاب ألف من الكسالى والنائمين بالشلل فيعتزلوا الحياة؛ في الوقت الذي يُعدُّ فيه من النكبات أن يتعطل ـ فقط ـ عامل جاد نشيط مفكر، ومن أخطر الأمور أن يكون هذا العطل والتعويق بسبب وَهْم مقيت قد يكون بمثابة القشة التي تقصم ظهر البعير.

لذا: فمن مقتضيات الحزم وشارات الفلاح أن نبادر لمعالجة أي خلل يعتري نفسية هذه الكوكبة من حُدَاة الطريق ودعاة الإيمان، وإلا فسنجد أنفسنا مضطرين إلى أن نردد مع شوقي: «والناس في أوهامهم سجناء» بل نزيد: «وفي مبادئهم أيضًا».

بقلم: طارق عبد الفتاح السيد

منتدى القراء

كيف يكون صومك نموذجيًا

بقلم: محمد نجيب لطفي

مما لاشك فيه أنك - أخي المسلم - تحب أن يكون صومك مقبولاً ونموذجيًا. وهناك نصائح نقولها للتذكرة ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

ومن هذه النصائح ما يلي:

١ - يجب أن يكون صومك لله إيمانًا واحتسابًا، وفي ذلك الغفران لذنوبك والتكفير لسيئاتك « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ».

٢ - يجب أن تصون جوارحك كلها عن المعاصي والآثام حتى يكون صومك كاملاً ولا يضيع ثوابه وجزاؤه.

٣ - يجب المحافظة على الصلوات الخمس في المسجد جماعة، وكذلك الإكثار من النوافل لما للنوافل من قيمة عظيمة في هذا الشهر المبارك.

٤ - يجب الإكثار من قراءة القرآن ومدارسته وحفظه وتدبره في هذا الشهر المبارك؛ لأن شهر القرآن هو ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٥ - يجب الإكثار من التصدق والعطاء والبذل في هذا الشهر المبارك؛ لأن الرسول الأعظم ﷺ كان أجود من الريح المرسلة في هذا الشهر المبارك.

٦ - يجب المحافظة على صلاة القيام؛ لأنها من شعائر هذا الشهر المبارك، ولما فيها من محافظة على سنة النبي ﷺ، ومن اجتماع المسلمين، ومن مدارسة القرآن الكريم.

٧ - يجب البعد عن اللهو ووسائله من أفلام هابطة، وأغان ساقطة، ومسلسلات تافهة، وكل صوارف وضيعة تافهة عن هذا الشهر الكريم وما فيه من صلاة وصيام وقراءة وقيام وكل جوانب الخير المباركة.

٨ - يجب الإسراع بالإفطار وعدم تأخيره التزامًا بسنة النبي ﷺ، وإشفاقًا على النفس من تواصل الجوع والعطش، وأن يكون إفطارك على الرطب أو التمر أو الماء، ثم الصلاة، ثم استكمال الإفطار؛ وكل ذلك من سنة النبي ﷺ.

٩ - يجب الالتزام بالسحور قدر الإمكان « تسحروا فإن

دعوة للعناية بالمرأة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: أبعثُ برسالتي هذه إلى مجلة البيان الإسلامية، وذلك من باب ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله ﷺ: « الدين النصيحة ». أحببت أن أسطر أحرفي ولأول مرة، لا ككاتبة لموضوعات أو حتى ناقدة، وإنما رغبة مني في طرح موضوعات أعتقد أنها مهمة جدًا، ولكنها لا تحظى باهتمام مناسب، ولعل البيان توليها المزيد من العناية، ومنها:

أولاً: تناول الجوانب المهمة في حياة الفتاة المسلمة من منظور شرعي وتربوي؛ فهناك مواضيع جادة وهادفة تخاطب الفتاة المسلمة تتناول جوانب حساسة من حياتها وظروفها الاجتماعية وهي تلك المواضيع التي تتحدث عن إشباع الفطرة بالحلال بالتحدث عن مشاعرها وعواطفها الجياشة: إلى أين؟ وإلى من تكون؟ وما ضابطها؟ مع الحديث عن العفة؛ لتكون لأهل العفة نوراً على نور ولأهل الشهوة نوراً يبدد الظلمات، لاسيما والفتاة هي أول من يقع فيها إلا من حفظ الله.

نحن بحاجة إلى هذا التذكير الذي ينبثق من منظور تربوي شرعي لا يكتفي بطرح كلمات جامدة يعرفها الجميع، بل يحمل على أن يتغلغل إلى حنايا النفس المؤمنة فيطرح عليها القضية، ويترك مجالاً لذلك الحوار النفسي الهادف حتى يتوصل إلى الحقيقة وتعرف النتيجة المؤدية إلى

في السحور بركة» ولأن السحور خاص بهذه الأمة المباركة، ويجب تأخيره وعدم تقديمه؛ لأن ذلك هو الموافق لسنة النبي ﷺ . ووجبة السحور وجبة مباركة تعين الصائم على صومه.

١٠ ـ يجب المحافظة على سنة الاعتكاف إنْ كان ذلك ميسراً؛ لأن الاعتكاف من سنن الصيام وسنن هذا الشهر المبارك؛ وهو من السنن المهجورة المتروكة. فحافظ عليها ـ أخي المسلم ـ إن كان ذلك في مقدورك للمحافظة على هذه الشعيرة الغالية العظيمة.

١١ ـ يجب البعد عن الشراهة في الإفطار والسحور؛ لأن ذلك بعيد عن مقاصد الإسلام، ولما يترتب على ذلك من أضرار شرعية وبدنية. ولما في ذلك من بعد عن مقاصد الصيام والإسلام.

١٣ ـ يجب التأسي في كل فعل وقول واعتقاد بالنبي ﷺ وصحابته الميامين الكرام ـ رضي الله عنهم ـ حتى يكون ذلك أدعى للقبول.

شكوى

شعر: زياد العبيدي

لله أشكو غـربتي وشـجوني
وألوذ لـوذ الخـائف المسكين
وأقول: ربي قد أتيتكَ ضارعاً
فامننْ عليّ بتوبة وسكونِ
هذي ذنوبي أثقلت لي كاهلاً
وجرائمي هدّتْ عليّ عريني
كيف الخلاص وليس عندي مأملٌ
إلا الرجاءُ وذاك ما يكفيني
وإذا البلايا صارعتني في الوغى
وأتتْ خطوبُ الدهر بالمحزون
ويئستُ من أيدي العباد فإنهم
لا يجلبون إليّ ما ينجيني
وذرفتُ دمعاً قد أقضّ مضاجعي
ودماً يحرّقُ مقلتي وجفوني
وهتفتُ: يا ربَّ العوالم رحمةً
تمحو ذنوبَ جوارحي وشجوني
يا غافر الذنب العظيمِ بفضله
ومفرجاً كرباتِ كل حزينِ
ارحم وسامح من أتاك بذلّه
لا أبتغي ما عشتُ إلا ذَيْنِ
وامننْ عليّ بتوبة أنجو بها
وأفوز فوزاً قد أتى ذا النون

العلاج، ولنا في رسول الله ﷺ خير مثال؛ وهو خير قدوة يعالج ويحاور ويثير؛ ألا تراه كيف يخاطب الوجدان قبل أن يخاطب العقل؟ فحينما دخل على رسول الله ﷺ فتى، وقال للرسول ﷺ: «ائذن لي بالزنا يا رسول الله! وإذا به يسمع صليل سيوف الصحابة التي تحركت ليؤدبوه بها، ولكن رسول الله ﷺ نهاهم عن ذلك، وقال للفتى: اقترب مني، ادنُ مني. ولما اقترب من رسول الله ﷺ هش في وجهه وبش وابتسم، وبعد أن هدأ روع الفتى قال له رسول الله ﷺ: أترضاه لأمك؟ فقال الفتى: لا. قال الرسول ﷺ: كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم. أترضاه لأختك؟ فقال: لا، فقال الرسول ﷺ كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم. أترضاه لعمتك؟ فقال الفتى: لا، قال الرسول ﷺ: كذلك الناس لا يرضونه لعماتهم. وبعد هذه المحاورة مسح رسول الله ﷺ على صدر الفتى، ودعا له. فيقول الفتى: ذهبتُ وما من شيء أبغض عندي من الزنا»، فهذا يا إخوتي مثال من أمثلة لا تعد عالج فيها رسول الله ﷺ بعضاً من تلك الأمور التي لا يستطيع الإنسان كبتها أو كتمانها وهو يسعى إلى إيجاد الحل في ذلك.

ومن الجوانب المهمة في حياة الفتاة المسلمة: (الأخوة في الله)، التي ـ أصبحت، وللأسف الشديد ـ تأخذ مساراً غير طبيعي، أو تفرعت إلى اتجاه آخر وخاصة داخل بعض المدارس والجامعات؛ هذا الاتجاه الذي خالف ما عرفناه عن رسول الله ﷺ وعن سلفنا الصالح. وقد أخذ هذا الاتجاه جوانب

في ظلال قصة حاطب

بقلم : نزيه أحمد

إن إحدى الأزمات التي تعاني منها الصحوة الشابة هي بعدها عن الدراسة التربوية العميقة لأحداث السيرة؛ وأعني بتلك الدراسة: أن تدرس أحداث السيرة، وتفهم فهماً صحيحاً من غير تأويل لأحداثها لهوى أو لمصلحة مصطنعة؛ ومن ثم محاولة تطبيقها وتربية النشء على منوالها. إن دراسة السيرة النبوية دراسة علمية مجردة سوف تجعلها حبيسة الكتب ولن تخرجها إلى واقع الحياة.

ومن القصص التي ينبغي لقادة الصحوة أن يتأملوها قصة حاطب بن أبي بلتعة ـ رضي الله عنه ـ حينما بعث كتاباً لقريش يخبرهم فيه بعزم النبي ﷺ مع هذا الموقف والقصة موجودة في (صحيح البخاري) (١).

بعض الظلال:

١ ـ الموازنة بين المصالح والمفاسد: «لتخرجن الكتاب أو لنجردك» هذا الموقف يدل على أنه ينبغي مراعاة الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على أمر ما؛ فهنا نجد أن مفسدة تجريد المرأة أخف من أن ينتشر خبر عزم النبي ﷺ على فتح مكة.

ومثل هذا المفهوم جدير أن يربى عليه أبناء الحركة الإسلامية حتى لا يقف الجمود حجر عثرة أمام كثير من الأعمال بحجة حرفية النص وعدم القدرة على استيعاب مفهوم الموازنة؛ ولا بد من إدراك أن هناك فرقاً بين الحكم وبين إنزاله على أرض الواقع؛ وهناك الكثير من الأحداث من سيرة الرسول ﷺ وسلف الأمة الدالة على مراعاة هذا المفهوم.

٢ ـ عدم التسرع في إصدار الأحكام: قال عمر للرسول: «إن حاطباً خان الله ورسوله والمؤمنين»؛ لكن الرسول ﷺ لم يسمع منه رغم مكانة عمر ـ رضي الله عنه ـ وسأل حاطباً ليتثبت منه ويعرف عذره.

٣ ـ المصارحة والوضوح: «ما حملك على ما صنعت؟» أخطأ حاطب ـ رضي الله عنه ـ بإرساله كتاباً إلى قريش، والرسول ﷺ لما علم بهذا صارحه وأراد أن يعرف ما هي دوافعه لذلك. ويستفاد منه أيضاً حسن الظن بالمسلم، والمصارحة بين القائد وأتباعه في جو من الصدق والوضوح.

٤ ـ الحكمة وعدم التعنيف: «لا تقولوا له إلا خيراً» هكذا يتعامل المربي مع من يربيهم بالرأفة والرحمة والألفة

(١) انظر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً، ج٧.

سلبية عديدة نتيجة المفهوم الخاطئ للأخوة في الله أو الحب والبغض في الله. وأنا معكم في أن الطابع العام لمجلة البيان هو الجدية، ولكن: هل تدعونا هذه الجدية إلى رفض مثل هذه الأمور التي يكاد يكون إغفالها أو حتى إهمالها أن ينشأ عنه أمور تعتبر عواقبها وخيمة وتكاد تكون نتائجها السلبية ضارة على الفرد والمجتمع؟

ثانياً: تناول الموضوعات التي تتحدث عن الطفل وتربيته التربية الإسلامية الجادة، وكذلك المواضيع التي تجيب عن كثير من تساؤلات يحار فيها الكثير وخاصة أسئلة الطفل؛ فكثيراً ما تسأل الأم أو الأخت أو أي أحد من أفراد الأسرة المسلمة: كيف أجيب عن تساؤلات الطفل عن الله (جل جلاله)؟ فمثلاً نقول له: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؛ كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» وغيره من الأحاديث؛ فكثيراً ما يكون سؤال الطفل: كيف يكون نزوله؟ أو كيف هي صفته؟ وأين هو؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تمس العقيدة ونقف أمامها حائرين، إلى غير ذلك من الأمور التي تهتم بتربية الطفل تربية جادة.

هذا وأتمنى أن تعتنوا بذلك ضمن اهتماماتكم وجهودكم المشكورة. هذا ونسأل الله لنا ولكم السداد والتوفيق.

بقلم : فاتن الصويلح

وقبول أعذارهم، ومعرفة ما دفعهم لارتكاب الخطأ... وهذا يساعد على إشاعة جو الثقة والصراحة بين القائد وأتباعه.

٥ ـ **الاستماع إلى الرأي المخالف**: لم يقتنع عمر ـ رضي الله عنه ـ وراجع الرسول ﷺ مراراً: «إنه خان الله ورسوله والمؤمنين» والرسول كان يكرر: «صدق؛ لا تقولوا له إلا خيراً» ولم يعنف عمر؛ لأنه خالفه مع أنه رسول مؤيد بالوحي.

ومن المؤسف أنه في بعض التجمعات إذا أراد مصلح أن يزيل القذى لتُرى الحقيقة اتهم بأنه عضو فاسد مريض يجب اقتلاعه، وأصبحنا نتوارث الأخطاء وننشئ أجيالاً تربت على الخنوع، تفكر بعقل غيرها (١).

٦ ـ **محاولة إقناع الطرف الآخر بأساليب عدة**: حاول الرسول ﷺ إقناع عمر ـ رضي الله عنه ـ منوعًا في الأسلوب فمرة قال له: «صدق؛ لا تقولوا له إلا خيراً» ومرة أخرى: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد وجبت لكم الجنة ـ أو ـ فقد غفرت لكم».

٧ ـ **شفافية نفوس الصحابة ورجوعهم إلى الحق**: «فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم».

(١) الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية لأحمد الصويان، ص ٢٩، طبعة دار الوطن. بتصرف.

مهلاً .. تذَكَّرْ

ونَعُدُّهَا وتُعَدُّ من أَعْمَارِنَا
وَنَوَدُّ لَوْ تَتَعَجَّل الأَحْكَامُ
متجاهلين بأنَّها محدودةٌ
في جُعْبَةٍ منْ دهرنا الأيامُ
نسعى إلى غَدِنا وهل يأتي غدٌ؟
حُلُمٌ زَهَتْ بطيُوفه الأوهامُ
ولِمَ التَّلَهُّفُ للغداةِ ولَمْ تكنْ
للإمتحانِ مُعَدَّةً أقلامُ؟

شعر: غازي عبد العزيز حاجي

غابــــة

عمار البذيخي

وأنا هنا وحدي يرافقني الألمْ
في غابةٍ... لا تل فيها لا قممْ
أرجاؤها وحل .. وأما أهلها:
إما ثعالب أو ذئاب أو غنمْ
أبصرت من حولي ... صرخت لعلني
ألقى جوابًا من وجودٍ أو عدمْ
وأنا هنا وحدي... أنين جاءني
فهرعت لكن... غاص في الوحل القدمْ
فوجدت مشلولاً.. صرخت بقوةٍ
تبًا لمن خانوا الأمانة والذمم
حاولت تطبيبًا .. عجزت .. سألته:
هل هذه الغابات من عهد القدم؟
فأجابني والحزن في نبراته:
كم من رياض ها هنا كانت.. وكمْ
فسألته .. ما الاسم؟ قال مجاوبًا:
اسمي أنا الأخلاق... واللقب: القيمْ

بريد البيان

■ **الأخ / عبد العزيز القحطاني ـ السعودية**

نشكر لك اهتمامك وحرصك على الخير. وللتعرف على أنشطة المنتدى، فإننا نحيلك إلى التقرير السنوي المنشور في العدد ١٢٠ من المجلة.

• • •

■ **الأخ / محمد عكوش ـ لندن**

جزاك الله خيراً على متابعتك. أما عن الخطأ الذي ذكرته فقد تم إبلاغ الكاتب به وهو يدعو لك بالخير، وسيتأكد من صواب التصحيح.

• • •

■ **الأخ / فيصل الحجي ـ السعودية**

جزيت خيراً على مساهمتك الشعرية التي ترسلها للمجلة، ولكن للأسف لا نجد وسيلة للاتصال بك لا هاتفيًا ولا بريديًا لإبلاغكم بأنه من غير المناسب أن ترسل المشاركة الواحدة لأكثر من مجلة في الوقت نفسه، فنأمل الانتباه لذلك. جزاك الله خيراً.

• • •

■ **الإخوة والأخوات / عبد الوهاب الغفري ـ المغرب. محمد الحسن بانم ـ موريتانيا. أم حذيفة، أ.م، عبد العزيز الشبتي، فهد ناصر الجديد، صالح عبد الكريم العبودي، سليمان الحجي، صالح أبو عراد ـ السعودية. وسيد زهيري، محمد عبد العظيم، محمد قاسم السباعي، محمد الحسيني السحرتي، رابعة عبد القادر مصطفى ـ مصر.**

نشكر لكم مشاركاتكم، جعلها الله في ميزان حسناتكم، وزادكم الله حرصًا على الخير، ونتمنى لكم التوفيق في مرات قادمة، وإلى مزيد من التواصل مع المجلة.

• • •

■ **الإخوة والأخوات / مازن محفوظ قاضي، فاتن سعد الصويلح، أنور الزهراني، خالد القحطاني، طارق العمودي، حمد الحمد، عبد الله سعد الغانم ـ السعودية. وعبد الوهاب مرعي ـ مصر.**

سعدنا بتواصلكم مع مجلتكم التي يسعدها ما يأتيها من القراء الكرام، ومشاركاتكم مجازة لمنتدى القراء، وفقنا الله وإياكم لكل خير.

• • •

■ **الإخوة / إبراهيم سعد داود، مشبب القحطاني، خالد القحطاني، محمد عبد الرحمن الزامل ـ السعودية. جلال راغون، عبد السلام الأحمر ـ المغرب**

وصلتنا مشاركاتكم الطيبة والتي فرحنا بها، وهي مجازة، ونتمنى دوام التواصل مع (البيان) وجزاكم الله خيراً.

• • •

تنبيه هام

الإخوة القراء:

عند إرسال مشاركات ومراسلات للمجلة يرجى الانتباه للآتي:

- **أن تكون المشاركة بخط واضح وعلى وجه واحد من الورقة.**
- **أن يرفق بها وسيلة اتصال: هاتف، فاكس، عنوان بريدي، وذلك لتسهيل التواصل معكم... وجزاكم الله خيراً.**

الورقة الأخيرة

ليلة (رقص) السنة

بقلم : سلوان حسن

في ليلة (رقص السنة) الميلادية، ووسط جنون الموسيقى هادئةً وصاخبةً، وعلى دقات الكعب العالي والحافي المحلي منه.. والمستورد، تمتلئ الصالات والبارات والخمارات والمواخير بأولئك النفر من الناس، من متخمي الجيوب والبطون.. خواة العقول والقلوب.

نقول ذلك لا حقداً ولا حسداً، بل غيرةً وشفقة على دين الله أولاً.. ثم على أولئك الصنف من الناس، عسى أن يهديهم الله سواء السبيل.

أخبار وأرقام فلكية عن أموال تهدر على أقدام الراقصات؛ ولا نعجب حين يكون أجر الفنان الأول ٧٠,٠٠٠ دولار!! في هذه الليلة، أما الفنان (الأدنى) فنصيبه فتات الموائد، التي لا تقل عن: ٣٥,٠٠٠ دولار في ليلته تلك!!.

أما الأبدان العارية، فحسابها لا شك مختلف، إذ إنه في الغالب.. حساباان: علني: في سوق النخاسة، وسري: في سوق الدناسة.

أيها الكرام: هناك دولة حدثها الفريد الذي يجب أن تلغي جميع مواعيدك لأجله: زيارة مغنٍّ داعر لأراضيها!!، وثانية: حرام الخمر فيها على أهلها، حلال على (سائحيها) لأجل الشهر « الفضيل ».

ومن المهازل أن وزيراً عربيًا سابقًا وهو عضو هيئة تدريس أسبق دائمًا ما يهاجم في كتاباته (المتدينين) لإنكارهم ومقتهم لحفلات الرقص، وهز البطون ونشر المجون .

ونتساءل بلسان عربي فصيح : ماذا عن جياع المسلمين .. أعراض المسلمين .. آلام وهموم المسلمين ..؟، أليست حريّة أن توجه لهم تلك الأموال؟ قد يفخر أحدهم أو (يفجر) بأنه أنفق الآلاف في (ليلة حمراء) !! أمَّا إذا ما طُولِبَ بزكاة أو صدقة ﴿ **ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [النحل : ٥٨] .

كفالة يتيم .. إفطار صائم .. حفر بئر .. صدقة جارية : شعارات تطلقها الجمعيات الخيرية الإسلامية، وقد أَجزِم بأن ما يجمع لهذه الغايات النبيلة في بعض البلدان في سنة لا يساوي ما جمعه ذاك المغني الداعر في ليلة (رقص السنة) .

فلا تعجب حين يتمنى أحد فقراء المسلمين الجهلة على الله ويدعو : ﴿ **يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ** ﴾ .

وحسبنا الله ونعم الوكيل



مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

مفتاح البيان

تعتبر فهرسة الكتب والدوريات فن قائم بذاته في علم المكتبات والتوثيق. وفي خضم الكم الهائل الذي تخرجه المطابع من كافة المطبوعات تبقى الحاجة إلى الفهارس ملحة وضرورية.

وبما أن تقريب تلك العلوم والموسوعات مطلب مهم فقد قامت كثير من دور النشر والمؤسسات العلمية باهتمام خاص بتقريب تلك الكنوز للقارئ بفهرستها بأساليب شتى وبمداخل مختلفة؛ مما أسهم في تقريب تلك الكتب والدوريات للقارئ العادي والباحث المتخصص؛ ومن هذا المنطلق وحرصًا منا على تقريب ما نشرته (البيان) من مختلف العلوم والآداب والفنون جاءت فكرة فهرسة المجلة. فهي بعد عمر نيِّف على سنوات عشر أضحت زاخرة بمقالات كثير من العلماء والدعاة والمفكرين؛ حيث كوَّنت رصيداً علميًّا وثقافيًّا كبيراً، ولكن يصعب على القارئ والباحث الاستفادة منه دون فهرسة تسهل النفاذ إلى فوائده.. فما كان من المجلة إلا أن فكَّرت في صناعة (المفتاح)!..

وبعد جهود استمرت شهوراً عديدة خرج فهرس البيان بعنوان (الفهرس الموضوعي لمجلة البيان ١ ـ ١٢٠) وقد جاء فهرسًا موضوعيًّا شاملاً بلغت عدد صفحاته أكثر من ٤٠٠ صفحة، احتوت أكثر من ١٤٠ زاوية تصنيف اشتملت على أكثر من ٣٨٠٠ إدخال لأكثر من ٢٤٠٠ مادة، كتبها أكثر من ٦٠٠ كاتب، على صفحات ١٢٠ عدداً، خلال أكثر من ١١ عامًا.

فإلى منهومي العلم والمعرفة ومتذوقي الشعر والأدب.. إلى المتطلعين للتنقيب في محتويات هذه المجلة نقدم هذا العمل.. وها هي البيان وفَّت بوعدها وأخرجت لكم (**مفتاحها**).

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة:
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ -
٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٤٠ ريالاً ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ دينار ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

عود على بدء

العلم قبل القول والعمل

الحمد لله بصفاته وأسمائه، والشكر له على نعمائه، والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه، وبعد:

فلقد اصطفى الله ـ تبارك وتعالى ـ رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وتولاهم بحسن النشأة، وتعهدهم بتمام الرعاية، ونبأهم بما يحتاج إليه العباد من العلم؛ فكان للعلم في دين الله شأن ينبئك عنه أول القرآن نزولاً على نبينا ﷺ حين خاطبه ـ تبارك وتعالى ـ بقوله: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ [العلق: ١]، وبقي شعاره التمثل لهذا الأمر مع طلب الزيادة منه: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤]، فأعلن منهجه أبلجَ يضاهي وضوحه ضياء الشمس: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي . . .** ﴾ [يوسف: ١٠٨].

من هنا كانت سنة الدعاة ـ المقتدين بالرسل في الوظيفة ـ تري طريقتهم في التكوين والنشأة.. فصارت الركيزة الأولى في تكوين الداعية: العلم، فهو الذي يهتدي به العمل، ويُحفظ به الدين.



قوام الدين: علم يهدي، وسيف ينصر ﴿ **وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** ﴾ [الفرقان: ٣١]

افتتاحية العدد

وكما حرس الله بيضة الإسلام بالمجاهدين في سبيله، فقد حفظ شريعة الإيمان بالعلماء والمتعلمين. والجهاد لا يتم على وجهه الحق إلا بالعلم المؤهل المؤصل المفصل بالقرآن الكريم والسنة النبوية. فالعلم ضرورة فوق ضرورة المآكل والمشرب

والملبس والدواء؛ إذ به قوام الدين والدنيا، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ولا غرو فإن الدعوة إلى الله إذا كانت «أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، ولا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي»[1].

ولقد كان من أعظم أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر: الجهل، وقلة العلماء العاملين، وسوء الخطط في مراحل الدراسة المختلفة في البلاد الإسلامية، وضعف الهمم والعزائم في الجد والبحث والتحصيل، والتخصصات الجزئية التي أضعفت العلوم الشرعية، والانهزام النفسي أمام بعض العلوم المادية، والنظر إلى التخصصات الشرعية نظرة دونية.

هذه الأسباب وغيرها جزء من واقع الأمة ـ في الجانب العلمي ـ قبيل إرهاصات الصحوة المباركة حين أدرك ثلة من أبنائها حاجتها إلى بعث وتجديد، فشمروا حتى أثمر جهدهم وبارك الله في ثماره على العموم.

ولا شك أن بُعْد الهوَّة بين الأمة وماضيها أذهل دعاتها الغيورين عن كثير من مصالحهم، وأفقد بعضهم شيئًا من التوازن سواء في تربيتهم لأنفسهم، أو في برامجهم التربوية المطروحة التي يسعون لتحقيقها؛ فلربما كانت الحركة الدؤوب على حساب بعض العلم.

فإذا وضع هذا في الحسبان عرفنا ما يجب على الصحوة تجاه العلم، وأنه لا بد من منح الهدف العلمي أولوية تليق به، بل يجب أن تصاغ الأهداف الأخرى على ضوئه؛ لأن التعليم والتربية صنوان لا ينفكان: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢].

إن الصحوة اليوم يجب أن تصيغ خططها ومناهجها في كل الجوانب

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٥٤.

الدعوية والتربوية والفكرية صياغة كاملة شاملة على أساس علمي متين؛ لأن التغيير الذي ترمي إليه عبء ثقيل وأمانة عظمى لا تتأتى إلا ببناء العقول وإصلاح الفكر؛ وهو أمر غاية في الخطورة والصعوبة، لا يحصل بالأحلام والأمنيات، ولا بالعواطف والانفعالات، ولا بالارتجال والاحتمالات.

إن قاعدة هذا التغيير والبناء والإصلاح متينة، ترسم أهدافًا عنوانها: الشرعية والوضوح والمرونة والملاءمة، وتنهج طريقًا واضحة علائمه، بيّنة منائره.. إنه منهج تعظيم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمها بفهم سلف الأمة ـ الذين اختارهم الله لإقامة دينه وحمل رسالته ـ، ثم التسليم والانقياد لها خلْواً من المعارضات المرفوضة التي تتكئ إلى القياسات العقلية الفاسدة، والأذواق الرديئة، والمنامات الفارغة.. التي ما ناب الأمة منها إلا التفرق والشقاق والتيه والتأخر.

بهذا المنهج السلفي يجب أن تدرس وتفهم أصول الدين ومهماته من مسائل الاعتقاد والسلوك، ثم فروعه وأحكام الحلال والحرام، وبه تُدرك سبيل المجرمين، ويُفهم الواقع، وتُصنع الحياة.

ويوم أن نهجت الأمة ذلك النهج سطع نجمها، وعلا ذكرها، وامتد سلطانها، وبقي ذكرها، ونالت المجد والسؤدد... يومها وأدت نوابت السوء في مهدها، وكان السيف ينصر يوم أن كان العلم يهدي.

واليوم: لن تستطيع الصحوة أن تحقق عبوديتها لله ـ تعالى ـ واتباعها للنبي ﷺ، وأن تبرهن على شرعيتها وصحة انتمائها لحزب الله المفلحين، وأن تضبط مواقفها بين الغلو والجفاء، وتتجنب كثيراً من مواقع الزلل، وأن تثبت في عواصف الفتن العمياء. وأن تكشف عوار الدعوات المنحرفة، والمناهج المضللة، والمذاهب الهدامة، والسبل الملتوية، وأن تحفظ الشباب من الانحراف، وأن توفر له المرجعية العلمية ـ فإنما يقبض العلم بقبض العلماء ـ وأن تهيئ قدراً من

افتتاحية العدد

الحماية الذاتية للأمة، وأن تفتيها في النوازل المتوالية ... وأن تنال ثقتها ...

ولن تستطيع ذلك كله ولن تبلغه إلا بذلك السبيل: منهج تعظيم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمها بفهم سلف الأمة ثم العمل بمقتضاها.

إن الأمر يستدعي من دعاة الأمة استنفار جهودهم، واستنفاد وسعهم في:

ـ إعطاء الأنشطة العلمية أولوية مناسبة تليق بمكانة العلم في الشرع.

ـ بيان القدر الواجب من العلم ـ على كل فرد بحسبه ـ ومعرفته.

ـ تحريك الطاقات العلمية الكامنة ـ كما حركت كثيراً من الطاقات الدعوية فأفادت وأثمرت ـ لتخفف العبء عن النابهين.

ـ العناية بالنابهين، وتفريغ من يصلح منهم لينفع بحصاد قلمه.

ـ رعاية جوانب التخصص لدى شباب الصحوة، رعاية تخرج من التشتت، ولا تعني الانغلاق.

ـ العناية بأفراد من أبناء الصحوة برزوا في العلم ولم تستوعبهم الصحوة فيما مضى.

ـ السعي إلى إنشاء مراكز أبحاث علمية ودعوية تنظر في نوازل الأمة الفقهية والدعوية وتؤصل الحلول الشرعية لها.

يجب أن ندرك أن العناية بالتأصيل غدت ضرورة فوق كل ضرورة، وإلا فإنه لا مكان اليوم للضعفاء.

ومن الله العون، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



دراسات شرعية

أضواء شرعية على ..
العلاج بالرقى والقرآن

(١ من ٢)

بقلم : فتحي الجندي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه، وبعد :

فإن موضوع التداوي بالرقىٰ والقرآن ـ وما يتبع ذلك من حديث عن مس الجن والعين والسحر ـ جدّ خطير؛ لتعلق ذلك بالعقيدة والأخلاق وببعض المشكلات والظواهر الاجتماعية المعقدة التي طفت على السطح في الفترة الأخيرة نتيجةً لتراكم بعض الممارسات منذ عدة سنوات.

ومنشأ الخطورة في هذه القضية هو ما حصل في هذه الأزمنة من توسّع وإفراط في مسألة الرقى؛ حيث أُدخل فيها ما ليس منها : من البدع المحدثة، والممارسات المخترعة التي لا أصل لها في كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ، ولا هدي الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ ولكنها إلى الشعوذة أقرب وبها ألصق، مما أسهم في انتشار الأوهام والوساوس والخوف والهلع، وتغلل ذلك في قلوب الكثيرين من المتعاطين لهذه الأمور. فقد كثر الكلام بلا علم، وكثر التطبب من غير معرفة وفهم لأصول الطب والعلاج، وأصبحنا نرى من يعالج بالرقية ـ والرقيةُ شرعيةٌ ـ والمعالج المزعوم من أبعد الناس عن العلم الشرعي وأهله، وقد شاع الأمر وانتشر، وسيطر الوهم على كثير من النفوس، وضعف التوكل على الله ـ تعالى ـ وتعلّق الناس بالمخلوق الضعيف، بدلاً من تَعلّقهم بالخالق القوي اللطيف!

يضاف إلى ما سبق توسُّع بعضهم وانتهازهم الفرصة لجلب الأموال من هذا الطريق، وقد تحول الأمر من كونه جُعْلاً تُسدّ به الحاجة؛ إلى مصدر واسع ومفتوح للترف والسرف والجشع والابتزاز، ثم تأتي ثالثة الأثافي في هذا الأمر ـ والفتنة تجرّ

أخواتها ـ ألا وهي فتنة النساء! وما أدراك ما فتنة النساء؟! تلك الفتنة التي حذرنا منها رسول الله ﷺ، ولم يَخفَ علينا فتنة أشدّ منها، فقد ظهر في هذه الأيام من بعض القراء ـ ولا نقول كل القراء ـ من يتساهل ويترخص في معالجة النساء، من نظر إلى المرأة إلى الكشف عن أجزاء من جسدها، بل وربما مسّها.. إلخ، وقد سمعنا عن الكثير من المنكرات في هذا الباب.

من أجل ذلك كله جاءت هذه الدراسة قياماً بواجب النصيحة والتحذير من مغبّة هذا الأمر وما يجرّه من فتن ومفاسد وانحرافات تتعلق بالعقيدة والأخلاق والاجتماع. ولا شك في أن أمر العلاج هذا أضحى يحتاج إلى علاج؛ وهذا ما نرجو أن تساهم هذه الدراسة في جزء من المهمة، بإذن الله ـ تعالى ـ.

أولاً: التحذير من الوقوع في الوساس والأوهام وضعف التوكل:

بادئ ذي بدء نقول: إن الوساوس والأوهام أعراض لمرض خطير من ورائه أمراض: من اختلال التوحيد، وضعف التوكل، وافتقاد العلم النافع، فتختل لذلك الموازين، وبذلك يصبح القلب مرتعاً خصباً للوساوس والأوهام والترهات، وإلا فالقلب الممتلئ ـ أيًا كان نوع امتلائه ـ لا يسمح لشيء جديد بالدخول؛ إلا أن يُخرج شيئاً مما فيه، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في ذلك: «قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضدِّه؛ وهذا كما أنه في الذوات والأعيان فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات»[1].

إذا تقرر هذا فالموحِّد يعرف خالقه، ويعرف لماذا خُلقَ، ويعرف المصير والمستقر، ويعرف أن الله وحده هو الذي يملك النفع والضر، ويعلم أن الله حي لا يموت والإنس والجن يموتون. وأنه لا أحد من إنسيّ أو جني يملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، إلا أن يشاء الله؛ لذا فالموحّد يعيش مطمئن النفس؛ وهو يعلم أنه ليس لأحد عليه من سبيل ولا سلطان، إلا أن يشاء الله؛ لقوله ـ سبحانه ـ: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...**﴾ [الحجر: ٤٢].

ولقوله: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ**﴾ [الأنعام: ١٧].

ولقول رسوله الكريم ﷺ: «يا غلام... احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده

---

(١) الفوائد لابن القيم، ص ٦٠ باختصار.

تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»[١].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله، تكونُ من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر، والتعاويذ، والتحصُّنات النبوية والإيمانية، فَتَلْقَى الروحُ الرجلَ أعزلَ لا سِلاح معه، وربما كان عُريانًا فيُؤثر فيه هذا»[٢].

ويقول في ذلك أيضًا: «وعند السحرة: أن سِحرهم إنما يَتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسّفليات، لهذا فإن غالب ما يؤثر في النساء، والصبيان، والجُهال، وأهل البوادي، ومن ضعُف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيبَ له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوُّذات النبوية.

وبالجملة: فسلطانُ تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلُها إلى السُّفليات، قالوا: والمسحورُ هو الذي يُعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقًا بشيء، كثيرَ الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات، والأرواح الخبيثة إنما تتسلطُ على أرواح تلقاها مستعدّة لتسلُّطها عليها، بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التي تُحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يُناسبها، فتتسلط عليها، ويتمكَّن تأثيرُها فيها بالسحر وغيره، والله أعلم»[٣].

ثانيًا: مشروعية التداوي: مما لا شك فيه أن الإسلام جاء بالعلاج الشافي لأمراض القلوب والأبدان، إما نصًا وإما إجمالاً على سبيل الدلالة، وقد تداوى النبي ﷺ، وأمر بالتداوي؛ ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ـ عز وجل ـ»[٤].

(١) رواه الإمام أحمد (٢٦٦٩)، وبنحوه (٢٧٦٣)، (٢٨٠٤)، والترمذي (٢٥١٨).
(٢) الطب النبوي، ص ٦٩.
(٣) الطب النبوي، ص ١٢٧.
(٤) مسلم في السلام (٢٢٠٤).

دراسات شرعية

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ معقباً: «علق النبي ﷺ الشِّفاء على مصادفة الدواء للداء، فإنه لا شيء من المخلوقات إلا له ضد، وكلُّ داء له ضد من الدواء يعالج بضده، فعلق النبي ﷺ البُرء بموافقة الداء للدواء، وهذا قدرٌ زائد على مجرد وجوده، فإن الدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية، أو زاد في الكمية على ما ينبغي، نَقَلَه إلى داء آخر، ومتى قصّر عنها لم يَفِ بمقاومته، ولكان العلاج قاصراً. ومتى لم يقع المُداوي على الدواء، أو لم يقع الدواء على الداء لم يحصُل الشفاء، ومتى لم يكن الزمان صالحًا لذلك الدواء، لم ينفع، ومتى كان البدن غير قابل له، أو القوة عاجزة عن حمله، أو ثَمَّ مانع يمنع من تأثيره لم يحصل البُرء لعدم المصادفة، ومتى تمت المصادفة حصلَ البرء بإذن الله ولا بد»[1].

هل التداوي ينافي التوكل؟ نستطيع أن نقول من خلال الأحاديث الصحيحة التي مرت وغيرها: إن التداوي لا ينافي التوكل؛ لأن التوكل لا يعني ترك الأسباب، كما لا يُنافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها.

هذا وقد يرى البعض أن التداوي ليس كالأكل والشرب؛ ولهذا وقع الخلاف في حكم التداوي. والذي يعنينا في هذا المقام أن الجميع متفقون على أن التداوي لا ينافي التوكل.

ثالثًا: وجوب الاجتهاد في معرفة الداء قبل الدواء: قد يقول قائل: كيف تقول بالوجوب مع أن التداوي مباح فقط وليس بواجب؟

والجواب: أن ترك التداوي مباح، ولكن من أراد أن يعالج فيجب عليه أن يحاول تحديد الداء أولاً، كي لا يضر من حيث يريد أن ينفع، كمن يتجاهل التقنيات الحديثة في تشخيص كثير من الأمراض، ثم ينسب كل مرض إلى الجن أو العين أو السحر، وربما قُتل المريض لإخراج الجني المزعوم؛ لذا قلنا بوجوب معرفة ذلك، ثم تحديد الدواء المناسب له؛ لأنه إذا وقع الخلط في تحديد نوع الداء فأنّى السبيل إلى وصف الدواء المناسب؟

رابعًا: هدي النبي ﷺ في التحصين والعلاج: لا شك أن هدي محمد ﷺ خير الهدي، وهذا عام في كل أمر، وقد كان ﷺ كما قال الله ـ تعالى ـ:

---

(١) الطب النبوي، ص ١٤، ١٥.

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فما من خير إلا ودلّنا عليه، وما علم من شر إلا وحذرنا منه . وفي هديه ﷺ الوقاية والتحصن ـ ابتداء ـ من كافة الأدواء لدفعها قبل وقوعها . وإذا ما وقع الداء فعلاً دل على العلاج الناجع ـ بإذن الله ـ : إما نصًا ، أو على سبيل الدلالة؛ ولذا سنتكلم عن كلا الأمرين :

أولاً : التحصينات .

ثانيًا : العلاج فيما يخص موضوعنا : (مسّ الجن ـ العين ـ السحر) .

التحصينات : تكون التحصينات الهامة بتوحيد الله ـ عز وجل ـ ومعرفته بأسمائه وصفاته وإخلاص العبادة له، وتجريد المتابعة لأمره والتوكل عليه ومحبته والإكثار من ذكره . وهذه تحصينات على العموم والإجمال . ثم تأتي نصوص في بعض التحصينات على سبيل التفصيل من مثل : **قراءة سورة البقرة في البيت ، قراءة آية الكرسي ، قراءة المعوذات ، الذكر عند الجماع لتحصين الذرية .**

ولكن نلفت الانتباه إلى أن هناك فرقًا كبيرًا بين الذكر : الذي يخرج من القلب ، والكلمات المجردة : التي تقال باللسان . فالمطلوب هو حقيقة الذكر لا مجرد الكلمات .

تحصينات ووقاية من العين خاصة : عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « العين حق . ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين »(١) .

وللوقاية من العين ابتداءً يجب على من رأى شيئًا فأعجبه وخاف عليه العين أن يقول : ما شاء الله، وأن يبرِّك (أي يدعو لصاحبه بالبركة) .

العلاج :

أولاً : علاج الصرع الذي من الجن : يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « علاجُ هذا النوع يكون بأمرين : أمرٍ من جهة المصروع، وأمرٍ من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوّذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلبُ واللسان، فإن هذا نوعُ محاربة، والمحَارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين :

---

(١) مسلم في السلام، (٢١٨٨) .

الأول: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا، وأن يكون الساعد قويًا، فمتى تخلَّف أحدُهما لم يُغن السلاح كثيرَ طائل. فكيف إذا عُدِمَ الأمران جميعًا؟ عند ذلك يكون القلب خرابًا من التوحيد، والتوكل، والتقوى، والتوجه، ولا سلاح له.

والثاني: من جهة المعالِج، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: «اخرُج منه». أو بقول: «بسم الله»، أو بقوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، والنبي ﷺ كان يقول: «اخرج عدوَّ الله أنا رسول الله»[1]....إلخ [2].

ثانيًا: علاج العين: إذا وقعت الإصابة بالعين فإن طريقة العلاج تختلف بين حالين: الأولى: إذا عُرِف العائن. والثانية: إذا لم يُعرفْ.

ـ **إذا عرف العائن**: العمدة في هذا حديث إصابة سهل بن حنيف بالعين:

فعن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار، فنزع جبة كانت عليه وعامرُ بن ربيعة ينظر ـ قال: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد ـ قال: فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء. قال: فوعك سهل مكانه، واشتد وعكه، فأُتي رسول الله ﷺ فأُخبر: أن سهلاً وعك، فقال رسول الله ﷺ: علامَ يقتل أحدكم أخاه؟ ألا برّكت. إن العين حق. توضأ له. فتوضأ له عامر، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس[3].

ـ **إذا لم يُعرف العائن**: إذا لم يعرف العائن فإن العلاج يكون بالرقى المشروعة، والأذكار المأثورة وإخلاص التوجه إلى الله، والدعاءُ من المضطر كفيل بالإجابة ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ...**﴾ [النمل: ٦٢].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «.. فمن التعوذات والرقى: الإكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي، ومنها التعوذات النبوية نحو: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. ونحو: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة

(١) أحمد (٤/ ١٧٠، ١٧١، ١٧٢) من حديث يعلى بن مرة، والدارمي (١/ ١٥) عن جابر. ورجاله ثقات.

(٢) الطب النبوي، ص ٦٨ ـ ٧١.

(٣) موطأ مالك (٢/ ٩٣٨، ٩٣٩). وابن ماجة (٢٥٠٩)، وأحمد (٣/ ٤٨٦).

ومن كل عين لامة. ونحو: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ... وحسبي الله ونعم الوكيل عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. ومن جرب هذه الدعوات والعوذ عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها؛ وهي تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها وقوة نفسه واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه؛ فإنها سلاح. والسلاحُ بضاربه»[1].

ثالثًا: علاج السحر: كما قلنا مرارًا: إن الوقاية خير من العلاج - فيجب الوقاية ابتداء من السحر قبل وقوعه كما ذكرنا ذلك غير مرة - وذلك بتجريد التوحيد لله والثقة بقضائه وقدره، والتحصن بكثرة ذكره وقراءة المعوذات وغيرها. ويضاف إلى ذلك العمل بما في الحديث الذي ورد في السحر خاصة؛ فعن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل».

وفي رواية: «من تصبَّح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»[2].

قلت: هذا الحديث الشريف لا يوجد ما يخرجه عن عمومه بيقين. ولكنه لن ينتفع به إلا من يصدِّق بالنبي ﷺ، ويثق أن ما يقوله حق لا مرية فيه - علم الناس حقيقته أو لم يعلموا - أما أهل المراء والجدال فهم محجوبون ومحرومون ولا ينبغي الاشتغال بهم ولا بوساوسهم.

أما علاج السحر بعد أن يقع فيكون بالتسليم والرضا بالقضاء والصبر على ذلك ومحاسبة النفس على تقصيرها. وتحرّي الوسيلة المشروعة للعلاج. والتوبة من المعاصي والابتعاد عن التفكير في الذهاب إلى السحرة والدجالين، وتحرّي الذهاب إلى من لا يُتهم في دينه من أهل العلم والصلاح، أو طلبة العلم المعروفين بالطلب والاستقامة.

يقول ابن القيم - رحمه الله - عن مرض السحر: «ذكر هديه ﷺ في علاج هذا

---

(١) الطب النبوي، ص ١٦٨ - ١٧٠.

(٢) البخاري (٥٧٦٨)، (٥٧٦٩)، ومسلم (٢٠٤٧).

المرض. وقد روي عنه فيه نوعان:

أحدهما ـ وهو أبلغهما: استخراجه وإبطاله كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك، فدُلَّ عليه فاستخرجه من بئر. فكان في مشط ومشاطة وجُفِّ طلعة ذَكَر. فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال، فهذا من أبلغ ما يُعالَج به المطبوب ـ أي المسحور ـ وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ.

والنوع الثاني: الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر» ا.هـ[1].

خامساً: تحديد الوسائل المبتدعة في العلاج [2]:

هذه نُشرات أم بدع ومحدثات؟!

النشرة العربية والحل: يقول الحافظ في الفتح: «النُّشرة بالضم وهي ضرب من العلاج يعالج به من يُظن أن به سحراً أو مساً من الجن؛ قيل لها ذلك لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء، ويوافق قول سعيد بن المسيب ما تقدم في «باب الرقية» في حديث جابر عند مسلم مرفوعاً: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل». ويؤيد مشروعية النشرة ما تقدم في حديث «العين حق» في قصة اغتسال العائن، وقد أخرج عبد الرزاق من طريق الشعبي قال: لا بأس بالنشرة العربية التي إذا وطئت لا تضره، وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كلٍ ثم يدقّه ويقرأ فيه ثم يغتسل به.

وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل[3] ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.

وممن صرح بجواز النشر المزني صاحب الشافعي وأبو جعفر الطبري وغيرهما، ثم وقفت على صفة النشرة في «كتاب الطب النبوي» لجعفر المستغفري قال: وجدت في خط نصوح بن واصل على ظهر جزء من «تفسير قتيبة بن أحمد البخاري»

---

(١) الطب النبوي، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) هناك روايات كثيرة فندناها في كتابنا (النذير العريان)، ص ٧١ ـ ١٢٢.

(٣) القواقل: سورة الكافرون والمعوذات. وقيل غير ذلك.

دراسات شرعية

قال: قال قتادة لسعيد بن المسيب: رجل به طب أخذ عن امرأته أيحل له أن ينشر؟ قال لا بأس، إنما يريد به الإصلاح؛ فأما ما ينفع فلم ينه عنه. قال نصوح: فسألني حماد بن شاكر: ما الحل وما النشرة؟ فلم أعرفهما، فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وطاق ما سواها فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان، وفأساً ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة، ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة، حتى إذا ما حمي الفأس استخرجه من النار وبال على حره، فإنه يبرأ بإذن الله ـ تعالى ـ، وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المفازة وورد البساتين ثم يلقيها في إناء نظيف ويجعل فيهما ماء عذباً ثم يغلي ذلك الورد في الماء غلياً يسيراً ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن الله ـ تعالى ـ. قال حاشد: تعلمت هاتين الفائدتين بالشام. قلت: وحاشد هذا من رواة الصحيح عن البخاري وقد أغفل المستغفري أن أثر قتادة هذا علقه البخاري في صحيحه وأنه وصله الطبري في تفسيره، ولو اطلع على ذلك ما اكتفى بعزوه إلى تفسير قتيبة بن أحمد بغير إسناد، وأغفل أيضاً أثر الشعبي في صفته وهو أعلى ما اتصل بنا من ذلك»[1].

قلت: لنا هنا وقفات مع الحافظ ـ رحمه الله ـ: قوله: ويؤيد مشروعية النشرة ما تقدم في حديث «العين حق» في قصة اغتسال العائن. قلنا: لا خلاف في مشروعية النشرة؛ ولكن أي نشرة؟ لقد اتسع الخرق على الراقع وتسربت البدع والخزعبلات إلى كتب أهل العلم، فضلاً عن عقول العامة والغوغاء ـ سلمنا في نُشرة العين باغتسال العائن لورود النص الصحيح عن المعصوم في ذلك، وما كان لنا أن نعترض ولو لم نفهم السر في ذلك ـ وإن كان بحمد الله ـ تعالى ـ قد ظهر لبعض أهل العلم ما يُرجى أن يكون تعليلاً مناسباً لوجه المناسبة بين الداء والدواء[2].

أما أن يُفتح الباب لكل سائبة ومتردية ونطيحة وأكيلة سبع لتدخل وتمر تحت ستار: (مشروعية النشرة) فهذا تفريط خطير لا يمكن أن يُقبل بحال، وإن قال به فلان وفلان من أهل العلم؛ لأن أقوالهم قد صارت قنطرة تعبر عليها الخزعبلات باسم النشرة الشرعية، وإلا فقل لي بربك: أية شرعية في جمع قضبان وفأس ذي قطارين ونار وبول! ولماذا حزمة قضبان؟ ألا يغني عنها الزفت والقطران؟! ومن أين

(١) فتح الباري، (١/٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٢) انظر الطب النبوي، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

اشترطوا أن يكون الفأس ذا قطارين؟ أما كان يكفي أن يكون الفأس ذا قطار؟

فوالله لقد سمعت أخيراً أحدهم في أحد الأشرطة يقول: يمكن أن يكون الفأس ذا قطار واحد؟!

فالحمد لله؛ لقد جلبت المشقة التيسير، وصرنا من قطارين إلى قطار، وغداً ربما تكفي حدوة حمار، أو حلقة أو مسمار! ثم سمعت لأحدهم تجديداً في القول، فأعطى مشكوراً بديلاً عن (البول) وهذا التجديد مسطور في بعض الكتب، قال المؤلف بعد أن ساق نُشرة (البول والفأس والقضبان) التي نعتها بالحلّ قال: قلت: ولو لم يبل عليه بل وضعه في ماء وقرأ عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ [الحديد: ٢٥] ثلاثًا أو سبعًا ثم اغتسل به وشرب منه برئ بإذن الله ـ تعالى ـ فإنه مُجرّب)[١].

قلت: وهكذا في وسط زحام النُّشرات الشرعية المزعومة تدخل الترهات بجواز مرور يحمل تأشيرة: (مجرب) وتنبعث سحب الدخان الأسود لتدخل علينا وصفة الذئب الأغبر، والديك الأبيض، والورد الأحمر!؟!

قلت: ويعود بنا الحديث إلى كلام الحافظ ـ رحمه الله ـ.

قوله: وقد أخرج عبد الرزاق من طريق الشعبي . . . إلخ.

قلت: ظاهر الكلام يوحي بأنه قد ساقه بإسناده والواقع غير ذلك ففي المصنف ١١/١٣[١٩٧٦٣] قال عبد الرزاق: وقال الشعبي. فأين الإسناد؟ وللعلم فقد توفي الشعبي سنة أربع وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع ومائة. أما عبد الرزاق فقد ولد سنة ست وعشرين ومائة وتوفي سنة إحدى عشرة ومائتين فما يرسله عن الشعبي من السوائب التي لا يُعبأ بها، والعجيب أن الحافظ يتعقب على المستغفري فيقول: وأغفل أيضاً أثر الشعبي في صفته، وهو أعلى ما اتصل بنا من ذلك. قلت: رحم الله الحافظ وإلا فأين العلو؟ وأين الاتصال؟! أما ما حدّث به حماد بن شاكر مغتبطًا وكأنما قد حاز كنزاً ولم يخبرنا كيف وقع عليه، فقد تقدم الكلام عليه وتزييفه[٢]. أما قول حاشد: تعلمت هاتين الفائدتين بالشام، فإنا لله وإنا إليه راجعون! فأي علم وأي فوائد في مثل هذا الكلام؟!

---

(١) السحر حقيقته وحكمه والعلاج منه، ص ٦٥، ٦٦.　　(٢) انظر النذير العريان للكاتب.

دراسات تربوية

أطفالنا ومدارس اللغات الأجنبية

بقلم: د. مصطفى حسين

شهدت بعض البلدان العربية مي الآونة الأخيرة انتشاراً واسعاً لما يسمّى: « مدارس اللغات »، وهي نمطٌ من المدارس يُعنى بتدريس اللغات الأجنبية بشكل مكثّف منذ مرحلة « رياض الأطفال » إلى نهاية المرحلة الثانوية، ولا تكتفي هذه المدارس بلغة أوروبيةٍ واحدة، بل تدرّس لغتين اثنتين، إحداهما هي اللغة الأوروبية الأولى، وتبدأ من مرحلة « رياض الأطفال »، والثانية هي اللغة الأوروبية الثانية، وتبدأ مي مرحلة متأخرة نسبيًا. ويتم مي هذه المدارس تدريس موادّ العلوم والرياضيات باللغة الأوروبية الأولى إلى جانب مقرّر مكثّف لهذه اللغة، ومقرّر أقل كثامة للغة الأوروبية الثانية، يظل مرامقًا للتلميذ إلى نهاية المرحلة الثانوية.

وبطبيعة الحال يتم تدريس مقرري اللغة العربية والدين، والموادّ الاجتماعية « وهذه تدرس باللغة العربية »، بالمستوى السائد مي المدارس العربية.

وهذا النهج الدراسي يعتبر نمطًا خطيراً من « ازدواجية التعليم » يذكرنا بما صنعه « دنلوب » ـ الوزير البريطاني خلال العشرينيات الميلادية من هذا القرن ـ مي مصر خلال حقبة الاحتلال البريطاني.

ومن الملاحظ أن هذا النمط من المدارس ينتشر ويتزايد إلى حدّ التفاقم، ويتزايد الإقبال عليه، حتى وصل الأمر إلى تحويل بعض المدارس الحكومية إلى مدارس للغات. وعلى حين كانت مدارس اللغات مقصورة ـ إلى عهدٍ قريب ـ على أبناء الأثرياء

القادرين، فقد بدأت تشهد إقبالاً متزايداً من جانب محدودي الدخل، أولئك الذين يعانون إرهاقًا شديداً، ومع هذا يصرّون على احتمال هذا الإرهاق، بسبب تصورهم الواهم عن هذه المدارس، وما تصنعه لأبنائهم من مستقبل زاهرٍ مضيء.

وأمام المنافسة الشديدة لهذه المدارس، وأمام رواجها المتزايد، اضطر بعض أصحاب المدارس الأهلية، التي أخذت على عاتقها تكثيف الجانب الإسلامي في الإعداد والتدريس، نقول: اضطرّت هذه المدارس الأهلية إلى أن تصدِّر إعلاناتها ولافتاتها بعبارات مثل: «تعلّم الإنجليزية» أو «مدارس ... الأهلية الإسلامية للغات».

والأعجب من ذلك والأخطر أن المسؤولين عن التعليم في هذه البلدان يقفون صامتين أمام تلك الظاهرة، ويشاركهم صمتهم الجمهرة الغالبة من خبراء التربية. وقصارى ما يفعله الخبراء أن يكتبوا بحثًا عن «الثنائية اللغوية في المرحلة الابتدائية»، بين مرحِّب ورافض، وحتى إن بعض أولئك الرافضين يتحدثون عن هذه الثنائية من ناحية القدرات دون أدنى تعرّض للخطر الداهم الذي تتعرض له الأمة نتيجة هذا الغزو الداهم لكيانها وهويتها، ممثلاً في الناشئة.

وهكذا، فإن هذا النمط من المدارس الذي يتكاثر ويتفاقم، ويستجيب لاندفاع جماهير الناس في موجات محمومة يوشك أن يكون الأصل والأساس، وأن تصبح «المدارس العربية» عنصراً طفيليًا دخيلاً، يفقد بالتدريج مقومات وجوده بل ومسوغات استمراره في ساحة التعليم.

ومع الاندفاع المحموم نحو «مدارس اللغات»، وأمام تكاثرها المتزايد، بدأ فريق من رجال الأعمال والمستثمرين يشاركون في تأسيس هذه المدارس، ولا همّ لهم إلا تحقيق الكسب المادي؛ والغريب المثير أن هذه الفئة لا صلة لها - أصلاً - بحقل التربية والتعليم، فبعضهم من التجار، والآخر من أصحاب المشاريع الصناعية.

ذريعة مدارس اللغات:

ولكن ما هي الذريعة التي يتشبث بها المؤيدون لهذا النمط من المدارس،

سواء في ذلك الآباء أو التربويون؟

وجوابهم هو: أن المستقبل والحاضر يقفان إلى جانب اللغات؛ فها هو العالم قد تحول إلى قرية صغيرة مفتحة النوافذ؛ مما يفرض تعلم لغة أجنبية واحدة على الأقل يستطيع الإنسان من خلالها أن يتصل ويتواصل، وأن ينفتح على المستجدات المتسارعة في المجالات المعرفية والتقنية، وأن الاقتصار على اللغة الأم يعني العزلة والانغلاق، وحتى يستطيع إنسان العصر المتجدّد أن يحافظ على بقائه، فإنه ينبغي عليه أن يتواصل مع الآخرين.

ونودّ قبل أن نردّ على أصحاب هذه الذريعة، أن نقرر حقيقة هامة: وهي أننا لا نعارض ـ قط ـ مبدأ تعلم اللغات الأجنبية، ولا نؤيد ـ قط ـ مبدأ الاقتصار على العربية لغتنا الأم، سواء في عصرنا أو في عصرٍ سبق أو عصر لاحق؛ ولكننا نقرر جملةً من الحقائق نفند بها ذرائع المؤيدين لمدارس اللغات، ونوجزها فيما يلي:

أولاً: نحن نؤيد تجربة اللغات ومدارس اللغات، شريطة أن تكون هذه التجربة في إطار هدف سامٍ نابع من هويتنا وجذورنا، وشريطة أن نُخضع هذه التجربة لنظام دقيق؛ بحيث لا يسمح لها بالانفلات والتكاثر المحموم، وشريطة أن يتوافر لها العناصر القادرة المدرّبة: تدريسًا وتوجيهًا وإدارةً، وأن تقتصر على أبناء المبتعثين العائدين من دول أجنبية، أو من في حكمهم من أبناء الأجانب: أعضاء البعثات الدبلوماسية، ورجال الأعمال[1].

ثانيًا: لنكنْ واقعيين مع أنفسنا، ومع الواقع ذاته ولْنتساءلْ: هل استطاعت الأسر التي ألحقت أبناءها بهذه المدارس أن تتابع أبناءها؟ وهل لدى غالبية تلك الأسر القدرات اللغوية التي تمكنهم من تلك المتابعة؟

ثالثًا: هل استطعنا أن نحسم قضية تعريب كليات الطب والعلوم والهندسة، حتى نضيف إلى القضية قضايا أخرى؟

(١) أشار الكاتب في أول هذه الفقرة إلى تأييد مدارس اللغات ما دامت في إطار هدف سامٍ نابع من جذورنا وهويتنا؛ وانطلاقًا من هذا المبدأ فإنه ينبغي ألا نقصر هذا النوع من الدراسة على الفئات التي أشار إليها الكاتب الكريم ما دامت هذه المدارس تسير وفق خطة واضحة المعالم تخدم الأمة وتسهم في تحقيق تطلعاتها، وتحول بينها وبين إضعاف اللغة الأم. ـ البيان ـ

وللأسف الشديد فإننا نصرّ على المغالطة وإغماض أبصارنا وبصائرنا عن الحقيقة والواقع، والحقيقةُ والواقعُ أن طلابنا في كليات الطب ـ مثلاً ـ وكذلك أطباؤنا يجدون صعوبات جمّة تحول دون الاستيعاب الحقيقي للمادة الطبية، لا فرق في ذلك بين من حصل على «الثانوية العامة» من مدارس عربية أو مدارس اللغات.

رابعاً: وضع اللغة العربية: للغتنا الأم، وضعٌ مقلق مزعج إلى أبعد الحدود؛ والدليل واضح ماثل لكل ذي بصر وبصيرة؛ فطلابنا يعانون ضعفاً مزرياً في لغتهم الأم، وقد بدت الشكوى متزايدة من هذا الضعف، فخريجو الجامعات ضعاف في اللغة العربية، لا فرق في ذلك بين خريجي أقسام اللغة العربية ومعاهدها، وبين غيرهم، والأغلاط اللغوية في الكتب والصحف متفشية. وهذا الضعف ليس في أساسيات اللغة العربية ومهاراتها ـ فقط ـ بل يمتد إلى معارفها وثقافاتها المتصلة بها. فكيف نضيف إلى ضعفنا في لغتنا الأم ضعفاً في سائر اللغات؟

خامساً: نشير هنا إلى رأي فريق من علماء التربية لا يستهان به؛ فالبعض يؤكد أن ثمة ظاهرةً تسمى ظاهرة: (الاعتماد أو التوافق المتبادل Interdependence) بين اللغة الأم واللغة الأجنبية، مما يؤثر في إتقانهما معاً؛ فالطفل الذي يتلقى دروساً في لغة ثانية (أجنبية)، قبل أن يتقن لغته الأولى لن يتقدم في هذه أو تلك[1].

سادساً: يقسّم بعض علماء التربية الثنائية اللغوية إلى نوعين: «الثنائية اللغوية الطارحة، والثنائية اللغوية الجامعة» فالأولى هي تلك التي تسود بين أطفال يتهدد لغتهم الأم خطر الاندثار، وأما الثانية فهي تلك التي تسود بين أطفال تتمتع لغتهم الأم بقدرٍ كبيرٍ من الرسوخ والتفوق.

والسؤال: إلى أي النوعين تنتمي الثنائية اللغوية في ظل ما يسمَى بمدارس اللغات؟

نضيف إلى ما تقدّم حقيقة تربوية لا يختلف عليها التربويون برغم اختلافهم

(١) وانظر: الطفل العربي واللغات الأجنبية (سلسلة عالم العربية، الرياض ١٩٩٣م)، تأليف د. نادية أحمد طوبا، ص ٣٩ ، ٨٣، دار النشر الدولي بالرياض.

حول قضية «الثنائية اللغوية»، وهي: «أنه كلما ازداد أساس اللغة الأم رسوخاً، واستمرت في تطورها ازدادت القدرة على اللغة الثانية»[1].

سابعاً: يتشبث المتحمسون لمدارس اللغات بمنطق مغلوط معكوس؛ فالمعلوم ـ من واقع التاريخ الإنساني ـ أن المجتمع لا يحافظ على بقائه في عالم مفتّح متواصل، بالحفاظ على هوية الآخرين والذوبان المطلق فيهم، ولكن بحفاظه على هويته أولاً، وتحصين ذاته ضدّ عوامل الفناء والاندثار؛ فإن صنع الإنسان العكس، فقد غالط طبيعة الأشياء، ورضي لنفسه أن يكون التابع الذليل.

وإذا راجت بيننا اليوم مقولة أن «لا مكان في عالم اليوم لمن لا يتسلح باللغات»، فإن الأصحَّ من هذه المقولة أنه «لا مكان لمن يدخل بيوت الآخرين، بعد أن نسف بيته، وأتى على بنيانه من القواعد».

ثامناً: نؤكد ـ ونحن مضطرون للتكرار ـ أننا لا نرفض مبدأ تعلم اللغات، ولكن شريطة أن يكون هذا المبدأ مؤسساً على أهداف وثيقة الصلة بوجودنا وكياننا وأصالتنا، ومرتبطاً بخطة مدروسة لا تتجاهل واقع مدارس اللغات، وحصاد هذه التجربة بعد اتساعها واستفحالها، على أن نخضع ذلك كله لدراسة علمية فاحصة، تسبر الواقع ونتائجه دون تجاهل أو تعصب.

تاسعاً: ليس من اللازم اللازب ـ لكي نحقق مبدأ التواصل مع عالمنا وعصرنا ـ أن نترك الحبل عل غاربه لمدارس اللغات، وأن يُرهق أبناؤنا وبيوتنا مادياً ونفسياً؛ إذ يكفي أن ندعِّم مقررات اللغات الأجنبية (اللغة الثانية) في المرحلة المتوسطة (الإعدادية)، وأن نعمل على تطويرها، مع الملاحقة والمتابعة لمقررات اللغة العربية، بالتطوير والدعم المستمر وتدريب المختصين بها: معلمين وموجهين، وإخضاع الكتب المقررة للدراسة الدائمة في ضوء مرئيات التلاميذ والمعلمين وأولياء الأمور وسائر من ينبغي الاستئناس بآرائهم من

(١) وانظر: الطفل العربي واللغات الأجنبية (سلسلة عالم العربية، الرياض ١٩٩٣م)، تأليف د. نادية أحمد طوبا، ص ٣٩ ، ٨٣، دار النشر الدولي بالرياض.

الخبراء وأساتذة التربية.

عاشراً: إن قضية «ثنائية التعليم» منذ المراحل الأولى للتعليم (رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية) قضية ما تزال مثارة، والخلاف حولها ما يزال قائماً، فلماذا نتصرف على أنها قضية محسومة؟ ولماذا هذا التدافع المحموم نحو اللغات ومدارس اللغات.

حادي عشر: إن نجاح الأمم يقاس بمبدأ: «التوازن الثقافي» الذي تحققه لنفسها، وبقدر هذا التوازن بين كيانها وأصالتها من جانب وثقافات الآخرين من جانب آخر تكون قوتها وقدرتها على العطاء الإنساني الذي يكسبها الاحترام والوجود المتميز.

بقيت حقيقة أخرى نختم بها مقالنا وهي تتعلق بما يسمى دولة (إسرائيل) واللغة العبرية؛ فقد استطاع اليهود أن يجعلوا لغتهم الأم، (وهي العبرية) اللغةَ الدارجة السيّارة: في المدرسة والجامعة، والحقل والمزرعة، والمتجر والمصنع، والشارع العام؛ وهي لغة العلم والتعليم والإعلام والسياسة.

وقد عاش اليهود ـ على آمادٍ طويلة من الأحقاب ـ يعملون بكل سبيل على أن تظل لغتهم حية تحتكُّ بكل لغات العالم، لكي تبقى وتعيش لا لتفنى وتندثر.

وفي كل بلد عاش فيه اليهود، كانوا يتحدثون بلغتهم، ويشاركون بأقلامهم في الإبداع الأدبي والعلمي بلغة هذا البلد، ولكنهم داخل «الجيتو» الذي حرصوا على أن يصنعوه لأنفسهم، كانوا يتحدثون العبرية ويلقنونها أبناءهم.

فهل نتنكر نحن للعربية، ونذوب عشقاً وهياماً في الآخرين؟

إن العربية أعرق وآصل من العبرية ومن غير العبرية، وأيادي العربية على العبرية وغيرها من اللغات يؤكدها التاريخ. والناشئةُ من أبنائنا أحوج في هذا العصر، وأكثر من أي عصر مضى، إلى أن يرتبطوا بلغتهم حباً وولاءً.

والعربيةُ ـ بعدُ ـ ارتبطت بكتاب سماوي خالد، وارتبط بها ذلك الكتاب السماوي(*).

فهل تصحو ضمائرنا ؟!!

(*) أرجو أن أتفرغ لدراسة منهجية أصيلة حول هذه الفكرة؛ والله أسأل التوفيق والسداد.

الصلاة قبل الجمعة وبعدها

بقلم :
د. محمد طاهر حكيم

دراسات شرعية

نرى عامة المسلمين في المساجد يوم الجمعة يقومون ويصلون ركعتين بعد الأذان وصعود الخطيب على المنبر؛ فهل للجمعة سنة قبلية؟ وكم هي؟ ثم كم يُصلى بعد صلاة الجمعة؟ هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا المقال ـ إن شاء الله ـ.

أما قبل الجمعة فإن لأهل العلم قولين في ذلك:

القول الأول: ليس للجمعة سنة قبلية، بل إذا أتى الرجل الجامع صلى ما كتب له حتى يحضر الخطيب، قال ابن المنذر ـ كما في زاد المعاد[(١)] ـ : «روينا عن ابن عمر أنه كان يصلي قبل الجمعة ثنتي عشرة ركعة، وعن ابن عباس: أنه كان يصلي ثماني ركعات». وروى ابن أبي شيبة[(٢)] عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «صلّ قبل الجمعة عشر ركعات».

قالوا: إن ذلك كان منهم من باب التطوع المطلق؛ ولذلك اختُلف في العدد المروي عنهم في ذلك، وهو مذهب الإمام مالك وبه قال الإمام أحمد ـ في المشهور عنه ـ[(٣)].

قالوا: والسنة تدل عليه؛ فإن النبي ﷺ كان يخرج من بيته فإذا رقى المنبر أخذ بلال في أذان الجمعة، فإذا أكمله أخذ النبي ﷺ في الجمعة من غير فصل، وهذا كان رأي عين فمتى كانوا يصلون السنة؟[(٤)].

(١) ١/١٤٩ وانظر: طرح التثريب، ٣/٤٣.
(٢) ٢/١٣١.
(٣) انظر: حاشية العدوي ١/٣٣٧ والخرشي ١/٨٧ والإنصاف ٢/٤٠٦، وكشاف القناع ١/٤٩٧.
(٤) انظر زاد المعاد، ١/١٤٧.

قال الحافظ العراقي: ـ كما في نيل الأوطار [1] ـ «لم ينقل عن النبي ﷺ أنه كان يصلي قبل الجمعة؛ لأنه كان يخرج إليها فيؤذَّن بين يديه ثم يخطب».

القول الثاني: وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن للجمعة سنة قبلية أربع ركعات، وممن روى عنه ذلك ابن عمر وابن مسعود وسفيان الثوري والنخعي وابن المبارك وبه قال الحنفية والشافعية، وعندهم أقلها ركعتان والأكمل أربع، وهو رواية عن أحمد [2].

واحتجوا بما يأتي:

١ ـ حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يركع قبل الجمعة أربعًا لا يفصل بينها في شيء»[3].

٢ ـ وبحديث أبي هريرة وجابر قالا: «جاء سليك الغطفاني ورسول الله ﷺ يخطب، فقال له: أصليت ركعتين قبل أن تجيء؟ قال: لا، قال: فصلِّ ركعتين، وتجوَّز فيهما»[4].

قال أبو البركات ابن تيمية ـ كما في زاد المعاد ـ [5] «وقوله: «قبل أن تجيء» يدل على أن هاتين الركعتين سنة الجمعة وليست تحية المسجد».

٣ ـ ومنهم من أثبت السنة للجمعة قياساً على الظهر، ومنهم من قال: إن الجمعة ظهر مقصورة، فيثبت لها أحكام الظهر»[6].

وقد اعتُرِضَ على هذه الأدلة بما يأتي:

١ ـ أن حديث ابن عباس، إسناده مسلسل بالضعفاء، فعطية متفق على ضعفه،

---

(١) ٣/٣١٣، وراجع فتح الباري، ٢/٤٢٦.

(٢) انظر سنن الترمذي ٣/٦٠ وشرح السنة ٣/٤٥٠ ومصنف عبد الرزاق ٣/٢٤٧، وابن أبي شيبة ٢/١٣١، والبحر الرائق ٢/١٦٨، واللباب ١/٣٢٨، والمجموع ٣/٤٦٣، وروضة الطالبين ١/٣٣٣، والإنصاف ٢/٤٠٦، وكشاف القناع ١/٤٩٧.

(٣) رواه ابن ماجه، ١/٣٥٨.

(٤) رواه ابن ماجه ١/٣٥٣ ـ ٣٥٤، وسنده واه كما في فتح الباري ٢/٤٢٦.

(٥) ١/١٤٨.

(٦) انظر زاد المعاد ١/١٤٧، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤/١٨٩ ـ ١٩٠.

وحجاج مدلس، ومبشر بن عبيد كذاب، وبقية مدلس.

وقد تكلم عليهم الدارقطني والبيهقي وابن القيم وغيرهم [1].

٢ ـ وأما حديث سليك الغطفاني، وقول أبي البركات فيه بأن قوله: «قبل أن تجيء» يدل على أن هاتين الركعتين سنة الجمعة وليست تحية المسجد.

فالجواب: قال ابن القيم [2] قال شيخنا أبو العباس: «وهذا غلط، والحديث المعروف في الصحيحين عن جابر قال: «دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فقال: أصليت؟ قال: لا، قال: فصل ركعتين» وقال: «إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوَّز فيهما»[3] فهذا هو المحفوظ في هذا الحديث، ثم ذكر عن الحافظ المزي قوله: هذا تصحيف من الرواة، وإنما هو «أصليت قبل أن تجلس» فغلط فيه الناسخ. ا.هـ. ثم قال ابن القيم ـ بعد أسطر ـ: «ويدل عليه ـ أيضًا ـ: أن النبي ﷺ لم يأمر بهاتين الركعتين إلا الداخل لأجل أنها تحية المسجد، ولو كانت سنة الجمعة لأمر بها القاعدين أيضًا، ولم يخص بها الداخل وحده».

٣ ـ وأما قياسها على الظهر ففاسد؛ فإن السنة ما كان ثابتًا عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو سنة خلفائه الراشدين وليس في مسألتنا شيء من ذلك، ولا يجوز إثبات السنن في مثل هذا بالقياس؛ لأن هذا مما انعقد سبب فعله في عهد النبي ﷺ، فإذا لم يفعله ولم يشرعه كان تركه هو السنة.

وأما قولكم بأنها ظهر مقصورة فيثبت لها أحكام الظهر فهذه حجة ضعيفة جداً؛ فإن الجمعة صلاة مستقلة بنفسها تخالف الظهر في الجهر والعدد والخطبة والشروط المعتبرة لها...[4].

---

(١) انظر زاد المعاد ١/ ١٤٩ ونصب الراية ٢/ ٢٠٦، وطرح التثريب ٣/ ٤١ ـ ٤٢.

(٢) زاد المعاد، ١/ ١٤٨، وراجع فتح الباري، ٢/ ٤٠١، ٤٢٦.

(٣) أخرج الجزء الأول البخاري، ٢/ ٤١٢، ومسلم ٦/ ١٦٣، وأبو داود ١/ ٦٦٧، والترمذي ٣/ ٣٠، وأما الجزء الثاني: «إذا جاء أحدكم الجمعة...» فأخرجه مسلم ٦/ ١٦٤، وأبو داود ١/ ٦٦٧، والنسائي ١/ ١٠١، ١٠٣.

(٤) انظر زاد المعاد، ١/ ١٤٧.

هذا وقد أجاب القائلون بثبوت «السنة» قبل الجمعة عن هذه الاعتراضات :

١ ـ قالوا : نسلم أن حديث ابن عباس ضعيف ولكنه صح عن ابن مسعود « أنه كان يصلي قبل الجمعة أربعًا » رواه عبد الرزاق في المصنف[١] .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : « كان عبد الله يصلي قبل الجمعة أربعًا وبعدها أربعًا » [٢] ، ومعلوم أن هذا له حكم الرفع؛ إذ من المستحيل أنه كان يشرِّع من عند نفسه.

ثم إنه قد ورد الترغيب في هذه السنة القبلية في حديث سلمان وغيره، وورد فيها أحاديث أخرى ضعيفة، منها حديث أبي هريرة عند البزار، وحديث علي رواه الأثرم والطبراني في الأوسط، ومنها حديث ابن عباس ـ وقد تقدم ـ وحديث ابن مسعود رواه الطبراني [٣] فمجموع هذه الأحاديث تدل على أن لها أصلاً، والضعيف إذا رُوِيَ بطرق متعددة ارتفع إلى الحسن لغيره.

٢ ـ وأما قولكم : إن إثبات السنة لها بالقياس على الظهر قياس فاسد؛ فالجواب عنه ما قاله ابن المنير ـ كما في الفتح ـ[٤]« . . . الأصل استواء الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه؛ لأن الجمعة بدل الظهر » .

وأما قولكم : إن السنة ما كان ثابتًا عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو سنة خلفائه الراشدين، وليس في مسألتنا شيء من ذلك.

فالجواب عنه : كيف تقولون هذا وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يصلي قبلها أربعًا ـ كما تقدم ـ ووردت عنه ركعتين في حديث أبي هريرة، رواه الطبراني في الأوسط [٥] وصح ذلك عن ابن مسعود قولاً وفعلاً كما تقدم .

وروى ابن سعد في الطبقات [٦] بإسناد صحيح عن صافية قالت : « رأيت صفية

---

(١) ٣/٢٤٧، وقال الحافظ في التلخيص ٢/٧٤ : « وصح عن ابن مسعود من فعله » .

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١/٣٣٥، وسنده صحيح كما في نصب الراية ٢/٢٠٧ .

(٣) انظر فتح الباري ، ٢/٤٢٦ . (٤) ٢/٤٢٦ .

(٥) كما في مجمع الزوائد ٢/١٩٥، وقال : رجاله موثقون.

(٦) ٨/٣٦٠، وذكره الزيلعي في نصب الراية ٢/٢٠٧، والحافظ في الفتح ٢/٤٢٦، وسكت عنه فهو صحيح أو حسن على قاعدته.

بنت حُيي ـ رضي الله عنها ـ صلتْ أربع ركعات قبل خروج الإمام للجمعة، ثم صلت الجمعة مع الإمام ركعتين» فكيف يصح بعد هذا أن يقال: وليس في مسألتنا شيء من ذلك؟

قلت: وقد حمل أهل القول الأول وبعض أهل العلم ـ منهم ابن تيمية، وابن القيم ـ ما ورد من الصلاة أو من السنة قبل الجمعة على التطوع المطلق وجرى على ذلك العلاَّمة أبو شامة فقال [1]: «وجرت عادة الناس أنهم يصلون بين الأذانين يوم الجمعة ... ويُضمرون في نيتهم بأنها سنة الجمعة ـ إلى أن قال ـ : وكل ذلك بمعزل عن التحقيق، والجمعة لا سنة لها قبلها كالعشاء والمغرب».

وإن كان يَرِدُ عليه ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعًا: «ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان» [2] إلا أنه يضعف الاستدلال به من جهة أنه عامٌّ يقبل التخصيص، فقد تقدم عليه ما هو الظاهر من حال النبي ﷺ وأصحابه أنهم لم يكونوا يفعلون ذلك.

والأوْلى أن يقال: إن الصلاة قبل الجمعة جائزة حسنة ومرغوب فيها، ولكنها ليست سنة راتبة؛ وإنما هي كالصلاة قبل صلاة المغرب؛ وحينئذ فمن صلى لم يُنكر عليه، ومن ترك لم ينكر عليه؛ وهذا أعدل الأقوال، والله أعلم.

٢ ـ وأما الصلاة بعد الجمعة فاتفقوا على سنيتها لثبوتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن اختلفوا في مقدارها.

فذهب جماعة من أهل العلم منهم ابن مسعود وعلقمة والأسود والنخعي وسفيان الثوري وابن المبارك والحنفية ـ غير أبي يوسف ـ إلى أن السنة بعد الجمعة أربع ركعات، وقال إسحاق: «إن صلى في المسجد صلى أربعًا، وإن صلى في بيته صلى ركعتين، وقد صرح أكثر هؤلاء أنه إذا صلى أربعًا لا يفصل بينهن

---

(١) في كتابه: «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، ص ٩٦.

(٢) انظر موارد الظمآن في زوائد ابن حبان، ص ١٦٢، ومراجع فتح الباري، ٢/٤٢٦، وطرح التثريب، ٣/٤٣.

بسلام(١).

واحتجوا على الأربع بقوله ﷺ في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : «من كان منكم مصليًا بعد الجمعة فليصل أربعًا»(٢).

واحتج إسحاق على الأربع بهذا الحديث، وعلى الاثنتين في البيت بحديث ابن عمر عن النبي ﷺ «أنه كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف، فيصلي ركعتين في بيته» (٣) فحمل حديث الركعتين على ما إذا صلى في البيت وحديث الأربع إذا صلى في المسجد.

وذهب جماعة أخرى من أهل العلم منهم علي وابن عمر وأبي موسى وعطاء والثوري - في قول - وأبو يوسف إلى أن السنة بعد الجمعة ست ركعات: يصلي ركعتين ثم أربعًا إلا أن أبا يوسف استحب أن تقدم الأربع قبل الركعتين (٤).

واحتجوا بالآتي:

١ - حديث ابن عمر أنه كان - إذا كان بمكة - فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى أربعًا، وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع إلى بيته فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد، فقيل له، فقال: «كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك» (٥).

٢ - عن عطاء قال: صليت مع ابن عمر - رضي الله عنه - غير مرة، يوم الجمعة؛ فلما سلم قام فصلى ركعتين، ثم قام فصلى أربع ركعات، ثم انصرف، ورُوِيَ مثل ذلك عن علي (٦) - رضي الله عنه - .

---

(١) انظر سنن الترمذي ٣ / ٦٠، وشرح السنة ٣ / ٤٥٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٢ / ١٣٣، ومصنف عبد الرزاق ٣ / ٢٤٧، وشرح معاني الآثار، ١ / ٣٣٦، والاختيار ١ / ٦٦.

(٢) أخرجه مسلم ٦ / ١٦٨، والترمذي ٣ / ٥٧، وأبو داود ١ / ٦٧٣، والنسائي ٣ / ١١٣، وابن ماجة ١ / ٣٥٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢ / ١٣٢، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١ / ٣٣٦.

(٣) أخرجه مسلم ٦ / ١٦٩.

(٤) انظر سنن الترمذي ٣ / ٥٩، وعمدة القاري ٦ / ٢٥٠، ٧ / ٢٣٤، وطرح التثريب ٣ / ٣٩.

(٥) رواه أبو داود ١ / ٦٧٣، وسكت عنه، وقال العراقي: إسناده صحيح كما في تحفة الأحوذي ٣ / ٥٨.

(٦) انظر شرح معاني الآثار للطحاوي ١ / ٣٣٧.

دراسات شرعية

وأما وجه ما استحسنه أبو يوسف فهو كراهة أن يصلي بعد الجمعة مثلها على ما قد نُهِيَ عنه في حديث خرشة بن الحر أن عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يكره أن يصلي بعد صلاة الجمعة مثلها [١].

وذهبت جماعة ثالثة من أهل العلم منهم: عمر، وعمران بن حصين، والنخعي، والشافعي إلى أنه يصلي بعد الجمعة ركعتين [٢]، وعن الشافعي يستحب بعدها أربع. قال العراقي في شرح التثريب [٣]: «هما نصان للشافعي...» ثم قال: «والظاهر أن النصين محمولان على الأكمل والأقل» واحتجوا بحديث ابن عمر أنه ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين[٤].

قلت: هذا الاختلاف في المقدار ليس اختلاف تعارض وتضاد وإنما هو من باب التنوع المشروع، أو ما يعبر عنه أحياناً بالاختلاف في المباح[٥] والأصل في هذا: أن ما فعله النبي ﷺ من العبادات على أنواع وصفات؛ فإذا صحت كلها عنه ﷺ شُرِعَ فعلها على جميع تلك الأنواع: هذا تارة، وهذا تارة.

قال ابن تيمية: «... فالاقتداء بالنبي ﷺ في أن يفعل هذا تارة وهذا تارة أفضل من لزوم أحد الأمرين وهجر الآخر كالاستفتاح .. فجميع ما شرعه الرسول ﷺ له حكمة مقصودة، فلا يهمل ما شرعه من المستحبات»[٦].

وقال: «إن جميع صفات العبادات من الأقوال والأفعال إذا كانت مأثورة أثراً يصح التمسك به لم يكره شيء من ذلك بل يشرع ذلك كله»[٧].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر ابن أبي شيبة ٢/١٣٢، وشرح السنة ٣/٤٥٠، وعمدة القاري ٦/٢٥٠، والمجموع ٣/٤٦٣.

(٣) ٣/٣٨ وانظر روضة الطالبين ١/٣٣٣، ومغني المحتاج ١/٢٢٠.

(٤) أخرجه الترمذي ٣/٥٦، وقال: حسن صحيح.

(٥) كما قال البغوي في شرح السنة، ٣/٤٥٠.

(٦) مجموع الفتاوى ٢٢/٣٣٥.

(٧) المرجع السابق، ٢٤/٢٤٢.

وقال ابن خزيمة في صحيحه في باب ترجيع الأذان: « وهذا من جنس اختلاف المباح، فمباح أن يؤذن فيرجع في الأذان ويثني الإقامة، ومباح أن يثني الأذان ويفرد الإقامة؛ إذ قد صح كلا الأمرين من النبي ﷺ »[1].

ولهذا قال الإمام أحمد هنا في السنة بعد الجمعة: إن شاء صلى بعد الجمعة ركعتين، وإن شاء صلى أربعًا، وإن شاء ستًا. وقال ابن قدامة[2] « ولنا : أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك كله بدليل ما روي من الأخبار... ».

وقد ذهب الإمام النووي في شرح مسلم[3] إلى تفضيل الأربع فقال: « ... ونبه بقوله ﷺ : « من كان منكم مصليًا » على أنها سنة ليست واجبة، وذكر الأربع لفضليتها، وفعل الركعتين في أوقات بيانًا؛ لأن أقلها ركعتان ».

قلت: إن كل ذلك حسن؛ إذ كله ثبت قولاً وعملاً، وإن زاد على ركعتين فهو أفضل وأكمل.

« فالصلاة خير موضوع؛ فمن شاء استقل ، ومن شاء استكثر »[4].

والله ـ تعالى ـ أعلم.

---

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/١٩٤.

(٢) المغني ٢/٢١٩.

(٣) ٦/١٦٩ ـ ١٧٠.

(٤) أخرجه أحمد، ٥/١٧٨، والبزار من حديث أبي ذر، وأعله ابن حبان في الضعفاء بيحيى بن سعيد، وله شاهد من حديث أبي أمامة، أخرجه أحمد بسند ضعيف، انظر التلخيص الحبير ٢/٢١.

حدثني من لا أتهم

بقلم : عبد الله المسلم



حدثني من لا أتهم، أو حدثني أحد الثقات : عبارة يصدِّر بها بعض الدعاة والأخيار حديثهم حول ظاهرة من الظواهر، وتكون مستندهم في إصدار الأحكام عليها.

ويكثر ذلك في القضايا التي تعني واقع المسلمين ومجتمعاتهم؛ ولعل القضية الأفغانية خير شاهد على ذلك؛ فكثيراً ما يذكر المتحدث أن مصدره شخص ثقة قدم من هناك.

ويكثر ذلك أيضًا في إصدار الأحكام على الإسلاميين والجماعات الإسلامية؛ فالناقل شخص خالطهم، وربما كان منهم، وقابل فلانًا وفلانًا؛ وهو ثقة.

وتعظم الرزية حين ترى رجلاً له مكانته في العلم والخير لدى الناس يُصدر أحكامًا بناءً على آراء هؤلاء الثقات! وقد تكون هذه الأحكام جائرة بعيدة عن الصواب، رغم أن الناقل والمصدر ثقة كما يقال.

وثمة مداخل على رواية هذا الرجل الثقة أدت إلى ضرورة إعادة النظر في خبره، فقد يكون ثقة في دينه، بعيداً عن الكذب لكنه لا يسلم من غفلة وتخليط وضعف ضبط، وكم ردَّ أهل الحديث رواية بعض الرجال مع بلوغهم الغاية في الزهد والصلاح.

وقد يكون هذا الثقة نقل عن مصدر وشخص آخر لا يسلم من الطعن في ضبطه وحفظه، أو في صدقه وديانته، وكثيراً ما يحدِّث هؤلاء الثقات عن فئات من السذج والبسطاء، فيتلقون منهم الأخبار وتقويم الواقع، فيغيب عمن يروي عن الثقة حقيقة مصدره.

وقد يكون له هوى في المسألة ـ والهوى من المداخل الخفية ـ فيؤثر

الهوى في تلقيه وتلقفه أي خبر، ويكون لديه الاستعداد لسماعه ورؤيته كما يريد، ويغفل عما سوى ذلك؛ فمن يعجب بشخص أو فئة تشده المحاسن، ويوغل في النظر إليها وتضخيمها والحديث عنها، ومن يكون غير ذلك تشده المساوئ، ويبحث عنها ويفرح بها، بل يضخمها ويتمحل في إثباتها.

وحين يجتمع هذا الهوى والاتجاه لدى كل من الناقل والمنقول له، أو لدى الثقة! والذي حُدث بذلك: تتهيأ الأرضية المناسبة لتحويل الأوهام إلى حقائق، والظنون إلى قطعيات لا تقبل الجدل.

وقد يكون الراوي ثقة في نفسه، لكنه يخلط تقويمه وموقفه الشخصي من القضية بخبره، فيختلط الأمر على السامع، وهذا مأخذ دقيق؛ فتقويم الشخص مهما بلغ من الثقة والعمق والديانة يبقى رأيًا شخصيًا يجب أن يُفرَّق بينه وبين الرواية، وقليل من الناس من يجيد التفريق بين الرأي والتقويم الشخصي وبين الرواية التي مبناها على الثقة والأمانة.

وقد يؤتى الثقة من جهة التعميم فيرى واقعًا وصورة محدودة فيعممها؛ كما هي الحال لدى أولئك الذين يسافرون إلى بلاد أخرى، فيرون زاوية ضيقة محدودة من الواقع، فيتحدثون بها على أنها تمثل المجتمع وتنطبق عليه، ويصدرون أحكامهم بناء على أنهم يعون هذا الواقع وعيًا تامًا.

وقد يكون الشخص الثقة بطبيعته ميالاً للمبالغة، وما أكثر ما يتلقى الناس أخبارًا لو حكموها بعقولهم لشعروا أنها غير معقولة، ولذا كان الذهبي ـ رحمه الله ـ يرد بعض الأخبار التي تُروى من هذا القبيل، كما قال عما روي أنه حرز من يحضر مجلس ابن الجوزي بمائة ألف: «وريب أن هذا ما وقع، ولو وقع لما قدر أن يسمعهم، ولا المكان يسعهم!»(١).

وكما قال عما روي عن أبي منصور الخياط أنه أقرأ سبعين ألفًا من العميان: «قلت: هذا مستحيل، والظاهر أنه أراد نفسًا، فسبقه القلم فخط ألفًا»(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧). (٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٣).

دراسات تربوية

نظرات في التربية بالأهداف

بقلم: عبد الله عبد الرحمن البريدي

إن في الإسلام منهجًا تربويًا فريداً، يقوم على دعائم وأسس من شأنها إن هي لُمست وجُلّيت وأُبرزت أن تكوّن نظرية تربوية إسلامية متكاملة الأهداف، واضحة الخطوات، متناسقة المراحل، مضمونة الثمرات ـ بإذن الله ـ.

إن النظرات الجزئية للمنهج الإسلامي التربوي مفيدة ولا شك؛ بيد أنها تعجز عن تكوين وصياغة تلك النظرية؛ لأن ذلك فقط هو من شأن النظرات الشاملة العميقة المتكئة على دعائم قرآنية، وأسس نبويّة، وتطبيقات صحيحة يجب أن تنداح دائرتها لتشمل النظريات والتطبيقات المعاصرة المفيدة في علوم التربية والنفس والاجتماع ونحوها.

إن عملية تحديد دعائم وأسس النظرية التربوية الإسلامية ضرورة حتمية لصياغة النظرية وتكوينها، وهي في الوقت ذاته صعبة وشاقة؛ لذا فهي تستحق من أرباب العلم والفكر والإبداع: إجالة نظر في النصوص، وتأملاً وتفكراً في التطبيقات، كيما يتضح السبيل لصياغة النظرية التربوية المنشودة، وبلورة تفصيلاتها وإجراءاتها، وتجلية أهدافها وغاياتها.

إن منظومة الدعائم والأسس التربوية تنتظم عدداً كبيراً، لعل من أبرزها وأوضحها ما يلي:

١ ـ تحقيق التوحيد في النفس الإنسانية.

٢ ـ الأهداف التربوية: تحديداً وربطًا وتذكيراً.

٣ ـ الترغيب والترهيب.

٤ ـ مراعاة مقتضيات الفطرة الإنسانية .

٥ ـ الشمول والتكامل.

وفي هذا الموضوع سيكون التركيز على أساس ودعامة الأهداف مبيناً كيفية استخدام المنهج الإسلامي وتفعيله لهذا الأساس، ليكون توطئة وتمهيداً للحديث عن التربية بالأهداف.

معنى الهدف :

يدور المعنى اللغوي والاصطلاحي للهدف على معنى واحد مفاده : الغاية التي يُسعى إلى الوصول إليها وإلى تحقيقها، والغرض الذي يُراد إدراكه ونيله [1].

كل له غرض يسعى ليدركه
والحر يجعل إدراك العلا غرضاً

المنهج الإسلامي والأهداف :

إن المتأمل للمنهج الإسلامي ليدرك بجلاء دون أن تلحقه صعوبة أو تعتريه مشقة قدر العناية التي أولاها ذلك المنهج لقضية الأهداف، وكيف أن الإسلام يتكئ بكامل ثقله على أهداف محددة؛ تبني بمجموعها الهدف الأسمى والغرض الأوحد الذي جاء الإسلام لتحقيقه : وهو تحقيق العبودية الحقة لله ـ تعالى ـ، ويُتوصل بذلك إلى تحقيقه ونيله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

بعد تأمل للكيفية التي انتهجها المنهج الإسلامي فيما يتعلق بالأهداف، تمكنت من لمس الخطوات التي نفذها هذا المنهج لتفعيل دور الأهداف والإفادة منها، وهي متمثلة ـ بحسب اجتهادي ـ فيما يلي :

أولاً : تحديد الأهداف بدءاً ؛ وذلك بكل دقة ووضوح :

نقرأ في القرآن الكريم أنه خاطب رسولنا الأمين ﷺ ـ في أول آياته نزولاً [2] ـ بأن يقوم عازماً، وينهض راشداً، ويسير ثابتاً واثقاً صابراً، مزيلاً اللحاف والدثار ليحقق أهدافاً شاملة عظيمة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**

---

(١) المنجد في اللغة والأعلام، مادة هدف، ص ٨٥٨ .

(٢) ثبت في صحيح البخاري عن جابر أنه كان يقول : (أول شيء نزل من القرآن ﴿ **يا أيها المدثر** ﴾ ، والجمهور بأنها ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، والمهم أنها من أول الآي نزولاً .



(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر: ١ - ٦]، ثم توالت بعد ذلك آي القرآن العظيم لتبين هذه الأهداف وتفسرها وتكملها وتفضلها، **فهدف العلم محدد** بقوله - تعالى -: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ [العلق: ١]، **وهدف التحلي بجميل الخلق وعاطر المعاملة** وحسن السلوك بقوله - تعالى -: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤]، وقوله - تعالى -: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، **وهدف التماس الحكمة في الدعوة** بقوله - تعالى - ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهدف الثبات بقوله - تعالى -: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ [الحجر: ٩٩]

وهدف الانتماء للدين وأهله بقوله - تعالى -: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله - تعالى -: ﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وغير ذلك من الأهداف التي ناسب تقريرها في المجتمع المكي الذي كان يمر بظروف بداياته، ويتطلب التركيز على قضايا محددة.

ولقد أكد القرآن الكريم على أكثر الأهداف حتى بعد انتقال الجماعة المؤمنة من طور التأسيس العقدي والإيماني (مكة) إلى عهد البناء الشامل المتكامل (المدينة)؛ لأنها أهداف متناسقة متكاملة، **بيد أنه قرر أهدافاً أخرى، تستطيع الجماعة المؤمنة من خلالها أن تقيم البناء الإسلامي الحضاري الشامل**، فمن ذلك ما قرره القرآن بقوله - تعالى -: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢٢]

لقد دفع القرآن الكريم الأفواج المؤمنة لاقتحام مجالات الجهاد المتعددة وطرق أبوابه المتنوعة.

ثانيًا: ربط الحياة بهذه الأهداف:

رَبَطَ الإسلامُ حياة المسلمين بأهدافه السامية التي حددها في البداية بكل جلاء ووضوح عبر قوالب متعددة ووسائل متنوعة، لعل من أكثرها وضوحًا القالب المشكّل بـ ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾، ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فهل ثمة جزء من حياة الإنسان بقي دون أن يربط بالعبودية لله ـ تعالى ـ؟! لا وحاشا.

ثالثًا: التذكير بالأهداف:

إن المنهج الإسلامي رباني يتعامل مع الإنسان، مدركًا طبعه وجبلّته، ومراعيًا نقصه وضعفه؛ لذا فمن غير المستغرب أن تكثر النصوص التي تذكّر الإنسان ـ الذي يغفل ويذهل وينسى بحكم طبيعته ـ بالأهداف التي يجب أن يحققها، بل إنه يمكن تقرير أن نصوص الشرع جميعها تذكر بالأهداف ولكنها مختلفة في طبيعة التذكير وقوته وقالبه، إن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٥] من أقوى النصوص تذكيرًا وأكثرها ترداداً.

ولعل مما يجدر ذكره وتقريره أن الخطوات الثلاث سالفة الذكر لا تخص المنهج الإسلامي التربوي فحسب، بل هي صبغة اصطبغ الإسلام بها بأكمله؛ لذا فإنه يمكن الإفادة منها عند دراسة وتأصيل المناهج السياسية والاقتصادية والإدارية والنفسية والاجتماعية ونحوها.

وبعد هذا الاستعراض المجمل للكيفية التي انتهجها الإسلام ـ وذلك حسب فهمي ـ تجاه الأهداف، يمكنني أن أتناول موضوع التربية بالأهداف: مصطلحها ومنطلقاتها ومراحلها[١] وذلك عبر النقاط التالية:

تعريف التربية بالأهداف:

يمكن تعريف التربية بالأهداف بأنها «عملية إكساب المتربين سلوكًا

(١) استندت كثيراً من فلسفة المدرسة الإدارية الحديثة. (الإدارة بالأهداف)، ولمزيد من المعلومات عن هذه المدرسة يمكنك مراجعة كتاب: (الإدارة بالأهداف ـ النظرية والتطبيقية) د. علي عبد الوهاب.

دراسات تربوية

جديداً، أو ترسيخ سلوك معين من خلال تحديد الأهداف عبر المربين والمتربين معًا والتي يجب تحقيقها مع تحديد الوسائل الكفيلة بتحقيقها ».

منطلقات التربية بالأهداف:

تقوم هذه التربية على أسس، منها ما يلي:

١ ـ ضرورة تحديد الأهداف الواجب تحقيقها في البداية بشكل واضح ودقيق.

٢ ـ ضرورة مشاركة المتربين في عملية تحديد الأهداف أو بعضها، وذلك بحسب استطاعتهم، وقدراتهم العلمية والفكرية والنفسية والعمرية؛ **طلبًا لتحقيق الأهداف التالية:**

أ ـ شعور المتربين بتحقق ذواتهم، وذلك لاستشارتهم وأخذ آرائهم.

ب ـ شعورهم بالارتياح النفسي التام؛ لأنهم يعملون على تحقيق أهداف ساهموا هم في تحديدها.

ج ـ التوفيق بين أهداف المربين والمتربين (في حالة وجود تعارض).

٣ ـ تحديد الوسائل التي تحقق الأهداف المنشودة من خلالها.

خطوات التربية بالأهداف:

ثمة خطوات في ضوء التربية بالأهداف، يجب على المؤسسات التربوية (كوزارات المعارف والتربية والتعليم) أن تقوم بها:

أولاً: تحديد الأهداف الواجب تحقيقها في البداية بكل دقة ووضوح: وتحت هذه الخطوة يجب مراعاة الأمور التالية:

أ ـ وصفت الأهداف المحددة المنشودة بالواجبة التحقيق، وهذا يعني عدم ترك المربي ليحقق من الأهداف ما تميل إليها نفسه، أو تتفق معها طبيعته وجبلته، أو أن تحقيق تلك الأهداف سهل المنال، أو أنها مما يتقنه ويقدر عليه!! إن الأمانة التربوية تقتضي تحديد الأهداف التربوية الواجبة التحقيق ليتم تحقيقها في الواقع التربوي، ولهذا ندرك أن ممارسات بعض المربين السلبية مخالفة للأمانة التربوية .. إنهم أولئك الذين لا يحققون إلا الأهداف التي تتفق مع قدراتهم وطبيعتهم وميولهم ورغباتهم.. إن بعضهم مغرم بالكمال، متشدق به، متكلف لأحواله، متلبس بزيه، إنه ليس ثمة نقص يعتريه، ولا عيب يكتنفه!! لذلك فقد استحالت

ممارساتهم التربوية إلى «استنساخ تربوي» !! وبعضهم لا يريد ذلك، ولكنهم يتجهون إلى الأهداف التي يتمنون تحقيقها بمقتضى الجبلَّة والفطرة، وبهذا نعرف قدر وصية أحد السلف لابنه وأهميتها؛ إذ هو يقول له: (يا بني تعلم العلم كله؛ فإن الإنسان عدو ما جهل، ولا أريدك أن تكون عدواً لشيء من العلم)، إن الإحاطة والإلمام بفنون العلم والثقافة في الوقت الحاضر من الصعوبة بحيث لا مفر من أن يستفيد بعضنا من بعض، فكلنا يكمل الآخر.

ب ـ ثمة اعتبارات علمية يجب مراعاتها عند تحديد الأهداف التربوية:

١ ـ تحديد الأهداف بدقة ووضوح بحيث تفهم من الجميع فهماً واحداً، ولتوضيح المقصود نفترض أن من ضمن الأهداف المحددة: حفظ ما تيسر من القرآن.

إن هذا الهدف عام وفضفاض، وقابل لتفسيرات متعددة.

٢ ـ تناسق الأهداف وتكاملها وعدم تعارضها.

٣ ـ واقعية الأهداف، وذلك بإمكانية تحقيقها، وهي باعتبارين:

أ ـ باعتبار كل هدف على حدة؛ وذلك بكونه ممكن التحقق.

ب ـ باعتبار الأهداف مجتمعة؛ وذلك بكونها ممكنة التحقق في وقت واحد.

٤ ـ صياغة الأهداف بشكل قابل للقياس طلباً لتحديد نسبة النجاح في تحقيقها وذلك بربطها بأمر أو أكثر من الأمور التالية:

أ ـ الزمن: مثل: حفظ كتاب الله ـ تعالى ـ في فترة لا تتجاوز السنتين.

ب ـ الكمية: مثل: حفظ وجه واحد من القرآن يومياً.

٥ ـ ترتيب الأهداف بحسب أهميتها.

٦ ـ أن تكون الأهداف من نوع واحد، فإما أن تكون رئيسة (استراتيجية) أو مرحلية (تكتيكية أو فرعية)، ولا يصح الجمع بينها؛ لأن الرئيسة تشمل المرحلية (مثل هدف: تعبيد الأفراد لله ـ تعالى ـ [رئيس] وهدف: تربية الأفراد على أعمال القلوب [فرعي] أليست التربية من التعبيد لله؟] ومن البدهي وجوب كون

دراسات تربوية

الأهداف التربوية مشروعة وشاملة.

ج ـ لتسهيل عملية تحديد الأهداف وعملية تحقيقها، يمكن أن تقسم إلى أقسام:

فمن حيث النوع: يمكن تقسيمها إلى: أهداف رئيسة، وأهداف مرحلية.

ومن حيث الزمن: يمكن تقسيمها إلى: أهداف طويلة أو متوسطة أو قصيرة الأجل.

ثانياً: تحديد الوسائل الكفيلة بتحقيق الأهداف المنشودة بأعلى كفاءة ممكنة؛ وعند تحديد مثل تلك الوسائل يجب مراعاة الأمور التالية:

١ ـ أن تحقق الوسائل (البرامج العملية) الأهداف المحددة بأعلى كفاءة ممكنة.

٢ ـ أن تكون الوسائل مرنة، بحيث يمكن تعديلها عند الحاجة.

٣ ـ أن تتضمن البرامج العملية كيفية مواجهة العقبات المستقبلية (إن وجدت).

٤ ـ الاستفادة من العلوم الحديثة النافعة، كعلوم التربية والنفس والاجتماع والفسيولوجيا والإدارة والاقتصاد وغيرها.

بالإضافة إلى الاعتبارات العلمية الثلاثة الأولى المذكورة آنفاً (الخاصة بالأهداف).

ثالثاً: يجب تحديد نسبة النجاح في تحقيق كل هدف عقب فترة محددة طلباً لتشجيع وزيادة الإيجابيات والنجاحات، والتماساً لعلاج الأخطاء والسلبيات وتلافيها، وهذه الخطوة تظهر بجلاء أهمية كون الأهداف قابلة للقياس (الاعتبار العلمي الخاص بالأهداف رقم ٤).

رابعاً: التذكير بالأهداف الواجب تحقيقها على فترات دورية، لئلا يُنسى بعضها!!

إن شركة (ماتسوشيتا) وهي شركة يابانية استطاعت أن تحقق نجاحات كبيرة لتصبح من كبريات الشركات العالمية، تؤكد على هذه الخطوة، وتعرف أهميتها وثمرتها، وذلك بأنها تطلب من مديريها وعمّالها أن يرددوا أهداف الشركة صباح كل يوم[١].

(١) لم أقصد أن السبب الوحيد في نجاح الشركة هو ترديد الأهداف، وإنما قصدت أنه من ضمن الأسباب الرئيسية في ذلك. ولمزيد من المعلومات عن هذه الشركة وفلسفتها، انظر كتاب: (فن الإدارة اليابانية) باسكال وآخر، ترجمة حسن ياسين.

خامساً: مراجعة الأهداف المنشودة والوسائل المحددة عقب فترة زمنية معينة؛ وذلك لإجراء التعديلات اللازمة لمقتضيات شرعية أو واقعية، وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية التجديد في البرامج العملية طرداً لسآمة المربين ودفعاً لملل المتربين!!.

الخلل التربوي:

يجمع المربون على وجود خلل واضح في المنتجات التربوية ناتج من وجود تصدع بيِّن في البنية التحتية للتربية، بيد أنهم يختلفون كثيراً في أسباب الظاهرة وعلاجها، وفي رأيي ـ المتواضع ـ أن للظاهرة أسباباً متعددة يمكن إرجاعها إلى سبب واحد هو غياب الأهداف التربوية الواضحة التي يجب على المربي تحقيقها.

فكيف ـ والحالة كهذه ـ يحقق المربي نجاحًا مثمراً وهو لا يدري في حالات كثيرة ما هي المواصفات التي يجب التقيد بها؟!!

إن بعض المربين قد يغفل عن بعض الأهداف لمدة قد تصل إلى سنوات؟! فماذا عن المُنتَج..؟ قطعاً إنه معيب !!

وهنا يأتي دور المؤسسة التربوية في صياغة وتحديد الأهداف التربوية، ومطالبة المربين بتحقيقها، وذلك لئلا يُلجأ المربي لأن يجتهد .. فيخطئ ويغفل وينسى![1].

المعادلة التربوية الفعالة:

إن خلاصة القول يمكن قراءتها في أحرف هذه المعادلة:

قصد ونية خالصة نقية + أهداف ووسائل شرعية علمية = صنع أجيال فتية للمجد بانية.

---

(١) إن عملية تحديد الأهداف صعبة وهي مناطة بالمؤسسة التربوية، ولا مناص من الاجتهاد في حالة تقصيرها، ويمكن الاستفادة من بعض الكتب في هذا الموضوع مثل: أهداف التربية الإسلامية، محمد الحريري، وأهداف التربية الإسلامية وغايتها، د. مقداد يالجن.

مقال

المنهج السديد في عرض مادة التوحيد

تجربة ذاتية لتدريس مادة العقيدة

بقلم: د. أحمد بن أحمد شرشال

لماذا مادة التوحيد؟!: من خلال تجاربي الشخصية الطويلة مع شرح ابن أبي العز لمتن الطحاوي ـ رحمه الله ـ لمست عزوفًا ونفوراً من قِبَلِ بعض الطلاب في القسم الجامعي(*) عن فهم واستيعابه هذا الشرح.

ولا غرو في ذلك؛ فقد كنت أعاني شيئًا من ذلك وأقاسيه عندما كنت طالبًا؛ لأن أستاذ هذه المادة كان يتلو علينا هذا الشرح، ويردد كل ما فيه؛ ولا ندري كيف دخل في الموضوع، ولا كيف خرج منه؟

ولما صرت إلى ما صار إليه، وأُسند إليَّ تدريس هذه المادة وقعت فيما وقع فيه أستاذي، وانتابتني حيرة وارتباك في عرض الموضوع، وأدركت عدم انسجام الطلاب مع هذه المادة الأساسية؛ بل إنني سمعت كلامًا منهم فيه بعض التهوين من شأن مادة العقيدة.

فتوقفت مليًا في النظر في إعراض بعض الطلاب ونفورهم من هذه المادة، وقلَّبت الأمر على جميع وجوهه في محاولة لاستكناه الحقيقة وتشخيص الداء.

وبينما كنت أفكر إذ لاح لي أن المنهج والطريقة في عرض موضوعات العقيدة بأسلوب السرد، وكثرة حكاية ضلال المتكلمين، ورصد شبهاتهم؛ هو الذي سبَّب هذا النفور، وعكس هذه الحال؛ فضاع القصد في خضم هذا الركام لا في العقيدة نفسها ـ معاذ الله ـ وإنما هو في العرض والتقديم.

ومن ثم قمت بهذه المحاولة عساها تكون مرغوبة، وسطرت هذه الفكرة علها تكون مفيدة، وجعلت ذلك بعنوان: (المنهج السديد في عرض مادة التوحيد).

وطبقت هذا المنهج وهذه الطريقة في تدريسي لهذه المادة الأساسية، فوجدت أثره في الطلاب نافعاً والإصغاء إليه كاملاً والتطلع إليه سريعاً، وتحول النفور إلى رغبة، والخروج من المحاضرة إلى حضور واستقرار، وظهر البِشْر على محياهم؛ وكلما دخلت عليهم قابلوني بوجوه مستبشرة، وساد في القسم الوئام والاحترام والتقدير.

ومن باب: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها...»، رأيت أن لا أستأثر بذلك، فأسطِّر تجربتي، وأنقلها لإخواني.

أصل المنهج المقترح: أقول ـ ومن الله أستمد العون والتوفيق ـ: إن هذه الطريقة لم تخرج عن المنهج السلفي، وقصارى ما فيها الجمع والحصر للآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الموضوع، ثم شرح هذه الآيات؛ وعن طريق المقارنة والموازنة نصنف المعاني المشتركة بطريق الشرح اللغوي لمفردات الموضوع وعناصره الأساسية؛ وهذا لا يكون إلا بعد الاستقراء والاستنتاج، وإن كان هذا العمل مرهقاً للأستاذ إلا أن نتائجه النافعة تنسيه مشقة البحث.

وبعد ذلك نعقب، ونورد كلام العلماء ونصوص الأئمة: قبولاً، ورداً، ومناقشة واقتباساً واستشهاداً وهنا يكون محل رد الشبهات ودحضها إن كانت لا تزال قائمة، وقد تتهاوى تلقائياً.

نماذج تطبيقية: مفهوم العرش في اللغة والقرآن: وأضرب لذلك مثلاً حياً تطبيقياً إذا كنا بصدد شرح قول الإمام الطحاوي ـ رحمه الله ـ: (.... والعرش والكرسي حق...)[1].

معنى هذه الجملة: أن العرش والكرسي حق ثابت بالكتاب والسنة، و(حق) خبر المبتدأ وهو (العرش) قال ابن مالك:

والخبر الجزء المتم الفائدة كالله بر والأيادي شاهدة

واقتداء بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] على أحد وجوه التفسير؛ فإن بابنا الوحيد الذي نلج منه إلى هذا الموضوع هو القرآن والسنة.

ونبدأ بالجزء الأول؛ لأن كلام الطحاوي تضمن موضوعين: العرش،

(١) قارن شرحنا بشرح ابن أبي العز، ص ٢٥٤.

مقال

والكرسي؛ وكلاهما ثابت بدلالة الكتاب والسنة كما سيأتي مفصلاً.

ونقول: إن مادة: (عرش) في جميع صيغها وردت في ثلاث وثلاثين موضعًا في كتاب الله مختلفة الصيغ والأبنية، وتتفق في معنى مشترك وهو العلو والارتفاع.

قال القرطبي: (وأصل التعريش: الرفع. يقال: عرش يعرش، إذا بنى وسقف)[1].

وقوله: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ الواردة في البقرة والكهف والحج معناها: خلت من السكان، وتهدمت، وسقطت سقوفها.

العرش: سقف البيت. والعروش: الأبنية المسقفة بالخشب. يقال: عرش الرجل يعرش: إذا بنى وسقف بخشب. والعريش سقف البيت.

قال القرطبي: (وكل ما يتهيأ ليظل أو يكنَّ فهو عريش، ومنه عريش الدالية)[2] يقصد عريش الكرم وهو شجر العنب؛ فيكون المعنى: سقط السقف، ثم سقطت الحيطان عليه؛ واختاره ابن جرير الطبري. وهذه الصفة في خراب المنازل من أحسن ما يوصف به.

وقريب من هذا المعنى في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] معروشات: ما يحتاج أن يتخذ له عريش يحمل عليه فيمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه.

وجاء في القرآن معنى آخر للعرش يؤول إلى الأول وهو عبارة عن السرير الذي يجلس عليه الملك للحكم: أي سرير المملكة ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

حقيقة العرش: وإذا عرفنا معنى العرش في الاستعمال اللغوي واللسان العربي: فما حقيقته هنا في هذه الآيات السبع، وفي غيرها مما كان مضافًا إلى الله ـ عز وجل ـ؟

الجواب: لا نعلم ذلك ولا يجوز لنا أن نقيسه على الأول؛ لأن الأول من عالم الشهادة وهو محسوس وملموس ومضاف إلى البشر، والثاني من عالم الغيب ومضاف إلى الله ـ عز وجل ـ والله ـ عز وجل ـ امتدح ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) الجامع للقرطبي، ٧/٢٧٢.

(٢) الجامع للقرطبي، ٣/٢٩٠.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة : ٣] .

وطريقنا الوحيد في ذلك : أن نتلمس بعض الأوصاف عند الذين اصطفاهم الله وأعلمهم بذلك ؛ كما بين ذلك القرآن فقال ـ عز وجل ـ : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] .

ولذلك فإننا نتلمس أوصاف العرش من القرآن ومن السنة فنقول :

ثبت في القرآن أن العرش على الماء : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود : ٧] وثبت أن للعرش قوائم تحمله الملائكة حافين حوله يسبحون بحمد ربهم ؛ فقد قال ـ تعالى ـ : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٧] وقال في وصفه أيضاً : ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر : ٧٥] ، وقال أيضاً : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر : ٧] ، ثم نتدرج إلى وصف من هو أعلم الخلق بربه ؛ إذ قال ﷺ : « إن عرشه على سماواته لهكذا » وقال بأصابعه : « مثل القبة . . الحديث »[١] .

وثبت في وصفه أنه فوق الفردوس كما في صحيح البخاري عن النبي ﷺ : « إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ؛ فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن »[٢] .

ونحن إذ نستعرض هذه النصوص نستنتج أن العرش : سرير ذو قوائم ، تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات على الصفة التي تليق بعرش الله . وقد فهم هذا المعنى بعض الشعراء ، وذكره مشهور عندهم في الجاهلية والإسلام .

وقال الشوكاني في بيان صفة العرش : « وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن وإحاطته بالسماوات والأرض وما بينهما وما عليهما »[٣] .

وحينئذ لا يجوز لنا أن نتجاوز الوصف الذي حدده الله في القرآن وبينه النبي ﷺ في السنة .

الاستواء في اللغة، وفي القرآن: ونعود مرة أخرى إلى كتاب الله

---

(١) جزء من حديث رواه أبو داود ، ٤ / ٣٦٩ .

(٢) فتح الباري ، ١٣ / ٣٤٩ . (٣) فتح القدير ، ٢ / ٢١١ .

مقال

ناظرين في معنى قوله: ﴿اسْتَوَىٰ﴾ وبيان وجوه استعمالها في القرآن.

حقيقة الاستواء في اللغة: التساوي واستقامة الشيء واعتداله. وورد في كلام العرب على معان اشترك لفظه فيها؛ فيكون بمعنى الاستقرار، ويكون بمعنى القصد، ويأتي بمعنى العلو والركوب؛ ويأتي بمعنى المماثلة والمساواة كقوله ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]، وجاء بهذا المعنى في سبع عشرة موضعًا (١). ومنها ما يكون بمعنى بلوغ القوة العقلية والبدنية وكمالهما؛ ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [القصص: ١٤] أي بلغ مبلغًا يؤهله لقبول العلم والحكمة.

ومنها: ما يجيء بمعنى الاستقرار والرسو نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وجاءت بمعنى الركوب على الدابة وعلى الفلك كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨] ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣] وجاء هذا الفعل هنا متعديًا بحرف الجر ﴿عَلَى﴾ الذي فيه معنى الاستعلاء والركوب.

قال ابن كثير: «لتستووا متمكنين مرتفعين»(٢)، فتكون هنا بمعنى: علا على الدابة والفلك واستعلى على ظهرها متمكنًا منها. وجاء هذا الفعل متعديًا بـ ﴿إِلَى﴾ في موضعين في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] وفي الآية ١١ من سورة فصلت. قال أبو العالية: استوى ارتفع. وقال مجاهد: استوى علا. وقد فسرها الطبري بالعلو بعد أن ذكر أقوالاً كثيرة حيث قال: «وأولى المعاني في قوله ـ عز وجل ـ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ علا ـ تبارك وتعالى ـ عليهن، ودبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات»(٣). وذكر ابن حجر في تفسير: ﴿اسْتَوَىٰ﴾ أقوالاً عديدة ثم قال: «وأما تفسير ﴿اسْتَوَىٰ﴾ علا فهو صحيح وهو المذهب الحق وقول أهل السنة؛ لأن الله ـ تبارك وتعالى ـ

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي، ٧/ ٢٧٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ١٣٠.

(٣) تفسير الطبري، ١/ ١٧٥.

وصف نفسه بالعلو»[1]. أما الحافظ ابن كثير: فقد جعل الفعل ﴿ اسْتَوَىٰ ﴾ متضمناً لمعنى القصد والإقبال؛ لأنه عُدِّيَ بـ: «إلى» أي قصد إلى السماء[2]

وهنا يجب علينا أن نتوقف ونقارن بين هذه الآيات التي كان الاستواء فيها على الدابة وعلى الفلك بالآيات السبع السابقة التي كان الاستواء فيها على العرش وإلى السماء؛ وكلها تعدت بحرفي الجر: ﴿ عَلَى ﴾ و﴿ إِلَى ﴾ فهل يتفق هذا الاستواء بذاك؟ اللهم! لا؛ لأن استواء البشر العاجز الفاني لا يشابه استواء الكامل المتفرد بألوهيته وربوبيته؛ فيكون استواء الله على عرشه يليق بجلاله وسلطانه، واستواء البشر على مركوبه يليق بفقره وعجزه.

وقد يتماثل اللفظان ولكن يجب أن يعبر كل واحد بمعنى لائق بالمقام الذي قيل فيه؛ فالقرآن حكى وصف الهدهد لعرش بلقيس فقال: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣] وبيَّن القرآن وصف عرش الرحمن فقال: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦] كلاهما وصف بالعظمة وبينهما من البون ما لا يعلمه إلا الله؛ فعرش بلقيس عظيم بين عروش الملوك مثلها، وعرش الرحمن أعظم؛ فلا بد من اعتبار المقام في فهم الكلام.

وهنا يجب أن يتوقف دور العقل والتوهم والتخيل وإفساح المجال للسمع والنقل وحده؛ وهو الكفيل بضمان عدم الوقوع في الردى وهو التشبيه والتأويل. فاستواء البشر على الفلك والأنعام معقول المعنى محسوس مشاهد، واستواء الله على عرشه لا تدركه العقول؛ لأن الأول مضاف إلى البشر، والثاني مضاف إلى الواحد الأحد: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

منهج السلف في مثل ذلك: وهذا هو منهج السلف في إثبات الاستواء لله على وجه يليق بجلاله وكماله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل[3].

ولهذا قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة»[4].

---

(١) فتح الباري، ١٣/٤٠٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/٧٢.

(٣) انظر معارج القبول، ١/١٠٩.

(٤) وقد استوعب الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمه الله ـ نصوص الأئمة وأقوال الصحابة والتابعين في كتابه القيم: معارج القبول ١/١٠٩.

مقال

قال الحافظ الذهبي في كتاب العلو بعد ذكره لقول مالك: وهو قول أهل السنة قاطبة: أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به: لا نتعمق، ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا؛ بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون؛ ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه؛ ونعلم يقينًا مع ذلك أن الله ـ جل جلاله ـ لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله ـ سبحانه وتعالى ـ[1].

الكرسي في القرآن واللغة: ثم نواصل الشرح إلى الجملة الثانية: « **والكرسي حق** » أقول: إن الكرسي حق ثابت في كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة نبيه ﷺ، نؤمن به على ما جاء في كتاب الله، ولا نشتغل في البحث عن صفته. وقد ورد في القرآن في موضعين:

أولهما: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ثانيهما: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا**﴾ [ص: ٣٤].

ويجب علينا بادئ ذي بدء أن نفرق بين الاستعمالين للفظ (كرسي) في الآيتين: الأول مضاف إلى الله ـ عز وجل ـ والثاني مضاف إلى نبي الله سليمان ﷺ. فالأول مضاف إلى الخالق، والثاني مضاف إلى المخلوق. فإذا علمنا هذا فإننا لا نقع في مزالق المتكلمين؛ فتماثل اللفظين يجب أن يُفهم من كل منهما معنى يليق بالمقام، وإذا تأملنا الكرسي المضاف إلى المخلوق في اللغة نجد أن ابن منظور ذكره في مادة: « كرس » وقال: كرس: تكرس الشيء وتكارس: تراكم وتلازب. وتكرس أسُّ البناء: صلب واشتد.

والكرس: أبوال الإبل والغنم وأبعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار ثم قال: والكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه كما يقال: اجعل لهذا الحائط كرسيًا: أي ما يعتمد عليه[2].

أقول: ولعل هذا هو المراد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا**﴾

---

(١) محاسن التأويل، ٧/ ٢٧٠٤. (٢) لسان العرب لابن منظور مادة: « كرس ».

وهو الكرسي الذي كان يجلس عليه نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ للحكم؛ فهذا معقول المعنى؛ فهو بمقدار ما يسع شخصاً واحداً في جلوسه؛ فإن زاد على مجلس واحد وكان مرتفعاً فهو العرش كما تقدم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] فهذا هو الكرسي المضاف إلى البشر معقول المعنى، مشاهد محسوس؛ فهو من عالم الشهادة.

أما قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهو من عالم الغيب كما قدمنا؛ فيكون طريقنا إلى فهمه النقل والنص؛ لأن الكرسي هنا مضاف إلى الله ـ عز وجل ـ. ومعنى هذه الجملة يقال: وسع فلان الشيء يسعه سعة إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به. ولا يسعك هذا: أي لا تطيقه ولا تحتمله؛ ومنه قوله ﷺ: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي» أي لا يحتمل غير ذلك. والمعنى أنها صارت فيه، وأنه وسعها ولن يضيق عنها لكونه بسيطاً واسعاً. وقوله: ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ آده يؤوده: إذا أثقله وأجهده أي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما[١].

والضمير يعود إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويجوز أن يكون للكرسي؛ لأنه من أمر الله؛ فالآية تدل على أنه شيء عظيم دون التعرض لذات الكرسي. وروي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن كرسيه وسع السماوات والأرض، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد من الثقل»[٢].

الأقوال في معنى الكرسي:

وهنا يتأخر العقل وينتهي الدور المنوط به، ويتقدم النقل؛ فمن التزم النص والنقل فاز وظفر بالمطلوب، ومن خالف فقد وقع بالزلل، ومن هؤلاء:

١ ـ جماعة من المعتزلة نفوا وجود الكرسي وأخطأوا في ذلك خطأً بيِّناً. واختار هذا الباطل: القفال، والزمخشري، وقالوا: ما هو إلا تصوير لعظمته وملكه؛ ولا حقيقة له، وقيل هو ملكه[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٣٢.
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٣٣٢.
(٣) تفسير الرازي ١٤/ ١٤.

٢ ـ وذهب جماعة إلى أن كرسيه هو قدرته التي يمسك بها السموات والأرض كما يقال: اجعل لهذا الحائط كرسيًا أي ما يعتمد عليه.

٣ ـ وقيل إن الكرسي هو العرش رواه ابن جرير الطبري عن الحسن البصري وذكره ابن كثير واختار هذا جلال الدين السيوطي. قال القرطبي: «وهذا ليس بمرضٍ»[١]. وقال ابن كثير: والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه؛ كما دلت على ذلك الآثار والأخبار[٢].

٤ ـ وقال جماعة: كرسيه: علمه وهو عبارة عن العلم، رواه الطبري عن ابن عباس من طريقين؛ ومنه قيل للعلماء: كراسي؛ لأن العالم يجلس على كرسي ليعلِّم الناس، ومنه الكراسة التي يُجمع فيها العلم، ورجح هذا ابن جرير الطبري[٣]، وهي رواية شاذة عن ابن عباس كما قال الشيخ أحمد شاكر.

٥ ـ والمحفوظ عن ابن عباس كما رواه ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش، والحاكم في المستدرك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أنه قال: الكرسي: موضع القدمين، والعرش لا يقدِّر قدره إلا الله[٤]، وصحح هذه الرواية الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ فقال: «هي رواية ـ علم الله ـ شاذة لا يقوم عليها دليل من كلام العرب؛ ولذلك رجح أبو منصور الأزهري الرواية الصحيحة عن ابن عباس التي تقول: إن الكرسي موضع القدمين، وقال: هذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها؛ ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل»[٥]، ورجحه الشوكاني في تفسيره فقال: «والحق القول الأول ـ موضع القدمين ـ ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات تسببت عن جهالات وضلالات[٦] والله أعلم. وهنا نطوي الكلام خشية الإطالة.

---

(١) الجامع للقرطبي، ٢/٣٠٠، زاد المسير، ١/٣٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/٣٣٣.

(٣) تفسير الطبري، ٣/٣٢، فتح القدير، ١/٢٧٢.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/٣٣٢، زاد المسير، ١/٣٠٤.

(٥) حاشية زاد المسير، ١/٣٠٤.

(٦) فتح القدير، ١/٢٧٢.

من محاسن هذا المنهج في تعليم العقيدة:

وفي الختام أقول: لعل هذه الطريقة فيها بعض الجدة والابتكار والمرغبة فتأخذ بمجامع قلب الطالب، وتؤثر في سلوكه ـ والفضل لله وحده ـ . ومن محاسنها أنه يتعلم اللغة العربية من خلال الشرح اللغوي لمفردات الموضوع الواردة في القرآن وتتبع موادها وصيغها المتنوعة؛ فيكون بذلك حصل له تعلم تفسير القرآن الكريم؛ وهو مطلوب لذاته.

فهذه الطريقة جمعت بين شرفين عظيمين: شرف الوسيلة، ونبل المقصد؛ فالمنهج الذي قصدناه لشرح الموضوع هو في حد ذاته مراد لنفسه إرادة الغايات والمقاصد، مطلوب لذاته؛ بل إنه من أهم المقاصد لفهم معاني الكتاب العزيز، ولأن العقيدة لا تنفك عن القرآن، ومن أهم محاسنها ربط الطالب بالقرآن. ومن فوائد هذه الطريقة أن يتعلم الطالب الشمولية والاستيعاب لمكونات الموضوع وأساسياته؛ فقد اشتملت على ما ذكره ابن أبي العز وزيادات كثيرة؛ وإن هذا المنهج خلا من السرد وحكايات ضلال المتكلمين وشبهاتهم إلا لماماً.

ومن محاسنها ـ أيضاً ـ أن يتعلم الطالب العقيدة بطريق غير مباشر؛ فينبغي أن تكون نتيجة يبرهن عليها الأستاذ من خلال الكتاب والسنة بالتحليل والمقارنة، ويجب على أستاذ المادة أن يجعلها ضالة ينشدها في عرضه ونتيجة يصل إليها فهم الطالب ذاتيًا فتؤثر فيه وتثمر ـ بإذن الله ـ فينقاد، ويذعن عن طريق الاقتناع الذاتي.

وهذا المنهج موافق للمنطق العقلي؛ حيث تدرج العرض بالطالب من المعاني المحسوسة إلى المعاني المعقولة إلى حيث يعجز الإدراك وينقطع الطمع؛ وحينئذ نمتطي به سبيل السمع، ونركب له طريق النص، فنكل الأمر إلى مولاه، ونثبت اللفظ على ما جاء على مراد الله بدون تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل؛ بل نؤمن به، ولا نبحث عن حقيقته ولا نتكلم فيه بالرأي . **والله أعلم.**

(*) الكاتب أستاذ في (معهد العلوم الإسلامية والعربية) القسم الجامعي في موريتانيا، التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ـ البيان ـ

دراسات دعوية

ظاهرة ضعف الإيمان

أعراضها - أسبابها - علاجها

بقلم: محمد عبد العزيز اللحيدان

إن ظاهرة ضعف الإيمان مما عم وانتشر في المسلمين؛ وهناك من الناس من يشتكي من قسوة قلبه، وتتردد عباراتهم: «أحس بقسوة في قلبي»، «أقع في المعصية بسهولة» وكثيرون آثار المرض عليهم بادية. وهذا المرض أساس كل مصيبة وسبب كل نقص وبلية. وموضوع القلوب موضوع حساس ومهم، وقد سمي القلب قلباً لسرعة تقلبه، قال - عليه الصلاة والسلام -: «إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن»[1]. وهو شديد التقلب كما وصفه النبي ﷺ بقوله: «لقلب ابن آدم أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً»[2].

وحيث «أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه لن ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم» وأن الويل ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] وأن الوعد بالجنة لـ ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣] كان لا بد للمؤمن أن يتحسس قلبه، ويعرف مكمن الداء وسبب المرض، ويشرع في العلاج قبل أن يطغى عليه الران فيهلك؛ والأمر عظيم والشأن خطير؛ فإن الله قد حذرنا من القلب القاسي والمقفل والمريض والأعمى والأغلف والمنكوس والمطبوع والمختوم عليه.

---

(١) رواه أحمد، ٤/٤٠٨ وهو في صحيح الجامع، ٢٣٦٥.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة رقم ٢٢٦ وإسناده صحيح: ظلال الجنة، ١/١٠٢.

وفيما يلي محاولة للتعرف على مظاهر مرض ضعف الإيمان وأسبابه وعلاجه:

أولاً: مظاهر ضعف الإيمان:

إن لمرض ضعف الإيمان أعراضًا ومظاهر متعددة، منها:

١ ـ الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات: من العصاة من يرتكب معصية معينة يصر عليها، ومنهم من يرتكب أنواعًا شتى من المعاصي، وكثرة الوقوع في المعصية يؤدي إلى تحولها إلى عادة مألوفة، ثم يزول قبحها في القلب تدريجيًا حتى يقع العاصي في المجاهرة بها ويدخل في حديث: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين... إلخ»[1].

٢ ـ ومنها: الشعور بقسوة القلب وخشونته: حتى يحس الإنسان أن قلبه قد انقلب حجرًا صلدًا لا يترشح منه شيء، ولا يتأثر بشيء، والله ـ جل وعلا ـ يقول: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ [البقرة: ٧٤]. وصاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه موعظة الموت ولا رؤية الأموات، وربما حمل الجنازة بنفسه، وواراها بالتراب، لكن سيره بين القبور كسيره بين الأحجار.

٣ ـ ومنها: عدم إتقان العبادات: ومن ذلك شرود الذهن أثناء الصلاة، وتلاوة القرآن والأدعية ونحوها، وعدم التدبر والتفكر في معاني الأذكار.

٤ ـ ومن مظاهر ضعف الإيمان: التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها، وقد وصف الله ـ عز وجل ـ المنافقين بقوله: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ**﴾ [النساء: ١٤٢] ويدخل في ذلك عدم الاكتراث لفوات مواسم الخير وأوقات العبادة؛ وهذا يدل على عدم اهتمام الشخص بتحصيل الأجر.

٥ ـ ومن المظاهر: ضيق الصدر، وتغير المزاج، وانحباس الطبع حتى كأن على الإنسان ثقلاً كبيرًا ينوء به فيصبح سريع التضجر والتأفف من أدنى شيء.

٦ ـ ومن المظاهر أيضًا: عدم التأثر بآيات القرآن لا بوعده ولا بوعيده، ولا بأمره ولا نهيه، ولا في وصفه للقيامة، فضعيف الإيمان يمل من سماع القرآن، ولا تطيق نفسه مواصلة قراءته فكلما فتح المصحف كاد أن يغلقه.

---

(١) رواه البخاري، فتح، ١٠/٤٨٦، ط. دار الفكر.



٧ ـ **ومنها**: الغفلة عن الله ـ عز وجل ـ عن ذكره ودعائه ـ سبحانه وتعالى ـ فيثقل الذكر على الذاكر، وإذا رفع يده للدعاء سرعان ما يقبضهما ويمضي؛ وقد وصف الله المنافقين بقوله: ﴿ **إنَّ الْمُنَافقينَ يُخَادعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادعُهُمْ وَإذَا قَامُوا إلَى الصَّلاة قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إلاَّ قَليلاً** (١٤٢) ﴾ [النساء: ١٤٢].

٨ ـ **ومن مظاهره**: الفزع والخوف عند نزول المصيبة أو حدوث مشكلة؛ فتراه مرتعد الفرائص، مختل التوازن، شارد الذهن، شاخص البصر، يحار في أمره عندما يصاب بملمة أو بلية، فتنغلق في عينيه المخارج، وتركبه الهموم؛ فلا يستطيع مواجهة الواقع بجنان ثابت وقلب قوي، وهذا كله بسبب ضعف إيمانه.

٩ ـ **ومنها**: الشح والبخل: فلا شك أن ضعف الإيمان يولد الشح؛ قال ﷺ: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»[1].

١٠ ـ **ومن مظاهر ضعف الإيمان**: التعلق بالدنيا، والشغف بها، والاسترواح إليها، فيتعلق القلب بالدنيا إلى درجة أن يحس بالألم إذا فاته شيء من حظوظها كالمال والجاه والمنصب والمسكن، ويعتبر نفسه سيئ الحظ، ويحس بألم أكثر إذا رأى أخاه المسلم قد نال بعض ما فاته هو من حظوظ الدنيا.

١١ ـ **عدم الاهتمام بقضايا المسلمين، ولا التفاعل معها لا بدعاء ولا صدقة ولا إعانة**؛ فهو بارد الإحساس تجاه ما يصيب إخوانه في بقاع العالم من تسلط العدو والقهر والاضطهاد والكوارث، فيكتفي بسلامة نفسه؛ وهذا نتيجة ضعف الإيمان.

ثانياً: أسباب ضعف الإيمان:

١ ـ **الابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة**: وهذا مدعاة لضعف الإيمان في النفس، يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد: ١٦].

٢ ـ **ومن الأسباب**: الابتعاد عن طلب العلم الشرعي والاتصال بكتب السلف والكتب الإيمانية، التي تحيي القلب؛ فهناك أنواع من الكتب يحس

---

(١) رواه النسائي: المجتبى ٦/١٣، وهو في صحيح الجامع، ٢٦٧٨.

القارئ بأنها تستثير في قلبه الإيمان، وتحرك الدوافع الإيمانية الكامنة في نفسه؛ وعلى رأس هذه الكتب: كتاب الله ـ تعالى ـ وكتب الحديث، ثم كتب العلماء المجيدين في الرقائق والوعظ الذين يحسنون عرض العقيدة بطريقة تحيي القلب، مثل: كتب العلامة ابن القيم، وابن رجب، وغيرهما.

٣ ـ ومنها: وجود الإنسان في وسط يعج بالمعاصي؛ فهذا يتباهى بمعصية ارتكبها، وآخر يترنم بألحان أغنية وكلماتها، وثالث يدخن، ورابع يبسط مجلة ماجنة، وخامس لسانه منطلق باللعن والسباب والشتائم... وهكذا، أما القيل والقال والغيبة والنميمة وأخبار المباريات فمما لا يحصى كثرة.

٤ ـ طول الأمل: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣] وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: «إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل. فأما اتباع الهوى: فيصد عن الحق، وأما طول الأمل: فينسي الآخرة»[١] وجاء في الأثر: «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا». وقيل: «من قصر أمله قصر همه وتنوَّر قلبه؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة»[٢].

٥ ـ ومن أسباب ضعف الإيمان وقسوة القلب: الإفراط في الأكل والنوم والسهر والكلام والخلطة، وكثرة الضحك؛ فإن الوقت الذي لا يُملأ بطاعة الله ـ تعالى ـ ينتج قلباً صلداً لا تنفع فيه زواجر القرآن ولا مواعظ الإيمان.

ثالثاً: علاج ضعف الإيمان:

روى الحاكم في مستدركه والطبراني في مجمعه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الإيمان لَيَخلق في جوف أحدكم كما يَخْلَقُ الثوب؛ فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»[٣] والرسول ﷺ يقول: «ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر مضيء إذا علته سحابة فأظلم؛ إذ تجلت عنه فأضاء»[٤].

---

(١) فتح الباري، ١١/٢٣٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/٥٢ رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن..

(٢) فتح الباري، ١١/٢٣٧.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ١/٤، وهو في السلسلة الصحيحة، ١٥٨٥.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية، ٢/١٩٦، وهو في السلسلة الصحيحة، ٢٢٦٨.

دراسات دعوية

وقبل الشروع في الكلام عن العلاج يحسن أن نذكر ملاحظة وهي: أن كثيراً من الذين يحسون بقسوة في قلوبهم يبحثون عن علاجات خارجية يريدون الاعتماد فيها على الآخرين مع أن بمقدورهم علاج أنفسهم بأنفسهم وهذا هو الأصل؛ لأن الإيمان علاقة بين العبد وربه.

وفيما يلي ذكر عدد من الوسائل الشرعية التي يمكن للمرء المسلم أن يعالج بها ضعف إيمانه ويزيل قسوة قلبه بعد الاعتماد على الله ـ عز وجل ـ وتوطين النفس على المجاهدة:

١ ـ **تدبر القرآن الكريم** الذي أنزله الله ـ عز وجل ـ تبياناً لكل شيء ونوراً يهدي به ـ سبحانه ـ من شاء من عباده، ولا شك أن فيه علاجاً عظيماً ودواءاً فعالاً؛ قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: ٨٢] أما طريقة العلاج فهي: التفكر، والتدبر.

٢ ـ **استشعار عظمة الله ـ عز وجل ـ** ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب؛ فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه؛ فإذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت.

٣ ـ **لزوم حلق الذكر** وهو يؤدي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب: منها ما يحصل فيها من ذكر الله، وغشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحف الملائكة للذاكرين، قال ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

٤ ـ **ومن الأسباب التي تقوي الإيمان** الاستكثار من الأعمال الصالحة، وملء الوقت بها؛ وهذا من أعظم أسباب العلاج؛ وهو أمر عظيم وأثره في تقوية الإيمان ظاهر كبير.

٥ ـ **تنويع العبادات**: من رحمة الله وحكمته أن نوَّعَ لنا العبادات؛ فمنها ما يكون بالبدن كالصلاة، ومنها ما يكون بالمال كالزكاة، ومنها ما يكون بهما معاً كالحج، ومنها ما هو باللسان كالذكر والدعاء. وهكذا فإن من يتتبع العبادات يجد تنويعاً عظيماً في الأعداد، والأوقات، والهيئات، والصفات، والأحكام؛

---

(١) صحيح مسلم، ٢٧٠٠.

ولعل من الحكمة في ذلك أن لا تمل النفس ويستمر التجدد.

٦ ـ **ومن علاج ضعف الإيمان**: الخوف من سوء الخاتمة؛ لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة، ويجدد الإيمان في القلب. وأما سوء الخاتمة فأسبابها كثيرة: منها ضعف الإيمان، والانهماك في المعاصي.

٧ ـ **ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضعف الإيمان: ذكر الله ـ تعالى ـ** وهو جلاء القلوب وشفاؤها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو من روح الأعمال الصالحة وقد أمر الله ـ تعالى ـ به فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٤١].

٨ ـ **ومن الأمور التي تجدد الإيمان في القلب: الولاء والبراء** أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين؛ وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف جداً وتذوي معاني العقيدة فيه.

٩ ـ **وللتواضع دور فعال في تجديد الإيمان** وجلاء القلب من صدأ الكبر؛ لأن التواضع في الكلام والأفعال والمظهر دال على تواضع القلب لله، وقد قال ﷺ: «البذاذة من الإيمان» [1] وقال أيضاً: «من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها» [2].

١٠ ـ **ومحاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان** يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ [الحشر: ١٨].

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»، وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «هلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها»، اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تجدد الإيمان في قلوبنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن نهج نهجهم وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) رواه ابن ماجة، ٤١١٨، وهو في السلسلة الصحيحة، ٣١٤. [أراد التواضع في الهيئة واللباس.. انظر النهاية لابن الأثير، ١/ ١١٠].

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٤٨١، وهو في السلسلة الصحيحة، ٧١٨.

حوار

مع رئيس بلدية أم الفحم

الشيخ رائد صلاح

أوسلو بالنسبة لنا لفظت أنفاسها الأخيرة

نحرص في مجلة البيان على اللقاء مع الشخصيات الإسلامية في مختلف الاهتمامات وشتى التخصصات لنستروح معهم في ظلال اللقاء الهموم الدعوية والشؤون الإسلامية وشجونها. ويسرنا في هذا العدد اللقاء مع فضيلة الشيخ رائد صلاح وهو أحد الفعاليات الإسلامية الفلسطينية. ولد الشيخ عام ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٥٨م في بلدة أم الفحم، ونال شهادة كلية الشريعة من الخليل عام ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م، شغل دور رئيس الحركة الإسلامية في الداخل، ويشغل الآن منصب رئيس بلدية أم الفحم وذلك منذ عام ١٤١٠هـ، وكان اللقاء معه على النحو الآتي:

س١ : «أوسلو» ارتبطت باتفاقية السلام الموقعة بين اليهود ومنظمة التحرير الفسلطينية: فما الذي تعنيه اتفاقية السلام هذه في نظر الشعب الفلسطيني بشكل عام، وفي نظركم بشكل خاص؟

ج: بالنسبة للشعب الفلسطيني بشكل عام: لم تحقق أوسلو طموحه الشرعي والعادل، وإلى الآن ما زالت حقوقه الأساسية مستبعدة جانبًا ويلفها الغموض والإبهام؛ فماذا عن مصير أكثر من أربعة ملايين فلسطيني في الشتات؟ وماذا عن حق العودة؟ وماذا عن مستقبل القدس الشريف والأقصى المبارك؟ وماذا عن السيادة الفلسطينية؟ وماذا عن مصير آلاف السجناء الفلسطينيين الذين ما زالوا قابعين في السجون الإسرائيلية؟ وماذا عن مصير مئات المستوطنات اليهودية التي ما زالت جاثمة على صدر الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع؟ إن من الواضح أن هذه الأسئلة لا تملك إلا جوابًا واحدًا مُرًّا ينذر الشعب الفلسطيني أنه بات يسير في طريق مسدود!! لذلك لا أتردد أن أقول: إن أوسلو بالنسبة لي قد لفظت أنفاسها الأخيرة.

س٢ : تعمدت اتفاقية «أوسلو» تعليق مسألة القدس: فإلى أي شيء

تعزون هذا التعليق؟

ج: لقد تم تعليق قضية القدس بهدف تهويد كل القدس خلال السنوات الواقعة ما بين أوسلو والتاريخ النهائي للمفاوضات مستقبلاً حتى يدخل المفاوض الفلسطيني إلى غرفة المفاوضات ولم يبق أي شيء يتفاوض عليه من القدس الشريف!! وهذا ما يثبته الواقع اليومي للسياسة الإسرائيلية!! ولعل هناك هدفاً آخر، وهو طمع الطرف (الإسرائيلي) أن يقنع الطرف الفلسطيني المفاوض بحل بديل عن القدس!!

نسمع اليوم بما يعرف باتفاق (بيلين ـ أبو مازن) الذي ينص على ضم (أبو ديس) المتاخمة للقدس إلى القدس، ثم التنازل عنها خلال المفاوضات للطرف الفلسطيني وكأنه تنازل عن جزء من القدس الشريف!! ولعل هذا أبعد ما يمكن أن يرضى به الجانب الإسرائيلي؛ لأن وحدة القدس واعتبارها عاصمة أبدية لـ (إسرائيل) هو عبارة عن أصل مجمع عليه عند كل الأحزاب الإسرائيلية بشقيها: المتدين أو العلماني، واليميني أو اليساري.

س٣: اليهود كلما أبرموا عهداً نقضوه، واتفاقية «أوسلو» بالرغم مما تحققه لهم من مكاسب يحاولون التنصل منها بطريق وآخر: فما هي الدوافع السياسية في نظركم من وراء هذا التنصل؟

ج: في تصوري أن (اتفاقية أوسلو) جاءت بمثابة «حصان طروادة» الذي تطمع الحكومات الإسرائيلية من خلاله إدخال سفاراتها وشركاتها التجارية إلى العالم العربي والإسلامي، واتفاقية أوسلو هي الأداة التي نجحت من خلالها (الحكومة الإسرائيلية) في تفتيت أي أمل بأي موقف موحد للعالم العربي والإسلامي في مقابل (إسرائيل)؛ إذ إن اتفاقية أوسلو قامت على قاعدة استفراد (إسرائيل) بالشعب الفلسطيني، وهو الأمر الذي فتح الأبواب على مصراعيها للاستفراد بعد ذلك مع عدة دول عربية من خلال مصالحات أو اتفاقيات، كما وأن اتفاقية أوسلو ـ في مرماها البعيد ـ جاءت لتحُول دون تحوُّل (إسرائيل) إلى دولة ثنائية القومية؛ وهذا ما لا يريده أي حزب على الإطلاق، فعلى فرض أنه تم ضم مليون فلسطيني في القطاع ومليون فلسطيني

حوار

في الضفة إلى مليون فلسطيني داخل الخط الأخضر لتحولت (إسرائيل) مباشرة إلى دولة ثنائية القومية، وهذا ما لا يرضاه أي يهودي إطلاقًا، كما وأن اتفاقية «أوسلو» جاءت لتحطيم الطموح الفلسطيني وتحويله إلى «كانتونات» سكانية معزولة الصلاحيات الخارجية، ويفصل بينها أطواق استيطانية يهودية تفصل بين كل «كانتون» فلسطيني وآخر، ومع ذلك فإن (الحكومة الإسرائيلية) تتبنى سياسة «التنصل» مع الطرف الفلسطيني لممارسة سياسة الابتزاز من الطرف الفلسطيني بهدف تحويله إلى أداة قمع لطموح الشعب الفلسطيني، وهذا ما نسمعه هذه الأيام من الموقف (الإسرائيلي)، فهو لا يتردد أن يقول: إن (الأمن الإسرائيلي) يقود إلى السلام مع الفلسطينيين!

ومعنى (الأمن الإسرائيلي) قمع أي معارضة فلسطينية، وهذا يعني: تحويل السلطة الفلسطينية إلى أداة قمع للشعب الفلسطيني، وحتى لو نجح (الطرف الإسرائيلي) بذلك فسيبقى على طمع أن يبتز أكثر إلى ما لا نهاية.

س٤: أعلنت أمريكا دون أي اعتبار لمشاعر المسلمين نقل سفارتها إلى القدس معتبرة إياها عاصمة (إسرائيل) الشرعية: فما هو رد الفعل المتوقع في تحليلكم من الفلسطينيين بخاصة والعرب بعامة إزاء هذا القرار الأمريكي؟

ج: معنى الإعلان الأمريكي هو مباركة أمريكية لمشروع تهويد القدس، وهو مباركة بناء الهيكل على حساب الأقصى المبارك، وفي تصوري أن أمريكا من حيث تقصد أو لا تقصد تقود المنطقة إلى انفجار إسلامي وعربي وفلسطيني لا يعرف نتائجه إلا الله ـ تعالى ـ.

س٥: العمليات الاستشهادية التي تقوم بها الحركة الإسلامية في فلسطين: هل ترونها الرد الأمثل في التحاور مع الكيان الصهيوني، وما رأيكم فيمن يرى أنها مجرد إعاقة للعملية السلمية وتضييع ما يمكن الوصول إليه من الحق الفلسطيني؟

ج: في تصوري أنه لا يوجد إنسان في العالم يهوى تفجير نفسه بحزام من المفرقعات، ولكن الواقع الفلسطيني المر الذي بات يعانيه الفرد الفلسطيني دفع إلى مثل هذه العمليات، ولو كان هناك عقلاء في أي طرف كان لسألوا

أنفسهم: ما الذي يدفع هذا الشاب لمثل هذا العمل؟ ولو سألوا أنفسهم لأيقنوا أن واقع (الاحتلال الإسرائيلي) ووحشية معاملته هي المسؤول الأول والأخير.

س٦: السلطة الفلسطينية أدانت الإرهاب مؤخراً، وهو تهمة موجهة إلى ما تقوم به الحركة الإسلامية من نشاط عسكري ضد اليهود: فإلى أي حد ترون هذه الإدانة خطراً على وجود العمل الإسلامي في فلسطين بشكل عام، وعلى الوحدة الوطنية الفلسطينية بشكل خاص؟

ج: «الإرهاب» أصبح مصطلحًا هلاميًا في قاموس السياسة اليوم؛ إذ إن مقاومة الاحتلال أصبحت إرهابًا عند بعضهم، والرضوخ لإملاءات الاحتلال أصبحت تفاوضًا عند آخرين؛ لذا في نظري: أن الإرهاب الحقيقي هو تلك الممارسة الاحتلالية التي باتت تفرض على أكثر من مليوني فلسطيني طوق التجويع لدرجة أن أطفالهم باتوا يعتاشون من المزابل!! وهو تلك الممارسة الاحتلالية التي باتت تمنع حتى المرضى الفلسطينيين من الوصول إلى المستشفيات؛ مما أدى إلى وفيات كثيرة عند الحواجز (العسكرية الإسرائيلية)، وإلى أن تلد الحوامل أولادهن عند الحواجز العسكرية كذلك!! والإرهاب هو تلك الممارسة الاحتلالية التي باتت تخطف الشباب الفلسطيني من عقر السلطة الفلسطينية كما يحدث اليوم!! وفي تصوري أن الجماهير الفلسطينية عامة باتت مدركة لكل ذلك ولن تسمح لأي جهة كانت أن تضرب وحدتها الفلسطينية؛ لأنها على قناعة تامة أن العمل الإسلامي هو صمام أمان للمسيرة الفلسطينية.

س ٧: ثمة من يقول: ليس كل يهودي في نظرته إلى فلسطين صهيونياً: فكيف تنظرون إلى هذا القول؟ وهل ترون تبايناً بين حزبي الليكود، والعمل في التعامل مع المسألة الفلسطينية، وبين اليهود المتدينين وغير المتدينين فيما يتعلق بأمر القدس؟

ج: أنا أؤمن أن هناك إجماعًا قوميًا ودينيًا عند كل الأحزاب اليهودية على أصول المشروع الصهيوني والسياسة الإسرائيلية، وقد يكون هناك اختلاف في الاجتهادات الفرعية؛ ولكن هناك إجماع على القدس واعتبارها العاصمة

الموحدة والأبدية (لإسرائيل)، وهناك إجماع على اعتبار (إسرائيل) دولة للشعب اليهودي فقط، وهناك إجماع على منع قيام السيادة الفلسطينية، ومنع حق العودة للفلسطينيين في يوم من الأيام، وهناك إجماع على تجميع شتات اليهود من كل العالم؛ لذلك هناك وزارة خاصة لهذا الهدف تسمى: «وزارة الاستيعاب»، وهناك إجماع على ضرورة التفوق (النووي الإسرائيلي) على كل العالم العربي والإسلامي. وأعود وأقول: هذا عند كل الأحزاب التي تمثل كل القوس السياسي الإسرائيلي.

س ٨: ذكر أن اليهود مصممون على هدم المسجد الأقصى لإقامة الهيكل المزعوم مكانه: فهل بالإمكان إعطاء القارئ فكرة عما يقوم به اليهود حاليًا لتحقيق هذا الهدف، وعن الدور الذي تقومون به محليًا ودوليًا وعربيًا لإبطال هذه الغاية الصهيونية؟

ج: بعد أن حوَّل اليهود «حائط البراق» إلى ما يسمونه اليوم: «حائط المبكى»، وبعد أن أنهوا مشروع حفر النفق الأول الذي سموه باسم تعسفي: «نفق الحشمونانيم»، ها هم اليوم يسعون إلى ما يلي:

١ ـ أداء صلواتهم على امتداد الحائط الجنوبي للأقصى كخطوة أولى لتحويله إلى مبكى جديد.

٢ ـ أعلنت وزارة الأديان (الإسرائيلية) عن نيتها تحويل (رباط الكرد) إلى ما أسموه بالمبكى الصغير؛ علمًا أن رباط الكرد هو جزء لا يتجزأ من الأقصى المبارك.

٣ ـ استصدروا أمرًا من المحكمة العليا للسماح لهم بأداء الصلاة في داخل حرم الأقصى المبارك.

٤ ـ يقومون اليوم بحفر نفق جديد في الزاوية الجنوبية الغربية من حرم الأقصى المبارك.

٥ ـ أعلنوا عن الانتهاء من بناء مذبح الهيكل، وأعلنوا أنه موجود الآن في منطقة البحر الميت.

٦ ـ أعلنوا أنهم قد أحضروا كل ما يلزم من خشب الأرز لبناء الهيكل،

وهو موجود في مخزن في القدس الشريف.

٧ ـ أعلنوا أنهم قد وجدوا ضالتهم «البقرة الحمراء» في قرية يهودية تسمى «كفار ـ حسيديم» ومعنى ذلك أن بإمكانهم ذبحها بعد أن يصل عمرها إلى ثلاث سنوات، وعندها يشرعون ببناء الهيكل.

٨ ـ قبل أسابيع كانت هناك محاولة منهم لإدخال حجر بزنة عدة أطنان إلى ساحة الأقصى وسموه: «الحجر الأساس لبناء الهيكل».

٩ ـ أعلنوا عن تشغيل مصنع لاستخراج الرخام الطبيعي في النقب كي يستعمل بالإضافة لخشب الأرز في بناء الهيكل.

١٠ ـ من الضروري أن أؤكد أن الذي يتبنى هذه المشاريع شخصيات رسمية من نواب ووزراء أو أعضاء كنيست يهود أو شخصيات متنفذة في السياسة (الإسرائيلية). ومقابل كل ذلك نحن نعمل على:

أ ـ تقوية رباط أهلنا بالأقصى المبارك، واستمرار شد الرحال إليه يومياً.

ب ـ استمرار القيام بمشاريع عمرانية في الأقصى المبارك؛ حيث كان أبرزها تبليط المصلى المرواني وإنقاذه من خطر تحويله إلى كنيس.

ج ـ الكشف عن أي مؤامرة تسعى للمسّ بالأقصى المبارك: مثل كشفنا عن مشروع النفق الجديد في مؤتمر إعلامي عالمي عقدناه في القدس الشريف.

د ـ دعوة العالم العربي والإسلامي لتوحيد موقفه حول القدس الشريف والأقصى المبارك.

هـ ـ انتهينا من إعداد كتاب باسم: «القدس وسبل إنقاذها» سنقوم بتوزيعه إلى كل من يهمه الأمر.

و ـ نحن على وشك الانتهاء من إعداد كتاب آخر باسم: «دليل الأقصى المبارك» مزود بالصور الملونة.

ز ـ بين فترة وأخرى نشارك في مؤتمرات إسلامية وعربية حول القدس الشريف والأقصى المبارك في عدة دول عربية أو أجنبية.

س ٩ : يلاحظ أن حكومة «نتنياهو» تقوم بأعمال استفزازية، وتصرفات عنجهية: فماذا تقرأون من وراء هذه السياسات؟ وهل

حوار

بالإمكان أن تحمل العرب على إعادة النظر في سياسات التطبيع مع إسرائيل؟

ج: من الواضح أن سياسة نتنياهو تسعى إلى اعتبار ما أخذه الفسلطينيون هو أقصى ما يمكن أن يأخذوه دون أي قابلية لأي زيادة، ويسعى كذلك إلى سياسة الاستفراد مع كل دولة عربية على حدة، ويسعى كذلك إلى استغلال تركيبة الحكم الحالي في أمريكا؛ ليكون أداة ضاغطة على السلطة الفلسطينية ودول الجوار العربية لصالح (إسرائيل) أكثر مما كان في يوم من الأيام، ولا شك في أنه يسعى إلى فرض مشروع استيطاني جديد في الضفة والقطاع، وكذلك إلى فرض مشروع القدس الكبرى على حساب الحق الإسلامي والعربي والفلسطيني؛ وفي المقابل فإن هناك بوادر موقف عربي جاد للوقوف في وجه سياسة نتنياهو.

س١٠: بصفتكم رئيس بلدية: أحسب أنكم على علم بالأضرار والنهب الذي لحق بالوقف الإسلامي: فهل بالإمكان إعطاؤنا صورة موجزة عما هو موجود من الوقف الإسلامي، وما هو المتبع في حمايته من جهات الاختصاص؟

ج: بداية أقول: إن مساحة الوقف الإسلامي تساوي ١٦/١ من المساحة العامة عندنا؛ ولكن الذي حدث للوقف ما يلي:

١ ـ بعد نكبة ١٩٤٨م تم إزالة أكثر من ١٢٠٠ مسجداً عن الوجود.

٢ ـ بعد نكبة ١٩٤٨م تم تحويل قرابة سبعين مسجداً إلى مطاعم وخمارات ومتاحف وحظائر لتربية الأبقار.

٣ ـ بعد نكبة ١٩٤٨م تم جرف آلاف المقابر الإسلامية وبناء الفنادق أو الأحياء السكنية، أو إقامة الشوارع والحدائق العامة على حساب أموالنا.

٤ ـ بعد نكبة ١٩٤٨م تم تحويل كل الوقف الإسلامي إلى ما أسموه: «ملك الغائب» ووضعت السلطة اليهودية يدها عليه معتبرة نفسها صاحبة الملك الكامل لكل الوقف الإسلامي.

في المقابل قمنا بإنشاء جمعية إسلامية تسمى: «جمعية الأقصى لرعاية

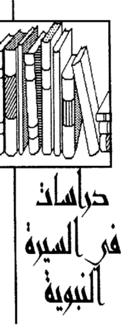
المقدسات الإسلامية » وهدفها السعي إلى تحرير كل الوقف الإسلامي عامة، والعمل على تحرير المساجد المنتهكة ثم ترميمها، وكذلك العمل على صيانة المقابر الإسلامية والحيلولة دون جرفها.

س١١ : هناك اتهام للفلسطينيين بالتفريط في أراضيهم من خلال بيعها إلى اليهود : فما مدى صحة هذا الاتهام أولاً ، وما هو الإجراء المتبع عندكم إذا كان فعلاً واقعًا ؟

ج : لا يخلو أي مجتمع من العناصر المنهزمة والطفيلية، وهم قلة في مجتمعنا بحمد الله رب العالمين، وقد باعوا أرضهم لبعض المؤسسات اليهودية أو لأشخاص يهود، أما نحن فنعمل على توعية الناس حتى نبني عندهم الرادع الذاتي الذي يمنعهم من بيع أرضهم، وفي نفس الوقت لدينا طموح لم نصل إليه حتى الآن وهو إحياء الأرض كل الأرض بهدف تحويلها إلى مصدر رزق رئيسي ـ بمشيئة الله تعالى ـ في حياة جماهيرنا .

س١٢ : احتفلت الصهيونية بمرور مائة عام على تأسيسها : فكيف تنظرون إلى مستقبل الدولة الصهيونية في فلسطين من خلال معطيات اليوم وتحليل تركيبة المجتمع اليهودي ؟

ج : إن تراكم فروق خمسين عامًا بين الطوائف اليهودية المتدينة وغير المتدينة، أو الشرقية والغربية، أو الشرقية المغربية والشرقية اليمنية والعراقية، أو القادمين الجدد والقدماء، أو الفلاشا، وغيرهم لا شك أن هذا التراكم بدأ يتجسد اليوم بمظاهر تفكك في بنية هذا المجتمع العامة، قادت إلى مظاهر استقطاب ناتجة عن التفاف كل فئة حول نفسها؛ ولا شك أن هذا الوضع آخذ بفرز مظاهر عداء كلامي وجسدي كما يحدث اليوم؛ لذلك فإن المراقب لمسيرة هذا المجتمع يلاحظ أنها تسير إلى التمزق والتناحر الداخلي لا محالة بشكل سريع .



خصائص المرحلة المكية
في مجال المعرفة

(١ من ٢)



د. محمد أمحزون

لقد كان أول ما نزل من آي القرآن الكريم خمس آيات كانت استهلالاً للرسالة الخاتمة الخالدة، وهي الآيات التي افتُتحت بها سورة العلق: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق: ١ - ٥].

وبهذه الآيات وضع الله ـ تعالى ـ معالم الرسالة الإسلامية الخالدة في عمومها المطلق وشمولها الأعم مبيناً أنها رسالة العلم والمعرفة والعقل، وهي أعظم نعم الله ـ تعالى ـ على الإنسان[١] .

وبهذه الآيات البينات، وما تضمنته من الإشادة بالقراءة والكتابة والعلم، أبان الله ـ عز وجل ـ لنبيه ﷺ ولأمة الإسلام أن المعرفة بوسائلها: من قراءة وكتابة وتعلّم هي الأسلوب الأمثل لتبليغ الرسالة.

وبهذه الآيات أعطيت الأمة مفاتيح الإصلاح والتقدم والرقي؛ لتعلم أنه لا إصلاح ولا مدنية ولا حضارة بغير علم ومعرفة؛ فالجهل ـ وهو نقيض العلم ـ لا يأتي إلا بالشر والفساد والتخلف، كما أن الهداية إلى معرفة الحق واعتناقه

(١) محمد الصادق عرجون: محمد رسول الله ﷺ ، ج١، ص ٥٤٢.

والحرص على إقامة معالمه والدعوة إليه لا يكون إلا مع العلم، ولا يكتب للعلم النمو والانتشار إلا إذا سجله القلم ونشره وأعلن عنه[1].

على أن العلم لا يسلك إلى القلوب سليقةً وطبعًا، أو يتلقاه الناس غريزةً وفطرةً، وإنما يخضع للقوانين التي أودعها الله ـ عز وجل ـ في الوجود، ولسنن الله في نظام الحياة.

والكشف عن هذه السنن يقوم على التعلم والبحث والتدبر وإعمال الفكر واستقراء الظواهر؛ مما يقود إلى إماطة اللثام عن قوانين المادة وسنن الاجتماع للإفادة من ذلك في بناء صرح الحضارة الإنسانية ضمن التوجيهات والضوابط والحدود الإلهية.

ومن اللافت للنظر أن استفتاح الوحي بهذه الآيات البينات فيه دلالة واضحة على أن العلم في دائرة سنن الله في الحياة يعد من أهداف الأمة الإسلامية في تبليغها رسالة الإسلام؛ «لأن العلم هو العنوان الأعظم على خلود هذه الرسالة، وهو العنصر الحيوي في تكوين حقيقتها الهادية الراشدة، وهو الآية الكبرى على صدقها وصدق رسولها ﷺ»[2].

ولا شك أن هذه المنزلة الرفيعة التي منحها الإسلام للعلم، حفزت المسلمين بأمر وتشجيع من رسول الله ﷺ على طلب العلم طلبًا موصولاً دائمًا.

ولهذا الغرض كان النبي ﷺ يجتمع بأصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين[3]. كما كان يقوم بعضهم بإقراء بعض مثلما كان يفعل (خباب بن الأرت) حيث كان يختلف إلى (فاطمة بنت الخطاب) وزوجها (سعيد بن زيد) ـ رضي الله عنهما ـ يقرئهما القرآن من الرقاع[4].

---

(١) المرجع السابق، ج١، ٥٤٣. (٢) المرجع السابق، ج١، ص ٥٤٥.

(٣) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج١، ص ٣٦٧، وابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٣٤٧.

(٤) ابن هشام: سيرة النبي ﷺ، ج١، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

بل كان أصحاب رسول الله ﷺ حريصين أشد الحرص على معرفة كتاب الله مثلما كان يفعل (ابن أم مكتوم) الأعمى - رضي الله عنه -، حيث كان يأتي إلى الرسول ﷺ يستقرئه القرآن ويلح عليه في ذلك، وهو الذي نزلت بسببه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١، ٢] (١).

العلم بالعقيدة:

في الفترة الأولى التي قضاها رسول الله ﷺ في مكة منذ بعثته إلى أن هاجر إلى المدينة، عُني القرآن المكي أولاً بإصلاح العقيدة وتخليصها من شوائب الوثنية، وتهذيب النفوس بتجريدها من رذائل الصفات، حتى تجتمع القلوب على توحيد الله - عز وجل -، وتمحو من النفوس آثار الجاهلية.

كما عُني القرآن المكي في هذه الفترة بتعميق الإيمان في النفوس وبيان أبعاده القلبية والقولية والعملية، والتركيز على مقتضيات (لا إله إلا الله) التي تُعنى بنقل الإنسان من تقاليد وأعراف الجاهلية إلى أصول الإسلام وأحكامه في نواحي الحياة المختلفة.

وكان من حكمة الله - تعالى - أن جعل لترسيخ هذه العقيدة - على أهميتها وخطورتها - المدة الكافية، وهي الفترة المكية؛ حيث ظل الوحي ينزل ثلاثة عشر عاماً ليوضح معاني هذه العقيدة ومقاصدها ضمن التطبيق العملي في واقع الحياة.

ولم يعرض التشريع القرآني ولا النبوي في هذه الفترة لشيء من التشريعات العملية إلا ما له ارتباط بالعقيدة؛ كتحريم ما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، أو كان عبادة تربطهم بالله - عز وجل - وتوجههم إلى الخير: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٢].

---

(١) الترمذي: السنن، ج٥، ص ١٠٣، ١٠٤، وقال حديث حسن.

توحيد الله ـ عز وجل ـ في ألوهيته:

ولأن المعركة من نوح إلى محمد ـ صلوات الله عليهما ـ واحدة، وقضيتها واحدة، فقد جاء التعبير عن الرسالات جميعًا في القرآن الكريم بأنها كتاب واحد: ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣]

فطبيعة دعوة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جميعًا أنها دعوة واحدة إلى منهج التوحيد بكل فروعه وأنواعه، وما يستلزمه ذلك من نبذ الشرك بكل صوره وألوانه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وجاء في حديث علي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»[1].

وبناءً على ذلك؛ فإن قضية الصراع بين الأنبياء الذين يحملون لواء «لا إله إلا الله» وبين الجاهليين أو «الملأ» ـ كما يسميهم القرآن الكريم ـ لا يرجع إلى البعثة النبوية فحسب، وإنما تمتد جذوره إلى فجر البشرية. وقد أكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة وهو يتنزل بقصص الأنبياء وقصص المكذبين من قبل في الفترة المكية: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر: ٢٥].

أصلان يقوم عليهما الدين:

ولقد دل استقراء نصوص الكتاب والسنة أن هذا الدين يقوم على أصلين:

الأول: ألاّ يُعبد إلاّ الله، بالمعنى الشرعي للعبادة، «وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[2].

الثاني: ألاّ يُعبد إلاّ بما شرع على لسان رسوله ﷺ؛ «فلا إله إلا الله»

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم ٤٠٧٢، ٣٢، ص ٤٦٢. وقال الألباني: إسناده مرسل صحيح، والحديث ثابت بمجموع شواهده. السلسلة الصحيحة، ج٤، ص ٧، ٨.

(٢) ابن تيمية: العبودية، ص ٤.

لا تعني مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء كما كان المشركون عبّاد الأصنام مقرين بذلك: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [لقمان: ٢٥] لكنهم اتخذوا ـ في واقع الأمر ـ شركاء مع الله ـ عز وجل ـ يتقربون إليهم بالطاعات، فلم ينفعهم هذا الإقرار. ذلك أن التوحيد الحق يتضمن محبة الله ـ عز وجل ـ وتعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتسليم لأمره، والانقياد لطاعته في جميع شؤون الحياة بدءاً بالعقيدة ثم العبادات وسائر المعاملات التي يتعرض لها الإنسان في حياته؛ لأن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله «تنفي عن قلبه إلهية ما سوى الحق، وتثبت في قلبه إلهية الحق.. بحيث يكون محبًا لله، معظمًا له، عابداً له، راجيًا له، خائفًا منه، محبًا فيه، مواليًا فيه، معاديًا فيه، مستعينًا به، متوكلاً عليه... وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلهية الله ـ سبحانه وتعالى ـ ...»[1].



وعلى ذلك فإن هذا يعني: الإذعان للإسلام، والخضوع له في التصور والفكر والسلوك، في جميع نواحي الحياة، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ولا شك أن العرب ـ وهم أدرى وأعلم بلغتهم ـ يدركون بداهة أنَّ «لا إله إلا الله» تعني طاعة الله وعبادته وحده لا شريك له. ومعنى ذلك: نزع السلطان الذي يزاوله الأمراء والحكام وزعماء القبائل بمقتضى أهوائهم ومصالحهم، ورده كلّه إلى الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [يوسف: ٤٠]

يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «ولا نفهم هذا التعليل كما كان يفهمه الرجل العربي إلا حين ندرك معنى العبادة التي يخص

(١) ابن تيمية: العبودية، ص ٤٧.

بها الله وحده. إن معنى: عَبَدَ في اللغة: دان وخضع. ولم يكن معناه في الاصطلاح الإسلامي في أول الأمر أداء الشعائر، إنما كان هو معناه اللغوي نفسه. فعندما نزل هذا النص أول مرة (في المرحلة المكية) لم يكن شيء من الشعائر قد فرض حتى ينطلق اللفظ إليه. إنما المقصود هو معناه اللغوي الذي صار هو معناه الاصطلاحي. كان المقصود به هو الدينونة لله وحده والخضوع له وحده، واتباع أمره وحده، سواءً تعلق هذا الأمر بشعيرة تعبدية أو تعلق بتوجيه أخلاقي، أو تعلق بشريعة قانونية. فالدينونة لله وحده في هذا كله هي مدلول العبادة التي خص الله ـ سبحانه ـ بها نفسه ولم يجعلها لأحد من خلقه.

وحين نفهم معنى العبادة على هذا النحو، نفهم لماذا جعل يوسف ـ عليه السلام ـ اختصاص الله بالعبادة تعليلاً لاختصاصه بالحكم؛ فالعبادة ـ أي الدينونة ـ لا تقوم إذا كان الحكم لغيره، وسواء في هذا حكمه القدري القهري في حياة الناس وفي نظام الوجود، وحكمه الشرعي الإرادي في حياة الناس خاصة»[1].

وبهذا المعنى كان العرب يدركون أن «لا إله إلاالله» رفض للسلطان الوضعي الذي يغتصب أولى خصائص الألوهية وهي العبادة والطاعة، وخروج على كل من يحكم بشريعة أو قوانين لم يأذن بها الله: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: ٢١].

ولذلك لم يكن يغيب عن المشركين ـ وهم يعرفون المدلول الحقيقي لدعوة لا إله إلا الله ـ ماذا تعني هذه الدعوة بالنسبة لأوضاعهم ومصالحهم وسلطانهم.

وإلى ذلك نبّه (ورقة بن نوفل) بعد سماعه خبر نزول الوحي لأول مرة فقال: «ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك؛ فيسأله النبي ﷺ في استغراب: «أوَ مخرجيَّ هم»؟! فيقول ورقة: لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي»[2].

---

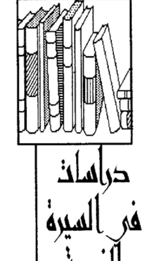
(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٤، ص ١٣٩٠.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا يحيى بن بكير، ج١، ص ٣، ٤.

وأخرج الحاكم والبيهقي وأبو نعيم من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ لما خرج في موسم الحج يدعو قبائل العرب إلى الإسلام، عرض نفسه على بني شيبان بن ثعلبة، فدعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه عبده ورسوله، وأن يؤووه وينصروه ليبلغ رسالة ربه، فقال له المثنى بن حارثة الشيباني: وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك، فرد عليه النبي ﷺ بقوله: «وإن دين الله ـ عز وجل ـ لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه» (١).

الإيمان قول وعمل:

إن شهادة أن «لا إله إلا الله» لم تكن مجرد كلمة تقال باللسان، ولا يمكن أن تكون كذلك في مرحلة من مراحل الدعوة، فضلاً عن مرحلة التأسيس التي هي أشق المراحل وأهمها؛ وإلا فما معنى تلك المعاناة القاسية التي لقيها المسلمون من المشركين وما موجبها؟! وإنما كانت هذه الشهادة نقلة بعيدة ومعلمًا فاصلاً بين حياتين لا رابطة بينهما: حياة الكفر وحياة الإيمان، وما يستلزمه ذلك من فرائض وتعبدات ومشقات أعظم وأكبر من فريضة الصلاة والزكاة ونحوها:



ـ من ذلك فريضة التلقي الكامل في التشريع والحكم وكل ميادين الحياة عن الله ورسوله، ونبذ موازين الجاهلية وقيمها وأخلاقها وأعرافها وتشريعاتها.

ـ ومن ذلك الولاء المطلق لله ورسوله، والعداء الصارم للكفار ولو كانوا آباءً وإخوانًا وأزواجًا وعشيرة.

ـ ومن ذلك فريضة الصبر على الأذى في الله الذي لا تطيقه إلا نفوس سمت إلى القمة، تحمل الفرائض والواجبات حتى إن الواحد ليكره أن يعود إلى الكفر

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة، رقم ٢١٤، ج١، ص ٣٧١ ـ ٣٨٠. وقال ابن كثير في تاريخه: رواه الحاكم والبيهقي، ج٣، ص ١٤٤. وقال الحافظ في الفتح: إسناده حسن، ج٧، ص ٢٢٠.

كما يكره أن يلقى في النار[1].

وهذا ما كان يعانيه بلال - رضي الله عنه - وهو يُلبس أدرع الحديد ويُسحب في رمضاء مكة وقت الظهيرة، وما كان آل ياسر يلقونه وهم يتعرضون لأشد بلاء شهدته أسرة مضطهدة[2]، وغير ذلك كثير مما سجلته كتب السيرة والحديث.

إنّ في إمكان أي إنسان أن يصلي ما شاء الله له، وينفق بما شاء الله له دون أن يناله كبير مشقة، ولكن: أي إنسان هذا الذي يستطيع أن يخالف عادات وأعراف اجتماعية درج عليها المجتمع أجيالاً ويتحداه بمخالفتها؟ فما بالك إذا كان الأمر ليس مجرد مخالفة عادة أو عرف، وإنما هو مفاصلة كاملة ومنابذة تامة لكل عبادة جاهلية وقيمة جاهلية وعرف جاهلي.

ثم هو مع ذلك زجر قاطع للنفس عن شهواتها وملذاتها ومراقبة شديدة لها. ولهذا كانت النماذج الكثيرة في الجيل الأول ممن يشهد ألاّ إله إلا الله، فيعود من فوره إلى بيته ليحطم الأصنام التي طالما عبدها، وليقطع العلائق التي طالما وثقها[3].

وهكذا فهم المسلمون دلالة هذه الكلمة المتميزة، كما فهمها الكافرون على حدّ سواء: ﴿ **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ** ﴾ [الأنفال: ٤٢]؛ فهمها المسلمون فالتزموا بما فرضه عليهم من تبعات وتكاليف، وقاومها الكافرون؛ لأنهم فهموا مقتضاها وما يترتب عليها من ذهاب سلطانهم وتحطم كيانهم، وتهافت أساطيرهم وأوهامهم.

---

(١) سفر بن عبد الرحمن: ظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ص ٢٥.

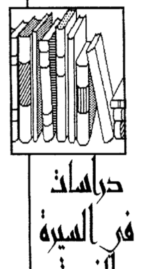
(٢) أحمد: المسند، ج١، ص ٦٢. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ج٩، ص ٢٩٣، والحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص ٣٨٨ - ٣٨٩، وج٣، ص ٢٨٤، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) سفر بن عبد الرحمن: ظاهرة الإرجاء، ص ٢٦.

إنه حتى على المنطق الجاهلي لا يصح للمرء أن يتصور شهادة بلا أثر في واقع الحياة، وإلا: أفكان الجاهليون يقتلون مواليهم ويعذبون أبناءهم وإخوانهم ويقطعون أرحامهم لمجرد كلمة تقال باللسان أو نظرية ذهنية في المعرفة؟![1].

إن حقيقة العبادة لو كانت مجرد كلمة تقال باللسان أو هي الشعائر التعبدية فقط لما استحقت كل ذلك الموكب من الرسل والرسالات، ولما استحقت كل تلك الجهود المضنية التي بذلها الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ وعلى رأسهم محمد ﷺ؛ إنما الذي استحق كل هذا الثمن الباهظ هو إخراج البشر جملة من الخضوع للعباد ولأهوائهم إلى الإذعان لرب العباد، في كل أمر وفي كل شأن.

ولأجل ذلك: فإن كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» إعلان إلهي عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية لغيره ولهواه، وذلك بإعلان العبودية لله وحده المتمثلة في إفراده بالطاعة.



على أنّ سيادة الشريعة الإلهية وحدها، وإلغاء القوانين البشرية التي تخدم فئة من الناس وهم «الملأ»، كل ذلك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان؛ لأن المتسلطين على رقاب العباد المغتصبين لسلطان الله في الأرض لا يسلمون في سلطانهم بمجرد التبليغ والبيان[2]، بل حتى الأفراد أنفسهم، وهم الذين عبّدوا أنفسهم لغير الله من الطواغيت والأنداد المختلفة والأصنام الفكرية، ليس لدى أكثرهم استعداد لترك ما ألفته النفس، وسار عليه الآباء والأجداد، ويعيش عليه المجتمع كله، لمجرد التبليغ والبيان، بل إن ما في نفوسهم من حواجز الكبر والعناد والتمرد لا يقل عن الحواجز الضخمة التي يضعها البشر المتألهون دون شعوبهم المستعبدة[3].

---

(١) سفر بن عبد الرحمن: ظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٤٣٣ ـ ١٤٣٤.

(٣) سفر بن عبد الرحمن: ظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر، ص ٣١ ـ ٣٢.

وإزاء هذه الاعتبارات، فإن هذا الإعلان العام لتحرير الإنسان في الأرض من كل سلطان غير سلطان الله بإعلان ألوهيته للعالمين: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزخرف: ٨٤] لم يكن إعلانًا نظريًا فلسفيًا سلبيًا، وإنما كان إعلانًا حركيًا واقعيًا وإيجابيًا، إعلانًا يراد به التحقيق العملي في صورة نظام يحكم البشر بشريعة الله، ويخرجهم بالفعل من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده بلا شريك. ومن ثَمَّ لم يكن بدّ أن يتخذ هذا الإعلان شكل الحركة أي الجهاد(١) إلى جانب شكل البيان أي التبليغ(٢). وهو ما جمعته آية سورة الحديد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾
[الحديد: ٢٥]

هذا وقد رسخ القرآن الكريم في قلوب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ العقيدة الصحيحة بهذا المفهوم، وأتت تربية الرسول ﷺ لأصحابه ثمارها المباركة في هذا الجانب، فلم يحتكموا إلا لله، ولم يطيعوا ويتبعوا أحدًا على غير مرضاة الله، ولم يوالوا ويعادوا إلا في الله، ولم يستغيثوا ويستعينوا إلا بالله، إلى غير ذلك من حقائق ومعاني هذا الأصل العظيم التي قررها القرآن الكريم والسنة النبوية في المرحلة المكية.

---

(١) أي الجهاد الشرعي الذي لا يستهدف الأبرياء العزّل، وإنما يواجه الطغم الحاكمة بعد الإعداد على المدى الطويل وامتلاك القدرة على المواجهة.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٤٣٤.

الرغبة في الصدارة

رؤية دعوية حول حقيقتها ومظاهرها وآثارها

(١ من ٢)

بقلم :
عبد الحكيم بن محمد بلال

مدارات للفهم والعمل

لا غرابة في حرص أهل الدنيا على الإمارة والولايات؛ فذلك أمر تعوَّده الناس منهم، حتى أفضى الأمر إلى نزاعات وخلافات ومفاسد وفتن كثيرة، وأدى كثير منها إلى سقوط بعض الدول، كسقوط الأندلس وغيرها.

لكن الغريب أن يتسلل هذا الداء إلى داخل التجمعات الدعوية، ويسيطر على بعض النفوس المريضة، شعرت أم لم تشعر، حتى يصير همّ الواحد منهم أن يسود على بضعة أفراد، دون التفكير بتوابع ذلك وخطورته، وأنها أمانة، ويوم القيامة خزي وندامة[1].

التطلع للإمارة في ضوء النصوص الشرعية:

إن الحرص على الإمارة يفسد دين المرء الحريص عليها، ويضيع نصيبه في الآخرة، ويجعله شخصاً غير صالح لهذا المنصب، وتوضيح ذلك كما يلي:

أولاً: تحذير النبي ﷺ من عواقب التطلع إلى الإمارة: قال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه»[2].

فبين أن الفساد الحاصل للعبد من جراء حرصه على المال والشرف: أشد من الفساد الحاصل للغنم التي غاب عنها رعاتها ليلاً، وأُرسل فيها ذئبان جائعان

(١) انظر: مجلة البيان، ع ٩٠، ص ١١١.

(٢) رواه أحمد، ج٣، ص ٤٥٦، ٤٦٠، وانظر: صحيح الجامع، ح/ ٥٦٢٠، وانظر: رسالة بعنوان: (شرح حديث: «ما ذئبان جائعان») لابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ، فقد أخذت منه كثيراً في هذا الموضوع، وقد لا أشير إليه في بعض المواضع تحاشياً لإثقال الهوامش.

يفترسان ويأكلان، وإذا كان لا ينجو من الغنم إلا القليل منها؛ فإن الحريص على المال والشرف لا يكاد يسلم له دينه.

ثانيًا: بيان طرق الناس في طلب الجاه: للناس في طلب الجاه طريقان، هما:

الطريق الأول: طلبه بالولاية والسلطان وبذل المال، وهو خطير جداً، وفي الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها؛ فإن الله جعل الآخرة لعباده المتواضعين، فقال: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: ٨٣] فنفى عنهم مجرد الإرادة، فضلاً عن العمل والسعي والحرص لأجلها، فإن إرادتهم مصروفة إلى الله ـ عز وجل ـ، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع مع الله ـ تعالى ـ والانقياد للحق والعمل الصالح، وهم الذين لهم الفلاح والفوز. ودلت الآية على أن الذين يريدون العلو في الأرض والفساد ليس لهم في الآخرة حظ ولا نصيب[١].

الطريق الثاني: طلب الجاه بالأمور الدينية، وهذا أفحش وأخطر؛ لأنه طلب للدنيا بالدين، وتوصل إلى أغراض دنيوية بوسائل جعلها الله ـ تعالى ـ طرقًا للقرب منه ورفعة الدرجات، **وهذا هو المقصود بحديثنا هنا.**

ثالثًا: النهي عن سؤال الإمارة: وقد وردت نصوص تنهى عن سؤال الإمارة وتمنيها، وتحذِّر من ذلك، وتبين عاقبته، وتنهى عن تولية من سألها أو حرص عليها. وهي وإن كان يتبادر إلى الذهن أنها واردة في الإمارة الدنيوية ـ إمارة السلطان والوالي ـ إلا أن دلالتها أشمل من ذلك وأوسع، فهي تتناول ما نحن بصدد الحديث عنه. ومن تلك الأحاديث:

أ ـ قول النبي ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها»[٢] وفي رواية: «لا يتمنَّينَّ»، والنهي عن التمني أبلغ من النهي عن الطلب[٣].

ب ـ وقوله ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة»[٤] فهي محبوبة للنفس في الدنيا،

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ٥٧٥.
(٢) رواه البخاري، ح/٧١٤٦.
(٣) انظر: الفتح، ج١٣، ص ١٣٣.
(٤) رواه البخاري، ح/٧١٤٨.

ولكنها «بئست الفاطمة» بعد الموت؛ حين يصير صاحبها للحساب والعقاب.

وفي رواية أخرى: «أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل»(١).

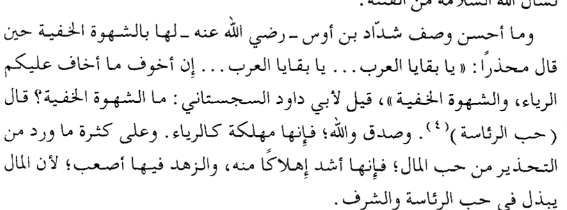
ج ـ وقال ﷺ للرجلين اللذين سألاه الإمارة: «إنا لا نولّي هذا مَنْ سأله، ولا من حرص عليه»(٢).

والسبب في عدم توليته الإمارة لمن سألها أنه غير صالح ولا مؤهل لهذا الأمر؛ لأن سؤاله له وحرصه عليه ينبئ عن محذورين عظيمين:

الأول: الحرص على الدنيا وإرادة العلو، وقد تبيّن ما فيه.

الثاني: أن في سؤاله نوع اتكال على نفسه، وعُجبًا بقدراتها وغرورًا بإمكاناتها، وانقطاعًا عن الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ التي لا غنى لعبد عنها طرفة عين، ولا توفيق له إلا بمعونته ـ سبحانه وتعالى ـ(٣).





فما أشبه حرص الداعية على رئاسة مركز إسلامي، أو إدارة مكتب دعوي، أو ترؤس لجنة، أو هيئة، أو مجموعة... ما أشبه كل ذلك بما نهى عنه ﷺ، نسأل الله السلامة من الفتنة.

وما أحسن وصف شدّاد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ لها بالشهوة الخفية حين قال محذراً: «يا بقايا العرب... يا بقايا العرب... إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية»، قيل لأبي داود السجستاني: ما الشهوة الخفية؟ قال (حب الرئاسة)(٤). وصدق والله؛ فإنها مهلكة كالرياء. وعلى كثرة ما ورد من التحذير من حب المال؛ فإنها أشد إهلاكًا منه، والزهد فيها أصعب؛ لأن المال يبذل في حب الرئاسة والشرف.

مظاهر الحرص على الإمارة والظهور(٥):

١ ـ العجب بالنفس، وكثرة مدحها، والحرص على وصفها بالألقاب المفخمة

---

(١) وسندها صحيح. انظر: الفتح، ج١٣، ص ١٣٤. (٢) رواه البخاري، ح/٧١٤٩.

(٣) انظر: شرح جوامع الأخبار، للسعدي، ص ١٠٥. ضمن المجموعة الكاملة.

(٤) شرح حديث أبي ذر، ص ٢٥، وجامع الرسائل، ج١، ص ٢٣٣، كلاهما لابن تيمية.

(٥) انظر: شرح حديث «ما ذئبان جائعان» لابن رجب، وانظر مشكلات وحلول في حقل الدعوة الإسلامية للبلالي، ص ٨٥، ١٤٣.

كالشيخ، والأستاذ، والداعية، وطالب العلم، ونحوها، وإظهار محاسنها من علم وخُلُق وغيره.

٢ ـ بيان عيوب الآخرين ـ وخاصة الأقران ـ والغيرة منهم عند مدحهم ومحاولة التقليل من شأنهم.

٣ ـ الشكوى من عدم نيله لمنصب ما، وكثرة سؤاله عن الأسس والمعايير لتقلُّد بعض المناصب.

٤ ـ الحرص على تقلُّد الأمور التي فيها تصدّر وبروز؛ كالإمامة والخطابة والتدريس والتأليف والقضاء. وهي من فروض الكفاية، لا بد لها ممن يقوم بها، مع مراعاة أحوال القلب، والتجرد من حظوظ النفس؛ كما هو حال السلف.

٥ ـ عدم المشاركة بجدية عندما يكون مرؤوساً، والتهرب من التكاليف التي لا بروز له فيها.

٦ ـ كثرة النقد بسبب وبغير سبب، ومحاولة التقليل من أهمية المبادرات والمشاريع الصادرة من غيره والعمل على إخفاقها.

٧ ـ الإصرار على رأيه، وعدم التنازل عنه، وإن ظهرت له أدلة بطلانه.

٨ ـ القرب من السلاطين والولاة ومن بيده القرار في تقليد المناصب، وكثرة الدخول عليهم.

وهذا باب واسع يدخل منه علماء الدنيا لنيل الشرف والجاه، وهو مظنة قوية للفتنة في الدين، كما في الحديث: «من أتى أبواب السلطان افتتن»[١].

٩ ـ الجرأة على الفتوى، والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها.

وقد كان السلف يتدافعونها كثيراً؛ ومن ذلك ما قاله عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أدركت عشرين ومئة من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم محدّث إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفتٍ إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا»[٢].

آثار ومفاسد التطلع للإمارة:

أولاً: مفاسد التطلع إليها والرغبة فيها:

١ ـ فساد النية، وضياع الإخلاص، أو ضعفه، ودنو الهمة، والغفلة عن الله

---

(١) رواه أحمد، ج٢، ص ٣٧١، ٤٤٠، وانظر: صحيح الجامع، ح/٦١٢٤.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ج٢، ص ١١٢٠.

ـ تعالى ـ، وعن الاستعانة به.[1].

٢ ـ انصراف الهمّ عن المهمة الأساس، والغاية الكبرى من حياة العبد، وهو تحقيق العبودية لله ـ عز وجل ـ. والاشتغال عن النافع الذي أمر النبي ﷺ بالحرص عليه فقال: «احرص على ما ينفعك»[2] وصرف الوقت والجهد والفكر فيما هو غني عن الاشتغال به، من مراعاة الخلق، ومراءاتهم، والحرص على مدحهم، والفرار من مذمتهم، وهذه بذور النفاق، وأصل الفساد.

٣ ـ المداهنة في دين الله ـ تبارك وتعالى ـ، بالسكوت عما يجب قوله والقيام به من الحق، وربما بقول الباطل من تحليل حرام، أو تحريم حلال، أو قول على الله بلا علم.

٤ ـ اتباع الهوى، وارتكاب المحارم من الحسد والظلم والبغي والعدوان ونحوه مما يوقع فيه هذا الحرص ـ ويستلزمه أحيانًا ـ قال الفضيل بن عياض: «ما من أحد أحب الرئاسة إلا حسد وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يُذكر أحد بخير»[3].



ثانيًا: مفاسد الحصول عليها للراغب فيها المتشوِّف لها[4]:

١ ـ الحرمان من توفيق الله وعونه وتسديده؛ «فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وكلت إليها».

٢ ـ تعريض النفس للفتنة في الدين، والتي يترتب عليها غضب الله ـ تعالى ـ إذ ربما يَنْسى مراقبة الله، وتبعات الأمر، ويغفل عن الحساب، فقد يظلم ويبغي؛ ويُشعِرُ بذلك كله وصف النبي ﷺ: بأنها أمانة وملامة وندامة.

٣ ـ تضاعف الأوزار وكثرة الأثقال؛ حيث قد يفتن؛ فيكون سببًا للصد عن سبيل الله ـ تعالى ـ وأشد ما يكون ذلك حين يكون منتسبًا لأهل العلم والصلاح، قال ـ عز وجل ـ: ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ** ﴾ [النحل: ٢٥].

٤ ـ توقع سوء العاقبة في الدنيا، وحصول بلاء لا يؤجر عليه، قال الذهبي:

---

(١) خواطر في الدعوة، محمد العبدة، ج٢، ص ٢٣.

(٢) رواه مسلم، ح/٢٦٦٤.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص ٥٧١.

(٤) انظر: آفات على الطريق، السيد محمد نوح، ج٢، ص ٦٧، وأخذت منه في مواضع أخرى من هذا الموضوع.

«فكم من رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية»[١].

٥ ـ التبعة والمسؤولية الشديدة يوم القيامة، قال ﷺ: «ما من أمير إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل، أو يوبقه الجور»[٢].

ثالثاً: آثاره على صعيد الجماعة والمجتمع:

الفرد والجماعة كلٌ منهما مؤثر في الآخر متأثر به، فإذا ما وقع الأفراد في مزلق كهذا، فإن الداء عن الجماعة ليس ببعيد؛ إذ سرعان ما تفسد الأخوة، وتَحل الخلافات، ويسهل اختراق الصف الإسلامي، وتحصل الشماتة به وبأهله.

وما أبعد هؤلاء عن تنزّل النصر، وحصول التمكين، مع هذا الاعوجاج والانحراف. بئست الدعوة حينما تكون مغنماً وجاهاً، ينتفع فيها المرء ويتبختر، وبئس الداعية حينما يسعى لاهثاً وراء زخارف الدنيا ومتاعها الفاني؛ فإن حب الظهور والبروز بداية الانحراف والسقوط والإخفاق.

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ يعطي الكافر والمؤمن من الدنيا لهوانها عنده، ولكنه ـ سبحانه ـ أغير من أن يتم أمره بالتمكين لهذا الدين في الأرض على يد أناس عندهم شوب في الإخلاص، ويحبون الرئاسة والاستعلاء في الأرض؛ فكيف إذا كانوا يتخذون الدين مطية للدنيا، يبيعون دينهم بعرض قليل؟![٣].

---

(١) السير، ج ١٨، ص ١٩١، ١٩٢.

(٢) رواه أحمد، ج٢، ص ٢٣١، وانظر: صحيح الجامع، ح/٥٦٩٥.

(٣) انظر: خواطر في الدعوة، محمد العبدة، ج٢، ص ٢٣.

قوانين ومبادئ

المقاطعة العربية لـ (إسرائيل)

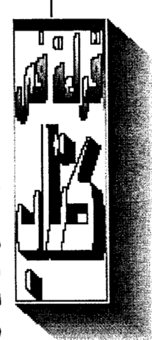
تأليف: د. محمد عبد الحميد أبو زيد

الناشر: عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود، الرياض، ط١، ١٩٩٣م.

عرض

مجدي محمد عيسى

تتعرض المقاطعة العربية للعدو الصهيوني لحملة غربية وصهيونية شرسة منذ بداية العقد الحالي؛ بهدف تقويضها ومد جسور التعامل التجاري والاقتصادي بين الدول العربية والعدو؛ كمؤشر لإثبات حسن النية من جانب الأطراف العربية التي قبلت الدخول في محادثات سلام معه ترعاها الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الشأن أصدر مؤتمر قمة الدول الصناعية السبع الذي عقد في طوكيو في يوليه ١٩٩٣م، قراراً يؤيد إلغاء المقاطعة العربية لـ (إسرائيل) كما تحاول إسرائيل من خلال المفاوضات المتعددة الأطراف وضع حد للمقاطعة العربية والدخول في مشروعات مشتركة مع البلاد العربية. وقد بدأت عرى المقاطعة تنحل عروة عروة، حيث وافقت بعض الدول العربية على إلغاء المقاطعة من الدرجة الثانية (أي التي تتعلق بالتعامل مع الشركات التي تتعامل مع إسرائيل) بينما دخلت دول عربية في تطبيع علاقات مع العدو بعد إقامة علاقات دبلوماسية معه. وفي خضم هذه التحولات احتدم الجدال حول جدوى المقاطعة ومدى فاعليتها في تعزيز مركز العرب التفاوضي. والكتاب الذي أعرض له يفيد في تتبع تطور المقاطعة العربية للوجود الصهيوني في فلسطين، والجوانب القانونية للموضوع والأساليب المعادية للمقاطعة.



يقع الكتاب في ٢٤١ صفحة، ويتألف من مقدمة وستة أبواب.

في المقدمة: تناول المؤلف فكرة المقاطعة العربية للعدو الصهيوني باعتبارها وسيلة مشروعة، سواء في الشرع الإسلامي أو في القانون الدولي العام؛

وذلك لممارسة الضغط عليه لحمله على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.

وفي الباب الأول: «المقاطعة في الإسلام»: تناول المؤلف التصور الإسلامي للمقاطعة في سياق تحليله لمفهومي الحرب والسلام في الإسلام، ولقد أشار في هذا الشأن إلى أن القاعدة في الإسلام هي السلام، وأن الحرب إنما شرعت لتأمين نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الأنفس والأعراض والأموال والأوطان عند الاعتداء عليها. وأما المقاطعة فهي من أهم أسلحة الحرب التي تشنها الدولة لتحقيق أهدافها في حربها العادلة ضد الطغاة، ويقرر المؤلف أن الإسلام يحظر على أتباعه موالاة أعداء الله أو التعامل معهم أو مناصرتهم، وأن الله ـ تعالى ـ أمر بمقاطعة الكفار وإن كانوا آباء أو أبناء أو إخواناً. ووفقاً لما ذكره المؤلف، فإنه يجوز للمسلمين في حالة الضعف وعدم التمكن أن يوالوا الكفار والمشركين ظاهراً ريثما يعدُّون أنفسهم لمواجهة الخطر الذي يتهددهم.

الباب الثاني: «الصراع العربي (الإسرائيلي) والمقاطعة العربية»: استعرض فيه المؤلف ظروف نشأة المقاطعة العربية لـ (إسرائيل) وأشار إلى ظهور المقاطعة كوجه من وجوه المقاومة العربية لقيام دولة العدو على أرض عربية في سنة ١٩٤٨م؛ حيث شعر العرب بالخطر يتهددهم من جراء استزراع هذا الكيان في أرضهم. وهو خطر متعدد الجوانب؛ فهو خطر عسكري واقتصادي واجتماعي. فمن الناحية العسكرية: فإن دولة العدو كيان ذو قوة عسكرية مقتدرة ومسلح بعتاد حربي عالي التقنية، وميزانيتها العسكرية ضخمة، وتعتني بتدريب قواتها بصورة مستمرة ومنظمة. ولذا فإنها هزمت العرب في حروب ١٩٤٨م، ١٩٥٦م، ١٩٦٧م. ومن الناحية الاجتماعية: فإن العدو كيان عنصري يفرق في المعاملة بين اليهود والعرب المقيمين في الأراضي المحتلة؛ فالشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال لا يتمتع بحقوق الإنسان الأساسية: كحق العمل وحق التعليم والتأمين الاجتماعي، والحريات الشخصية، وحرمة المسكن، وحرية العقيدة. كما أن وجود دولة للعدو يشكل تهديداً للأماكن المقدسة في فلسطين؛ حيث المخطط اليهودي لهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه.

ومن الناحية الاقتصادية: يشكل

العدو الصهيوني خطرًا اقتصاديًا على الأمة العربية، يتمثل في تدفق الأعداد الكبيرة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين، ومحاولة تركيز الصناعات اليهودية في فلسطين واحتلال الأراضي وإقامة المستعمرات الزراعية اليهودية فيها. وأشار المؤلف إلى أن مشروع تحويل نهر الأردن يعتبر من الأمثلة البارزة على تغلغل الخطر الاقتصادي الصهيوني في الوطن العربي؛ حيث يهدف هذا المشروع إلى تحويل مجرى نهر الأردن إلى فلسطين المحتلة ليروي صحراء النقب.

وننتقل إلى الباب الثالث: «**نشأة المقاطعة العربية**»: وقد أوضح المؤلف في هذا الباب أن العرب تبنَّوا المقاطعة كأداة قانونية سياسية واجتماعية للكفاح ضد الصهاينة لترويعهم ودفعهم للتخلي عن الأراضي المحتلة، وذكر أن المقاطعة مرت بتطورات مهمة؛ حيث كانت بدايتها أيام الحكم العثماني، ثم تطورت في حقبة الاستعمار البريطاني. وكانت هذه التطورات مواكبة للتطور الاجتماعي، فانتقلت المقاطعة من مرحلة المقالات والنداءات على صفحات الجرائد والمجلات إلى مرحلة العمل القانوني السياسي والممارسة النضالية؛ وفي النهاية تبنت جامعة الدول العربية المقاطعة؛ باعتبارها سلاحًا فعالاً لعرقلة نمو الدولة العبرية. وأشار المؤلف إلى قرار مجلس الجامعة الصادر في ١٦ ديسمبر ١٩٥٤م الذي ينص على مقاطعة السلع التي تنتجها المصانع اليهودية في فلسطين. ومنذ بداية الخمسينيات، أصبح الإشراف على المقاطعة العربية منوطًا بالجامعة العربية التي حاولت عزل دولة العدو سياسيًا، فاستخدمت المقاطعة كسلاح قانوني دولي في بعض الأحيان.



ويرى المؤلف أن أبرز حدث في تاريخ المقاطعة العربية هو القرار الذي اتخذته الدول العربية إثر نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣م بتخفيض إنتاج البترول العربي وحرمان الدول التي تساعد إسرائيل منه، وقد كان لهذا القرار تأثيره في عزل العدو سياسيًا بعد إجماع معظم دول العالم على وجوب انسحابها من الأراضي التي احتلتها سنة ١٩٦٧م.

كما قامت كافة الدول الأفريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع دولة العدو، وتحركت الولايات المتحدة باتجاه إيجاد تسوية للنزاع العربي (الإسرائيلي).

ثم استعرض المؤلف أجهزة المقاطعة العربية المركزية والإقليمية، ومهام

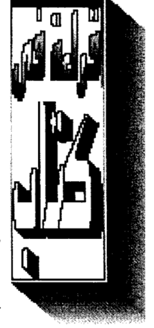
المكتب الرئيس الذي مقره دمشق، ومهام المكاتب الإقليمية والمكتب الرئيس. وأشار المؤلف إلى أن جهة الرقابة والإشراف على المكاتب الإقليمية تختلف من بلد عربي إلى آخر؛ وذلك لاختلاف نظم الإدارة والتشريع في كل منها من جهة، ولاختلاف تقدير كل دولة في إلحاق مكتبها بأحد أجهزتها من جهة أخرى، فضلاً عن أن المنظمة المتعلق بها أمور المقاطعة ونظام تأسيس المكاتب الفرعية ومشروع القانون الموحد لتلك المقاطعة وردت كلها دون تبيان الجهة التي تلتحق بها تلك المكاتب.

في الباب الرابع: «مبادئ المقاطعة العربية»: أشار المؤلف إلى أن المقاطعة العربية تعرضت لحملة شرسة من قبل الأوساط اليهودية؛ حيث حاولوا التشكيك في جدواها، ومارسوا ضغوطًا على الشركات والمؤسسات الأجنبية لكي لا تتجاوب مع المقاطعة العربية. كما حاولوا إقناع العالم بأن المقاطعة العربية قائمة على أساس ديني وعنصري. ويردُّ المؤلف على هذه المزاعم بأن الدول العربية في حالة دفاع شرعي وفقًا للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة، ومن حقها أن تتخذ كافة الإجراءات السياسية والقانونية والاقتصادية والعسكرية ضد دولة العدو والدول التي تساعدها في اغتصابها للحقوق العربية، ومن بين هذه الإجراءات المقاطعة. ثم ذكر المؤلف أهم مبادئ المقاطعة في مجالات: التصدير والاستيراد، المناطق الجمركية الحرة العربية والأجنبية، مراقبة البيوت المالية والمصارف، الطرود البريدية، الإجراءات التي تتخذ ضد عملاء العدو ومكافحة التهريب من البلاد العربية، ومنع تسرب البترول إلى دولة العدو والشركات والمؤسسات الأجنبية التي تعاون إسرائيل، كشركات الملاحة والطيران الأجنبية، وغيرها. وتدور هذه المبادئ في مجملها حول حظر التبادل التجاري بين العرب والعدو، وحظر التعامل مع الشركات والمؤسسات التي تتعامل معه.

وفي الباب الخامس: «تطور المقاطعة والأساليب المعادية لها»: استعرض المؤلف مراحل تطور المقاطعة العربية، وقسمها إلى ثلاث:

المرحلة الأولى من ١٩٥١ — ١٩٥٦م، وتعتبر فترة إرساء أسس المقاطعة ووضع مبادئها العامة.

المرحلة الثانية من ١٩٥٦-١٩٦٧م، وقد ضعفت فيها فاعلية المقاطعة نتيجة للعدوان الثلاثي على مصر، وتصدع وحدة الصف العربي على نحو ما ظهر من انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١م، والجهود المكثفة التي بذلتها دولة العدو لإحباط مفعول المقاطعة؛ وذلك باستخدام أساليب غير قانونية بدءاً من محاربة الشركات التي اختارت التعامل مع الأقطار العربية دونها، وتأليب الرأي العام ضدها، وحثّ بعض الدول على إصدار التشريعات التي تندد بها وتظهرها بعدم الجدوى والفاعلية.



المرحلة الثالثة من ١٩٦٧: ١٩٧٣م، شهدت هذه المرحلة العدوان الصهيوني في ٥ يونيو ١٩٦٧م الذي نجم عنه احتلال العدو لبعض الأراضي العربية.

ووفقاً لما ذكره المؤلف، استمر ضعف المقاطعة العربية في هذه المرحلة نتيجة للهزيمة وضعف الرقابة الأردنية، حيث برزت ظاهرة الجسور المفتوحة التي تعني إقامة علاقات سياسية واجتماعية واقتصادية بين الدولة العبرية والضفة الشرقية عن طريق الضفة الغربية وقطاع غزة «المناطق المحتلة». ولقد وجد العدو في فتح هذه الجسور فرصة تسمح باختراق جدار المقاطعة. وبالفعل عملت على تحقيق منافع اقتصادية كبيرة عن طريق هذه الجسور؛ حيث تم تصدير المنتجات الصهيونية عبرها واستقدام الزوار العرب والسياح.

ويشير المؤلف إلى سبب آخر لضعف المقاطعة في هذه الفترة وهو تهاون أجهزة المقاطعة في أداء واجبها وخصوصاً فيما يتعلق بمراقبة السفن التي تبحر إلى الكيان الصهيوني.

المرحلة الرابعة: حرب ١٩٧٣م وما بعدها. وفي هذا الشأن يذكر المؤلف أن هذه الحرب أدت إلى تحريك مشكلة الشرق الأوسط بعد أن كانت في حالة جمود، كما أدت إلى إضفاء طابع الشرعية على المقاطعة العربية.

وبقدر من التفصيل، تعرض المؤلف للحظر النفطي الذي تبنته الدول العربية ضد العالم الغربي وخصوصاً الولايات المتحدة وهولندا.

ثم تطرق المؤلف إلى التدابير التي اتخذتها دولة العدو لتقويض المقاطعة التي شملت: شن حملات الدعاية

والتضليل من قبل مكتب خاص لمكافحة المقاطعة أنشئ بوزارة خارجيتهم عام ١٩٦٣م، وقيام صحافتهم بالتنبيه إلى خطر المقاطعة العربية وضرورة مقاومتها والسعي لإصدار تشريعات في مختلف الأقطار لمنع التمييز ضد المصانع اليهودية، واستغلال النفوذ الصهيوني حيث أعلنت المؤسسات الصهيونية وقف تعاملها مع الشركات ووسائل النقل الأجنبية التي تقرر دولة العدو مقاطعتها لتعاملها مع البلاد العربية، وتحريض النقابات والعمال على مقاطعة السفن والطائرات التابعة للبلاد العربية ومنع تقديم الخدمات لها احتجاجاً على ما تتخذه تلك البلاد من إجراءات إزاء السفن والطائرات التي تتعامل مع العدو وإدراجها في القوائم السوداء، والضغط على الشركات العالمية للتعامل مع العدو، والضغط على الحكومات لإصدار تشريعات مضادة للمقاطعة العربية.

موقف الولايات المتحدة الأمريكية من المقاطعة:

أوضح المؤلف أن اليهود مارسوا ضغوطاً مكثفة على الإدارة الأمريكية منذ الستينيات لإصدار تشريعات تهدف إلى مجازاة الشركات الأمريكية التي تتعاون مع المقاطعة العربية، وأشار في هذا الصدد إلى صدور قانون الإصلاح الضريبي في عام ١٩٨٦م الذي تضمن في بنوده إلزام الشركات الأمريكية تقديم تقرير لوزارة المالية بالمعلومات التي قدمتها لأجهزة المقاطعة أو البلاد العربية بشأن المقاطعة العربية من الامتيازات والفوائد الضريبية التي اعتادت الحكومة الأمريكية أن تمنحها لتشجيع الصادرات، وفرض عقوبات مالية وأخرى مقيدة للحرية على المؤسسات والشركات التجارية الأمريكية التي تتعاون مع المقاطعة العربية.

ونصل مع المؤلف إلى الباب السادس: «النصوص المنظمة للمقاطعة العربية»: الذي تناول فيه التكييف القانوني للمقاطعة العربية؛ حيث أوضح أن ميثاق الأمم المتحدة يجيز اللجوء إلى القوة في حالة الدفاع الشرعي. فوفقاً لنص المادة ٥١ منه، فإنه يحق للعرب اتخاذ التدابير اللازمة للدفاع عن أنفسهم حيال دولة العدو بصفتها الطرف المعتدي والغاصب لأرض العرب، والمنتهك بذلك أحكام القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، ومن هذه التدابير: مقاطعة العدو والامتناع عن إقامة علاقات من أي نوع معه.

ويرى المؤلف أن المقاطعة العربية تعتبر من قبيل الحرب الاقتصادية التي يقصد بها توجيه مختلف الأسلحة الاقتصادية الممكنة ضد أهداف العدو الاقتصادية لإرباك اقتصادياته وإضعاف معنوياته؛ وأبرز هذه الأسلحة: الحصار؛ حيث فرضت المقاطعة الاقتصادية العربية حصاراً لتطويق دولة العدو وحرمانها من الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق البلاد العربية، وعدم استخدامها لمواصلاتها البرية والبحرية والجوية.

وبالنسبة لموقف القانون الدولي العام من المقاطعة، فإن المؤلف يرى أنه يجيزها؛ لأن قواعد هذا القانون أباحت للدول المتحاربة قطع علاقاتها التجارية مع العدو، واتخاذ شتى تدابير الحرب الاقتصادية. وأشار إلى أن القضاء في مختلف الدول قد أقر اعتبار الحالة القائمة بين الدول العربية والعدو الصهيوني حالة حرب بالمفهوم القانوني.

كما أن المؤلف استند أيضاً في تسويغه لشرعية المقاطعة العربية إلى القرارات المهمة التي صدرت عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن التي تؤيد كفاح الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي.

تقويم الكتاب:

لقد وُفِّق المؤلف في إثبات مشروعية المقاطعة العربية لـ (إسرائيل) مستنداً في ذلك إلى أحكام الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام وميثاق الأمم المتحدة؛ وذلك رداً على من يدمغون المقاطعة بالعنصرية أو بمخالفة ميثاق الأمم المتحدة الذي يدعو إلى تنمية العلاقات الودية بين الدول. كما وُفِّق في تتبع التطور التاريخي للمقاطعة العربية منذ بدء تدفق اليهود إلى فلسطين في فترة الحكم العثماني وحتى ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ومع ذلك، يمكنني أن أسجل الملحوظات النقدية الآتية على الكتاب:

- اقتصر المؤلف في الكتاب كله على المقاطعة العربية الاقتصادية للعدو الصهيوني، ورغم ذلك فإن العنوان ذكر المقاطعة بشكل عام دون تحديدها بالمقاطعة الاقتصادية. وقد أشار المؤلف في المقدمة (ص٧) إلى أشكال أخرى للمقاطعة مثل المقاطعة الاجتماعية التي تهدف إلى حماية معتقدات وقيم وتقاليد مجتمع ما تجاه مجتمع آخر، ولذلك كان يجب إزالة الإبهام الوارد في العنوان؛ بحيث يكون: «قوانين ومبادئ المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل».

ـ في تناوله لبعض صور انتهاك المقاطعة العربية، أشار المؤلف في (ص ١٣٠ ـ ١٣٣) إلى ظاهرة «الجسور المفتوحة» التي تم خلالها انتقال السلع والخدمات والأفراد بين الضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن، ولكن المؤلف أغفل ثغرة أخرى من الثغرات التي أحدثها العدو في جدار المقاطعة العربية التي تمت عبر الحدود اللبنانية أثناء الحرب الأهلية اللبنانية فيما عرف بـ «الجدار الطيب» الذي تم عبره انتقال منتجات العدو إلى لبنان، ونشطت حركة السياحة بين الطرفين.

ـ في حديثه عن إشراف الجامعة العربية على المقاطعة (ص٨٠ ـ ٨١)، ذكر المؤلف أنه لم تشذ دولة عربية واحدة في عقد الخمسينيات عن المقاطعة مستنداً في ذلك إلى أن مؤتمرات المقاطعة ظلت تنعقد بشكل منتظم حتى في ظروف التوتر في العلاقات العربية. والحقيقة أن هذا التعميم ينطوي على إغفال ما حدث للمقاطعة من خروق من لدن بعض الدول العربية. فرغم أن كافة الأقطار العربية أعلنت التزامها رسميًا بالمقاطعة إلا أن بعضها لم يلتزم في الواقع العملي بتنفيذ مقررات مكتب المقاطعة الرئيس تحت تسويغات وحجج متعددة، منها أن هذه القرارات اختيارية وليست ملزمة؛ ولهذا فقد مارست بعض الحكومات العربية الضغوط على المكاتب الإقليمية وتدخلت في شؤونها، إلى حدّ حملها على رفع الحظر عن بعض الشركات والمؤسسات المقاطعة.

ـ يعزو المؤلف ظاهرة «الجسور المفتوحة» التي تم من خلالها الالتفاف على المقاطعة العربية، إلى ضعف الرقابة الأردنية (ص ١٣٢ ـ ١٣٣)، وأشار إلى أن هذه الرقابة بدأت منذ مطلع عام ١٩٧٠م تشتد فاعليتها وأصبحت تشكل سياجًا منيعًا في وجه تسرب الأيدي العاملة وتبادل الخدمات والمنافع من وإلى دولة العدو. والحقيقة أن هذا الكلام يفتقر إلى الدقة؛ لأن الجسور المفتوحة لم تكن نتيجة ضعف الرقابة الأردنية، بل إنها تمت آنذاك برغبة السلطات الأردنية؛ حتى إن هذه السلطات رفضت في ذلك الوقت التوصيات التي طالبتها باحترام أحكام المقاطعة وسوَّغت مسلكها بأنه «لمصلحة القضية العربية»، وأن إبقاء العلاقات مع الضفة والقطاع يدعم صمود السكان، ولا يلحق أي ضرر بالمقاطعة العربية.

عندما يحزن العيد

نص شعري

ولدي رآني مطرقًا في العيدِ ... مستغرقًا في الصمت والتنهيدِ
فرنا إليَّ بمقلتيه محدِّقًا ... وجرى إليَّ بفطرة المولود
وقف الصغير مسائلاً ببراءة: ... «ما لي أراك مُكدراً في العيد»؟!
قل لي - بربك - يا أبي ما تشتكي ... صعب عليَّ أراك غير سعيد
فالعيد يوم للسرور وللرضا ... والأنس والإسعاد والتجديد
والعيد وصل والتقاء أحبة ... والعيد مأدبةٌ ولبس جديد
والعيد طرحٌ للكآبة جانبًا ... لتعيش منطلقًا بلا تقييد
والعيد يومٌ في ظلال خميلة ... أو روضة محفوفة بورود
والعيد في سمع الورى ترنيمةٌ ... هو فرحة كبرى بلا تنكيد
الناس حولي للحياة تبسموا ... واستقبلوا الدنيا بخير نشيد
فعلامَ تبدو يا أبي متجهِّمًا ... ومخالفاً للعرف والتقليد؟!
أم يا ترى هي حكمةٌ أُلهِمتَها ... وسواك ذو سفه وغير رشيد؟!

* * * *

صوَّبت لابني نظرة أودعتها ... ردّي وفيضَ مشاعري لوليدي
لا زالتَ غضًا يا صغيري ناشئًا ... فاسعد بيومك والغد المنشود
فأجابني: ما عدتُ غراً يا أبي ... فَارْوِ الغليل وقل بلا تمهيد
قلت استمع فلقد أثرتَ مشاعري ... ونكأتَ جرحًا نازفًا بوريدي

شعر : أحمد حسبو

كيف السرور ومسجدي الأقصى اشتكى   من حال أمتنا وكيد يهود؟!
كيف السرور وصفوةٌ من أمتي   في الأرض بين مشرد وطريد؟
هم إخوة في الله يجمعنا بهم   دين يسوِّي سيداً بمسود
كيف السرور ولم تزل أخواتنا   يصرخْنَ من وَغْدٍ ومن عربيد
يحملن في أحشائهن معرَّة   من صلب كلب كافر رعديد
بُحَّتْ حناجرهن علَّ مروءة   تأتي بمعتصم أو ابن وليد
لو أنَّ قتلَ النفس مشروعٌ لنا   لقتلن أنفسهن بالتأكيد
كيف السرور وقد رأينا مسلمًا   مَدَّ اليمينَ مُصافحًا ليهودي(*)
فإذا بهذا الوغد يصفعُ خده   صفعًا أُحسُّ لهيبه بخدودي
فرأيت يا ولدي الهوان مجسداً   هل بعد صفع الخد من تجسيد؟؟

* * * *

العيد يوم نعود قلبًا واحداً   والحبُّ يغمره مع التوحيد
حبٌّ لغير مصالح ترجى به   حب لوجه إلهنا المعبود
العيد يوم تحرر الأفهام من   رِقِّ التصوُّر، من عمى التقليد
العيد إن عاد الجهاد وكلُّنا   مستبشرون بعَوْدِهِ المحمود
سيعود حتمًا لا محالة يا فتى   بمشيئة المولى ورغم حسود
وسنُطلق الأقصى الأسير وعندها   سيكون حقًا ذاك يوم العيد

(*) مشهد عُرِضَ متلفزاً وذكرته مجلة المجتمع.

الحروب الصليبية لم تنته بعد!!

أسبانيا تحتفل بمرور ٥٠٠ عام على احتلال مدينتي سبتة ومليلة

المسلمون



والعالم

لا نريد القول إن حربًا صليبية جديدة قد شنتها أسبانيا ضد مدينتي « سبتة » و « مليلة » المغربيتين؛ لأن الحروب الصليبية لا تزال مستمرة ولم تنته بعدُ، ورغم أن حكم الجنرال « فرانكو » الديكتاتوري انتهى منذ ٢٢ عامًا وجاءت الديموقراطية إلى أسبانيا؛ إلا أن الثقافة والعقلية الأسبانية تتغلغل داخلها الروح الصليبية؛ إنها ليست مسألة تغير أنظمة حكم؛ لكنها استمرار لثقافة عنصرية يحكمها بعمق الطابع الصليبي الذي كان متحكمًا بالروح الأسبانية في صراعها مع الوجود الإسلامي ـ الذي استمر ٨٠٠ عام في أسبانيا ـ في العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث.

لا تخلو الروح الصليبية من نزوع عنصري يفرض التحيز وقلب الحقائق؛ فتحت شعار: « تلاقي الحضارات » تمَّ لأول مرة الاحتفال الأسباني في مدينتي « سبتة » و« مليلة » العربيتين بذكرى احتلالهما، ورصدت السلطات الأسبانية للاحتفالات أربعة مليارات « بزيتا » ـ العملة الأسبانية ـ وبدأ الإعداد للاحتفال بالاحتلال الأسباني للمدينتين مع مطلع هذا العام؛ حيث جرت ثلاثون تظاهرة تضمنت مؤتمرات وحفلات غنائية ومعارض بلغت قمتها بالاحتفال الكبير الذي تم يوم ١٧ سبتمبر الماضي؛ ففي يوم ١٧ سبتمبر (١٤٩٧م) أي منذ خمسة قرون نزل الأسطول الحربي الأسباني بقيادة القبطان « بيدرو اتسيوا بينيان » ليحتل الشاطئ المغربي الإسلامي؛ حيث تقبع المدينتان.

بقلم: كمال السعيد حبيب



والحضارات التي تريد أسبانيا لها أن تتلاقى على الأرض المغربية المحتلة ليس بينها الحضارة العربية الإسلامية؛ فالاحتفال تحت عنوان: « تلاقي الحضارات » استبعد اللغة العربية أن تكون إحدى لغات الحفل، وأحل محلها « الأمازيغية » ـ لغة البربر التي جرى بها الاحتفال هي والأسبانية والعبرية ـ أي أن تلاقي الحضارات الذي يعزز روح التسامح هو نفي لأهل البلد الأصليين ـ العرب ـ وتكريس للاغتصاب والاحتلال الذي مضت عليه خمسة قرون كاملة ـ فالتلاقي الحضاري من المنظور الغربي ـ الصليبي يعني الاستبعاد للآخر وسحق هويته ووجوده. والمثير أن « أسبانيا » ذاتها التي تكرس احتلالها الأثيم لمدينتين إسلاميتين تطالب « بريطانيا » أن تمنحها صخرة جبل طارق باعتبارها أرضاً أسبانية، والأكثر إثارة أن استطلاعاً للرأي جرى بين الأسبان منذ سنوات جاءت نتائجه لتؤكد أن ٤٢٪ من الأسبان يؤيدون استعمال القوة للحفاظ على المدينتين المغربيتين بينما ٣٧٪ يرون ذلك بالنسبة « لجبل طارق » أي أنهم وطنيون بالنسبة لأرض يغتصبونها من الغير أكثر منهم بالنسبة لأرض لهم يحتلها الغير!

سبتة ومليلة:

تقع مدينة « مليلة » شرق المملكة المغربية على ساحل البحر المتوسط الجنوبي على بعد ١٠ كم من مدينة « الناضور » أكبر مدن الريف المغربي،

ومساحتها ١٢ كيلو متراً مربعًا وساحلها طوله ١٠ كم، ولها سور محيط بها له سبعة أبواب، وبنى الأسبان سوراً ثانيًا حول المدينة لمواجهة حملات الجهاد المغربي لاستعادتها؛ وأشهر هذه الحملات تلك التي قادها: «محمد عبد الكريم الخطابي» الذي أنزل بالأسبان هزيمة ساحقة في معركة «أنوال» سنة ١٩٢٧م وكادت «مليلة» أن تعود إلى المغرب لولا خشية الأمير «محمد عبد الكريم الخطابي» على أرواح الناس بها. وفي سنة ١٩٠٩م قمعت السلطات الأسبانية ثورة قام بها السكان ضد شركة مناجم الريف الأسبانية لمحاولتها اغتصاب أراضيهم لإقامة منشآت عليها. و«مليلة» هي المنفذ الشرقي الوحيد للمغرب على البحر؛ ولذا فهي مرفأ لهم من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية، ويبلغ عدد سكان المدينة ٩٠ ألفًا من الأسبان والمسلمين والغربيين واليهود، ولا يمثل المسلمون الأغلبية في «مليلة» إذ إن نسبتهم لا تزيد عن ٤٥٪، وانقلبت الموازين الديموجرافية في المدينة لصالح الكاثوليك عن طريق هجرة العاطلين والمجرمين من أسبانيا إليها.

أما مدينة «سبتة» فمساحتها أكبر من «مليلة» وتبلغ ١٩ كيلو متراً مربعًا، وتمثل أهمية استراتيجية؛ لأنها أقرب ميناء أفريقي لأوروبا، والمسلمون فيها أغلبية؛ إذ يمثلون ٧٠٪ من مجمل عدد السكان الذي يصل لحوالي ٧٠ ألف نسمة، وتمثل أهم موقع للقواعد العسكرية الأسبانية على البحر المتوسط، ويعسكر فيها حوالي ١٥ ألف جندي أسباني.

إن المدينتين المغربيتين المحتلتين من أسبانيا جرى احتلالها كعقاب لهما باعتبارهما ـ من المنظور الصليبي الأسباني ـ كانتا رديفين لحركة الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى لحماية الوجود الإسلامي بالأندلس وأسبانيا، وبينما يحتفل العالم كله بتصفية الجيوب الاستعمارية مثل



«هونج كونج» و«مكاو» فإن القوى الاستعمارية الغربية تتمسك بقوة بالأراضي المغتصبة في العالم الإسلامي؛ و«فلسطينُ» و«سبتة» و«مليلة» خيرُ شاهد على ذلك، ولا يمكن فهم ذلك بعيداً عن المنظور الثقافي ـ الحضاري ـ حيث يرى الغرب نفسه محكوماً في علاقته بالعالم الإسلامي بعقدة الثأر والانتقام وسيادة عقلية العصور الوسطى العميقة التي تستهدف إبادة الآخر ونفيه.

أسبنة سبتة ومليلة:

تهدف أسبانيا إلى نزع الصفة العربية والإسلامية عن المدينتين، وفرض «الأسبنة» عليهما عبر مجموعة من الإجراءات:

١ ـ اعتبار كل من لم يتجنس بالجنسية الأسبانية من سكان المدينتين أجنبياً؛ ولذا فإن «المغاربة» الذين يتمسكون بهويتهم يصبحون أجانب في بلدهم؛ ويسمى هذا القانون: «قانون الأجانب» وصدر عام ١٩٨٥م.

٢ ـ تمت الموافقة مؤخراً على منح المدينتين الحكم الذاتي؛ بحيث يتم اختيار ممثلين من العرب والأسبان في المجالس المحلية، ومن ثم فقد اعتبر الساسة الأسبان المدينتين جزءاً من أسبانيا؛ وحين يصفهما ساسة المغرب بأنهما محتلتين فإن ثائرة الساسة الأسبان تفور ويعلنون أن هذا كلام غير صحيح.

٣ ـ تمارس أسبانيا بشكل دائم سياسات «التطهير العرقي والعنصري» فهي دائماً تطرد العائلات المغربية من المدينتين بحجة عدم الإقامة الشرعية؛ وفي عام ١٩٧٥م طردت ٢٠٠ عائلة مغربية من مدينة «مليلة»، وتفرض السلطات المحتلة في «سبتة» و«مليلة» على المغاربة قيوداً في التجارة والعمل والملكية والتعليم والعبادة، فلا يوجد بـ «سبتة» إلا ثلاثة مساجد في وضع سيئ للغاية، وتلتزم المدارس في التعليم باللغة



المسلمون والعالم

الأسبانية، وترفض أسبانيا دمج التعليم الإسلامي بالمناهج الدراسية للطلبة المغاربة المسلمين. ورغم أن نحو ٥٠٪ من أطفال المدارس في المدينتين من المسلمين إلا أنه لا يصل منهم إلى الجامعة إلا ٢٠ طالبًا فقط، ولا يكمل دراسته منهم إلا قلة لا تزيد على أصابع اليد الواحدة.

٤ ـ تريد أسبانيا أن تجعل من المدينتين الحدود الجنوبية لحلف الأطلنطي؛ وذلك حتى تجعل من الحلف أداة لها في صراعها مع المغرب حول المدينتين وفي نفس الوقت منح الحلف المدينتين كقواعد عسكرية على الشاطئ الجنوبي للمتوسط؛ حيث تسهل عليه مهامه في منطقة المغرب العربي التي تمثل خطرًا على أوروبا من منظور الحلف.

٥ ـ تشجيع السلطات الأسبانية لأن تكون المدينتان مركزًا لتهريب البضائع؛ حيث يؤثر ذلك بقوة على الاقتصاد المغربي الذي لا يمكنه المنافسة إزاء البضائع المهربة، ويعمل في التهريب حوالي ١٦ ألف عامل مغربي، وهو ما يكشف عن حجم الأموال المتداولة في هذه السوق التي يمكن أن نقول إنها سوق موازية للسوق المغربية وخطرٌ عليها، وتريد أسبانيا من المغرب أن تكون حامية فقط لبوابتها الجنوبية دون مطالبة بالمدينتين.

موقف المغرب:

يتسم الموقف المغربي الرسمي بانتهاج الدبلوماسية الهادئة لاستعادة المدينتين، ويربط بين عودة «جبل طارق» لأسبانيا وعودة المدينتين للمغرب، ودعا إلى إنشاء «خلية للتفكير» حول مستقبل المدينتين؛ لكن أسبانيا لم تتجاوب مع دعوة المغرب، وفي الاجتماع الأخير للجمعية العامة للأمم المتحدة ألقى «عبد اللطيف الفيلالي» وزير خارجية المغرب خطابًا قال فيه: «لعل أهم إنجاز حققته الأسرة الدولية خلال القرن الذي نودعه

هو « نهاية الاستعمار » فقد شهد العالم في الأشهر الأخيرة عودة « هونج كونج » إلى الصين، والإعداد لعودة « ماكاو » إليها عام ١٩٩٩م، والمنطق يفرض ضرورة تصفية ما تبقى من بؤر الاستعمار في العالم وخاصة مدينتي : « سبتة » و« مليلة » المغربيتين الخاضعتين للسيطرة الأسبانية والجزر المجاورة لهما ».

وعلى المستوى الشعبي فإن زعماء الأحزاب المغربية عقدوا مهرجاناً حاشداً للاحتجاج على الموقف الأسباني الذي يحتفل بذكرى احتلال المدينتين، وأصدرت هذه الأحزاب بياناً أدانت فيه قرار السلطات الأسبانية، وقالت إنها ترى فيه تناقضاً مع معاهدة الصداقة وحسن الجوار المبرمة مع المغرب في سبتمبر عام ١٩٩٣م.

إن قضية المدينتين لا تزال حية ولن تموت في الوجدان المغربي، غير أن الملاحظ هو تطور الموقف الأسباني إلى الاتجاه الأسوأ بشأن المدينتين، وهو ما يعني ضرورة مراجعة الموقف المغربي مع أسبانيا، وإظهار الجدية والحزم في التعامل بشأنهما.

إن الموقف الأسباني يؤكد أن ما يحدث ليس حرباً صليبية جديدة ولكنه يعني أن الحروب الصليبية لم تنته بعد.



لتر الماء... لتر النفط

أيهما أغلى؟ (١ من ٢)

قد لا تكون مسألة المياه في المنطقة العربية، وحساسيتها، وخطورتها على كافة الأصعدة، موضع خلاف بين المهتمِّين والباحثين للقضية.

فإذا أدركنا حجم المشكلة ـ ليس على المستوى العربي فحسب بل على المستوى العالمي ـ لأمكننا الخروج بتصور واضح لهذه القضية وأبعادها المثيرة في الحاضر والمستقبل.

إن العالم اليوم يواجه أزمةً حقيقية فيما يتعلق بالمياه الصالحة للشُّرب؛ فقد جاء في البيان الختامي الصادر عن مؤتمر دبلن(١) أن كمية المياه الموجودة في الطبيعة عند بداية هذا القرن تبلغ ٩٠٠٠ كيلو متراً مربعًا عندما كان سكان الأرض ألف مليون نسمة فقط؛ والآن عدد سكان الأرض تجاوز ٥٠٠٠ مليون نسمة يتنافسون على الكمية نفسها(*). وورد في إحصائيات أخرى نُشرت عام ١٩٩١م أن ٨٠٠ مليون نسمة من البشر يعانون من فاقة مائية رهيبة تتخطى في حجمها مشاكل الكرة الأرضية برمتها، بل إنَّ المخابرات الأمريكية أحصت عشر مناطق حول العالم ـ على الأقل ـ مرشحة لقيام أزمات سياسية سببها المياه.



---

(١) مؤتمر دبلن، عُقد في شهر رجب ، ١٤١٢هـ.

(*) ورد في تفسير ابن كثير عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولَقَدْ صَرَّفْنَا للنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُوراً﴾ [الإسراء: ٨٩] ما نصه: أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتعداها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى... قال ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ : ليس عام بأكثر مطره من عام؛ ولكن الله يصرفه كيف يشاء. تفسير ابن كثير ، ج٣، ص ٥١٣.



بقلم: خالد محمد مسعود القحطاني

أين يقع العالم العربي من هذه الأزمة؟!

لعل أبرز ما يميز المطر السنويَّ ـ المصدر الوحيد للمياه النقية ـ في الوطن العربي هو أن قلب الوطن العربي الذي يشغل الجزء الأكبر من مساحته ويضم الصحراء الكبرى الأفريقية، والصحراء العربية وامتدادها الشمالي في بادية الشام: يكاد يخلو من المطر؛ ذلك أن مجموع المطر السنوي في هذه الجهات لا يتعدى عشرة سنتيمترات؛ ومن المدن التي تمثل هذا النظام على سبيل المثال: الرياض في (السعودية)، وأسوان في (مصر)، وعين صلاح في (الصحراء الجزائرية).

على أنه يطوّق هذا القلب الجاف نطاقان مطيران في الشمال والجنوب، ولكن ذلك يتأثر ـ بحول الله وقدرته ـ بالموقع والتضاريس وامتداد خطوط الساحل بالنسبة لاتجاه الرياح[1].

ونخلص من ذلك إلى أن قلب العالم العربي برمته يواجه أزمة حقيقية في توفر المصادر الطبيعية للمياه، مما يجعله من أشد مناطق العالم تأثراً بذلك، وإذا أضفنا إليه بعض العوامل الأخرى التي أهمها على الإطلاق: الصراع العربي الإسرائيلي، كما أن النمو السكاني المتزايد، وانخفاض كفاءة استخدام المياه: كل ذلك يجعل العالم العربي يعيش أزمة حقيقية، ويقف في مصاف المناطق الأولى عالميًا المرشحة للانفجار في أية لحظة في حرب مائية غير مأمونة العواقب، والله وحده المستعان.

(١) الوطن العربي: أرضه وسكانه وموارده. محمد صبحي وآخرون، ط٢، ١٩٨٥م، دار الأنجلو المصرية.

المصادر المائية العربية وأهميتها المطلقة:

تواجهنا حقيقة وهي أن ٨٥٪ من الموارد المائية العربية على الأنهار تأتي من دول غير عربية (وإن كانت إسلامية)؛ فمن تركيا ينبع نهرا دجلة والفرات، في حين أن أثيوبيا تستطيع التحكم بنهر النيل، وكلا الدولتين على علاقات ممتازة مع دولة العدو (إسرائيل) التي نشأت بينها وبين تركيا أفكار ومباحثات لمشاريع مائية ضخمة إذا ما تمت فستكون قاصمة الظهر لكل من العراق وسوريا اللتين تعتمدان على نهري دجلة والفرات ليس في توفير الماء الصالح للشرب فقط بل وتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة لهما. وحتى تتضح الرؤية تمامًا لنستعرض على عجالة أهم المصادر المائية العربية وما تشكله من أهمية استراتيجية بعيدة المدى:

١ ـ نهر النيل: من أطول أنهار العالم؛ إذ يبلغ طوله من منبع (كجيرا) عند درجة الخط الرابعة، جنوب خط الاستواء إلى مصب رشيد عند البحر المتوسط ٦٧٠٠ كلم، ومساحة حوضه (٢,٩٠٠,٠٠٠ كلم مربع) وهو ثالث أحواض الأنهار الكبرى اتساعًا بعد الأمازون والكونغو. والبلاد التي يضمها حوض النيل: تنجانيقا (وبها الشطر الجنوبي من بحيرة ڤكتوريا) ـ كينيا (وبها الأطراف الشرقية لبحيرة ڤكتوريا) ـ أوغندا (وبها أشهر منابع النيل « نيل ڤكتوريا ») ـ السودان ـ أثيوبيا ـ مصر ـ رواندا ـ زائير ـ بوروندي.

ويبلغ متوسط الإيراد السنوي لنهر النيل ٨٤ مليار متر مكعب (بعد الفواقد الطبيعية) وهو ما يشكل ٩٩٪ من مصادر المياه العذبة في مصر والسودان.

وتكمن أهمية نهر النيل لمصر في حقائق ثلاث رئيسة [١]:

أ ـ أن أمن مصر يعتمد على ذلك النهر سواء أكان للشرب أو الزراعة أو المواصلات وغيرها من الأعمال الاقتصادية.

---

(١) السياسة الدولية، عدد ١٠٥، إبريل، ١٩٩٠م، ص ١٤٠، السياسة الخارجية المصرية تجاه نهر النيل، د. علاء الحديدي.

ب ـ أن كميات المياه الحالية قد تكفي حاجة البلاد الآن، ولكنها لا تكفي في المستقبل القريب؛ نظراً للتوسع البشري والعمراني والاقتصادي المتوقع[1].

ج ـ أن مصراً بالنسبة لنهر النيل تعتبر دولة مصب فقط، وتشارك معها ثماني دول في حوض ذلك النهر.

٢ ـ نهر الفرات: أطول أنهار غرب آسيا؛ إذ يبلغ طوله ٢٣٣٠ كلم، منها ٤٥٥ كلم في تركيا، ٦٧٥ كلم في سوريا، وحوالي ١٢٠٠ كلم في العراق، وينبع من هضبة آرضروم في تركيا، ويبلغ معدل التصريف السنوي لهذا النهر عند دخوله سوريا ٢٦ مليار متر مكعب، وتبلغ مساحة حوضه ٤٤٤ ألف كيلو متراً مربعاً ٢٨٪ في تركيا، ١٧٪ في سوريا، ٤٠٪ في العراق، ويحمل معه رواسب ترابية تقدر بحوالي مليون متر مكعب تتدفق إلى حوضه الأدنى وتسبب مشاكل فنية كثيرة للمنشآت القائمة على الحوض، ومياه نهر الفرات عذبة ويتراوح معدل الملوحة فيها ما بين: ٣٠٠ ـ ٦٠٠ جزء من المليون.

٣ ـ نهر الأردن: ينبع من مرتفعات سوريا ولبنان ويحتوي على ١٢٨٧ مليون متر مكعب من الماء، ويعتبر نهر اليرموك الرافد الرئيسي لنهر الأردن وهو ـ أي الأخير ـ الفاصل الطبيعي بين سوريا والأردن، ويفصل فلسطين أيضاً عن الأردن. إذن: فإن ثلاث دول تستفيد من نهر الأردن وهي: الأردن، وسوريا، وفلسطين (ممثلة في المحتلين الغاصبين).

٤ ـ الخليج العربي: مشكلة المياه في الخليج العربي مختلفة عن بقية العالم العربي؛ فهي ليست مشكلة صراع مع عدو خارجي، ولكنه صراع مع الظروف الطبيعية: التصحر، الجفاف... وقد حاولت بعض دول الخليج التعاون مع دول غير خليجية عبر مشاريع تجري دراستها لمد خطوط مياه من إيران وتركيا وهي بشكل عام مشاريع عالية التكلفة؛ ولعل أقرب مثال للحاجة

(١) بلغ عدد سكان مصر عام ١٤١٢هـ ٥٧ مليوناً و٧٥٨ ألف نسمة، وهم يزيدون فرداً كل ٢٤ ثانية كما أوضحه جهاز الإحصاء المصري، الحياة، عدد (١٠٧١٠)، ٥/٢/١٤١٢هـ.



إلى مصادر المياه في الخليج يتمثل في البحرين حيث يصل حجم الاستهلاك الفعلي إلى ١٩٠ مليون متر مكعب؛ وهناك قانون يقضي بتخفيض ذلك الاستهلاك إلى ١٠٠ مليون متر مكعب فقط، كما أن الحاجة إلى التوازن في المحافظة على مصادر المياه تؤكد ضرورة تخفيض الاستهلاك إلى ٩٠ مليون متر مكعب سنوياً خاصة وأن البحرين تعتمد على المياه الجوفية بنسبة ٩٠٪ ولا تحصل من محطات التحلية إلا على ١٠٪ فقط، ومن ثم فإن هناك عدداً من الخطط لقلب الوضع وتغطية ٩٠٪ من احتياجات البلاد من إنتاج محطات التحلية والاعتماد على المياه الجوفية بنسبة ١٠٪ فقط [١].

٥ ـ **المغرب**: على الجانب الآخر فإن المغرب يعاني من نقص المياه؛ وبرز ذلك في حالة الجفاف التي حدثت عام ١٩٧٦م؛ ولذلك تبنت الحكومة سياسة بناء سد كل عام لتخزين مياه الأمطار، فأصبح لديها ٣٠ سداً كبيراً إضافة إلى عشرات السدود الصغيرة التي تستهدف دعم الجهود لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء والمنتجات الزراعية في مواجهة نقص معدل سقوط الأمطار، ولكن مع الزيادة السكانية في المغرب عام ٢٠٠٠ إلى ٣١ مليون نسمة تتزايد التوقعات باحتمال حدوث ضغط شديد على مصادر المياه بكل الآثار السلبية التي يمكن أن تترتب على ذلك [٢].

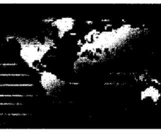
هذه نظرة سريعة لأهم المصادر العربية المائية؛ ويتضح بإمعان النظر إليها أنها في مجملها تحمل عناصر الانفجار السريع في أي لحظة، وأن المنطقة مقبلة على مستقبل مخيف لا يعلم خطورته وآثاره السلبية على المنطقة والعالم برمته إلا الله وحده.

إن اليوم الذي سوف يصبح فيه لتر الماء أغلى من لتر النفط قادم وليس ببعيد.

---

(١) مجلة الشرق الأوسط، العدد ٢٤٤، الجمعة، ٦/١٢/١٩٩١م.

(٢) انظر: المصدر السابق.



عود على بدء:

سبق أن تعرضنا لمؤتمر دبلن المنعقد عام ١٤١٢هـ، وأوردنا عنه بعض الإحصاءات، ونستكمل هنا شيئًا منها مما له علاقة بموضوعنا؛ حيث جاء فيه أن ثلث سكان العالم محرومون كليًا من مياه الشرب والغسيل، وأن ٨٠٪ من الأمراض في العالم، و٣٣٪ من الوفيات في العالم الثالث مصدرها المياه الملوثة، وأن المدن تنتج يوميًا مليوني طن من مخلفات أمعاء الإنسان وحدها لا يعالج منه سوى ٢٪ فقط.. إذن فالمشكلة ليست في نقص الموارد المائية فقط؛ بل في التلوث في مياه الشرب وحرمان شريحة واسعة من سكان كوكبنا الأرضي من مياه الشرب النقية الصالحة للاستخدام البشري.

مصادر المياه في منطقتنا:

وبالنظر إلى مشكلة المياه في المنطقة العربية نلاحظ أنها ـ من حيث النشأة ـ تنقسم إلى قسمين [1]:

أ ـ النشأة على أرض الواقع: لم تكن مشكلة المياه ونقص الموارد المائية غائبة عن صناع القرار في المنطقة العربية، وبالذات في عقد الثمانينات؛ إذ شعر الجميع أن هناك أخطاراً حقيقية تهدد وصول مياه ثلاثة أنهار عربية قادمة من بلاد غير عربية لها علاقات مشبوهة مع (إسرائيل)، والمعروفة بالضلع الثالث في الصراع العربي الإسرائيلي.

ـ ففي حوض النيل تردد أن هناك خبراء يهود يجرون أبحاثًا في إثيوبيا وأوغندا لإقامة مشروعات للري على النيل؛ وهو ما يؤثر سلبيًا على مصر أكبر وأهم المستفيدين من هذا النهر. وقد تحدث الرئيس أنور السادات محذراً أثيوبيا عام ١٩٧٧م؛ إذا ما أقدمت على أي إجراءات من شأنها التأثير على إيراد مصر من المياه وبأنه سيستخدم ضدها القوة العسكرية [2].

---

(١) السياسة الدولية، المنظور المائي للصراع العربي ـ الإسرائيلي، ص ١٣٢، د. حسن بكر.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٦.

ـ **وأما تركيا فقد قطعت تدفق نهر الفرات إلى سوريا والعراق في شهر يناير ١٩٩٠م** لملء خزان سد أتاتورك العملاق رافضة بذلك كلاً من من طلبي دمشق وبغداد بتقليص قطع المياه إلى (أسبوعين بدلاً من شهر) وسدُّ أتاتورك هذا أكبر سد في مشروع يتضمن إنشاء ٢٢ سداً وبدأ في إنتاج الطاقة عام ١٩٩١م.

وهو ما أدى إلى إعادة النظر في العلاقات التركية ـ العربية وإلى اتصال مباشر بين بغداد ودمشق.

ب ـ النشأة على المستوى الأكاديمي: منذ منتصف العقد الماضي ومراكز الأبحاث الغربية القريبة من صنع القرار في العواصم الكبرى تعمل في صمت وكتمان وفي تخطيط تام مع مراكز البحوث اليهودية أو مع حلقات البحوث المشتركة على دراسة وتحليل واستشراف مستقبل أحواض الأنهار ومنابع المياه العربية، وقد أضحت الفائدة الكبرى راجعة إلى (اليهود) بالمقام الأول؛ وهذا ما حدا باليهود إلى تنمية وتطوير هذه الدراسات؛ والبحوثُ حول هذه شديدةُ الحساسية.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد عكفت مراكز بحوث المياه والمراكز الاستراتيجية والسياسات فيها على دراسة حوض النيل والفرات والأردن بشكل يجعل مشكلة المياه أحد الأخطار التي تستهدف دول الشرق الأوسط، وجعلت من الحل النهائي لها جلوس أطراف الصراع العربي اليهودي معًا لتقرير مصير المنطقة[١].

أسباب المشكلة المائية:

لخصت «الأسكوا»[٢] أسباب المشكلة من الناحية الفنية وهي باختصار:

١ ـ انخفاض كفاءة استخدام المياه: دلت الدراسات التي أجرتها الأسكوا

(١) المرجع السابق، وقد تم ذلك في مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١م.

(٢) (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا) منظمة تابعة لهيئة الأمم المتحدة تبحث في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية. ونلحظ هنا أن هناك أسبابًا أخرى أهمها: الزيادة السكانية في المنطقة، وكذا حرب المياه التي يشنها اليهود، وكذلك النمو الاقتصادي والاجتماعي في المنطقة.

المسلمون



والعالم

أن كفاءة استخدام المياه في الري في بعض دول غرب آسيا لا تتجاوز في أفضل حالاتها ٥٠٪.

فإذا علمنا أن ٨٠ ـ ٩٠٪ من كمية المياه المتوفرة تذهب لأغراض الزراعة، فإننا ندرك مدى الهدر في هذا القطاع الذي يصل في بعض الدول إلى ٤٠٪.

٢ ـ تدهور نوعية المياه: ويرجع ذلك إلى سوء استعمال الموارد المائية، فعدم ملاءمة استخدام أساليب الري ووسائله، والتسميد، والوقاية، وانعدام شبكة الصرف الصحي، وطرح النفايات السائلة والصلبة في الأنهار والوديان، وطغيان المياه المالحة، والإفراط في الضخ... كل ذلك يؤدي إلى تدهور نوعية المياه ومن ثَمَّ المساهمة في العجز المائي.

٣ ـ عدم وجود سياسات وتشريعات مائية واضحة فيما بين الدول المشتركة: وهذا يتضح في أحواض الأنهار الكبرى (النيل ـ الأردن ـ اليرموك ـ دجلة ـ الفرات).

٤ ـ عدم إيلاء التدريب أهمية خاصة في الأوجه المختلفة في قطاع المياه: إن التدريب من الأسس التي يرقى بها هذا القطاع في تحسين قاعدة المعلومات، ويوفر إمكانية استخدام تقنيات جديدة ترفع من شأن تنمية الموارد المائية واستكشافها وحفظها[1].

المسلمون



والعالم

(١) الفرسان، عدد ٧١٣ ـ ٧/١١/١٩٩١م.

منتدى القراء

حصانة المؤمن

بقلم: سليمان بن محمد الهذال

إن الداعية إلى الله وطالب العلم مهما كان يمتلك من قوة وجلد فلا بد له من حصانة تقيه مصاعب الدنيا وشهواتها وفتنها؛ فهذا النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يخاطبه ربه بضرورة النصب بعد الفراغ. قال ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ [الشرح: ٧].

بل «لما عد نعمه السالفة ووعوده الآنفة حثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها. وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع، ويحرص على أن يتخلى وقتًا من أوقاتها فيها. فإذا فرغ من عبادة ذَنَبَها بأخرى»(١) وهذا هو السر في صبره ﷺ وحلمه على قومه حينما بلغ به من الأذى ما بلغ؛ فما يكون منه ﷺ إلا أن يقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(٢).

وهل أنت إلا أصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت

وكان ﷺ لا يغفل عن عبادة الله دائمًا؛ فكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده(٣). وهذا بخلاف العاملين لهذا الدين اليوم؛ إذ تجد الواحد منهم يتعذر بضيق الوقت وكثرة المشاغل وتعب الجسد، فيدخل الشيطان عليه من هذا الباب. وكان مما أنزل الله على نبيه ﷺ قوله ـ تعالى ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

وقال ـ تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ [الإنسان: ٢٦]. كما أن الله ـ عز وجل ـ أمر عباده أن يختموا الأعمال الصالحة بالاستغفار؛ فكان ﷺ كما في الصحيح: إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثًا. وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] فأمرهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقوموا الليل ويستغفروا بالأسحار. وقيل إن آخر سورة نزلت على

---

(١) الكشاف، ٤/٢٦٧. ذنبها: أي أتبعها.

(٢) البخاري، ح/٣٤٧٧، ومسلم، ح/١٧٩٢.

(٣) البخاري (٣٣) كتاب الاعتكاف.

دور المرأة المسلمة تجاه الفتن

بقلم: بدرية سعيد الدوسري

نحن نعيش في زمن كثرت فيه الفتن؛ فيا أيتها الأخت المسلمة: إن الله خلقك لمهمة معينة ودور يناسب رسالتك؛ فإذا خرجت المرأة عما خطه الله لها كانت الفتنة التي ضررها لا يعدله ضرر؛ ومن هذا المنطلق سوف أذكر بمشيئة الله ـ تعالى ـ دور المرأة المسلمة تجاه الفتن حتى تكون على بصيرة من أمر دينها.

دور المرأة المسلمة والضوابط الشرعية تجاه الفتن:

١ ـ الرفق: إن النبي ﷺ قال: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم. يعني أن الرفق محمود في الأمر كله؛ فعلى المرأة الرفق في الأفكار والمواقف؛ فلا تكوني غضوبة وخذي بالأمر الحسن.

٢ ـ التأني: يقول الرسول ﷺ لأشج بن قيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة». فعليك بعدم العجلة قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ [الإسراء: ١١].

٣ ـ الحلم: عليك بالحلم عند تقلب الأحوال؛ لأنه يمكن رؤية الأشياء على حقيقتها.

٤ ـ لزوم الإنصاف والعدل في الأمر كله: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢] بمعنى أن توازن المسلمة بين الأمور الحسنة والأمور السيئة لتفعل الحسن وتتجنب السيئ.

منتدى القراء

الرسول ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ ـ ٣] فأمر الله نبيه ﷺ أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار وكان رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة»(١).

وكان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقول: «فما تركتها بعدُ، ولا ليلة صفين»(٢). فهكذا كان حال صحابة رسول الله ﷺ وسلف الأمة أن لا يدعوا نصيبهم من العبادة مهما كان عندهم من المشاغل؛ فهذا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لم يدع وصية رسول الله ﷺ في أشد الليالي عليه شغلاً. وهكذا الحال مع شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فيقول ابن القيم عنه: «حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة: صلى الفجر ثم جلس يذكر الله ـ تعالى ـ إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إليّ، وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغدَّ الغداء سقطت قوتي أو كلاماً قريباً من هذا»(٣). ويقول ابن القيم: «وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وكتابه أمراً عجيباً. فكان يكتب في اليوم من التصانيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمراً عظيماً»(٤). فهكذا كان حال سلف الأمة فما إن تقرأ لعَلم من أعلام هذه الأمة إلا ويقال عنه: كان صاحب عبادة؛ وهذا هو السر في صبرهم أمام المحن وقول الحق.

ختاماً:

حريٌّ بنا أن ننهج هذا النهج، وأن يكون لنا نظر وتأمل في حياة الأنبياء والسلف الصالح حتى نكون من أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وهذا ما أقول؛ فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان. وصلى الله على نبينا محمد.

(١) مسلم، ح/٢٧٠٢، وأبو داود، ح/١٥١٥.
(٢) البخاري، ح/ ٥٣٦٢.
(٣) صحيح الكلم الطيب، (٨٤).
(٤) صحيح الكلم الطيب، (١٤٤).

٥ ـ لزوم الجماعة وترك الفرقة: قال ـ تعالى ـ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فالمعتصمون بحبل الله لا نخرج عن قواعدهم ولا ضوابطهم؛ لأنهم يعلمون من الأدلة الشرعية ما لا يعلمه كثير من الناس.

٦ ـ ضبط القول والعمل في الفتن: يجب على المرأة النظر في عواقب الأمور.

٧ ـ الاعتصام بالكتاب والسنة: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي»، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

٨ ـ التسلح بالعلم الشرعي: إن المسلمة لا بد أن تكون على بصيرة من أمر دينها؛ فالعلم نور والجهل ظلام.

٩ ـ الصبر: الصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط بالمقدور؛ فعليك أختي أن تلتزمي بالصبر حيال الفتن؛ لأنه من الإيمان.

١٠ ـ البعد عن مواطن الفتن: يقول النبي ﷺ كما في حديث المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ: «إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهاً» أخرجه أبو داود.

١١ ـ التعوذ بالله من الفتن: أمرنا الله بالدعاء وتكفل بالإجابة، ورسول الله ﷺ أمرنا بالتعوذ من الفتن؛ لأنها إذا أتت لا تصيب الظالم وحده وإنما تصيب الجميع؛ كما في حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» رواه مسلم.

منتدى القراء

إلقاء السلام وذبح الحمام

بقلم: عبد الله بن محمد الحسن

السلام الذي يعلنون سلام هش، كراعٍ قال لغنمه (كش)، فهذا يتمتع، وذاك يتمنع، والكل منه يتجرع، لا أظن سلاماً حقيقياً يحصل، وإن بدا فيه غياب أو تنصُّل؛ فكل هذا محبوك من زمن، مذ ظهرت في أرض القدس المحن، والسلام الذي يدعون ما كان، إلا حبراً على ورق (سلوفان)، فالفاصل الآن هو القتال بين المسلمين، وقتلة المرسلين، فأمة اليهود أمة تعاهد، على البنود وترتضي الشاهد، ولكنها لا تستمر في العهود، ليس ذاك بل تقاتل الشهود؛ لأنهم شهدوا على اتفاق لا يرضيها، ولأن فيها (تنازلات) من ملك الغير تعطيها، للمسلمين على أراضيهم، ولا هناء لهم مع ذويهم!، ولكن المسلمين أُذِلُّوا؛ لأنهم لسيوفهم لم يسلوا، وإنما رضوا بالدنايا، على الأمور الحسان والبقايا، ورفعوا راية غير دينية، راية القوم والوطنية، فبقوا على هامش الزمن، تلفهم البلايا والفتن.

أما اليهود المحتلون، لأرض الجولان وفلسطين، فلا يزالون قابعين متحفزين، يهدمون البيوت والبساتين، بمجرد عملية من شجاع، يزال بيته بالمقلاع، وبعدها يقاسي المرارة الأهلون، لمقتله ولسفاهة الفرعون، ولا أظن أحداً من أهله يرقد، وأمة الكفر تزرع الغرقد، مكان بيت أهله الأعزاء؛ لأنهم يقاومون الكفر وأنواع البلاء.

اليهود أمة الخيانة؛ لأن عهودهم لم تعرف الصيانة، بل لقد نقضوا العهود قبل التوقيع، فقالوا لصاحب الأرض أن يبيع، وبدأوا بعد أن باعهم المجنون، مشروع استيطان ملعون، وهكذا سيطروا على حيفا ويافا، وكل يوم يزيدون التفافا، على العرب النائمين، ليكونوا بعد سنوات مالكين، لأرضٍ قاتلَ الأسلاف لردها، إلى ملكهم وشدها، بكل ما أوتوا من قوة، من شيوخ وشباب وفتوة، وقبل كل شيء يريد اليهود التنازل، من كنعان وبابل، ليتم الاتفاق على ما يريدون تماماً، وبعدها يذبحون الحماما، فهل لنا، أن نعود كما كنا، نحكّم الشريعة ونعادي اليهود، ونزيل بين دولنا الحدود، وتعود قلوبنا صافية، فهذه الحالة كافية، بأن نهزم القرود، ونرفع القيود، ونعلي راية التوحيد، ونعيد سالف مجدنا التليد.

وبكل دار مأتم وعويل

بقلم: وائل محمد

ما للقوافي وقعهن هزيل ... والشعر أجهش بالبكاء يقولُ:

ما عاد معنى للجمال يعنّ لي ... أو بات أصلاً في الحياة جميل

في كل أرض صرخة ومناحة ... وبكل دار مأتم وعويل

في أرض بوسنة أو فلسطين التي ... فيها لأبطال الحجارة جيل

في أرض أفغان الأبية محنة ... كم دق فيها للقتال طبول

في أرض مورو في جزائر ديننا ... في كل قطر لليهود سبيل

يا للمآسي قد تتابع نزفها ... في كل قطر خطبهن جليل

من للحرائر دنست أعراضها؟ ... نفسي الفداء أما لهن وصول؟

منتدى القراء

الإسلام والعقل

بقلم: موسى ضيف الله المطرفي

الإنسان ابتداءاً هو ذلك المخلوق الذي خلقه الله من قبضة من طين الأرض، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، لا ذلك الحيوان الذي دعاه دارون، ولا المادة التي زعمها التفسير المادي للتاريخ. ومقياس علو الإنسان وهبوطه ليس هو الإنتاج المادي والعمارة المادية للأرض: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩] لكنهم كانوا جاهلين؛ لأنهم رفضوا الهدي الرباني، وأصابهم في النهاية ما يصيب الجاهلية من الدمار، على الرغم من كل القوة التي يملكونها، ومن أثارة في الأرض وعمارتها.

إنما مقياس علو الإنسان أو هبوطه هو مقياس الإنسانية الذي يتمثل في التزامه بمقتضيات الكتاب والسنة في عمارة الأرض، ووفق المنهج الرباني لا بأي منهج سواه، وحين يتحقق الوعي التاريخي؛ لا في صورة ذهنية تجريدية، ولكن في صورة وعي لواقع الأمة يكون هذا عوناً كبيراً للإنسان الراشد يوجهه إلى السلوك الناضج المستقيم الذي يتحقق به الوجود الأعلى للإنسان الذي يمثل الرشد البشري في أعلى حالاته.

إن الإسلام يعطي العقل مكانه اللائق به بلا إفراط ولا تفريط؛ فالرؤية الإسلامية لا تغالي في تقدير قيمة العقل فتقحمه فيما ليس من شؤونه، أو تجعله المرجع الأخير لكل شيء حتى الوحي الرباني، ولا هي تبخسه قدره فتمنعه من مزاولة نشاطه في ميادينه الطبيعية التي يصلح لها ويحسن العمل فيها.

فتكل إلى العقل مهام خطيرة وواسعة: تكل إليه مهمة حراسة الوحي الرباني الذي تكفل الله بحفظه من كل تأويل فاسد مضل، وحراسة أحكام الله من الانحراف بها عن مقاصد الشريعة، وحراسة المجتمع من الآفات الاجتماعية والسياسية والفكرية والخُلقية التي تؤدي إلى تدميره، كما تكل إليه مهمة التقدم العلمي والبحث وعمارة الأرض، ولكنها لا تكل إليه ولا تسمح له أن يحيد عن الوحي الرباني والمنهج الرباني، ولا يجتهد من عنده بما لا يأذن به الله؛ لأنه عندئذ يجانب الصواب، وتلك هي الرؤية المتوازنة حيال ما يمكن أن يطلق عليه: عقلانية الإسلام.

بانت سعاد

بقلم: عيسى علي آل خماش

يا أيها الشجنُ الغادي إلى هدفٍ	تقسمته البراري والعراقيل
يقضى علينا بأسباب نحبذها	كأنها فوقنا طيرٌ أبابيل
قل للشباب لنا دِين يصيحُ بنا	حتامَ يشغلنا فنٌ وتمثيل؟
ويمكرون وعين الله شاهدة	يملي وليس لوعد الله تبديل
هناك تسمع للأبطال جلجلة	ويستحثك تكبير وتهليل

بريد البيان

■ الأخ / معن عبد القادر:
نشكر لك متابعتك الجيدة للمجلة. وتعقيبكم على مقال: الاختلاف بين المسلمين، أحيل إلى كاتب المقال، مع تمنياتنا بدوام التواصل مع مجلتكم وتقبلوا فائق تقديرنا .

• • •

■ الأخ / ميمون عبد السلام باريش:
جزاكم الله خيراً على مشاركتكم الطيبة، ونفيدكم بأنها قد أجيزت للنشر ، جزاكم الله خيراً .

• • •

■ الأخ / تركي المحيا:
نشكر لكم اقتراحاتكم الجيدة، وقد أوكل إلى أحد كتاب المجلة الكتابة في بعضها، ومرحبًا باقتراحاتكم، وفقت للخير .

• • •

■ الأخ / محمد الحاج محمد:
جزاكم الله خيراً على اقتراحاتكم للكتابة عن «العقلانيين» ولعلكم ترونه على صفحات المجلة قريباً.. مع تمنياتنا لكم بالتوفيق .

• • •

■ الأخ / محمد رضا الذيباني:
اقتراحاتكم الطيبة محل نظر، ونشكر لك اهتمامك بمجلتك، مع رجاء دوام التواصل .

• • •

■ الإخوة والأخوات / محمد عيظة باوزير ، عُلا محمد جبلي ، د. محمد عبد العزيز الحلواني، طارق أحمد شوقي:
سعدنا كثيراً بمشاركاتكم ورسائلكم وثقتكم في مجلتكم، كما يسعدنا هذا التواصل، ونتمنى لكم التوفيق في مشاركات أخرى، جزاكم الله خيراً.

• • •

■ الأخ / عبد الرحمن عبد الهادي العمري، ومحمد عبد السلام الباشا:
بعض مشاركاتكما أجيزت في منتدى القراء .

• • •

تنبيه هام

الإخوة القراء:

عند إرسال مشاركات ومراسلات للمجلة يرجى الانتباه للآتي:

- أن تكون المشاركة بخط واضح وعلى وجه واحد من الورقة.
- أن يرفق بها وسيلة اتصال: هاتف، فاكس، عنوان بريدي، وذلك لتسهيل التواصل معكم... وجزاكم الله خيراً.

■ الإخوة / عبد الله بن حسن الوادعي، أسامة أنور عيسى، جمال الدين عبد الرحيم، محمد الحوتي، غازي المهر، رشاد حسن العمري، عبد الله بن محمد السرحاني:
جزاكم الله خيراً على مساهماتكم الطيبة للمجلة، ونفيدكم بأنها ستنشر في منتدى القراء.

• • •

■ الإخوة / محمد عبد الرحمن المقرن، أحمد حسبو، د. عبد الغني مزهر، عباس شعيب حسن، عبد الله عطية الزهراني، عبد الله بن عيسى العيسى:
وصلتنا رسائلكم الكريمة؛ ونقدر لكم هذا الاهتمام وهذا التواصل، ومشاركاتكم ستجد طريقها للنشر إن شاء الله.

• • •

هنا (واق الواق)

خالد أبو الفتوح

« هل تسمعني سيد مشتاق؟ . . . . . سيد مشتاق! . . يبدو أن الخط قد انقطع مع السيد مشتاق . . معنا على الخط الآخر السيد محظوظ . . . » وبعد الحديث مع السيد محظوظ يتم العثور على السيد مشتاق، فيستكمل حديثه الذي كان سوء الخطوط الهاتفية قد قطعه عليه، ويظن الرجل (المحنّك) أنه أمام فرصة ثمينة للتعبير عن رأيه بصراحة من خلال منبر إعلامي (حر)، ولكنه يفاجأ بالصوت نفسه يقاطعه عند أهم نقطة يود توضيحها : « سيد مشتاق . . وقت البرنامج لا يسمح . . نحن مضطرون إلى التحوّل الآن إلى ضيفنا في الاستوديو دكتور نبهان . . . » .

هذا أحد المقاطع المتكررة بصورة ملفتة للنظر من القسم العربي بإحدى إذاعات (واق الواق !) الغربية وطيوفها المسماة بالمحطات الفضائية، بل بعض الإذاعات العربية! وكلها تدعي تبنيها مبدأ الإعلام الحر؛ ولكن الحقيقة أنها تسهم بشكل فعّال في تكوين الرأي العام، بممارسة توجيه إعلامي مركّز ولكنه مغلّف بتعدد الآراء، بل تسهم في التأثير على صناعة القرار، وذلك من خلال :

١ ـ اختيار الشخصيات التي يتم التحاور معها بصورة تجعل الحوار في دائرة معينة، ويرسم لكل منهم دوره (المتشدد أو المعتدل أو اللين) الذي يؤديه في هذه الدائرة ـ واعياً بذلك أو غير واعٍ ـ .

٢ ـ انتقاء الموضوعات المثارة بدقة، مع عرض بعض الحقائق، بحيث تخدم التوجه الذي تريده الإذاعة دون أن تفقد مصداقيتها لدى المستمع.

٣ ـ وضع إطار محكم للموضوع الذي يتم نقاشه بما يخدم الهدف

من البرنامج، ولا يُسمح بالخروج على ذلك الإطار.

٤ ـ دفع الحوار أو التقارير في مسار محدد يسيطر عليه المذيع أو مخرج البرنامج.

٥ ـ منع أي محاور من تجاوز الخطوط الحمراء المرسومة أو عرض وجهة نظر غير مرغوبة، وذلك من خلال: المقاطعة عند نقطة التجاوز وتحويل الحوار إلى شخص آخر.. وتغيير مجرى الحديث إلى موضوع آخر بطرح سؤال يشتت انتباه المتحدث وتركيزه.. والعودة بكلام المتحدث إلى نقطة معينة مع التذكير بأن هذا هو محور الحديث الذي لا ينبغي الخروج عنه.. وكثيراً ما تظهر (كرامات) الخطوط الهاتفية التي تنقطع فجأة أو تشوش في لحظة حاسمة، كما تضيف المحطات الفضائية إلى هذه (الكرامات) الإعلانات التي تتدخل في اللحظة المناسبة!.

٦ ـ إذا كان الأستاذ (مشتاق) مسؤولاً فإنه يُعمَد إلى توجيه أسئلة إليه تعمل على إحراجه أو استفزازه أو تأليبه على جهة بعينها.

إلى بعض المصابين بداء التلقي من الغرب والثقة العمياء فيه نسوق إحدى الشهادات من مؤرخ بلجيكي الأصل والجنسية أخذ على عاتقه نشر الحقائق التي تفضح الزيف الذي دأب الغرب على ترويجه، يقول « سيجفريد فيربيكا » في لقاء مع جريدة البيان الإماراتية (٢٧ / ٧ / ١٩٩٧م): « الحقيقة هي أن غالبية وسائل الإعلام الأوروبية تقع تحت سيطرة (لوبي صهيوني اقتصادي سياسي قوي) ذي نفوذ لا أستطيع إنكاره، وهذا اللوبي له مصالح تختلف مع الحقائق؛ لذلك فسرعان ما تتهم مختلف وسائل الإعلام التي ذكرتها الباحثين والدارسين والمؤرخين الحياديين لحقائق التاريخ بالكذب، وتصل لوصفهم بالتطرف والإرهاب في حالة إعلانهم لتفاصيل وشواهد تثبت وجهة نظر مخالفة لهم أو تظهر حقائق تكشف أكاذيبهم... لذا فإن الإعلام الغربي يتهم ويهاجم أهل الفكر والتاريخ من بني جنسه عندما يحيدون عن الخطوط المرسومة لسياسة بلاده الداخلية والخارجية.

وأضاف « سيجفريد فيربيكا »: لا تستغرب إذا قلت لك بأن إعلام غرب أوروبا بصفة خاصة موجه من قبل حكوماته، وللأسف الشديد: إن الاعتقاد السائد في كثير من دول العالم بأن منطقتنا ديمقراطية وبها حريات في التعبير عن الرأي هي الأخرى أكذوبة كبرى ».

أيها السادة.. ألا ترون معي أننا سئمنا من استغفالنا بهذه الطريقة المكشوفة وأن العبقرية الإعلامية الصهيونية في حاجة إلى طريقة جديدة تخادعنا بها؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس :

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

رأي نعتز به

مجلة البيان ولله الحمد منذ بدايتها صوت من أصوات أهل السنة والجماعة تنطلق من منهجهم، وتدعو الجميع لمبادئهم والسير في ركابهم، وهي بفضل من الله ـ تعالى ـ محل ثناء وتقدير العلماء والدعاة الأبرار؛ وإن لم تسلم من تسلط بعض المثبطين و(المصنفين) رجماً بالغيب بهدف الإساءة بمناسبة وبغير مناسبة، بجهل أو تجاهل، ولهذه الفئة المحدودة نقول : (الموعد الله) .

ولقد أسعدنا وأثلج صدورنا تقريظ (محدِّث العصر) العلامة الجليل الشيخ ناصر الدين الألباني حينما سئل عن مجلة البيان، فقال : (مجلة البيان التي تصدر من بريطانيا جيدة، وهي تصلني بحمد الله، وأنا مطلع عليها، واتجاهها لا غبار عليه فيما علمت) .

ونحن إذ نقدر هذا الموقف الموضوعي من فضيلته تجاه البيان نرجو الله له طول العمر وحسن العمل، وأن يعينه لإنجاز الموسوعات والمصنفات الحديثية الكثيرة، وأن ينفع الله بجهوده المباركة في خدمة السنة؛ وهو الذي لم يصل إلى درجته في هذا المضمار أحد من المعاصرين فيما نحسب .

ويسعدنا في الوقت نفسه أن تصل البيان إلى علماء الأمة ودعاتها، وهم يقتطعون جزءاً من وقتهم الثمين المزدحم بأعباء الدعوة والتعليم ليطلعوا عليها ويقوِّموها .

ولا شك في أن هذا الموقف الموضوعي ـ لفضيلة الشيخ ـ يضاف إلى التشجيع الذي نتلقاه من كُتَّابنا وقرائنا، فيزيدنا ثباتاً على المنهج، ويدفعنا إلى التطوير إلى الأفضل في الشكل والمضمون بما سيُسَرُّ له قراؤنا قريباً ـ إن شاء الله ـ.

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ؛ فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة — ش الجلاء — الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ؛ فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠؛ فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ؛ هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : موسسة الهلال لتوزيع الصحف — المنامة :
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ — ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا، الإمارات العربية ٦ دراهم، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن ٤٠ ريالاً، مصر ١٢٥ قرشًا، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ٥٠ دينار، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

الحوار المفروض ... والحوار المرفوض

الحوار .. التفاوض .. المباحثات ... المداولات من أجل إتمام عملية السلام.. أو استئنافها.. أو إنقاذ عملية السلام! أصبح كل هذا فرضًا لازمًا وأمرًا جازمًا على من يمثلون العرب والمسلمين. فعبر سنوات، ومنذ أن أطلق الشيطان المريد (قطار مدريد)، ظل يتعثر على قضبانه المعوجَّة، فيضل تارة عن محطاته، أو يفقد إحدى عجلاته، أو يخرج عن مساراته.. ومع كل هذا.. فلا بد أن يستمر القطار ليكمل المشوار!

● المستوطنون يُسلَّحون، ويُقتِّلون، ويتوسعون ويغتصبون.. لا بأس! لا بد أن تستمر عملية السلام!

● المصلون أريقت دماؤهم بالعشرات في صلاة الفجر داخل المسجد الإبراهيمي وعلى عتبات المسجد الأقصى... لا ضير.. فلتستمر عملية السلام!!

● قنابل عناقيد الحقد والغضب تحصد الأبرياء داخل مساكنهم في لبنان... ولا يكفي هذا لإيقاف عملية السلام!

● يموت رابين ويجيء النتن بنيامين، فيوسع الاستيطان، ويتوعد الجيران لتحقيق خطط التهديد والتهويد، ويخطط لإعادة احتلال الضفة والقطاع... ولا مفر من ركوب القطار واستئناف المسار، مهما كانت الأخطار!



وإذا سألت القاصي والداني: مَنْ أولئك الذين يحرص العرب كل الحرص على استمرار الحوار معهم؟ فلن يختلف معك أحد في أن هؤلاء هم أعداء الماضي والحاضر والمستقبل ـ اليهود ـ خصمنا التاريخي وعدونا التقليدي، الطامع في أرضنا وعرضنا، والطامح في إخضاعنا وإذلالنا!!

ومع اتفاق العقلاء على ذلك، فيا ويل من يجرؤ على المناقشة العلنية لمشروعية هذا الحوار المهين معهم؛ إنَّ من يجرؤ على ذلك لن يسلم من الاتهام بالخروج عن (النص) و (الإجماع) العربي، ومخالفة (الاجتهاد) و (القياس) السياسي!

افتتاحية العـــدد

إن المرء يكاد يجزم ـ وهو يرى كل هذا ـ أن قطار السلام ذاك، قد حُدِّدت محطته النهائية بعناية، فلن يتم السماح بأن يصيبه عطل أو تعطيل مهما كانت الظروف والأسباب إلى أن يصل إلى غايته المرسومة، ويفرغ **بضاعته المشؤومة!**

ونظن أنه حتى لو قامت الحرب، فسوف تنتهي (العمليات الحربية) ـ بعد أن تحقق أهدافها ـ بالدعوة إلى استئناف (العملية السلمية) حتى ولو ماتت القضية... فيكفي أن تبقى (روح السلام) حية!!

ما هو الحوار المرفوض؟

وسنترك إلى حينٍ الحوارَ المفروض مع اليهود أعداء السلام إلى الحوار المرفوض مع دعاة الإسلام...

ماذا سنرى على الجهة الأخرى؟ سنرى إصراراً موازيًا وتصميمًا محاذيًا، لا لتدشين الحوار ودفعه، بل لتكفينه ودفنه!

فكم من دعوة للحوار قد رفعها الإسلاميون في أكثر من بلد إسلامي، فكانت الإجابة عدم الاستجابة... لماذا؟! تقول الأنظمة الرافضة للحوار إذا سئلت عن سبب الرفض: (**مع مَنْ نتحاور**)؟ وكأنهم لا يرون في كل شرائح العاملين للإسلام من هو أهل للمحاورة!!

وقد أصبحت هذه إجابة تقليدية لا يسأمون من تردادها: (نتحاور مع من)؟! فيجيب عقلاء الناس: تتحاورون مع مواطنيكم.. مع رعاياكم.. مع من يفترض أنكم تشتركون معهم في الدين واللغة والوطن والتاريخ والمصير.. و.. فتأتي الإجابة دائمًا: لن نتحاور مع (الإرهاب) ولا مع من حمل السلاح!



حسنًا ... نجيبكم متسائلين: من الذي لجأ أولاً إلى حمل السلاح ثم ألجأ الناس إلى حمله؟

ثم ماذا عمن لم يحملوا سلاحًا ولم يمارسوا إرهابًا، لماذا يشملهم القرار بحظر الحوار؟

الحوار المفروض..
والحوار المرفوض

لقد دعا حزب الرفاه في تركيا العلمانيين ـ مدنيين وعسكريين ـ إلى قبول

الحوار من أجل مصلحة البلاد... فأبوا إلا الاستعلاء على هذه الدعوة، معتبرين الإسلاميين من مخلفات الماضي الذي لا يتحملون رؤيته، ولا يطيقون السماع عنه... مع أن هؤلاء الرافضين المتعالين المتكبرين، هم هم، بشحومهم ولحومهم ودمائهم الذين يتكففون الرحمة، ويستجدون الشفقة من الأسياد في مجلس التعاون الأوروبي، لاهثين وراء قبول العضوية ولو في المقاعد الخلفية في السوق المشتركة الأوروبية!

وها هي (محكمتهم الدستورية)!! تحل (حزب الرفاه) وتجرد (أربكان) وخمسة نواب من حقوقهم السياسية؛ ومع إمكانية (الاستئناف) إلا أن البوادر غير مطمئنة لنتيجة إيجابية. لكن مهما كانت مواقف أذناب أتاتورك فلن يستطيعوا أن يمحوا الإسلام من أفئدة الشعب التركي المسلم الذي عرف حقيقة هؤلاء العلمانيين المتطرفين، وليعلم الجميع حقيقة العلمانية في بلداننا وماهيتها في أوطاننا المبتلاة بها!

وفي الجزائر أطلقت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ـ وهي المجني عليها بشهادة المنصفين ـ أطلقت مبادرة سلمية تدعو للتحاور مع السلطة من أجل وضع حد للأزمة الدموية في البلاد التي أغرقها فيها العسكريون العلمانيون... فيجيء الرد المبرم... لا حوار معكم فأنتم إرهابيون، ومع أن رائحة تورط السلطة في عمليات الإرهاب هناك باتت تزكم الأنوف، حتى إن العالم بدأ يطالب بتحقيق (جاد) في المذابح التي تجري هناك وسط جو رهيب مريب!



وفي مصر، انطلقت من داخل السجون دعوة للحوار، وأصدر القادة القدماء للجماعات الإسلامية بيانًا يدعو لوقف العنف وإلقاء السلاح وبدء الحوار بحياد وموضوعية. ومع أن الداعين لا يزالون في قيودهم، والمدعوين طلقاء في كامل حرياتهم وقوتهم، إلا أن الحوار رُفض بشكل حاسم بالرغم من أن هذه الدعوة تكررت أكثر من ثلاث مرات خلال السنوات والأشهر الماضية.

افتتاحية العدد

وهذه الدعوات التي أطلقها الإسلاميون في هذه البلدان، هي على الأقل ما سمعنا به وما أعلن عنه من دعوات للحوار، وإلا فإن الظاهر أن هناك دعوات أخرى تتكرر هنا وهناك في أنحاء العالم الإسلامي، ولكنها تقابَل بالرد، وتجابَه بالرفض.

إننا لا نجد إجابة عند من يفتحون مصاريع الحوار مع اليهود عن سبب ذلك الإعراض والصدود عن محاورة المنتسبين للإسلام، سواء أكانوا مسلحين أو مسالمين.. متشددين أو معتدلين.

وحتى عندما تواضعت بعض الأنظمة ووافقت على الحوار، اشترطت أن يكون داخل السجون!! وذلك حتى يؤتي الحوار ما يريدونه من ثمار، وهي مزيد من المفتونين الذين يُطلق عليهم وصف: (التائبين)!

وعَوْدًا إلى الحوار المفروض مع اليهود... لقد أخذ هذا الحوار بُعداً جديداً، وذلك بفتح قنوات أخرى من (الحوار) معهم، ليست سياسية هذه المرة، ولكنها دينية، وذلك بعد الزيارة التي دُعي إليها الحاخام الأكبر لليهود الغربيين (إسرائيل لاو) فلبى الدعوة الرسمية، وزار الأزهر والتقى بشيخه..... لماذا؟ للحوار..!! الحوار في ماذا؟... في الدين!!!

هكذا قال المدافعون عن الزيارة، يقولون إنها محاورة في الدين، والإسلام يدعو إلى التحاور مع كل أصناف الكفار والكتابيين لدعوتهم إلى الإسلام!

نقول لهؤلاء: وهل جاء الحبْر الخبيث للتحاور في الدين؟ هل جاء مستفهمًا؟ هل جاء مستهدياً؟ أو حتى مجادلاً ومناظرًا في مسائل تتعلق بالدين؟ أم جاء ليصطاد في الماء العكر، وليستصدر إعلانًا مشتركًا بإدانة ما أسماه (الإرهاب)؟! نعم: إدانة الإرهاب، وماذا يعني مصطلح الإرهاب لدى اليهود؟ إننا نعرف، وهو يعرف، والأزهر يعرف؛ ولذلك فقد رفض شيخ الأزهر أن يوقع معه وثيقة الإدانة، وهذا شيء طيب، ولكن الأطيب والأسلم والأشرف كان يتمثل في رفض الحوار ابتداءاً مع شيطان في صورة إنسان، كان مسؤولاً مع غيره من أمثاله في إصدار الفتاوى لليهود في إباحة كل ما يفعلون من جرائم بحق العرب والمسلمين كانت وما زالت.



إن هذا الرفض ـ لو تم ـ لكان منسجمًا ـ على الأقل ـ مع مبدأ الرفض التقليدي للتحاور مع (الإرهاب)... ولكن المشكلة بالفعل تكمن في أن الحوار منه ما هو مفروض، ومنه ما هو مرفوض! وتلك هي المأساة.

والله المستعان

الحوار المفروض..
والحوار المرفوض

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

بقلم: د. عدنان علي رضا النحوي

في إشراقة آية

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

[النحل: ١٢٥]

يطلق كثير من المسلمين هذه الآية الكريمة حجّة لهم في موقع غير موقعها ليسوّغوا عجزاً أو تنازلاً أو عدم تقدير حقيقي لعظمة هذه الآية الكريمة وشدّة ارتباطها مع كامل منهاج الله في تناسق وإعجاز مع يُسْر للناس في فهمها وتدبُّرها.

إن الآية الكريمة تمثّل حقًّا مطلقًا جاء من عند الله وحيًا على نبينا محمد ﷺ. وستظل هذه الآية الكريمة غنيّة الممارسة والتطبيق في كل واقع بشري. ولنفهمَ الآية الكريمة ونتدبرها يجب أن نفهم القضيّة التي تعالجها.

إن الآية تبتدئ بعرض القضية والموضوع: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ...﴾ هذه هي القضية التي تتحدث عنها هذه الآية الكريمة متناسقة مع جميع الآيات الأخرى في القرآن الكريم، الآيات التي تتحدث عن هذه القضية وأساليبها ووسائلها. إنها قضية الدعوة إلى الإيمان والتوحيد، إلى الله ورسوله، إلى دين الله الحق ـ الإسلام ـ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ومن عبادة العباد والأوثان والأهواء إلى عبادة الله الذي لا إله إلا هو.

إن هذه القضية تمثل القضية الكبرى في الكون والحياة، القضيّة التي من أجلها بعث الله الرسل والأنبياء الذين خُتموا بمحمد ﷺ، وبالقرآن الكريم الذي جاء مصدّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه. إنها تمثل الهدف الرّبانيّ الثابت الأول في حياة المسلم وفي مسيرة الدعوة الإسلامية. ومن أجل

هذه القضيّة تقوم الدعوة الإسلامية في الأرض لإنقاذ الناس من عذاب الدار الآخرة لمن يموت على الشرك أو الكفر، ولإنقاذ الناس من فتنة الدنيا.

القضية التي تدور حولها الآية والآيات التي قبلها وبعدها هي قضية دعوة الناس إلى الإيمان والتوحيد. ومن أجل هذا الهدف العظيم تتحدّد علاقة المسلم بسائر الناس على ضوء قواعد ربّانية يفصّلها منهاج الله.

إن التوجيه في هذه الآية للداعية العامل، الداعية المجاهد الذي عرف دربه وهدفه، وعرف عهده مع الله ليكون الحافز الدائم ليمضي على الدرب يبلّغ رسالة الله.

فمن أجل ذلك جاء التوجيه الرباني: ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ هذه هي القاعدة الأولى الهامة: أن تكون الدعوة بالحكمة أولاً، باختيار الأسلوب الأمثل المليء بالحكمة لتبلغه رسالة الله واضحة جليّة دون مواربة ولا تنازلات ولا مساومات. لا يحلّ للداعية المسلم أن يغيّر أو يبدّل في دين الله، وفي الأساليب التي بيّنها منهاج الله، ثم يقول: إن هذا التغيير أو التنازل هو من باب الحكمة.

والحكمة هي في بعض الآيات تعني ما أنزل من عند الله، وفي آيات أخرى تجمع معانيها بأنها: فقه الموهبة المؤمنة والمسؤولية والأمانة.

وهنا يحاول بعض المسلمين أن يقرّب الإسلام من العَلمانية مدّعياً أن تقريبهما هو من باب الحكمة، أو ضرورات الواقع، أو المصلحة العامة التي يتوهمها.

إن أسلوب الحكمة نستطيع أن نفهمه من كتاب الله نفسه، ومن هذه الآية الكريمة بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ والموعظة هي أن تبيّن لهم عظمة الإسلام والإيمان وقوة ثباتك أيها الداعية المسلم عليه. الموعظة الحسنة هي: الوضوح في الكلمة المؤمنة الطيبة، والصدق فيها، حتى لا يكون هناك مجال لسوء الفهم أو التغرير. إنها تتأكد بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ... ﴾ [البقرة: ٨٣]، وبقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

[الحج: ٢٤]

في إشراقة آية

ويجمع الله ـ سبحانه وتعالى ـ معاني ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾، ﴿ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾، ﴿ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾، ﴿ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾، وغير ذلك من الآيات الكريمة، بقول جامع في آية جامعة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

إنها آية جامعة لكل ما سبق، مفصِّلةٌ لمعنى: ﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ وغير ذلك مما ذكرناه أعلاه. إنها تجمع ذلك في ثلاث قضايا أو خطوات:

أولاً: ﴿ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾: أن تكون الدعوة إلى الله هي جوهر العلاقة دون تغيير ولا تبديل، ودون تمويه ولا مماراة، ودون ضعف أو تردد.

ثانياً: ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾، حتى يرى الناس أن قولك مطابق لعملك، وأنك ملتزم بما تقتضيه دعوة الناس إلى الله: كلمة ونهجاً وتطبيقاً، ليروا الإسلام ليس في الكلمات ولكن ليروه في واقع الحياة حيًّا ناطقًا بالحق.

ثالثاً: ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ إنه الوضوح والجلاء وإعلان الهُويَّة لمن تدعوه، حتى يطمئنّ إلى صدقك واستقامتك، وأنك تعلن الحق ولا تتنازل عن شيء منه أبداً، وترفض الباطل ولا تقبل منه شيئًا.

إن اللحظة التي يتنازل فيها الداعية عن شيء من الحق، أو يقبل فيها شيئًا من الباطل، تكون دعوته قد انتهت وسقطت وخسر الموقف كله، وفتح الباب لشياطين الإنس والجنّ أن تلج وتتسلل، ثم تمتد وتقوى، وإذا الداعية المسلم أصبح يدعو بدعوة هؤلاء تحت شعار «الحكمة» إذا به يدعو إلى الحداثة أو العلمانية أو الديمقراطية أو الاشتراكية، كل ذلك بدعوى الحكمة والموعظة الحسنة.

الأمثلة على ذلك كثيرة: داعية مسلم يدعو في قلب أمريكا إلى الديمقراطية، وداعية مسلم ينتقل من بلد إلى بلد، يبذل جهده وماله ووقته ليبيّن للناس فضائل الديمقراطية «لأنها المثل الذي يحتذى»، ولا يتطرّق إلى الإسلام ودعوته، وداعية ينتقل ليبيّن للناس أنه «لا خلاف بين مقصود الشريعة الإسلامية والعلمانية»، وداعية مسلم يحتضن «الاشتراكيين» ويقبل

بعض مناهجهم المنحرفة، فإذا هو داعية اشتراكي. أو يحتضن «الحداثيين» ويتنازل لهم ويسكت عن بعض مناهجهم المنحرفة، فإذا هو راضٍ عنها أو داعية لها؛ ذلك لأنّ الشيطان يُزيّن للإنسان سوء عمله حتى يراه حسناً دون أن يشعر أنه مخطئ. إنه أمر طبيعي! إن الحق يرفض أن يُتنازَل عنه أو عن شيء منه أو أن يتجزّأ؛ لأنه عزيز قوي من عند الله، وإن الحق يرفض أن يُشرَك معه باطل؛ لأن الحق من عند الله والباطل من الشيطان وأعدائه.

ليس أمام الداعية المسلم إلا سبيل واحدةٌ: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾

[يوسف: ١٠٨]

نعم: ﴿ **أَدْعُو إِلَى اللَّهِ** ﴾! وليس إلى غيره. أبلّغ رسالة الله إلى الناس. نعم: ﴿ **عَلَىٰ بَصِيرَةٍ** ﴾! على إيمان ويقين، ونهج واضح ودرب جليٍّ، وأهداف مشرقة لا انحراف عنها!

﴿ **أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾! فالمؤمنون أمة واحدة تمضي على سبيل واحدة إلى أهداف واحدة، تنزيهاً لله دون شرك أبداً.

إنه ليس من الحكمة ولا من الموعظة الحسنة أبداً أن لا تدعو إلى الله، أو أن تعطّل الدعوة إلى الله بالانشغال عنها بما هو أقل منها شأناً عند الله، أو تُفرّق الدعوة أجزاءً غير مترابطة لا تكوّن نهجاً متصلاً ولا سبيلاً ممتداً: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي** ﴾! فالأمر من الله جَليّ حاسم: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾! بلّغ رسالة الله إلى الناس!

إنه ليس من الحكمة ولا من الموعظة الحسنة أن تدعو إلى شيء من دون الله، ولا إلى أمر من دون الله؛ فقد جاء النهي من الله عن ذلك جليًّا حاسماً: ﴿ **وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** ﴾

[يونس: ١٠٦]

﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن: ١٨].

﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن: ٢٠].

إنه ليس من الحكمة ولا من الموعظة الحسنة أن لا تبلّغ رسالة الله كاملة، كما أنزلتْ من عند الله، أو أن تخفي منها شيئاً، مداراة لوهم قذفه الشيطان في نفسك، أو ظنًّا منك أنك بإخفاء

في إشراقة آية

شيء من رسالة الله أو تحويره تبلغ هدفك؛ فالله أعلم، ولقد جاء أمره جليًّا حاسمًا:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

إنك أيها الداعية المسلم إن أخفيت شيئًا خسرت أمرين: خسرت احترام مَنْ تدعوه؛ لأنه يعرف دينك الذي لا يؤمن هو به، ويعرف أنك غيّرت وبدّلت، وخسرت رضاء الله وعونه ونصره؛ فما النصر إلا من عند الله.

إنه ليس من الحكمة ولا من الموعظة الحسنة أن تخالف أمر الله وما أوحى به إلى عبده ورسوله محمد ﷺ، أن تخالف ذلك إلى هواك واجتهادك البشري على غير أساس من دين؛ فلقد جاء أمر الله جليًّا حاسمًا: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

ليس من الحكمة أن نُصَوِّر الإسلام أنه دين المسالمة والمساومة والتنازلات كي نركن إلى من لا يؤمن بالله، أو انحراف عن دين الله، أو ربما إلى غير الله، أو افترى على الله كذبًا وادَّعى باطلاً، أو أخفى وبدل وغير. ولا هو من الحكمة أن نخفي ما فرضه الله نصًّا صريحًا في الكتاب والسنة من عدم موالاة المشركين والكافرين والمنافقين، أو نخفي ما أمر الله به من جهاد في سبيل الله. ليس من الحكمة أن نخفي ما بيّنه الله للناس، ولا أن نركن إلى الظالمين، فقد جاء الأمر من عند الله جليًّا حاسمًا في كل ذلك، وأمر المؤمنين بالصبر على ما يلقونه في سبيل الله:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا

لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٢، ١١٣].

وكذلك فإنه ليس من «الحكمة» أن نتهم الإسلام بأنّه دين العدوان والظلم، بادعاء باطل يقوم على تأويل فاسد للجهاد في سبيل الله، لنسوّغ الجريمة في الأرض، ونخفي أن الإسلام دين الحقِّ والعدل، ودين الرحمة والعزّة والقوة، وأن الحقَّ والعدلَ والرحمة والعزَّة لا تتحقّق في الأرضِ إلا بالجهاد في سبيل الله.

إن أساس الحكمة والموعظة الحسنة أن نبلّغ رسالة الله كما أُنزلتْ على محمد ﷺ، لا نخفي شيئًا ولا نبدّل ولا نغيّر؛ ذلك لأن الموازنة في كتاب الله معجزة كلّ الإعجاز، لا نستطيع بلوغها إلا باتباعها، ولا نستطيع بلوغها إذا لم نبلّغ الإسلام بتكامله ووضوحه، أو إذا بلّغنا جزءًا أو حذفنا جزءًا، أو إذا قبلنا باطلاً؛ فذلك ما يسعى إليه المجرمون في الأرض منذ عهد النبوة الخاتمة؛ ليفتنوا المؤمنين عما أوحي إلى محمد ﷺ: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣ – ٧٥].

وكذلك قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

وكذلك: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦، ١٤٧].

إذن نستطيع أن نفهم ما هي الحكمة والموعظة الحسنة في طريق الدعوة إلى الله من كتاب الله ومن سنة نبيه محمد ﷺ. ولقد أتينا بقبسات فقط؛ لأننا لا نستطيع أن نعرض هنا كل ما جاء في منهاج الله، فلا بد للمسلم أن يعود إلى منهاج الله عودة صادقة ليرى الصورة الجليّة بتكاملها وترابطها وتناسقها.

ثم يأتي الأمر الثاني من عند الله: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾! نعم!

في إشراقة آية

يجب مجادلتهم بالتي هي أحسن؛ ذلك والمسلم الداعية قائم بالدعوة إلى الله، يبلغ رسالة الله بتكاملها، يعرض الحق لا يتنازل عن شيء منه أبداً، ويرفض الباطل ولا يقبل منه شيئًا أبداً. إذن، وهو في طريق الدعوة، يدعو ويبلغ، قد يضطر إلى المجادلة، ليعرض حجّته بأسلوب مشرق صادق واضح مقنع.

الأسلوب الحسن في الجدال نفهمه كذلك من كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ، كما بيّنا قبل قليل. الأسلوب الحسن هو الوضوح والجلاء، والصدق والبيان، والحجّة القوية المقنعة، تعرض الحقّ وترفض الباطل، وليطابق القول العمل، وذلك كله بأدب وخلق، بالكلمة الطيّبة، والعمل الصالح.

ويعلمنا القرآن الكريم جميع جوانب ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾، وحدودَها وأسلوبَها، وبصورة عملية جليّة. فلنأخذ قبسات من ذلك: ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

هذه هي الحدود: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾ والظالمون هم الذين يدعون إلى باطل ويصرّون عليه، والذين يعتدون ويظلمون الناس. والكافرون والمنافقون: الذين يفسدون في الأرض.

وهذا هو الأسلوب الأحسن: ﴿ **وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ إنه الصدق والحق والوضوح، بأدب عالٍ وبيان وخلق. ليس الأسلوب الأحسن أن نقول إننا علمانيون، أو أن علمانيتكم قريبة من ديننا، ولا أن ديمقراطيتكم هي من الإسلام، والحداثة من الإسلام، والاشتراكية من الإسلام، وعدِّد ما شئت، ثم تقول إن ذلك كله من الإسلام! ولو فعلنا ذلك لما عرفَ الناس عندئذ ما هو الإسلام في وسط هذا الخليط المضطرب، ولا ما هي حقيقته!

وانظر كيف يعلمنا الله ممارسة الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الأحسن: ﴿ **الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا**

وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴿٦١﴾ إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ٦٠ - ٦٢].

فهل هنالك أبلغ من هذا الدرس العظيم، إلا أن يكون درساً آخر من كتاب الله، فاستمع إلى درس ثان في قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

[آل عمران: ٦٤]

وضوح وجلاء، وقول فصل حاسم، بأعلى درجات الخلق والقول الحسن والحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن، واستمع أيضاً إلى أدب الجدال الحسن في صورة تطبيقية عملية:

﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴿٦٥﴾ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿٦٦﴾ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴿٦٧﴾ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾.

[آل عمران: ٦٥ - ٦٨]

وضوح وجلاء، قول فصل حاسم، حجة بالغة تخاطب النفس والعقل، لتبلغ الحق لا باطل معه ولا شوائب. موقف حاسم لا مساومة فيه ولا محاولة لتقريب الحق من الباطل أو الباطل من الحق؛ إذ لا لقاء بينهما أبداً.

واستمع إلى هذه الآيات الكريمة تعرض لنا الحكمة والموعظة الحسنة والقول الحاسم عندما ينتهي دور الجدل والجدال:

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴿٤﴾ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾

[الممتحنة: ٤، ٥]

في إشراقة آية

مواقف كثيرة نتعلم منها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، كيف يجب أن نمضي في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد، إلى الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، إلى الله ورسوله، وكيف تكون الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

إن هذه القواعد الربانيّة يجب التزامها لتكون نهجًا متصلاً واعيًا في حياة المؤمن الداعية، سواء أكان يدعو كافراً ومشركًا، أو أحداً من أهل الكتاب، أو رجلاً منتسبًا إلى الإسلام فيه انحراف وضلالة في بعض جوانب فكره كما يبدو للناس. لا بدّ من الوضوح والجلاء والقول الحاسم والحجة البالغة المقنعة، ولا بد للداعية أن يلتزم هو أولاً ما يدعو إليه، ليكون قوله مطابقًا لموقفه وعمله.

لقد كشف واقعنا بالأمثلة الحيّة الواقعيّة أن أيّ تنازل من الداعية عما يؤمن به، وقبوله ببعض ما يرفضه مداراة للطرف الآخر، بدعوى أنه قبول مرحليّ وتنازل مرحلي، حتى يتألف القلوب، إن أي تنازل مثل هذا فتح ثغرات واسعة في صفّ المسلمين، تسلل منها الطرف الآخر بدعوته ورسالته، فإذا المسلم الذي كان يرفض «الحداثة» مثلاً، أصبح بعد تنازله يسكت عن أخطاء الحداثة، ثم أصبح يألفها، ثم أصبح يدعو لها، بعد أن زيّن له الشيطان ذلك بالخطأ أو الانحراف: **﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾** [محمد: ١٤]

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

وكذلك كان شأن من تنازل للديمقراطية عن حقائق الإسلام، حتى أصبح داعية للديمقراطية في كل موطن باسم الإسلام ونسي أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ: **﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾** .

وكذلك صار بعض المسلمين يملؤون الندوات بالدعوة إلى الاشتراكية حين كانت أيام مواسمها، وكذلك صار بعض الدعاة المسلمين دعاةً إلى العَلمانيّة بصورة ظاهرة واضحة، في الندوات والمؤتمرات!

والذين أخذوا يُمارُون النصارى

ودعاة النصرانية ويُوادّونهم، فَيَسْمعون منهم دون أن يُسْمعوهم، بحجة «الحكمة» دون الدعوة إلى الله ورسوله، ودون الموعظة الحسنة، فما لبث بعضهم أن وجد نفسه يألف ما يدعونه إليه من باطل، ويغيب عنه الحق الأبلج في الإسلام، ولا يجد حوله من يوقظه أو يعظه، فإذا هو تارك لدينه، مرتمٍ في شرك وضلالة أهلك نفسه بها.

إنها الخطوة الأولى دائماً، ثم تتلوها الخطوات.

الخطوة الأولى التي يزيّنها الشيطان هي السكوت عما يؤمن به المسلم الداعية أو ما يدّعي أنه يؤمن به، السكوت عما يؤمن أنه حق فلا يدعو ولا يبلغ، وإنما يصمت ويستمع.

وتأتي الخطوة الثانية التي يزينها الشيطان حين يقبل المسلم بعض ما يدعو إليه الطرف الآخر بحجة الحكمة وتألف القلوب والاحتضان. طرف يعلن رأيه بوضوح وقوة وتصميم غير عابئ بودّك أيها الداعية المسلم، أو يتظاهر بودك حيناً، وأنت صامت لا تبلّغ دعوتك ولا رأيك الحق، فماذا تتوقع أن تكون النتيجة؟ كيف تسكت والأمر من عند الله مدوٍّ في الكون كله:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ... ﴾!

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ... ﴾!

أيها المسلمون! قولوا الحق وادعوا إلى سبيل ربكم، وبلغوا رسالة الله إلى الناس كما أنزلت على محمد ﷺ، افعلوا ذلك ثم تحدّثوا عن الحكمة والموعظة الحسنة!

دراسات شرعية

أضواء شرعية على ..

العلاج بالرقى والقرآن

(٢ من ٢)

بقلم : فتحي الجندي

أوضح الكاتب في الحلقة الماضية أن التوسع في مسألة الرقى صاحبه بعض بدع محدثة وممارسات مخترعة، ثم حذر المسلمين من ضعف التوكل والوقوع في الأوهام والوساوس، وعرّج على مشروعية التداوي وهدي النبي ﷺ في التحصين والعلاج فيما يخص موضوعنا، وأخيراً: أخذ في بيان الوسائل المبتدعة في هذا العلاج.. ويواصل في هذه الحلقة توضيح جوانب أخرى.
- البيان -

رد الاحتجاج بالمجربات استقلالاً:

هذا الكلام مستخرج من كلام شيخ الإسلام: ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، في أن استجابة الدعاء وقضاء الحاجات من الله ـ عز وجل ـ لا يعني ذلك أن الوسيلة مشروعة؛ فقد يستجيب الله ـ عز وجل ـ مع تعدي العبد في الدعاء، بل مع الشرك الصريح، وفي هذا ردّ على من يحتج بأن عمله مشروع؛ لأنه ربما دعا فاستجاب الله لدعائه، أو أنه قد جرّب أمراً فنفعه؛ مما يعني مشروعيته بزعمه. والنقول في ذلك كثيرة نكتفي ببعضها:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وقد يحكى من الحكايات التي فيها تأثير، مثل: أن رجلاً دعا عندها ـ أي المشاهد ـ فاستجيب له، أو نذر لها إن قضى الله حاجته فقضيت حاجته، ونحو ذلك. وبمثل هذه الأمور كانت تعبد الأصنام.

فإن القوم كانوا أحياناً يُخاطَبون من الأوثان، وربما تُقضى حوائجهم إذا قصدوها؛ ولذلك يجري لهم مثل ما يجري لأهل الأبداد[1] من أهل الهند

(١) الأبداد لعلها جمع بُدّ. والبُدّ: الصنم.

وغيرهم، وربما قيست على ما شرع الله تعظيمه من بيته المحجوج، والحجر الأسود الذي شرع الله استلامه وتقبيله، كأنه يمينه، والمساجد التي هي بيوته.

وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس، وبمثل هذه الشبهات حدث الشرك في أهل الأرض»[(١)].

وقال ـ رحمه الله ـ أيضاً: «فكم من عبد دعا دعاء غير مباح فقضيت حاجته في ذلك الدعاء، وكانت سبب هلاكه في الدنيا والآخرة.

تارة بأن يسأل ما لا تصلح له مسألته، كما فعل بلعام وثعلبة، وكخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم، وكان فيها هلاكهم.

وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لا يحبه الله. كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥] فهو ـ سبحانه ـ لا يحب المعتدين في صفة الدعاء، ولا في المسؤول. وإن كانت حاجتهم قد تقضى؛ كأقوام ناجوا الله في دعواتهم بمناجاة فيها جرأة على الله واعتداء لحدوده، وأُعطوا طلبتهم فتنة ولما يشاء الله ـ سبحانه ـ. بل أشد من ذلك: ألست ترى السحر والطِّلَّسمات والعين وغير ذلك من المؤثرات في العالم بإذن الله قد يقضي الله بها كثيراً من أغراض النفوس الشريرة؟ ومع هذا فقد قال ـ سبحانه ـ: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٢، ١٠٣] فإنهم معترفون بأنه لا ينفع في الآخرة. وأن صاحبه خاسر في الآخرة. وإنما يتشبثون بمنفعته في الدنيا. وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ**﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكذلك أنواع من الداعين والسائلين قد يدعون دعاء محرماً يحصل لهم معه ذلك الغرض، ويورثهم ضرراً أعظم منه. وقد يكون الدعاء مكروهاً ويستجاب له أيضاً.

ثم هذا التحريم والكراهة قد يعلمه الداعي، وقد لا يعلمه على وجه لا يعذر فيه لتقصيره في طلب العلم، أو تركه للحق. وقد لا يعلمه على وجه يعذر فيه، بأن يكون فيه مجتهداً أو مقلداً، كالمقلد أو المجتهد اللذين يعذران في سائر الأعمال.

وغير المعذور: قد يتجاوز الله عنه في ذلك الدعاء لكثرة حسناته من صدق

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٣٢٠.

دراسات شرعية

قصده، أو لمحض رحمة الله به، أو نحو ذلك من الأسباب.

فالحاصل: أن ما يقع من الدعاء المشتمل على كراهة شرعية بمنزلة سائر أنواع العبادات.

وقد عُلِمَ أن العبادة المشتملة على وصف مكروه: قد تغفر تلك الكراهة لصاحبها لاجتهاده أوتقليده، أو حسناته، أو غير ذلك. ثم ذلك لا يمنع أن يعلم أن ذلك مكروه ينهى عنه، وإن كان هذا الفاعل المعين قد زال موجب الكراهة في حقه.

ومن هنا يغلط كثير من الناس؛ فإنهم يبلغهم أن بعض الأعيان من الصالحين عبدوا عبادة، أو دعوا دعاء، وجدوا أثر تلك العبادة وذلك الدعاء. فيجعلون ذلك دليلاً على استحسان تلك العبادة والدعاء، ويجعلون ذلك العمل سنة كأنه قد فعله نبي. وهذا غلط لما ذكرناه، خصوصاً إذا كان ذلك العمل إنما كان أثره بصدق قام بقلب فاعله حين الفعل، ثم تفعله الأتباع صورة لا صدقاً فيضرون به؛ لأن هذا العمل ليس مشروعاً؛ فلا يكون له ثواب المتبعين، ولا قام بهم صدق ذلك الفاعل الذي لعله بصدق الطلب وصحة القصد يُكفّر عن الفاعل...

ومن هذا: أني أعرف رجالاً يستغيثون ببعض الأحياء في شدائد تنزل بهم فيفرج عنهم؛ وربما يعاينون أموراً، وذلك الحي المستغاث به لم يشعر بذلك، ولا علم له به البتة. وفيهم من يدعو على أقوام أو يتوجه في إيذاء أولئك. وربما رآه ضارباً له بسيف، وإن كان الحي لا شعور له بذلك. وإنما ذلك من فعل الله ـ سبحانه ـ بسبب يكون بين المقصود، وبين الرجل الدافع من اتّباعٍ له، وطاعةٍ فيما يأمره من طاعة الله ونحو ذلك. فهذا قريب.

وقد يجري لعُبَّاد الأصنام أحياناً من هذا الجنس المحرم ـ ما يظنون أنه محبة من الله ـ بما تفعله الشياطين لأعوانهم. فإذا كان الأثر قد يحصل عقب دعاء من يتيقن أنه لم يسمع الدعاء، فكيف يتوهم أنه هو الذي تسبب في ذلك، أو أن له فيه فعلاً؟ وإذا قيل إن الله يفعله بذلك السبب.

فإذا كان السبب محرماً لم يجز، كالأمراض التي يحدثها الله عقب أكل السموم، وقد يكون الدعاء المحرم في نفسه دعاء لغير الله، وأن يدعو الله مستشفعاً بغيره إليه كما تقول النصارى: يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الإله، وقد يكون دعاء لله، لكنه توسل إليه بما لا يحب أن يُتوسل به إليه؛ كما يفعل المشركون الذين يتوسلون إلى الله بأوثانهم. وقد يكون دعا الله بكلمات لا تصلح أن ينادى بها الله،

أو يُدعى بها؛ لما في ذلك من الاعتداء.

فهذه الأدعية ونحوها ـ وإن كان قد يحصل لصاحبها أحيانًا غرضه ـ لكنها محرمة لما فيها من الفساد الذي يربو على منفعتها، كما تقدم. ولهذا كانت هذه فتنة في حق من لم يهده الله، وينوِّر قلبه...

وأما اعتقاد تأثير الأدعية المحرمة: فعامته إنما تجد اعتقاده عند أهل الجهل الذين لا يميزون بين الدليل وغيره، ولا يفهمون ما يشترط للدليل من الاطراد؛ وإنما يقع في أهل الظلمات من الكفار والمنافقين أو ذوي الكبائر الذين أظلمت قلوبهم بالمعاصي، حتى لا يميزون بين الحق والباطل.

وبالجملة: فالعلم بأن هذا كان هو السبب أو بعض السبب، أو شرط السبب، في هذا الأمر الحادث، قد يُعلم كثيراً، وقد يُظن كثيراً، وقد يُتوهم كثيراً وهمًا ليس له مستند صحيح، إلا ضعف العقل.

ويكفيك أن كل ما يُظن أنه سبب لحصول المطالب مما حرمته الشريعة من دعاء أو غيره؛ لا بد فيه من أحد أمرين:

- إما أن لا يكون سببًا صحيحاً: كدعاء من لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنك شيئًا.
- وإما أن يكون ضرره أكثر من نفعه.

فأما ما كان سببًا صحيحًا منفعته أكثر من مضرته، فلا ينهي عنه الشرع بحال. وكل ما لم يشرع من العبادات مع قيام المقتضي لفعله من غير مانع فإنه من باب المنهي عنه كما تقدم»ا.هـ[1].

سادسًا: الرقية وضوابطها: تعريف الرقية:

قال ابن منظور في لسان العرب: (الرقية: العوذة، [وهي] معروفة).

وقال الحافظ ابن حجر: (.. لكن يحتمل أن يقال: الرقي أخص من التعوذ، وإلا فالخلاف في الرقي مشهور. ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى الله ـ تعالى ـ والالتجاء إليه في كل ما وقع وما يتوقع)[2].

قلت: معلوم أنهم كانوا يرقون في الجاهلية برقى كثيرة معروفة لهم ومجربة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٣٥٩ ـ ٣٦٥. باختصار. وانظر: النذير العريان، للكاتب (١٢٣ ـ ١٣٨).

(٢) فتح الباري، (١٠/ ٢٠٧).

دراسات شرعية

عندهم. فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى؛ قال: فعرضوها عليه، فقال: ما أرى بأساً: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»(١).

وعن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»(٢).

وهنا يبرز سؤال: هل الرقىٰ توقيفية أم اجتهادية؟

وهل يدخل الاجتهاد على التوقيفية؟ وما ضوابط ذلك الاجتهاد؟

والجواب: أن النبي ﷺ لم يصادر ما كان موجوداً من الرقى ولم يسد الباب ابتداء ليقدم لهم بعد ذلك ما يراه جائزاً من تلك الرقى، ولكنه ترك الباب مفتوحاً ليمارس المسلمون بأنفسهم عملية التمحيص، وليقبلوا من الرقى ما لم يَحْوِ شركاً أو محرماً، أو ما يؤدي إلى محرم، كما يُفهم من سائر نصوص الشريعة.

وهنا يجمُل بنا أن نستحضر حديث أبي سعيد في رقية اللديغ بالفاتحة؛ وفيه قول النبي ﷺ: «وما أدراك أنها رقية؟»(٣).

قلت: لاحظْ قوله ﷺ: «وما أدراك أنها رقية؟» فإن هذا يعني أن أبا سعيد ـ رضي الله عنه ـ قد اجتهد أو نقول: إنه قد وُفّق من الله وفهم أن هذه رقية، وتأكد ذلك بحصول البرء للديغ، وبإقرار النبي ﷺ هذا ما كان مع أبي سعيد، أما غيره ممن لن يقره النبي ﷺ فقد يخطئ ويصيب، فيجب الرد إلى الكتاب والسنة لتمحيص ذلك.

هذا وليس بغريب على الله أن يختص بعض خلقه بفهمٍ فوق فهم الآخرين، ربما لم يكن ليخطر لهم على بال. قال ـ تعالى ـ: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [الأنبياء: ٧٩].

ولذلك قال النبي ﷺ: «وما أدراك أنها رقية»(٤).

---

(١) مسلم في السلام (١٤/١٨٦ نووي). (٢، ٣) مسلم في السلام، (١٤/١٨٧ نووي).

(٤) قلت: في هذا تقرير من النبي ﷺ لا يجوز تخصيصه، ولم يخالف في ذلك ـ فيما نعلم ـ إلا=

الرقية والدعاء: هذا وأمر الرقية يشبه الدعاء، فالدعاء بالمأثور وإن كان أوْلى إلا أن الدعاء بغير المأثور مباح بلا خلاف: ما لم يَحْوِ محرمًا، أو يؤدي إلى محرّم كما جاء في بعض الأحاديث.

فعن أنس أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال: الحمد لله حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «أيكم المتكلم بالكلمات؟» فأرمَّ القومُ فقال: «أيكم المُتكلم بها؟ فإنه لم يقل بأسًا» فقال رجلٌ: جئت وقد حفزني النفس فقلتها. فقال: «لقد رأيت اثني عشر ملكًا يبتدرونها أيهم يرفعها»[(١)].

قلت: سكوت هذا الصحابي - رضي الله عنه - يدل على أنه خشي أن يكون قد أخطأ بوجه ما في دعائه هذا، وخشي ألا يقرّه النبي ﷺ.

وهناك نموذج آخر لمن يدعـو بما لا يصلح:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة، وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً! فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: لقد تحجَّرت واسعًا! يريد رحمة الله[(٢)].

من أجل هذا نقول: إن الدعاء بغير المأثور وإن كان مباحًا إلا أنه يجب ألا يشتمل على محرم، وألا يكون ذريعة لمحرم: كهجر الدعاء بالمأثور مثلاً، ولأنه من باب استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، وعليه فتحرِّي المأثور أوْلى وأسلم في الدعاء والرقية على السواء.

الرقى وأنواعها: تنقسم الرقى إلى ثلاثة أنواع:

الأول: حلال: وهي ما كانت مأثورة عن النبي ﷺ أو من جنس المأثورة، ونعني

= الشيخ حامد الفقي - رحمه الله -، حيث علّق في مدارج السالكين ١/ ٥٥ بقوله: (لم نجد في الروايات الصحيحة أن أحداً من الصحابة - لا في عهد الرسول ﷺ، ولا بعده - فعل مثل ذلك مرة ثانية. ولعله - والله أعلم - كان هذا الحادث بصنع الله لأولئك الصحابة الذين كانوا في حاجة رسوله ﷺ، ومنعهم أهل الحي حقهم من الضيافة، مع جوعهم وشدة حاجتهم، فسلط الله الحشرة على رئيسهم فلدغته، ليستخرج لهم بتلك اللدغة والرقية حقهم) ا.هـ.

(١) مسلم في المساجد، ١/ ٤١٩ (٦٠٠).

(٢) أحمد (٢/ ٢٣٩، ٢٨٣)، وأبو داود في الطهارة (٣٨٠) وغيرهما.



دراسات شرعية

بقولنا: أو من جنس المأثورة: ما يكون من الدعاء المباح والنفث في اليدين والمسح بهما ونحو ذلك مما ورد في النصوص الصحيحة دون زيادة أو استحداث هيئة غامضة لا يدرىٰ لها وجه على ما سيأتي.

الثاني: حرام: وهي التي تشتمل على شرك أو طلسم لا يُدرىٰ ما هو، أو تحتوي على أي محرم بالنص.

الثالث: ما تتباين فيه فتاوى أهل العلم؛ فمنهم من يميل إلى إباحته، ومنهم من يقول بالمنع؛ على ما سيأتي تفصيله ـ وهذا النوع يمكن أن يطلق عليه اسم: (المختلَف فيه).

الرقية الشرعية: قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله ـ تعالى ـ، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله ـ تعالى ـ ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال: «كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» وله من حديث جابر: «نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم، فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، قال: فعرضوا عليه، فقال: ما أرى بأساً، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه». وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطاً. والشرط الآخر لا بد منه»(١).

قلت: ينبغي أن يضاف إلى منع ما لا يعقل معناه وأنه قد يؤدي إلى الشرك، أنه قد يؤدي إلى تقرير البدع وتسويغ أعمال السحرة والمشعوذين.

هل الرقى يدخلها الاجتهاد والتغيير؟ الرقية كما قلنا: نوعان: توقيفية، واجتهادية مباحة بضوابط، ولكن هل يجوز إدخال الاجتهاد على الرقى التوقيفية المأثورة؟

الجواب: لا؛ لأن ذلك يُعدّ بمثابة الاستدراك على النبي ﷺ والمخالفة له. فإذا

(١) فتح الباري (١٠/٢٠٦).

قال ﷺ مثلاً: قل ثلاثًا فليس لقائل أن يقول: قل عشرًا. فلا يجوز تغيير عدد منصوص أو هيئة أو صفة أو زمان بدون مسوّغ شرعي.

أما الرقى غير المأثورة فهي مباحة ما لم تحوِ محذورًا شرعيًا ولا سيما إذا جربت وصح نفعها بقدر الله، أما أن يُحتج لرقية ما بأنها جربت وصح نفعها بمجرد التجريب فقط؛ فهذا وحده لا يكفي كما سبق تقريره.

فالرقية التي تكون على هيئة غامضة وأوامر معتسفة بحيث تشبه أفعال السحرة والمشعوذين وطقوسهم، مثل هذه الرقية لا تجوز وإن زعموا أنها قد جُربت ونفعت.

والمسلم يجب أن يكون على بصيرة من أمره في كل ما يأتي أو يذر فيزن كل ما يعرض له بميزان الشرع. وأن يتريّث قبل العمل بمثل هذه الأمور التي لا يوجد فيها نقلٌ صحيح صريح.

فهذه الأشياء التي لا يُعقل معناها، إذا لم نتأكد أنها من الأسباب الشرعية أو العادية التجريبية؛ فلا يجوز التسليم بها أو تعاطيها؛ لأن هذا يفتح بابًا عظيمًا من الفتن؛ إذ إنه ذريعة إلى تصديق السحرة والدجالين وتلبيس أمرهم على العامة.

يقول ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: «وقد توقف أحمد لما سئل عن رجل يزعم أنه يحل السحر فقال: قد رخص فيه بعض الناس. قيل: إنه يجعل في الطنجير ماء، ويغيب فيه، ويفعل كذا، فنفض يده كالمنكر، وقال: ما أدري ما هذا؟ وسئل ابن سيرين عن امرأة تعذبها السحرة، فقال رجل: أخط خطًا عليها، وأغرز السكين عند مجمع الخط وأقرأ عليها القرآن، فقال محمد: ما أعلم بقراءة القرآن بأسًا على حال ولا أدري ما الخط والسكين»[1].

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى ورع أحمد ومن قبله ابن سيرين ـ رحمهما الله ـ.

ويقول الباجي: «وكره مالك أن يرقي الراقي وبيده الحديدة أو الملح، والعقد في الخيط أعظم كراهية عنده، وروي عنه أنه كره الحديدة والملح، والعقد في الخيط أشد كراهية، ووجه ذلك عندي أنه لم يعرف وجه منفعته فإنه يكره استعماله لما يضاف إليه، والله أعلم»[2].

وقال الباجي في موضع آخر أيضًا: «وروى ابن وهب عنه عن المرأة التي ترقي

---

(١) الكافي لابن قدامة (٤/١٦٦ ـ ١٦٧).

(٢) المنتقى شرح الموطأ، ٧/٢٥٨.

دراسات شرعية

بالحديدة والملح، وعن الذي يكتب الحرز ويعقد فيما يعلقه به عقداً، والذي يكتب حرز سليمان أنه كره ذلك كله، وكان العقد عنده في ذلك أشد كراهية، لما في ذلك من مشابهة السحر، ولعله تأوّل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ والله أعلم»[١].

قلت: في الموضع الأول علّل كراهيته أنه لم يعرف وجه منفعته، وهنا عللها لما في ذلك من مشابهة السحر، ولكن هناك وجه آخر من كلام مالك ذكره القسطلاني قال: «وفيه جواز الرقية لكن بشروط: أن تكون بكلام الله ـ تعالى ـ أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية غير مؤثرة بنفسها بل بتقدير الله ـ عز وجل ـ . وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله ـ عز وجل ـ، وبما يعرف من ذكر الله إلى أن قال: وروى ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان، وقال: لم يكن ذلك من أمر الناس القديم»[٢].

سابعًا: فتنة المال للمعالجين وحكم التفرغ لذلك:

لقد تضافرت النصوص في التحذير من فتنتي المال والنساء، ولم ينتفع بذلك إلا القليل؛ ذلك أن حب المال مركوز في الفطرة، وكذلك حب النساء .

وفي سنن الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[٣].

وقال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب، فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك سمه. قيل: ما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه. وقال: مصيبتان للعبد في ماله عند موته لا تسمع الخلائق بمثلهما، قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ منه كله، ويُسأل عنه كله»[٤].

حكم أخذ الأجرة على الرقية:

لا يختلف اثنان ممن يتعاطون الفقه في جواز أخذ الأجرة على الرقية الشرعية

---

(١) المصدر السابق، ٧ / ٢٦١ .

(٢) إرشاد الساري ٨ / ٣٨٨، شرح الزرقاني على الموطأ، ٤ /٤١٧ .

(٣) أحمد (٤ / ٦٠)، والترمذي في الزهد (٢٣٦٧) وغيرهما.

(٤) مختصر منهاج القاصدين، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

لحديث أبي سعيد الخدري ـ رضي لله عنه ـ في رقية سيد الحي اللديغ وغيره.

ولكن إذا نظرنا إلى حال ذلكم الحي، الذي لُدغ سيده فسنجد في الحديث نفسه، أنهم كانوا قومًا لئامًا، وقد كانوا على الشرك، وقد منعوا الصحابة حق الضيف الذي لهم.

قلت: فكان من المناسب استيفاء الحق منهم كاملاً جزاءً وفاقًا لخبثهم ولؤمهم في منع حق الضيف.

ومع هذا فلا نقول ولم يقل أحد ـ إنه لا يجوز أخذ الأجرة إلا ممن كان في مثل حالهم، ولكن الذي يقال: أن المسلم أوْلى بالإكرام والمسامحة على أي حال، فيجب مراعاة ذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ**﴾ [السجدة: ١٨]

وعليه فقد قال بعض أهل العلم بأنه مع جواز أخذ الأجر على الرقية إلا أن الأوْلى تركها حسبة لله ـ تعالى ـ.

هذا وينبغي التفريق أيضًا: بين من يطلب المال بنفسه، وبين من يُعرَض عليه المال من غير طلب؛ لحديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: قد كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء. فأقول: أعطه أفقر إليه مني؛ حتى أعطاني مرة مالاً، فقلت: أعطه أفقر إليه مني. فقال رسول الله ﷺ: «خذه؛ وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا؛ فلا تتبعه نفسك»[١].

قلت: يجب أن نلاحظ أيضًا أن هناك فرقًا بين الحالين، ففي حال الرقية قد يكون عرض المال من أهل المريض ـ خاصة إذا كانوا أهل ضعف ومسكنة ـ من باب الحرج، فالأوْلى هنا التعفف عن هذا المال، ولا سيّما إذا لم يكن المعالج في حاجة ماسة إلى هذا المال.

متى تستحق الأجرة للراقي؟ يقول ابن عبد البر عن النشرة: «وإذ كانت مباحة فجائز أخذ البدل عليها ـ وهذا إنما يكون إذا صحّ الانتفاع بها ـ فكل ما لا ينتفع به بيقين فأكل المال عليه باطل محرم»[٢].

---

(١) البخاري في الزكاة (١٤٧٣)، ومسلم في الزكاة (١٠٤٥). (٢) التمهيد، ٦/٢٤١.

دراسات شرعية

قلت: هذا الذي قاله ابن عبد البر قد نطقت به الأدلة ففي حديث أبي سعيد وقد تقدم: (فبرأ الرجل) وفي رواية: (فكأنما نشط من عقال).

وفي رواية: (فانطلق يمشي وما به قَلَبَة).

فهذا ما كان، وهذا ما أفتى به أهل العلم حيث نطقت به الأدلة. فأين هذا مما يفعله العديد من المعالجين في هذا الزمان؟!

فالبعض لهم عيادات أو قل مستشفيات لاستقبال المرضى، وفتح الملف بكذا.. والمقابلة بكذا ـ والقراءة بكذا... إلخ. وبسبب تكاثر عدد المرضى صرنا نسمع عن جلسات العلاج العامة منها والخاصة، ولكل جلسة سعرها الخاص بها.

يضاف إلى ما سبق ما يبتزّه البعض من المرضى بأسلوب غير كريم، عن طريق بيع بعض الأدوية أو الأغراض الأخرى مثل: عسل النحل، وزيت حبة البركة (الحبة السوداء) وزيت الزيتون، وأحيانًا زجاجات المياه المعدنية وبأسعار مرتفعة، لماذا؟ لأن المعالج قد نفث فيها من ريقه المبارك!

ومن الأشياء التي سمعنا أنها توصف وتباع أيضًا من البعض: مكتبة مقروءة وأخرى مسموعة! وغالبًا ما تحويان كتبًا تجارية وأشرطة دعائية للمعالج نفسه، يظهر فيها المعالج غالبًا كولي من أولياء الله الصالحين؛ أصحاب الهمة العالية، والذكاء الخارق والفقه في الدين، والورع، وغالبًا ما يحقق الانتصارات الخارقة على ملوك الجن وقادتهم الكبار! دع عنك صغار الجن وغوغاءهم! كل هذا يجري في حملة تجارية دعائية منظمة.

حكم التفرغ لهذا العمل: «بالنظر إلى سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه وسيرة علماء الإسلام الموثوق بعلمهم وفضلهم، لم نر أحداً منهم انقطع عن أعماله، وقصر نفسه على معالجة المرضى بالرقى، واتخذها حرفة، واشتهر بها بين الناس، بحيث إذا ذكر اسمه اقترن بهذه الحرفة؛ [1] ولا شك أن الناس في كل زمان تكثر فيهم الأمراض، ولم نر أحداً من خلفاء المسلمين نصّب قارئًا يقرأ على المرضى، كما يُنصَّب المُفتون والقضاة، وإنما المريض يقرأ على نفسه من كتاب

---

(١) في صحيح مسلم/ك السلام (٦٦) في وصف الصحابي الذي رقى سيد الحي اللديغ: (ما كنا نظنه يحسن رقية) وفي رواية: (ما كنا نأبنه برقية) أي أنه لم يكن معروفًا بذلك.

الله، وإن قابله عالم ذو فضل وديانة وطلب منه الرقية وقرأ عليه فلا حرج، ومن المعلوم أن المشروع بأصله قد يُمنع إذا صاحبته كيفية مستحدثة.

ولو كان الانقطاع لمعالجة المرضى بالرقى، واتخاذها حرفة والاشتهار بها بين الناس خيراً لسُبقنا إليه، ولا يظن أحد أن المرضى في هذا الزمان أكثر منهم في الأزمان الأخرى»[1].

ويحسن أن نختم كلامنا بهذا الكلام النفيس لصدِّيق حسن خان حيث يقول في كتابه: الدين الخالص (٢/٣٤٣ ـ ٣٤٤): «... وكل عمل ودعاء ينشر المرض والداء وينفع من الأسقام والأدواء يصدق أنه نشرة، يجوز الانتفاع به، إن كان من ألفاظ القرآن والسنة، أو من المأثور من السلف الصلحاء، الخالي عن أسماء الشرك وصفاته، باللسان العربي وإلا كان حراماً أو شركاً.

وفي الباب كتب ومؤلفات لأهل الدعوات، تشتمل على رَطْب ويابس، وعلى ما جاز ولم يجز.

فَلْيَتَحرَّ المؤمنُ الموحد عند الاعتمال بما فيها، ما هو ثابت صحيح، مُبرأٌ من كل شك وشبهة، ولْيَدَعْ ما هو على غير طريقة الإسلام، وإنما هو فعل أهل العزائم والأوفاق، الذين يكتبون التعاويذ في الهندسة، والحروف، والخطوط ونحوها فإن ذلك لا يصلح لشيء. وكذلك النفث في الخيوط المعقودة.

والله ـ سبحانه ـ كافٍ لعبده، إن توكل عليه، ولم يتعلق بغيره، واكتفى بالأدعية المسنونة، والأدوية المباحة. ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. وحيث إن الشرك أخفى من دبيب النّمل؛ يجب غاية التحري فيه والتجنب من أنواعه وأطرافه وما يشبه ذلك. وبالله التوفيق، وهو المستعان».

---

(١) عن كتاب (الرقى في ضوء عقيدة أهل السنة).

دراسات شرعية

الإيمان بالله وأسمائه وصفاته
وتقوية المراقبة الإلـهية

بقلم : عبد السلام الأحمر

لا غرو أن صفات الله وأسماءه غير محصورة؛ لأن كمالاته غير متناهية، وما أخبرنا به الشرع منها يكفي لصحة الاعتقاد في الله وتحقيق العبودية له والإحساس بعظمته وجلاله وكماله، وملازمة خشيته ومراقبته في السر والعلن. عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «لله تسعة وتسعون اسماً ـ مئة إلا واحداً ـ لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»[1].

والراجح أن المقصود بحفظ أسماء الله هو العمل بها ومراعاتها على الدوام؛ قال ابن بطال: «طريق العمل لها أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم، فإن الله يحب أن يرى حلاها على عبده؛ فليمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، وما كان يختص بالله ـ تعالى ـ كالجبار والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرهبة، فهذا معنى أحصاها وحفظها»[2].

فالمؤمن وهو يطالع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى في القرآن والحديث ويتكرر ذكرها على مسامعه مرات عديدة، ترسخ معانيها في نفسه فيزيد إيمانه بالله ومعرفته بصفاته وبتغير سلوكه بما يناسبها ويتجاوب معها.

---

(١) صحيح البخاري، الدعوات، باب لله مئة اسم غير واحد، فتح الباري، ج١١، ص ٢١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ، ج١١، ص ٢٢٦.

أسماء الله وكيف تقوى بها المراقبة:

يمكن تحديد العلاقة بين أسماء الله الحسنى وتحقيق المراقبة الإلهية واستشعار المسؤولية تجاه العلي القدير، بتمييزها إلى مجموعات بحسب أثرها المرتقب في تكوين الإحساس بالمسؤولية وتنميته:

١ ـ مجموعة تضم أسماء الله الحسنى التي تشتمل على معاني القدرة والجبروت والملك والتدبير والخلق... مثل: القادر، القاهر، الملك، الجبار، المتكبر، العزيز، المهيمن، الخالق، المصوِّر، الرزاق.

وهذه الأسماء تثير في النفس الإحساس بعظمة الله واستحقاقه للطاعة والعبودية.

٢ ـ مجموعة تضم أسماء الله الحسنى التي تحمل معاني العلم ومراقبة أفعال العباد مثل: العليم، الرقيب، الحفيظ، السميع، البصير، الخبير، الشهيد؛ فهذه الأسماء توحي بانكشاف أحوال العباد الظاهرة والباطنة لعلم الله، فتقوى بها مراقبة النفس لما يصدر عنها من إرادات وأعمال في جميع الأوقات والظروف.

٣ ـ مجموعة تضم أسماء الله الحسنى التي تفيد معاني الحلم والعفو والمغفرة مثل: الحليم، الرحيم، الغفور، الحنان، المنان، العفو، التواب.

وهي أسماء تملأ معانيها قلب المذنب أملاً ورجاء في الرحمة والمغفرة وقبول التوبة لاستئناف السير على الصراط المستقيم.

٤ ـ مجموعة تضم أسماء الله الحسنى التي تنطوي على معاني المحاسبة والعقاب والعدل والحكم مثل: الحسيب، الحكم، العدل، الخافض، الرافع، الحق، مالك الملك... فالمكلَّف الذي يؤمن بهذه الأسماء تذكِّره بأن الله سيبعثه بعد الموت ويعرض عليه أعماله، من خير وشر، ثم يجازيه عنها بعدل وإنصاف، فيحمله ذلك على مراقبة نفسه والمسارعة إلى فعل الصالحات.

الصفات الإلهية وتقوية المراقبة:

وبتمعن كل صفة على حدة يتضح أثرها في تقوية الإيمان بالله ـ تعالى ـ وإحياء

معاني الأمانة والتكليف في أعماق النفس، وتذكُّر يوم القيامة، وما ينتظر النفس من فوز أو خسران. وفيما يلي أمثلة عن ذلك:

أولاً: الوحدانية:

ومعناها أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له في خلق الخلائق وتدبير أمرها، وهي جميعاً ملكه ورهن قبضته وطوع مشيئته الغالبة. وكل هذا الإحساس الذي تنشئه صفة الوحدانية في النفس الإنسانية يخدم مبدأ المسؤولية ويجلِّيه في الفكر والشعور. فالخالق الواحد هو: الآمر، الناهي، الرقيب، الحسيب، المعز، المذل، الحكم، العدل، لا شريك معه يُخشى فيطاع أو يُرجى فيسأل؛ وإنما هو إله واحد فرد صمد.

فالإنسان إذا تحقق من معنى الوحدانية، أشرقت في قلبه معاني المسؤولية العظمى تجاه الذي خلقه فسواه ثم أطعمه وسقاه؛ فأدرك أن الذي يستحق الطاعة والعبادة هو الله الواحد الديان، وأنه وحده أهلٌ للخشية والتقوى والشكر والإنابة، فإذا أسلم وجهه إليه اطمأن على نفسه من كل الشرور، وأمن عليها من كل الأخطار، وتيقن أنه لا يقع في ملك الله إلا ما أراد واختار. فالتوحيد الذي تقوم عليه الديانات السماوية ينسجم تماماً مع مسؤولية الإنسان بحيث تتحدد به وجهته في الحياة، ويحتمي في ظله من التمزق النفسي والتشتت الفكري الملازم لتعدد الأرباب وتضارب مراداتهم ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٢٩].

إن وحدانية الله ـ تعالى ـ تحقق التوحيد في مصدر المسؤولية ومقاييسها ونتائجها، وتقيمها على أساس العدل المبين. ويبرز ذلك في متعلقات التكليف من الجهات التالية:

ـ توحيد مصدر التكليف: فمصدر المسؤولية الشرعية هو الله وحده، وكل تكليف يتوجه إلى الإنسان في إطار الشرع المستوعب لقضايا الحياة يلزم أن يؤسس على مراد الله من عباده، وكل اجتهاد تشريعي لا بد أن يوصل بكليات الدين

ومقاصده العامة، ويربط إلى الأدلة الشرعية المعتبرة ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾ [الشورى : ١٣]. وقال ـ سبحانه ـ ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾.

[الشورى : ٢١]

وزادت السنة هذا الأمر تأكيداً ووضوحًا. فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(١).

ـ **توحيد التكليف**: الناس كلهم موحدون تجاه مسؤوليات الدين وتكاليفه العامة الاعتقادية والعملية؛ فلا يملك أحدهم أن يزيد عليها أو ينقص منها إلا وفق ما يسمح به الشرع وضوابطه الثابتة، وهذا ما يسقط أعذار المتقاعسين أمام الله، ويجعلهم خاضعين للمحاسبة الاجتماعية التي وكل أمرها للسلطان.

ـ **توحيد المكلِّف**: فالمكلِّف هو الله ـ تعالى ـ في جميع أوامر الدين ونواهيه بحيث يكون امتثال العبد في جميع مسؤولياته لله وحده، ولمن أذن الله في طاعته وجعلها دليلاً على تنفيذ أمره، كطاعة الرسول ﷺ وأولي الأمر: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ [النساء : ٥٩].

وأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٨].

فطاعة غير الله مشروطة بإذن الله ومقيدة بدليل الشرع عليها؛ لذا فإنها تمنع عندما تؤدي إلى معصية الله ومخالفة ما أمر به. وقد أخرج الإمام البخاري في

---

(١) صحيح البخاري، الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، وصحيح مسلم الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

صحيحه تحت باب: (لا تطيع المرأة زوجها في معصية)، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها فتمعط شعر رأسها فجاءت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال لا، إنه قد لعن الموصلات»[1].

بل إن الإنسان مطالب بأن يعصي نفسه، ويخالف هواها إذا خالف تعاليم الشرع وتوجيهاته: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

ثانيًا: العلم:

يعرف علم الله بكونه صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافًا لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه. فلا تغيب عن علم الله كليات الوقائع والحقائق ولا جزئياتها الدقيقة، كما لا تنحجب عنه أحوال الظاهر ولا أحوال الباطن، ولا يحول دونه زمان ولا مكان، وإنما كل ذلك أمام علم الله سواء. وتعتبر صفة العلم من الصفات التي يحكم بها الشرع والعقل لله ـ تعالى ـ، لأنها توجب له ما هو أهله من العظمة والكمال.

ولقد حظيت هذه الصفة في نصوص القرآن الكريم بمكانة خاصة لارتباطها الشديد بالمسؤولية الإنسانية، وما تنبني عليه من الإحساس بمراقبة الله المطبقة على أعمال الإنسان الظاهرة والباطنة، لذلك نجد الإشارة إليها تتخلل آيات القرآن من أوله إلى آخره، مع التركيز على علم الله بأفعال العباد حسنها وسيئها، لكي يظل الوعي بها قائمًا في أعماق النفس، وباعثًا لها على الإجادة والإحسان في القصد والعمل. ثم إنه يربط دائمًا بين الاعتقاد في هذه الصفة وإصلاح السلوك الإنساني: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ويسوق الحديث عن العلم الإلهي المحيط بكل شيء، مشفوعًا بما يترتب عنه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح.

من إحصاء للأعمال والمحاسبة عليها، والمجازاة بالنعيم والجحيم: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وقال أيضًا: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٩، ٣٠].

فتيقن المؤمن بأن الله عليم بما يصنع بجوارحه وما يعزم عليه في قرارة نفسه، يجعله دائمًا نازعًا إلى الطاعة وفعل الصالحات، مجانبًا للمعصية بعيداً عن الخبائث، مراقبًا لنفسه بنفسه وحذرًا من نفسه على نفسه، متعبداً بمقتضى أسماء الله التي ترتبط بصفة العلم. قال ابن قيم الجوزية: «والمراقبة هي التعبد باسمه: «الرقيب» «الحفيظ» «العليم» «السميع» «البصير». فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة»[1].

ولقد أبرز القرآن العلاقة القوية بين الاعتقاد الصحيح في صفة العلم الإلهية والامتناع عن الآثام والأرجاس، والمسارعة في أعمال البر والطاعات، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٧، ١٠٨]. وقال أيضًا: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فبقدر قوة إيمان المرء بحقيقة علم الله تزداد خشيته وورعه ويحسن عمله، وترتدع نفسه عن المنكرات والفواحش، وبقدر ضعف إيمانه وجهله بصفات الله وأسمائه الحسنى يكثر زلله، ويتوالى انحرافه.

ثالثًا: العدل:

إن الله ـ تعالى ـ أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، بل لا عدل إلا عدل الله الذي

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ج٢، ص ٦٦.

من أنواره يقبس العادلون، وبهديه يهتدي المقسطون إلى الحق والإنصاف.

ويمكن إبراز أثر صفة العدل الإلهية في سلوك المؤمن في اتجاهين:

أ ـ اتجاه الاطمئنان: فالمؤمن يطمئن إلى حكم الله وعدله فيما أوجب ومنع وما أمر ونهى، وإلى أن شرع الله ملائم لواقع الإنسان متجاوب مع طبيعته محقق لمصلحته، ودافع لمضرته، فإذا حصل اليقين في النفس بعدل الله نشطت الجوارح في الطاعات ونهضت بالواجبات، ولم تتثاقل في أدائها، وعزفت عن المحرمات والمنهيات، وتورعت عنها لأنه ما خامرها شك في عدالة التكاليف الشرعية، وعدالة إفراد الله وحده بالعبودية الحقة: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [فصلت: ٤٦].

ويطمئن الإنسان على نيل الأجر الموعود عن عمله المبرور وسعيه المشكور في الدار الآخرة: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٨١].

ب ـ اتجاه الخوف: فإذا استحضر المرء أن عدل الله يقتضي المجازاة على قدر العمل: إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، تملَّكه الخوف من عقاب الله الشديد وخشي أن يقصر عمله عن استحقاق النجاة، فيكون من المعذبين ﴿ **سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وأدى به التفكير في ذلك إلى أن يُحكم المراقبة على نفسه ويتشدد في محاسبتها على الكبيرة والصغيرة من الذنوب، ورام الاستكثار من الطاعة والعبادة حتى يضمن لنفسه يوم القيامة الدخول في زمرة الفائزين المنعمين.

رابعاً: القدرة:

إن قدرة الله تامة كاملة لا تحدها حدود أو تقيدها قيود، فإذا أراد الله أمراً كان كما أراد من غير نقصان، وإذا وعد بشيء وفى به وفاء تاماً كاملاً؛ وما يعجزه ـ سبحانه ـ شيء في الأرض ولا في السماء.

فالقدرة الإلهية التي بها خلق الإنسان أول مرة وخلقت السماوات والأرض،

هي ذاتها القدرة التي تبعث الأموات من قبورهم وتعرض عليهم أعمالهم غير منقوصة، وهي القدرة أيضًا التي خلقت نعيم الجنة الأبدي وعذاب جهنم السرمدي. والإيمان بقدرة الله يجعل المكلَّف واثقًا من علم الله المحيط بكل شيء وبعدله الذي لا تشوبه شائبة ظلم، وبصدق وعده ووعيده وتحققه في الدنيا والآخرة؛ إذ إن قدرة الله ـ تعالى ـ عامة شاملة تتكامل مع صفات الله الأخرى وتتضافر آثارها جميعًا في بناء النفس الأمينة المؤمنة المستقيمة.

ولهذا اقترن ذكر علم الله وحسابه للإنسان بذكر قدرته المطلقة في آيات عديدة منها قوله ـ تعالى ـ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ ـ ٧].

فالإيمان بعلم الله المطلق وعدله التام، لا ينتج عنه إحساس النفس بالمسؤولية دون الإيمان بقدرة الله العظيمة، التي تصاحب علم الله وعدله وباقي صفات الذات الإلهية، محققة وحدانية الله ـ تعالى ـ الذي يُعبد ويتقى ويُسأل بجميع أوصافه وأسمائه.

اتقوا الله ما استطعتم

بقلم : عبد الله المسلم



حين تطرح قضية من قضايا هموم المسلمين في أحد المجالس، ويتبادل الناس الحوار والحديث حولها يتحدث الناس عن قضايا كبار، كالتآمر العالمي على الدعوة، وتجفيف المنابع، ومواجهة الصحوة، وأن هذه المسائل تحتاج إلى حلول جذرية ربما تضيق عنها جهود أمم ودول، فضلاً عن فئات محدودة من الدعاة، وتربط كل قضية عملية تطرح أمام الناس بهذه القضايا الكبار.

وتبدو نتيجة النقاش أن هذه القضايا أكبر من جهد الأفراد وطاقتهم، ويقف الأمر عند هذا الحد، وحين تبحث عن جهود هؤلاء ودعوتهم فإنك لا ترى شيئاً يذكر؛ فالطالب في جامعته، والمعلم في مدرسته، والموظف والعامل في قطاعه ليس لهم أثر في محيطهم، بل لا يرون ذلك ضمن دائرة اهتمامهم.

وهي القضية التي تحدث عنها أحد التربويين من خلال (دائرة الاهتمام) و(دائرة التأثير)[1].

وبغض النظر عن كون هذا المنطق من التفكير وسيلة لتسويغ القعود والكسل، أو أنه نتاج اجتهاد واقتناع شخصي فالنتيجة العملية لذلك واحدة.

ودون الدعوة لتسطيح الاهتمام وقصر التفكير على المحيط الشخصي المحدود، فإنه ينبغي أن يُرَبَّى الناس على الاهتمام بالميادين العملية التي يجيدون التأثير فيها، بغض النظر عنها، وعن مدى ضآلة حجمها بالنسبة

(١) انظر: التربية والتجديد لماجد عرسان الكيلاني (٣٢ ـ ٣٩).

لقضايا الأمة الكبار.

ينبغي أن يكون هَمُّ الإنسان أن يعمل، وأن يؤدي جهده في نطاقه ومحيطه، منطلقًا من قوله - تبارك وتعالى -: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهي قاعدة شرعية عظيمة.

ويدل على هذا المعنى أيضًا قوله ﷺ: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون».

وتأمل قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه».

وأنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليهم - كانوا يعيشون هَمَّ العمل، ويُعْنَوْنَ بدرجة كبيرة به، دون أن يحلِّقوا في الخيال والتنظير، أو الإفراط في النظر للمشكلات وتضخيمها: ﴿وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩] ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ثم يسلمون أمرهم لخالقهم - تبارك وتعالى - يحكم بينهم وبين قومهم بما يشاء.

وحين يحقق المسلم هذا المعنى، ويقوم بهذه المهمة في محيطه، ينطلق بعد ذلك في التفكير فيما وراء هذا، والبحث عن وسائل تعينه على توسيع دائرة تأثيره.

فلنحقق التوازن في هذا الميدان بين علو الاهتمامات، والنظرة البعيدة العميقة، وبين الميادين العملية.

التلقِّي للتنفيذ سمة إيمانيــة

بقلم :

سلمان بن عمر السنيدي



تلقِّي النصوص الشرعية لتنفيذ ما فيها من أوامر وتطبيق ما فيها من أحكام من سمات التربية الجادة التي تُفترض في أفراد الأمة الإسلامية. وهذه السمة تحتاج إلى رصيد من الإيمان القوي والتربية الزاكية. ولقد دلت النصوص الشرعية على أهمية هذه السمة في أكثر من آية وحديث؛ فمن ذلك قوله ـ تعالى ـ: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** [الأحزاب: ٣٦] وقال ـ تعالى ـ: **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [النساء: ٦٥]

ولقد ابتلى الله صحابة رسوله ﷺ بآية في كتاب الله وقفوا منها موقف المتلقي للتنفيذ المشفق على نفسه من القصور، مع شعور قوي بمسؤولية الأمانة تجاه أنفسهم في تلقي أحكام النصوص الشرعية فظنوا أنهم عاجزون عن العمل بمقتضاها، فراجعوا رسول الله ﷺ فيها إشفاقًا على أنفسهم لا اعتراضاً؛ ومع ذلك سمعوا وأطاعوا؛ فنسخ الله حكمها وبقي لفظها. وكم من سامع لها بعدهم ممن لا يحمل همّ التلقي للتنفيذ يمر عليها لا يحسب لها حسابًا، ولا يقف عندها بل يستوي الأمر عنده: أنسخت الآية، أم لم تنسخ!

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: **﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ**

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله! كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والجهاد والصدقة، وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. فلما فعلوا ذلك نسخها الله ـ تعالى ـ فأنزل ـ عز وجل ـ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] (قال: نعم) ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (قال: نعم) ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (قال: نعم) ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (قال: نعم)[1].

أهمية هذه السمة: تبرز أهمية هذه السمة في الأمور التالية:

● أن الغاية من الأحكام الشرعية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة هي العمل بها بتنفيذ أوامرها واجتناب نواهيها.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال ـ تعالى ـ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

قال الخطيب البغدادي: والعلم يراد للعمل، كما يراد العمل للنجاة، فإذا كان العلم قاصراً عن العمل، كان العلم كلاً على العالم، ونعوذ بالله من علم عاداً كلاً، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً»[2].

ولذلك قال الفضيل: إنما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً.

وقال أبو رزين: في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] قال: يتبعونه حق اتباعه يعملون به

(١) رواه مسلم، ح/١٢٥.

(٢) اقتضاء العلم العمل، ١٥٨.

حق عمله.

● أن الله عاب على أمم سابقة ما تلقوا به النصوص الشرعية فقال عنهم: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، وقال ـ تعالى ـ عن اليهود خاصة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. وعن قوله ـ تعالى ـ: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠١]، قال مالك بن مغول: تركوا العمل به. وقال ابن تيمية: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود».

● أن الإعراض عن آيات الله بتعطيل أحكامها من أعظم صور الظلم. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧].

أن الإنسان محاسب ومسؤول يوم القيامة عن علمه كما ثبت من حديث أبي برزة الأسلمي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[١].

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: إن أخوف ما أخاف على نفسي أن يقال لي: يا عويمر هل علمتَ؟ فأقول: نعم، فيقال: فماذا عملت فيما علمت؟

● أن الأقوال الصالحة مرهونة بالأعمال الصالحة؛ فقد قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، من قال حسناً وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحًا رفعه العمل، وذلك بأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

● أن العلم النافع لا بد له من العمل وإلا صار حجة على صاحبه قال ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»[٢].

ولذلك قال ابن عيينة: العلم إن لم

(١) رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، وصححه المنذري.

(٢) رواه مسلم، ح/٢٢٣.

ينفعك ضرك .

مظاهر غياب هذه السمة: إن غياب هذه السمة أو وجود خلل فيها يبرز في واقع الأمة صوراً من الخلل والانحراف ومن أبرزها المظاهر التالية :

● جعل النصوص الشرعية للتزود الثقافي، وانحصار استخدامها في الخطابات الإنشائية التي لا رصيد لها في الواقع ولا تأثير لها في تصريف مجرياته .

● ضعف تعظيم كلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله ﷺ؛ وذلك بالاعتراض عليهما بآراء العقول وتصورات الأفهام التي يبعثها الواقع المنحرف وهوى الأنفس .

● ضعف الالتزام بالآداب الشرعية والأحكام المرعية؛ تكاسلاً وتساهلاً وعدم الاكتراث بترك السنن والمستحبات، بل قد يصل الأمر إلى ترك الواجبات والأركان بلا خوف أو ندم .

نماذج مشرقة: من أسمى الصور التي تتحقق فيها سمة التلقي للتنفيذ، تلك الصورة التي يتلقى فيها المؤمن الحث على أعمال مستحبة غير ملزم بفعلها، فيأخذها مأخذ العزيمة، ويلتزم بما فيها من أعمال من لحظة تلقيه للنصوص الشرعية بلا تردد أو تكاسل أو انقطاع أو فتور، وهذه بعض النماذج المشرقة التي تتجلى فيها هذه الصفة :

١ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : ما رأيت النبي ﷺ منذ نزل عليه : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] يصلي صلاة إلا قال فيها : « سبحانك ربي وبحمدك، اللهم اغفر لي »[١] .

٢ ـ عن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ، عن أبيه : أن رسول الله ﷺ، قال : « نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً »[٢] .

٣ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم : الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً . فقال رسول الله ﷺ : من القائل كلمة كذا وكذا؟ » قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله! قال : « عجبت لها! فتحت لها أبواب السماء » . قال ابن عمر : فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك[٣] .

(١) رواه مسلم، ح/٤٨٤ . (٢) رواه البخاري، ٣/٥، ٦، ومسلم ح/٢٤٧٩ .
(٣) رواه مسلم، ح/٦٠١، ورواه أحمد ٤٣٩٩ .

٤ ـ وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، قال: سمعت أبي ـ رضي الله عنه ـ، وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتل[١].

٥ ـ عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: اشتكت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبيٌ فانطلقت فلم تجده؛ فأخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليه، فجاء النبيُّ ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ: على مكانكما. فقعد بيننا، ثم قال: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما: أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثًا وثلاثين؛ فهو خير لكما من خادم». قال علي ـ رضي الله عنه ـ: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ. قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين[٢].

٦ ـ قال الإمام مسلم: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبو خالد ـ يعني ـ سليمان بن حيان عن داود بن أبي هند، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوسٍ، قال: حدثني عنبسة بن أبي سفيان في مرضه الذي مات فيه بحديث يتسارُّ إليه [يُسَرّ به] قال: سمعت أم حبيبة تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بُنِيَ لهُ بهن بيت في الجنة» قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ. وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة. وقال عمرو بن أوسٍ: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. قال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوسٍ[٣].

٧ ـ عن أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: من ركع أربع

---

(١) رواه مسلم، ح/١٩٠٢؛ والترمذي ١٦٥٩.

(٢) رواه مسلم، ح/٢٧٢٧، وأبو داود، ٤٤٠٣، وأحمد ٧٩٧.

(٣) رواه مسلم، ح/٧٢٨، ك ٦، ب ١٥. وروى الحديث النسائي، ١٧٧٣، وأبو داود ١٠٥٩، وابن ماجة ١١٣١ وأحمد ٢٥٥٤٣، والدارمي ١٤٠٢.

ركعات قبل الظهر وأربعًا بعدها حرم الله ـ عز وجل ـ لحمه عن النار. قالت: فما تركتهن منذ سمعتهن[1].

٨ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه؛ يبيت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة. قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي[2].

٩ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقتلوا الحيَّات، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر؛ فإنهما يلتمسان البصر ويستسقطان الحبالى. قال عبد الله بن عمر: فلبثت لا أترك حية أراها إلا قتلتها..»[3].

١٠ ـ عن أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[4]. قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة»[5].

١١ ـ قال البخاري: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة حرام. إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً[6].

١٢ ـ عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[7]. قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال: ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسيانًا أو نحوه»[8].

١٣ ـ وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت»[9].

---

(١) رواه أحمد، ٢٥٥٣٩، والنسائي، ١٧٨٩.
(٢) رواه أحمد، ٤٢٣٩، ومسلم، ٣٠٧٥، والنسائي، ٣٥٥٩.
(٣) رواه مسلم، ٤١٤١.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) أخرجه أبو بكر بن أبي داود في «شريعة القارئ» بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.
(٦) انظر الطبقات للسبكي، ٢/٩.
(٧) رواه النسائي وابن السني، ١٢١ بسند حسن.
(٨) الوابل الصيب، ص ٢٢٩.
(٩) سير أعلام النبلاء، ١١/٢١٣.

مقال

أبعاد التخريب العلماني

محمد أركون .. أنموذجاً

بقلم : د. أحمد إبراهيم خضر

بالأمس ... طلب خالدُ بن عبد الله القسري، أمير العراق، الجعدَ بن درهم، حتى ظفر به، فخطب بالناس في يوم الأضحى، وكان آخر ما قاله في خطبته: أيها الناس، ضحّوا، تقبَّل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، فكان ضحية، ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رُمِيَ بها[١].

واليوم .. المرعى الإسلامي غداً بابه مفتوحاً لكل (عرجاء) و(عوراء) لا يجزئ لحمها في الأضحية[٢].

إنهم أهل التخريب العقدي، يحاربون الإسلام من داخله بإثارة شكوك المسلمين بما يؤمنون به، يهدفون عبر زعزعة الترابط العقدي تفكيكَ المجتمع الإسلامي برمته[٣]. يصفون أنفسهم بأنهم علماء مجتهدون متفرغون لتطوير

(١) الجعد بن درهم مبتدع ضال. قال بخلق القرآن، وكان مؤدب مروان بن محمد، قتله خالد ابن عبد الله القسري سنة ١١٨هـ يوم النحر. انظر ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، ج٣، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ١٠٧١.

(٢) سليمان بن صالح الخراشي، محمد عمارة: في ميزان أهل السنة والجماعة، دار الجواب، الرياض، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٩.

(٣) أمين أبو عز الدين (نقلاً عن محمد وقيع الله أحمد)، الدين والعلمنة في طروحات محمد أركون، الآداب، عدد ٥، مايو ١٩٩٣م، ص ٢٩.

المعرفة[١]، ولا تخرج مقولاتهم عند كونها لونًا من ألوان (الرقاعة الثقافية)[٢]، يميزون أنفسهم عن المسلمين الآخرين (المقلدين)، أما هم، فإنهم باحثون تحرروا مما أطلقوا عليه (المعارف الخاطئة) التي تعارف عليها كل المسلمين عن الإسلام. يدعون إلى العقلانية ويطالبون باتساع العقل وحرية البحث حتى في القضايا الدينية الحساسة التي ترتبط بما هو مقدس ولا يمس (كالوحي والقرآن والسنة). يشجعون الإبداع الفكري الذي يصل عندهم إلى حد القول بأن الاعتقاد بأن الشريعة ذات أصل إلهي (وهمٌ كبير)[٣] ومع كل هذا الانحراف والضلال يطالبون الآخرين بالتسامح معهم، والإقبال على مناظرتهم، وعدم الخلط بين العرض العلمي للقضايا ومواقف العوام، والتقيد بما يفرضه البرهان العقلي. يتهمون ما يسمى (بالخطاب الإسلامي) بأنه خطاب مليء بالنقائض والرذائل والمثالب، يحمّل المفكرين (أمثالهم) ما لم يفكروا فيه، وما لم يدّعوه، وما لم ينطقوا به[٤].

ماذا يريدون بالضبط؟

همهم الأول القضاء على الإيمان العقدي ومحوه من الأفق البشري:

حتى لا يبقى هناك إلا الأفق الاجتماعي. يريدون منا أن ندخل تجربة الغرب التاريخية التي خاضها منذ أكثر من قرنين فتخلص من الأفق الديني القروسطي (نسبة إلى القرون الوسطى).

لا يجهلون الإسلام وإنما يصرون على تحليله في ضوء النصرانية الكنسية والقرون الوسطى التي ارتبطت في أذهان الغرب بالتصور المظلم والمرعب عن الدين. أفقهم المعرفي لا يخرج عن حدود الفكر الغربي والثقافة الأوروبية. يتزلفون للغربيين حتى القسس منهم على حساب دينهم؛ ولهذا يضيقون ذرعًا بمطالبة الإسلاميين بخصوصية إسلامية وأصالة عقلية وعلمية مطلقة

---

(١) محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ص ٧.

(٢) «الرقاعة الثقافية» تعبير استخدمه الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه، قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، الدار الذهبية، القاهرة، ص ١٣.

(٣) أمين أبو عز الدين، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٤) محمد أركون، مرجع سابق، ص ٣.

مقال

جعلتهم في غنى عما أبدعته انحرافات الفكر الغربي والبحث العلمي خارج دائرة المعارف الإسلامية المتأصلة في القرآن والمنطلقة منه، فراحوا يتصورون أن الإسلاميين كآباء الكنيسة يقتلون في الإنسان حس المبادرة والحركة ويدعون إلى الاستكانة والاستسلام ورفض الانخراط في العالم[1].

أهل السنة والجماعة في نظر أهل التخريب العقدي (أورثوذكسيون):

لأنهم يُجمعون على عقيدة إسلامية صحيحة ومستقيمة، ويُبرزون معايير التفرقة بينها وبين البدع والاعتقادات الطارئة المنحرفة عن الإسلام. (والأورثوذكسية) أصلاً مصطلح غربي نقله أهل التخريب إلى العربية ولا يربطونه بالمذهب الأورثوذكسي في النصرانية؛ لأنه مصطلح سابق على ظهور هذا المذهب. لا يروق لهم المعنى الحرفي للكلمة «وهو الطريق المستقيم أو الطريق الصحيح» إنما يأخذون معناها الاصطلاحي وهو «النواة العقائدية الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما، أو لأيديولوجية ما، أو اتجاه سياسي ما، والتي ترفض كل ما يقع خارجها باعتبار أنه ضلال وهرطقة». يقول أهل التخريب إنهم لم يستطيعوا ترجمة مفهوم (الأورثوذكسية) بكل أبعاده الأيديولوجية بالسنَّة؛ لأن أهل السنة والجماعة قد احتكروا المفهوم لصالحهم وعدلوا به عن معناه في القرآن[2]، ولم يعط أهل التخريب العقدي دليلاً واحداً مقنعاً يبين صحة تأويلاتهم الفاسدة الخارجة أصلاً عن حدود القرآن والسنة.

وحتى لا يُتهم أهل التخريب العقدي بالكفر، سارعوا إلى وضع مفهوم جديد للإيمان والكفر. فهموا من الإمام الغزالي أن الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما جاء به، والإيمان هو تصديقه في جميع ما جاء به، فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول ﷺ، والبرهمي كافر بالطريق الأوْلى؛ لأنه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين.

هذا الذي يتبنى مفهوم الغزالي عن الكفر ويطبقه على (العلماء المجتهدين) أمثالهم رجل مقلد بلغ درجة من العمى والتعصب في أحكامه؛ لأن الإيمان والكفر في فلسفة أهل التخريب العقدي مرتبطان بالبحوث

(١) المرجع السابق، ص ٣٠، ٦٦، ص ٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦، ٩.

النفسانية واللغوية عن تكوين البنية الشخصية والجماعية التي ينشأ فيها كل فرد. ولم يكتف أهل التخريب العقدي بذلك بل ألقوا مسائل الحلال والحرام والمقدس والقصص الديني في أحضان العلوم الحديثة (علوم الإنسان والمجتمع)[1] التي تعطي لها تفسيراً خاصًا يخرج بها كلية عن ارتباطاتها العقدية. ومن المسلَّم به في العلوم الاجتماعية أن نظرياتها التقليدية ترى أن الأفكار الدينية زيف ووهم، أما نظرياتها الحديثة فتتجنب مسألة حقيقة الدين، لكنها تغذي هذه التحليلات التي تحقر من أي رؤية جدية للأفكار الدينية وتنظر إليها على أنها غير حقيقية[2].

موقفهم من خاصية ثبات الأصول:

واجهت أهل التخريب العقدي مشكلة النظرة العقلية المستمرة والمتكررة التي ترى وجود **إسلام صحيح يتطابق مع مفهوم الدين الحق** لمكافحة البدع والرد على أهل الأهواء والنحل، وإبطال الملل الضالة المضلة، وإبعاد أو إخضاع جميع المنحرفين عن الصراط المستقيم والحق المبين، فقالوا: إن الإجماع بأن هناك إسلاماً جوهرياً لا يقبل التغير ولا يخضع (للتاريخانية)[3] ـ هو هو كالأقنوم الإلهي يؤثر في الأذهان والمجتمعات ولا يتأثر بها ـ ليس إلا تحجراً عقلياً وتطرفاً وتعصباً وإرهاباً، ودعوا إلى العدول عن هذه النظرة التقليدية والإقرار بضرورة التعددية العقائدية؛ ويسوِّغون دعواهم الضالة والمضلة بأن النصوص القرآنية قد ألهمت ولا تزال تلهم (تأويلات) بتغير الزمان والمكان[4].

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن التأويل الذي دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما

---

(١) المرجع السابق، ص ٥، ٧، ٦.

(٢) انظر: الأساس الإلحادي للنظريات المعاصرة في علم الاجتماع، في كتابنا: علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام، المنتدى الإسلامي، لندن، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ١٧٧ - ١٩٣.

(٣) «التاريخانية» مصطلح طبقه أهل التخريب العقدي على الإسلام، ويعنون به فهم الإسلام في حدود الحقبة الزمنية التي ظهر فيها، وفي ضوء البيئة الاجتماعية والثقافية التي عمل عبرها؛ مع التأكيد على نسبية وعدم اتساع قواعده ومفاهيمه لتطبق على حقب زمنية لاحقة.

(٤) محمد أركون، مرجع سابق، ص ٤، ١٧.

مقال

دلت عليه النصوص وما جاءت به هو التأويل الفاسد. وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول ﷺ فهو المقبول وما خالفه فهو المردود. لكن أهل التخريب العقدي بعد أن طرحوا بعيداً ربط الكفر بتكذيب الرسول ﷺ ردوا السنة برمتها إلى دائرة (البحث التاريخي)[1] ، وسعوا إلى إعادة قراءة النصوص الدينية، تلك التي أسموها بالنصوص التأسيسية أو النص الأول (القرآن) والنصوص الثانية (السنة وغيرها)، في ضوء العلوم الحديثة.

والتأويل عند أهل التخريب العقدي لا يخرج عما يقوله عنهم (ابن القيم) من أنه « استخراج معاني النصوص وصرفها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستنكر التأويلات، فأدى بهم هذا الظن الفاسد إلى نبذ الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف. « والتأويل » إذا تضمن تكذيب الرسول ﷺ فحسبه ذلك بطلاناً » وتأويلات أهل التخريب العقدي من هذا الطراز[2] .

القطيعة المعرفية ماذا تعني؟

خرج علينا أهل التخريب العقدي بمصطلح جديد أسموه: « القطيعة المعرفية » ومن المعروف عنهم أنهم لا يأتون بجديد، وإنما يستخرجون أفكارهم بعد أن يدخلوا جحر كل ضب دخله قبلهم المفكرون الغربيون، ثم يلوكون هذه الأفكار ويطبقونها على الإسلام.

ومصطلح (القطيعة المعرفية) طرحه أصلاً المفكر الإيطالي (فيكو) وكتب فيه الأمريكي (توماس كون) وعالم الرياضيات الفرنسي (رينيه توم). تناول كل هؤلاء مسألة القطيعة في تاريخ العلوم وكيفية تفسيرها: متى تحدث القطيعة في فكر ما؟ ما هي الشروط الموضوعية التي ينبغي توافرها لكي تحصل القطيعة؟ أي: لكي يتوقف الناس فجأة عن التفكير بالطريقة التي كانوا يفكرون بها سابقاً منذ مئات السنين. ولأن الحقد والغل يملأ قلوب أهل

---

(١) انظر التاريخانية.

(٢) ابن القيم (بتصرف) مرجع سابق، ج١، ص ١٦٣، ١٨٧، ١٩٢.

التخريب العقدي على الإسلام طبقوا هذا المفهوم على الإسلام؛ فدعوا إلى التوقف عن التفكير في الإسلام بالطريقة التي يؤمن بها الناس حالياً والتفكير فيه بطريقتهم التدميرية.

ويدعونا أهل التخريب العقدي إلى أن ندرك معنى القطيعة المعرفية، أي أن نتخلى عن معارفنا التقليدية عن الإسلام التي يصفونها بأنها معارف (خاطئة أسطورية ذات معانٍ خيالية) وأن نفكر بالطريقة التي فكر بها الأوربيون منذ القرن السادس عشر، فنغير ـ مثلهم ـ نظرة العقل إلى المعرفة وطرق إدراكه للواقع وتعبيره عن تأويلاته لهذا الواقع.

هل نحن بحاجة إلى الفلسفة؟

وعبر إصرارهم المستميت على تخريب عقيدة الإسلام يزرعون الألغام الواحد تلو الآخر، فتجدهم يدعون **إلى الانفصال بين الحكمة والشريعة** ويفسرون الحكمة بأنها (الفكر العلمي) ويسمون الشريعة (بالظاهرة الدينية)[1] مع أن الحكمة تعني العلم والفقه والمعرفة بالقرآن وخشية الله والفهم والبصر والعقل، كما جاء ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن مسعود، وزيد بن أسلم، ومالك؛ وذلك في تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ** ﴾ [لقمان: ١٢][2].

وتارة أخرى ينظرون إلى (**الحق**) على أنه خاضع (للتاريخانية) بمعنى أن وجوده ومظاهره تتغير بتغير نظرة العقل إليه، كما يتغير العقل بدوره بتغير النتائج ووجوه الحق التي يستبينها ويتعقلها.

كما يتبنون وظيفة الفلسفة لتسويغ الموجودات والأحكام إلى العقل في كل الممارسات والمعالجات بما في ذلك إثارة مسائل وقضايا ومواقف معرفية ما كان التفكير فيها ممكناً بل كان مستحيلاً، ولذلك تجدهم يُرجعون انتشار المدّ الإسلامي إلى غياب الفلسفة عن معظم المدارس والجامعات بالبلدان

(١) محمد أركون، مرجع سابق، ص ٤، ٧، ١١.

(٢) محمد رشاد خليل، الفلسفة وأثرها في أصول الدين، مجلة كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد ٥، ١٤٠٣ـ١٤٠٤هـ، ص ٢٥٩.

مقال

الإسلامية. والحقيقة أن الفلسفة لا تمارس تأثيرها إلا في غيبة نور الوحي الإلهي، أو في حالة خفوته، أو في حالة جهل الناس بحقيقتها وجهلهم بالمنهج النبوي على وجهه الصحيح. وتملك الفلسفة القدرة على التلبيس بما تملكه من أدوات، فهي تتزيًّا بزي العقل حيناً، وبزي العلم حينا آخر، وتملأ الفراغ المخيف الذي تتركه غيبة الهداية الإلهية عن العقول[1].

وبينما اشتهر أهل التخريب العقدي في مصر وسوريا باستخدام مصطلحات: «نقد الخطاب الديني» و«نقد الفكر الديني»، استخدم نظراؤهم المستوطنون في دول الغرب مصطلح: «نقد العقل الإسلامي».

يعرِّف أهل التخريب العقدي «العقل الإسلامي» بأنه هذا العقل المتقيد بالوحي أو المُعطَى المنزل. ويقر بأولوية المعطَى لأنه إلٰهي، وأن دور العقل ينحصر في خدمة الوحي، أي فهم وتفهيم ما ورد فيه من أحكام وتعاليم وإرشاد، ثم الاستنتاج والاستنباط منه، فالعقل تابع وليس بمتبوع اللهم إلا بالقدر الذي يسمح به اجتهاده المصيب بفهم وتفهيم الوحي.

لا يقر أهل التخريب العقدي بذلك، ويصبون كل انتقاداتهم على علاقة العقل بالمُعطى المنزل، وعلى رضاه بأن يبقى دائماً في الدرجة الثانية، أي في حدود الخادم دون أن يجرؤ أبداً على مبادرة أو سؤال أو تأويل لا يسمح به الوحي المحيط بكل شيء، بينما العقل لا يدرك شيئاً إدراكاً صحيحاً إلا إذا اعتمد على الوحي المبين[2].

إنه ما عُصي الله بشيء إلا أفسده على صاحبه؛ ومن أعظم معصية العقل إعراضه عن كتاب الله ووحيه، فأي فساد أعظم من فساد هذا العقل؟ إن علم الأنبياء وما جاؤوا به عن الله لا يمكن أن يدرك بالعقل ولا يكتسب، وإنما هو وحي أوحاه الله إليهم بواسطة الملك، أو كلام يكلم به رسوله منه إليه بغير واسطة كما كلم موسى. وهذا متفق عليه بين جميع أهل الملل المقرين بالنبوة المصدقين بالرسل، ولا يخالفهم في ذلك إلا جهلة الفلاسفة وسفلتهم. ولكن أهل التخريب العقدي يريدون أن يعكسوا شرعة الله وحكمته؛ فإن الله

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٠.
(٢) محمد أركون، مرجع سابق، ص ١٥.

ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الوحي إماماً والعقل مؤتماً به، وجعله حاكماً والعقل محكوماً عليه، ورسولاً والعقل مرسلاً إليه، وميزاناً والعقل موزوناً به، وقائداً والعقل منقاداً له؛ فصاحب الوحي مبعوث، وصاحب العقل مبعوث إليه، والآتي بالشرع مخصوص بوحي من الله، وصاحب العقل مخصوص ببحث عن رأي أو فكرة. الرسول يقول: معي كتاب الله، وهم يقولون: معنا العقل. الرسول يقول: معي نور خالق العقل به أهدي وأهتدي، ويقول: قال الله كذا، قال جبريل عن الله كذا، وهم يقولون: قال فيكو.. قال بيير بورديو.. قال جاك دريدا.. قال فرانسوا إيوالد.. إلخ.

بين العقل والوحي:

إن قضايا العقل تشمل على العلم والظن والوهم، وقضايا الوحي كلها حق؛ فأين قضايا مأخوذة عن عقل قاصر عاجز عرضة للخطأ، من قضايا مأخوذة عن خالق العقول وواهبها هي كلامه وصفاته؟![1].

(العقل هو المصدر والعامل في كل ما يعبر عن الإنسان ويبلغه بلغة من اللغات، وهو المسؤول عن عملية تركيب المعاني في إنتاج جميع المنظومات)، هكذا يقول أهل التخريب العقدي في دفاعهم عن (**فتنة خلق القرآن**)، وقد وصل بهم التبجح إلى القول بأنه «لو استمرت المناظرات بين العقل القائل بخلق القرآن والعقل الخادم الخاضع للقرآن غير المخلوق، لكان الوضع المعرفي للعقل الإسلامي اليوم على غير ما هو عليه، بمعنى: أن الفسحة العقلية ما كانت لتصبح ضيقة محدودة تسودها الأرثوذكسية العقائدية المعروفة اليوم»[2] أي انتصار أهل السنة والجماعة، الذين يقولون إن القرآن كلام الله ـ تعالى ـ منه بدأ، فنزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله، سمعه جبريل من الله، والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي ﷺ، وهو القرآن المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة. القرآن عند أهل السنة والجماعة كلام الله ـ تعالى ـ بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية،

---

(١) ابن القيم (بتصرف)، مرجع سابق، ص ٨٨٠، ٨٩١.

(٢) محمد أركون، مرجع سابق، ص ١٥.

مقال

ومن سمعه وزعم أنه ككلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله ـ تعالى ـ وعابه، أو أوعده عذابه حيث قال: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦] التي أوعدها الله لمن قال: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٥] [(١)].

البؤس الفكري لدى بعض المفكرين العرب:

وقد اعترف أهل التخريب العقدي بأن التوجه الإسلامي الصحيح قد كشف أزمة المجتمع في العمق، وكشف في الوقت نفسه عن البؤس الفكري لمعظم المثقفين العرب ومراهقتهم الفكرية، كما أنه كشف كذلك عن التخلف المنهجي والمعرفي للفكر العربي المعاصر؛ فالواقع في واد وهم في واد آخر؛ فبؤسهم الفكري عاجز عن طرح أي مشكلة بشكل صحيح بل عاجز حتى عن رؤية المشكلة ذاتها.

أقر أهل التخريب العقدي بأن زميلهم «المثقف العربي» يقف أمام نظيره الغربي «كالفلاح الفقير الذي يقف خجلاً بنفسه أمام الغني الموثر» ويقولون في ذلك: «يقف مثقفنا العربي أمام نظيره الغربي وهو يكاد يتهم نفسه ويعتذر عن شكله غير اللائق ولغته غير الحضارية ودينه المتخلف، ويستحسن المثقف الغربي منه هذا الموقف ويساعده على الغوص فيه أكثر فأكثر حتى ليكاد يلعن نفسه أو يخرج من جلده لكي يصبح حضاريًا أو حداثيًا مقبولاً» [(٢)].

لقدأحسن أهل التخريب العقدي وأجادوا في وصف حال المثقفين العرب الذين هم أيضًا من دعاة هذا التخريب. لكن حال أهل التخريب العقدي أمام المثقفين الغربيين ليس بأفضل من حال المثقفين العرب الذين يهاجمونهم. هاهم يقفون خجلين أمامهم من الخطاب الإسلامي الذي يتحدث عن التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج والحجاب والجهاد. إنهم يقدسون لغة الغرب، ويكتبون بها، ويرونها مؤيدة للنقد الفلسفي والتاريخي والعلمي وأن لها أرضية خصبة من الجهاز المفهومي الداعي إلى المزيد من الدقة والتعمق في

---

(١) أبو جعفر الأزدي الطحاوي، عقيدة أهل السنة والجماعة، تعليق محمد بن مانع، مكتبة المعارف، الطائف، ص ٨.

(٢) محمد أركون، مرجع سابق، ص ٢٣ ـ ٢٥.

النقد. أما لغتهم «اللغة العربية» فلا تتحمل اقتران النقد بالعقل الإسلامي. ها هم يعتذرون عن شكلهم غير اللائق، ولغتهم غير الحضارية، ودينهم المتخلف فيحذرون الإسلاميين من أن خطابهم المتردد على ألسنة الخواص والعوام يمجه جميع الناس في الغرب، وأنه لا يتيح إلا المزيد من الرفض والاستبعاد وسوء التفاهم، ويحذرون أيضاً بأن على الخطاب الإسلامي أن يغير من طريقته التي تثير ردود فعل وتحريض للغرب على الإصرار في الهيمنة واستراتيجية الإخضاع والتسيير التحكمي للعالم (الإسلامي) المتخلف. ثم يدافعون عن الغرب ويقولون: «بأن للغرب حق الحماية لقيم مدنيته والدفاع عن أمانته أمام قوى العنف والجهل وعدم التسامح»[1].

يريد أهل التخريب العقدي خطاباً إسلامياً يتحدث للغرب بلغة ما وراء الحداثة[2] والديموقراطية، ومفهومي الفرد والمواطن، والتعاقد والتفاعل بين دولة القانون والمجتمع وأن يراعي الجانب الحقوقي والفلسفي للتجربة الديموقراطية، وإلا فهو خطاب متخلف يستحق أن يمجه الغربيون ويرفضوه.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١.

(٢) في الوقت الذي يدعونا فيه أهل التخريب العقدي بالتعامل مع الغرب بعقل ما بعد الحداثة فإن هناك من المثقفين العرب من يؤجل دخول مجتمعاتنا الإسلامية هذه المرحلة على أساس أن ما بعد الحداثة نقد غربي يسوي حسابات غربية ولا يقدم لنا مشروعية تاريخية؛ لأن مجتمعاتنا في نظرهم مجتمعات ما قبل الحداثة. وعلى كل فإن ما بعد الحداثة اتجاه ثقافي غربي يسدل الستار على الحداثة كمشهد عابر في العرض المسرحي الممتد للتقدم الثقافي، ويرى أن الحداثة قد استنفدت أغراضها وأن قيمتها المعرفية بهتت أو ربما صارت أصباغاً على لوحة لم يعد لها ملامح أو هوية. وما بعد الحداثة مفهوم ينكر ثنائية الحداثة ـ التقليدية، ولا يقدم بالضرورة على القطيعة مع الماضي أو الميراث الثقافي، ولا يقبل النموذج الارتقائي الذي يجعل المجتمع الأوروبي هو الصورة النموذجية للعالم المتخلف. انظر: محمد السعيد سعيد، ما بعد الحداثة ومصير التنوير، العربي، عدد ٤١٣ إبريل ١٩٩٣م، ص ٢٤ ـ ٢٨. وهذا لا يعني أن أهل التخريب العقدي قد عدلوا بهذا المفهوم موقفهم من الإسلام، ويكفينا لبيان ذلك أن نشير إلى أنهم أعطوا للوحي مفهوماً يخالف ما هو معروف عنه، ونظروا إليه على أنه جملة من الإكراهات والقيود وتكرار الشعائر والطقوس والقيام والقعود، وفرض القوالب النهائية الجامدة. (انظر محمد أركون، مرجع سابق، ص ٧٥).

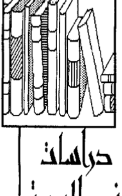
خصائص المرحلة المكية

في مجال المعرفة

(٢ من ٢)

بقلم : د. محمد أمحزون

أوْلى الإسلام العلم والمعرفة عناية واضحة وذلك مع أول آيات الوحي في الرحاب المقدسة، وسبق أن أوضح الكاتب أن من خصائص العلم في هذه المرحلة: الاهتمام بالعلم (العقيدة وتوحيد الله) ـ عز وجل ـ، وأصلَي الدين: (التوحيد، والاتباع)، ثم بين أن ذلك يتضمن أن يكون الإيمان: قولاً وعملاً.. ويواصل الكاتب في هذه الحلقة إيضاح جوانب أخرى للموضوع. ـ البيان ـ



توحيد الله ـ عز وجل ـ في ربوبيته:

جاء القرآن المكي موضحاً لنوع آخر من التوحيد هو توحيد الربوبية، ومن مقتضياته أن الإحياء والإماتة، والرزق والنفع والضر وتدبير شؤون الخلق، والتشريع من تحليل وتحريم، من خصائص رب العالمين.

وقد أفصح القرآن المكي عن ذلك في مواضع كثيرة، من ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿لا إلَهَ إلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [الدخان: ٨] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإذَا مَسَّ الإنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

وقد بيّن القرآن الكريم أن العلة في اتخاذ اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله هي بما أعطوهم من حق التشريع في التحليل

والتحريم وأطاعوهم فيه، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: ٣١].

وقد علّم رسول الله ﷺ أصحابه تجريد هذا النوع من التوحيد، فنفوا حسًّا وواقعًا كل ما يضاد توحيد الربوبية من اعتقاد متصرف مع الله ـ عز وجل ـ في أي شيء من تدبير الكون، حيث استقر في قلوبهم إلى درجة اليقين أن الله ـ عز وجل ـ هو المحيي المميت، وأنه هو الضار النافع، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه هو المدبر المشرع بيده كل شيء.

كما رسخ في قلوبهم بفعل التوجيهات القرآنية والنبوية أن المخلوقات البشرية إن هي إلا أدوات لقدر الله، وأنها حين تضره فهي تضره بشيء قدره الله له، وحين تنفعه فإنما تنفعه بشيء قد كتبه الله له، فلا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه.

وحين كان رسول الله ﷺ يعلِّم أصحابه هذه العقيدة ويربيهم عليها، إنما كان ينشئ بقدر الله ذلك اليقين القلبي الذي ينبثق منه السلوك العملي. فليست العقيدة مفهومًا معرفيًا ذهنيًا تستوعبه الأذهان وكفى، إنها على هذا النحو لا تصنع شيئًا في عالم الواقع، كالفلسفة في الأبراج العاجية لا تغير شيئًا في واقع الناس، إنما هي عقيدة ترسخ وترسخ حتى تصبح يقينًا قلبيًا تنطلق على هداه مشاعر القلب، ويجري بمقتضاه السلوك العملي للإنسان(١).

وبهذه الصورة الناصعة آتت العقيدة ثمارها المباركة في مواقف الصحابة وهديهم؛ فلم يخشوا إلا الله، ولم يتوكلوا إلا عليه، ولم يلتجئوا إلا إليه، وصدعوا بالحق في وجه الباطل لا يخافون لومة لائم؛ لأنهم علموا حق العلم أن كلمة الحق لا تقدم أجلاً ولا تؤخر رزقًا.

تُرى: كم يحتاج الشاب المسلم الذي يعمل في حقل الدعوة من جلسة علمية ودرس وموعظة وتوجيه ليرسخ في قلبه إلى درجة اليقين أن الأرزاق والآجال بيد الله وحده، فهو المحيي المميت، وهو الضار النافع، وهو المعطي المانع، وهو الذي بيده مقاليد كل شيء، ذلك أن كثيرًا من المسلَّمات العقدية

---

(١) محمد قطب: واقعنا المعاصر.

تبقى بدهيات ذهنية تستقر في وقت السلم والأمن في الشعور، ولكنها تهتز إذا تعرضت للشدة ومحك الاختبار؛ لأنها ليست عميقة الجذور، ولم تعد يقيناً قلبياً بمفعول التربية.

توحيد الله ـ عز وجل ـ في أسمائه وصفاته:

وكذلك جاء القرآن المكي مقرراً لتوحيد الأسماء والصفات، فغالب الآيات تختم بصفات الله ـ تعالى ـ وأسمائه الحسنى، لتأكيدها وترسيخها في النفوس، كي يعبد الله ـ عز وجل ـ بمقتضاها. مثل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الفرقان: ٦]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ [الأنعام: ٩٦].

ولما كان لتوحيد الأسماء والصفات شأن عظيم وأثر كبير في النفوس والقلوب، ولا يصح إيمان عبد إلا بإيمانه بأسماء الله وصفاته، فقد أمر الله ـ عز وجل ـ عباده أن يدعوه بها: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

كما أمرهم أن ينزهوه عن مشابهة المخلوقين وعن تأويل صفاته وتحريفها، وأن يؤمنوا بصفات جلاله ونعوت كماله كما جاءت في كتابه الكريم بلا كيف، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٠].



وهنالك بُعْدٌ آخر في فهم الأسماء والصفات، وهو فقهها والشعور بآثارها القلبية والتعبد لله ـ عز وجل ـ بها، وتحقيق ما تقتضيه من فعل المأمورات وترك المنهيات اقتداءً برسول الله ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ الذين تعلموا منه الإيمان والعمل؛ فعن جندب بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[1]، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً»[2]، فنظروا إلى كل اسم من أسماء الله بأن فيه حقاً من

(١) غلام حزوَّر: إذا قوي واشتد. أبو البقاء العكبري: المشوق المعلم، ج١، ص ١٩٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن، رقم ٦١، وقال المحقق: في الزوائد: إسناده صحيح، ج١، ص٢٣.

العبودية لله ـ عز وجل ـ على العباد يتعبدون لله ـ سبحانه وتعالى ـ. وهذا جلي وواضح من سيرهم ومواقفهم وأعمالهم[١].

ويذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ مقتضيات هذه العبودية وآثارها بقوله: «لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ـ أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها ـ وهذا مطَّرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح؛ فعلم العبد بتفرد الرب ـ تعالى ـ بالضر والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة: يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه ـ تعالى ـ وبصره، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة، وأنه يعلم السرّ، ويعلم خائفة الأعين وما تخفي الصدور: يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه على كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك: الحياءَ باطناً؛ ويثمر له الحياءُ اجتناب المحرمات والقبائح. ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه يثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»[٢].

ويقول ابن بطال ـ رحمه الله ـ عن طريقة العمل بالأسماء والصفات: «فليمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها»[٣].

ومن هذا يتبيّن أن المقصود من توحيد الأسماء والصفات ليس مجرد المعرفة الذهنية فحسب، وإنما الغاية منها أن نحققها علماً وعملاً، ونفهمها كما فهمها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام لفظاً ومعنى، وتعبدوا الله ـ تعالى ـ بها، وعملوا بمدلولها في واقع الحياة[٤].

---

(١) انظر على سبيل المثال: الحلية لأبي نعيم، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والإصابة لابن حجر العسقلاني.

(٢) ابن القيم مفتاح دار السعادة، ج٢، ص ٩٥.

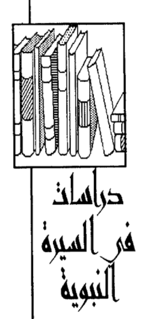
(٣) ابن حجر: الفتح، ج١١، ص ٢٢٩.

(٤) عبد العزيز الجليل: إن ربك حكيم عليم، ص ١١.

وهكذا تربى الجيل الأول ـ رضوان الله عليهم ـ على تعلم وفهم صفات الله وأسمائه الحسنى فعبدوه بمقتضاها، وعرفوه حق معرفته، وقدروه حق قدره، فمُلئت قلوبهم بتعظيمه وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لعظمته وكبريائه، واستشعار مراقبته في كل الأوقات، فأصبح رضاه ـ سبحانه وتعالى ـ غاية قصدهم ونهاية آمالهم.

الإيمان بالله واليوم الآخر:

أما الإيمان، فقد ركز القرآن المكي على عرض قضايا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر عرضًا مفصلاً ومجملاً، يتناول الملائكة وأعمالهم وصفاتهم، والكتب وما فيها، والنبيين ودعوتهم وقصصهم، ومقادير الخلق، وأحوال البرزخ، ويوم القيامة، وأحوال المنعمين والمعذبين، وكيفية البعث وحشر الناس ومحاسبتهم، بأسلوب معجز حتى لكأن الإنسان ينظر إلى يوم القيامة رأي عين: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الزمر: ٦٨ ـ ٧٥].



على أن قضية الإيمان باليوم الآخر والحساب والجزاء من قضايا العقيدة الرئيسة التي جاء بها الإسلام، والتي يقوم عليها بناء العقيدة بعد توحيد الله، لما لها من أهمية في تهيئة النفوس وإعدادها للبذل في سبيل الحق والخير

والصلاح الذي تعلم أنه مناط العوض والجزاء في اليوم الآخر.

ولأجل ذلك لم يناقش القرآن المكي قضية من القضايا بالتفصيل مثل عرضه لأمر الإيمان باليوم الآخر.

ولا شك أن الاهتمام الشديد بذكر اليوم الآخر في كتاب الله، وتقريره في كل موقع ومناسبة، وورود ذكره في القرآن بأسماء كثيرة ـ مع العلم أنه كلما كان للمسمى شأن عظيم كلما كثرت أسماؤه ـ يعطي الانطباع ويوحي بخطورة هذا الأصل في تقويم حياة الإنسان وتوجيهه لعمارة الدنيا بالعلم النافع والعمل الصالح.

ولذلك ركز النبي ﷺ على ربط أصحابه بعقيدة اليوم الآخر، وعلّمهم بقوله وفعله كيفية الاستعداد للقاء الله ـ عز وجل ـ، فأثمر لهم هذا العلم واليقين بالنبأ العظيم عدّة ثمرات منها: الإخلاص لله ـ عز وجل ـ والصدق معه، والحذر من الدنيا والزهد فيها، والصبر على شدائدها، والتزود بالأعمال الصالحة، والاستعداد للجهاد في سبيل الله وتحمل الأذى والمشقة في سبيل ذلك[1].

مع العلم بأن الجهاد من حيث هو قمة العمل في الإسلام وذروة سنامه، ووسيلة هذا الدين لتحقيق مهمته في الأرض وأهدافه العليا التي أراد الله ـ عز وجل ـ تحقيقها في عالم الإنس، يحتاج إلى عقيدة إيمانية تعد بمثابة الوقود الذي يمدّ النفوس بالصبر والصمود في معركتها مع الباطل والطغيان في واقع الحياة.

وقد كان الجيل الأول يدرك هذه الحقيقة إدراك من تعلمها وتربّى عليها، ورأى رسول الله ﷺ يدعو إليها ويغرسها في النفوس تمهيداً للمرحلة التالية وهي مرحلة إقامة الدولة الإسلامية.

وخلاصة القول: أن التوحيد هو الحقيقة الكبرى في الكون؛ فالخالق ـ تعالى ـ واحد، والكون بسنته ونواميسه واحد، والإنسان في جوهره وغايته ووجوده واحد. والكون بكامله يتجه إلى الله ـ عز وجل ـ اتجاهاً واحداً بالعبادة

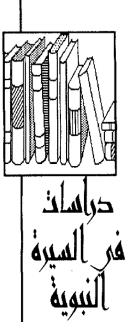
---

(١) عبد العزيز الجليل: قل هو نبأ عظيم، ص ٩٩، ١١٣.

والطاعة: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وكذلك ينبغي للإنسان أن يتجه إلى الغاية نفسها والهدف ذاته، وإلا حصل التصادم والتمزق والضياع في مسيرة حياته.

ولذلك نص القرآن المكي على قاعدة الوجود الكبرى وغاية الوجود الإنساني: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهي ترسم الإطار العام للعقيدة والدائرة الشاملة للحياة البشرية.

ولهذا لم يكن مصادفة أن يقضي رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عامًا يحدث الناس عن قضية العقيدة، ويعلم أصحابه تجريد التوحيد بأنواعه السالفة الذكر، حيث رسخ في قلوبهم المعرفة الحقة بالله ـ تعالى ـ التي تقتضي الاستسلام التام له، والطاعة المطلقة له، وعدم التقديم بين يديه، والرضا والتسليم بقضائه. وكان ﷺ مثالاً حيًّا للمؤمن الموحد الذي يُقتدى به في هذا الشأن.



ولأهمية العلم بالعقيدة على هذا النحو، وجب ربط المسلمين وخاصة الدعاة إلى الله بهذا العلم الذي يعد من أولويات البناء في حقل العقيدة؛ لأن المفاهيم الرئيسة في العقيدة إذا لم تكن صحيحة وأصابها الانحراف، فكل ما يستند إليها سيلحق بها؛ إذ على فهمها يترتب فهم سائر الأحكام، وانطلاقًا منها توزن الأقوال والمواقف والأحداث.

فمثلاً لا يمكن عرض الانحرافات الجوهرية التي تعيش اليوم بين المسلمين ـ مما له تعلق بجوانب الاعتقاد، مع بيان خطرها وتأثيرها والتحذير منها ـ حتى يكون الداعية ملمًّا بأركان توحيد الألوهية الثلاثة وهي: إفراد الله بالحكم، وإفراد الله بالولاء، وإفراد الله بالنسك.

على أن سورة الأنعام ـ وهي سورة مكية ـ ويكاد موضوع التشريع يستغرقها، تستوعب هذه الأركان الثلاثة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فالجاهل بتوحيد الحكم وإفراد الله به يكون عاجزًا عن طرح قضية الحكم

بغير ما أنزل الله وحكمه الشرعي، وأهمية ردّ الأمور كلها إلى شرع الله؛ لأن هذا هو مقتضى الإسلام والتسليم، وشرط الإيمان الذي لا يكون إلا به، وبذلك لا يكون مؤهلاً لتعليم الأفراد وتربيتهم على الولاء لشريعة الإسلام، والحذر من تنقصها، أو اعتقاد أفضلية غيرها، أو مساواته لها، أو جواز الحكم بغيرها، بحيث يصبح الإيمان المطلق بشريعة الله قناعة راسخة لدى المخاطبين، حتى لو فرضت عليهم النظم الوضعية الجاهلية.

ومن لا يعرف معنى الولاء والبراء لا يمكنه الحديث عن موالاة الكافرين والمنافقين، وحكمها وتأثيرها على النفوس، والخطر الزاحف بسببها سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع، والتركيز على ضرورة استقلال الأمة المسلمة وتميزها، واستعلائها بإيمانها وشريعتها على الأوضاع والعقائد والنظم والمناهج الجاهلية.

ومثل هذا وذاك التركيز على توحيد النسك في البلاد والأماكن التي جهل فيها الناس معنى الألوهية، وصرفوا العبادة للشيوخ والأولياء، وقدسوا الأضرحة أكثر من تقديس المساجد[١].

وعلى العموم، فإن العلم بالعقيدة فريضة على كل مسلم، فضلاً عن كل داعية؛ لما لها من أهمية واعتبار في معرفة المنطلقات والثوابت وتحديد الأهداف والغايات، والتمييز بين الواقع الشركي والواقع الإيماني، وتأصيل المنهج الشرعي لئلا تنحرف الدعوة عن أهدافها المرسومة.

تلك هي الخطوط الكبرى لهذه العقيدة التي ركز عليها القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاماً، ووقف عندها لا يتجاوزها، وكانت غايته تقريرها في النفوس، بحيث تكون عقيدة إيجابية ثابتة مستقرة، قائمة على العلم والعمل، مبنية على الوعي والنظر والمعايشة.

---

(١) التجديد في الإسلام ، مجلة البيان، عدد ٢، ص ١٨، ١٩.

الرغبة في الصدارة

رؤية دعوية حول حقيقتها ومظاهرها وآثارها

(٢ من ٢)

بقلم :
عبد الحكيم بن محمد بلال

تناول الكاتب في الحلقة الماضية خطر الرغبة في الصدارة لدى العاملين في الحقل الدعوي، موضحاً ما جاءت به النصوص الشرعية بالتحذير من التطلع للإمارة، ثم أوضح مظاهر الحرص على الإمارة والظهور، وآثار ذلك الحرص ومفاسده.. ويتابع في هذه الحلقة إلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع. - البيان -

حوارات للفهم والعمل

أسباب الرغبة في الزعامة والتطلع للصدارة:

يُبتلى بهذه الشهوة العلماء والعباد والدعاة والمجاهدون ونحوهم؛ وذلك أنهم منعوا أنفسهم من المعاصي والشهوات، حتى لم يعد لهم فيها مطمع، ولكن نفوس بعضهم تبحث عن بديل ومكافأة لشدة المجاهدة، فتجده في التظاهر بالصلاح والعلم والدعوة... ولذة القبول عند الخلق، وتوقيرهم له واحترامهم وطاعتهم، فيهون عليها ترك المعاصي؛ لأنها وجدت لذة أعظم منها، وهذه مكيدة عظيمة؛ فقد يظن العبد نفسه مخلصاً، وهو في عداد المنافقين[١] - والعياذ بالله - ولكن يا ترى ما أسباب هذا الأمر في الحقيقة؟[٢].

١ - ضعف الإيمان والرغبة فيما عند الله، الذي بسببه يركن هؤلاء إلى الدنيا، ويؤثرونها على الآخرة، وأشد من هذا: فساد النيّة، واتخاذ سبيل العلم

---

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٦٧ . وانظر سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ١٩١، ١٩٢ .

(٢) انظر: مشكلات وحلول، للبلالي، ص ٨٥، ١٤٣ .

والدعوة سُلمًا لنيل الأغراض الشخصية، وما لهذا في الآخرة من نصيب، فلْيَنَلْ حظه من الدنيا!!

٢ ـ وهناك أخطاء تربوية تسهم في إشعال فتيل حب الزعامة، منها: الإكثار من مدحه والثناء عليه، أو عدم الكشف عن الطاقات الكامنة في المتربي لتوظيفها فيما يناسبها، مما يجعله يسعى لتوظيفها في هلاكه، ومنها: الغفلة عن بذور هذا المرض الأولية التي قد تبدو في سن مبكرة من المراحل التربوية، فتحتاج إلى تهذيب وترشيد ومتابعة؛ لئلا تجمح بصاحبها.

٣ ـ التوهم بخدمة الدعوة من خلال المنصب، والظن ـ أحيانًا ـ بأن الإصلاح لا يكون إلا من مصدر القوة، وسبب هذا: عدم وضوح المنهج النبوي في الدعوة.

٤ ـ طبيعة الشخص نفسه، فقد يكون فيها من الثغرات ما يسبب مثل هذا، كالغيرة من أقرانه الذين نالوا ما يتمناه هو، أو غروره بسبب تفوقه على غيره، أو بروزه في الدعوة أو النسب، أو توليه بعض المسؤوليات والمهام.

٥ ـ الظن بأن المنصب تشريف، والغفلة عن كونه تكليفًا ثقيلاً، ومسؤولية ضخمة، وعبئًا ثقيلاً، وهذا يتطلب من صاحبه التضحية بوقته وماله ونفسه وراحته لمصلحة الآخرين، وأن التقصير فيه خيانة للأمانة وتضييع للواجب.

علاج الآفة وحلول المشكلة:

بعد تدبر الأسباب يظهر أن العلاج يتطلب خطوات أهمها[1]:

١ ـ تكثيف التربية الإيمانية؛ القائمة على الإخلاص والتجرد لله ـ تبارك وتعالى ـ، والعمل للآخرة، والزهد في الدنيا.

٢ ـ التربية على الطاعة وهضم النفس منذ الصغر، والرضا بالموقع الذي يعمل فيه، وأداء واجبه أيًا كان نوعه، كما صوّر النبي ﷺ تلك الحال في قوله:

(١) انظر آفات على الطريق، ج١، ص ٧٢، ومشكلات وحلول، ص ٨٦، ١٤٤.

«طوبى لعبد آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثٍ رأسه، مغبرةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشَفَّع»[1].

٣ ـ التزام الضوابط الشرعية في المدح، وتجنب مدح أحد الأقران أمام قرينه مطلقًا.

٤ ـ توضيح الأسس الشرعية لاختيار الأمير، وأنه لا يجوز طلب الإمارة، ولا الحرص عليها، وأن من طلبها لا يُوَلَّاها، وإن وُلِّيها لم يُعَن عليها.

٥ ـ المصارحة والمكاشفة لمن تبدو عليه علامات الحرص، مع إحسان الظن به، فقد يكون متميزًا أو لديه مهارات فطرية، ومن ثَمَّ النصيحة الفردية، فقد نصح النبي ﷺ أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ في هذا الأمر خاصة[2].

٦ ـ تبيان الآثار المفسدة لنفس العالم والداعية من جرّاء حرصه عليها[3].

٧ ـ توضيح تبعاتها في الدنيا والآخرة. ومما ورد في ذلك: قوله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة»[4]. وقوله: «ما من أمير عشيرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، لا يفكه إلا العدل، أو يوبقه الجور»[5].

٨ ـ الاعتبار بحال السلف الصالح في تواضعهم لله ـ تعالى ـ، وكراهيتهم الشهرة والتصدّر، وكل ما يؤدي إليها، ومحاولة عزل أنفسهم من بعض المواقع كما حصل من أبي بكر، وعبد الرحمن بن عوف، والحسن، وعمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنهم ـ، والأمثلة كثيرة... تركوها لله، لانشغالهم

(١) رواه البخاري، ح/٢٨٨٧.
(٢) رواه مسلم، ح/١٨٢٦.
(٣) انظر كلامًا نفيسًا حول هذا للآجري في: أخلاق العلماء، ص ١٠٠، ١٢١، ١٢٢.
(٤) رواه البخاري، ح/٧١٥٠.
(٥) رواه أحمد، ج٢، ص ٢٣١، وانظر: صحيح الجامع، ح/٥٦٩٥.

بمرضاته، وتوحَّد همّهم وقصدهم، فتكفَّل الله لهم بخير الدارين، فعوَّضهم الله بشرف التقوى، وهيبة الخلق، قال ـ عز وجل ـ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [مريم: ٩٦]، وقال ﷺ: « وما تواضع أحد لله إلا رفعه »[١]. وقال: « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي »[٢].

ولا يمكن بحال تحصيل هذه المنزلة لمن كان في قلبه حب المكانة في قلوب الخلق في الدنيا؛ لأن هذا من أعظم الصوارف عن الله ـ تعالى ـ. كتب وهب بن منبه إلى مكحول: « أما بعد: فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفًا ومنزلة، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع من الأخرى ». والمراد بالعلم الباطن: المودع في القلوب من معرفة الله وخشيته ومحبته ومراقبته، والتوكل عليه والرضى بقضائه والإقبال عليه دون سواه... فمن أغل نفسه بالمحافظة على ما حصل له من منزلة عند الخلق كان ذلك حظه من الدنيا، وانقطع به عن الله[٣].

التوازن بين كراهية الصدارة والشهرة، وبين وجوب قيادة الناس:

لا ينبغي أن يفهم من هذا الموضوع إرادة قتل الطموح، وتفضيل دنو الهمة والقعود والخمول والعجز والكسل والتهرب من المسؤولية، وترك العمل، والتخاذل عن الواجبات، وفروض الكفايات ـ خاصة إذا تعينت على الأكفاء ـ، وترك اغتنام الفرص النافعة في الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ.

وقد جعل ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ الفرق بين الأمرين كالفرق بين تعظيم أمر الله وتعظيم النفس. فالناصح لله المعظم لله يحب نصرة دينه، فلا يضره تمنيه أن يكون ذلك بسببه وأن يكون قدوة في الخير. أما طالب الرياسة فهو ساعٍ في حظوظ دنياه، ولذا ترتب على قصده مفاسد لا حصر لها[٤].

---

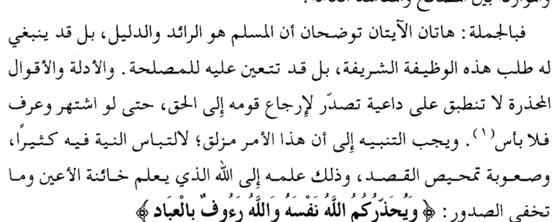
(١) رواه مسلم، ح/٢٥٨٨. (٢) رواه مسلم، ح/٢٩٦٥.

(٣) انظر: شرح حديث (ما ذئبان جائعان...) ، ص ٦٥.

(٤) انظر: الروح، ص ٥٦٠ ـ ٥٦٢.

والمقصود أن الداعية المخلص يكره التصدر والإمارة والشهرة بطبعه؛ لإخلاصه وبعده عن الرياء، ولكنه في نفس الوقت هو صاحب المبادرة الخيرة، وهو فارس الميدان إذا تعين عليه التصدر؛ وقد حكى الله من دعاء المؤمنين قولهم: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي: أئمة هدى يقتدى بأفعالهم، وهذا لشدة محبتهم لله، وتعظيمهم لأمره، ونصحهم له، ليكون الدين كله لله، وليكون العباد ممتثلين لأمره.

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ قاصًا كلام يوسف ـ عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وليس ذلك حرصًا منه على الولاية، وإنما هو رغبة في النفع العام، وقد عرف من نفسه الكفاية والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه، فقصده إصلاح أموال الناس، وهو جزء من رسالة الداعية إلى الله، الذي يكون همه الأول فعل الخير طلبًا لمرضاة الله ـ تعالى ـ، وليس قصده إرواء غليله، وإرضاء شهوته في الزعامة؛ فالضابط فيها هي النية والموازنة بين المصالح والمفاسد العامة.





فبالجملة: هاتان الآيتان توضحان أن المسلم هو الرائد والدليل، بل قد ينبغي له طلب هذه الوظيفة الشريفة، بل قد تتعين عليه للمصلحة. والأدلة والأقوال المحذرة لا تنطبق على داعية تصدّر لإرجاع قومه إلى الحق، حتى لو اشتهر وعرف فلا بأس(١). ويجب التنبيه إلى أن هذا الأمر مزلق؛ لالتباس النية فيه كثيراً، وصعوبة تمحيص القصد، وذلك علمه إلى الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

[آل عمران: ٣٠]

الكشف عن القدرات:

كون بعض الدعاة لا يصلح للإمارة لا يعني إخفاقه وضعفه في كل شيء،

---

(١) انظر: التنازع والتوازن في حياة المسلم، محمد بن حسن بن عقيل بن موسى، ص٥٥، ٦١.

بل إن غاية الأمر أنه لم يؤت قدرة في هذا الجانب، وقد يكون لديه من القدرات والإمكانات في العلم والعمل ما يفوق ما عند غيره ممن أهل للإمارة مثلاً، وهذه سنة الله ـ تعالى ـ في توزيع القدرات، ليحصل التكامل والتوازن، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٦٥] فعلى العبد أن يفتش في نفسه عما هو أهل له، ليقوم بحق الله ـ تعالى ـ فيه.

وهكذا كانت نصيحة النبي ﷺ لأبي ذر حين قال له: « يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تَولَّيَنَّ مال يتيم »(١). ولا يقدح هذا في شيء من منزلة أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ وجلالته وقدره.

---

(١) رواه مسلم، ح/١٨٢٦.

بعد ثمانية وعشرين عامًا من الغياب

علي أحمد باكثير.. الكاتب الذي قرأت له الملايين

بقلم :

علي محمد الغريب

في وقت ساد فيه العبث حياتنا الثقافية، والأدبية، وفي فترة من الزمن تسللت (شلل) الملحدين إلى وسائل الإعلام المختلفة كالأدب، والصحافة، والمسرح، يُقْصُون كل من كان مؤمناً بقيم هذه الأمة، يدبرون له المكائد، وينصبون له الشراك حتى يختفي من حياتهم أو يموت كمداً.

في هذه الأجواء الرهيبة وفي هذه العتمة الحالكة قدم من حضرموت إلى القاهرة عام ١٩٣٤م شاب يرغب في دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي في الأزهر، لكنه ما لبث أن غيَّر رأيه ودخل كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا) وكان هذا الاتجاه ناجمًا عن تشجيع من العالم والأديب محب الدين الخطيب؛ ليدرس الآداب الأجنبية، حتى يستطيع أن يرد السهام التي يرمي بها دعاة التغريب في الأدب والحياة في وجه التيار الإسلامي؛ ولقد صدقت فراسة الشيخ فأثبت الشاب ـ فيما أنتجه من أدب فيما بعد ـ أنه خير من حمل لواء الدفاع عن الاتجاه الإسلامي مقتحمًا عش « الدبابير » فكان نسمة لطيفة محملة بعبق مجد مجيد، ورحيق تاريخ تليد، هذا الشاب هو: علي أحمد باكثير.

نبذة عن حياته: ولد علي أحمد باكثير في مدينة « سورا بايا » بأندونيسيا لأبوين حضرميين حيث كان أبوه يعمل تاجراً ، ولم تكن رحلات الحضارمة في أصقاع الأرض حبًا في التجارة فقط، فقد حملوا عقيدتهم مع بضاعتهم، وكانوا دعاة بالقدوة الحسنة والسلوك القويم، وكان لهم دور بارز في نشر الإسلام في أنحاء الأرض، وكان لهم الفضل ـ بعد توفيق الله ـ في دخول الكثير من الشعوب في الإسلام بخُلُقهم الصدوق.

البيان الأدبي

وعندما بلغ (علي) الثامنة من عمره أرسله والده إلى حضرموت ليتقن لغته، وليأنس بأهله؛ فالحضرمي شديد التعلق ببلده.

لم يكد الفتى يبلغ الثالثة عشرة حتى أقبل على الشعر يقرضه، وينظمه، وقد حفظ من أشعار القدماء، وكان ولوعًا بشعر المتنبي، ولكم حدثته نفسه وداعبت مخيلتَه وهو صبي صورة شاعر عظيم كالمتنبي.. أخذ ينظم الشعر ثم يعرضه على أصدقائه، وأساتذته، فأطروه وشجعوه؛ فكان لذلك الإطراء والتشجيع أثر بالغ في إقباله على المزيد من القراءة، والدرس، والنظم أيضًا.

تزوج أديبنا في مرحلة مبكرة من فتاة أعجب بها، وأحبها حبًا شديدًا، ـ نورة باسلامة ـ لكن لم يُقدَّر لهذا الحب أن ينضج، أو أن يثمر وهو لا يزال غضًا فتوفيت تلك الشابة، فحزن عليها حزنًا شديدًا.

ثم راح ينتقل من بلد إلى بلد؛ فمن حضرموت إلى عدن، ثم إلى الحبشة مارًا بالصومال، ثم إلى السعودية التي مكث بها فترة غير طويلة، تعرّف خلالها على أدباء وعلماء الحجاز والطائف يغشى مجالسهم، ويتدارس معهم أخبار الأدباء العرب. ثم عزم باكثير بعد ذلك على الرحيل إلى القاهرة حيث الحركة الأدبية نشطة. وصل القاهرة عام ١٩٣٤م، فالتحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، ثم حصل منها على الليسانس عام ١٩٣٩م. وفي عام ١٩٤٠م حصل على دبلوم تربوي عمل بعده مدرسًا للإنجليزية بمدرسة الرشاد الثانوية بمدينة المنصورة بدلتا مصر.

دخوله المعترك الأدبي: دخل أديبنا معترك الحياة الأدبية منضمًا إلى الركب الإسلامي، فدافع ببسالة، وناضل بشجاعة منقطعة النظير، وكان جواده فكره، وسلاحه يراعه يمده دمه. وقد اتسم أديبنا بتواضعه الجم، وبحيائه العذري؛ فكان محياه كصفحة النهر هادئة صافية، بينما دخيلته كانت نهبًا للصراع، والاضطرام، والتحرق شوقًا للحفاظ على تاريخ أمته والنهوض بها.

حقد اليساريين عليه: تألق الرجل في دنيا الأدب، فما من مسابقة تقام إلا كان باكثير في طليعة الفائزين. ففي سنة ١٩٤٧م أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية في مصر عن مسابقة في ست روايات في مواضيع معينة، فتلقت الوزارة خمسمائة رواية، ولما فحصت اللجنة المختصة ذلك الكم الهائل من الروايات كان باكثير قد فاز بروايتين من الست، فحقق نجاحًا مدهشًا. فكان

ذلك النجاح - والكثير غيره - وهذا الاتجاه الإسلامي من بواعث حقد اليساريين على باكثير المسلم، المتمسك بقيم الإسلام، الرامض لكل التيارات الملحدة الزاحفة نحو ديارنا. بدأ أعداؤه مي تدبير الحملات ضده سواء من التشويه أو التجاهل، وكانوا يتغامزون ويتلامزون عليه مي منتدياتهم قائلين عنه مي سخرية: «علي إسلامستان» مكان الرجل - يرحمه الله - يقول: «إنه لشرف عظيم لي أن أتهم بالإسلامية ميما أقدمه من أدب».

عندما صدر قانون التفرغ الأدبي كان باكثير أول من حصل على منحة للتفرغ مدتها عامان، أنجز خلالهما رائعته: (الملحمة الإسلامية الكبرى عمر) مكانت تاريخًا أدبيًا لفترة الخليفة الثاني العادل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقعت مي ثمانية عشر جزءاً، استطاع من خلالها إلقاء الضوء على الحضارة الإسلامية الفذة، وصوّر ميها الصراع الخالد بين قوى الخير والشر، بين القوة الإسلامية الواثقة من عقيدتها، المؤمنة بربها، وبين أباطرة الروم وطغاة البشر، مصورها تصويراً حاذقًا حتى لكأنك وأنت تقرأ تلك الملحمة تشم غبار المعارك، وتسمع صليل السيوف من خلال أسلوبه الجزل، وبراعته الفائقة.

اهتم باكثير بقضايا أمته، ومن أبرز القضايا التي احتلت حيزاً كبيراً من تفكيره ووجدانه (قضية ملسطين) مقد كتب ميها خمس مسرحيات أبرزها: (شيلوك الجديد)، (شعب الله المختار)، (إله إسرائيل)، (التوراة الضائعة) وترجم مسرحيته: (شيلوك الجديد) - التي تنبأ ميها بقيام دولة إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية - إلى الإنجليزية، وذلك لتوصيل صوته إلى الرأي العام العالمي محذراً من الصهيونية، لكن دور النشر - يا للأسف - لم تقبل نشرها، مظلت حبيسة الأدراج حتى يومنا هذا، ثم جاءت هزيمة الجيوش العربية أمام العدو الصهيوني محزن باكثير حزنًا شديداً اعتلت بسببه صحته، ومي هذا يقول الأستاذ خيري حماد: «أبصرت بالدمعات تتساقط من عيني الأستاذ المرحوم الفقيد الغالي باكثير وهو يقف عند شريط الحدود الفاصل بين قطاع غزة والأرض المحتلة على بعد أمتار قليلة، وهو يرى الثكنة الإسرائيلية وقد ارتفع عليها العلم الإسرائيلي.. رأيت عبرات باكثير ملم أتعجب، ملقد أحب باكثير ملسطين كما أحب وطنه حضرموت، والقاهرة، وكل وطن عربي، بل إن لفلسطين مكانة خاصة مي نفسه رامقته طوال حياته، ملقد أحب باكثير

ملسطين حبًا عميقًا» ويكفي ما خلده ميها من أعمال أدبية رائعة.

قدَّم باكثير للمكتبة الإسلامية قرابة خمسين كتابًا من بينها: «الملحمة الإسلامية الكبرى عمر» التي لو لم يكتب غيرها لحفظت له مكانًا مرموقًا بين أعلام الأدب وفرسان البيان، وفي سنوات عمره الأخير اشتدت الحملات المحمومة المسعورة ضده للنيل منه؛ فما زاده ذلك إلا إيمانًا وتثبيتًا، وفي ذلك يقول الدكتور عبده بدوي: «في الأعوام الأخيرة لم نعرف لباكثير مكتبًا أو وظيفة، فقد تم تجميده تمامًا، وأسهمت أسماء لامعة في عالم اليسار من إحكام الحصار حوله، وحجب الضوء عنه خوفًا من فكره الإسلامي وشخصيته الملتزمة».

وكان يقول: «إنهم يحسبون أنهم سيقتلونني عندما يمنعون الأخبار عني، أو يحاربون كتبي، ويحجبون مسرحياني عن الناس. أنا على يقين أن كتبي وأعمالي ستظهر مي يوم من الأيام، وتأخذ مكانها اللائق بين الناس، مي حين تطمس أعمالهم وأسماؤهم مي بحر النسيان؛ لهذا مأنا لن أتوقف عن الكتابة، ولا يهمني أن ينشر ما أكتب مي حياتي، إني أرى جيلاً مسلمًا قادمًا يتسلم أعمالي ويرحب بها».

ولقد صدقت نبوءته ويا ليته بيننا ليرى أن الذين حاربوه آنذاك لم يعد لهم ذكر ولا لكتبهم، أما كتبه، وكتب صديقه محمد عبد الحليم عبد الله فقد تألقت، وأعيدت وتعاد طباعتها مرات ومرات. بينما اختفت من السوق كتب من هاجموه، وهكذا الحق والباطل؛ فالحق يبقى أبدًا، أما الباطل فيمضي زهقًا.

وفي اليوم العاشر من نوفمبر عام ١٩٦٩م خلع باكثير ملابس الأحياء مرخيًا أهدابه بعد أن فاضت روحه إلى بارئها، ولم يترك ذرية من صلبه إلا أنه كان نعم الأب، ونعم الراعي لابنة زوجته التي رعاها حق الرعاية. رحل بعد أن سجل تاريخه بصمات واضحة في حياتنا الأدبية، ورسمت خطواته علامات سباقة على مسيرتنا الثقافية، فلقد تفرَّد دون غيره بكثير من المواهب التي أضاءت نفسها بنفسها، رغم مساحة الظل الكبيرة التي فُرِضت عليه أثناء حياته.

مسلام عليه ربانًا مخلصًا لم تصامه الرياح، وسلام عليه مجاهدًا لم يغمد قلمه حتى واراه التراب.

رحم الله (باكثير) وجزاه خير الجزاء عما قدم من جهود أدبية إسلامية رائعة.

ثقافتنا بين حاملها والمحمولة إليه

بقلم :
مشبب بن أحمد القحطاني

الدارس لتاريخ الأمّة عبر القرون الخالية يلمس بوضوح أن الأمّة امتلأت بنماذج عديدة من العلماء والمثقفين والساسة والمصلحين...

بل لا تكاد تجد لونًا إلا وله رجاله؛ وعليه قامت مدارس ومؤلفات ودراسات، وانتهت إلى زماننا ثمرة غرس السابقين؛ وهذه الخصيصة من محامد هذه الأمّة، ولعلّ هذا الجيل إنما يقوم بعمل ترتيب الأوراق السابقة وتهذيبها وبثها وتوجيهها. وأحسب أن السابق إن لم يستوف جميع العناصر المطلوبة فهو بلا شك قد ألمح إليها وبدأ طريقها، وأنا لا أغمط المتأخر حق مقارعة المتقدم؛ فالكل مجتهد وربما فاق التلميذ أستاذه.

وفيما بين زرع السابق وجني اللاحق تكمن أمور مهمّة بدءًا بالأمانة العلميّة وضبط المنقول ونسبة الفضل لأهله...

وليس بغريبٍ أن يخرج مؤلِّفٌ أو محاضرٌ بمقالة: «إنّي لا آتي بجديد» والأدْهى من هذا ظهور نوعيات في عصرنا ما بين مترجم لكتب الغرب، أو سارق لتراث الشرق، أو متعالمٍ ومستكتبٍ له، ولهذا نال شهرة في زمن ضياع الأمانة وسطحية المتلقّي وفقره المعرفي، وكان المنبري لكشف الحقائق نفرٌ قليل، ولربما فسر هؤلاء المعاصرون أقوال المتقدمين وأطروحاتهم حسب المصالح الخاصة، ومنهم من يرى أنّ الأفكار والخلاصات ليست حكرًا لأحد ولا فضلاً خاصًا به، بل من وجدها بعد جهله بها كان أحق بها كضالة الغنم. ولولا مخافة الإملال لحدثتك أخي القارئ بأعاجيب من هذا النوع؛ ولعلّي إلى هنا أضرب صفحًا، وأحترم القارئ أيضًا عن ذكر كثير من حملة الثقافة إلينا.

وأما المتلقِّي ـ محط الرحال ـ فهو بين همّين: همّ الثقة في الناقل، وهمّ

البيان الأدبي

الريبة حول المتناقض، وضعف المعلِّم، وحرج الاختيار. والذي صعد سُلَّم المعرفة وأتقن مهاراتها فهو بلا شك يعلم على أيّ سقف يقف - وليس المعني بحديثي هذا - بخلاف المبتدئ القابع في بداية السُّلَّم ولا يرى إلا السور أمامه كالشبح، فيا ترى من يتحمّل مسؤوليّة الانحراف الفكري أو القصور الثقافي أو التيه المعرفي؟ وهل يسوغُ للصانع عيب صنعته في زمن أدعياء الرِّيادة وزعماء الميدان؟ ولعلك إن دخلتَ مستودع كتبٍ ونظرتَ في الجديد المأمول لتجد أنك دخلت عالمًا غريبًا متصارعًا، متناقض الأفكار، بارد العرض، ضعيف الهدف، مشوَّش الغاية. وبين هذا الخضم المَهُول تجد فردًا يتيمًا أو فردين مستوحشَيْن تأنس فيهما بالفائدة راجيًا ألاّ تعود بخفّي حنين فقد أصبح العلم تجارة وسباقًا.

ومن المؤسف أننا نسعى لإيجاد هوية لنا ونحن لا نزال نفتقر إلى الأدوات المطلوبة والآليّة الفاعلة والنضوج المطلوب، والحقبة التي كنّا نقول فيها بأعلى صوت: نحن سادة العالم وأرباب الفكر وروّاد الثقافة - مضت برجالها الطامحين المحترمين تاريخًا وعند خصومهم أيضًا، ولكي نصل إلى ما وصلوا إليه فلا بد من دراسة مراحل تطورهم المعرفي والزّمني وكيف تسلّموا مقاليد العلوم.

ولعلي أذكر بعض الخطوات الهامة لتحقيق الهدف المنشود والغائب المنتظر؛ فمن ذلك: تبسيط المعروض ومفرداته، ثم التدرج وفق معيار الحاجة والمفترض، وترتيب الأولويّات، والبداءة بالمهم فالأهم، والتفهم الدقيق والتفريق بينه وبين الذي قبله، وتأمين القاعدة المناعية السلمية من الملوّثات الخارجية، وعدم الاستسلام للعوائق، واختزال العناصر المتشابهة وتنقية المعروض، ورسم الأهداف المطلوبة والغايات المنشودة، وأخيرًا الرقابة على الموجود في الساحة وبيان الحق بأدلته.... إلخ.

وعندها نأمل خروج جيل واعٍ منطقي، واضح الهدف، وصافي الفكرة. وأعتقد أن المُتَلَقِّي لو وَجَدَ كفَاية من الاحترام والاهتمام تحت رعاية الواجهات المتجردة للحق المشْبعَة للرغبات فقد بدأنا الطريق وإن بلغ ألف ميل؛ وأنا هنا أنظر من نافذة الأمل الباسم والغد المشرق وذو الفرس السبّاقة هو من يبسم في النهاية.

رضى الناس

شعر : د. محمد بن ظافر الشهري

ضحِكْتُ فقالوا: ألا تحتَشِمْ؟! بكيتُ فقالوا: ألا تبتسمْ؟!

بسمتُ فقالوا: يرائي بها عَبستُ فقالوا: بدا ما كَتَم

صَمَتُّ فقالوا: كليل اللسان نطقت فقالوا: كثير الكَلِمْ

حَلُمت فقالوا: صنيع الجبان ولو كان مقتدراً لانتَقَم

بَسُلتُ فقالوا: لطيشٍ به وما كان مُجْترِئًا لو حَكُمْ

يقولون: شذَّ؛ إذا قلتُ: لا، وإمَّعة حين وافَقْتُهُم

فأيقنت أنّيَ ـ مهما أُرِدْ رِضى الناس ـ لا بدّ مِنْ أنْ أذَمّ

البيان الأدبي

رجـــــاء

شعر : صالح بن عبد الكريم العبودي

سـألتك ربي فـلا تأخـذني ... بـذنبي وإن كـان أعظم ذنبِ

فـعـفـوك أوسع من زلتي ... وذلي إليك ضـمـيـمـة حـبي

أقـصـر حـتى إخـال الرجـا ... تـولّى بـعـيـداً وراء المهبِّ

وأطمع حـيناً فـأحـسـب أني ... مـلأت بحـبك نفـسي وقلبي

رجـائي ويأسي كنوري وناري ... وكـم أوعـداني ببـعـد وقـرب

أقـول هلكت وذابت حـيـاتي ... كـمـا ذاب ملح بدلو وغـرب

وصـرت هشـيمًا حـصـيـداً بلا ... رجـاء أرجّـيـه في عـفـو ربي

وضـاعت مناي على صحصح[١] ... يبـاب وحـسبي من الهم حـسبي

ويقـوى رجـائي فـأزعم أني ... بلغت الثـريا بطهـري وكـسبي

وأني البـريء فـلا زلة ... فـعلت ولا أُبتُ يومًـا بحـوْب

وأني علوت على شـهـوتي ... ولذة جـسـمي وصـحت بخطبي

فـمـا ثَمَّ إلا جـهـاد يُرجَّى ... ولا ثَـم إلا وعـود بكـتـبي

وتلك حـيـاتي ومـا زلت فـيـهـا ... على الأمـر هذا ببـغـضي وحـبي

فـيـا رازق النمل في جـحـرها ... ويا سـاقي الضب من غـيـر شـرب

ويا حـافظ الحـوت في لجـة ... تـروعـهـا بـرياح ونـكـب

ويا ممسك الطيـر في جـوّه ... ولولاك مـا جـاوز الطيـر كـعـبي

أَمِـدَّ فـؤادي بـنور يـريـني ... بتلك المهـاوي المخـيـفـة دربي

فـإني أخـاف إذا مـا الدجى ... غـشـاني وأخـشى مـزلة وثبي

فـثـبـت خطاي على سنة ... مشـاها محـمـد في خـير صـحب

ولا تـتـركـني بـكـل طـريق ... أهـيم وحـيـداً أروح لنحـبي

---

(١) الصحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار.

البيان الأدبي

الخطة السرية للآيات

في ضوء الواقع الجديد

نشرت رابطة أهل السنة في إيران ـ مكتب لندن ـ هذه الرسالة السرية للغاية الموجهة من شورى الثورة الثقافية الإيرانية إلى المحافظين في الولايات الإيرانية. ومتن الرسالة على درجة من الوضوح بحيث لا أرى حاجة إلى التعليقات المفصلة؛ ولذا اكتفيت ببعض التعليقات الضرورية. وهذه الخطة (البروتوكول) موجهة إلى المناطق السنية في إيران، من جهة، وموجهة إلى دول الجوار من جهة أخرى؛ لاسيما وإن إيران بعد فترة من المقاطعة الغربية لها رأت أن ذلك ليس في مصلحتها، وسياسات تصدير الثورة لم تعد ذات جدوى بل ضررها عليها أكبر؛ فنشأ الاتجاه الأقل تطرفًا والداعي إلى الحوار والتهدئة والذي نشأ منه بروز (تيار خاتمي) وبخاصة بعد تولي إيران رئاسة (المؤتمر الإسلامي) بعد مؤتمر طهران فهل سيعدل القوم من رسالتهم؟ لا نظن ذلك؛ وهذه الرسالة تؤكد ذلك وحدها، وهذا ما أعلناه ونحذر منه إخواننا في كل مكان. والله المستعان.

نص الرسالة: «إذا لم نكن قادرين على تصدير ثورتنا إلى البلاد الإسلامية المجاورة فلا شك أن ثقافة تلك البلاد الممزوجة بثقافة الغرب[1] سوف تهاجمنا وتنتصر علينا.

وقد قامت الآن بفضل الله وتضحية أمة الإمام الباسلة دولة الإثني عشرية في إيران بعد قرون عديدة، ولذلك فنحن ـ وبناءًا على إرشادات الزعماء الشيعة المبجلين ـ نحمل واجبًا خطيرًا وثقيلاً وهو تصدير الثورة؛ وعلينا أن نعترف أن حكومتنا فضلاً عن مهمتها في حفظ استقلال البلاد وحقوق الشعب، فهي حكومة مذهبية[1] ويجب أن نجعل تصدير الثورة على رأس الأولويات.

لكن نظرًا للوضع العالمي الحالي والقوانين الدولية ـ كما اصطلح على تسميتها ـ لا يمكن تصدير الثورة بل ربما اقترن ذلك بأخطار جسيمة مدمرة.

(١) قارن هذا الاعتراف بما يردده بعض الببغاوات بأن إيران دولة إسلامية؛ فيا لها من غفلة!

المسلمون



والعالم



عرض وتعليق : د. عبد الرحيم البلوشي

ولهذا فإننا خلال ثلاث جلسات وبآراء شبه إجماعية من المشاركين وأعضاء اللجان وضعنا خطة خمسينية تشمل خمس مراحل، ومدة كل مرحلة عشر سنوات، لنقوم بتصدير الثورة الإسلامية إلى جميع الدول المجاورة ونوحد الإسلام أولاً (١)؛ لأن الخطر الذي يواجهنا من الحكام الوهابيين وذوي الأصول السنية(٢) أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب(٣)؛ لأن هؤلاء (الوهابيين وأهل السنة) يناهضون حركتنا وهم الأعداء الأصليون لولاية الفقيه(٤) والأئمة المعصومين، حتى إنهم يعدون اعتماد المذهب الشيعي كمذهب رسمي دستوراً للبلد أمراً مخالفاً للشرع والعرف(٥)، وهم بذلك قد شقوا الإسلام إلى فرعين متضادين(٦).

(١) أي أن نشيِّع جميع الدول المجاورة. وفي نهاية الرسالة بيان لهذه العبارة الواضحة.

(٢) وفي العبارة الأصلية : المتسننين.

(٣) ولذا قالت المخابرات الإيرانية للعلاَّمة الشهيد الشيخ محمد صالح ضيائي قبل أن يمزقوه إرباً إرباً : إن الطلاب الذين أرسلتهم للدراسة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أخطر علينا من صواريخ صدام حسين!!

(٤) ولاية الفقيه هي الحكم المزعوم بأنه إلهي لنائب إمام المهدي الذي بإمكانه أن يعطل الصلاة والحج، وبإمكانه أن يعطل توحيد الله كما كان يقول الخميني ويردد ذلك أتباعه ليلاً نهاراً !!

(٥) وهذا الذي قاله الشيخ عبد العزيز ملا زاده نائب أهل السنة في بلوشستان في مجلس الخبراء لكتابة الدستور قائلاً للخميني : إن الدول الإسلامية لا يوجد لها مذهب رسمي في دستورها، فلماذا تكرسون الخلاف والاختلاف إلى الأبد بجعلكم للبلد مذهباً رسمياً في الدستور؛ ألا يكفي أن يكون دين الدولة هو الإسلام .. ثم انسحب من المجلس.

(٦) وهذا الكلام للاستهلاك المحلي وإلا فهم يعرفون جيداً أنهم هم الذين فرقوا المسلمين ثم ها هم يطلبون منهم الاعتراف بالإمامة وإعادة حقوق أهل البيت المغصوبة في زعمهم!

بناء على هذا: يجب علينا أن نزيد نفوذنا في المناطق السنية داخل إيران، وبخاصة المدن الحدودية، ونزيد من عدد مساجدنا و(الحسينيات)[1] ونقيم الاحتفالات المذهبية أكثر من ذي قبل، وبجدية أكثر، ويجب أن نهيئ الجو في المدن التي يسكنها ٩٠ إلى ١٠٠٪ من السنة حتى يتم ترحيل أعداد كبيرة من الشيعة من المدن والقرى الداخلية إليها، ويقيمون فيها إلى الأبد للسكنى والعمل والتجارة، ويجب على الدولة والدوائر الحكومية أن تجعل هؤلاء المستوطنين تحت حمايتها بشكل مباشر ليتم إخراج إدارات المدن والمراكز الثقافية والاجتماعية بمرور الزمن من يد المواطنين السابقين من السنة[2] ـ والخطة التي رسمناها لتصدير الثورة ـ خلافاً لرأي كثير من أهل النظر، ستثمر دون ضجيج أو إراقة للدماء أو حتى رد فعل من القوى العظمى في العالم، وإن الأموال التي ستنفق في هذا السبيل لن تكون نفقات دون عائد.

طرق تثبيت أركان الدولة: نحن نعلم أن تثبيت أركان كل دولة والحفاظ على كل أمة أو شعب ينبني على أسس ثلاثة:

الأول: القوة التي تملكها السلطة الحاكمة.

الثاني: العلم والمعرفة عند العلماء والباحثين.

---

(١) الحسينية هي المكان الذي يجتمعون فيه؛ خاصة في شهر المحرم، لضرب الخدود وشق الثياب في ذكرى استشهاد الحسين ـ رضي الله عنه ـ مع سب عظماء الإسلام، ونقد تاريخ المسلمين. ويهتمون بهذه الحسينيات أكثر من اهتمامهم بالمساجد. وأما في خارج إيران فأصبحت مراكز تجسس لإيران كما نشرت ذلك بالتفاصيل جريدة «انقلاب إسلامي» لأبي الحسن بني صدر ـ أول رئيس إيراني بعد الثورة ـ في العام الماضي وأعلنت عن المراكز الجاسوسية الإيرانية في دول الخليج ـ خاصة في الإمارات ـ بالاسم والعنوان والتاريخ وكيف أن المخابرات الإيرانية تجمع الأموال من التجار الإيرانيين في الإمارات دون أن تدخل هذه المبالغ الطائلة إلى البنك المركزي الإيراني ودون أن تعلم الدولة عنها شيئاً، لكن هل من قومنا من يقرأ؟!!

(٢) وقد بدئ بكثير من هذه الخطط بالفعل.



الثالث: الاقتصاد المتمركز في أيدي أصحاب رؤوس الأموال.

إذا استطعنا أن نزلزل كيان تلك الحكومات بإيجاد الخلاف بين الحكام والعلماء، ونشتت أصحاب رؤوس الأموال في تلك البلاد ونجذبها إلى بلادنا، أو إلى بلاد أخرى في العالم نكون بلا ريب قد حققنا نجاحاً باهراً وملفتاً للنظر؛ لأننا أفقدناهم تلك الأركان الثلاثة.

وأما بقية الشعوب التي تشكل ٧٠ إلى ٨٠٪ من سكان كل بلد فهم أتباع القوة والحكم ومنهمكون في أمور معيشتهم وتحصيل رزقهم من الخبز والمأوى؛ ولذا فهم يدافعون عمن يملك القوة.

ولاعتلاء أي سطح فإنه لا بد من صعود الدرجة الأولى إليه.

وجيراننا من أهل السنة والوهابية هم: تركيا والعراق وأفغانستان وباكستان وعدد من الإمارات في الحاشية الجنوبية ومدخل (الخليج الفارسي)! التي تبدو دولاً متحدة في الظاهر إلا أنها في الحقيقة مختلفة. ولهذه المنطقة بالذات أهمية كبرى سواء في الماضي أو الحاضر كما أنها تعتبر حلقوم الكرة الأرضية من حيث النفط، ولا توجد في العالم نقطة أكثر حساسية منها، ويملك حكام هذه المناطق بسبب بيع النفط أفضل إمكانيات الحياة...

فئات شعوب المنطقة: وسكان هذه البلاد هم ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هم البدو وأهل الصحراء الذين يعود وجودهم في هذه البلاد إلى مئات السنين.

الفئة الثانية: هم الذين هاجروا من الجزر والموانئ التي تعتبر من أرضنا اليوم، وبدأت هجرتهم منذ عهد الشاه إسماعيل الصفوي، واستمرت في عهد نادرشاه افشار وكريم خان زند وملوك القاجار وأسرة البهلوي، وحدثت هجرات متفرقة منذ بداية الثورة الإسلامية[1].

(١) هؤلاء المهاجرون كلهم من السنة طبعاً، هذا من وقت طرح هذه البروتوكولات التآمرية، أما الآن فقد حدثت هجرات كثيرة كما خططوا لها في جميع المناطق السنية في إيران.

والفئة الثالثة: هم من الدول العربية الأخرى ومن مدن إيران الداخلية.

أما التجارة وشركات الاستيراد والتصدير والبناء فيسيطر عليها في الغالب غير المواطنين الأصليين، ويعيش السكان الداخليون من هذه البلاد على إيجار البنايات وبيع الأراضي وشرائها، وأما أقرباء ذوي النفوذ فهم يعيشون على الرواتب العائدة من بيع النفط.

أما الفساد الاجتماعي والثقافي والأعمال المخالفة للإسلام فهي واضحة للعيان. ومعظم المواطنين في هذه البلاد يقضون حياتهم في الانغماس في الملذات الدنيوية والفسق والفجور!

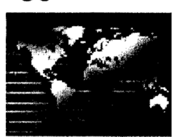
وقد قام كثير منهم بشراء الشقق وأسهم المصانع وإيداع رؤوس الأموال في أوروبا وأمريكا وخاصة في اليابان وإنجلترا والسويد وسويسرا خوفاً من الخراب المستقبلي لبلادهم.

إن سيطرتنا على هذه الدول تعني السيطرة على نصف العالم.

أسلوب تنفيذ الخطة المعدة: ولإجراء هذه الخطة الخمسينية يجب علينا بادئ ذي بدء أن نحسن علاقاتنا مع دول الجوار ويجب أن يكون هناك احترام متبادل وعلاقة وثيقة وصداقة بيننا وبينهم حتى إننا سوف نحسن علاقاتنا مع العراق بعد الحرب وسقوط صدام حسين[1]؛ ذلك أن إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد.

وفي حال وجود علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية بيننا وبينهم فسوف يهاجر بلا ريب عدد من الإيرانيين إلى هذه الدول؛ ويمكننا من خلالهم إرسال عدد من العملاء كمهاجرين ظاهراً ويكونون في الحقيقة من العاملين في النظام، وسوف تحدد وظائفهم حين الخدمة والإرسال.

لا تفكروا أن خمسين سنة تعد عمراً طويلاً؛ فقد احتاج نجاح ثورتنا



المسلمون والعالم

(١) لأن هذا البروتوكول كما أشرنا من قبل كان وقت الحرب ولم يستطيعوا إسقاط صدام حسين؛ فغيروا التكتيك ولكن الخطة مستمرة تجاه تحسين العلاقات وكما نعلم أن طه ياسين رمضان نائب الرئيس العراقي التقى مع الرئيس الإيراني الخاتمي على هامش المؤتمر الإسلامي المنعقد في طهران في ١١/١٢/١٩٩٧م.

خطة دامت عشرين سنة، وإن نفوذ مذهبنا الذي يتمتع به إلى حد ما في في الكثير من تلك الدول ودوائرها لم يكن وليد خطة يوم واحد أو يومين، بل لم يكن لنا في أي دولة موظفون فضلاً عن وزير أو وكيل أو حاكم[1]، حتى إن الفرق الوهابية والشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية كانت تعتبرنا من المرتدين وقد قام أتباع هذه المذاهب بالقتل العام للشيعة مراراً وتكراراً، صحيح أننا لم نكن في تلك الأيام، لكن أجدادنا قد كانوا، وحياتنا اليوم ثمرة لأفكارهم وآرائهم ومساعيهم وربما لن نكون نحن أنفسنا في المستقبل لكن ثورتنا ومذهبنا باقيان. ولا يكفي لأداء هذا الواجب المذهبي التضحية بالحياة والخبز والغالي والنفيس، بل يتوجب أن يكون هناك برنامج مدروس، ويجب إيجاد مخططات ولو كانت لخمسمئة عام مقبل فضلاً عن خمسين سنة؛ فنحن ورثة ملايين الشهداء الذين قُتلوا بيد الشياطين المتأسلمين (السنة) وجرت دماؤهم منذ وفاة الرسول في مجرى التاريخ إلى يومنا هذا، ولم تجف هذه الدماء ليعتقد كل من يسمى مسلماً بـ(عليّ وأهل بيت رسول الله) ويعترف بأخطاء أجداده، ويعترف بالتشيُّع كوارث أصيل للإسلام[2].

مراحل مهمة في طريقنا:

أولاً: ليس لدينا مشكلة في ترويج المذهب في أفغانستان وباكستان

---

(١) ونرى من عملائهم بوضوح هنا في لندن في الجرائد الفارسية المخالفة للنظام من مشايخهم الذين كانوا من وعاظ الشاه والآن يكتبون في الجرائد الفارسية والعربية من الدجل والنفاق باسم الوحدة ما تريده إيران وتطبقه بالفعل ولكن باسم مخالفة النظام الإيراني؛ ولبعضهم جولات في البلاد العربية باسم الوحدة الإسلامية ولكنهم يطبقون بالفعل ما تتكلم عنه هذه البروتوكولات الآياتية؛ ولذا شن أحدهم على رابطة أهل السنة هجمة شعواء لما أعلنت الرابطة أنباء اضطهاد أهل السنة في إيران، وبدأ هذا المشبوه يسب سيدنا عثمان وتاريخ المسلمين، وكانت الافتراءات والاتهامات دون أدنى وازع إنساني أو ديني أو علم أو بحث علمي، ومع كل هذا يعتبر نفسه من أبطال الوحدة الإسلامية!!

(٢) فليسمع هذا جيداً ولْيَعِهِ الببغاوات الذين ينادون بالوحدة معهم.

وتركيا والعراق والبحرين، وسنجعل الخطة العشرية الثانية هي الأولى[1] في هذه الدول الخمس، وعلى ذلك فمن واجب مهاجرينا ـ العملاء ـ المكلفين في بقية الدول ثلاثة أشياء:

١ ـ شراء الأراضي والبيوت والشقق، وإيجاد العمل ومتطلبات الحياة وإمكانياتها لأبناء مذهبهم ليعيشوا في تلك البيوت ويزيدوا عدد السكان.

٢ ـ العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال في السوق والموظفين الإداريين خاصة الرؤوس الكبار والمشاهير والأفراد الذين يتمتعون بنفوذ وافر في الدوائر الحكومية.

٣ ـ هناك في بعض هذه الدول قرى متفرقة في طور البناء، وهناك خطط لبناء عشرات القرى والنواحي والمدن الصغيرة الأخرى، فيجب أن يشتري[2] هؤلاء المهاجرون العملاء الذين أرسلناهم أكبر عدد ممكن من البيوت في تلك القرى ويبيعوا ذلك بسعر مناسب للأفراد والأشخاص الذين باعوا ممتلكاتهم في مراكز المدن، وبهذه الخطة تكون المدن ذات الكثافة السكانية قد أُخرجت من أيديهم.

ثانياً: يجب حث الناس (الشيعة) على احترام القانون وطاعة منفذي القانون وموظفي الدولة، والحصول على تراخيص رسمية للاحتفالات المذهبية ـ وبكل تواضع ـ وبناء المساجد والحسينيات؛ لأن هذه التراخيص الرسمية سوف تطرح مستقبلاً على اعتبار أنها وثائق رسمية.

ولإيجاد الأعمال الحرة يجب أن نفكر في الأماكن ذات الكثافة السكانية العالية لنجعلها موضع المناقشة في المواقع الحساسة، ويجب على الأفراد في هاتين المرحلتين أن يسعوا للحصول على جنسية البلاد التي

المسلمون



والعالم

(١) لكونهم تجاوزوا الخطة الأولى إلى الخطة أو البروتوكولية الثانية.

(٢) طبقوا بعض هذه الخطط في قرى سوريا وتشيَّع من أبنائها عدد من المسلمين ورأينا منهم من يشتغل في المركز الثقافي الإيراني في ساحة المرجة في دمشق من هؤلاء المتشيعين وأصحاب الأقلام المرتزقة من الدول العربية من العلمانية والمنافقة والمتصوفة وغيرهم الذين يلتقونك هناك.

يقيمون فيها باستغلال الأصدقاء وتقديم الهدايا الثمينة، وعليهم أن يرغِّبوا الشباب بالعمل في الوظائف الحكومية والانخراط خاصة في سلك الجندية. وفي النصف الثاني من هذه الخطة العشرية يجب ـ بطريقة سرية وغير مباشرة ـ استثارة علماء السنة والوهابية ضد الفساد الاجتماعي والأعمال المخالفة للإسلام الموجودة بكثرة في تلك البلاد، وذلك عبر توزيع منشورات انتقادية باسم بعض السلطات الدينية والشخصيات المذهبية من البلاد الأخرى، ولا ريب أن هذا سيكون سببًا في إثارة أعداد كبيرة من تلك الشعوب، وفي النهاية إما أن يلقوا القبض على تلك القيادات الدينية أو الشخصيات المذهبية أو أنهم سيكذبون كل ما نشر بأسمائهم[1] وسوف يدافع المتدينون عن تلك المنشورات بشدة بالغة وستقع أعمال مريبة[2] وستؤدي إلى إيقاف عدد من المسؤولين السابقين أو تبديلهم، وهذه الأعمال ستكون سببًا في سوء ظن الحكام بجميع المتدينين في بلادهم؛ وهم لذلك سوف لن يعملوا على نشر الدين وبناء المساجد والأماكن الدينية، وسوف يعتبرون كل الخطابات الدينية والاحتفالات المذهبية أعمالاً مناهضة لنظامهم، وفضلاً عن هذا سينمو الحقد والنفرة بين العلماء والحكام في تلك البلاد؛ وحتى أهل السنة والوهابية سيفقدون حماية مراكزهم الداخلية ولن يكون لهم حماية خارجية إطلاقًا.

ثالثًا: وفي هذه المرحلة حيث تكون ترسَّخت صداقة عملائنا لأصحاب رؤوس الأموال والموظفين الكبار، ومنهم عدد كبير في السلك العسكري والقوى التنفيذية وهم يعملون بكل هدوء ودأب، ولا يتدخلون في الأنشطة الدينية، فسوف يطمئن لهم الحكام أكثر من ذي



(١) وكلاهما ينفع أتباع ابن سبأ هؤلاء؛ لأنها تثير الفتن في كلتا الحالتين، وسيقع الخلاف بين الحكام والعلماء، وهذا الذي يريدونه؛ ومن نسي أعمالهم هذه في التاريخ فعليه بكتيب صغير ومهم وهو: «بروتوكولات آيات طهران وقم» للدكتور ناصر القفاري.

(٢) أي أن الشيعة هم الذين سوف يرتكبون أعمالاً مريبة وفتنًا للوقيعة بين الحكام والعلماء واستعداء الحكومات على الدين ودعاته.

قبل، وفي هذه المرحلة حيث تنشأ خلافات وفرقة وكدر بين أهل الدين والحكام فإنه يتوجب على بعض مشايخنا المشهورين من أهلك تلك البلاد أن يعلنوا ولاءهم ودفاعهم عن حكام هذه البلاد وخاصة في المواسم المذهبية، ويبرزوا التشيع كمذهب لا خطر منه عليهم، وإذا أمكنهم أن يعلنوا ذلك للناس عبر وسائل الإعلام فعليهم ألاَّ يترددوا ليلفتوا نظر الحكام ويحوزوا على رضاهم فيقلدوهم الوظائف الحكومية دون خوف منهم أو وجل. وفي هذه المرحلة ومع حدوث تحولات في الموانئ والجزر والمدن الأخرى في بلادنا، إضافة إلى الأرصدة البنكية التي سوف نستحدثها سيكون هناك مخططات لضرب الاقتصاد في دول الجوار. ولا شك في أن أصحاب رؤوس الأموال وفي سبيل الربح والأمن والثبات الاقتصادي سوف يرسلون جميع أرصدتهم إلى بلدنا؛ وعندما نجعل الآخرين أحراراً في جميع الأعمال التجارية والأرصدة البنكية في بلادنا فإن بلادهم سوف ترحب بمواطنينا وتمنحهم التسهيلات الاقتصادية للاستثمار.

رابعًا: وفي المرحلة الرابعة سيكون قد تهيأ أمامنا دول بين علمائها وحكامها مشاحنات، والتجار فيها على وشك الإفلاس والفرار، والناس مضطربون ومستعدون لبيع ممتلكاتهم بنصف قيمتها ليتمكنوا من السفر إلى أماكن آمنة؛ وفي وسط هذه المعمعة فإن عملاءنا ومهاجرينا سيعتبرون وحدهم حماة السلطة والحكم، وإذا عمل هؤلاء العملاء بيقظة فسيمكنهم أن يتبوؤوا كبرى الوظائف المدنية والعسكرية ويضيِّقوا المسافة بينهم وبين المؤسسات الحاكمة والحكام، ومن مواقع كهذه يمكننا بسهولة بالغة أن نشي بالمخلصين لدى الحكام على أنهم خونة؛ وهذا سيؤدي إلى توقيفهم أو طردهم واستبدالهم بعناصرنا. ولهذا العمل ذاته ثمرتان إيجابيتان:

أولاً: إن عناصرنا سيكسبون ثقة الحكام أكثر من ذي قبل.

المسلمون



والعالم



ثانيـا : إن سخط أهل السنة على الحكم سيزداد بسبب ازدياد قدرة الشيعة في الدوائر الحكومية، وسيقوم أهل السنة من جراء هذا بأعمال مناوئة أكثر ضد الحكم، وفي هذه الفترة يتوجب على أفرادنا أن يقفوا إلى جانب الحكام، ويدعوا الناس إلى الصلح والهدوء، ويشتروا في الوقت نفسه بيوت الذين هم على وشك الفرار وأملاكهم.

خامساً : وفي العشرية الخامسة فإن الجو سيكون قد أصبح مهيأ للثورة؛ لأننا أخذنا منهم العناصر الثلاثة التي اشتملت على : الأمن، والهدوء، والراحة؛ والهيئة الحاكمة ستبدو كسفينة وسط الطوفان مشرفة على الغرق تقبل كل اقتراح للنجاة بأرواحها.

وفي هذه الفترة سنقترح عبر شخصيات معتمدة ومشهورة تشكيل مجلس شعبي لتهدئة الأوضاع، وسنساعد الحكام في المراقبة على الدوائر وضبط البلد؛ ولا ريب أنهم سيقبلون ذلك، وسيحوز مرشحونا وبأكثرية مطلقة على معظم كراسي المجلس؛ وهذا الأمر سوف يسبب فرار التجار والعلماء حتى الخَدَمة المخلصين، وبذلك سوف نستطيع تصدير ثورتنا الإسلامية إلى بلاد كثيرة دون حرب أو إراقة للدماء.

وعلى فرض أن هذه الخطة لم تثمر في المرحلة العشرية الأخيرة فإنه يمكننا أن نقيم ثورة شعبية ونسلب السلطة من الحكام، وإذا كان في الظاهر أن عناصرنا ـ الشيعية ـ هم أهل تلك البلاد ومواطنوها وساكنوها، لكننا نكون قد قمنا بأداء الواجب أمام الله والدين وأمام مذهبنا، وليس من أهدافنا إيصال شخص معين إلى سدة الحكم ـ فإن الهدف هو فقط تصدير الثورة؛ وعندئذ نستطيع رفع لواء هذا الدين الإلهي، وأن نُظهر قيامنا في جميع الدول، وسنتقدم إلى عالم الكفر بقوة أكبر، ونزين العالم بنور الإسلام والتشيع حتى ظهور المهدي الموعود». ا.هـ.

هذه رسالة سرية واحدة وفقنا الله ـ تعالى ـ لنشرها ؛ وهناك كتب ورسائل وبحوث مهمة جداً ألفها كبار آياتهم ومراجعهم ودعاتهم

تنطوي على كيد كبير بأهل السنة.

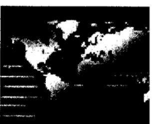
اغتيالات علماء السنة بعد مجيء خاتمي(*):

اغتيال علماء السنة وتوقيفهم المتتالي والعشوائي مستمر في إيران حتى بعد مجيء خاتمي؛ وقد بدأت أمواج الاضطهاد تتسرب من مدن أهل السنة إلى قراهم، وفي الأسبوعين الأخيرين اقتيد الشيخ نظام الدين روانبد ابن الشيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ العالم والشاعر الشهير في بلوشستان الإيرانية إلى السجن، وكان الشيخ نظام الدين بصدد بناء مسجد، وكان يدير مدرسة صغيرة، ولم يعرف مصيره حتى الآن، علماً أن بناء مسجد أو مدرسة دينية للسنَّة في إيران يُعتبر من الجرائم التي لا تغتفر. كما اغتيل في الأسبوع الماضي الشيخ يار محمد كهرازهي إمام جمعة أهل السنة في مدينة خاش الذي كان يدير مدرسة دينية أيضاً، وجميع الشواهد تدل على أن المخابرات الإيرانية هي التي اغتالته؛ لأنها اغتالت قبل سنتين ونصف تقريباً مدير المدرسة نفسها: الشيخ عبد الستار ـ رحمه الله ـ إمام الجمعة والعالم الشهير لأهل السنة في مدينة خاش البلوشية؛ وذلك ضمن حملتها المسعورة بقيادة مرشد الثورة خامنئي لإخلاء إيران من علماء السنة؛ ليتسنى لهم تشييع البلد كلياً بعد ذلك كما كتبوا ذلك في مخططاتهم الخمسينية السرية.

وأما خليفة الشيخ وهو يار محمد ـ رحمه الله ـ فقد كان يخضع لاستجواب المخابرات الإيرانية كغيره من مشايخ السنة، وطلب منه فصل الطلاب من غير أبناء المنطقة ـ ليقطعوا أدنى صلة بين السنة في إيران حيث يعيشون في أطراف إيران الأربعة ـ وحين رفض الشيخ ذلك ألقي القبض على الطلاب وتم إعادتهم ـ بعد السجن والتعذيب ـ إلى بلادهم، وكان للشيخ يار محمد موقف مشهود في الدفاع عن هؤلاء الطلاب.

هذا في بلوشستان الواقعة في جنوب شرقي إيران، أما بالنسبة للتركمان السنَّة الساكنين في شمالي إيران فقد وصلنا الخبر التالي:

المسلمون



والعالم

هاجمت عناصر المخابرات الإيرانية في الساعة الثانية والنصف ليلاً (من شهر آب) ١٩٩٧م منزل الشيخ آخوند ولي محمد ارزانش الذي هرب من إيران ولجأ إلى تركمانستان (أسوة بمئات من طلبة العلم من السنة الإيرانيين الذين هربوا إلى البلاد المجاورة)؛ وعندما لم يجدوه في المنزل أوسعوا ابنه ضرباً، ثم استولوا على بعض الصور والمستندات والوثائق المتعلقة بالتركمان، وغادروا البيت بعدما هددوا أهله بالموت إذا هم أخبروا الشرطة، وهذه الحادثة كانت هي الثانية من نوعها؛ إذ إنه في شهر نيسان / إبريل ١٩٩٧م هجم شخص مجهول (من مجاهيل إمام الزمان لديهم وهي كناية عن المخابرات) مسلح بسكين على منزل الشيخ ولي محمد ليقتله ونجا الشيخ بعدما أصيب بجروح خطيرة، وكل هذه الأعمال والقرائن المتعلقة بها تدل على ضلوع المخابرات الإيرانية في مثل هذه الأعمال التي بدأت بأمر من الخامنئي بالتصفية الجسدية والاغتيال والإعدام ودس السم والقتل بالطرق المتعددة لعلماء السنة في الداخل والخارج.

ونحن نناشد المسلمين النصرة، ونناشد الهيئات الدولية والمنظمات الإنسانية لتقصي الأمور وإدانة التعصب الطائفي لعل هذا يردعهم عن الاستمرار في هذه الممارسات، فيتوقفوا عن قتل العلماء الأبرياء وهدم المساجد والمدارس، ويتركوا أهل السنة يعيشون في إيران موطن آبائهم وأجدادهم كغيرهم من الأقليات، علماً أنهم ثاني أكبر نسبة في إيران؛ إذ إن عددهم يصل إلى ثلث البلد أي من ١٥ إلى ٢٠ مليون نسمة.

نسأل الله أن يوفق إخواننا أهل السنة لمعرفة هذه المخططات الشيطانية وأن يرد ـ سبحانه ـ كيد من يريد بالمسلمين شراً إلى نحورهم.

والله من وراء القصد،

(*) رابطة أهل السنة في إيران.



لتر الماء... لتر النفط

أيهما أغلى؟ (٢ من ٢)

وضح الكاتب في الحلقة السابقة أهمية المياه الصالحة للشرب كمورد استراتيجي تتنافس عليه الأمم في العصر الراهن، ثم بين موقع العالم العربي من هذه الأزمة معدداً المصادر المائية العربية وأهميتها والأخطار والمشكلات التي تهددها.. ويواصل في هذه الحلقة إيضاحه لجوانب أخرى من الموضوع.

- البيان -

(إسرائيل) ومشكلة المياه:

تقع فلسطين في الطرف الشمالي من البحر المتوسط، غرب الأردن وجنوب لبنان، وتقع على أطراف المنطقة المطيرة في الشمال، وتمتد حتى تصل إلى المناطق الجافة في الجنوب، وتتراوح كميات الأمطار بين ٩٠٠ ـ ١٠٠٠ ملليمتر في منطقة صفد وحتى ٣٩ ملم سنوياً في منطقة إيلات ـ العقبة [١].

وقد أدرك اليهود منذ القدم أهمية السيطرة على مصادر المياه في فلسطين، وتحدثنا المراجع التاريخية أن التعاون بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية تعاون كامل، وحقائق التاريخ تؤكد أن الحكم الصهيوني مبنيٌّ على حقائق مائية؛ ومن ذلك كان سَعْيُ الآباء الأوائل لليهود: هرتزل، ووايزمان، وبن جوريون؛ لتأمين هذا الجانب حتى قبل إنشاء ما يسمى بـ (إسرائيل) وشملت طموحاتهم ليس فلسطين فقط؛ بل كل المصادر المائية في غرب آسيا والنيل [٢].

ففي رسالته المؤرخة في ٢٩ / ٢ / ١٩١٩م والمرسلة إلى لويد جورج رئيس

---

(١) دائرة معارف الشباب، د. فاطمة محجوب، ص ٧٤٢.

(٢) الحرب القادمة حرب المياه، سمير عيسى، ط١، ١٤١٢هـ دار أسامة للنشر والتوزيع، الرياض.

بقلم: خالد محمد مسعود القحطاني

وزراء بريطانيا يطالب حاييم وايزمان بتحسين حدود الوطن القومي لليهود.. وكانت ذريعته الكبرى في ذلك: المياه، ولقد رأى وايزمان أنه من الضروري أن يضم المشروع الصهيوني في ثناياه حوض الليطاني وجبل الشيخ وحرمون الذي يحتوي على منابع أنهار: الأردن، وبانياس، واليرموك؛ بحجة أن هذه المياه ضرورية للدولة اليهودية.

وقضية بهذا الحجم شغلت بال السياسة اليهودية وصارت تمثل قضية حياة أو موت؛ وبقراءة لتاريخ الحركة الصهيونية يتضح لنا وبجلاء مراحل السيطرة اليهودية على مصادر المياه في فلسطين ولبنان والأردن وسوريا (هضبة الجولان:

• ففي عام ١٩٠٣م تقدم تيودور هرتزل إلى الحكومة البريطانية في عهد الملكة فيكتوريا واللورد سالبوري وجوزيف شميزلت وآرثر بلفور وإلى الحكومة المصرية في عهد الخديوي عباس الثاني ومصطفى باشا فهمي وبطرس باشا غالي والمعتمد البريطاني اللورد كرومر بهدف تحويل مياه النيل إلى سيناء، وقد بذل هرتزل نشاطات كبيرة لتحقيق المشروع الهادف إلى توطين اليهود في شبه جزيرة سيناء، وقد لقي موافقة مبدئية من الحكومة البريطانية، إلا أنه أخفق بسبب الظروف الدولية حينذاك التي فرضت على إنجلترا سياسة الوفاق الودي مع فرنسا عام ١٩٠٤م تأهباً لمواجهة ألمانيا واستعداداً للصدام مع تركيا وألمانيا عند الانتقال لتنفيذ سكة حديد الحجاز.

• وفي عام ١٩١٩م وأثناء تقديم المذكرة الصهيونية المقدمة إلى مؤتمر لصلح في باريس كانت تنص على أن تبدأ حدود فلسطين عند نقطة على

المسلمون



والعالم

البحر المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه النابعة من سلسلة جبال لبنان حتى جسر فرعون، ثم إلى البير، ثم تتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي تيم، ويتجه جنوبًا لتتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ.

● وفي عام ١٩٤١م قُدِّم اقتراح للرئيس اللبناني الفريد نقاش لاستثمار المصادر المائية في لبنان على يد المؤسسات الصهيونية، ولكن انكشفت أبعاد هذا المشروع ومراميه فأوقفته بعض الأصوات الوطنية في حينه.

● وفي عام ١٩٤٨م اندفع اليهود ومنذ الأشهر الأولى لقيام ما يسمى (إسرائيل) لاستغلال ما تحت أيديهم، وشكلوا لهذا الغرض لجنة من سبعة عشر خبيراً، ووضعت خططًا وأهدافًا وهي التي عرفت بالخطة السبعية؛ وبدئ في تنفيذها عام ١٩٥٣م بالعمل على زيادة استثمار الموارد المائية في فلسطين من ٨١٠ ملايين متر مكعب (إنتاج عام ١٩٥٣م) إلى ١٧٣٠ مليون متر مكعب في نهاية الخطة عام ١٩٦٠م، ويحتاج تدبير الكمية اللازمة وحجمها ٩٢٠ مليون متر مكعب إلى:

أ ـ مشاريع زيادة استغلال الينابع والمياه الجوفية والسطحية داخل فلسطين لتوفير ٣٨٠ مليون متر مكعب.

ب ـ استغلال نهر الأردن وروافده التي توفر نحو ٥٤٠ مليون متر مكعب.

● وفي عام ١٩٦٤م أعلن اليهود أنهم على وشك الانتهاء من المراحل الأولى من مشروعهم لإيصال مياه الأردن إلى النقب، ولأجل ذلك اجتمع مجلس الجامعة العربية في القاهرة في ١٣/١/١٩٦٤م وأقر تشكيل هيئة لاستغلال مياه نهر الأردن وروافده، وتشكيل قيادة عربية مشتركة مهمتها إعداد ما يلزم لحماية المشروع العربي الطموح!!! وتكفل المجتمعون بتغطية نفقات المشروع.. ولكن المشروع انتهى بنهاية مضحكة مبكية عندما استولى اليهود عام ١٩٦٧م على مواقعه في الجولان واستولوا على آلياته ومنذ ذلك الحين ونهر الأردن وروافده في أيدي اليهود.



• وفي عام ١٩٦٧م تفاقمت أزمة المياه في إسرائيل نتيجة الهجرة اليهودية المكثفة إلى فلسطين؛ وقد حلت المشكلة بعد حرب ١٩٦٧م، وحصلوا على ٥٠٠ مليون متر مكعب دفعة واحدة كأكبر المكاسب التي حققها اليهود.

والجدير ذكره أن هضبة الجولان قد احتلها اليهود في هذه الحرب وهي في غاية الأهمية؛ إذ إنها تعتبر المصدر الأول للمياه في فلسطين، وتتلقى سنوياً أكثر من ٥٠٠ ملم من الأمطار، ويصل ارتفاع الثلج إلى ٣٠ سم ويوجد بها حوالي ١٠٠ نبع توفر سنوياً ما بين ٥٠ و ٦٠ مليون متر مكعب.

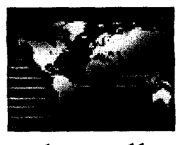
كما تمكن الغاصبون من إحكام السيطرة على نهر اليرموك، وأتيح لهم أيضاً السيطرة على منابع نهر بانياس[1]. ويستغل اليهود حالياً ٣١,٥ مليون متر مكعب من المياه في جنوب الهضبة، و٦ مليون متر مكعب في المنطقة الوسطى، وما بين ٧ ـ ٨ مليون متر مكعب في المنطقة الشمالية منها.

• وفي عام ١٩٧١م بدأ الاستغلال المركَّز من قِبَلِ السلطات الإسرائيلية لمياه الجولان في إطار الخطة الخمسية لتلك الفترة، وقامت شركة يهودية بحفر مجموعة من الآبار الارتوازية لصالح المستوطنات اليهودية هناك، كما أقيمت محطة لضخ المياه من بركة رام التي تقع على أقدام جبل الشيخ ومساحتها ٩٠٠ متر مربع ويتراوح عمقها ما بين ٨ و ٩ أمتار وطاقتها ١,٥٠٠,٠٠٠ متر مكعب؛ وذلك لنقلها إلى المستوطنات اليهودية.

• وفي عام ١٩٧٨م قامت إسرائيل بتركيب مضخات بطول ١٠كم من مجرى نهر الليطاني مجاورة لبلدة سوريان وحتى خزانات مشروع الطيبة، كما قامت بتركيب خط آخر بطول ٢٥كم من خزانات الطيبة وحتى بلدة عنيا لشام حيث شيدت خزانات ضخمة قرب البلدة تستقبل مياه الليطاني وتوزعها على الجبل.

• وفي عام ١٩٨٢م وبعد غزو لبنان عمدت إسرائيل إلى تقديم الأسلاك

(١) انظر في جميع ما سبق (التطبيع ـ استراتيجية الاختراق الصهيوني) وكذا ملف السياسة الدولية، وانظر في جغرافية الجولان (الحرب القادمة .. حرب المياه).



الشائكة مسافة تتراوح بين ٣ و ٥ كلم داخل الحدود اللبنانية حول نهر وبلدة الوزاني جنوب شرق الحدود مسيطرة بذلك على سبعة كيلومترات مربعة من الأراضي. كما شقت نفقاً من قرية كفر كلا حتى وادي ميماس في مرج عيون لسحب مياه الليطاني إلى فلسطين (إسرائيل)، ويبلغ طوله ١٧ كلم وقد أدى إلى تعريض ٢٥٠ قرية لبنانية للعطش في الوقت الذي سمح فيه لليهود باستغلال مياه الليطاني بسبب انخفاض مستوى الأرض في فلسطين. وتجدر الإشارة إلى أن كميات المياه التي حصل عليها اليهود جراء اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م هي ٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه. وفي عام ١٩٨٧م أتم اليهود تحويل مياه الحاصباني ونبع الوزاني ومياه الليطاني، وبتمام هذا العام يكون اليهود قد استولوا على: ٦٥ مليون متر مكعب في السنة من ينابيع الوزاني، و١١٠ مليون متر مكعب في السنة من نهر الحاصباني، و٤٠٠ مليون متر مكعب في السنة من نهر الليطاني!

نرى من جميع ما سبق أن اليهود يأخذون عنوة: من سوريا ٢٠٠ مليون متر مكعب (عدا الاحتياطي الكبير من المياه في هضبة الجولان) و ٥٧٥ مليون متر مكعب من لبنان، إضافة إلى ٦٠٠ مليون متر مكعب سنوياً من الضفة الغربية.

إن مشكلة نقص الموارد المائية الأصلية في إسرائيل تتزايد بتزايد ضغوط النمو السكاني والهجرة المكثفة؛ وبذلك أصبحت مشكلة المياه هاجس إسرائيل الدائم، بل إنها حلت في المرتبة الثانية بعد أمنها[1].

وينبغي أن نشير هنا إلى بعض التقارير الخاصة التي صدرت عن بعض الجهات الحكومية الإسرائيلية التي ألمحت بشكل أو بآخر إلى تفاقم أزمة المياه هناك.

فقد أوردت صحيفة (الهآرتس) اليهودية في ١١/٦/١٩٩٠م أن الدكتورة جوليس ستار الباحثة في معهد الدراسات الاستراتيجية بواشنطن

(١) السياسة الدولية.



أوضحت في مؤتمر صحفي عقد في تل أبيب خلال زيارة عمل أن مسألة المياه ومصادرها ستطرح في أية تسوية محتملة بين الفلسطينيين واليهود كمسألة من الدرجة الأولى، وحذرت في الوقت نفسه من أن العجز المائي في فلسطين سيصل إلى ٣٠٪ [١].

وفي التقرير الصادر في ٣ / ٥ / ١٩٩٠م حذر بنك إسرائيل من تدني مخزون المياه في أعقاب السحب الزائد والمستمر من هذه المياه وزيادة حدة المشكلة إذا لم يتوفر تقليل استهلاك المياه [٢]. وبشكل عام فإن نقص المياه الذي يزداد سوءاً بعامل التغيرات المناخية التي وسَّعت من القحط الدوري، وبعامل الإدارة غير الكفء للمياه ساهمت في جعل المياه مسألة مصيرية تشغل بال حكومات المنطقة كاملة، كما تساهم الأوضاع السياسية والإقليمية أيضًا في تفاقم مشكلة المياه حيث كانت الدول التي تشارك في شبكات الأنهار الرئيسة في المنطقة عاجزة عن الارتفاع فوق الصراعات التاريخية من أجل التعاون في تنمية موارد المياه الثمينة. وبالنسبة للمستقبل المنظور يحذر الخبراء من عدم وجود أي علاج شامل في التعامل مع نقص المياه الوشيك [٣].

وفي الجانب الآخر يتميز الوضع الاستراتيجي لحوضي دجلة والفرات بموقع متأزم وخطير لوجود طرف غير عربي عضو في حلف شمال الأطلسي (الناتو) وإن كان يرتبط بكل من العراق وسوريا بكونه دولة إسلامية، ولا شك أن ارتباط تركيا السياسي والعسكري يفوق ارتباطها الديني وذلك بالنسبة لقيادتها السياسية.

ولعل إسرائيل قد استطاعت وبسياسة متعمدة توثيق علاقاتها مع تركيا، وكذلك مع أثيوبيا وكينيا وكلها من دول المنبع لأهم المصادر المائية العربية، وتستخدمها إسرائيل في تزويدها بما تحتاجه من المياه مقابل خدمات فنية

(١) الفرسان، عدد ٧١٣/٧/١١/١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق.

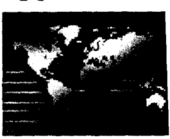
(٣) انظر السياسة الدولية.



وتمويلية، وتستخدمها في الوقت نفسه ورقة ضغط سياسية على دول مصب هذه الأنهار مثل مصر والعراق والسودان وسوريا. وتجدر الإشارة هنا إلى ما أعلنته تركيا عن مشروع خط السلام التركي وهو خط يتكون من أنبوبين: الأنبوب الشرقي ويبلغ طوله ٢٨٠٠ كلم، والآخر يصل طوله ٤٠٠٠ كلم، وهذا المشروع من شأنه تحويل مياه نهري دجلة والفرات إلى بحيرات وأنابيب تتحكم تركيا في مفاتيحها؛ وقد بدأ الإعداد لهذا المشروع منذ عام ١٩٨٦م على يد شركة براون أندرت الأمريكية، التي أعلنت أن دراسة الجدوى لهذا المشروع انتهت عام ١٩٩١م، وأن تكاليفه تقدر بواحد وعشرين مليار من الدولارات، وإذا كان العرب قد عارضوا بشدة مثل هذا المشروع فإن تركيا قد بدأت بتنفيذ المراحل الأولية منه بالتعاون مع إسرائيل؛ وذلك بمد خط أنابيب لنقل ٢,٣٠٠,٠٠٠ مليون متر مكعب من المياه إلى إسرائيل[١].

وإذا كانت الحرب المائية قد بدأت بالفعل ضد العرب عند الفرات بعد التعاون التركي الإسرائيلي، فإن فصول هذه الحرب يتم إعدادها دون يأس عند منابع النيل بالتعاون مع أثيوبيا وكينيا لسرقة المياه على حساب مصر والسودان.

المسلمون



والعالم

وبالعودة إلى نهر الفرات فإن هناك أربعة محاور رئيسة ينبغي مراعاتها:

الأول: المياه بتركيبتها الاستراتيجية المعروفة ثلاثية الاستخدام: (الشرب، الري، توليد الكهرباء) ولذلك فإن تأثيرها اليوم في حياة البشر تأثير مباشر سريع، ومن ثَمَّ يمكننا فهم حساسية الموقف وصعوبته بالنسبة لسوريا التي يجري فيها نهر الفرات، ومن مياهه تقوم الحياة عليها؛ وخاصة في شمال وشرق سوريا، وكذلك الوضع بالنسبة للعراق الذي يخترقه هذا النهر.

الثاني: الأقليات العربية: فعند التقاء الحدود السورية ـ التركية، والعراقية ـ التركية؛ تشتعل أزمة الأقليات خاصة الأكراد الذين يعيشون على الحدود العراقية والسورية والإيرانية والسوفييتية (سابقًا) مكونين واحدة من أعقد

---

(١) مجلة الإصلاح العدد، ١٦٠ صفر، ١٤١٢هـ.

المشاكل العرقية في المنطقة.

الثالث: وهو دخول إسرائيل بشكل مباشر أو غير مباشر في مسلسل الصراعات في المنطقة المحيطة بها لإشغالها بأي وسيلة. فمن مصلحة إسرائيل إشغال المنطقة بالصراعات بعيدة عن الحدود الإسرائيلية، وشد الانتباه العربي بعيداً عن القضية الفلسطينية.

الرابع: محور التوترات السياسية والعسكرية السائدة، فإسرائيل ترى في سوريا أخطر أعدائها، وإيران ما زالت متحفزة لاستئناف حربها مع العراق، كما أن ثورة الأكراد قائمة على أشدها في تركيا والعراق [1].

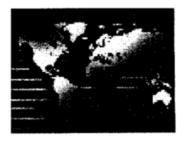
الخاتمة:

فهذه نتف من أخبار مشكلة المياه في المنطقة العربية من العالم الإسلامي وإني أرجو أن أكون قد وفقت في إيضاح الصورة أمام القارئ الكريم حتى تتضح معالم وأبعاد هذه القضية الحساسة.

ومما لا شك فيه أن هناك جوانب كثيرة لم أتطرق إليها ولعل من أشهرها طريقة الحرب اليهودية وقصصها المؤسفة على ضفاف الأنهار العربية؛ وكذلك الحلول العامة لهذه القضية وهي من المسائل الهامة التي أرجو أن تتاح فرصة في المستقبل لتناولها بالشرح والتفصيل.

وأسأل الله أن يهيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته، ويذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر؛ إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير. والحمد لله أولاً وآخراً..

(١) مجلة الفرسان / عدد ٧١٣ ـ الإثنين ٧ / ١١ / ١٩٩١م.



الإسلام والمسلمون في نيجيريا

بين الماضي والحاضر

لمحة تاريخية: إن للإسلام تاريخًا قديمًا وعريقًا في الدولة التي تعرف اليوم بـ (نيجيريا)، وكانت المنطقة في العهد الماضي تسمى بلاد (الهوسا) أو بلاد غرب (السودان)، ويرجع تاريخ انتشار الإسلام وتغلغله في هذه الديار إلى القرن الخامس الهجري، فقد تحدث علماء التاريخ العرب مثل: « القلقشندي » في صبح الأعشى عن قدم ملوم (برنو وكانم) في الإسلام وعلاقتهما بـ (مصر) في أواخر الدولة الظاهرية[1]، أما (كانو) و(كاتسينا)، وبقية مدن (هاوسا) ، فقد تأخر تغلغل الإسلام فيها إلى القرن الثامن الهجري.

ومن الجدير بالذكر أن انتشار الإسلام في هذه المنطقة كان عن طريق سلمي بحت لم يَشُبْهُ أي ضغط أو إجبار؛ فلقد أراد الله بأهل هذه البلاد خيراً، فسيَّر إليهم الإسلام، وكانت الوثنية العمياء قبل ذلك قد أدت بهم إلى أسوأ الأخلاق وفساد النظام حتى كادت أن تهوي بهم إلى مكان سحيق.

دور التجار المسلمين: ويرجع فضل انتشار الإسلام في بلاد (الهوسا) - بعد فضل الله - إلى التجار المسلمين من (مالي) وشمال إفريقيا، فاشتهرت بعض مدنهم مثل (كانو) و(كاتسينا) بوصفها مراكز تجارية عريقة، وكانت هذه الأسواق تجذب التجار من مناطق نائية ومن بينهم التجار المسلمين، وكان التجار المسلمون يتميزون بقيم وسلوك تجعلهم محل إعجاب؛ فقد كانوا أهل صدق وأمانة ووفاء، وأهل نظافة ونظام دقيق وخاصة عندما يشاهدهم الناس في وضوئهم وصلاتهم، ومن أحسن الناس لباسًا وهيئة، يجيدون الكتابة والقراءة، ويعاملون الناس في شرائهم وبيعهم وغير ذلك بود وسماحة؛ مما دعا الناس إلى حبهم والثقة بهم



(١) المد الإسلامي في أفريقيا، عباس محمد جلال، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٣٩٨هـ .

بقلم: محمد بابنجيدا محمد

والإقبال على تلك العقيدة السامية التي توجِّه هؤلاء التجار إلى هذا السلوك.

عدم الإدراك الكامل : بيد أن من اعتنق الإسلام في أول الأمر لم يدركوا حقائق التعاليم الإسلامية، فاستمروا على ما يشبه جاهليتهم، مع تأديتهم بعض شعائر الإسلام مثل الصلاة والصوم، ولكن ذلك لم يمنعهم من التعلق بغير الله، والذبح للجن والأشجار، وإتيان الكهنة والسحرة، والتطير، وإدمان الخمر، وتبرج النساء، وغير ذلك، وزاد الطين بلَّة أن أكثر السلاطين الذين ادعوا الإسلام لم يؤمنوا به حق الإيمان، وإنما أرادوا استغلاله لمصالحهم؛ لما رأوا إقبال الناس على ذلك الدين الجديد.

وكان العلماء أيضاً في أول العهد قلة، ولم يكن لدى التجار الذين هم سبب انتشار الإسلام الكفاءة العلمية التي تؤهلهم لشرح المعاني الدقيقة والقواعد الأساسية للإسلام، ويضاف إلى ذلك كثرة ترحال التجار وعدم استقرارهم في محل واحد؛ مما جعل إمكانية التعليم الجاد المستمر أمراً عسيراً.

إلا أن الأمور تحسنت لما بدأ العلماء يفدون إلى هذه البلاد ومن أشهر من زارها من العلماء (الإمام السيوطي) ـ رحمه الله ـ، فانكب جمع من الناس على طلب العلم، ونشأت مدارس ومراكز علمية في بعض المدن.

المذهب السائد : ومن فضل الله أن المذهب السني هو الذي ترسخ في هذه البلاد، إلا أنه في السنوات القليلة الماضية تحمس بعض الشباب للثورة الإيرانية فزلت أقدامهم، وأُتُوا من حيث يدرون أو لا يدرون، فأخذوا بالمذهب الشيعي الجعفري.

وإن كان للطرق الصوفية دور في نشر الإسلام في بدايات الأمر، غير أنها خلَّفت رصيداً من البدع والخرافات لا تزال البلاد تعاني من آثارها السيئة حتى الآن.



حركة الشيخ عثمان بن فودي التجديدية : ثم شاء الله أن تهبَّ رياح الخير والبركات في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، فيبزغ على التتابع نخبة من العلماء الراسخين في العلم، ومن هؤلاء[١]: الشيخ «محمد ثمب بن عبد الله»، وكان عالمًا تقيًا، رحل إلى الحرمين وأقام فيهما بضعاً وعشرة حجة، ومنهم الشيخ «محمد بن الراجي»، أخذ صحيح البخاري وكتب السنة عن علماء الحجاز، وله سند للبخاري عن شيخه «أبي الحسن السندي» عن «محمد بن حياة السندي»، وعلى هذا اشترك فيما يبدو مع الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» في التلمذة على «محمد بن حياة». ومن هؤلاء النخبة أيضًا الشيخ «جبريل بن عمر»، الذي كان عالمًا ربانيًا، شديد التمسك بالسنة والسير على منهج السلف الصالح عقيدةً وعملاً وسلوكًا، وصا ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ديدنه، ولم يكن يخاف في ذلك لومة لائم.

كان الشيخ «جبريل» أبرز من حارب البدع والعادات الجاهلية ودعا إلى العقيدة الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، وأخذ عنه هذه الفكرة تلميذه الشيخ «عثمان بن محمد بن صالح بن فودي»، وكان رجلاً ورعًا تقيًا صالحًا وعالمًا متفننًا، ساءته أحوال البلاد من قلة العلم وانتشار البدع والخرافات وظلم الأمراء وغير ذلك، مقتفيًا في ذلك أثر شيخه «جبريل بن عمر» فجال المدن والقرى يدعو الناس ويعلمهم دينهم، فدعا إلى إحياء السنة النبوية وطرح كل ما خالفها، ومن اطلع على كتبه يدرك حماسة الرجل للسنة وشدة تمسكه بها، وأحسن مثال لذلك كتابه: (إحياء السنة وإخماد البدعة)، وكتاب: (بيان البدع الشيطانية)، وكتاب: (بيان وجوب الهجرة) وغيرها التي تزيد عن مئة كتاب.

وقد وقف ـ رحمه الله ـ أمام سلاطين (الهوسا) وأنكر عليهم انحرافهم عن الدين وظلمهم الرعية، وحملهم إياهم على أحكام جاهلية وتقاليد موروثة، فقابلوا دعوته بالرفض والاضطهاد له، قال الشيخ «عثمان» في كتابه (نجم الإخوان): «أرسلنا إلى جميع ملوك الهوسا أن ينصروا دين الله ويعينونا في إقامة الدين، فاستكبروا وأبوا؛ فاستأصلهم الله، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين»[٢]، وجمع السلاطين قواتهم، وكان أشدهم عداوة للمسلمين سلطان

المسلمون



والعالم

(١) ابن فودي، عبد الله، تزيين الورقات، (مخطوط).

(٢) نجم الإخوان، عثمان فودي، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ، ص ١٠٤.



(غوبر يُنْنَى)، فدارت مناوشات وحروب انتهت إلى النصر المبين لجماعة الشيخ.

وهكذا تم الأمر بانتصار الإسلام والمسلمين، وأقام الشيخ «عثمان» دولة إسلامية هي الوحيدة على نمطها في القارة الإفريقية، وكانت على ما يذكر الدكتور «حسن عبد الظاهر» أول تجربة إسلامية ـ بإطلاق ـ في تاريخ المنطقة، صبغت المنطقة بصبغة الإسلام، وأعطت المسلمين مفهوماً صحيحاً عن الإسلام، وكانت تجربة رائدة وقدوة اقتفى أثرها كثير من الحركات الإسلامية في المناطق المجاورة لها شرقاً وغرباً[1]؛ إذ طبقت الشريعة بكل جوانبها، وساد الأمن والخير والبركة في البلاد، واستمرت خلافة «سوكوتو» على المنهج الإسلامي وإن وجدت بعض الانحرافات عن المنهج الأمثل لدى بعض أمرائها، ولكن قواعد الدولة ظلت على أساس الشريعة الإسلامية إلى أن سيطر الإنجليز عليها عام ١٩٠٣م.

الاستعمار وأسلوبه الماكر في الهدم : طمع الإنجليز في دولة (سوكوتو) الإسلامية وخططوا لهدمها والسيطرة على أرضها وسرقة كنوزها، وأرسلوا عيونهم على فترات من الزمن ليستكشفوا أسرار الدولة، ومن أبرز هؤلاء العيون: «كلابرتون» Clapperton و«دينهام» Denham و «أدني» Oudney، وقد زار هؤلاء منطقة (برنو)، و(كانو)، و(سوكوتو) عدة مرات بعد الرحلات الاستكشافية التي قام بها «مونجو بارك» Mungo park قبلهم[2] وفعلاً حصلوا على بغيتهم، فبعد مدة من الزمن مشوبة بالمكر والمكائد واختلاق اتفاقيات تجارية وسياسية قام الإنجليز بحملة شرسة على دولة (سوكوتو) الإسلامية، وقاومهم جنود الإسلام ولكن لما لم تكن المقاومة من الإمارات الإسلامية موحدة فلم تُجْدِ شيئاً، وسقطت الإمارات الإسلامية على يد الإنجليز واحدة تلو الأخرى، وأخيراً سقطت العاصمة (سوكوتو) عام ١٩٠٣م.

سيطر الإنجليز على الحكم وأوثقوا قبضتهم على البلاد، ولكنهم أدركوا من أول وهلة أن التعرض المباشر لمعالم الدين سيوقظ حفيظة الناس ويثيرهم ضد الحكم الإنجليزي النصراني الغاصب، فاستغلوا نظام الحكم القائم وحكموا

(١) الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني، حسن عيسى عبد الظاهر.

(٢) Sulaim, ibragim; The Islamic State and the challenge of history, Mansell pub. Ltd., New York, 1987PP 74-88 .

البلاد بطريق غير مباشر وهو ما أسموه Indirect rule ؛ إذ كانوا يصدرون أوامرهم للأمراء المحليين؛ وهم يقومون بدور تنفيذها على رعيتهم، وعلى هذا يكون الحاكم الحقيقي هو الممثل الإنجليزي.

وكذلك لم يقم الإنجليز بإلغاء الشريعة الإسلامية جملة واحدة عن طريق مراسيم، بل كانوا يرددون في كل المناسبات أن لا دخل لهم بديانة الناس وتقاليدهم، وقد يُظهِرون في بعض الأحيان (في نفاق سافر) تأييدهم لبعض مظاهر الدين، ولكن ما أن تَمّتْ لهم السيطرة على البلاد حتى كشفوا القناع؛ فظهرت عداوتهم للإسلام وبدؤوا يستخفُّون به، ويصفون شريعته بالهمجية، واستطاعوا أن يلغوا الشريعة تدريجاً حتى لا يتفطّن لذلك المسلمون.

نعم: غلب الإنجليز المسلمين في ساحة القتال، ولكن روح الإسلام بقيت في قلوب الناس، فقابلوا تلك الهزيمة برفض كل ما ينتمي إلى الإنجليز، وهجرَ جمهور الناس مدارس الإنجليز، واستقبحوا التشبه بهم في كلامهم ولباسهم وكل تقاليدهم، ويرى بعض الناس أن هذا كان سبب تأخر المسلمين ـ خصوصاً في الشمال ـ في العلوم المدنية، غير أن الحقيقة هي أن هذا الموقف ساعد المسلمين إلى حد كبير في الحفاظ على دينهم إلى جانب أن الإنجليز لم تكن لهم رغبة صادقة في تعليم المسلمين العلوم التي تؤهلهم لإدارة أمورهم من غير الاعتماد على غيرهم، وكان سعي الإنجليز نحو تأهيل النصارى والوثنيين كبيراً ليتولوا شؤون البلد بعد مغادرتهم؛ وهذا ما حصل بالفعل.

حاضر نيجيريا: هي أكبر دول أفريقيا السوداء: فهي ذات طاقات بشرية ومعدنية ولها موقع جغرافي استراتيجي وحساس؛ مما جعلها محل اهتمام القوى الغربية، ولما تملكه من مميزات يسهل عليها التأثير على الدول المجاورة لها مثل (النيجر) و(الكاميرون) و(بنين) و(تشاد) و(غانا) وغيرها، ويشمل هذا التأثير الأمور الاقتصادية والسياسية والدينية والفكرية.

يبلغ عدد سكان (نيجيريا) حاليًا أكثر من مئة مليون نسمة، ويشكل المسلمون حوالي ٧٠٪ من عدد السكان، وفيها قبائل كثيرة جداً يصل عددها إلى أكثر من مئتين كلها متباينة اللغات واللهجات، وأكبر قبائل الإسلام هي (الهوسا) و(الفلاني) و(كانوري) في شمال (نيجيريا) و(يوروبا) في الجنوب.





و(نيجيريا) دولة بترولية، وعلاوة على ذلك فهي غنية بمعادن هائلة قلما يوجد مثلها مجتمعة في دولة واحدة؛ ففيها الذهب، والفضة، واليورانيوم، والفحم الحجري، والنحاس، والحديد، وغير ذلك[1]، وفيها أيضاً أراضٍ واسعة صالحة للزراعة وتربية المواشي.

ولكن كل هذه الطاقات الطبيعية تكاد تكون مهدورة؛ إذ لم يستغل منها إلا القليل جداً، فلا تزال الدولة تعاني من المشاكل الاقتصادية، وتتصاعد الديون الدولية عليها، ويعيش أغلبية الناس في فقر مدقع بجانب طبقة قليلة تتقلب في ثروة قارونية وترف فاحش، وتستغل الهيئات التنصيرية العالمية هذا الوضع السيئ لاصطياد ضعفاء النفوس وتنصيرهم.

المسلمون ودستور الدولة : إن دستور الدولة عبارة عن خليط من النظام الإنجليزي الموروث والنظام الديمقراطي الغربي، وظلت العلمانية القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الدولة. نعم توجد محاكم إسلامية في الولايات الشمالية تحكم في دائرة الأحوال الشخصية، ولكن هذا ولما فيه من بعض تحريفات وقيود لا يشفي غليل المسلمين.

الصراع العنيف بين الكفار والمسلمين : منذ أن ضمت المناطق الشمالية والغربية والشرقية في سنة ١٩١٤م، لتكوِّن دولة (نيجيريا)، عرف الناس أن الخطأ الفظيع الفاحش قد ارتكب؛ فهي مناطق بينها اختلاف ومباينة في الدين واللغات والتقاليد والتاريخ والطموحات، وقد فقدت الدولة المصطنعة كل شروط ومقومات الوحدة والاستقرار، أو ما يسميها (ابن خلدون) بالعصبية؛ فالمنطقة الشمالية تعتز بمجدها الإسلامي وتتطلع لإعادة ذلك، والمنطقة الجنوبية (ما عدا مناطق اليورباة المسلمة) ترحب بالنفوذ النصراني؛ فشتان ما بينهما، وكان هذا سبباً لحدوث صراعات مريرة بين الكفار والمسلمين كادت أن تقضي على كيان الدولة؛ ففي سنة ١٩٦٦م، قام بعض (الإيبو) بانقلاب عسكري أدى إلى قتل عدد من القادة المسلمين، منهم رئيس الوزراء الحاج (أبو بكر تفاوا بليوا)، والحاج (أحمد بلو) حفيد الشيخ (عثمان بن

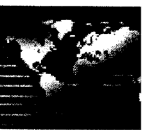
(١) انظر : اقتصاديات العالم الإسلامي، محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٠، ص ١٠٢، ١١٣، ١٦١، ١٨١.

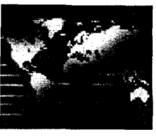
فودي)، وكان الحاج (أحمد بلو) قبل ذلك قد أثار غضب الدول الغربية ودولة الصهاينة بجولاته الدعوية ومساندته الظاهرة لقضايا الإسلام، ثم زاد على ذلك قولته المشهورة لما سئل عن العلاقة مع إسرائيل: «ليس في قاموسي ولا في خريطتي لإسرائيل وجود»، فقتلوه بعد ذلك، قتلهم الله.

الحرب الأهلية (١٩٦٦م - ١٩٧٠م): ثم ولجت الدولة في حرب أهلية دامية بسبب إعلان (الإيبو) انفصالهم عن (نيجيريا) وإقامة دولة (بيافرا النصرانية الانفصالية)، فأخفقت تلك المحاولة وأرغموا على البقاء في (نيجيريا)، ولكن لا تزال فكرة الانفصال واردة لديهم، ففي سنة ١٩٩٢م، قام بعضهم بمحاولة غير ناجحة لانقلاب عسكري، وكان من القرار المتفق عليه لديهم هو إخراج الولايات الشمالية المسلمة من دولة (نيجيريا)، ومع هذا فقد شاء الله أن يكون لبعض (الإيبو) نصيب من الإسلام، فهناك الآن عدد منهم يُقْبِلون على الإسلام مع أن الجهود التي يبذلها المسلمون في دعوتهم قليلة جداً. إن هناك الآن أقلية مسلمة من (الإيبو) ونشاهد المساجد في بعض قرى ومدن تلك الفئة؛ إذ يوجد مسجد كبير ومدرسة إسلامية في (أغبور)، ومسجد جامع في الجامعة النيجيرية بـ (إنسوكا) ومركز إسلامي تابع لرابطة العالم الإسلامي في (آبيكبو) « كلها في وسط الإيبو »، وهناك حاجة إلى دراسة واعية لاحتياجات الدعوة في تلك المنطقة حتى تتم للعمل الإسلامي أهدافه.

أخطار الفتن الطائفية : لقد اتخذ النصارى أسلوب إثارة الفتن الطائفية بقصد الاستئصال العرقي للمسلمين، ومن ذلك ما قامت به بعض قبائل الأقلية النصرانية في الولايات الشمالية المسلمة من قتل المسلمين وتحريق بيوتهم ومساجدهم وتخريب حقولهم، حدث هذا في (زانجون كاتف) (Zangon Kataf) سنة ١٩٩٠م ثم في سنة ١٩٩٤م. وفي ١٩٩٥م هاجم الكفار الكتفيون المسلمين يوم الجمعة وهم يصلون فقتَّلوهم تقتيلاً؛ حتى إن المرأة الحامل بقروا بطنها واستخرجوا الجنين ثم ضربوا برأسه الحائط.

وقد قام النصارى بمثل هذا أيضاً عدة مرات في (تفاوا بليوا) Tafawa Balewa، وفي (كافنشان) Kafancan، وفي (تيجنو وادوجو) Tigno Wadugu وقع ألف من المسلمين ضحايا أثناء هذه الأعمال الإجرامية التي قام بها النصارى، وفي كل مرة تحدث





هذه المذابح تقوم أجهزة الإعلام بعملية تشويه للحقائق تزويراً للأمور وتبرئة للنصارى.

وأجهزة الإعلام عندنا يسيطر عليها النصارى، وإن وجدت مسلماً في جهاز إعلاميٍّ مًّا، ألفيته غير واع لواقعه ولا جاداً في دينه إلا قليلاً ممن عصمهم الله وهداهم.

ومما يزيد الأسف أن رجال الأمن الموكلين بمكافحة الشغب أغلبهم من النصارى؛ فهم يزيدون النار تأججاً، ويُنزلون الويلات بالمسلمين، ويساعدون إخوانهم النصارى خفية وجهراً، وهذا من نتائج تفريط المسلمين؛ إذ تمكن النصارى من الوصول إلى المراكز الحساسة في الدولة بينما أهمل المسلمون العمل الجاد الموجه نحو تحقيق العزة للإسلام والمسلمين.

والحال على هذا المنوال في كل الجوانب؛ فالنصارى هم أصحاب الشركات الكبيرة، وهم المتسلطون على الأعمال التجارية المهمة، وهم أصحاب المهارات العلمية والمهنية، في حين تجد أكثر المسلمين في أعمال تجارية تافهة مثل بيع القصب والكعك إضافة إلى مهن يدوية لا تحتاج إلى علم ولا مهارة مثل إصلاح الأحذية والحلاقة، ولا ننكر وجود عدد من المسلمين أصحاب ثروات طائلة وأصحاب مهارات علمية ومهنية، غير أن عددهم لا يتناسب والأغلبية الكبيرة للمسلمين في الدولة، ومع هذا فلو أحسن المسلمون استغلال الثروات التي في أيديهم والطاقات التي لديهم لتحسنت أحوالهم إلى حد كبير، ولكنهم نائمون ويحتاجون إلى من يوقظهم ويحركهم؛ فإذا تحركوا فإن إفريقيا بأجمعها ستتحرك بإذن الله معهم، ولعل هذا هو السر الذي أدركه أعداء الإسلام، فركزوا أكبر جهودهم التضليلية على دولة (نيجيريا) فقد أصبحت (نيجيريا) معملاً لكل التجارب الأجنبية المشبوهة ومن هذا القبيل: فإن في مدينة (كانو) حالياً فقط أكثر من عشر جمعيات عالمية غير حكومية كلها تروِّج فكرة تحديد النسل وقضية حقوق الطفل والمرأة، وهناك هيئة UNICEF التي تسعى إلى تعديل مناهج المدارس الإسلامية الأهلية وخلاوي تحفيظ القرآن بحجة تحسين الوضع الاقتصادي لخريجي هذه المدارس؛ فإن لم ينتبه المسلمون ويعملوا لتأهيل إخوانهم وتعليمهم في شتى التخصصات العلمية والعملية فستكون هذه هي القاضية التي تكسر ذلك الحاجز الذي حال دون تنصير المسلمين، نسأل الله السلامة والعافية.

منتدى القراء

ديغوس لا .. ديفوسي

بقلم: عبد الله الصالح

اطلعت على العدد الأخير من مجلة البيان (عدد شعبان) وسررت لما جاء فيه من مواد مناسبة وطيبة ـ بحمد الله ـ، ولديَّ بعض الملاحظات المتواضعة التي آمل أن تتسع صدوركم لها حول تقرير دعوي.

- أظن أن الأخ الكاتب لم يتحرَّ الاسم الصحيح لاسم المنطقة وهو (ديغوس) بالغين لا بالفاء.
- وديغوس تقع في محافظة داباو (بالواو) وليس دابار، وهي أكبر مدينة بعد مدينة داباو. فالأخطاء كثيرة وأظن أن الأخيرين خطآن مطبعيان. والله أعلم.
- ثم إن عدد سكان الفلبين ليس خمسة ملايين ولا حتى خمسين مليونًا؛ فآخر الإحصاءات كما نشرته مجلة آسيا ويك تبين أن عدد سكان الفلبين هو ٧١٫٨ مليون نسمة. وجزاكم الله خيراً.

غفلة

شعر: عبد الله بن محمد السرحاني

الناس في غفلةٍ والدهر يقظانُ ... والحادثات لها في الناس ميزانُ

قد مات من حاز في الدنيا لذائدها ... ولم يخلَّد بذي الدنيا سليمانُ

وانظر لفرعون طاغوت الطغاة فكم ... دعاه موسى فلم يردعه برهانُ

نبينا المصطفى يدعو لدين هدى ... دعا طغاة قساة القلب ما لانوا

تتحدث عن نفسها

شعر: أسامة أنور عيسى

كيف الحياةُ؟ تعطلَتْ كلماتي ... وُئِدَتْ على جسر الشفاه حياتي

قد كنْتُ في ثغر الجدود يمامةً ... خفَّاقةَ الأجناحِ والنبضات

محبوبةً، منطوقةً، مسرودةً ... ممزوجةً بالحب والصلوات

أنا صاحبي نهرٌ لذيذٌ لفظُهُ ... يهدي إليك روائعَ الحَسنات

أهملتني ورميْتَ كلَّ حلاوتي ... للصمت والنسيان كالأموات

فإذا أتيتُك من فؤادِ مسلمٍ ... ألقيتَ بي في سلة العَثَرات

آه لماذا تستبيحُ كرامتي ... وتدمرُ الخيراتِ بالهفوات؟

وإذا عطفْتَ عليَّ يومًا لم تقلْ ... إلا كُلَيْمَةَ كارهٍ أو عاتي

هذا السلامُ بساحتي يمحو الوغى ... ويزيلُ حقداً من فؤاد عداتي

والرحمةُ الخضراءُ تغمرُ ساحتي ... لتصبَّ ضوءَ الحبِ في الظلمات

صرخة من سراييفوا

شعر: أنور الزهراني

أنا صوت يا نائمون أفيقوا
أين أهلُ التقى وأهل الصلاةِ

أنا طفل لم يرحموني ولكن
تركوني أذوقُ مُرّ الحياةِ

كالبتني الأحزان من كلِّ صوبٍ
وأخي أوجعوه بالطعناتِ

يا بلادَ البلقان أنْت مثال
نستقي منْه أنبلَ الوقفاتِ

أنتِ صبرٌ وتضحياتٌ وعزٌّ
أنْتِ أسد الغاباتِ في التضحياتِ

قادم ديني

شعر: عبد الرحمن عبد الهادي العمري

آيةٌ في الصف تمحو كل شيءٍ قد يشينْ
كل حزنٍ كل جرح أو دموع أو أنين
كل شبرٍ من ترابٍ فوقه ظلم مبين
وكذاك الحق يبقى عاليًا في كل حين
قادمٌ ديني بحقٍ وانتصارِ المسلمين

وتقاومُ الكرهَ الدفينَ بحاقدٍ
وتمد دفءًا في قلوب قُساةِ

يا ظالمي عدلاً فإنَّ تشتتي
سمٌ تسللَ في مسيلِ فُراتِ

أنا دعوةُ الهادي لنشرِ محبةٍ
أفشوا السلامَ لرائحٍ أو آتٍ

لا تهجروني للزمان برطنةٍ
كمشعوذٍ في أقبحِ الجلساتِ

تتلقفونَ من الفرنجِ تحيةً
«ولْكَمْ» تعربدُ في ربيعِ حياتي

لا عِمْ صباحًا في الصباحِ تحيتي
لا عِمْ مساءً في المساء لغاتي

فسلوا القُرانَ وقد أتيتُ بلفظه
مغموسةً بالطهر والرحماتَ

وسلوا الجنانَ أنا الرحيقُ بشغرهاَ
وفراشةٌ آبتْ من الزهراتَ

وسلوا الصحابة كيف كنت أظلُّهُمْ
بالحل والترحال والصلواتَ

قُلْ كيفَ تحيا يا أخي بين الورى
وَتَحَجُّرٌ بالفعل والكلماتَ

فامسكْ زمامي كاملاً وانطقْ به
تجد الوئام يطوفُ بالطرقاتَ

فأنا السلامُ ورحمةٌ من خالقي
فانزلْ بساحي تملكْ بركاتيَ

منتدى القراء

مناجَـــاة

شعر: د. حمدي محمد شتا

أنـــا دون عـــطــــفـــكَ يـــا إِلــــــهي لستُ في دُنْيَـــاي شَـــيِّـــا

لَـمْ أســــتـــــعن أبداً بـغـــيـــرك لَـمْ أكُن عَـــبْـــداً عـــصـــيَّـــا

وإذا ظَـمِـــــــئتُ فـكـوثـر الـرَّحْـمـــن يـــروي الـقـلـــبَ ريَّـــا

فـــــقِـني إلـهـي شـــــرَّ نـفْسي واهـدنـي الـدربَ الـسَّـــــويَّـا

وإذا لـقـــيـــتك فـــاعـف عنِّي حينَ تطـوي الـعُـــمْـــرَ طـيَّـــا

إنا على العهـد

شعر: حسن بن أحمد القرني

جـرح الـعـقـيـدة يا ابن الدين ينهـمـرُ فـــلا إخـــالُ أخـــا الإســـلام ينتظرُ

فـاليـوم يومك فـانهض دونما كـسـل واشـمخ بأنفك وارفض درب من كـفـروا

واخلع من الغـمـد عـزمًـا شاهه صـدأٌ واصـمـدْ فـإنك بالإسـلام تنتـصـرُ

ومن جـمـاجـمنا نبني حـضـارتنا نحـيي مـسـيـرتنا والفسقُ ينتـحـر

يا أرض بلقـان طال الذل فـاحـتـسـبي إنا على الـعـهـد مـهـمـا نالك الأشِـرُ

الأدمغة الأسيرة

شعر: محمد أحمد عبد الله الزهراني

ونـضـحَكُ فـاكـهـينَ بما اعـتـرانا مِنَ الأسـقـامِ والغُـصَصِ العَـصِـيَّـهْ

فلسطينُ اليـتـيـمـةُ مُـبـتـغَـاها جَناحُ أب.. رضـا أُمٍّ وفـيّـهْ

فكيفَ تقـومُ خـيـلُ الذَّود عنهـا وأرْجُلُـهـا مُـعـطَّـبَـةٌ وَهِـيّـهْ

حُـروفُ لسَـانـنـا أوهى دُروعٍ فـهل صـدَّتْ رصـاصـةَ بُندقـيّـهْ؟!

سَـرَابٌ.. لن يُجـمِّعَ شَـملَ قـومٍ مـن الـوديـان والـطـرق الـرديـهْ

فـيـا أزمـانَ عـزَّتنا تعـالَيْ لتشـهـد عـينُك الأقـصى ضحـيّـهْ!

فـتلكَ حـرائقُ العُـدوان تـسـمـو وبـركـــانٌ يـشـبُّ بـلا رويّـه

إلـهي أنت نـاصـرُ سـيـفِ حقٍّ فـأسـعِـفْنا لـكي تُطوى الأذيّـهْ

أنّـة الروح

شعر: عبد الله بن عبيد العبيد

أنا مسلمٌ قد كنت أكتم عزتي ... قد كنت أكتمُ رايةَ التوحيدِ
فصرختُ أشهدُ: لا إله سوى الذي ... أحيا وأوجدَ في الوجودِ وجودي
ثم انطلقتُ لمسجدي وجوانحي ... تهفو لذكرٍ خالدِ التمجيدِ
وشرعت أمسح مصحفي في لهفةٍ ... لأُرتِّلَ الشورى وسورة هودِ
وكأن كلَّ الكون غرد وانتشى ... طربًا لكسر القيد والتقييد
لكن حظي أنني في عالمٍ ... لا يرتضي لي أن أذيب جمودي
لا يرتضي لي أن أعيش ورايتي: ... الله أكبر حُلتي ووقودي
هم قد أرادوا أن أعيش مكممًا ... لا يستفيضُ بالابتهال نشيدي
هم قد أرادوا أن أعيش لغايةٍ ... أدنى وأحقر من فتات العودِ
لكنني والله يشهدُ أنني ... أهوى الحياة لربنا المعبودِ
والمسلمون فعالهم أحلامهم ... وجهادهم في ضجةِ التنديدِ

نشرة الأخبار

بقلم: عاطف كامل

أحبائي أعزائي
أحييكم .. فهذا موعدي معكم
إليكم نشرة الأخبار:
شهيدٌ في ثرى القدس
وآخرُ في جبال النار
وباراكٌ وطغمته بصحن الدار
نكرّمْهم بطوق الغار
وطيارٌ يهودي يعربد في سما لبنان
ونارٌ تحرق الأحجار في كشمير والشيشان
وأنظمةٌ تمارس لعبة الإرهابِ
تلصقها بمن شاءت من الأطهار(*)
وجلادٌ عروبي من الثوار والسمَّار
يريق دماء من ثاروا على الطغيان والفجار
أحبائي أعزائي.. بكل مكان
إليكمْ خالص الأعذار
من همْ يوافيكم مع الإفطار
ويغزوكم .. إلى الأسحار
وأشكركم.. على أمل اللقاء بكم بغير عثار

(*) نشرت وسائل الإعلام أن العمليات الإرهابية في بلد عربي تقوم بها فصائل حكومية وأكد هذا جندي هارب أفشى ذلك السر.

بريد البيان

تنبيه:
فضلاً يصحح ما ورد في العدد ١٢٢في صفحة ٦٤ آخر الفقرة (٣) (على حساب **أموالنا**) والصحيح (على حساب **أمواتنا**).

• • •

■ **الأخ / نجدت كاظم لاطة:**
نشكرك على جهدك في مقالتك (أبعاد ظاهرة عبدة الشيطان) لكن الموضوع قتل بحثاً ولم يأت في وقته؛ مع العلم أن (البيان) غطت الموضوع بدراسة سابقة. وأهلاً بك في مشاركات أخرى مناسبة.

• • •

■ **الأخ / سعيد المالكي:**
(وقفتك) مع قوله تعالى: ﴿ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم﴾ الآية. سينشر جزء منها في (منتدى القراء) في عدد قادم ـ إن شاء الله ـ.

• • •

■ **الأخ / د. منذر البديري:**
مقالتك (أبو ذر الغفاري مراجعة تاريخية) لم توفق فيما ذكرت عن هذا الصحابي الجليل؛ إذ خلطت بين الرؤية اليسارية والرفض مع فقدان التأصيل الشرعي الصحيح. ولقد ألف عن الموضوع أبحاث علمية قيمة من أهمها: (الربذة في ترجمة أبي ذر وتاريخ الربذة) للأستاذ علي القرني و (أبو ذر الغفاري) للدكتور (منير الغضبان).

• • •

■ **الأخت / نادية حجازي:**
مقالتك عن (المذاهب المرتدة من الإلحاد واختراق دائرة الغيب) ينقصها الرؤية الواضحة لمضمونها فضلاً عن الغموض والاضطراب في الأسلوب مع عدم وضوح الخط.

• • •

■ **الأخ / محمد نجيب لطفي:**
لماذا السلفية لم يستوف مضمونه؟ وهناك دراسات مهمة في هذا الباب يستحسن الرجوع لها منها (هي السلفية: نسبة وعقيدة ومنهجاً) للشيخ محمد إبراهيم شقرة و (الأصول المنهجية للعقيدة السلفية) للأستاذ محمد فريجة.

• • •

■ **الأخ / د. حسن الوفيق:**
مع تقديرنا لما بذلته من جهد في مقالتك (الإعجاز العددي في القرآن) إلا أن في الموضوع تكلفاً، وفي نظرنا أن الاشتغال بمثل (إعجاز الرقم ١٩) فيه ملحوظات شرعية وعلمية ناقشها بعض المختصين في هذا الباب ويا ليتنا نهتم بالتدبر للآيات وما فيها من العبر والإعجاز الذي لا ريب فيه. وجزاك الله خيراً.

• • •

■ **الأخ / عباس شعيب حسن:**
قصيدتك (عن رمضان) وإن كان بعض أبياتها جيداً إلا أنها جاءت متأخرة فنعتذر.

• • •

■ **الأخ / نجاح سرور:**
قصيدتك (الرحيل والحنين) سينشر جزء منها في منتدى القراء.

• • •

■ **الأخ / عبد الحميد السحيباني:**
مشاركتك عن قصة مؤمن آل ياسين ستنشر ـ إن شاء الله ـ.

• • •

■ **الأخ / عبد الرحمن سعيد جبريل:**
نشكر لك اهتمامك بالبيان والحرص على أن تبدو بشكل أجمل وأفضل، ونفيدك أننا مقبلون ـ إن شاء الله ـ على تجديد وتطوير في الشكل والمضمون، بما نتمنى أن يتناسب وآمالك، وجزاك الله خيراً.

الورقة الأخيرة

أهمية استغلال السوانح

بقلم: د. شاكر عبد الرحمن السروي

إن الدعـاة إلى الله في طريق دعـوتـهم إنما هم في تجـارة فع الله، قـد أبرفوا عقدها وأتموا صـفـقـتـها؛ فلا يقيلون ولا يستقيلون: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[التوبة: ١١١]

وإن التـاجر الحـاذق ليـتحين الفرص لينتـهـزها، بل ويشـحـذ فكره ويبـذل جهـده لإيجـاد هذه الفرص وبعـثـها فن بين ركـام الصـفـقـات اليوفية.

إن سمو البيع وقدسية الصفقة التي أبرم عقدها كل داعية إلى الله، لَتحتّم عليه أن يكون على الغاية فن إعمال الفكر وبذل الوسع وانتهاز الفرص ليحقق أعظم المكاسب، فيسعد في الدنيا والآخرة.

وإن أنبياء الله ورسله ـ عليهم صلوات الله وسلافه ـ كانوا أصحاب السبق في ذلك، فهـذا نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ جرّب كل الطرق وحاول بكل الوسائل المتاحة لإبلاغ الدعوة. قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي

كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ - ٩].

فلا بد إذن من طرق كل الوسائل المشروعة، وانتهاز كل الوسائل المتاحة لأداء مهمة البلاغ، ولدعم الانتشار الأفقي لهذه الدعوة في انسياب كانسياب الماء، فما إن يعترضه حاجز إلا ويلتف حوله متابعًا سيله حتى يبلغ مستقره.

ولتحقيق ذلك فإننا بحاجة إلى طائفة توقف حركتها «الميكانيكية» وتنتصب قائمة، رافعة الرأس وسط جموع الغافلين، بل وحبذا لو ارتقت عاليًا لتَنظر إلى أفق أوسع وتحيط بنظرتها ميدان الغافلين لتؤدي مهمة استكشافية تيسّر السبل لتحديد الغرض فتستعد لاقتناصها، وتعرف الإمكانيات فترتب لاستغلالها.

إننا وفي غياب هذا التفريغ الجزئي نصبح مجموعة من التروس الصغيرة وسط آلة ضخمة ندور معها ونحسب أنّا نديرها، أو كالأكمه الذي لا يعرف من الألوان إلا اسمها.

أما أحسنُنا حالاً فهو من يحتذي حذو سلف اقتنصوا فرصًا، فهو يتقمص تلك الشخوص في وتيرة باردة ـ هذا إن لم تكن تلك الفرص الخوالي مما لا وجود له في واقع الحاضر ـ بعيداً عن الإبداع الذاتي ومتخلفًا عن مجاراة ما يستجد من سوانح الفرص التي إنما تمر مرّ السحاب؛ وقليل من يرتوي بمائها.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس :

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

البيان والتطوير

الشكل وإن كان ليس بأهمية المضمون في كل عمل إبداعي إلا أن له قيمته وأثره في الاندفاع لاقتناء أي كتاب أو مجلة؛ ومن هنا كان اهتمام الإعلاميين بالشكل والمضمون معاً.

ولقد كانت رسائل كثير من قرائنا الكرام تؤكد على مسألة الاهتمام بالشكل، والدعوة إلى حسن الإخراج ليكون لذلك تأثيره في لفت نظر المطلع والقارئ؛ مما يدعوه إلى أن يسعى إلى اقتناء هذه المجلة التي عملنا ونعمل جاهدين على أن تكون (لسان حق) و (داعية خير) في خضم الكم الإعلامي الهائل من الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية. وباعتقادنا أن المقروء ومهما كانت الوسائل الأخرى أشد جاذبية وأكثر تأثيراً منه فإن له جمهوره ومحبيه؛ ومن هنا جاء أملنا في المحاولات التطويرية الجديدة للرقي بعملنا الإعلامي إلى مستوى أفضل من ناحية، ولكسب الإخوة القراء ولا سيما ممن لم يسبق لهم الاطلاع على هذه المجلة حينما يقرؤونها لأول مرة. ونحسب أننا قد عملنا جاهدين لجذب القارئ بالشكل والمضمون معاً؛ ليكون من قرائنا ومتابعينا: بالكلمة الصادقة، والتحليل الموضوعي، والمعلومة الموثقة، والفكرة الطريفة.

ونرحب في الوقت نفسه بكل رأي جديد ونصيحة صادقة وفكرة مميزة للتعاون على البر والتقوى والعمل معاً، ولْيَكنْ رائدنا جميعاً: (التواصي بالحق والتواصي بالصبر)، راجين لمجلتنا أن تصافح قلوبكم قبل أعينكم في تطويرها الجديد الذي سيكون حافلاً بالعديد من المقالات والأبحاث والمتابعات والهموم الثقافية مما يخدم مصلحة قرائنا الأعزاء.

راجين أن يسهم ذلك في مسيرة الدعوة الإسلامية إلى الأفضل والأحسن.

والله نسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/ ٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا: Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065

الرقم المجاني: (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٤٠ ريالاً ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ دينار ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

هذه غابة العولمة.. وتلك وحوشها!

يجتـذب مصطلح «العولمة» يومًا بعد آخر المزيد من النقاش، والكثير من الجدل؛ لما لهذا المصطلح من تأثير مباشر متراكم آخذ في القوة على حياة البشرية منذ أن أخذت وسائل الإعلام ومؤسسات صنع العقول في طرحه وتسويقه إلى المثقفين والعامة... هذا المصطلح الذي يأتي امتداداً لرؤية عالم الاتصال الكندي الشهير (مارشال ماكلوهان) بتحول العالم إلى قرية كونية أو عالم واحد يثير اليوم غباراً كريهاً من الممارسات والفواجع والكوارث.

لنتفق أولاً على أن «العولمة» ليست مخلوقًا جديدًا أو فكرة ترفل في ثياب جديدة مع تسليمنا بأن وجود مصطلح العولمة يقصد به وجود نمط عالمي واحد، وباختصار: امتداد طبيعي لنمو «المركز» الغربي وانبساطة في الأرض «مبشراً» بنموذجه المادي المغرق في حب السيطرة، أو كما يقول أحد المفكرين الغربيين: «إنها روما الجديدة... كما كانت روما في السابق تصر على أن كل الطرق تؤدي إليها؛ فإن العولمة حتمًا لا تعرف سوى طرق تؤدي إلى أمريكا، وكما كانت روما جنة السادة وجحيم العبيد فإن أمريكا تعيد الفكرة نفسها حيث لا يوجد قرية كونية إنما مدينة مقسمة: واحدة للأثرياء، وأجزاء شاسعة للفقراء الذين يشعرون بالسعادة؛ لأنهم يجاورون السادة ويشاركونهم اسم المدينة».

ولنتفق ثانيًا أن من حق الأمة المسيطرة أن تسعى لفرض ثقافتها وسلوكها ومعتقدها ومصالحها؛ عملاً بمبدأ التدافع في الأرض.



افتتاحية العدد

ولنتفق ثالثًا على عدم طرح العولمة على أنها شر محض ونقبل ـ ما فيها من مصالح ـ مثل انتقال المعلومات المجردة، ونقل أيسر للتقنية ورأس المال اللازم لتنمية البلدان الفقيرة والأقل نمواً.

«هل هناك داعٍ لذكر أن المسلمين يشكلون رقمًا لا بأس به في هذه القائمة؟» ولنطرح أيضًا موقفًا محايداً من كل العوامل السلبية التي يراد لنا أن

نبتلعها ونتلذذ بطعمها المر ثم لنسأل أسئلة مدوية بحجم القضية المطروحة؟

لماذا يبشر النموذج الأمريكي بالعولمة في الوقت الذي تزداد السياسة الأمريكية والغربية انغلاقًا وعنصرية ورفضًا «للعالمي» إذا مس أرضها ومصالحها ونمط معيشتها أدنى مس..؟

لماذا تتفق مراكز العولمة وأركان صنع قرارها على اتخاذ الإسلام عدواً وحيداً أمام النموذج الذي تدعوه بـ«المتحضر» والذي يعكس تفاهة تلك الثقافة وغوغائيتها؟

لماذا يراد لنا ـ نحن المسلمين ـ أن نقبل بعضوية «نادي العولمة» دون أن نسأل عن شروط العضوية، ورسوم الاشتراك، وطقوس النزع التي تنتظرنا، ودرجة حرارة النار التي سوف يطبخ عليها «العشاء الأخير» الذي سيزيل من أجسادنا آخر ذرات المقاومة ليجهز في النهاية على أنفاسنا؟

إن هذه الأمة بشهادة خبراء العولمة أنفسهم كانت حتى هذه اللحظة ولا تزال أصعب الأمم على القولبة وأشدها مراساً في مواجهة النموذج الاستعماري المتغطرس.

والعولمة لا تعني انتقال البضائع والخدمات والنقد والتقنية والمعلومة والشركة والسلوك والثقافة منفردة الواحدة تلو الأخرى .. كلا إنها تعني أن يقدم هذه الطُّعم ضمن سياق فكري لا نحتاج إلى ذكاء شديد أو حتى بلاهة أشد لنعرف حقيقة أنه الثقافة الغربية: النصرانية / المادية في نموذجها الأشد فجاجة وغطرسة وتعاليًا! وإذا كان من حق فرنسا أن تقاتل وتحارب وترفع صوتها وتتصدى بالقوانين والممارسة لهذا النموذج ... فلا أظن أن اللاعقين لجراح (داحس والغبراء) المعاصرة إلا أن يفتحوا عيونهم قليلاً وعقولهم كثيراً لهذه الهجمة المتواصلة منذ انحسار الإسلام كقوة عالمية ودولية مؤثرة!



هذه غابة العولمة..
وتلك وحوشها!

إن الأسئلة تزداد توغلاً في صدورنا ونحن نرى اليوم ثمار العولمة تنبت في أراضينا شجراً من علقم..

المسلمون في جنوب شرق آسيا كانوا قبل أشهر ضحية للعولمة مضافًا إليها

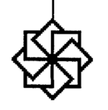
مخزون كراهية متفجر .. فالخبراء الأوروبيون يرون أن تحطم الأسواق الآسيوية، كانت عملية مدبرة بين البنك الدولي والبنوك الغربية الكبرى ـ وامتدادها الياباني ـ حيث أغرقت هذه الأسواق بالقروض الربوية القصيرة الأمد والتي كانت تقدم بشكل مثير وبأرباح هائلة تدفع لأصحاب الثروات البنكية، ثم اتضح بعد الأزمة أن البنك الدولي تَقَدَّم لمساعدة هذه الدول شريطة تسديد أرباح البنوك الغربية الفلكية وإغلاق البنوك الوطنية ـ الربوية هي أيضًا ـ لينفرد النموذج الوحيد ـ نفسه ـ للعولمة بالساحة؛ وتنتهي مقولة النموذج الآسيوي أو النمور الصاعدة التي تُروَّض بأمثال اليهودي البشع (سورش) .

هذه العولمة يقودها ـ كما يطمئننا الخبراء المروِّجون للعولمة ـ الأفراد لا الحكومات، وإذا كان سورش بإجماع الخبراء هو « نجم العولمة القادم » فلنقرأ شيئًا من سيرته .

قام سورش بدعم المافيا اليهودية الحاكمة في روسيا؛ وهذه المافيا تشمل إمبراطوريات المال والإعلام، ويستثمر ما يزيد على ٣٠ بليون دولارًا متحالفًا مع عصابات المافيا والإجرام التي يحركها اليهود هناك.

قام بالمضاربة في بورصات جنوب شرق آسيا لأشهر قبل الأزمة؛ ويتفاخر بأنه حطم أسعار البورصات إلى النصف، وكانت ماليزيا وأندونيسيا أكثر الدول تضررًا حيث ما زالتا تعانيان الأمرَّيْن.

يدعم حاليًا صناعة الألماس « الإسرائيلية » بـ ٢٠ بليون دولارًا حتى لا ينهار سعر الألماس المصنَّع الذي يشكل مصدرًا هامًا للدخل للدولة الصهيونية.



ساد الهلع سوق المال المصرية بعد إعلانه استثمار بلايين الدولارات في السوق المصري الذي أكد خبراء المال أن دخوله إليه سيحطمه وبسرعة!

افتتاحية العدد

إذن هذه هي بعض « لقيمات » العولمة الاقتصادية التي هبت لمساعدة كوريا وتايلاند بينما تركت أندونيسيا وماليزيا تلعق جراحها رغم أن كوريا ليست في أمريكا الشمالية وتايلاند لا تمت إلى القارة الأوروبية بصلة!!

أما العولمة العسكرية فنحن في هذا الجزء من العالم نشهدها ونلمسها

حين تصر واشنطن على الخيار العسكري المدمر في الخليج بينما كل دول العالم ترى أن خيارات المفاوضات العالمية بعد ذلك لإرضاء «غطرسة العولمة» التي لا تنظر للعالم سوى بمنظار السادة والعبيد.

أما العولمة الثقافية فهي برأي الخبراء والمفكرين تروِّج لثقافة (الهمبرجر) (والكوكاكولا) والغناء على الطريقة نفسها، وهي طلائع العولمة التي لا تبشر إلا بمزيد من الشقاء والتعاسة للبشرية.

فكم من (سورش) على الطريق يعمل لوأد كل اتجاه صاعد في عالمنا الإسلامي؟! وهل يا ترى ننتبه لما يراد لنا أم على قلوب أقفالها؟!

وأخيراً: فالعولمة تحدٍّ كبير يحتاج من الأمة أن تستدعي مثقفيها وعلماءها ومفكريها إلى رصدها والتصدي لها من منظور إسلامي، وهي قضية شائكة تتطلب التفهم الإيجابي لبعض مكوناتها كالاستفادة من التقنية أو الجوانب الاقتصادية التي لا تتعارض مع مصالح الأمة المسلمة..

وهذه الدعوة تحتاج إلى عقول ورجال وإمكانات بحجم التحدي الهائل وبحجم الإحجام والإهمال الذي نشعر به من مثقفي المسلمين الأصلاء، والذين نخجل من نتاجهم في هذا الجانب مقارنة باهتمام ومتابعة ومقاومة الاتجاهات الفكرية الأخرى داخل وخارج عالمنا الإسلامي.

بقيت حقيقةٌ هي منطلق هذه المحاولات والدعوات، كما أنها هي الضوء في نهاية نفق التحدي المليء بالوطاويط.



أبداً لن تَهزِمَ ثقافةُ (ميكي ماوس) الإيمانَ الحقيقي الفعال.. إيمانَ الغلام حين يُستدعى للموت فيطلب الشهادة شريطة أن يُنادى بسمع الكون وبصوت عال... باسم الله رب الغلام.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

هذه غابة العولمة.. وتلك وحوشها!

صلة علم التفسير بالعلوم الأخرى

(١ من ٢)

بقلم : ميمون بن عبد السلام باريش

يُعَدُّ علم تصنيف العلوم من بين العلوم المنهجية التي اعتنى بها العلماء المسلمون عناية فائقة تجسدت أساساً في كتب ورسائل امتازت بالدقة في التصنيف والبراعة في الترتيب سواء ما كان منها مقلداً للترتيب الأرسطي للعلوم، أو ما كان منها خاضعاً للمنهج الإسلامي الأصيل في تصنيف المعارف[1]. ويرجع السبب الرئيس في هذا الاهتمام إلى ما شهدته الساحة الإسلامية من تشعب العلوم وتنوع الفنون المعرفية. ولعل هذا ما عبّر عنه العلاَّمة طاش كبرى زاده [٩٦٨هـ] حيث قال: «إن الفنون كثيرة، وتحصيل كلها بل جلها لعلها عسيرة، مع أن مدة العمر قصيرة، وتحصيل آلات التحصيل عسيرة، فكيف الطريق إلى الخلاص من هذا المضيق؟ فتأمل فيما قدمت إليك من العلوم اسماً ورسماً وموضوعاً ونفعاً، وفيما

(١) مما ألفه مفكرو الإسلام في ترتيب العلوم بطريقة تقليدية أو تأصيلية ما يأتي: «إحصاء العلوم» للفارابي (٣٣٩هـ)، «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (٣٨٧هـ)، «الفهرست» لابن النديم (٤٣٨هـ)، «رسالة مراتب العلوم» لابن حزم (٤٢٦هـ)، «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٤٦٣هـ)، «طبقات العلوم» للأبيوري (٢٠٧هـ)، «مقدمة ابن خلدون» (٨٠٨هـ)، «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم» لطاش كبرى زاده (٩٦٨هـ)، «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (١٠٧٦هـ)، «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (١١٢٨هـ)، «أبجد العلوم» للقنوجي (١٣٠٧هـ)... وانظر مظاهر التقليد والتجديد في علم تصنيف العلوم عند مفكري الإسلام في كتاب: «مباحث في منهجية الفكر الإسلامي» للدكتور عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت ١٩٩٢م، ص ٣٣ وما بعدها.

اخترعت من التفصيل في طريق التحصيل»[١].

أما الغاية من وراء هذا الاهتمام، فهي غاية تربوية تعليمية تستهدف أساسًا توجيه العقل المسلم إلى الميادين المعرفية المتنوعة لاستيعابها وتمثلها أولاً بأول، لاسيما أن العلوم بأسرها تمثل كلاً متكاملاً ووحدة متناسقة تمتزج فيها علوم المقاصد وعلوم الوسائل على حد سواء. وفي هذا الصدد يقول الغزالي (٥٠٥هـ): «على المتعلم ألا يخوض في فنون العلم دفعة، بل يراعي الترتيب، فيبدأ بالأهم فالأهم، ولا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله؛ فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا وبعضها طريق إلى بعض [... وعليه] ألاَّ يدع فنًا من فنون العلم ونوعًا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرًا يطّلع به على غايته ومقصده وطريقه، ثم إن ساعده العمر وواتته الأسباب طلب التبحر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض»[٢].

بل أبعد من ذلك أن العلوم الإنسانية يطبعها طابع التكامل والتداخل، وفي العلوم الإسلامية يمكن التمييز بين تداخلين اثنين: أحدهما التداخل الداخلي وهو الذي يحصل بين العلوم التراثية الأصيلة فيما بينها؛ والثاني: التداخل الخارجي وهو الذي يتم بين العلوم الإسلامية والعلوم الدخيلة: يونانية كانت أو فارسية أو هندية[٣].

وإذا كان هذا التدخل قد تجسد بنوعيه في علم أصول الفقه باعتباره منهج بحث ومعرفة لاستنباط الأحكام الشرعية والاستدلال عليها انطلاقًا من النقل

---

(١) مفتاح السعادة، ١/٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٩٠م، ط١، وفي تعريف هذا العلم يقول: «علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم»، ١/٣٢٤.

(٢) ميزان العمل، منشور ضمن مجموع «النصوص المختارة في الفكر الأخلاقي العربي» لماجد فخري، ١/٢٠٩، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٩م.

(٣) د. طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص ٤٥، ٤٦، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م.

دراسات شرعية

واعتماداً على العقل[1]؛ فإن الضرب الأول منه ـ أقصد التداخل الداخلي ـ قد تجسد في علم التفسير باعتباره نسيجًا متكاملاً ومتناسقًا من العلوم الإنسانية المتنوعة سواء أكانت من علوم الوسائل أم من علوم المقاصد. ولتفسير هذه الظاهرة لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أمرين هامين:

ـ **أولهما**: ما كان عليه علماء التفسير من اتساع العقل وكمال العلم البشري؛ ذلك أن أغلب المفسرين كانوا من الموسوعيين الذين رسخت أقدامهم في العلوم العقلية والنقلية على حد سواء، ويكفينا مثالاً على ذلك العالم العلاَّمة والبحر الفهَّامة، صاحب التصانيف المشهورة، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) الذي تمكن من ناحية مختلف العلوم التي كانت سائدة في زمانه، فكتب في كل منها بقلم العالم المتخصص.

ـ **وثانيهما**: أن علم التفسير علم لصيق بالظاهرة القرآنية، وهي في حد ذاتها لصيقة بالظاهرة الإنسانية والاجتماعية؛ إذ القرآن الكريم في مجمله إما حديث عن الإنسان، أو حديث إلى الإنسان. ولقد أصاب ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حيث قال: «من أراد علم الأولين والآخرين، فليثوِّر القرآن»[2].

ولا بد من الإشارة إلى أن نظرة أولية في تعريفات العلماء الأجلاء لعلم التفسير من شأنها أن تكشف عن مظاهر التداخل بين هذا العلم وغيره من العلوم، ومنها مثلاً تعريف أبي حيان التوحيدي القائل: «التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك»[3]. وقد نص هذا التعريف على أن تفسير كتاب الله ـ عز وجل ـ لا يتأتى إلا لمن جمع زاداً علميًا يؤهله لذلك،

---

(١) د. ميمون باريش: مظاهر التداخل والتفاعل بين علم المنطق وعلم أصول الفقه، مقال منشور بملحق الفكر الإسلامي بجريدة «العلم» [الحلقة الأولى عدد ٣ يناير ١٩٩٧م، الحلقة الثانية عدد٧ فبراير ١٩٩٧م].

(٢) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ٤ /١٩٧، تحقيق أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م. فليثوِّر القرآن: أي فليبحث عن معانيه وعن علمه.

(٣) البحر المحيط، ١ /١٣، مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ.

ويدخل في ذلك علم القراءات، واللغة، وعلم التصريف وعلوم البلاغة والدلالات، وعلوم أخرى متممة للفهم السديد كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والقصص، والتاريخ، وغيرها من العلوم المساعدة على توضيح ما أشكل من الذكر الحكيم. وهذا نفسه ما عبّر عنه الإمام الزركشي (٧٩٤هـ) حيث قال: «التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»[١].

وعلى هذا النحو جاءت باقي تعريفات علم التفسير، وفي كل منها تنصيص على بعض العلوم التي يحتاج إليها علم التفسير مما كان سائداً في زمن قائليها. ولقد نص جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) على أن تبيين ما أبهم من الآي لا يتأتى إلا لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وذكر من ذلك خمسة عشر علماً بما في ذلك علم الموهبة، وكل ما ذكر هي مما يتوقف عليه فهم المعنى القرآني وبيان المراد الإلهي[٢]. وإذا كان علماء السلف قد اقتصروا على ذكر العلوم التي كانت سائدة في عصر كل منهم، فإن التطور الزمني بما فيه من إبداع حضاري سيكشف عن علوم أخرى هي بمثابة وسائل تعين على الفهم الدقيق لمراد الله ـ عز وجل ـ من خطابه وخاصة إذا سلمنا أن الشمولية والجمع بين الثبات والتطور والصلاحية لكل زمان ومكان... خصائص لازمة للقرآن الكريم، إذاً «فمن المحال على البشرية أن تفهم كمالات القرآن الكريم في نواحي الوجود كلها في عصر واحد؛ إذ باستطاعة كل عصر أن يضيف إلى تفسير الآيات المتعلقة بتلك الموضوعات مما يستجد أمامه من العلوم والمعارف نتيجة لتطور الحضارة ونمو الثقافة»[٣] لا سيما إذا تعلق الأمر بالآيات الكونية، والظواهر الاجتماعية، وأسرار

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٥٢، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٥٦م.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٤/ ١٨٥.

(٣) د. محسن عبد الحميد: دراسات في أصول تفسير القرآن، ص ٩، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

النفس البشرية . . .

وبناءً على المعطيات السالفة ننتهي إلى القول : إن علم التفسير قد استمد ، ولا يزال يستمد مادته ـ بالإضافة إلى القرآن الكريم ـ من علوم مختلفة . وهي الآتي :

ـ **علم اللغة** : الأمر الذي وقع عليه إجماع السلف والخلف على السواء أن العلم باللغة العربية شرط آكد لتفسير كتاب الله ـ عز وجل ـ فقد روي عن مجاهد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب »(١) وروي عن الإمام مالك أيضًا ، أنه توعد من رام تفسير القرآن الكريم وهو يجهل اللغة حيث قال : « لا أُوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً »(٢) .

وإنما حصل هذا الإجماع ؛ لأن القرآن الكريم قد نزل باللغة العربية وعلى مقتضى ألسنة العرب . قال ـ تعالى ـ : ﴿ **الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [يوسف : ١ ، ٢] ؛ إذ لا يمكن فهم المراد القرآني إلا بامتلاك ناصية العربية التي بموجبها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ؛ ولذا كان لزامًا « على متدبر كتاب الله بتعمق أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثًا علميًا لغويًا بالرجوع إلى أمهات المعاجم اللغوية ، وبالتبصر في مختلف معاني الكلمة واستعمالاتها الحقيقية والمجازية في لغة العرب إبَّان نزول القرآن »(٣) . وهذا لا يتأتى إلا لمن كان ملمًا بمعاني اللغة ، وعالمًا بكيفية وقوع الأسماء على المسميات ، بصيرًا بعلاقة الدوالِّ والمدلولات ، خبيرًا بطبيعة المفردات ومدلولاتها واستعمالاتها المختلفة حسب ما يقتضيه السياق . . . ولا يكفي من ذلك كله الشيء اليسير ، بل لا بد من عُدة لغوية كافية ؛ وذلك لأن الألفاظ تتسم بصبغة تجوالية وتتلون تبعًا للتلونات المعرفية ، وأن المشتركة منها تحمل أكثر من معنى ؛ وأن المقام مقام استنباط الأحكام العقدية والتشريعية ، وبيان

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، ٤ / ١٨٥ .

(٢) المصدر السابق ، ٤ / ١٨٢ .

(٣) الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ـ عز وجل ـ ، ص ٣١٧ ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

لمراد الله ـ عز وجل ـ من خطابه العظيم. وفي هذا يقول الشيخ أحمد بن السمين الحلبي (٧٥٦هـ): «أما بعد: فإن علوم القرآن جمة، ومعرفتها مؤكدة مهمة، ومن جملتها المحتاج إليها والمعوَّل في فهمه عليها مدلولات ألفاظه الشريفة ومعرفة معانيه اللطيفة؛ إذ بذلك يترقى إلى معرفة أحكامه وبيان حلاله وحرامه ومناصي أقواله وإشارة مواعظه وأمثاله؛ فإنه نزل بأشرف لغة: لغة العربية المحتوية على كل فن من العجب»[(١)].

وإذا كان العلم باللغة من آكد شروط المفسر، فمن تحصيل الحاصل أن يُرى أثر هذا الشرط في كتب التفسير.

ـ **علم النحو**: وهو من علوم الوسائل التي يحتاج إليها المفسر لتدبر كتاب الله ـ عز وجل ـ، ذلك أن المعنى يتغير ويختلف باختلاف العوامل الإعرابية، فلا بد إذاً من اعتباره، وإلا فكيف يتسنى للجاهل بالنحو وعامله أن يستنبط معنى لائقاً بقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]. بحيث إن في تقديم المفعول في هذه الآية دلالة على معنى يختلف عن المعنى الذي تفيده الآية لو أخر فيها. يقول الزمخشري (٥٢٨هـ): «فإن قلتَ: هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر؟ قلتُ: لا بد من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى: إن الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم. وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله. كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ**﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وهما معنيان مختلفان»[(٢)].

من هنا، فإن مادة النحو لا بد منها لتلاوة كتاب الله ـ عز وجل ـ تلاة تدبُّر وتأمُّل، وقد أوجب الإمام الزركشي العلم بالقواعد الإعرابية على كل متعامل مع

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ١/٣٧، تحقيق وتعليق الدكتور محمد التنوجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٣/٦١١، ترتيب وضبط وتصحيح خادم السنة مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي.

دراسات شرعية

الذكر الحكيم حيث قال: «وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلُّمه ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم، ويسلم القارئ من اللحن»[١].

ـ علم الصرف: وهو كذلك من علوم الوسائل التي لا غنى عنه لمتدبر خطاب الله ـ عز وجل ـ؛ لأن الأبنية والصيغ به تعرف... وفي حقه يقول ابن فارس: «من فاته علمه فاته المعظم»[٢]. ألا ترى أن لفظة «وجد» لفظة مبهمة، فإذا صُرِّفت اتضحت بمصادرها:

ـ فوَجَدَه يَجدُه وُجُودًا، إذا عثر عليه.

ـ ووَجَدَ يَجدُ وُجْدًا ووِجْدًا ووِجْدَانًا وجِدَةً، إذا صار غنيًا ذا مال.

ـ ووَجَدَ يَجُدُ وَجْدًا وجِدَة وموجدة إذا انفعل وغضب.

ـ ووَجَدَ يَجِدُ بفلانة وَجْدًا شديدًا إذا كان يهواها ويحبها حبًا شديدًا.

ـ ووَجَدَ يَجِدُ لفلان وَجْدًا إذا حَزِن[٣].

ولا شك أن الجهل بالتصريف أو تجاهله هو الذي أوقع بعض المفسرين في أخطاء شنيعة لا مكان لها في ميزان العقل، من ذلك مثلاً من فسر قوله ـ تعالى ـ: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**...﴾ [الإسراء: ٧١]. أن الإمام في هذه الآية جمع «أم»، وأن الناس يُدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى ـ عليه السلام ـ، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا. وهذا من أبدع التفاسير؛ لأنه روعي فيه بهاء الحكمة وغيبت فيه صحة اللفظ؛ إذ لفظة «أم» لا تجمع على «الإمام» ولو روعيت صحة اللفظ لكان المعنى: يوم ندعو كل أناس بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين...[٤].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ٢/١٦٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٤/١٨٦.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ٢/٦٨٢.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، مادة و.ج.د، ٣/٤٤٥، ٤٤٦، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٤م.

ـ علم الاشتقاق: ومعرفته ضرورية لكل من رام تفسير كلام الله ـ عز وجل ـ؛ إذ إن في القرآن الكريم ألفاظاً كثيرة لا يستقيم معناها بحسب الوضع إلا بعد معرفة اشتقاقها اللفظي، والاسم إذا كان مشتقاً من مادتين مختلفتين اختلف المعنى تبعاً لاختلافهما. فتأمل اختلاف المفسرين في الكشف عن سر وصف «عيسى ابن مريم» ـ عليه السلام ـ بالمسيح. فقال بعض السلف: وصف كذلك لكثرة سياحته، وقيل لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما، وقال آخرون: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ بإذن الله ـ تعالى ـ[1]، وأصل هذا الاختلاف اختلافهم في أصل الصفة: هل هي مشتقة من المسح، أم من السياحة؟

ـ علوم البلاغة: وهي علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، «وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم»[2].

فأما المعاني فيعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى؛ وأما علم البيان فيعرف به خواص تراكيب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها؛ وأما علم البديع فيعرف به وجوه تحسين الكلام. ولا بد للمفسر أن يكون ملماً بدقائق هذه العلوم الثلاثة بالتعرف عليها ورياضة النفس لامتلاكها وتدريبها على ذلك حتى يتسنى له الحفاظ على إعجاز القرآن الكريم وما وقع به التحدي من النظم القرآني.

وللحديث بقية في العدد القادم ـ إن شاء الله ـ

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٦٢، مكتبة النور العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ٤/ ١٨٦.

دراسات تربوية

المعلم المسلم والهدف البعيد

بقلم : إبراهيم داود

«إني أعالج أمرًا لا يُعين عليه إلا الله، قَدْ فَنِيَ عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجميّ، وهاجر عليه الأعرابيّ، حتى حسبوه دينًا لا يرون الحقّ غيره»[1].

لا زالت هذه العبارة البليغة التي قالها الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ترسم لنا صورة المعلم المسلم في هذه الأيام، وإن لم يعد ـ هذا المعلم ـ «يعالج» الأمر الذي يهمّه كما كان خامس الراشدين ـ رحمه الله ورضي عنه ـ يفعل.

لا شك أن الذين ما زالوا يعالجون أمر التربية والتعليم من المعلمين المسلمين يعانون مثلما عانى عمر، ولكنهم أفذاذ قليلون لا يُقاسون بالكثرة الكاثرة التي تعكس صورة الحيرة والتردد حينًا وصورة الغفلة والضياع أحيانًا. وممّا لا سبيل إلى إنكاره أنّ المسلم في هذه الأيام ـ معلمًا وغير معلم ـ مُوَزَّعٌ بين إسلامٍ يأمره بالمعروف، وواقع يغريه بالمنكر أو يُكرهه عليه إكراهًا، وأنّ هذه الحال تعرقل عمل المعلم وتزيد معاناته أضعافًا مضاعفة!

فبحسب المعلم المسلم المعاصر أن المَثَل التربويّ الأعلى الذي يُراد له أن يصبّ تلاميذه في قالبه هو التربية الغربية الغريبة التي يتولى كبرها ويضع مناهجها وبرامجها رجال لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر[2]، وبحسب المعلم أنّ له شركاء في التربية يحادّونه

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز؛ لابن عبد الحكم/ ٣٧.

(٢) من الإنصاف أن نشير إلى أن التعليم في المملكة العربية السعودية يمتاز عن التعليم في سائر أنحاء العالم الإسلامي بصبغته الإسلامية الظاهرة؛ فما ذكرناه حكم عام.

ويعـادونه: يُفسـدون إذا أصلح، ويهدمون إذا بنى، ويُدمّرون إذا عمّر، وأنهم ـ وهذا أدهى وأمرّ ـ يملكون من أسباب النجاح في الإفساد والهدم والتدمير، ما لا يملك ـ هو ـ مثله ولا دونه في الإصلاح والبناء والتعمير، وأنّ الهدم أهون من البناء كما أن القائمين عليه أمضى سلاحًا وأكثر عددًا:

فلو أَلْفُ بانٍ خلفهم هادم كَفَى
فكيف ببانٍ خلفه أَلْفُ هادم؟!

وبحسب المعلم ـ كذلك ـ أنّ نجاح عمله موقوف على كفاءة النظام التربوي السائد، وعلى اضطلاع الأسرة بواجباتها، وعلى قيام وسائل الإعلام بمسؤولياتها، بل وعلى كون المجتمع بكافة قطاعاته ومؤسساته ساعيًا بصدق وقوة إلى تحقيق الغاية الكبرى من الحياة الدنيا، وهي عبادة الله ـ تعالى ـ وتعبيد الأجيال له ـ سبحانه ـ ... فإنْ صَحَّ ذلك ـ وإنّه لصحيح ـ فهل تبقى على المعلم حجة إن غفل أو فشل أو نكص على عقبيه؟! نعم؛ لأن تفريط أحد لا يكون حجة لأحد، ولأنّ أسباب الفشل وإن تعددت وتجمعت لا تُبطل حقًا ولا تُحقّ باطلاً؛ ولأن المسلمين لا يكونون إمّعات، ولا يقول قائلهم:

وهل أنا إلا من غَزِيَّة إنْ غوتْ
غويتُ وإنْ ترشدْ غزيّة أرشد

إنّ إحجام مَنْ يُحجم عن أداء واجبه لا يسقط وجوب الواجب، ونكوص من ينكص من أهل المسؤولية لا يُحلّ لغيره النكوص، ولا يُبطل ذلك ولا يقدح فيه ما يكون بين درجات المسؤولية ومستوياتها من التكامل والتكافل وصِلات التأثّر والتأثير، بل الحق الذي لا ريب فيه أنّ فشل الأفشال ونكول الناكلين ما هو في أعراف المجاهدين الصابرين إلا دوافع إلى مزيد من الصبر والثبات:

ومَن تكن العلياء همّة نفسه
فكلّ الذي يلقاه فيها مُحبَّبُ

والنفوس الكبيرة تثق بفضل ربها وقدرته ورحمته، أكثر مما تثق بالقوى الخاصة والظروف المحيطة، وطاعة الله ـ تعالى ـ حقّ على الفرد والمجتمع وإن كثرت الأعباء وثقلت التكاليف، وبلوغُ الهدف ـ كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز ـ رحمه الله تعالى ـ يتطلب تأسيس العمل على نيّة

دراسات تربوية

تستهدف أعلى درجات الكمال المستطاع، وإلا كان التوقف والتهافت والنكوص؛ ولذا يأمرنا القرآن الكريم بأن نجاهد في الله حقَّ الجهاد، وأن ننشد الأفضل، ونُسابق على المراتب الأولى، ويأمرنا رسول الله ﷺ أن نقنع ونرضى بما قسم الله لنا من نعيم الدنيا، وأن نسمو إلى مَنْ هم أَسْمى منا في مضمار التقوى والعمل الصالح. يقول ﷺ : «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله لا شاكراً ولاصابراً: مَنْ نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضّله به عليه، كتبه الله شاكراً صابراً. ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منها لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً»[1].

ومن الثابت قطعًا أنّ الله ـ تعالى ـ لم يكلّف نفسًا إلا وسعها، ولم يأمرها إلا بما تستطيع؛ ولكن الوُسْعَ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والاستطاعة في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦] لا يدل أيٌّ منهما على تكليف الفرد أو الجماعة ببذل أدنى الجهد؛ بل كلاهما دليل على التكليف ببذل أعظم الجهد، وهذا ظاهر في كلمة ﴿ **وُسْعَهَا** ﴾. قال الرازي: [والوُسْع والسَّعة بالفتح الجدة والطاقة، وأَوْسَع الرجل صار ذا سَعَة وغنى ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [الذاريات: ٤٧] أي أغنياء قادرون، والتوسيع خلاف التضييق..][2]، وقال صاحب الظلال في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠] فهي حدود الطاقة إلى أقصاها بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها»[3]؛ ولذا كان المسلم بعشرة

(١) الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ٥٨. وانظر: دستور الأخلاق في القرآن، للدكتور محمد عبد الله دراز، ص ٦٦٦، وما بعدها، والحديث إسناده ضعيف، ضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١٩٢٤) والأرناؤوط فيشرح السنة رقم (٤١٠٢). ـ البيان ـ

(٢) مختار الصحاح، مادة: وسع.

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ، ج٣، ط٩، دار الشروق، ص ١٥٤٤.

من الكفار في حال قوته، وباثنين منهم في حال ضعفه كما نص على ذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

ولو جاز لامرئ أن يُقيم حركة حياته على الأخذ بالرُّخَص، للزم أرباب المسؤوليات الكبرى ـ والمعلمُ منهم ـ أن يقيموها على العزائم، والأمة المسلمة هي أمة جهاد واجتهاد على كل حال؛ وهذا المعنى جليٌّ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. فهل صبر المعلم وصابر؟ وهل بذل وسعه، وأدّى ما عليه من حقّ الجهاد والاجتهاد؟ ما بال أكثر أبناء المسلمين ـ إذًا ـ يتأسَّوْن بـ (نجوم الفنّ) و (أبطال الكرة)، ويلتمسون المجد في ملاعب الرياضة ودور الأزياء ومعاهد التمثيل؟! بل ما بال الأمة عامة تستبدل بالأعمال الجليلة ألفاظًا طنانة، وبالمبادئ العظيمة شعارات تافهة، وبالجهاد في سبيل الله أشكالاً عقيمة من الشجب والنَّدب والتنديد والاحتجاج؟!

لقد سقط المعلم ـ إلا من رحم الله ـ في مستنقع الواقع، وأصبح قانعًا بشرح ما بين يديه من معلومات ـ أيًّا ما كانت ـ مكتفيًا بحشو رؤوس تلاميذه بها دون أدنى اهتمام ببناء الشخصية المسلمة، القادرة على التأثير والتغيير، وهكذا اتُّخذت المظاهر الجوفاء أربابًا تُعبد من دون الله، وتَحَوَّل أكثر طلبة العلم إلى «مرتزقة»، لا يرون فيه إلا سببًا لكسب الرزق، أو سبيلاً إلى تحقيق الوجاهة الاجتماعية، ونسي الطالب والمعلم كلاهما أنّ العلم لا يُطلب في شرعة الإسلام إلا للعمل، وأنّ كلاً ـ من العلم والعمل ـ عبادة يبتغى بها وجه الله والدار الآخرة، وأنّ الأجيال التي تتخرج في المدارس والجامعات وهي لا تعرف معروفًا، ولا تنكر منكرًا ـ إلا ما أُشربتْ من هواها ـ ليست من العلم على شيء.

إنّ الغاية من التربية والتعليم هي

دراسات تربوية

نفسها الغاية من خلق الله ـ تعالى ـ الإنسان في هذه الدنيا: أن تُعمر الأرض وفق مقتضى المنهج الإلهي العظيم، فما ينبغي لمعلم مسلم أن يهون عليه عمله حتى يصبح مجرد دروس تُلقى، ثم يتفرق الطلبة بعدها أشتاتاً، ثم يُسألون عنها فينجحون أو يرسبون، وما ينبغي للغاية العظمى أن تتحول من إعداد أجيال تحمل مسؤولية الدعوة إلى الله على بصيرة، إلى تخريج أجيال تحمل الشهادات، وتميل مع الشهوات، ثم لا يكون أكبر همّها إلا أنْ تتقلّد الوظائف، وتُخلد إلى الأرض، وترضى من الدنيا بمتاعها الرخيص!

كلا، بل التعليم تربية للأقوياء الأمناء، العلماء العاملين، الذين لا يزالون «ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[1]، ولقد وعى أسلافنا الأوائل ذلك حقّ الوعي، وأخلصوا له كل الإخلاص، فوفّقهم الله ـ تعالى ـ لتخريج أجيال عالمة عاملة، تجعل رضوان الله ـ عز وجل ـ غاية غاياتها، وتتخذ من عقيدة الإسلام قوام حياتها، كما تتخذ من الحلال والحرام مقياساً لسلوكها وضابطاً لتصرفاتها.

إنّ الله ـ تعالى ـ لم يخلقنا عبثاً ولن يتركنا سدى، وإنّ ذلّنا المعاصر ليُشير إلى انحراف خطير عن صراط الغاية التي خُلقنا من أجلها، والتي نحن محاسبون على تحقيقها، فكان حقّاً علينا أن نُغيِّر ما بأنفسنا من انحراف ليغيّر الله ـ تعالى ـ ما بنا من ذلّ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، وليت شعري ما فَرْقُ بين مَنْ أسلم لله ـ تعالى ـ ومَنْ لم يسلم إذا استويا في الافتتان بزهرة الحياة الدنيا، ولم يعلما أنّ ما عند الله خير وأبقى؟!

إن الله ـ تعالى ـ لم يأمرنا إلا بالسعي الذي يحقّق شَرْطي الإخلاص والإصابة، فما نحن بمسؤولين عن تحقيق النتائج وقطف الثمرات:

على المرء أن يسعى إلى المجد جهده
وليس عليه أن تتم الرغائب

حسبنا أن نخلص ديننا لله ربنا، وأن نحرص على أن نكون الأمناء

(١) من حديث رواه مسلم، وأوله: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين...».

الأقوياء، فإن وُفّقنا إلى تحقيق طلبتنا وبلوغ غايتنا، فذلك فضل الله علينا، وإلا فقد أبرأنا ذمّتنا واعتذرنا إلى ربنا. قال ـ تعالى ـ في شأن الناهين عن المنكر من بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾. [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

إنّ العمل نفسه مقصود في نظر الإسلام؛ ولذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إنْ قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر»[1]، ولا ريب أن نتيجة العمل مطلوبة بقوة، ولكنها ليست شرطًا في قيام العمل نفسه، وإلا لكفّ الناس عن العمل بمجرد تحقيق النتائج، على أن ذلك لا يعني أبداً عدم الاهتمام بالنتائج، فلا بد من درس النتائج ومراجعتها والوقوف على أسباب تحققها أو تخلّفها، واستخلاص العبَر المستفادة منها، ومن ثم تقويم العمل نفسه على ضوئها، ويبقى المعيار الأمثل لنجاح أي عمل في نظر هذا الدين هو أن يُرضي الله ـ عز وجل ـ، وبهذا المعنى لا يُخفق عَمَلُ عاملٍ مسلم ما دام يجمع بين فضيلتي الإخلاص من جهة والصواب (بموافقة الشرع) من جهة أخرى.

فليكن كل معلم مسلم على بصيرة، وليعلم واقعه وواجبه، ثم ليأت من ذلك الواجب ما استطاع. ومن يدري فلعل الله ـ تعالى ـ يبارك عمل المعلمين العاملين، فيكشف بهم ما نزل بأمتهم من هوان وخذلان، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني، باب الحرث والزراعة.

التخطيط في خدمة الدعوة إلى الله

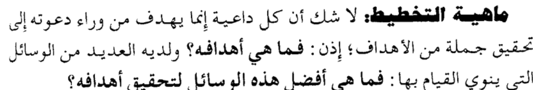
بقلم: خالد الصقير الصقير

لا يخفى على كل داعية نذر نفسه لتحمل هذه الأمانة العظيمة مدى الحاجة إلى دعوة راشدة تنهض بهذه الأمة، وتستند إلى قواعد صلبة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهدي السلف الصالح.

ولا ريب أن من أهم السمات المطلوبة في الداعية إلى الله هي البصيرة بمفهومها الواسع، والتي تشمل غير العلم بموضوع الدعوة معاني أخرى كثيرة من أهمها: وجود الفهم الشامل لدى الداعية بأهداف دعوته ومقاصدها، وإدراكه للوسائل الشرعية التي ينبغي أن يسلكها لتحقيق هذه الأهداف، والتنبؤ بما قد يعترضه من عوائق ومشكلات، وهذا الوعي والإدراك لمثل هذه الأمور هو ما نسميه بلغة الإدارة: (التخطيط).



ماهية التخطيط: لا شك أن كل داعية إنما يهدف من وراء دعوته إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ إذن: **فما هي أهدافه؟** ولديه العديد من الوسائل التي ينوي القيام بها: **فما هي أفضل هذه الوسائل لتحقيق أهدافه؟**



ويطمح لأن تتحقق أهدافه ومقاصده: **فكيف تتحقق هذه الأهداف بالشكل المطلوب؟**

ويرد في ذهنه العديد من العوائق والصعوبات عند رسم برامجه: **فما السبيل لتلافي هذه المعوقات وتوقعها مسبقاً؟**

إن هذه الخواطر والتساؤلات تبرز مسيس الحاجة إلى التخطيط في برامجنا الدعوية؛ لأن ضعف جانب التخطيط أحياناً وانعدامه في أحيان أخرى أسهم في إضاعة الكثير من جهود الدعاة وأضعف ثمار أعمالهم الدعوية وأضحى الكثير من البرامج تنفذ لمجرد التنفيذ فقط أو لتكون أرقاماً تضاف إلى أعداد البرامج المنفذة.

وإذا تأملت في آثارها فلا تكاد تجد لها أثراً في الواقع أو أنها قد حققت

الحد الأدنى من أهدافها، وبتتبع معظم السلبيات في الجهود الدعوية نجد أن الكثير منها يمكن إرجاعه إلى ضعف أو انعدام التخطيط.

وهذا لا يعني إغفال العوامل الأخرى كسلامة المنهج وإخلاص النوايا لدى العاملين، وغيرها، ولكن هذه الجوانب قد تكون معلومة لدى معظم الدعاة وليست بخافية كما هو حال التخطيط الذي لا زال قليلاً أو شبه معدوم في واقع كثير من الدعاة أو الجهات العاملة في حقل الدعوة؛ ولا زالت الارتجالية والعشوائية والفوضى المالية والإدارية أحياناً هي السمة البارزة في كثير من الأعمال الدعوية.

إيجابيات التخطيط: ويمكن أن نبرز أهم ما يمكن أن يسهم به التخطيط للنهوض بالأعمال الدعوية والارتقاء بها حتى تحقق أهدافها بإذن الله ـ تعالى ـ ثم بجهود الدعاة الصادقين المخلصين، وأبرز هذه الإيجابيات هي:

١ ـ أن التخطيط يحدد أهداف الدعاة وغايات البرامج والمشروعات الدعوية، كما يفيد في حسن الأداء أثناء التنفيذ والتقويم الدقيق بعد ذلك، ولا زال هذا الأمر ـ وهو وضوح الهدف ـ غائباً عن كثير من العاملين في الدعوة؛ فهو لا شك يدرك الهدف العام ـ وهو تبليغ دين الله ـ ولكنه قد يجهل الأهداف الخاصة لكل برنامج مما يُوجِد في كثير من الأحيان سلبيات كثيرة على هذه البرامج.

٢ ـ يساعد التخطيط في اختيار طرق الدعوة المناسبة والملائمة لكل داعية بحسب قدراته وإمكاناته والمتوافقة مع طبيعة البرنامج والأهداف المرسومة له؛ وفي تحديد الرأي الأقرب للتقوى لكل برنامج؛ فأحياناً قد يختار الداعية أساليب للدعوة لا تؤدي إلى نجاح البرنامج: إما لعدم مناسبتها لأهداف البرنامج، أو لطبيعة البرنامج وأهدافه، أو لعدم مناسبتها لإمكانات من يتولى تنفيذ البرنامج وقدراته الدعوية، أو أنها غير ملائمة لبيئة الدعوة أو نوع المدعوين وطبيعتهم، وقد (يجتهد) الداعية أحياناً في اختيار وسيلة غير منضبطة بضوابطها الشرعية.

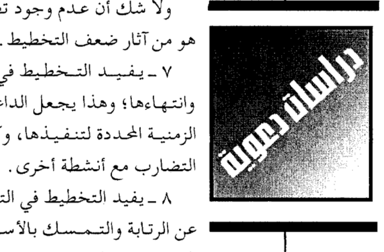
٣ ـ يجعل من السهل التوقع لمعوقات البرنامج الدعوي التي قد يفاجأ بها الداعية أثناء أو قبل تنفيذ البرنامج، ويتم هذا بالاستفادة من المعلومات والبيانات التي يجمعها واضع الخطة الدعوية مما يجعله ـ بإذن الله ـ أكثر أماناً وأقل عرضة للمفاجآت التي قد تُذهب جهوده أو تضعف ثمارها إضافة إلى أنه يعالج الخطأ في الوقت المناسب وقبل أن يتراكم فيمنع الرؤية وتصعب معالجته.

٤ ـ يسهم التخطيط في ترتيب الأوليات لدى العاملين والقائمين على البرنامج الدعوي مما يساعد في اختيار الأهم منها عند حدوث تضارب أو تداخل، أو عند الحاجة لتقديم برنامج على الآخر، أو إلغاء أحدهما، أو غير ذلك.

٥ ـ يُحدث التخطيط كثيراً من الانسجام والتناسق بين أعمال الداعية، مما يمنع الازدواجية والتضارب في أعماله وبرامجه؛ فلا تضيع بفعل ذلك كثير من الجهود والأوقات التي يمكن استغلالها لتنفيذ برامج أخرى.

٦ ـ يعمل التخطيط على توفير كثير من النفقات المالية والجهود البشرية التي توضع في غير موضعها بسبب ضعف التخطيط أو انعدامه مما يساعد على استثمار هذه الجهود والنفقات لإقامة برامج دعوية أخرى.

ولا شك أن عدم وجود تصور واضح للميزانيات المتوقعة لتنفيذ البرنامج هو من آثار ضعف التخطيط.



٧ ـ يفيد التخطيط في تحديد مواعيد زمنية تضبط بدء الأنشطة وانتهاءها؛ وهذا يجعل الداعية قادراً على تقويم أعماله ومدى التزامه بالمدة الزمنية المحددة لتنفيذها، وكذلك في حسن التوقيت لإقامة البرامج ومنع التضارب مع أنشطة أخرى.

٨ ـ يفيد التخطيط في التجديد في الأساليب والوسائل الدعوية وفي البعد عن الرتابة والتمسك بالأساليب التقليدية؛ مع التمسك بثوابت المنهج الصحيح في الدعوة.

٩ ـ يفيد التخطيط في التنسيق بين العاملين أو الجهات الدعوية في الساحة الدعوية بأشكال مختلفة سواء في التنسيق في توزيع المواقع الجغرافية، أو التخصص في البرامج الدعوية، أو غير ذلك. كما يفيد في منع التكرار في البرامج ويحول دون إضاعة الجهود أو إغفال برامج أخرى قد تكون الحاجة إليها أكثر.

١٠ ـ يفيد التخطيط في تقويم الواقع الدعوي في المواقع المختلفة التي تنفذ فيها الخطط الدعوية، وفي تحديد مواطن الضعف في الخطة أو في أسلوب التنفيذ ليتم تلافيها في الخطط القادمة؛ وهذا مما يؤكد أهمية التخطيط في أنه يساعد في عدم تكرار الأخطاء التي ترتكب، وفي عمل مراجعات شاملة في نهاية كل خطة دعوية ليتم تقويم النتائج والنسب المتحققة من أهدافها

وأبرز سلبياتها وإيجابياتها.

١١ ـ يجعل من السهل على الداعية أن يحصر حاجاته من البرامج والأنشطة والخطط اللازمة لتوجيه مسار الدعوة بالشكل الصحيح.

١٢ ـ يسهم في معرفة مواضع الضعف في القوى البشرية ومن ثَمَّ في تحديد البرامج التدريبية اللازمة للارتقاء بالكفايات الدعوية من كافة الجوانب العلمية والإدارية والقيادية.

١٣ ـ يساعد التخطيط القائمين على الأعمال الدعوية في وضع معايير وأسس لمتابعة أداء الدعاة والعاملين في البرامج، ومدى تحقيقهم لأهداف البرنامج.

١٤ ـ يفيد التخطيط في تحديد مهام العاملين في البرنامج الدعوي أو الخطة الدعوية عموماً، وطريقة أدائهم؛ مما يساعد على إدارتهم وتوجيههم بالطريقة المناسبة لتحقيق الأهداف المطلوبة.

١٥ ـ يزيد التخطيط من فاعلية وإنتاجية المديرين للبرامج أو الخطط الدعوية؛ فما دام أن التخطيط يساعد في وضع الأهداف بشكل واضح ومحدد فإنه كذلك يساعد القائمين عليه في اتخاذ القرارات المناسبة التي تحكمها الأهداف الموضوعة للخطة الدعوية.

١٦ ـ يساعد التخطيط في استغلال الفرص الدعوية حيث يفيد في الإعداد المبكر وحسن التوقيت للبرامج وجمع المعلومات الخاصة بالبرامج وخصوصاً مواعيد إقامتها، وتحديد ذلك مسبقاً والإعداد الجيد له.

١٧ ـ يفيد التخطيط في جعل البرامج والخطط أكثر شمولية وتكاملاً؛ ويلاحظ أثر ذلك في جهود بعض الدعاة أو الجهات الدعوية حيث تركز على شرائح معينة من المجتمع أو على موضوعات وجوانب معينة في برامجها، وتهمل غيرها؛ بينما التخطيط يجعل للعمل الدعوي والجهود الدعوية سمة الشمولية في طروحاتها وبرامجها.

١٨ ـ يساعد التخطيط على استمرار الجهود الدعوية ـ بإذن الله ـ فكثيراً ما تتوقف الأنشطة وتتعطل البرامج بسبب حدوث المفاجآت كانقطاع الدعم، أو سوء التنفيذ، أو سوء التوقيت، ولعدم وضع بدائل لهذه الحالات الطارئة.

نحو بناء لمصطلح النخبة

من منظور إسلامي

بقلم: كمال حبيب

سياسة شرعية

يشير مصطلح النخبة في العلوم الاجتماعية إلى الصفوة المتميزة التي تمتلك من القدرات التنظيمية والخصائص النفسية ما يؤهلها لأن تكون فاعلة ومؤثرة في الجماعات التي تنتمي إليها، ولأن كل مجتمع يتكون من جماعات متعددة فإننا سنكون بإزاء صفوة في كل جماعة، وهو ما جعل بعض المهتمين يتحدث عن نُخَبٍ (بالجمع) وليست نخبة واحدة.

وقد ركَّز المنظور النخبوي في صيغته التقليدية على النخبة السياسية ـ أيْ الأقلية المتميزة التي تنخرط في الصراع السياسي والاجتماعي للحصول على القوة التي تُساعدها في التأثير على توجيه القرارات السيادية التي تخصِّص القيم للقوى السياسية المختلفة في المجتمع لصالحها ـ أيْ أن النُخَب الوسيطة في الوظائف والمهن والنقابات قد وصفها منظِّرو النخبة التقليديون بأنها نخب غير سياسية ـ فهي وفقًا لهذا المنظور تحتل مكانًا مرموقًا بَيْن جماعاتها لكنها لا تمارسُ عملاً سياسيًا. ويبدو أن منظِّري النخبة المعاصرين قد شعروا بأن وصف: «النُخب الوسيطة» بأنها غير سياسية يمثل نقطة ضعف في المنظور التقليدي؛ ولذا طوروا مقولاتهم

وتحدثوا عما أطلقوا عليه: «الطبقة السياسية» وهي أوسع من النخبة السياسية؛ إذ إن مفهوم الطبقة لا يُطْلَق فقط على الذين يشتركون بشكل مباشر في صناعة القرار السياسي وإنما يتسع ليشمل قطاعات من النخب الوسيطة التي تنخرط بالضرورة في العملية السياسية للحصول على جزء من القيم السيادية لصالح جماعاتها.

حقيقة المنظور النخبوي:

يركز المنظور النخبوي على فكرة الصراع السياسي بَيْن الجماعات للحصول على القوة السياسية التي تُمكّنُها من التحكم والسيطرة، لكنه ـ وخلافًا للمنظور الماركسي ـ لا يجعل من القوة الاقتصادية العامل الوحيد في حسم الصراعات السياسية؛ وإنما هناك مصادر أخرى للقوة مثل: الخصائص النفسية والسمات الشخصية للنخبة، وكذلك القدرات التنظيمية، ثم الاقتراب من دوائر صناعة القرار السياسي.

ويرى منظرو النخبة أن الدولة كيان ضروري وهام لا يمكن لمجتمع أن يعيش بدونها؛ لذا فإنهم يرون أن المجتمع ينقسم أفقيًا إلى: أقلية حاكمة ـ النخبة ـ وأغلبية محكومة، والأقلية النخبة هي التي تسيطر وتوجه وتتحكم، بينما الأغلبية لا يمكنها إلا الطاعة والخضوع؛ وحتى إذا حاولت الفعل فإنها ستجد نفسها محاطة بقيود السيطرة التي تفرضها عليها النخبة الحاكمة.

كما يتحدث منظرو النخبة عما يطلقون عليه «دوران النخبة» أي ضرورة سعيها إلى التكيف مع المتغيِّرات الجديدة بحيث تتقبل الأفكار والدماء الجديدة من النخب الصاعدة التي تمثل ناتج الصراع السياسي في المجتمع. وكلما كانت النخبة أكثر قابلية للدوران وأكثر استجابة للتفاعل مع مُسْتَجدات الواقع كلما استطاعت أن تبقى مسيطرة وحاكمة بينما عجزها عن ذلك يؤدي إلى انهيارها، وبالطبع إحلال وصعود نخبة جديدة محلها؛ أيْ أن الدولة

سياسة شرعية

هي انعكاسٌ للصراع النخبوي تبين القوى السياسية التي تنخرط في استباقٍ محموم للحصول على أكبر قدر ممكن من النفوذ والقوة السياسية؛ وهذا يعني أن النخبة هي الفاعل الرئيس في توجيه سير التاريخ وأحداثه وليس الاقتصاد كما ذهب ماركس.

والمنظور النخبوي قد ظهر في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر كتعبير عن اجتهاد رأسمالي ليبرالي في مواجهة اكتساح التحليلات الماركسية للقارة. وفي الواقع فإن الفكر الإسلامي لم يعرف مصطلح « النخبة » وفقًا للتحديد السابق؛ ومن ثم فإن المصطلح يحتاج إلى إعادة بناءٍ وتحرير من خلال المنظور العربي ـ الإسلامي.

مصطلح النخبة إسلاميًا:

يذكر لسان العرب أن نُخْبة القوم هُمْ خيارهم وأنهم الجماعة المختارة من الرجال وفي حديث علي: وخرجنا في النُخْبة ـ أي المُنْتَخبُون من الناس، المُنْتقون ـ وفي حديث « سلمة بن الأكوع »: انتُخب من القوم مئةُ رجل ـ أيْ اختارهم، فانتزعهم من بقية الرجال ـ أيْ أن النُخْبة في اللغة تعني الخلاصة المنتقاة والمنتزعة من الناس ـ وهُمْ بذلك أقلية متميزة داخل الجماعات التي يمثلونها ـ وهنا يتطابق المعنى اللغوي لكلمة « النخبة » في اللغة العربية مع أهم ما يشير إليه المصطلح في العلوم الاجتماعية وهو أن النُّخب تمثل صفوات مجتمعاتها.

وفي الإسلام نجد ترتيب أوضاع الناس داخله وفقًا لما نطلق عليه: « التمييز الوظيفي » أيْ: درجة تمثُّل الناس لأوامر وأحكام الإسلام، فالسابق بالخيرات المُحْسن أرفع درجة من المقتصِد المؤمن وهُو أرفع درجة من المسلم الذي قد يظلم نفسه باقتراف بعض المعاصي ـ وهنا فإن معيار الانتخاب يكون مبنيًا على أسس وظيفية مرتبطة بالدين الإسلامي وكيفية تحمله وتمثله. وبالطبع فإن قصدنا من درجة التزام الدين الإسلامي لا يقتصر فقط على

العبادات وإنما يتسع ليشمل كل جوانب الحياة بدءاً بالممارسات الفردية الضيقة، وانتهاءً بالممارسات العليا السياسية والاجتماعية ـ فالفرز الاجتماعي والسياسي للنخبة من المنظور الإسلامي لا يستند إلى امتلاك القوة السياسية بمصادرها المختلفة، وإنما يستند بشكل أساس إلى تحقيق المثالية الإسلامية التي تعني تحويل الدين الإسلامي إلى واقع حَيٍّ متحرك ـ وهنا فإن النخبة الإسلامية في العهد النبوي والراشدي تمثل «نخبة الخبرات الإسلامية» باعتبارها الأكثر تعبيراً عن تمثل رُوح الشريعة، كما أن جيل الصحابة الذين شاركوا في بناء هذه الخبرة يمثلون «النُخْبة المرجعية» لكل الأجيال التالية عليها؛ لأنهم كانوا الجيل الأكثر تمثلاً للإسلام في واقعه وحياته؛ وهُمْ في التحليل النهائي الصفوة التي وضعت أسس التعامل بين الشريعة والواقع عبر الوسائط المنهاجية التي كونت فيما بعد المذاهب الفقهية في صياغتها الكاملة.

وكما يستبعد المعيار الوظيفي الإسلامي أن تكون القوة السياسية هي أساس تصعيد النُخب في البناء السياسي؛ فإنه يستبعد أيْضًا أن يكون التنافس والصراع على امتلاك القوة السياسية هُو القانون الحاكم لسلوك النخبة؛ إذ إن السلطة السياسية في المنظور الإسلامي يتم النظر إليها باعتبارها محنة وابتلاء وليست شيئًا مرغوبًا فيها؛ ولذا لما سأل «الصحابي» أبو ذر النبيَّ ﷺ أن يعطيه ولاية ـ أي سلطة ـ قال ﷺ: «إنك ضعيفٌ، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها». كما جاء في الحديث: «ما من راعٍ ـ أيْ صاحب ولاية ـ يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غَاشٌّ لها إلا حرم الله عليه رائحة الجنة» ويلاحظ أن المنظور الإسلامي يربط غايات العملية السياسية والاجتماعية بما وراء الدنيا ـ أي بالآخرة؛ وهو ما يجعل الصراع والتدافع بين النخب السياسية



والاجتماعية محكومًا بضوابط أخلاقية تخفف من نتائج هذا الصراع وحدَّته، وتجعله في المستوى الذي يحافظ على الفعالية السياسية للمجتمع دون تصعيد مدمر للصراع والتدافع من ناحية، ودون فقدان المجتمع لتوتره الإيجابي المبدع من ناحية أخرى.

إذا كان المنظور النخبوي في التقاليد الغربية يجعل من الأغلبية مجرد كمٍّ يستقبل توجيه الأقلية الفاعلة التي تتحكم وتوجه، فإن المنظور الإسلامي يرفض أن يكون واحد ممن ينتمون إلى الإسلام مجرد قابل سلبي لعمليات قطاع أو قطاعات فاعلة في المجتمع، فالمسلم له موقف إيجابي من الكون والخلق والخالق وهذا هو المقصود بالآية الكريمة: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأيضًا: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]، وفي الحديث: «من رأى منكم مُنْكرًا فليُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعفُ الإيمان» أيْ أن النخبة لا تقف في مواجهة الناس أو العوام أو الجماهير أو الشعب، ولكنها جزءٌ منهم وتعمل لصالحهم بما في ذلك السماح للنخب الجديدة التي تنبت من قلب الواقع الحي للجماهير بأن تصعد وتبزغ دون اعتبار لما يسمى في التقاليد الغربية بـ«القانون الحديدي للأوليجاركية»، بل إن الشعب أو الأغلبية في حال فساد النخبة يفرز ما يسمى بـ«النخبة المضادة» وذلك وفقًا لما يمكن أن نطلق عليه: «قانون تداول النخب»، ففي كل حالة تم فيها فساد النخبة فإن الآلية الداخلية للإسلام المستندة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنتج نخبًا جديدة تنازع النخبة الفاسدة شرعيتها، وفي الغالب استطاعت هزيمتها وتحقيق شرعية جديدة عن طريق نخبة جديدة؛ فالدولة الأموية

نازعتها النخبة العباسية واستطاعت هزيمتها وتأسيس الدولة العباسية، وفي إطار الدولة العباسية ظهرت دول في مناطق الأطراف مثل السلاجقة، كما ظهر الطولونيون والإخشيديون ـ ثم الدولة العثمانية، وكل دولة كما هو واضح تسمت باسم مؤسسيها، وهؤلاء المؤسسون يمثلون النخبة الحاكمة.

مصطلحات إسلامية في الموضوع:

عرف الفقه السياسي الإسلامي مصطلحات قريبة في دلالتها من مصطلح النخبة مثل مصطلح: «أهل الحل والعقد» و«أهل الشورى» و«أهل الاختيار» و«أهل الاجتهاد» وقدم «ابن خلدون» مصطلح العصبية. وفي الواقع المعاصر فإن «النخبة» حين تُطْلق يسبق إلى الذهن مصطلح «المثقفون» وقد حاول بعضهم تقديم بديل معاصر فاقترح ما أسماه: «السُرَاتيَّة» واللفظ مأخوذ من بيت الشعر العربي:

لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سُراةَ لهم
ولا سراة إذا جُهَّالهُم سادوا

ونعرض في حدود ما يسمح به المقام لمعاني هذه المصطلحات:

١ ـ أهل الحل والعقد: هُو مصطلح تاريخي عبَّر به الفقهاء عن طوائف متعددة في المجتمع المسلم يشير إجماعها أو اتفاق جمهورها على أن ما ذهبوا إليه هو محل قبولٍ ورضا لدى الأغلبية المسلمة، كما يشير أيضًا إلى ضرورة الرجوع إلى من يعبر عنهم هذا المصطلح لإدارة شؤون الجماعة بالإمضاء أو المنع.

وقد عبر مصطلح أهل الحل والعقد في الخبرة الإسلامية عن الذين يمثلون قطاعات متنوعة من أصحاب السلطة في المجتمع؛ فالولاة وقواد الجيوش يمثلون السلطة التنفيذية، وقادة القبائل ووجوه الناس يمثلون السلطة المجتمعية، والعلماء والفقهاء يمثلون السلطة القضائية وسلطة الإفتاء ـ فالمصطلح في الواقع هو تعبير عن المصطلح القرآني: «أولو الأمر» بالمعنى الواسع.

٢ ـ أهل الاجتهاد: وهُمْ الفقهاء

الذين يؤهلهم تخصصهم في الشريعة أن يكونوا مراجع فقهية لأهل الحكم في التعرف على الأحكام الشرعية الاجتهادية؛ كما أنهم المراجع الشرعية للجماهير أيضًا، ومنهم يتم اختيار القضاة والمفتين؛ ويدخل ضمن هؤلاء المؤهلون في التخصصات العلمية الأخرى في كافة مناحي الحياة.

٣ ـ **أهل الشورى**: وهم قطاع من أهل الحل والعقد يغلب على عملهم التشاور مع السلطة التنفيذية قبل اتخاذها القرارات السياسية، ويلاحظ أن الفقهاء استخدموا المصطلحات السابقة بشكل غير محدد؛ إذ كان يتم استخدام أحدها للتعبير به عن الآخر؛ وهذا مرده في الواقع لبساطة المؤسسات في بدايتها، وحين بدأ تكاملها وتعاظم تعقيدها انفصلت كل مؤسسة وتحدد بشكل واضح النخبة التي تمثلها .

٤ ـ **العصبية**: استخدم ابن خلدون مفهوم العصبية أداةً تحليلية لفهم الاجتماع العربي ـ الإسلامي؛ إذ إن الانتماء القرابي والعشائري كان سببًا للتعاضد والتلاحم الذي يؤدي إلى القوة والشوكة ومن ثَمَّ التحكم والسيطرة؛ وبهذا المعنى فإن العصبية عند «ابن خلدون» قريبة من مصطلح النخبة؛ حيث العصبية تشير إلى الأقلية الحاكمة المستندة إلى قوة النسب، وتشير النخبة إلى الأقلية الحاكمة المستندة إلى القدرة التنظيمية أو الاقتصادية أو السمات النفسية والشخصية، ولم يكتف «ابن خلدون» بالإشارة إلى رابطة النسب في تحقيق السلطة السياسية بل تحدث عن الدين باعتباره مصدرًا للقوة يزيد من قوة العصبية وقد يستقل لتأسيس اجتماع بشري كما حدث في الدولة النبوية الأولى. وتحدث «ابن خلدون» عن عصبية الدولة التي تستخدم الموالي كقاعدة سياسية لها؛ وقد حدث ذلك في الدولة العباسية حين استقدم المعتصم العباسي الترك، وجعلهم عصبية الدولة. فالعصبية باعتبارها أساسًا للتماسك السياسي

هي وجـهٌ هُو أقـرب التـحليـلات للمنظور النخبوي، أو إن شئنا الدقة فهو المنظور النخبوي في صيغته العربية ـ الإسلامية.

وأخيراً:

حاول بعضهم ـ كما أسلفنا ـ الاجتهاد فقدَّم مصطلح «السُرَاتية» وعرفه بأنهم: «الأفراد الذين بيدهم أمر الحل والربط، ويمكن أن نعينهم بذواتهم دون الدخول في إشكالية الأنظمة».

ونحن من جانبنا نقبل مصطلح «النخبة» لكنه في بنائه الإسلامي يعني: الجماعة المختارة والخلاصة المنتقاة من كافة قطاعات المجتمع التي تدير شؤونه العامة استناداً إلى المرجعية الإسلامية بقصد تحقيق المصالح الكلية الضرورية والحاجية والتحسينية».

إن مصطلح النخبة في مدلوله الغربي شديد الشبه بمصطلح «العصبية» بيد أن تركيز الحضارة الغربية على قيم الصراع المفتوح بلا ضوابط، واعتبار امتلاك القوة والسلطة غاية، وتعظيم الفردية السياسية يجعلنا نحدد بناءه من جديد بحيث نُطَعِّمه بقيم الحضارة الإسلامية التي توازن بين مصلحة الفرد والجماعة، وتضبط أسباب الصراع ودوافعه كما تجعل الحركة السياسية محكومة بإطار المرجعية الإسلامية.

مقال

في فقه السنن والحضارات ..

كيف نتجاوز سلبيات المرحلة ونعاود البناء؟

بقلم : د. سليمان عبد الدايم الخطيب

في إطار جهودنا الفكرية والدعوية المعاصرة، نحن في حاجة إلى استعادة الثقة بقدرة منهجنا الإسلامي على تجاوز مرحلة التردي الحضاري التي يحياها المسلم المعاصر برغم كل ما يحيط بواقع الأمة المسلمة. وهذه القضية تطرح علينا معاودة التذكير بفقه السنن والحضارات في خطابنا الفكري، حتى يتسنى لنا الوقوف على قدر من المعالم والرؤى المنهجية التي تمكننا من تجاوز تحديات المرحلة التي تفرض علينا إعادة صياغة وسائلنا الفكرية ووعينا الحضاري لتحويل (فقه التمكين): ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وكذلك (فقه الاستعمار الأرضي لعمارة الكون والحياة): ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وتحويل هذه السنن القرآنية إلى واقع حضاري فعال.

تخلفنا الحضاري: أسبابه، وعلاجه:

لقد تخلفنا كثيراً عن فقه التمكين لعدم وعينا بأوليات التوجيهات القرآنية التي تمكن المسلم ـ إن هو التزم بها ـ من استعادة كيانه الحضاري، وسط الكيانات المعاصرة، التي تسعى لافتراسه ومحوه من الخارطة الكونية، وبهذه الاستعادة يسدي المسلم المعاصر إلى العالم المعاني والقيم التي عجزت حضارة الصراع والتأزم الغربية عن تقديمها إلى الإنسان المعاصر.

فكيف عالج العقل المسلم قضية السقوط الحضاري؟ وكيف نستطيع من خلال الوعي بحقائقها بث أخلاقيات التفاؤل والتحصن بالرشد المطلوب للخروج من مرحلة التيه التي تكاد تعصف بالمسلم خارج الدائرة الحضارية. فتكاد أن تجمع مذاهب التفسير الوضعي للتاريخ، على القول بحتمية سقوط الدول والحضارات ـ بشكل أو بآخر ـ فـ « ماركس » يخضع حركة التاريخ، بدولها وحضاراتها وتجاربها، لحتمية تبدل وسائل الإنتاج وانعكاسه على الظروف، وأن كل وضع تاريخي مآله الزوال بمجرد هذا التبدل الدائم، أما « شبلنجر » و« توينبي » فيعلنان عن حتمية السقوط كأمر لا مفر منه، وبينما يغرق « شبلنجر » في تشاؤميته نجد « توينبي » يقع في تناقض صريح هو الآخر، عندما يؤكد في الأجزاء الأخيرة من دراسته للتاريخ على أن هنالك أملاً في بقاء الحضارة الغربية المعاصرة أمام الأعاصير[١].

وعلى المستوى الإسلامي، نجد أن الدورة التاريخية عند «ابن خلدون»، دورة محتومة لا مفر منها، والدول جميعًا تخضع لها، فليس هناك دولة تبقى لا يغلبها غالب، فكل دولة لها عمر كعمر الأفراد، تبدأ فيه نشيطة مزدهرة، ثم تهرم وتموت، فحركة الحضارة عنده تتخذ صفة الضرورة، الأمر الذي جعل نظريته تتصف بالحتمية التاريخية؛ فالدولة في دور انحطاطها أو هرمها، هي كالإنسان؛ إذ يكون هَرمه أمرًا طبيعيًا لا يتبدل، وأنه حتى إذا تدارك بعض أهل الدول ذلك التدهور بالإصلاح، فإن الأمر لن يزيد عن ومضة المصباح قبل انطفائه، توهم أنها اشتعال وهي انطفاء، ولكل أجل كتاب[٢].

ويعترض «مالك بن نبي» على حتمية «ابن خلدون» قائلاً: « إن التعارض الداخلي بين أسباب الحياة والموت في أية عملية حيوية (بيولوجية) هو الذي يؤدي بالكائن إلى قمة نموه ثم إلى نهاية تحلله، أما في المجال الاجتماعي، فإن

---

(١) انظر في تفصيل ذلك : التفسير الإسلامي للتاريخ : للدكتور عماد الدين خليل : فيما يتعلق بمسألة سقوط الحضارات، ص ٢٥٠ وما بعدها ، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٨م.

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون : فصل أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع.

مقال

هذه الحتمية محدودة بل مشروطة؛ لأن اتجاه التطور وأجله يخضعان لعوامل نفسية زمنية، يمكن للمجتمع المنظم أن يعمل في نطاقها حين يعدل حياته، ويسعى نحو غاياته في صورة متجانسة منسجمة »[1].

ولأن « مالك بن نبي » لا ينظر إلى ظاهرة (الحضارة) منفصلة عن ظاهرة (الانحطاط)، فقد رأى أن العالم الإسلامي اليوم في حاجة إلى بلورة تحدد له قانون حركته التاريخية، وتهدي سعيه نحو النهضة، ولذلك راح يبحث عن الأسباب البعيدة التي حتمت تقهقره وانحطاطه.

وقد عزا الأسباب الجوهرية لسقوط الحضارة الإسلامية، إلى فقدان القيم الروحية والفضائل الخلقية، باعتبارها قوة جوهرية في تكوين الحضارات، بالإضافة إلى خصوصية الحدث الحضاري الإسلامي الذي شكلته قيم ومعايير نبعت من العقيدة الإسلامية ذاتها، قبل أن تتحول هذه القيم إلى حركة حضارية في عالم الواقع.

وعندما تنقلب أوضاع القيم في عصور الانحطاط، بحيث تبدو صغائر الأمور ذات خطر كبير (إذا ما حدث هذا الانقلاب) انهار البناء الاجتماعي؛ إذ هو لا يقوى على البقاء بمقومات الفن والعلم والعقل فحسب؛ لأن الروح ـ والروح وحدها ـ هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، فحيثما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت؛ لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوي بتأثير جاذبية الأرض »[2].

وما الذي يحدث عندما تضعف العقيدة في نفوس أصحابها: « وهو درس للمسلم في كل زمان ومكان » عندما يبلغ مجتمع هذه المرحلة، أي عندما تكف الرياح التي منحته الدفعة الأولى عن تحريكه (وقد عبر عنها مالك بن نبي بالدفعة القرآنية الحية) تكون نهاية دورة وهجرة حضارة إلى بقعة أخرى،

---

(١) مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص ٢٤، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، ١٩٨١م.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

تبدأ فيها دورة جديدة، طبقًا لترتيب عضوي تاريخي جديد [1].

ولكن ما هي قيمة العقل في غياب الدوافع العقدية والإيمانية؟ «في البقعة المهجورة يفقد العلم كل معناه، فأينما توقف إشعاع الروح يخمد إشعاع العقل؛ إذ يفقد الإنسان تعطشه إلى الفهم وإرادته للعمل عندما يفقد الهمة وقوة الإيمان [2].

إن «مالك بن نبي» هنا لا يفصل النتاج العقلي عن مناخه الثقافي الذي ينمو فيه، والفرق واضح بين ثقافة تتفاعل مع وسط تتحدد ذاتيته الحضارية وفق قيمه الإيمانية والعقدية، وبين ثقافة منفصلة عن أرض الواقع؛ لأنه أصبح واقعًا بدون هوية؛ لأنه فقد مقومات جذوره العقدية والإيمانية: فالعقل يختفي؛ لأن آثاره تتبدد في وسط لا يستطيع أن يفهمها أو يستخدمها، ومن هذا الوجه يبدو أن أفكار «ابن خلدون» قد جاءت إما مبكرة أو متأخرة عن أوانها: فلم تستطع أن تنطبع في العبقرية الإسلامية التي فقدت مرونتها الخاصة، ومقدرتها على التقدم والتجدد، حتى إذا وهنت الدفعة القرآنية توقف العالم الإسلامي كما يتوقف المحرك عندما يستنفد آخر قطرة من الوقود، وما كان لأي معوض زمني أن يقوم خلال التاريخ مقام المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية، ألا وهو (الإيمان) ولذا لم تستطع النهضة الحديثة أن تمنح العالم الإسلامي (حركة) لم يعد هو في ذاته يملك مصدرها [3].

وبفقدان الإيمان ينهار البناء الاجتماعي من الداخل؛ لأنه لا يملك مقومات تماسكه: لقد بلغت عوامل التعارض الداخلية قمتها، وانتهت إلى وعدها المحتوم، وهو تمزق عالم واهن، وظهور مجتمع جديد ذي معالم وخصائص واتجاهات جديدة، فكانت تلك مرحلة الانحطاط [4].

وبما أن الدين هو مركب القيم الاجتماعية، فإنه يقوم بهذا الدور في حالته الناشئة، حالة انتشاره وحركته، عندما يعبر عن فكرة جماعية، أما حين يصبح

(١، ٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣، ٤) المرجع السابق، ص ٢٨.

مقال

الإيمان إيمانًا جذبيًا دون إشعاع (أي نزعة فردية) فإن رسالته التاريخية تنتهي على الأرض؛ إذ يصبح عاجزاً عن دفع الحضارة وتحريكها، إنه يصبح إيمان رهبان يقطعون صلاتهم بالحياة، ويتخلون عن واجباتهم ومسؤولياتهم(١).

إن حركة الإنسان داخل الحضارة يجب أن تتم من خلال محور قيمي تحدده ذاتية عقدية وفكرية، تصبح غاية الإنسان ومنطلقه نحو الفعل الحضاري؛ فالتاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائماً بين جهده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية، والذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة، كممثل وشاهد: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وينتهي التاريخ بالإنسان المتحلل الذي لم يعد يقدم لوجوده أساساً روحيًا أو أساساً ماديًا(٢).

إن تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية، يعد من أوضح صور السقوط الحضاري؛ إذ إن أول عمل يؤديه مجتمع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات، وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن شبكة العلاقات هي الدور التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين(٣).

وعندما تتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية، يذكرنا مالك بن نبي بحديث الرسول ﷺ الذي يجب أن نتدبره ـ للتربية ـ لا لمجرد الخبر: «يوشك أن تداعى الأمم عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أوَ من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله عن صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت»(٤).

(١، ٢) المرجع السابق، ص ٢٨.

(٣) ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، ص ٢٥، دمشق دار الفكر، ط٣، ١٩٧٧م.

(٤) رواه أبو داود في سننه: كتاب الملاحم، ٤/١٥٨، وأحمد في مسنده، جـ ٥، ص٢٧٨.

لقد كان هذا الحديث ضرباً من التنبؤ والاستحضار، استحضار صورة العالم الإسلامي بعد أن تتمزق فيه شبكة علاقاته الاجتماعية، أي عندما لا يعود مجتمعاً، بل مجرد تجمعات لا هدف لها، كغثاء السيل، ولا ريب أن جيلنا الحاضر يدرك هذا الحديث؛ لأنه يصف في مضمونه العالم المستعمر والقابل للاستعمار[١]..

عوامل تجدد الحضارة: ولكن كيف يستعيد الكيان الحضاري ذاته؟ وكيف يتغلب الإنسان على عوامل السقوط ويتجاوزها إلى البناء والإنجاز؟ يقدم لنا مالك بن نبي في هذا الجانب صورة تدعو إلى الأمل والتفاؤل فيقول: إن العواصف الجوية والأعاصير تجر معها غالباً سيولاً هائلة من الماء، سيولاً تترك وراءها في البلد الذي تجتاحه، الخراب والموت، ولكنها تترك أيضاً على وجه الأديم طمْياً تتجدد به الحياة في هذا البلد، فتنشط وتنمو فيه الطبيعة الجديدة بأنواع النبات والحيوان المتجدد، فكذلك شأن الأحداث الكبرى في التاريخ، إنها تجر وراءها الموت والخراب، وتخلف طمياً مخصباً.. طمياً من دماء الشهداء والأبطال، ولكنها تخلف أيضاً طمياً من نوع آخر تخلفه في العقول، حيث تترك بذوراً تنبعث منها الأفكار التي تغير مجرى التاريخ ووجه العالم[٢].

لذلك فإن على الإنسان المسلم أن يطرح بعث الحضارة، بمنطق البقاء حتى يستطيع أن يتقدم إلى الأمام، وحتى يستطيع أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة، ويجب على المسلم الذي يضطلع برسالته أيضاً أن يفكر في إعجازه ـ أي في إسلامه ـ وإعجازه لا يتأتى إلا بتحقيق شرط جوهري، وهو تغيير ما

---

(١) يستخدم مالك بن نبي مصطلح (القابلية للاستعمار) للتعبير عن الاستعداد الداخلي لدى الإنسان لكي يستعمر، ولو أن الإنسان مكتمل التكوين الداخلي لمقاومة الاستعمار بكل أنواعه، لاستطاع التغلب عليه وتجاوزه، وذلك عن طريق العامل العقائدي ودوره في تحريك الفعالية الإنسانية.

(٢) مالك بن نبي: تأملات: ص ٩٥، دمشق، دار الفكر، ط٣، ١٩٧٧م.

مقال

بنفسه وتغيير ما في محيطه مصداقًا للآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ولا يمكن أن يغير شيئًا في الخارج إن لم يغير شيئًا في نفسه، وحينما نقول هذه الكلمة نقولها باعتبارها علماً، ولا نقولها لمجرد التبرك بالآية فحسب، وإنما نقولها علمًا ونعلم مقدارها من الصحة، حيث لا يستطيع المسلم أن يغير ما حوله إن لم يغير أولاً ما بنفسه، فهذه حقيقة علمية، يجب أن نتصورها كقانون إنساني وضعه الله ـ عز وجل ـ في القرآن كسنة من سنن الله التي تسير عليها حياة البشر، وإذن لكي يتحقق التغيير في محيطنا، يجب أن يتحقق أولاً في أنفسنا، وإلا فإن المسلم لن يستطيع إنقاذ نفسه ولا إنقاذ الآخرين(١).

ومن خلال التغيير الداخلي للإنسان تتحدد مسؤوليته تجاه التاريخ والأحداث، وهذه القيمة التغييرية: «بدلاً من أن تلقي على أكتافنا ثقل الأحداث تجعلنا نحدد إزاءها مسؤوليتنا، فبقدر ما ندرك أسبابها ونقيسها بالمقياس الصحيح، نرى فيها منبهات لإرادتنا وموجهات لنشاطنا، وبقدر ما نكتشف من أسرارها، نسيطر عليها بدلاً من أن تسيطر علينا، فنوجهها نحن ولا توجهنا هي؛ لأننا حينئذ نعلم أن الأسباب التاريخية، تصدر عن سلوكنا وتنبع من أنفسنا، من مواقفنا حيال الأشياء، أعني «من إرادتنا في تغيير الأشياء تغييراً يحدد بالضبط وظيفتنا الاجتماعية» كما رسمها القرآن في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠](٢).

وعندما يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فإنها ترد من هذا الإطار القرآني تعقيبًا على تجربة المسلمين التاريخية في أحد: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ

(١) دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، مالك بن نبي، ص٥٧ ـ ٥٨، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٨م.

(٢) تأملات، ص ١٢٦.

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧ - ١٤١].

إن القرآن يطرح في هذا المقطع التاريخي ذي المغزى العميق، والذي ترد فيه كلمات ذات علاقة وثيقة بالمسألة: سنن، مداولة، تمحيص.. قاعدة أساس في موقفه إزاء الدول والتجارب البشرية والحضارات، إنه يقرر منذ البدء عدم ديمومة أي من هذه المعطيات، ولا يستثني الإسلام والمسلمين ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، وقد قال: بين الناس، بمعنى عموم هذه «السنة» التي لا محيص عنها، والتي تقوم بلا ريب على أسبابها ومقدماتها في صميم الفعل الإنساني نفسه؛ حيث توصي هذه المداولة بالحركة الدائمة وبالتجدد وبالأمل البشري الذي يرفض السكون، ويرغب في الانطلاق نحو الفعل الحضاري الإيجابي الذي يمكنه من استعادة ذاتيته الحضارية[1].

ومع أن الإسلام يعترف بسقوط الدول والحضارات، عندما تتكاثف الأمراض الحضارية في شكل ظاهرة يطلق عليها القرآن: «الاستبدال» و«الاستخلاف»، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، إلا أن الإسلام لم يجعل ذلك حتمية لا يمكن أن تفلت منها أية جماعة أو أمة استطاعت أن تستعيد إرادتها وتصحح مسارها الفكري والنفسي، في ضوء الوعي الحضاري بهاتين الآيتين المتقابلتين المتكاملتين إيجابًا وسلبًا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

بل إن القرآن والسنة ليحملان لنا وعدًا صريحًا بأن هذه المحاولات التغييرية

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ، مرجع سابق، ص ٢٥٦، وما بعدها.

مقال

في اتجاه الحق ـ مستمرة إلى يوم القيامة ـ وهذا ما نفهمه من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨، ٩]، وهو أيضاً ما يدل عليه الحديث الشريف: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة » [١].

إن التناول الإسلامي لسقوط الدول والحضارات، يؤكد على أن أية أمة، مؤمنة كانت أم غير مؤمنة، إنما تحمل مسؤوليتها كاملة إزاء نفسها، أمام الله وأمام التاريخ، ولن تحمل تبعة أمة أخرى إلا بالقدر الذي تفرضه عليها مسؤولية الإنسان عن أفعاله فحسب: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] [النجم: ٣٩]، فكذلك الحال على مستوى الأمم والجماعات: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وهذه المسؤولية (المستقلة) إزاء الذات الجماعية تجيء تأكيداً للارتباط العادل الوثيق بين التجربة الحضارية وبين مصيرها الذي تؤول إليه تقدماً وتطوراً أو تأخراً وانحلالاً [٢].

وبهذه المسؤولية ـ الفردية الجماعية ـ تجاه الفعل الحضاري، ينطلق هذا الفعل في مجابهة كافة التحديات على مختلف الأصعدة، حيث أصبح الإنسان ـ فرداً وجماعة ـ السند المحسوس للنشاط الحضاري، يمارس فعاليته المسؤولة دونما سكون أو سلبية، وبذلك تستمر دورة حضارته وتستعيد كيانها ودورها في إعلاء كلمة الحق: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [الفتح: ٢٨].

إن من يؤمن بمرحلية الحدث التاريخي، قد تستعصي عليه فكرة تطويع التاريخ لمبدأ التغيير، وعلينا أن نحاول تخليص مفهوم التغيير الحضاري من

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم/ ١٣، والدارمي: كتاب الفتن/ ١، وابن ماجة: كتاب الفتن/ ٩.
(٢) التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

قيود السببية المقيدة، كما تربطه بها النظرة الشائعة عند المؤرخين، الذين يرون أن الأشياء في التاريخ تسير طبقًا لسببية مرحلية، والأشياء تسير فعلاً كذلك، إن تركت لشأنها ـ ولكن التغيير ـ أي التاريخ ـ يخضع أيضًا لقانون النفوس، وتصفية هذه المناقضة لا يكون إلا بأن تتخذ الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، محوراً لمجابهة السقوط الحضاري، وبذلك تتغير وجهة النظر في سير التاريخ؛ إذ إن المراحل التي تتقبل التغير أو لا تتقبله حسب طبيعتها، تصبح مراحل قابلة كلها للتغيير؛ لأن الحتمية المرتبطة بها أصبحت اختياراً يتقرر في أعماق النفوس(١).

وبذلك تتحدد دورية الحضارة، بأن الإنسان هو محور الفعالية في حركتها؛ بما يملك من قيم عقدية وأخلاقية، تمكنان دومًا من الإنجاز الحضاري وتماسكه.

إن فكرنا الإسلامي المعاصر قد قدم العديد من الاجتهادات حول مشكلات المسلم في مواجهة التحديات المعاصرة التي تسعى إلى تدميره من الداخل، وبذلك يسهل الاختراق لصالح قوى الاستكبار والتغريب والتآمر، فهل نستطيع من خلال سنن التغيير الذاتي أن نعاود الانطلاق؟ وصدق الحق ـ سبحانه ـ: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ [غافر: ٥١].

---

(١) من مقدمة مالك بن نبي في تصديره لكتاب: جودت سعيد، (حتى يغيروا ما بأنفسهم)، ص ١٠ ـ ١١، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٧، ط ٣.

أدومه وإن قل

بقلم : عبد الله المسلم

ثبت عنه ﷺ أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلَّ، وأخبر ﷺ : «أن أحب الدين إلى الله ما داوم عليه صاحبه»[1] وكان هديه ﷺ المداومة على العمل، وكان ﷺ إذا عمل عملاً أثبته[2]، وحين سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن عمله ﷺ قالت: كان عمله ديمة[3].

والعمل الذي يداوم عليه صاحبه، مع أنه أحب إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ وأنه هدي النبي ﷺ؛ ففيه ما أخبر عنه بقوله: «إذا مرض العبد أو سافر كُتبَ له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحًا»[4]، وهذا إنما يتأتى لمن له عمل يداوم عليه.

ويتحدث أرباب السلوك عن هذا الحديث ومعانيه، ويمثلون له كثيراً بالصلاة والذكر والصيام والصدقة، ولا شك أن هذه الأعمال أوْلى ما تدخل فيه، بل هي تدخل فيه بالنص.



لكن: ألا يمكن أن يستضيء الدعاة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ في دعوتهم بمعاني هذا الحديث ويتمثلوها؟ ويعلموا أنه ما دام أن أحب العمل إلى الله أدومه؛ فالدعوة إليه ـ تبارك وتعالى ـ وهي من أفضل الأعمال، ينبغي أن تسلك هذا المسلك.

---

(١) رواه مسلم، ح/٧٨٥.

(٢) رواه مسلم، ح/٧٤٦.

(٣) رواه البخاري، ح/١٩٨٧.

(٤) رواه البخاري، ح/٢٩٩٦.

والمداومة في الدعوة تعني معاني عدة، منها:

١ ـ أن يكون للدعوة ـ عمومًا ـ أهدافٌ واضحة محددة، لا أن تكون خطوات مرتجلة مبعثرة.

٢ ـ أن لا تكون الدعوة مجرد ردود فعل لمواقف معينة؛ إذ يتوجب أن تأخذ ردود الأفعال موقعها الطبيعي؛ فلا تكون مصدراً لرسم برامج الدعوة وأهدافها.

٣ ـ أن لا تكون الدعوة دعوة مواسم ومناسبات، أو محصورة بأوقات فراغ الداعية وإجازاته، بل ينبغي أن تكون جزءاً أساساً من وقته، ليسمع الناس داعي الخير في كل زمان ومكان.

٤ ـ لزوم الداعية موقعه والمحافظة عليه؛ ذلك أنه تبدو أمامه كل وقت مجالات وفرص متعددة هنا وهناك، وحين يتاح له موقع من المواقع يسد فيه ثغرة، فينبغي أن يحافظ عليه، ولا يجاوزه إلا لمصلحة ظاهرة، أما أولئك الذين ينتقلون كل يوم من ميدان إلى آخر فما أقلَّ إنتاجهم.

٥ ـ عدم احتقار الميادين المهمة التي لها أثر عميق لكنه غير عاجل الثمرة، كميادين التربية والبناء، فهي وإن قلَّ أثرها القريب الظاهر، إلا أنها ضرورة لا غنى للدعوة عنها. والذي يعي مفهوم المداومة يرى أنه ليس بالضرورة أن تكون الأعمال ذات الأثر العاجل السريع خيراً منها وأوْلى.

ومما يتأكد على الدعاة إلى سبيل الله ـ تبارك وتعالى ـ في ميدان المداومة: أن يكون لأحدهم نصيب وقدر من العمل الصالح، من الصلاة والذكر والتلاوة والصيام والصدقة ـ وإن كان قليلاً ـ لا يخلُّ به؛ فهم أحوج الناس للصلة بالله ـ تبارك وتعالى ـ، ولهم في ذلك أسوة بنبيهم محمد ﷺ.

السوق .. آدابه وأحكامه

بقلم: محمد علي حيدة

السوق في اللغة: موضع البياعات، وجاء في (لسان العرب) أنها تذكّر وتؤنّث، والجمع أسواق، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: ٧] وتسوَّق القوم إذا باعوا واشتروا. ويُقصد بالسوق في الاصطلاح الاقتصادي: المكان الذي يلتقي فيه البائعون والمشترون، ويتم فيه التبادل.

والسوق كما يعرِّفه الاقتصاديون الغربيون: المنطقة التي يكون فيها البائعون والمشترون على اتصال وثيق بعضهم ببعض بحيث يكون للسعر الذي يدفع في مكان من السوق أثر على الأسعار التي تدفع في أي مكان آخر منه؛ وبذلك فهم يرون أن للسوق وظيفتين رئيستين:

- التقاء البائعين والمشترين واتصال بعضهم ببعض.
- إمكانية التعامل في السلع والخدمات وسهولته.

وعلى هذا: فالسوق هو المجال الذي يلتقي فيه عرض وطلب السلعة سواء كانت عملية العرض والطلب تتم بشكل مباشر بين شخصين أو عن طريق غير مباشر بواسطة أدوات الاتصالات الحديثة مثل البرق والبريد والهاتف وغيرها، وهذا يعني أن العالم بأسره قد يكون سوقاً لبعض السلع ذات الأهمية الاستراتيجية في التجارة الدولية.

ويطلق السوق على مكان معين تباع فيه بعض السلع مثل الطماطم أو السمك؛ وهذه هي الصورة المبسطة للسوق، وقد يطلق على مجموعة من العلاقات المتشابكة والمعقدة مثل: سوق القطن، أو سوق البترول، أو سوق الذهب. وإذا كان الباعة والمشترون في الحالة الأولى يلتقون مباشرة بعضهم ببعض فإنهم في الحالة

الثانية قد لا يلتقون مباشرة وإنما عن طريق وسائل الاتصال الحديثة.

وقد عُني الإسلام بالسوق عناية ظاهرة؛ ففي أول قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة كان فيهم من يبخس في الكيل، ويبدو أنهم قد تعلموا هذه الأفعال من اليهود، فأنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] فأحسنوا الكيل بعد ذلك، وعندما استقر الرسول ﷺ في المدينة وفرغ من بناء المسجد، التفت إلى مكان البيع والشراء ـ السوق ـ فوجدها في بني قينقاع ـ حي من أحياء اليهود ـ وكانوا على سجيتهم من أكل السحت والسعي وراء الكسب من أي باب، فكانوا يضربون على الناس فيها الخراج، ويؤجرون لهم الأماكن، فمضى الرسول ﷺ إلى مكان فسيح وضرب فيه برجله، وقال: «هذا سوقكم؛ فلا ينتقص، ولا يضرب عليه خراج»[١] وأقام السوق؛ وخُصِّصَ لكل سلعة مكان: للتمر مكان، وللقمح مكان، وللإبل مكان، وللغنم مكان، وكأني بسعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ وأحدهما يعرض على الآخر نصف ماله ونصف داره فيتعفف عبد الرحمن من ذلك، ويشكر لأخيه هذا الفعل، ويدعو له بالخير والبركة، ويقول له: «دلني على السوق؛ فإني أعرف التجارة».

وارتاد المسلمون الأسواق بعدها في جو من الطمأنينة؛ حيث لا غش ولا استغلال ولا احتكار، وتميز من يومها صنف جديد من الناس، وفُتحت لهم أبواب الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء: إنهم التجار الصادقون.

السوق يأتي إذاً في المرتبة الثانية بعد المسجد في حياة المسلم؛ فالمسجد موضع للتعامل مع الله وحده كما ورد في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وأما السوق فهي موضع للتعامل مع الناس ومع الله ـ سبحانه وتعالى ـ، إذا اتُّبعت أوامره واجتُنبت نواهيه وخلصت النوايا، وهنا تحضرني مقالة عطاء ـ رحمه الله ـ: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع، وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلق.. إلخ، وإذا كان صح عن الرسول ﷺ

---

(١) ابن ماجه: التجارات، رقم (٢٢٣٣).
ضعف إسناده الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه رقم (٢٢٣٣).

دراسات شرعية

قوله: « .. وأبغض البقاع إلى الله ـ تعالى ـ الأسواق » فلما يقع فيها من ظلم وغش وأيمان كاذبة، لكنا قد نستطيع أن نحوِّل أسواقنا إلى محاريب للعبادة بإقامة العدل فيها والرحمة والتسامح!!

وفي السعي لإقامة مجتمع إسلامي نظيف تقوم دعائمه على العدل والرحمة، ينبغي أن نتعامل مع آداب السوق وأحكامه كما نتعامل مع آداب المسجد وأحكامه، وإلا فسيظل بيننا وبين تحقيق هدفنا مسافات طويلة بل وستزداد هذه المسافات مع مرور الأيام.

وقد اهتم علماء السلف بالسوق وأحكامه وأفردوا له الدراسات والمؤلفات، ولعل من أبرزهم في هذا الميدان يحيى بن عمر (ت ٨٩هـ) في كتابه: « أحكام السوق » ومن بعده القاضي أبو يوسف (ت ١٨٢هـ) صاحب الإمام أبي حنيفة في « كتاب الخراج » ويمكن أن نجعل أهم آداب السوق وأحكامه في النقاط التالية:

ـ **دعاء دخول السوق**: يسن لمن يدخل السوق بغرض البيع أو الشراء أو المشاهدة أن يدعو بالدعاء المأثور عن الرسول ﷺ في ذلك فيقول: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير »[1].

ـ **فقه أحكام البيع والشراء**: فإنه ينبغي على كل من تصدى للعمل بالسوق وممارسة العمل التجاري أن يكون فقيهاً بأحكام البيع والشراء، عالمًا بالحلال والحرام، حتى تكون معاملته صحيحة بعيدة عن الفساد؛ ففي الصحيح من سنن الترمذي يقول سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: « لا يَبِعْ في سوقنا إلا من تفقه في الدين » وقد روي عنه أنه كان يطوف بالسوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: « لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى ».

وأحسب أن كل من عمل بالسوق وخاض غمار التجارة ومارس البيع والشراء حتى يُعرف بأنه امتهن العمل في هذا المجال، ثم لا يعرف أحكام المعاملات: الحلال منها والحرام، وما يفسدها وما يصلحها، أحسبه ـ والله أعلم ـ آثم بحسب تقصيره

(١) الترمذي، ٥/٢٩١، والحاكم ١/٥٣٨.

في هـذا الجانـب، وقـد امتـلأت أسـواقنا بكثـيـر من المسلمين الـذين أغفلوا هذا الفقه ـ بقصد أو بدون قصد ـ وأصبحوا لا يبالون بالفرق بين الحلال والحرام، وخلت من الصالحين والمتفقهين، الذين آثروا السلامة، فنأوا بأنفسهم تزهداً وتورعاً، أقول لهم: افعلوا ما فعل أجدادكم، اطرقوا أبواب الأسواق، وأخلصوا النية لله تفتح لكم الشركات والمؤسسات، وتسلموا من غل الوظيفة وقيدها، وتفتح لكم قلوب العباد، كما فتحت لأسلافكم حينما ذهبوا بتجارتهم إلى الصين وإلى الهند وإلى الجنوب من إفريقيا.

ـ **النهي عن التطفيف في الكيل والميزان**: نهى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ البائعين والمشترين عن خلق ذميم، كان قد تأصل في المعاملات التجارية بين الناس في المدينة قبل مقدم الرسول ﷺ لها، ألا وهو التطفيف في الكيل والميزان في سورة قرآنية سميت باسم: (المطففين) وأنذرهم فيها وحذرهم من ذلك وذكّرهم بالآخرة: ﴿**أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦]، ولم يكتف الإسلام بترهيب الناس من عقاب الله في الآخرة ولكنه وضع من الضوابط والآليات ما يردع ضعاف النفوس ممن تسول لهم أنفسهم التلاعب بحقوق الناس، من ذلك ما ذكره يحيى بن عمر في كتابه: «أحكام السوق» من قوله: ينبغي للوالي الذي يتحرى العدل أن ينظر إلى أسواق رعيته ويأمر أوثق من يعرف ببلده، أن يتعاهد السوق ويعيِّر على أهله صنجاتهم وموازينهم ومكاييلهم كلها، فمن وجده قد غيَّر من ذلك شيئاً عاقبه على قدر ما يرى من بدعته.. ثم أخرجه من السوق حتى تظهر منه التوبة والإنابة إلى الخير، فإذا فعل هذا رجوت له أن يخلص من الإثم، وتصلح أمور رعيته ـ إن شاء الله ـ، ولما سئل الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رجل جعل في مكياله زفتاً ليرفع به الكيل، قال: «أرى أن يعاقَب بإخراجه من السوق» فهو يرى أن إخراجه من السوق أشد عليه من الضرب، وقد أفتى بعض تلامذته في قضية مثل هذه القضية بقولهم: «الصواب عندنا أن يعاقبه الإمام بالضرب والسجن، أو الإخراج من السوق، إن كان قد عرف الغش والفجور من عمله» وفي أيامنا هذه يمكن عقابه

دراسات شرعية

بسحب التراخيص الممنوحة له أو عدم تجديد سجلاته التجارية.

ـ النهي عن الغش والنجش والاحتكار: الاحتكار هو الإمساك عن البيع وانتظار الغلاء مع الاستغناء عن السلعة وحاجة الناس إليها، وقد اختلف فيما يجري فيه الاحتكار، فقال البعض: يجري في كل شيء من طعام أو غيره، وقال بعضهم: يجري في أقوات الآدميين فقط، لقول النبي ﷺ: «من احتكر طعاماً فهو خاطئ» وفي رواية: «لا يحتكر إلا خاطئ»، كما نهى النبي ﷺ عن الغش فقال: «من غشنا فليس منا»[1] وقد روى الإمام البخاري قوله ﷺ: «لا تصرُّوا الغنم» والتصرية تكون بأن يعمد صاحب الغنم إلى ترك لبنها في ضرعها حتى تبدو غزيرة اللبن. ومما يدخل تحت النهي عن الغش: ألا يُثْني البائع على السلعة بما ليس فيها من محاسن، وأن لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها ووزنها ومقدارها وسعرها ما لو عرفه المشتري لامتنع عن الشراء. وأما النجش: فهو الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، ومما يؤسف له أن كل أو بعض هذه المفاسد كثيراً ما تحدث في أسواقنا. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ـ النهي عن بيع العِينة: وبيع العينة هو أن يبيع الرجل سلعة لآخر بثمن مؤجل ثم يشتريها منه بثمن حالٍّ نقداً يقل عن الثمن المؤجل، وقد أفردته بالحديث لأهميته وخطورته وكثرة المتعاملين به، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهو حرام باتفاق العلماء؛ لأن اشتراط المشتري على البائع أن يشتريها منه بثمن معلوم ما هو إلا حيلة لتحليل الربا، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة نذكر منها قول عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ قال: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله: أنزل الله بهم بلاءً، فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم» وفي رواية: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». وفي مسند الإمام أحمد بلفظ: «لئن تركتم الجهاد، وأخذتم أذناب البقر، وتبايعتم بالعينة، ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم، لا تنفك عنكم

(١) رواه مسلم.

حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا عما كنتم عليه». وفي هذه الأحاديث تحذير وبشرى: تحذير من مغبة مخالفة منهج الله، وأن مصيرنا في ذلك إلى الذل والبوار، وبشرى بأن أمامنا فرصة للمراجعة والتوبة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ينبغي أن نسرع إليها قبل فوات الأوان.

وهناك قاعدة ذهبية في المعاملات أصَّل لها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مفادها: أن عامة ما نهى عنه الكتاب والسنة من المعاملات، يعود إلى تحقيق العدل، والنهي عن الظلم: دقه وجله، أي قليل الظلم وكثيره، والضابط الكلي في المعاملة العادلة الخالية من الظلم، هو كما قال الغزالي في الإحياء: «ألا يحب لأخيه إلا ما يحب لنفسه؛ فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه، فينبغي ألا يعامل غيره به، بل ينبغي أن يستوي عنده درهمه ودرهم غيره» قال بعضهم: من باع لأخيه شيئًا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه إلا بخمس دوانق، فإنه قد ترك النصح المأمور به في المعاملة، ولم يحب لأخيه ما يحب لنفسه. والدانق هو سدس الدرهم[1].

ـ الامتناع عن التعامل مع اليهود[2]: تثور بين الحين والآخر تساؤلات عن حكم التعامل الاقتصادي مع اليهود وارتيادهم أسواقنا وارتيادنا أسواقهم، بين مؤيد ومعارض، لكن الثابت بالتجربة التاريخية والمعاصرة، أن التعامل مع اليهود تحفُّه المخاطر على الفرد والمجتمع من نواحي عديدة؛ فهم يتعاملون بالربا وهو محرم شرعًا، ولا يتورعون عن التجارة بيعًا وشراءً في السلع الخبيثة، كالخمر والمخدرات والمقامرة، ولم يعملوا في مجال إلا أفسدوه، ولم ينزلوا بسوق إلا خربوه؛ وفضلاً عن ذلك فإنهم يربحون من وراء تجارتهم معنا ونزولهم أسواقنا أموالاً طائلة يوقفونها للصد عن سبيل الله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال: ٣٦].

وقد يحتج البعض في جواز التعامل مع اليهود بحادثة وفاة الرسول ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، والقصة معروفة في كتب السيرة، وقد رواها البخاري ومسلم

---

(١) السوق في الإسلام، د. أحمد صفي الدين عوض.

(٢) باختصار من كتابنا: «التربية الاقتصادية».

دراسات شرعية

ـ رحمهما الله ـ، ولقد كان الرسول ﷺ يتعامل مع هؤلاء من منطلق قوة وكانت للرسول ﷺ الصولة والغلبة، وفي هذا الأسلوب من التعامل النبوي ما يظهر عظمة هذا الدين ونظرته الإنسانية السامية، وإلا فماذا كان يمنع الرسول ﷺ من البطش باليهودي الذي كان يلقي القاذورات كل يوم أمام بيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ لقد عاده النبي ﷺ عندما مرض في يوم لم يلق القاذورات كعادته، فشهد له اليهودي بالنبوة وأعلن إسلامه، لقد كان الرسول ﷺ يتحمل الأذى الشخصي؛ لأن ذلك من خصائص النبوة، وقد رهن الرسول ﷺ درعه عند يهودي في وقت كانت جزيرة العرب كلها قد دانت له، ولكنه فعل ذلك لحكمة أرادها ﷺ؛ أما الآن فالوضع مختلف، والحال غيره بالأمس؛ فاليهود اليوم يحتلون أرضنا، ويستحلون حرماتنا، ويسفكون دماءنا، ويسخرون من مقدساتنا، ويصادرون دورنا، فهل نقوم بعد كل هذا بإعطاء أموالنا لهم لنقوِّيهم بها علينا؟ إن ذلك لعجب!! وقد تبين لنا كيف أن الرسول ﷺ أسَّس سوقًا مستقلة للمسلمين وفصله نهائيًا عن سوق اليهود في بني قينقاع، حتى يتميز المسلمون بأسواقهم ومعاملاتهم.

ـ ضابط التسعير: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن الناس قالوا: يا رسول الله: غلا السعر؛ فسعِّر لنا! فقال: «إن الله ـ تعالى ـ هو الخالق، القابض، الباسط، الرازق، المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله ـ تعالى ـ ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال»[1].

ومعلوم أن شريعة الإسلام بينت الحلال والحرام، والحق والباطل، ورسمت الطريق واضحًا أمام المسلمين في كل زمان ومكان. واليقينُ: في أن الناس إذا ما تحروا الحلال وتنزهوا عن الحرام، فلن تكون هناك مشكلات تعترضهم، أو أزمات تخنقهم، ولا ريب أن امتناع الرسول ﷺ عن التسعير للناس في الحديث راجع إلى أن الغلاء لم يكن بسبب امتناع البائعين عن بيع ما لديهم بالسعر المعتاد؛ إذ

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود.
وإسناده صحيح كما في صحيح الجامع رقم (١٨٤٢).

لم يحدث ذلك في حضرة الرسول ﷺ ولم يَشْكُ منه الناس، لكن الناس شَكَوْا؛ لأن «السعر غلا» غلا وفقط؛ فقد يكون الغلاء بسبب قلة العرض عن الطلب، أو قد يكون بسبب زيادة الطلب عن المعروض من السلع، وهي أمور خارجة عن إرادة الجميع، وفي هذه الحالة فلا يسعنا إلا أن نقول: إن ما فعله الرسول ﷺ هو عين الصواب؛ فالتسعير كما يقول ابن القيم: «منه ما هو ظلم محرم، ومنه ما هو عدل جائز، فإذا تضمن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه، أو منعهم مما أباح الله لهم، فهو حرام، وإذا تضمن العدل بين الناس مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل، فهو جائز بل واجب»(١)، فشتان بين أيام الاشتراكية التي كانت تعدٌّ على الناس أنفاسهم، وسعَّرت لهم حتى (سندوتش) الفول؛ فجاعوا وافتقروا، وبين شريعة الإسلام في مبادئه الرائعة في الحرية الاقتصادية: «دَعِ الناس يرزقْ بعضُهم بعضاً»(٢).

وهكذا يتبين لنا أن السوق المثلى في الإسلام لم تأت نتيجة للتدخل المباشر في النشاط الاقتصادي حول كل صغيرة وكبيرة ـ مثل ما هو معروف في النظم الاشتراكية، ولا نتيجة لعدم التدخل مثل ما هو معروف في النظم الرأسمالية ـ وإنما عن طريق التوجيه المستمر الجدير بأن يقيم العدل بين البائعين والمشترين وإزالة كافة ممارسات الضرر بالآخرين، سواءً كانوا أفراداً أو جماعات.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مسلم: البيوع، رقم (١٥٢٢).

مقال

مدلولات الأمن الإسلامي

نوع آخر من الإعجاز في القرآن الكريم

بقلم: د. محمد البرزنجي

لا شك أن القرآن هو منهج رباني أنزله الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليحكم الحياة البشرية بجميع مرافقها. ولا نستطيع أن ندعي أن في القرآن تعريفًا لمصطلح الأمن الإسلامي؛ ولكننا نجد إشارات في ثنايا الآيات القرآنية تشير إلى أمور تدخل في تكوين هذا المصطلح.

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يرى أن الآيات القرآنية تتحدث عن مستويين من الأمن أو نوعين منه:

الأول: الأمن على مستوى الفرد (عامل الأمن النفسي).

الثاني: الأمن على المستوى الجماعي (الأمة).

أولاً: الأمن الفردي أو (عامل الأمن النفسي):

يذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو يحاور قومه المشركين: ﴿**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿٨١﴾ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢].

من المعروف أن عقيدة التوحيد تأخذ مساحة واسعة من الآيات القرآنية؛ وفي هذه الآية رَبْطٌ واضح وعلامة قوية بين رسوخ عقيدة التوحيد في النفس البشرية وبين الأمن والاطمئنان؛ أما الذين لم تخالط عقيدة التوحيد قلوبهم، ولم تملأ نفوسهم فلن يشعروا أبداً بذلك الاطمئنان والأمن النفسي؛ فهُمْ في الدنيا وَجِلُونَ من سخط الله، وفي الآخرة ينتظرهم عذاب من الله أليم، ويظلون

طول حياتهم يخافون من المستقبل المجهول، ولا يعرفون معنى لوجودهم في هذا الكون الرحيب. والملايين الضالة في العالم المادي فقدت الأمن والاطمئنان عندما مسخت فطرتها؛ ومهما لهثت وراء ذلك فلن تحصل عليه؛ فذلك الأمن منحة ربانية للذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك؛ هكذا ترشدنا الآية القرآنية؛ وذلك نوع من التحدي والإعجاز القرآني للبشر على مدى العصور؛ فلو راجعنا نشرات منظمة الصحة العالمية وسجلات المصحات النفسية والعيادات النفسية في دول الغرب لوجدنا أمراً مذهلاً؛ فجميع وسائل الترفيه والترف المادي لم تمنح الإنسان الغربي ذلك الأمن والاطمئنان النفسي الذي رُزقه المسلم حتى ولو كان وراء القضبان، ولو راجعنا حياة الصحابة والتابعين وأعلام هذا الدين حتى يومنا هذا لبدا لنا ذلك واضحاً.

نرجع مرة أخرى إلى الآيات القرآنية لنرى مثالاً عظيماً تتجلى فيه مسألة الأمن النفسي؛ ففي غزوة أحد بعد أن أصيب المسلمون بجراحات كثيرة من بينها استشهاد سبعين صحابياً منهم حمزة عم النبي ﷺ؛ وعقب هذه الإصابات المؤلمة وفي تلك اللحظة الحرجة جداً كان الذين في قلوبهم مرض يتوجسون شراً، ويرتعدون خوفاً من كَرَّة قريش مرة أخرى ولكن الذين اطمأنت قلوبهم بالإيمان، ونعمت نفوسهم بالتوحيد رُزِقوا أمناً عجيباً؛ وكما قالت العرب قديماً: «الإناء ينضح بما فيه» فالأمن الذي ملأ قلوبهم انعكس على جوارحهم؛ فغطوا في نوم هادئ مريح.

قال الحق ـ سبحانه ـ: **﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾**.

[آل عمران: ١٥٤].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: ثم أنزل الله ـ أيها المؤمنون ـ من بعد الغم الذي أتاكم ربكم بعد غم تقدمه قبله (أمنة) **وهي الأمان على أهل الإخلاص واليقين دون أهل النفاق والشك**. ثم أخرج الطبري الرواية (٨٠٧٢) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: أمّنهم يومئذٍ بنعاس

مقال

تغشَّاهم وإنما ينعس من يأمن. . . وأخرج رواية أخرى (٨٠٨٦) عن قتادة أنه قال في تفسير هذه الآية : الطائفة الأخرى : المنافقون ليس لهم همّ إلا أنفسهم أجبن قوم وأرهبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق. . . إنما هم أهل شك وريبة في أمر الله. . وأخيراً فقد أخرج الطبري الروايتين : (٨٠٨٩، ٨٠٩٠) عن ابن زيد وقتادة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ ظن أهل الشرك .أ. هـ.

قلت : وهنا تلتقي الآية مع آية سورة الأنعام السابقة في ربط الأمن والاطمئنان النفسي بالتوحيد وفقدان ذلك الأمن بالشرك ـ نسأل الله الأمن والأمان ـ وهذا هو أحد صحابة رسول ﷺ حين يجتمع عليه مشركو قريش ليقتلوه يصلي ركعتين خفيفتين ولا يطيل فيهما القراءة حتى لا يتصور الأعداء أنه وَجِلٌ من الموت في سبيل الله، ويطلب شفرة يتنظف بها من الشعر الزائد؛ وينسى القوم أنهم تركوا عنده طفلاً، فيهرعون إليه خشية أن يذبحه فيرون الطفل في أحضانه هادئًا؛ والصحابي مطمئن النفس هادئ الجوارح والجوانح غير مضطرب . وسنعود مرة أخرى للحديث عن عامل الأمن النفسي في نهاية حديثنا هذا .

ثانيًا: الأمن الجماعي (أمن الأمة الإسلامية):

قال الحق ـ سبحانه ـ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور : ٥٥] .

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية : والمعنى أنه ـ سبحانه ـ يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء أمنًا، ويُذهب عنهم أسباب الخوف الذي كانوا فيه بحيث لا يخافون إلا الله ولا يرجون غيره[١] .

ولنا وقفة طويلة عند هذه الآية : أما أسباب الخوف كما قال الشوكاني فسنرجع إليه بعد برهة، ونبدأ بالعبارة القرآنية : ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي**

(١) فتح القدير، ٤ / ٧٠ .

شَيْئًا ﴾ فمعظم المفسرين كالقرطبي والشوكاني وغيرهما يرجحون كون هذه الجملة في محل نصب على الحال، ويجوز كون الجملة استئنافية، ولقد التقيت يومًا في بعض أسفاري بفضيلة الدكتور ياسين الجاسم رئيس قسم اللغة العربية بإحدى الجامعات الإسلامية فسألته عن إعراب هذه الجملة: ﴿ **يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ فقال: هذه الجملة في محل نصب حال أو أنها استئنافية، ولكن المعنى يرجح كونها في محل نصب حال. والله ـ تعالى ـ أعلم.

والذي يهمنا هنا هو ترجيح المفسرين وعلماء اللغة كونها في محل نصب حال، أي أن المعنى يصير: وعد الله المؤمنين بالأمن والتمكين في حال عبادتهم وإخلاصهم. قال القرطبي: (١٢ / ٣٠٠) ﴿ **يَعْبُدُونَنِي** ﴾: هو في موضع الحال، أي في حال عبادتهم بالإخلاص. ونقل القرطبي عن ابن العربي قوله: هذا وعد عام في النبوة والخلافة وإقامة الدعوة وعموم الشريعة، فنفذ الوعد في كل أحد بقدره على حاله؛ وحقيقة الحال أنهم (أي المسلمين) كانوا مقهورين فصاروا قاهرين، وكانوا مطلوبين فأضحوا طالبين؛ فهذا نهاية الأمن والعز.

وقال النحاس كما نقل عنه القرطبي (١٢ / ٢٩٧): فكان في هذه الآية دلالة على نبوة رسول الله ﷺ؛ لأن الله ـ عز وجل ـ أنجز ذلك الوعد.

أما تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ** ﴾ فقد أخرج الطبري (شيخ المفسرين بالأثر) بسنده المتصل إلى أبي العالية أنه قال: أي من كفر بهذه النعمة ﴿ **فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ وليس يعني الكفر بالله.

ثم ذكر الطبري عبارة جديرة بالتأمل؛ إذ قال: فأظهره الله على جزيرة العرب، فآمنوا، ثم تجبروا؛ فغير الله ما بهم؛ لأنهم كفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان أنعمه عليهم، قال القاسم (شيخ الطبري): قال أبو علي: بقتلهم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ا.هـ.

وهذا يعني اتفاق الطبري وابن العربي والقرطبي حول المعنى نفسه. والمتتبع لحال المسلمين يستنتج ما يلي: كلما كانت الأمة المسلمة مطيعة لله ورسوله يحكم التوحيد حياتها كاملة كان الأمن على قدر ذلك. والله ـ تعالى ـ أعلم.

مقال

ونأتي أخيراً إلى تفسير عوامل الأمن التي تقابل عوامل الخوف التي أشار إليها الشوكاني بقوله: «ويذهب عنهم أسباب الخوف الذي كانوا فيه».

فنقول وبالله التوفيق: المتدبر لآيات القرآن الكريم يرى أن الآيات القرآنية تشير أحياناً إلى عاملين رئيسين: العامل الاقتصادي، والعامل المادي العسكري **﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾** [قريش: ٤] وهنالك آية أخرى تبدو الإشارة فيها إلى هذين العاملين الرئيسين من عوامل الأمن الجماعي واضحة؛ إذ يقول الحق ـ سبحانه ـ: **﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** [القصص: ٥٧].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** أي لا يعقلون: أي هم غافلون عن الاستدلال بأن من رزقهم وأمنهم فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو أسلموا، ويمنع الكفار عنهم في حال إسلامهم.

وقال صاحب الظلال ـ رحمه الله تعالى ـ: وهم ينسون الله، ينسون أنه وحده الحافظ وأنه وحده الحامي، وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله، وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تنصرهم إذا خذلهم الله؛ ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى، ولاختلف تفسيرهم للأمور، ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه. أ.هـ.

قلت: ومن إعجاز القرآن الكريم أننا نرى اليوم اليهود يملكون أقوى الأسلحة المادية، ومعظمهم مجندون ومدربون على القتل والفتك والنهب، ويملكون أموالاً طائلة ومع ذلك فهاجسهم الوحيد ظل لحد الآن: الأمن؛ لأنهم بعيدون عن هدى الله ـ عز وجل ـ وبدا ذلك واضحاً في الزيارة الأخيرة لأولبرايت لإسرائيل؛ إذ أكدت وكالات الأنباء أن أمن إسرائيل كان محور المباحثات هناك؛ ولكن هيهات أن يناموا ملء جفونهم مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ: **﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾** [آل عمران: ١١٢].

ولا بأس إذا فصلنا شيئًا قليلاً في عامل الأمن العسكري ما دام الحديث في اليهود؛ فالآية القرآنية في سورة الإسراء تتحدث عن أمرين هامين (يعتبرهما خبراء الحرب عاملين هامين في الأمن العسكري. . . أولاهما: الأعداد الغفيرة من الجنود المدرّبة، والثاني: هو المال الوفير وهو جزء من عامل الأمن الاقتصادي) يقول الحق ـ سبحانه ـ متحدثًا عن بني إسرائيل: ﴿ **وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٦]، ومع الأسف فإن اليهود يأخذون بعوامل الأمن المادية المتاحة لديهم؛ فهم يجمعون يهود الحبشة ويهود روسيا وغيرهما، ثم يدربونهم على أحدث الأسلحة ويحاولون في الوقت نفسه إدخال الأخطبوط المالي اليهودي إلى كافة الأسواق؛ فهل فكرت الأمة الإسلامية الممزقة في عشر معشار ما يفكر به اليهود؟

نعود كرة أخرى إلى مدلولات الأمن الإسلامي في القرآن الكريم وهذه المرة نستعين ببعض الأحاديث النبوية الشريفة؛ فالسنة مبينة لآيات القرآن الكريم؛ وهنا لا أريد أن أطيل أكثر مما سبق، وإنما أقول: مصطلح الأمن الإسلامي يختلف عن مصطلحات الأمن القومية وغير ذلك؛ فالعوامل الداخلة في تعريف هذا المصطلح ليست عوامل مادية فقط وإنما العامل الأول هو الالتزام بعقيدة التوحيد على مستوى الفرد والجماعة سواءً بسواء ثم اتخاذ السياسات الاقتصادية وخطط التنمية والدفاع وما إلى ذلك، أضف إلى كل هذا عاملاً رئيسًا آخر لا يوجد إلا في الأمن الإسلامي ألا وهو الدعاء. نعم الدعاء! فلا تستغرب أخي القارئ! ولكن: رويدك حتى نفهم سوية دور الدعاء في الأمن؛ فعلى أن الإسلام حرّض المسلمين على الاهتمام بالاكتفاء الذاتي ومن ذلك الاكتفاء الاقتصادي، ومنه الاكتفاء الزراعي؛ إذ إن الإسلام يحضّ على الزرع حتى في آخر الزمان وقبيل قيام الساعة بلحظات.

ولكن في الوقت نفسه يطلب الإسلام من المسلمين أفرادًا وجماعات أن يكونوا مربوطي القلب بتوفيق الله، راجين منه ـ سبحانه ـ أن يبارك في زرعهم وجهودهم فتكون مباركة كثيرة كبيرة عميمة النفع؛ كما جاء في صحيح

مقال

مسلم (٩ / ٤١٢٥) كان الناس إذا رأوا الثمر جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فيقول ﷺ : « اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا » .

هنالك إشارة أوضح من مسألة الأمن الاقتصادي والاكتفاء الذاتي في مجال الزراعة؛ فقد أخرج الترمذي في سننه (٣٤٥١) وحسنه والدارمي (٢ / ٤) أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: « اللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله » .

ويتبين لنا من الشروح السابقة أن تعريفَ الدكتور صباح ـ وإن كان مشكوراً لجهوده في إيجاد تعريف للأمن الإسلامي ـ غيرُ متكامل؛ فالأمن الإسلامي: منحة ربانية يهبها الحق ـ سبحانه ـ للجماعة (الأمة المسلمة) إذا حققت الإيمان وانصبغت حياتها بصبغة إسلامية ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٨] ومحت آثار الشرك من الحياة العامة والخاصة، ثم أخذت بالأسباب المادية من تنمية اقتصادية وإعداد عدة ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [الأنفال: ٦٠] وما إلى ذلك من السياسات الداخلية والخارجية التي تنظمها السياسة الشرعية المعروفة القواعد والأسس عند فقهاء هذه الأمة، ومع كل تلك الإجراءات المادية والمعنوية تظل نفوس الأمة مشدودة إلى توفيق ربها، راجية أن يهبها الأمن والأمان والسلامة والإسلام.

وبعد هذه الشروح السابقة نقول: إن مصطلحات الأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن القومي وما إلى ذلك لم تتوضح إلا في القرن الأخير وذلك بعد مئات الدراسات والأبحاث واستقراء الأحداث الكونية، وما إلى ذلك.
ومعلوم أن محمداً ﷺ ذلك الرجل الأمي الذي عاش قبل أربعة عشر قرناً لم يتخرج من أكاديميات عسكرية متطورة، ولم يكن خبيراً اقتصادياً؛ فهو الذي كان يقول: « أنتم أعلم بأمور دنياكم »[١] ولم يكن مشرفاً على مراكز

(١) مسلم: كتاب الفضائل، رقم (٢٣٦٣) .

الدراسات السياسية والاستراتيجية؛ فمن أين جاء بهذه الإشارات العلمية إن لم يكن وحيًا منزلاً وكما قال ـ سبحانه ـ: ﴿**قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الفرقان : ٦]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ**﴾ [الشورى : ٥٢] ونحن نقول : إن القرآن الكريم ليس كتاب طب أو فيزياء أو علم اجتماع أو اقتصاد، ولكنه منهج رباني أنزله الله ليحكم حياة الناس، وقد وردت فيه إشارات إلى نواميس عظيمة في هذا الكون؛ ومجرد هذه الإشارات يكفي حافزًا للإنسان لكي ينظر ويتدبر ويتأمل، وكلما اكتشف الإنسان سراً من أسرار الحياة والكون، وكلما تجلت له حقيقة كونية تتعلق بحياة البشر أو غير ذلك ازداد إيمانًا ويقينًا؛ والحق ـ سبحانه ـ يقول : ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت : ٥٣] .

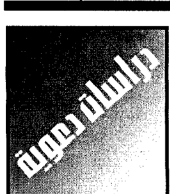
ولقد حاولت في مقالتي هذه أن أستند إلى شروح المفسرين الأعلام كالطبري والقرطبي والشوكاني وغيرهم، وحاولت جهد المستطاع أن لا أُحَمِّلَ النصوص فوق ما تحتمل؛ فإن كنت وقعت في ذلك فأرجو أن ينبهني القراء لذلك .

أقول قولي هذا؛ فإن كان صوابًا فمن الله التوفيق، وإن كان خطأ فمني؛ وأستغفر الله .

قصة مؤمن آل ياسين

دروس وعبر

بقلم : عبد الحميد السحيباني



إن الدفاع عن العقيدة الصحيحة والمنهج الحق مطلب كل داعية مؤمن بالله ـ تعالى ـ ورسُله. والدعوة إلى الحق والهدى بعد معرفته وتبيّنه: صفة المسلم الصادق، يفعل ذلك ويؤديه حسب قدرته، باذلاً لذلك كل وقته، ومستمراً عليه حتى لو أدى به ذلك إلى القتل وإزهاق الروح؛ لأنه يعلم أنه لن يموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً، وتلك هي صفة مؤمن آل ياسين الذي تحدث الله ـ تعالى ـ عنه وعن قومه ضمن آيات من سورة يس، يقول فيها سبحانه: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إذْ أَرْسَلْنَا إلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إنَّا إلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إنْ أَنتُمْ إلاَّ تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إنِّي إذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ

﴿٢٨﴾ إن كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ١٣ - ٢٩].

فقد أخبر - سبحانه - في هذه الآيات أنه أرسل إلى أهل مدينة اثنين من الرسل يدعوانهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، فبادروهما بالتكذيب، فعززهما الله - تعالى - وقوّاهما برسول ثالث، فقالوا لأهل تلك القرية: إنا إليكم مرسلون من ربكم الذي خلقكم، يأمركم بعبادته وحده لا شريك له، فقالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا، وكيف أوحي إليكم وأنتم بشر، ونحن بشر، فلِمَ لا يوحى إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة، وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة، كما قال - سبحانه -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦] وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤] وعندما قال أولئك المكذبون ما قالوا من التكذيب قالت لهم رسلهم: إنا رسل الله إليكم، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كما قال - جل شأنه -: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢]. وتمادى أهل القرية في طغيانهم، وراحوا يتطيرون بهؤلاء المرسلين، ويقولون كما قال قتادة: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم، وإنكم إذا لم تنتهوا فسوف نرجمكم بالحجارة، وسيصيبكم منا عقوبة شديدة، فقالت لهم رسلهم: إن طائركم معكم، مردود عليكم، وأنتم ما قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا إلا من أجل أنَّا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له، بل أنتم قوم مسرفون، لتطيركم وكفركم وفسادكم[1].

ولأن تلك الساحة لم تخل ممن عمرَ الإيمانُ قلوبهم، وتعمقت الدعوة في أفئدتهم وأقضَّ المنكر كل ذرة في أبدانهم، لأجل ذلك قيض الله - تعالى - لهؤلاء الرسل من يدافع عنهم، فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى،

(١) تفسير ابن كثير.

دراسات دعوية

لينصرهم من قومه، قيل: إن اسمه حبيب النجار، وكان رجلاً سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه، مستقيم الفطرة، وقيل: كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوهم، لعلهم يرحمونه، ويكشفون ضره، فاستجابوا له، فلما أبصر الرسل دعوه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ فقال: هل من آية؟ قالوا: نعم: ربنا على ما يشاء قدير؛ وهذه لا تنفع شيئًا ولا تضر. فآمن، ودعوا ربهم، فكشف الله ما به، كأن لم يكن به بأس، فحينئذ أقبل على التكسب، فإذا أمسى تصدق بكسبه، فأطعم عياله نصفًا، وتصدق بنصف. فلما همّ قومه بقتل الرسل جاءهم، فوعظهم أحسن ما تكون الموعظة، وذكَّرهم بحق الله ـ تعالى ـ من العبادة والتعظيم، فقتلوه، واختلف المفسرون في كيفية قتله، فقال بعضهم: وطئوه بأرجلهم، وقيل: رموه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي؛ حتى قتلوه، وقيل: حفروا حفرة، وجعلوه فيها، وردموا فوقه التراب، فمات ردمًا. وقيل: حرقوه حرقًا، وعلقوه بسور المدينة. وقيل: نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فما خرجت روحه إلا إلى الجنة، فدخلها، فذلك قوله: ﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ** ﴾ فلما شاهدها قال: ﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ قال الإمام القرطبي: «قلت: والظاهر من الآية أنه لما قُتل قيل له: ادخل الجنة. قال قتادة: أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق، أراد قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وإذا تأمل العبد المسلم هذه الحادثة المؤثرة استنبط منها الدروس والعبر، ومن ذلك:

١ ـ الحث على سرعة الاستجابة للحق، متى ما ظهرت علامته، واتضحت دواعيه. ثم الدعوة إليه دون بطء أو تكاسل؛ فإن هذا المؤمن الشهيد حينما استشعر حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره، فلم يطق عليها سكوتًا، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله، والجحود،

والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره، وتحرك في شعوره. سعى به إلى قومه وهم يكذبون ويجحدون ويتوعدون، ويهددون. وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين»[1].

ونجد في الآيات الكريمة وصفًا لهذا المؤمن الشهيد بالسعي، وهذا كما يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير: «يفيد أنه جاء مسرعًا، وأنه بلغه هَمّ أهل القرية برجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على هذا الرجل، يفيد أنه ممن يُقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر»[2].

٢ ـ ومن الدروس والعبر كذلك هنا: أن من أسباب قبول دعوة الداعين إلى الحق عدم طلبهم أجرًا دنيويًا أو كسبًا ماديًا. ولذا قال هذا المؤمن لقومه: ﴿**اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ وقد قُدم عدم سؤال الأجر على الاهتداء «لأن القوم كانوا في شك من صدق المرسلين، وكان من دواعي تكذيبهم اتهامهم بأنهم يجرّون لأنفسهم نفعًا من ذلك؛ لأن القوم لما غلب عليهم التعلق بحب المال، وصاروا بُعداء عن إدراك المقاصد السامية كانوا يعدُّون كل سعي يلوح على امرئ إنما يسعى به إلى نفعه فقُدِّم ما يزيل عنهم هذه الاسترابة...»[3]. «والأجر يصدق بكل نفع دنيوي يحصل لأحد من عمله، فيشمل المال والجاه والرئاسة. فلما نفى عنهم أن يسألوا أجرًا فقد نفى عنهم أن يكونوا يرمون من دعوتهم إلى نفع دنيوي يحصل لهم»[4].

٣ ـ ومن الدروس والعبر في قصة المؤمن الشهيد، مؤمن آل ياسين: الحث على استخدام أسلوب الإقناع في الجانب الدعوي. فقد كان من ضمن نصح حبيب لقومه أنه قال لهم: ﴿**وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ حيث «أخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة لنفسه تأليفًا لهم، ونبه على أن عبادة العبد

---

(١) الظلال. (٢) تفسير التحرير والتنوير.

(٣، ٤) المرجع السابق.

لمن فطره أمر واجب في العقول، مستهجن تركها ، قبيح الإخلال بها، فإن خلقه لعبده أصل إنعامه عليه، ونعمه كلها بعدُ تابعة لإيجاده وخلقه، وقد جبل الله العقول والفطر على شكر المنعم، ومحبة المحسن، ولا يلتفت إلى ما يقوله نفاة التحسين والتقبيح في ذلك، فإنه من أفسد الأقوال وأبطلها في العقول والفطر والشرائع»[١]. ونجد في مخاطبة هذا المؤمن لقومه «أنه احتج عليهم بما تقر به عقولهم وفطرهم من قبح عبادة غيره، وأنها أقبح شيء في العقل وأنكره، فقال: ﴿ **أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ أفلا تراه كيف لم يحتجَّ عليهم بمجرد الأمر، بل احتج عليهم بالعقل الصحيح ومقتضى الفطرة»[٢].

دراسات دعوية

٤ ـ الاستمرار في الدعوة إلى الهدى والحق مهما وقف في سبيل منعها الطغاة والمفسدون، ما دام الداعية يعلم أنه لا يدعو إلا إلى الخير والهدى، وما دام يعلم أن في استمرار الدعوة صلاح الناس واستقامتهم، وأن في تركها فسادهم وغفلتهم، فيستمر في ذلك ولو عُذب وأهين، بل حتى لو أزهقت نفسه، وقتل، كما هو حال مؤمن آل ياسين، وذلك سبيل الأنبياء والمرسلين، ومن نهج نهجهم من العلماء الربانيين، والدعاة الصادقين إلى يوم الدين.

٥ ـ ومن الدروس والعبر كذلك الحث على تطهير القلب من الحقد والحسد وكل أمر قبيح، أرأيت قول هذا المؤمن لما قتله قومه، وأدخل الجنة: ﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ قال الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور: «والمعنى: أنه لم يلهه دخوله الجنة عن حال قومه، فتمنى أن يعلموا ماذا لقي من ربه ليعلموا فضيلة الإيمان، فيؤمنوا، وما تمنى هلاكهم ولا الشماتة بهم، فكان متسماً بكظم الغيظ، وبالحلم على أهل الجهل؛ وذلك لأن عالم الحقائق لا تتوجه فيه النفس إلا إلى الصلاح المحض، ولا قيمة

---

(١) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم، جمع: يسري السيد.

(٢) المرجع السابق.

للحظوظ الدنية، وسفاسف الأمور»[1]. وقال الإمام القرطبي: «وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم على أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه، ألا ترىٰ كيف تمنى الخير لقَتَلَته، والباغين له الغوائلَ، وهم كَفَرة عَبَدة أصنام»[2].

٦ ـ بيان عاقبة كل معاند ومفسد، وكل واقف في وجه الدعوات الربانية الهادية. فإنه لما قُتل حبيب غضب الله له، وعجل النقمة على قومه، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة، فماتوا عن آخرهم، قال ـ سبحانه ـ: ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ** ﴿٢٨﴾ **إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** ﴾ وهذه عاقبة كل محارب لله ولرسوله وللمؤمنين، أن يأخذه الله كما أخذ السابقين، كما حكى ـ جل وعلا ـ عن أهل الكتاب أنه ضرب الذلة عليهم، وغضب عليهم، وعلل ذلك بأنهم كانوا يكفرون بكل دعوة صالحة تأتيهم، ويقتلون الأنبياء بغير حق: ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١٢]. ولما عاند قوم نوح نوحًا وعصوه وتمردوا عليه قال ـ سبحانه ـ في شأنهم: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود: ٤٤]

نعم إن قصة قتل مؤمن آل ياسين ينبغي أن يعتبر بها الناس جميعًا، ويوقنوا أن في اتباع المصلحين الفلاح والنجاة، وأن في مخالفتهم الهلاك والبوار والعَطَب؛ فاللّهم يا رحمن! ارزقنا الاهتداء بهدي المرسلين، وأعذنا من صفات الكافرين والمكذبين! وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) التحرير والتنوير. (٢) الجامع لأحكام القرآن.

عرفات يخرج عن صمته

عـــرفـــاتُ ذكّـــرْ أمـــةَ المخـــتـــارِ ... واقـــرأ عـلـيــهـــا نشـــرة الأخــبـــارِ

فلربما أرْعت خطابَك ســمــعَــهــا ... واســتــرشــدت بالنصح والتّــذكـارِ

ولربما بعــد اســتــمــاعك ترعــوي ... وتهبُّ من نوم إلى اسْـــتــنفـــارِ

ولـــربمـــا آن الأوان لـــكـــي تـــرى ... مـــا قـــد دهاها اليـــوم من أخطارِ

إني أرى هذا التــجـــمعَ فــرصـــةً ... فــحـــذارِ من إهدارها فــحـــذارِ

فـالمسلمــون على ثراك تجــمــعــوا ... وتـدفـــقـــوا من ســـائر الأقطارِ

حـملوا الذنوبَ الموبقـات وأسـرعـوا ... يُلْقــونهـــا في ســاحـــة الغـــفـــارِ

يومٌ له يُهـــدي الزمـــانُ تحـــيَّـــةً ... ســيــمــرُّ مـرّ البـارق السيّـــارِ

فـإذا أفاضـوا من حِـمـاكَ عـشـيَّـةً ... عـصـفت بك الأحـزان كـالإعـصـارِ

لَهـفي عليك وقـد وقـفتَ مـودِّعًـا ... ونظرْتَ نحـو الركب باسـتـعـبـارِ

أنا لا ألومك إن حـفظْتَ عـهـودَهُم ... إنَّ الوفـــاءَ ســجـــيـــة الأخـــيـــارِ

لكنْ ألومُك إن رأيتُك ســاكــتًـــا ... وانفضَّ هذا الجـــمع دون قـــرارِ

فاكسرْ جدارَ الصمتِ واقرعْ سمعَهم ... فلكم وراءَ الصـــمت من أســرار!!

واقـــرأ على الدنيـــا مـــآثِرَ عِـــزَّةٍ ... وأَذِعْ علـيـــهـــا ســيـــرة الأطهـــارِ

* * *

أغـــضـى حـــيـــاءً ثمَّ ألقى نظرةً ... ضـمَّت مـعـاني الحبِّ والإكْـبـارِ

ثم اسـتـدار إلى الجـمـوعِ وقـد بدا ... طلقَ الحـديث، مـرتَّب الأفكارِ

حمْدًا لمن جمعَ الحجيجَ بساحتي ... وصـــلاته تَتـــرى على المخـــتـــارِ

يا أمـــةً بالشـــوقِ أرقُب عـــوْدَها ... كـــالرّوض يرقبُ عـــوْدة الأمطارِ

نص شعري

شعر: أحمد حسبو

أنا لن أقدم للحديث إليكم لا وقتَ للتقديم والإكثارِ
لكنْ بذاكرتي مشاهدُ عشتُها ستظلُ ملءَ السمع والأبصارِ
فهنا بكى خيرُ العبادِ «محمدٌ» وروى الصّعيدَ بدمعهِ المدرارِ
وهناك يخطب في الجموع مودِّعًا وكلامُهُ فيضٌ من الأنوارِ
وهنا، جثا «الصدِّيق» يرجف خائفًا وَجِلاً يُحاذرُ غضبةَ الجبارِ
وهنا، أتى «الفاروق» يبكي بعدما لاقى «أُوَيْس» وفازَ باستغفارِ
وهنا بدا «عثمان» في استحيائهِ وعليه ثوبُ سكينةٍ ووقارِ
وهنا «عليٌّ» قد تفجَّر حكمةً ولباسُهُ الإيمانُ خيرَ دثارِ
ولكم رأيت على صعيدي إخوةً فهموا معاني الحب والإيثارِ
عاماً هنا حجُّوا، وعامًا جاهدوا يرجون وجهَ الواحدِ القهّارِ
عزُّوا ولم يعطوا الدنيةَ مطلقًا فالموت أسمى من حياةِ العارِ

* * *

الفرق بين الحاضرين ومن مضى كالفرق بين الشَوْكِ والأزهارِ!!
فإلى متى تستقبلون دواهيًا حلَّتْ بكُمْ بالشّجْبِ والإنْكارِ؟!
وإلى متى والغاصبون بأرضِكم يتَصرّفون تصرُّفَ الأحرارِ؟!
وإلى متى تلك الحواجز بينكم؟؟ ولِمَ الحياةُ بذلةٍ وصَغارِ؟!
وإلى متى والقدس ترقب فجرها والليلُ يضربُ حولَها بحصارِ؟!
كلُّ المنافذ دونها قد أُغلقتْ لَمْ يبْق غيرُ الصَّارمِ البتارِ
فاقضوا المناسك وارجعوا لدياركمْ وتفرّغوا للفتكِ بالكُفّارِ
إما حياةً بالجهاد كريمةً أو جنةً؛ فَلَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ

الأزمة الجزائرية: تدويل أم.. تمويل؟!

قراءة في الملف الدامي للمأساة في عامها السادس

دخلت الأزمة الجزائرية عامها السادس، ومع بداية هذا العام دخلت كذلك منعطفًا جديداً مع إعلان الغرب الصليبي رأفته وشفقته على الشعب الجزائري المسلم؛ ولذا فقد قرر التدخل في الأزمة بشكل جدي للوقوف على أسباب العنف ومعرفة: من القاتل الحقيقي؟!! وذلك من خلال قيام وفد الترويكا الأوروبية، ووفد البرلمان الأوروبي بزيارة الجزائر. وحتى نصل إلى مغزى هذه الدعوة المتأخرة سنقف قليلاً عند بعض النقاط المهمة لتعيننا على فهم هذا الموقف الجديد للذئب الغربي، المساعد لسلطة متسلطة أكثر من حدود العقل.

لقد أصبح من المقصود في الخطاب الإعلامي الرسمي أن نقتنع أن ما يحدث في الجزائر ما هو إلا لغز يستعصي على الحل أو الفهم، ولا عجب أن نرى أناساً كُثُرًا تردد بأفواه فاغرة: ما الذي يحدث في الجزائر؟!

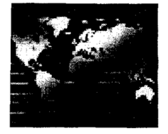
إن أسوأ ما في هذه الأزمة والمأساة الرهيبة هو أن الإنسان المسلم في الجزائر لم يعد يملك من مقومات الإنسانية سوى أنه «رقم» ينضم إلى أرقام أخرى، أو تنضم هي إليه، نقرؤها كل يوم، نسمعها كل يوم، ونشاهد دماءها كل يوم، ثم تُقبر هذه الأرقام كغيرها، وتجمع وتطرح ـ بعد ضربها بالفؤوس ـ ليستشهد بها كل من تحدث عن تلك المأساة.

أوصل بعضهم هذه الأرقام إلى مئتي ألف قتيل، وهبط بها آخرون إلى أقل من ذلك بقليل، إلا أن الإحصاء الرسمي الذي صدر مؤخراً ولأول مرة وعلى لسان رئيس الحكومة الجزائرية (أحمد أويحيى) ذكر أن «الرقم الصحيح» هو ٢٦٥٦٣ فقط لا غير!!

وعلى افتراض صحة الرقم الذي لم يوافق عليه الحكومةَ الجزائريةَ إلا الحكومةُ

المسلمون والعالم





بقلم: حسن قطامش

الجزائريةُ نفسها؛ فهل يعني هذا أنه رقم قليل؟! أم أن هناك حسابات أخرى تسمو فوق الإنسان المسلم الذي أُنزلت مكانته إلى أسفل سافلين؟

تنقاضات الأزمة تفك طلاسمها:

ذكرتني هذه القصة السمجة، وهذا السؤال المكرور: « من القاتل »؟ بما كنا نطالعه صغاراً من الروايات البوليسية كـ « رجل المستحيل »، و« المخبر السري »، و« الشياطين الـ ١٣ »، ولكنني وجدت أننا لو سرنا على خطى هذه الروايات فقد نصل إلى معرفة « القاتل » من خلال طرح الأسئلة التالية والإجابة عنها:

١ ـ لا يشك أحد أن الحكومة الجزائرية تمتلك جيشاً قوياً جداً عدداً وعدة مقارنة بـ: العصابات المسلحة؛ وهذا الجيش هو صمام الأمان الداخلي والخارجي، فلا تدخل نملة ـ كما يقال على سبيل التمثيل ـ عبر الحدود إلا بإذنه، وقوام هذا الجيش حسب الأرقام الرسمية ١٨٠ ألف جندي، أضف إلى هذا العدد ٢٠٠ ألف رجل من المدنيين قد سلحتهم الحكومة للدفاع عن أنفسهم!! فهل الجيش لا يستطيع حماية المدنيين حتى يقوموا بهذا الواجب؟ وإن كان الأمر كذلك: فهل تلك « العصابات » تفوق في عددها الربع مليون مسلح، وهي مجرد « عصابات » اللهم إلا إن كانت الحكومة تعتبر أن بقية الشعب « عصابات »؟! ثم من أين كل هذا العتاد طيلة هذه السنوات مع أن « الجيش » يحرس الحدود!؟

٢ ـ إذا كانت هذه القوات الحكومية غير قادرة على القضاء على هذه العصابات، فلماذا ـ على غرار قصص الأطفال ـ لم يلفت نظر الحكومة أن هذه العصابات تركز هجماتها على مناطق محددة، وهي غالباً: « البليدة ـ ثلاثة ـ المدية » وهي المناطق المؤيدة لجبهة الإنقاذ، فلماذا لا تصنع لهم حفراً كبيرة عند

مدخل هذه القرى وتغطيها بالأسلاك وأوراق الشجر، حتى إذا حضر الأشرار سقطوا فيها، واستراح الناس منهم!!؟ خصوصاً أن هذه المناطق مليئة بالثكنات العسكرية للجيش!

٣ ـ لماذا لم تتمكن هذه العصابات من دخول مناطق البربر، أو الأحياء الراقية في العاصمة الجزائرية؟ ولماذا لم تستطع الوصول إلى المنشآت الحيوية، كمناطق الغاز والبترول التي تمد «الحكومة» بالطاقة والحياة!!؟

٤ ـ لماذا وفرت الحكومة الأمن لكل الناس وقت الانتخابات الرئاسية والنيابية والاستفتاء على الدستور حين أرادت ذلك؟

٥ ـ لماذا زادت حدة الذبح بعد إطلاق الشيخ عباسي مدني وعبد القادر حشاني مباشرة؟

٦ ـ لماذا ازدادت وحشية المذابح وارتفعت مأساويتها في شهر رمضان على الرغم من أن أشد الفئات المنسوبة إلى الإسلام تطرفاً لا يرون جواز انتهاك الأعراض في هذا الشهر المبارك على الأقل؟

٧ ـ أكدت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في نشراتها، وأكد عدد كبير من الضباط الفارين أن ما يسمى «الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر» مخترقة من الجيش بشكل كبير، وأنها صنيعة المخابرات، فلماذا تكون هذه الاتهامات هي الوحيدة التي لم تضمها الحكومة إلى قائمة الاتهامات الموجهة للجماعة المذكورة!؟

٨ ـ في يوم الأربعاء ٢٣/٩/١٤١٨هـ الموافق ٢١/١/١٩٩٨م ألقى رئيس الحكومة الجزائرية أحمد أويحيى خطاباً أمام المجلس الوطني تحدث فيه عن «الإرهابيين» فقال: «تركوهم يخرجون ويذهبون إلى أفغانستان، ليتدربوا ويعودوا إلى الجزائر من دون أن يمسهم أحد» ا.هـ.

السؤال: من يقصد بضمير الجمع في قوله «تركوهم».. من هم!؟ ولماذا لم يصرح بهم حقيقة ولماذا لا يكشفون؟

٩ ـ لماذا ترحب الحكومة الجزائرية وتهلل وتستبشر بكل من يبرئها من ارتكاب «المذابح» وترفض وترغي وتزبد وتتهم كل من تلفظ بكلمة اتهام لها بالقيام بـ «المذابح» باعتباره تدخلاً في الشؤون الداخلية، على الرغم من

المسلمون



والعالم



أن الحديث واحد عن: «المذابح»!؟

١٠ ـ في يناير ١٩٩٥م وقَّعت كل الأحزاب الجزائرية على ميثاق «سانت إيجيديو» في روما، وقدمت الجبهة الإسلامية للإنقاذ تنازلات مهمة، حيث تنازلت عن العودة إلى الوضع الذي أسفرت عنه انتخابات ١٩٩١م، كما تنازلت عن حقها بأنها تمثل الحكومة الشرعية في الجزائر، والتزمت بأن تتحول إلى معارضة سلمية كبقية الأحزاب مع اشتراط عدم تدخل الجيش في الشؤون السياسية، فرفضت الحكومة الجزائرية هذا الميثاق.

فلماذا رفضت الحكومة هذا الإجماع، وقبلت التدخلات الأوروبية!؟

من يتمكن من الإجابة على هذه الأسئلة فسيعرف قطعًا : «من القاتل».

موقف «الإنقاذ» من المذابح:

لعل أشد المذابح الأخيرة وحشية ـ حتى كتابة هذه السطور ـ هي مذبحة «غليزان» وهي إحدى الولايات التي أعطت أصواتها لمرشحي جبهة الإنقاذ في الانتخابات المحلية والنيابية، واتهمت الإنقاذ ما يسمى بـ : «الجماعة الإسلامية المسلحة» وجاء بعد تفاصيل الاتهام الذي أوردته نشرة «الرباط» التي نقلتها جريدة الخليج الإماراتية في العدد ٦٨٢٢ / ٢٤ / ٩ / ١٤١٨هـ : «إننا نعلن هذه المعلومات للملأ، لكي يعرف المسلمون سبب مذابح «غليزان» إننا نعارض النظام ونخاصمه، لكنَّ هناك فرقًا بين معارضة النظام والدفاع عن الإجرام».

الشرعية المرقعة:

إن من أهم المسلَّمات الضرورية التي ينبغي لأي نظام حكم أن يوفرها لشعبه، هو الأمن، لامتلاكه وسائل توفيره من عتاد وجنود ومال وموارد، وقد امتلك النظام الجزائري كل هذه المقومات لفرض الأمن، إلا أن الرعب والخوف والفزع هو الذي ساد، **وهذه الحالة لا تُخرِج النظام عن إحدى حالتين:**

الأولى: أنه على علم ورضى بما يحدث ـ ولن نقول إنه مشارك ـ فهو غير شرعي لعدم قدرته على فرض أهم الضروريات الإنسانية لشعبه.

الثانية: أنه عاجز عن مواجهة ما يحدث، فهو غير مناسب؛ لأنه يمتلك أسباب القوة ويعجز عن توظيفها لأمن الناس.

أضف إلى ذلك أن هذا النظام جاء «بانقلاب ديمقراطي» للمحافظة على الديمقراطية وإضفاء الشرعية المرقعة التي تمت بالشكل الآتي:

بعد إلغاء الانتخابات وإقالة الشاذلي بن جديد، جيء بالتيس المستعار، (بوضياف)، ولكن ما أن بدأت قرونه في الظهور حتى قطعوا رأسه، ثم جاؤوا بـ(الأمين زروال)، وخطط مع من يخططون لإضفاء الشرعية على النظام، فأعلن أنه سيُجري انتخابات رئاسية «حرة وديمقراطية» وفاز فيها زروال بـ(٦١٪)، وعقب الفوز دُعيت القوى السياسية في الجزائر ـ باستثناء جبهة الإنقاذ ـ لمناقشة الوضع في الجزائر ومستقبلها، وخلال عام ١٩٩٦م طلب الرئيس إجراء تعديلات دستورية لإعادة تشكيل البرلمان، وكان الهدف الواضح من تلك التعديلات هو الحيلولة دون حصول أي حزب إسلامي على قوة شبيهة بالتي حصلت عليها الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

وقام الجزائريون بالتصويت على تلك التعديلات في نوفمبر ١٩٩٦م وتبعاً لحكومة الرئيس فإن أكثر من ٨٥٪ من المقترعين ـ كما ادُّعيَ ـ أعطوا موافقتهم، وقد رفض العديد من الجزائريين تصديق هذه النتائج لملاحظتهم أن مراكز التصويت كانت خالية!!

وفي عام ١٩٩٧م أجريت انتخابات أخرى، وكانت هذه المرة برلمانية، غير أنه لم يكن مفاجئاً أن يفوز حزب الرئيس «المنتخب» بغالبية المقاعد.

الموقف العربي:

لقد جاء الموقف العربي الرسمي من مأساة الجزائر ليضع همّاً ثانياً على كاهل الشعب المسلم الذي لم يرَ منه نجدة ولا شهامة كالتي رأوها حين أوشكت الحيوانات على الموت في حدائق لندن، أو حتى من تلك الجمعيات العربية التي تنادي بالحفاظ على حياة حيوان (الباندا) في الصين أو النمر البنغالي في بنجلاديش، مع أن المسلمين في الصين يذبحون، وفي بنجلاديش يموتون جوعاً وبرداً!!

وقد أحسن الخبير في شؤون شمال أفريقيا بالأمم المتحدة، محمد محاميدو

المسلمون



والعالم



في المقال الذي كتبه في صحيفة لوموند الفرنسية، ونشرته صحيفة الأنباء الكويتية في عدد/٧٧٢٥/١٨/١١/١٩٩٧، حيث قال: لقد غاب العالم العربي بشكل يدعو إلى الدهشة والفضول عن المناظرة الدائرة حول مأساة الجزائر، رغم أن العالم يشعر بالتعاطف الشديد مع الشعب الجزائري المسكين.

لقد أصبح المصير الجزائري في ثنايا عقل وضمير الجميع ما عدا العالم العربي؛ حيث ساد اعتقاد متعمد عن غباء، مفاده: أنه لا داعي لإثارة الطبيعة الراديكالية للأحداث في الجزائر، فمن نواكشوط حتى بغداد يرثي العرب بألم حال الجزائر التي تُحتَضر ... ، إنه جو من الحيرة والتردد والتكتم والتناقضات تنبع أساساً من الخوف من « الأصولية ». والحقيقة أن المأساة الحالية التي تعيشها الجزائر تقض مضاجع الغرب.

لقد أصبح العالم العربي آثماً لتستره على ما يجري في الجزائر، ومن ثم تواطؤه مع طغمة عسكرية، ولا يمكن تفسير جو اللامبالاة المحيط بهذا الوضع في الجزائر على أنه يتم بدافع الخوف من انتشار عدوى « الأصولية الإسلامية ».

ونتساءل بكل مرارة: لماذا أقيمت المؤتمرات، وعُقدت الندوات لإنهاء اللبننة والصوملة حتى وجدت حلاً، وبقيت النماذج التي يتعمد الإساءة فيها للنموذج الإسلامي كأفغانستان والجزائر!؟ **إذا عرفت الإجابة على هذا السؤال، فستعرف كذلك: من القاتل الثاني لشعب الجزائر.**

أليس من المؤسف أن جامعة الدول العربية وأمينها العام لم يتقدموا حتى الآن إلا برسائل تضمانية تأييدية للحكومة الجزائرية!!؟

ثم تأتي ثالثة الأثافي من تلك النخب المثقفة من الإعلاميين والكتاب ورؤساء منظمات حقوق الإنسان العربية، الذين طالما سوَّدوا صحائفهم بمداد قلوبهم الأشد سواداً محذرين من خطورة كارثة ستحل بالجزائر إذا حكم الإسلام، ومنهم من واصل الكتابة ليلاً ونهاراً يحذر ويحذر حتى انجلت « الغمة الأصولية » ثم جاءت المذابح، فواصلوا إلصاقها « بالأصولية » حتى أسكت الله أفواههم بما تواتر من تقارير ـ إعلامية وليست رسمية ـ غربية تثبت غير ما

يثبتون، وعلى غير عادة القوم، لم يسارعوا إلى المصادر الغربية لمجاراتها فيما تقول، بل اكتفوا بفتح ملفات عن فضائح كلينتون الجنسية وأشباهها!

إن أولئك يصدق فيهم قول الله ـ تعالى ـ في اليهود والنصارى وغيرهم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال الشيخ السعدي: كتموا الحق وأظهروا الباطل وتجرؤوا على محارم الله وتهاونوا بحقوقه ـ تعالى ـ وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنًا قليلاً، وهو ما حصل لهم ـ إن حصل ـ من بعض الرياسات والأموال الحقيرة من سفلتهم المتبعين أهواءهم المقدمين شهواتهم على الحق[١].

بئس الوفد الموفود:

لا نعتبر مسألة التدخل في الجزائر سوى حلقة من تلك السلسلة الحديدية التي أحاطنا بها الغرب الصليبي، وهي كحلقات السحرة، يُسمعوننا كل يوم رنين إحداها، مما يختلف عن سابقتها ولاحقتها، وفي أسوأ الأحوال، فإنها أفضل من ذلك الصندوق الحديدي العربي المصمت الذي ليس له إلا صوت واحد، وكان أول الغيث الغربي زيارة وفد الترويكا الأوروبية في رمضان ثم تبعته زيارة وفد البرلمان الأوروبي في شوال ١٤١٨هـ. وقبل التطرق لأهداف الزيارة ونتائجها نستعرض مواقف الدول الغربية قبل تلك الزيارة بأيام قليلة ثم نتْبعه بالموقف الجزائري منها:

١ ـ وزير الخارجية الفرنسي، هوبير فيدرين: «إن المعلومات التي جمعها الأوروبيون لا تتوافق مع فكرة تورط الجيش الجزائري في المذابح التي تعرض لها المدنيون».

٢ ـ روبن كوك، وزير الخارجية البريطاني، وأمام النواب الأوروبيين في ستراسبورغ: «لا وجود لأي دليل يثبت ضلوع السلطات الأمنية في المجازر».

٣ ـ أما نويل مارين، مفوّض الشؤون المتوسطية في المفوضية الأوروبية فقد أكد اقتناعه بعدم ضلوع الحكومة الجزائرية في المذابح الأخيرة[٢].



---

(١) تفسير السعدي، ج١، ص ٣٠٢.
(٢) الحياة، ع/ ١٢٧٣٩، ١٩/٩/١٤١٨هـ.

٤ ـ رونالد نيومان، السفير الأمريكي السابق في الجزائر وعقب لقائه بالرئيس الجزائري قال: إن حكومة الولايات المتحدة وأنا بصفة شخصية نتمنى للرئيس زروال أن يحقق النجاح في مساعيه للسير قُدُمًا في الطريق الذي اختاره علانية.

٥ ـ روبرت بلليترو، مساعد وزير الخارجية السابق لشؤون الشرق الأوسط: إن الولايات المتحدة لا تضع الأزمة الجزائرية ضمن أولياتها، وليس لديها أي نية للتدخل بشكل مباشر، إن هذه الأزمة تخص فرنسا قبل كل شيء(١).

إن كان هذا هو الموقف الغربي قبل الزيارة الأولى وبعدها، وهو في حد ذاته إعلان مسبق عن نتائج زيارة تقصي الحقائق: فلماذا إذن إيفاد الوفود، وإرهاق المسؤولين!؟

قبل الإجابة، لا بد أن نطلع على المشهد الجزائري في هذه المسرحية حتى نتمكن من الدعاء بإخلاص لشعب الجزائر، فقد انحصرت مفردات الخطاب الحكومي المهاجمة للزيارة في الآتي:

أ ـ إن الاتحاد الأوروبي يوفر الملجأ للإرهابيين، ويجعل من أراضيه قاعدة خلفية لدعم وتمويل الإرهاب الدولي.

ب ـ إن أوروبا تريد ـ مهما كان الثمن ـ التدخل في شؤوننا الداخلية؛ لأنها لا تفهم الشفافية إلا من خلال وجود مراقبين أجانب على أرضنا.

ج ـ إنها ستكون مهزلة سيئة، وحوار طرشان.

لقد أوصل هذا الاستئساد الإعلامي وزير خارجية فرنسا إلى القول الأكثر تضليلاً: يجب أن لا نهمل فكرة أن الترويكا تمكنت من زيارة الجزائر!! ثم تبعه رئيس الوفد الأوروبي أندريه سولييه بقوله: للمرة الأولى طرحت أسئلة متعلقة بالمفقودين والتعذيب والإرهاب!! بل لقد زايد هذا مزايدة إعلامية فجة، عندما قام بتمزيق الرسالة التي أرسلتها جبهة الإنقاذ، دون أن يفُضها أمام كاميرات الإعلام، قائلاً: إننا لن نتعامل مع أحزاب محظورة.

وبعد كل هذه الملاطفة الغربية، وكل هذه العنترية الحكومية كانت نتائج هذه الزيارة الأوروبية ما يلي:

(١) الأنباء، ع/ ٧٧٩٢، ٢٦/٩/١٤١٨هـ.

المسلمون



والعالم

● أُعلن أن الزيارات لتقصي الحقائق والتحقيق في أسباب العنف وزيارة مواقع المذابح، ومقابلة عامة الناس والاستماع إليهم مباشرة، وهذا كله لم يتم منه شيء، فلم تقم الوفود إلا بزيارة الأحياء الجميلة في العاصمة، ولم يقابل إلا كبار المسؤولين، ولم يستمع لأحد سواهم!

● أُعلن أن الزيارات تأتي لمساعدة «الشعب الجزائري» للخروج من محنته، ولكن الزيارات جاءت لتُخرج «النظام الجزائري» من أزمته بإعطائه صك غفران وبراءة رسمية مما ينسب إليه، فقد صرح رئيس الوفد الأوروبي قائلاً: إن الوفد لم يجد ما يدعم الاتهامات القائلة بتورط قوات الأمن الجزائرية في المذابح الأخيرة، وإن على من يتهمون الجيش وأجهزة الأمن السري في الجزائر بالوقوف وراء عمليات القتل أن يقدموا أدلة على ذلك!!

● إمداد النظام الجزائري بما يحتاج إليه من مساعدات لمواجهة «الإرهاب الإسلامي» فما دام النظام بريئًا فإن غيره متهم، وهو بحاجة إلى مساعدة لإيقاف هذا المتهم ووقف هذا العنف. **وجاء هذا الدعم هذه المرة علانية بصورة فجة، ولكنه مستند إلى واقع زيارة تقصي الحقائق!!**

المسلمون والعالم



شنشنة معروفة:

لعله قد اتضح من عرض هذه المشاهد من المأساة الجزائرية مدى التآمر المزدوج على الشعب المسلم، ونختم هنا ببعض الإشارات التي توضح جليًا ما قلناه:

● **الأولى**: وهو ما نؤكد عليه دومًا وأبداً في صراعنا مع الغرب أنه صراع عقدي، مهما تلوَّن الصراع بالإنسانية أو القومية أو المتوسطية، والغرب لا يحركه في المقام الأول إلا العقيدة؛ وهذا ما لمسناه في مواقفه الظالمة من مأساة البوسنة والهرسك.

● **الثانية**: وهي دائمًا تأتي ثانية ونقصد بها المصلحة الغربية وطمعه في خيرات المسلمين، فلماذا كل هذه الثورة أمام طغيان النظام العراقي، والتسامح مع الطغيان الجزائري؟ لماذا قدمت بريطانيا هدية قيِّمة بقيمة ٦٣ مليون جنيه استرليني تمثلت بأسلحة ومعدات عسكرية للحكومة الجزائرية، مما جعل أحد النواب في البرلمان العمالي «بول فلين» يقول: (نحن نبدو وكأننا نزود هؤلاء



القتلة بالأسلحة على حساب الشعب) أم أن هذه الهدية عربون من أجل حماية خط النفط والغاز الذي سيمتد من الجزائر إلى بريطانيا، وستقوم على تنفيذه شركة « بريتين بتروليوم » بكلفة بليوني جنيه استرليني؟!

● **الثالثة**: الصراع الغربي ـ الغربي على هذه المصالح؛ فأمريكا ترفض التدخل لاعتبار أعلنه أحد تقارير السفارة الأمريكية في الجزائر، وهو أن الجزائر لم تحدد هويتها!! وتقصد بالهوية، المعسكر الذي تبيت فيه، فهل تسير في اتجاه العالم الفرانكفوني، أم العربي الإسلامي، أم أمريكا!!؟ ولذلك فقد تركت الملف برمته لفرنسا؛ لأنه يخصها، ليس حبًا في فرنسا، ولكنها تعلم أن **فرنسا ستعجز عن الحل، وهذا العجز سيأتي بمصلحة مزدوجة لأمريكا من ناحيتين:**

أولاهما: استمرار الأزمة الجزائرية التي يستمر معها التشويه المتعمد للإسلام، وهذا هو الأهم.

ثانيهما: تأديب الدول الدائرة في الفلك الفرنسي حتى الآن، نائية بنفسها عن القطب الوحيد في العالم.

● **الرابعة**: أن التدخل الغربي لا يكون إلا في حالات محددة معروفة وهي:

١ ـ إذا لاحت تباشير نصر للمسلمين؛ وهو ما حدث في البوسنة.

٢ ـ إذا تأثرت مصالح الغرب بصورة مباشرة؛ وهو كما حدث في حرب الخليج.

٣ ـ إذا هُدد الأمن الداخلي له وانتقل الصراع إليه؛ كما حدث مع فرنسا في التفجيرات التي حصلت في مدن عدة، وكالخوف من المخاطر التي يسببها تزايد أعداد المهاجرين.

٤ ـ استنفاد أسباب التدخل لمساعدة نظم موالية، مع جلاء جرمها ووضوحه، فيأتي الدور الإعلامي الغربي ليضغط بكشف بعض « الحقائق »، فيتدخل لتقصي « الحقائق » والأهداف معروفة.

وعلى الرغم من كل هذا التواطؤ؛ فأملنا في العزيز القهار أن يرفع الظلم عن هذا الشعب المسلم، وما زلنا وسنظل نردد قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [المجادلة: ٢١].

من أسقط (الرفاه) ولماذا؟

بعد أن استلمت قيادة حزب الرفاه الإسلامي الوزارة في تركيا، بعد فوزها بالانتخابات البرلمانية ظلت تمشي على حقل من الألغام السياسية المحفوف بجدران من الأشواك الدبلوماسية.. فهكذا أرادها لهم العلمانيون الأتراك... تجربة وعرة تمر عبر مخاض عسير وولادة أعسر... ثم يموت الجنين بعد حين.

وقد جاءتنا هذه الدراسة من الدكتور محمد حرب، لتلقي ضوءاً على أبرز القوى والعقبات التي وضعت في طريق هذه التجربة القصيرة. **ـ البيان ـ**

القوة الأولى: الجيش:

يأتي في المقدمة **الجيش التركي** الذي يحمل رسالة تاريخية في الجمهورية التركية هي المحافظة على أسس قيام الجمهورية التي أعلنها بمبادئها (كمال أتاتورك) والتي تلتزم بالعلمانية في مفهومها الأصلي الأوروبي الذي أخذه (أتاتورك) وهو فصل الدين عن أمور الدولة.

لكن التطبيق التركي للعلمانية أخذ بُعداً آخر عندما قال أتاتورك في مجلس الأمة التركية عام ١٩٣٧م: إن الدولة التركية ستأخذ في بنائها بالعلمانية ولن تلتفت إلى ما (يُظَن أنه كتب نزلت من السماء)! و(لن تأخذ بالغيبيات) وذلك ما سجلته مضبطة مجلس الأمة التركي آنذاك.

لهذا يسعى الكماليون إلى تطبيق العلمانية في تركيا تطبيقًا تركيًا محليًّا يأخذ موقفًا عدائيًا من الدين، فعلى سبيل المثال نجد أن أتاتورك ألزم الشعب التركي بالقبعة الأوربية، وفي سبيل تطبيق ذلك أعدم عدداً من العلماء الذين كانوا قد أصدروا فتوى بعدم جواز لبس القبعة الأوروبية، قبل صدور أمر

المسلمون



والعالم

بقلم: د. محمد حرب (*)

المسلمون



والعالم

أتاتورك في هذا الصدد.

وبحكم الدستور التركي فإن هناك « مجلس الأمن القومي » ويتكون من قادة الجيش وأعضاء الحكومة للمحافظة على أسس الدولة التركية العلمانية، ويمكن لهذا المجلس إصدار « توصيات » أصبحت بالضرورة أوامر.

ويبدو أن الجيش لم يفهم الحركة الإسلامية بعامة وحركة حزب الرفاه بخاصة؛ فنقدُ الجيش للرفاه أنه حزب يريد جعل تركيا تسير وفق الشريعة الإسلامية فإن هذا يعارض العلمانية، والواقع أن حزب الرفاه يدرك جيداً أن تركيا دولة مؤسسات، وهو يصبو إلى مجتمع مسلم، وهو حزب وصفه (مسعود يلماظ) رئيس الحكومة الحالية بأنه حزب « له ميول إسلامية » وما نادى به الرفاه لا يرقى إلى مستوى أن تتحداه الدوائر العسكرية.

والرفاه لم يصل إلى السلطة إلا بعد مسيرة ٢٧ عاماً منذ تأسيس حزب (النظام الوطني) الذي أسسه (أربكان) عام ١٩٧٠م ثم حزب (السلامة الوطني) ثم (حزب الرفاه) المهدد الآن بإغلاق أبوابه بل الذي أُغلق فعلاً [١].

(*) رئيس مركز بحوث العالم التركي بالقاهرة.

(١) في ١٨ / ٩ / ١٤١٨هـ، قررت ما يسمى بالمحكمة الدستورية في تركيا حل حزب الرفاه بدعوى قيامه بأنشطة مناهضة للعلمانية مع حرمان رئيسه (نجم الدين أربكان) وخمسة من زملائه في الحزب من حقوقهم السياسية لمدة خمس سنوات مع حرمانهم من عضويتهم البرلمانية المنتخبة!! وقررت المحكمة مصادرة ممتلكات الحزب كلها ووضعها في تصرف خزينة الدولة. =

ولم يكن الإسلام السياسي ـ إذا جاز هذا التعبير ـ مضاداً للقوات المسلحة ولا حتى مضاداً للعلمانية نفسها؛ فقد كتب (نجم الدين أربكان) في كتابه « النظرة الوطنية » : (إنه يقبل بالعلمانية بشرط ألا يفهم منها اضطهاد المسلمين)! والجيش التركي هو الذي أجهض انتصارات الرفاه.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يتدخل فيها الجيش؛ فقد تدخل بانقلابه عام ١٩٦٠ عندما شعر أن هناك « اتجاهات إسلامية » داخل الحزب الديمقراطي، وكان الجيش قاسيًا عندما أعدم (رئيس الوزراء عدنان مندريس) في ذلك الوقت مما جعل الشعب التركي يعتبره « شهيداً » رغم أنه لم يقدم للحركة الإسلامية ما يستوجب الشهادة إلا بعض « سماح » يتعلق بالأذان وكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم، والسماح لنمو طبقة الحرفيين بعد أن كان حزب الدولة ـ قبله ـ يتولى أمور اقتصاد البلاد. ورغم هذا، يُذكر أن (عدنان مندريس) هو الذي أصدر « قانون حماية أتاتورك » الذي يعتبر سيفًا مسلطًا على كل من تسوِّل له نفسه نقد أتاتورك وأعماله.

وقام الجيش بانقلاب عام ١٩٧١م ثم ١٩٨٠ ثم ١٩٩٧م وجاء تدخله عام ١٩٩٧م، مختلفًا ولم يكن انقلابًا عسكريًا تقليديًا؛ نظرًا لأن تركيا كانت تسعى للتقارب مع الاتحاد الأوروبي، فضلاً عن وقوف (أولبرايت) لتعلن ـ وقتها ـ أن أمريكا ضد تدخل العسكريين عمومًا، وذلك بعد أن سربت وزيرة الداخلية ـ (تابعة لحزب تشيلر ـ في حكومة أربكان) للأمريكان نتائج تجسس الداخلية التركية على ضباط الجيش ورغبتهم في القيام بانقلاب. لم



= وقال المدعو (أحمد نجدت) رئيس المحكمة للصحفيين: (إن القرار اتخذ بأكثرية ٩ أصوات في المحكمة ضد ٢ والتي تضم ١١ عضواً) وتم تنفيذ القرار وأغلق الحزب أبوابه في فبراير / ١٩٩٨م. ــ وكالات الأنباء ــ



يقع انقلاب تقليدي وإنما أصدر (مجلس الأمن القومي التركي) - جناح قادة الجيش - بيانًا دعا فيه إلى إغلاق مراكز (الطرق الصوفية التركية) باعتبارها مقاومة في نظرهم للإجراءات المضادة، ودعا إلى جعل التعليم الإلزامي العلماني لمدة ثماني سنوات بعد أن كان خمس سنوات، وإلى مراقبة مصادر تمويل تلك الطرق من شركات وجمعيات وأوقاف، ومنع الكوادر الإسلامية من دخول مؤسسات الدولة الرسمية كموظفين، ومنع استخدام الضباط وصف الضباط المفصولين من الجيش لأسباب إسلامية في البلديات، وجعل تدريس القرآن الكريم تابعًا لوزارة التعليم، التي لم تكن في يوم من الأيام في يد وزير إسلامي، والتشدد في تطبيق (قانون الزي) الذي يمنع المرأة التركية من ارتداء الحجاب والرجل التركي من لبس العمامة أو الجبة.

القوة الثانية: الحكومة التركية:

الحكومة الحالية برئاسة مسعود يلماظ (رئيس حزب الوطن الأم) الذي يعتبر نفسه زعيم اليمين التركي، هي الحكومة التي خلفت أربكان وتشكلت من ٣٨ وزيراً يمثلون ٣ أحزاب: حزب الوطن الأم (حزب يلماظ) وقد حصل على ٢١ وزيراً ؛ وحزب اليسار الديمقراطي الذي يرأسه بلند أجاويد (١١ وزيراً) وحزب تركيا الديمقراطية الذي يرأسه جين دوروك (٥ وزراء) ووزير واحد مستقل. فالحكومة هي الوجه الآخر المضاد للحركة الإسلامية في تركيا وذلك لوجود رموز معادية للإسلام بشدة داخلها: فوزير خارجية الائتلاف الحكومي في تركيا هو الصحفي البارز (إسماعيل ابكجي) وهو ينتسب إلى (عائلة ابكجي) ولها تاريخ في تركيا، فهي أسرة تنحدر من يهود الدونمة، ووزير الدفاع في هذه الحكومة (عصمت سزكين) الذي تقول المراجع إنه كان قد استوزر أول مرة في حكومة يرأسها سليمان دميريل في تركيا عام ١٩٦٥م.

وكان بها ١٣ وزيراً ماسونياً والمذكور واحد منهم.

والوزير المستقل في هذه الحكومة (ياليم أرز) كان يرأس سابقًا مجلس العمل التركي ـ الإسرائيلي المشترك.

وتضم الحكومة (بلند أجاويد) نائب رئيس الوزراء والمعادي بشدة للإسلاميين.

هذا غير ما يتردد من أن النائب الثاني لرئيس هيئة أركان حزب الجيش التركي (جويك أر)، هو المحرك الأساسي للعلاقات العسكرية التركية الإسرائيلية والذي حصل من جمعية أتاتورك بالولايات المتحدة الأمريكية على جائزة العلمانية والديمقراطية، هو من (الطائفة العلوية في تركيا)[1].

ثالث القوى: رئيس الجمهورية:

الرئيس الحالي سليمان دميريل معروف بماسونيته وصداقته لإسرائيل؛ وقد حضر مؤتمر شرم الشيخ (مع الوفد الإسرائيلي) على طائرة واحدة متحدياً الشعور الإسلامي في تركيا.



صحيح أن سليمان دميريل حكم كرئيس لوزراء تركيا سبع مرات في عهد الجمهورية من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٧ ومن ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠ ومن ١٩٧٠ إلى ١٩٧١ ومن ١٩٧٥ إلى ١٩٧٧ ومن ١٩٧٧ إلى ١٩٧٨ ومن ١٩٨٠ إلى ١٩٨١ ومن ١٩٩٢ إلى ١٩٩٣ أقام أثناءها ٣٢٧ مدرسة للأئمة والخطباء، إلا أنه قام بما يمكن تسميته بالانقلاب الرئاسي، وكان ذلك عندما أشار مجلس الأمن القومي بالضغط على أربكان للاستقالة بعد أقل من سنة من تشكيله

---

(١) العلويون في تركيا هم الفئة الباطنية التي لا تمت في معتقداتها ومبادئها للإسلام. ولمزيد من الأضواء على حقيقتهم انظر إلى (العثمانيون ـ التاريخ والحضارة، د. محمد حرب) ومن أشهر رموزهم الأديب الملحد (عزيز نسين). ـ البيان ـ



الحكومة الإسلامية الأولى في تاريخ الجمهورية التركية ليتيح له تنفيذ وعده لشريكته في الحكم الدكتورة (طان صو تشيللر) لتخلفه في رئاسة الحكومة، وأرفق أربكان استقالته بطلب تولي تشيللر رياسة الوزارة حسب بروتوكول التعاون بينهما، كما قدم أربكان عريضة موثقة من ٢٨٣ نائباً هم نواب حزب الرفاه وحزب الطريق القويم وحزب الوحدة الكبير، وكانت الأغلبية المطلوبة هي ٢٧٦ نائباً فقط لكن الرئيس (سليمان دميريل) تجاهل مطلب أربكان وتجاهل العريضة المذكورة وكلف (مسعود يلماظ) بتشكيل الوزارة، وكأن الأمر قد قضي بليل.

رابع القوى:

فئات منسوبة للإسلام تتمثل في (مجموعة الشيخ فتح الله خوجه) من (النورسيين) وغيرهم. تقول المخابرات الأمريكية في تقرير هام لها عن تركيا، تمت ترجمته بعد نشره إلى اللغة التركية، إن القوى الأساس الإسلامية في تركيا هي الآتي:

١ ـ النقشبنديون:

وهم أتباع الطريقة النقشبندية التي اشتهرت بمواقفها المناوئة منذ بداية العهد الجمهوري، وقد أعدمت الحكومة الكمالية العديد منهم، ولما حصلت الانفراجة الديمقراطية في تركيا في الأربعينات بعد موت أتاتورك واضطرار (إينونو) إلى تعدد الأحزاب، تمتع المسلمون بقسط ما من الحرية النسبية، هذه الحرية التي لم تتأكد إلا منذ ٢٧ عاماً فقط هي عمر بداية أربكان مع العمل السياسي. وقد أفرزت إحدى حلقات النقشبندية في استانبول وهي جماعة محمد زاهد أفندي شيخ جامع إسكندر باشا في حي الفاتح باستانبول، مجموعة أربكان وصحبه.

٢ ـ السليمانيون :

وهم تلامذة الإمام سليمان حلمي طوناخان الذين يقولون إنه لا عودة للإسلام إلا بانتهاج اللغة العربية ونشر تحفيظ القرآن ودراسة العلوم الإسلامية بلغتها العربية.

٣ ـ النورسيون :

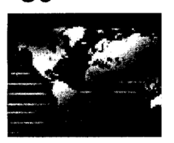
أتباع بديع الزمان سعيد النورسي الذي اعتمد على الفلسفة وعلم الكلام طريقًا منظمًا ومنطقيًا للتدليل على التوحيد والإيمان لإعادة الإسلام إلى تركيا، وجمع أتباعه كل ما كتبه أو أملاه في ثمانية مجلدات باسم: (رسائل النور) هي كل زاد أتباعه.

وقد انقسم النورسيون بعد موت شيخهم إلى عدة طوائف: طائفة تقول: نتدارس رسائل النور التي ألفها النورسي بخطها العربي، وأخرى تقول: بل ندرسها بالحرف اللاتيني. لكن أهم طوائف النورسية:

جماعة محمد قوطلولار، وتسمى جماعة جريدة آسيا الجديدة، ثم جماعة سوزلر أو جماعة فارس قايا، وأخيراً جماعة إزمير أو جماعة فتح الله.

وكلها تعمل لهدف واحد وهو نشر رسائل النور التي ألفها أستاذهم بديع الزمان سعيد النورسي بمختلف الوسائل، وتقديم شروح لها وكتب عنها ومؤتمرات، ومسابقات، والهدف نشر فكر الرجل وإشاعته في العالم الإسلامي. وهي جهود يتعاون فيها دعاة رسائل النور من ناحية والتاجر النورسي الذي لا يبخل شأنه شأن الأتراك في قضايا الإسلام.

المسلمون



والعالم

عود على بدء:

إن جماعة النور أو النورسيين يؤمنون إيمانًا قاطعًا بقول مرشدهم في كل الأمور بلا نقاش؛ يقول النورسي: إنه لا مجال لقيام حزب سياسي إسلامي



طالما أن عدد المسلمين المخلصين للإسلام في بلد ما لم يبلغ ٧٠٪ إلى ٨٠٪ من مجموع السكان، لذلك أخلص النورسيون لهذا المبدأ، وبالتالي وقفوا عائقاً أمام نمو حزب الرفاه بأشكاله الثلاثة حتى الآن: النظام ـ السلامة ـ الرفاه.

وبلغ عداء النورسيين للحركة السياسية الإسلامية أن قال لي أحد مديري تحرير جريدة (زمان) التابعة للنوريسيين فرع فتح الله خوجه: إننا لن نسمح لأربكان بالنجاح في الانتخابات التشريعية أبداً بعد نجاحه في انتخابات البلديات، ومع هذا فقد نجح أربكان.

وأذكر أيضاً أن جماعة أزمير (فتح الله خوجه) قد عملت على إسقاط مرشح حزب السلامة عن أزمير في السبعينات وهو (طورغوت أوزال) الذي أصبح فيما بعد رئيس الجمهورية التركية.

واللافت للنظر أن النورسيين رغم عدائهم للحركة السياسية الإسلامية وادعاء بعض فروعهم بعدم العمل بالسياسة، فهم غالباً وبخاصة جماعة فتح الله خوجه وجماعة قوطلولار يؤيدون وبحماس (سليمان دميريل) وحزبه (العدالة) أولاً، ثم الطريق القويم ثانياً، حتى أصبح رئيساً للجمهورية.

بعد ذلك أيدت بعض أفرعه (طان صو تشيللر)، ووصل الأمر بفتح الله خوجه أن هاجم أربكان ووقف بجانب الجيش ضده، في وقت كان أربكان في أشد الحاجة لوقفة مؤيدة أو على الأقل الصمت؛ وهذا ما يؤكده الحديث النبوي الصحيح: «من كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» !، فأين منه هؤلاء القوم؛ هدانا الله وإياهم إلى الحق.

تعقيباً على هذا، نجد أن المدعي العام التركي قد استمع إلى أقوال نجم الدين أربكان في دفاعه ضد الاتهام الذي يرمي إلى إغلاق حزب الرفاه. والغريب أن من بين التهم التي وجهت إليه، فتحه لمدارس الأئمة والخطباء

وهي المدارس التي تعتبر منبعًا لكوادر جديدة شابة لحزب الرفاه، وكان دفاع أربكان أنه لكي يفتح مدرسة للأئمة والخطباء لا بد من قرار من وزير التعليم، وأن المرات التي اشترك فيها أربكان في الحكم أو رأس فيها الوزارة، لم يسمح لأحد من الرفاه بتولي وزارة التعليم. وبالتالي فهو بريء من هذه التهمة.

أما في حالة اتخاذ المحكمة قرارها بإلغاء حزب الرفاه فسيكون الرفاهيون جاهزين بمشروع حزب جديد بمسمى جديد لا يتغير فيه إلا المسمى فبدلاً من الرفاه سيكون الفرح، ويظهر هذا في الحروف اللاتينية أوضح RAFAH تصبح FARAH وآخرون يقولون: بل نسميه حزب السعادة، ويبدو أنهم سيستقرون على مسمى: «حزب الفضيلة».

خامس القوى:

الفعاليات الديمقراطية والعلمانية القائمة: والتي تدعمها وسائل الإعلام بكافة أشكالها المقروءة والمسموعة والمرئية. إن كل المؤسسات والآليات العلمانية تقف في مواجهة حزب الرفاه (الإسلامي) وهذا لا يعود بالدرجة الأولى إلى ما يدعيه العلمانيون من (راديكالية) أو أصولية الإسلاميين في تركيا؛ فالتجربة عبر ٢٧ عاماً من العمل الإسلامي أثبتت حتى بشهادة المحاكم أن ليس لإسلاميي تركيا صلة بالإرهاب ولا صلة بالأصولية بالمعنى الأوروبي، ولا صلة بأحداث العنف، وإنما يقف العلمانيون بمؤسساتهم كلها خاصة الأحزاب التركية القائمة الآن ضد الإسلام بالمعنى الشرعي، وينسون اعتدال الحركة الإسلامية في تركيا. والأغلب على الظن أن موروث معاداة الإسلام لدى الأحزاب التركية باستثناء ٣ أحزاب من مجموعها يأتي من الفهم الكمالي الأتاتوركي للإسلام، ويأتي من ليّ عنق الجواد الأناضولي؛ يعني شبه جزيرة الأناضول التي تشكل ٩٠٪ من مساحة تركيا الجغرافية أو أكثر قليلاً،





من وجهته نحو الشرق ليتجه إلى الغرب: أوروبا وأمريكا بحجة (أوروبية) تركيا! وليس في تركيا من أوروبا إلا ١٠٪ من مساحتها أو أقل قليلاً.

يعني أن دولة عاصمتها أنقرة في قلب آسيا الصغرى تجري فيها اجتماعات سياسية لتوكيد شخصية تركيا (الأوروبية)؟ كيف؟

أما الأحزاب العلمانية التركية القائمة على مختلف أشكالها فلها مواقفها المناقضة للتوجه الإسلامي فهي كما يلي:

- حزب النهج القويم وترأسه الدكتورة طان صو تشيللر.
- حزب الوطن الأم ويرأسه مسعود يلماظ.
- حزب تركيا الديمقراطية ويرأسه حسام الدين جن دوروك.
- الحزب الديمقراطي الاجتماعي يرأسه بلند أجاويد.
- حزب الشعب الجمهوري ويرأسه دنيز بايقال.
- حزب الحركة القومية التركية ويرأسه دولت باغجه لي.
- حزب العمل ويرأسه دوغو برين جك.
- حزب هادَبْ ويرأسه مراد بوزلاق.

أما الأحزاب ذات الاتجاه الوطني وغير المعادية للإسلام ولديها روح دينية نوعًا ما فهي:

- الحزب الديمقراطي الجديد ويرأسه حسن جلال كوزال.
- حزب الوحدة الكبرى ويرأسه محسن يازيجي أوغلو.
- والحزب الديمقراطي ويرأسه قورقود أوزال.

والجدير بالذكر هنا أن حسن جلال كوزال رئيس الحزب الديمقراطي الجديد أثبت إنصافه عندما اعترض على جنرالات الجيش التركي واتجاه الدولة التركية لإلغاء حزب الرفاه بقيادة نجم الدين أربكان، وقال: إنه لا يمكن أن

تكون في تركيا ديمقراطية مع إلغاء حزب يعمل بالفعل ومعترف به ويمثل قطاعًا هامًا من الشعب في تركيا. وتعرض حسن جلال كوزال من جراء دفاعه عن حق الرفاه في البقاء والوجود إلى اعتقالات متواصلة.

كما ينبغي تسجيل موقف (محسن يازيجي أوغلو) الذي جعل من حزبه أداة لديمقراطية تركية تؤمن بوحدة الأتراك وبدينها الإسلامي وقال رأيه صراحة: إن الديمقراطية معناها عدم التدخل في الشؤون الديمقراطية، بمعنى أن مهمة الجيش هي الدفاع الخارجي عن الوطن وليس التدخل الداخلي، وإعطاء الناس حقهم في التصويت الحر، وأن التدخل في إرادة الأمة هو تدخل في الديمقراطية.

تذييل على المقالة(*):

الحقيقة التي ظهرت للقارئ الكريم من خلال هذا العرض السريع تؤكدها رؤية صحيفة تركية علمانية هي (دتركيش ديلي نيوز) بعد إغلاق حزب الرفاه (وتحت عنوان: نظام الدولة يتساقط): قالت: «إن إغلاق (الرفاه) كان قرارًا سياسيًا وليس قضائيًا؛ لأنه كان يتعين طبقًا للمادة (١٠٣) من قانون الأحزاب السياسية تحذير الحزب عدة مرات من الأخطاء التي يقع فيها قبل رفع دعوى لإغلاقه، وهو ما لم يحدث في هذا الموضوع؛ ولذلك فإن قرار إغلاقه يُعد انتهاكًا للقانون. وأشار المقال إلى عجز النظام القضائي وتورط كبار المسؤولين في الدولة في عمليات تجارة المخدرات والفساد والرشوة مما يؤكد تساقط نظام الدولة مع حيلولته دون إجراء إصلاحات جذرية في مناخ ديمقراطي لتفادي قيام الجيش بالعمل غير المسوَّغ بالنسبة لنا (التدخل) وهذا ما ثبت إخفاقه في الانقلابات العسكرية التي وقعت من قبل».

(*) عن صحيفة (الرياض العدد ١٠٨٠٤، الصادر في ٢٤/٩/١٤١٨هـ.

المسلمون



والعالم

مفارقات:

بعد قرار حل حزب الرفاه: أدانت هذا القرار كثير من الدول وبخاصة دول الاتحاد الأوروبي التي رأت فيه انتكاسة خطيرة للديمقراطية التي كانت تركيا في طريق الوصول إليها،كما رأوا في القرار نفسه عائقًا جديداً أمام انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي لا سيما أن حزب الرفاه ليس حزبًا هامشيًا بل هو صاحب الأغلبية البرلمانية وصاحب الشعبية الجارفة.

والأعجب من ذلك صمت القبور من قِبَل بعض من يُعتَب عليهم حيال هذا القرار الجائر، وكأن الإنصاف لا يأتي إلا من قِبَلِ الأجانب؛ فيا لله للإسلام، ويا لله للمسلمين.

- البيان -



في دائرة الضوء

حتى لا ننساق وراء لعبة الردود

بقلم: د. محمد يحيى

في قول مشهور وصف فيه نابليون الإنجليز بازدراء بأنهم أمة من أصحاب المحلات. وقد عَنَّ لي في لحظة ضيق أن أصف أمتنا تندراً ومبالغة بأنها أصبحت أمة من «الردَّادين» من الرد والردود. وقد طاف هذا الخاطر في ذهني بعدما قرأت توصية مهمة صدرت عن ندوة عقدتها مؤخراً هيئة دينية كبيرة في بلد عربي تنص على ضرورة إنشاء مراكز متخصصة في الرد على كتابات المستشرقين في كل بلد إسلامي؛ وكأن الرد على المستشرقين قد أصبح من فروض الكفاية، وقد زاد من عجبي أن رئيس هذه الجهة الدينية نفسه قد صرح في الفترة ذاتها بأن المستشرقين قوم من أصحاب الرأي الموضوعي وقليلاً ما يتحيزون أو يتعصبون! إذن فما الحاجة إلى مراكز كبرى متخصصة ترد على هؤلاء الناس الذين يقول عنهم رئيس الجهة المشار لها: إنهم علماء دارسون للإسلام؟ والقضية التي تشغلني هنا هي ذلك الانشغال الغريب والاقتصار المعيب والانغلاق على المستشرقين وكأنهم أصبحوا محور الكون الذي يحتكر لنفسه كل الانتباه رداً عليهم أو إعجاباً بهم.

إن السنوات القليلة الماضية قد شهدت ظاهرة الانشغال بالعلاقة مع الغرب والتمحور حولها إلى حد أن الهمَّ المقيم لبعض أو كثير من الهيئات الدينية الإسلامية الرسمية قد أصبح عقد المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية حول العلاقة بين الإسلام والغرب ـ والمستشرقون في القلب من هذه العلاقة ـ وكأنه لم يعد هناك للمسلمين من همٍّ آخر، أو كأنه لا يوجد على وجه الأرض غير الغرب

والمستشرقين! وإذا كنا نرى في هذا التمحور غرابة؛ فالأغرب منه أن العلاقة بين الإسلام والغرب كما تراها هذه الهيئات الرسمية ومَنْ وراءها مِن دوائر ذات نفوذ ثقافي وسياسي في الحكومات والأنظمة تنحصر في شكل عجيب هو شكل الرد والدفاع من جانب، وتوجيه التهم المختلفة من الجانب الآخر.

إن الإسلام يقف في تلك العلاقة في موقف المتهم المريب الذي تصوَّب إليه التهم الواحدة تلو الأخرى وبتكرار ممل حتى لا يصبح أمامه سوى أن يتحول إلى تلميذ يجلس في خشوع أمام أستاذه الغربي ويرد باستمرار على أسئلته واتهاماته، وهذا هو ما عنيته بعبارة: «أمة من الردادين».

والمسألة خطيرة وجادة وليست هزلية؛ فإن الوقوف الدائم في وضع المتهم المدافع عن نفسه والرد على الاتهامات التي لا تنقطع يحوِّل الآلة الفكرية والعقلية الإسلامية ومعها الذهن المسلم إلى حالة شاذة يُشل فيها التفكير ومرونته وتنعدم فيها تعددية الأفكار وتنوعها، وتنمحي الطروح الإيجابية بحيث لا يصبح لدى هذا العقل المسلم ما يطرحه أو يفكر فيه سوى ردود مكررة مملة على اتهامات مكررة مملة. وحصر الذهن أو العقلية في وضع واحد لا تعرف سواه هو في وضع الرد السلبي بكل محدوديته ورتابته يصل بنا في الواقع وفي نهاية المطاف إلى إلغاء العقل نفسه ومعه إلغاء الطرح الإسلامي الإيجابي الواسع بكل منهجيته وشرائعه وإسهامه في الحضارة الإنسانية؛ وهذه هي الخطورة الحقيقية لموقف الرد الدائم على التهم التي توجه من الغرب سواء جاءت من الإعلام أو المستشرقين.

إن أي نظرة ولو سريعة على العقائد والمذاهب الفكرية والدينية والفلسفية - في الغرب نفسه وفي غير الغرب - تظهر أن الجانب الدفاعي أو جانب الردود لم يكن يشغل إلا حيزاً صغيراً فيها على الرغم من أن بعضها أو كلها مهلهل بالعيوب والنقائص في المضمون والمنطق. وهذا الحيز الدفاعي لم يكن يظهر إلا حين تظهر الضرورة الملحة له وبقدرها؛ لكنه بأي حال لم يتحول إلى الجانب الأصيل والأساسي أو الأوحد من جوانب العقيدة والفكرة كما يراد الآن للإسلام. وجانب الردود

في دائرة الضوء

والدفاع تراعى فيه اعتبارات لا تراعى عند هؤلاء الذين يريدون أن يحولوه إلى الجانب الوحيد للفكر الإسلامي؛ فهو في الوضع الطبيعي كما عهدناه في الفلسفات الغربية ذاتها يميز بين اتهامات وانتقادات يحسن الرد عليها لأهميتها وبين أخرى تهمل لتفاهتها ووضوح التعصب والغرض وراء طرحها. وهو كذلك لا ينحصر في التعامل الدائم مع تهم تكرر بشكل أبدي بل يكتفي بالرد على التهمة الواحدة مرة واحدة وبشكل مقنع وقاطع، ولا ينساق وراء لعبة الرد المتكرر على التهم نفسها وهي اللعبة التي تروج الآن على الوسط الإسلامي بهدف الإشغال والتحويل عن الواجبات الفكرية الأكثر أهمية وإلحاحًا. والجانب الدفاعي أو جانب الردود في الفلسفات والمذاهب يأنف من انتهاج المدخل الاعتذاري المتراجع أو من اتباع أسلوب تقبل حجج المهاجمين ومنطقتهم، ثم محاولة الرد عليها بعد فوات الأوان؛ لأن تقبل منطق الخصم ومبادئه الفكرية يجعل الرد غير ذي قوة أو معنى، بل يفرض الهزيمة منذ البداية على الطرف المدافع. لكن كل هذه العيوب نلمحها الآن في ممارسات «الردادين» الجدد الذين يريدون أن يحتكروا ساحة العمل الفكري الإسلامي لأنفسهم.

إنني لا أطالب بأن تترك الاتهامات والانتقادات التي توجه للإسلام في الغرب أو من الفئات العلمانية داخل البلدان الإسلامية بدون أن يرد عليها؛ فالرد مطلوب، ولكنْ بهدف التوضيح والإفهام، وأيضًا بهدف قطع الطريق على أي بلبلة قد تحدث في أوساط المسلمين نتيجة للإلحاح على هذه التهم والانتقادات وطرحها من خلال أوسع أجهزة الإعلام والتعليم ذيوعًا وتأثيرًا. الرد مطلوب بلا شك ولكن لهذه الأهداف وليس ـ كما نلحظ الآن على الساحة الإسلامية ـ لأهداف أخرى؛ وهذه الأهداف الأخرى تشمل مجاراة الغربيين في تصوراتهم أو علمنة الإسلام والخروج بنسخة منه تتماشى مع الفكر العلماني اللاديني، كما تشمل بث الدونية في نفوس المسلمين وإشعارهم بأن الغرب متفوق عليهم دومًا في الفكر والنظر، وأن دورهم الوحيد ينحصر في تحسين صورتهم أمامه والرد على انتقاداته

وتعديل مناهجهم وشرائعهم بل وعقيدتهم! حتى تتماشى مع ما يريد الغرب ويعجب به وهو القدوة الأعلى للمسلمين كما يراد الآن. وهناك أهداف أخرى مغرضة لهذه العملية الفكرية ومنها: استمرارية ترسخ التبعية للغرب بفكره العلماني أو الصليبي؛ بحيث يتصور المسلم العادي أنه لا فكاك من الغرب، ولا مناص من الدخول معه في علاقة التبعية الفكرية علاقة التلميذ الخائب بالأستاذ المعلم، وهناك الهدف الأهم والأكبر وهو هدف تنحية الدعوة لعقيدة الإسلام وهو الواجب الإسلامي الأصيل؛ فالمسلمون يراد لهم الآن من جانب «الردادين» أن ينشغلوا عن واجب الدعوة الإسلامية التي تتزايد حاجة البشرية إليها بل وفي الغرب نفسه قبل غيره. وهم ينشغلون عن واجب الدعوة الأصيل بلعبة فكرية لا معنى لها؛ فبدل عرض الإسلام على الغربيين فإذا بالمسلمين في ظل لعبة «الردادين» يتحولون إلى أتباع أذلاء يعتذرون للسادة الغربيين، ويردون على انتقاداتهم في ذلة مع التقبل الكامل لطروحاتهم. ويا ليت لعبة الرد الفكري على الاتهامات والانتقادات تجدي بل إنها لا تجدي كما تدل على ذلك طبيعة الاتهامات نفسها. فنحن الآن ما زلنا نرد على الاتهامات نفسها التي وُجهت للإسلام في الغرب منذ قرنين أو يزيد، وحتى تهمة الإرهاب ليست جديدة كما قد يُظَن؛ فهي امتداد لنظرة الغرب القديمة إلى المسلمين باعتبارهم يهددون بلادهم! وعلى الرغم من كل الردود التي تراكمت طيلة القرن على هذه الانتقادات فإنها ما زالت تصدر وبالشكل نفسه والقوة ذاتها فما الذي تغير؟ لا شيء سوى حصر المسلمين في هذا الاتجاه الضيق السلبي الذي يحمل كل مثالب التبعية؛ بل وأكثر من ذلك فإنه يحمل خطر علمنة الإسلام وكبت الدعوة الإسلامية لتحل محلها لعبة عبثية ليس إلا.

تعقيب

على محاورة الأخ د. محمد عبد الله الشباني

بقلم: أ.د. يوسف القرضاوي

وصلنا تعقيب فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي على مقال: (وقفات متأنية مع آراء فضيلة د. القرضاوي حول العلاقة مع أهل الكتاب) للدكتور محمد الشباني، وقد أسعدنا تواصل فضيلته مع المجلة، ويسرنا أن ننشر تعقيبه بتمامه، وإن كنا نختلف معه في مسائل ذكرناها تعليقاً، ومع ذلك نرحب بكل نقد بناء جاد. وفّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه. ـ البيان ـ

متابعات

أطلعني بعض الإخوة الأفاضل على عدد من مجلة (البيان) التي تصدر في لندن (العدد ١١٢ أبريل ـ مايو ١٩٩٧م) وفيها حوار أو مناقشة لبعض ما لخصه أحد الإخوة بمجلة (المجتمع) الكويتية من تعقيب لي على محاضرة الأستاذ الدكتور رجاء جارودي، حينما دعي إلى جامعة قطر بالدوحة. وكان كاتب المقال هو الدكتور محمد عبد الله الشباني، تحت عنوان: وقفات متأنية مع آراء فضيلة د. القرضاوي في العلاقة مع أهل الكتاب.

وأنا شاكر للأخ الدكتور د. الشباني حسن أدبه في تناول الموضوع، وأقدِّر له غيرته واجتهاده، وإن كنت أخالفه فيما انتهى إليه من آراء تخص موقفي.

التوحيد والأخلاق:

أولاً: أخذ عليّ الأخ الشباني قولي: إن رسالة الإسلام رسالة أخلاقية في الدرجة الأولى، وكأنه فهم من هذه الجملة أني أعتبر (التوحيد) في الدرجة الثانية أو الثالثة، وطفق يذكر الأدلة على أهمية التوحيد، كأني أنكر

ذلك أو أجهله.

والحق أني أعتبر (التوحيد) ـ كما يعتبره كل مسلم ـ أساس الدين، بل أساس الديانات السماوية كلها، ولكني أيضاً اعتبره من جملة الأخلاق؛ لأنه من (العدل) الذي يعطي كل ذي حق حقه، ولا حق لأحد أن يعبد غير الله ـ تعالى ـ الرب الخالق المعلم للإنسان. ولا غرو أن اعتبر القرآن الشرك من (الظلم) بل هو ظلم عظيم، كما جاء في القرآن على لسان لقمان؛ إذ قال لابنه وهو يعظه: ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣].

وقد صحح الرسول الكريم ﷺ للصحابة فهمهم للآية الكريمة من سورة الأنعام: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢] حين قالوا: وأينا لم يظلم نفسه يا رسول الله؟ فقال: ليس كما فهمتم، إنه الشرك. ألم تقرؤوا قول العبد الصالح: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾(١).

ونجد القرآن الكريم يعتبر الإيمان والشعائر العبادية وعمل الصالحات، وفعل الخيرات والجهاد في سبيل الله ونحوها من جملة الأخلاق المحمودة، ويصف أهلها من المؤمنين والأبرار والمتقين بصفات أخلاقية مثل (الصدق) وهو فضيلة أخلاقية بلا ريب.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**

---

(١) البخاري، ج١، كتاب الإيمان، ص ١٣، باب ٢٣، البخاري، ج٦، كتاب تفسير القرآن، ص٢٠، ح/٣١، ج٨، كتاب استتابة المرتدين، ص ٤٨.

وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومن هنا أثنى الله على أولي العزم من الرسل فوصفهم بصفات أخلاقية، كما قال عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال عن إبراهيم الخليل: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧].

وخاطب خاتم رسله محمداً بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ولا غرو أن قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

ولقد ذكر الإمام ابن القيم في (مدارج السالكين) ما نقله الكتاني عمن قبله أنهم قالوا: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف(*).

وعلق على ذلك ابن القيم بقوله: (بل الدين كله هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الدين)[2].

وقد عرَّف بعضهم التصوف فقال: هو الصدق مع الحق، والخُلُقُ مع الخَلْق.

ولا يخفى أن الصدق خلق أيضًا، فقد أصبح التصوف كله خلقًا. بل هذا هو الدين كله: أن تكون مع الله بالصدق، ومع الناس بحسن الخُلُق.

أو أن تكون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مع الله بالتقوى، ومع الناس بالإحسان، كما يشير إليه قوله



(١) أحمد، ج٢، ص ٣٨١، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، ج٨، ص ١٨، صححه الحاكم، ج٢، ص ٦١٣، ووافقه الذهبي، البخاري في الأدب المفرد رقم ٣٧٤، ص ١٠٥، صحيح الجامع، ج٢، رقم ٢٣٤٥.

(*) جاء في مدارج السالكين (٢/ ٣٠٧): «الدين كله خُلُق. فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين. وكذلك التصوف؛ قال الكتاني: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في التصوف». وعلى كلٍّ فإن مصطلح «التصوف» فيه إجمال واشتراك، فيحتاج إلى تفصيل، كما حرر ذلك المحققون من أهل العلم كابن تيمية في مجموع الفتاوى (١١/ ٢٨، ٢٩) والشاطبي في الاعتصام (١/ ٢٦٥)، فقد يطلق التصوف على ما يحبه الله ورسوله من زهد وورع، كما يطلق على ما يكرهه الله ورسوله من البدع الحادثة والمنكرات الظاهرة. ـ البيان ـ

(٢) مدارج السالكين، ج٢، ص ٣٠٧.

ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وفي ضوء هذه المفاهيم الإسلامية الصحيحة يجب أن يُفهم معنى قولي: إن الإسلام رسالة أخلاقية في الدرجة الأولى، فأنا أُدخِل في هذا المفهوم: العقائد والعبادات وعمل الصالحات والدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، والجهاد في سبيله. وقديمًا قال علماؤنا: لا مشاحّة في الاصطلاح.

معركتنا مع اليهود:

ثانيًا: علق الأخ الشباني على قولي: إن معركتنا مع اليهود ليست من أجل العقيدة، بل من أجل الأرض التي اغتصبوها، والحرمات التي انتهكوها، والدماء التي سفكوها.

وقال: إنها تحتمل معنى صحيحًا لا غبار عليه، وهو أن صراعنا مع اليهود في هذه المرحلة من أجل أرض فلسطين. وإذا كان هذا المعنى الصحيح محتملاً، فلماذا نفترض المعنى الآخر؟

والذي جعلني أقول هذا القول: أن اليهود يشيعون في أنحاء العالم أنهم جنس مضطهد مجني عليه، مظلوم من الناس كافة، وأن اضطهاده إنما هو من أجل عقيدته وعنصره، أي لأنهم يهود، ولأنهم ساميون. ولذا نراهم يتاجرون بمعاداة السامية.

ونحن نريد أن نقول لهم: إننا لم نحاربكم من أجل عقيدتكم اليهودية، ولا عنصريتكم السامية(*)، فنحن ـ المسلمين ـ

(*) يقول فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي: «إننا لم نحاربكم من أجل عقيدتكم اليهودية ولا عنصريتكم السامية».

وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

فدلت هذه الآيات على أن موجب القتال هو الكفر بالله ـ تعالى ـ أيًا كان هذا الكفر، ولو فرّق فضيلة الشيخ بين عقيدة اليهود وبين جنسهم لزال اللبس، فقتال اليهود لأجل عقيدتهم الفاسدة، وليس من أجل عرقهم أو جنسهم كما يزعمون. =

نعتبركم أهل كتاب، حتى إن القرآن أباح مؤاكلتكم ومصاهرتكم، ونحن ـ العربَ ـ ساميون مثلكم، فأنتم أبناء عمومتنا. وبذلك نبطل الدعوى التي يتشدقون بها ويستدرُّون بها عطف الأمم كافة عليهم.

على أني إذا قلت: إن المعركة من أجل الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، فهذا لا ينفي الطابع الديني عن المعركة؛ لأنها معركة «في سبيل الله» يقينًا، معركة دفاع عن الحق والأرض والعرض والشرف والدين، وكل المقدسات. وكل معركة يخوضها المسلم دفاعًا عن أرضه وحرماته هي معركة دينية؛ لأنها في سبيل الله لا في سبيل الطاغوت، وقد قال ـ تعالى ـ: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾** [النساء: ٧٦].

فكيف إذا كانت الأرض التي يدافع عنها المسلم تتميز بأنها أولى القبلتين، وبها ثالث المسجدين المعظمين، وهي أرض الإسراء والمعراج، وأرض النبوات والبركات، وأرض الرباط والجهاد؟ أجل، إنها معركة تحرير القدس وإنقاذ الأقصى؟!

ولا يُتصور من مثلي أن ينفي الطابع الديني عن المعركة بيننا وبين اليهود، وأنا أنادي في كتبي وفي محاضراتي وفي فتاواي وخطبي منذ سنين طويلة بفرضية الجهاد من أجل فلسطين، وضرورة (إسلامية) المعركة، وأننا لم نُهزم إلا أننا دخلناها عربًا ولم ندخلها مسلمين.

ويمكن أن يراجع من يشاء كتبي: درس النكبة الثانية، الحلول المستوردة، أولويات الحركة الإسلامية وغيرها، وكذلك فتاويَّ حول الصلح مع إسرائيل، وعن زيارة القدس والصلاة في الأقصى في ظل الاحتلال،

= وقد يسوّغ لفضيلة الشيخ القرضاوي أن يقرر أن الموقف من اليهود في ظل ضعف المسلمين وتسلط الكفار على مراحل وأحوال، ففي ظل الأوضاع الراهنة يكون قتالهم بسبب محاربتهم المسلمين وقتلهم واعتدائهم. - البيان -

والمشاركة في انتخابات الكنيست، وردودي على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وغيرها، ليعرف منه حقيقة موقفي من إسلامية المعركة مع الصهيونية الباغية المغتصبة.

هل هناك أصول مشتركة بيننا وبين أهل الكتاب؟

ثالثاً: أثار الأخ الشباني زوبعة حول ما نقل عني أني قلت معقباً على موقف جارودي ما معناه: لا مانع من وقوف أتباع الديانات السماوية في خندق واحد، أي في مواجهة الإلحاد والإباحية، وقد يختلفون في بعض الأمور، ولكن بينهم من الأصول المشتركة ما يجمعهم ضد الذين ينادون بوحدانية الدولار، ووحدانية السوق، ويعتبرون أنه «لا إله إلا المادة».

أنكر الأخ الكاتب هذا القول، وزعم أنه يناقض أصول الإسلام وحقائق التوحيد.. وقال: ليس بيننا وبين اليهود والنصارى أي أصول مشتركة، فهم مشركون كفرة، وقد حكم الله عليهم بالكفر.. إلخ.

ولو كان ما قاله الكاتب صحيحاً، لم يكن هناك معنى ولا مبرر لأن يميزهم الإسلام عن غيرهم من سائر الكفار، ويعتبرهم (أهل كتاب) وأهل دين سماوي ويناديهم: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾** [آل عمران: ٦٤] وأن يقول القرآن فيهم: **﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ...﴾** [المائدة: ٥] فأباح مؤاكلتهم ومصاهرتهم، والمصاهرة أحد الرابطين الأساسين بين البشر **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾** [الفرقان: ٥٤].

فكيف أجاز للمسلم أن تكون شريكة حياته، وربة بيته، وأم أولاده من أهل الكتاب؟ ومن لوازم ذلك: أن يكون أبو زوجته الكتابية وأمها جدين لأولاده، وإخوانها أخوالهم، وأخواتها خالاتهم، ولهؤلاء جميعاً وأولادهم حقوق الأرحام وذوي القربى؟

ولا ريب أنهم كفار؛ لأنهم لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ، ولكنهم غير (المشركين) أو (الذين أشركوا)(*) فهم صنف آخر يذكر معطوفًا عليهم في القرآن، والعطف يقتضي المغايرة، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] وقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البينة: ٦]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الحج: ١٧].

فدلّت هذه الآيات الكريمة على أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى غير المشركين الذين ذكرهم القرآن، ويقصد بهم عباد الأوثان، كما كان عليه مشركو العرب.

ولو لم يكن هناك أصول مشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب ما أجاز للمسلمين أن يصاهروهم، ولحرم ذلك عليهم كما حرم مصاهرة المشركين، حيث قال: ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

والواقع أنه توجد أصول مشتركة

متابعات

(*) وقول الشيخ القرضاوي: «ولكنهم غير (المشركين) أو (الذين أشركوا)...» فاليهود والنصارى كفار بالإجماع ـ كما حكاه ابن حزم في مراتب الإجماع، ص ١٩ ـ ولكن هل يقال: إنهم مشركون؟ هذه محل خلاف بين أهل العلم، فأطلق بعضهم على النصارى أنهم مشركون محتجين بقوله ـ تعالى ـ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] ولذا قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: لا أعلم شركاً أعظم ممن تقول: إن ربها عيسى ابن مريم، وقد يقال: إن أهل الكتاب ليس في أصل دينهم شرك، فإن الله إنما بعث الرسل بالتوحيد؛ فكل من آمن بالرسل والكتب، لم يكن في أصل دينهم شرك، ولكن النصارى ابتدعوا الشرك كما قال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤/ ٩١. ـ البيان ـ

بين المسلمين وأهل الكتـــاب في الجملة(*)، منها: الإيمان بالله، والإيمان بوجوب التعبد له، والإيمان بالنبوة والوحي، والإيمان بالآخـــرة، والإيمان بالقيم الأخلاقية. ومن ثم يمكن أن يقف هؤلاء مع المسلمين في خندق واحد، لمقاومة النزعات الإلحادية، ودعوات الانحلال والإباحية، والوقوف في وجه المظالم والاعتداءات البشرية.

وهذا ما جعل الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والفاتيكان يقفون في صف واحد في مؤتمر السكان الذي انعقد بالقاهرة في صيف سنة ١٩٩٤م ضد دعاة الإجهاض والإباحية الجنسية.

وهو ما جعل الكثيرين يرحبون بالحوار الإسلامي المسيحي(**)، كما فعل ذلك وفد رابطة العالم الإسلامي برئاسة أمينها العام الشيخ محمد علي

(*) وأما دعوى هذه الأصول المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب ففيها مبالغة ظاهرة: فأي إيمان بالله عند من قال: إن المسيح ابن الله، أو عزير ابن الله؟ وأيّ إيمان لمن سب الله ـ عز وجل ـ غاية المسبة فنسب إليه الولد، وقال: إن الله فقير ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ؟ وأي إيمان بالرسل عند يهود قتلة الأنبياء والرسل، وكذا النصارى الذين كفروا بنبينا محمد ﷺ، وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠] الآية؟

وعلى كلٍّ فمع هذه المباينة والمفارقة الشاسعة بين ملة الإسلام وبين اليهودية والنصرانية فلا شك أنهم أقل بعداً عن سائر طوائف المشركين. ـ البيان ـ

(**) والحوار الإسلامي ـ النصراني إن أريد له دعوة النصارى إلى الحق والصواب والالتزام بالتوحيد فهذا هو المطلوب، ونحن نفرح بإسلام هؤلاء النصارى وقبولهم للدليل والبرهان.

لكن غالب هذه المؤتمرات التي تعقد باسم الحوار الإسلامي ـ المسيحي ما هي إلا ذريعة لمداهنة النصارى وموالاتهم، وقد تكون سبيلاً إلى الدعوة إلى زمالة الأديان والتقارب فيما بينها. وقد صدرت فتوى عن اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية عن خطر هذه الدعوة وبيان حكمها وجاء فيها: «إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام ـ واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين: بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، وما مثله إلا كما قيل:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يماني

فتاوى اللجنة ٢ / ٨٥. ـ البيان ـ

متابعات

الحركان، وعدد من الأساتذة الكبار، حيث ذهبوا إلى الفاتيكان، وحاوروا كبار أساقفته، ووصلوا إلى نتائج مهمة سجلوها في كتاب نشرته الرابطة.

وكذلك قام حوار في ليبيا شارك فيه عدد من الشيوخ والمفكرين المسلمين، وقُدِّمت فيه بحوث من كلا الطرفين في أربعة موضوعات محددة، وانتهوا إلى توصيات مشتركة، أعتقد أنها نافعة.

ولو كان أهل الكتاب كالمشركين الأقحاح سواء بسواء كما يقول الأخ المعقب لما حزن المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ في مكة حين انتصر الفرس ـ وهم مجوس يعبدون النار ويقولون بإلهين اثنين ـ على الروم، وهم نصارى أهل كتاب، على عكس ما كان عليه المشركون من أهل مكة، الذين فرحوا بانتصار الفرس على الروم، معتبرين أن الروم أهل كتاب، فهم أقرب إلى المسلمين من المجوس.

وقد نزل في ذلك قرآن يتلى يبشر المسلمين بأن هذه الغلبة للفرس لن تدوم، وأن اتجاه الريح سيتغير لصالح الروم في بضع سنين، وقال ـ تعالى ـ: **﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾** [الروم: ١ ـ ٥].

إن القرآن الكريم أمرنا ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، وأن نركز على القواسم المشتركة بيننا وبينهم، لا على نقاط التمايز والاختلاف، يقول ـ تعالى ـ: **﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٦].

وما أحوج الدعاة اليوم إلى هذا الأدب القرآني في عصر تقارب فيه العالم حتى أصبح قرية كبرى كما قال بعض الأدباء، وأنا أقول: إنه أصبح قرية صغرى، نتيجة ثورة الاتصالات، ورسالة الدعاة اليوم يجب أن تركز

على تبليغ دعوة الإسلام إلى العالم بلغاته المختلفة عبر الإذاعات الموجهة، والأقمار الصناعية، والرسائل المكتوبة، وترجمة معاني القرآن إلى الألسنة المختلفة، وهذا هو الجهاد الأول اليوم، وهذا كله قد أخفق فيه المسلمون إخفاقًا بينًا، ولكنهم نجحوا في استفزاز الآخرين وإيغار صدورهم، وتخويفهم من ظهور الإسلام، الذي لن يعاملهم إلا بسل السيف على رقاب الجميع، وإعلان الحرب على البشرية كلها(*).

أسأل الله أن يرزقنا فقه الدعوة، وفقه الفتوى، حتى نفرق بين الثوابت والمتغيرات، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال وغيرها، فالدعوة وأساليبها أوْلى بالتغير بتغير الزمان والمكان والإنسان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(*) الذي يعنيه الدكتور القرضاوي ـ كما هو واضح ـ: الصورة البشعة المزعومة التي يريد أعداء الإسلام رسمها في أذهان الآخرين. ـ البيان ـ

منتدى القراء

صبرًا يا دعاة .. إن نصر الله قريب

بقلم: حسين إدريس حامد

عن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله؟ الا تستنصر لنا ربك؟ قال: فجلس وكان متكئًا على برد له في ظل الكعبة، وقال: «كان ممن قبلكم يؤتى بالرجل، فيحفر له ويدفن إلى قامته، ويشق بمنشار الحديد فلقتين، ويمشط ما بين لحمه وعظمه وعصبه بأمشاط الحديد، ولا يثنيه ذلك عن دينه شيئًا، والذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون»(1).

لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؛ فهو ﷺ الصابر المثابر المستهين بعنت المشركين، يمشي في بطحاء مكة واثقًا بأن الإسلام دين الله الذي ارتضاه لعباده وأنه سينتشر ويعم أرجاء المعمورة رضي الناس أم سخطوا. لم يأبه النبي ﷺ بقسوة قريش وأذاها، واستمر في دعوته مبينًا أنه رسول رب العالمين، ورسالته للناس أجمعين، وانطلقت الدعوة إلى الله تشق طريقها رغم الصعاب والعقابيل التي يضعها المشركون ليحولوا بين الناس وبين نور الهدى، ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الأنفال: ٣٠].

أيها الدعاة: إن رسالة الإسلام لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود، ومن يعترضها فإنما يعترض قضاء الله وقدره، وقد تكفل المولى ـ سبحانه وتعالى ـ من فوق سبع سماوات بحمايتها وكتب على نفسه نصر عباده الصالحين، وجعلهم المستخلفين في الأرض ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٢، ٣٨٥٢، ٦٩٤٣) وأبو داود (٢٦٤٩) وأحمد (٥/١٠٩، ١١٠، ١١١)، (٣٥٩)، والحميدي (١٥٧) والطبراني (٤/٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦).

الغضب

بقلم: أحمد بن سعد الصاعدي

إن الغضب شعلة من نار تلظى تطلع على الأفئدة تحرق الوقار والسكينة وحسن السمت. فهو جدير بهدم البناء الخلقي؛ لأنه مدعاة إلى المقت والخذلان وصفة ذميمة تعافها النفوس، وتشمئز منها القلوب، وتُمزِّق التعاون والتآلف، وتنحدر بصاحبها إلى الهاوية؛ لأن الغضب طبع ذميم يشوبه الكبر والغطرسة والعجب والغرور؛ فما إن يتمكن في القلب حتى يجعله كالرميم؛ لأنه محرق للفؤاد، ومشتتٌ للذهن، ومنغصٌ للحياة، ومدمرٌ للأسر، وقاطع للأرحام، ومفرق للجماعات، ومزهق للأرواح، ومظهر للأفعال بدون ترتيب ونظام وتفكير وبناء للألفاظ؛ فهو جالبٌ للخصوم، ومضيع للحقوق، وساكبٌ للأحقاد في قلوب العباد.

منتدى القراء

تعاملنا مع الحقائق

بقلم: سالم بن جروان الضوي

يقع الناس في تعاملهم مع الحقائق في أخطاء كثيرة، وتناقضات مثيرة.

والمفترض في العاقل أن يتعامل مع الحقائق التي تيقنها بما يناسبها ويلائمها.

والحقائق التي أعنيها هنا هي الحقائق الشرعية التي دل الكتاب والسنة على أنها حقائق.

وقصدت الحقائق الشرعية بالحديث لسببين:

١ ـ لأنها حقائق يقينية؛ فإن كل مسلم يؤمن إيماناً كاملاً ويوقن يقيناً تاماً بالحقائق التي دل الكتاب والسنة عليها.

٢ ـ لأن أمر غيرها يسير بالنسبة إليها، فإن غاية الضرر الحاصل نتيجة التناقض في الحقائق التجارية مثلاً هو أن يخسر الإنسان المال، وخسارة المال أمر هين فإنه يمكن تعويضه.

أما الحقائق الشرعية فإن أمرها صعب وخطير؛ لأنه قد يترتب على التناقض فيها والتعامل معها بما لا يناسبها دخول النار. وها أنا ذا أسوق بعض الأمثلة لبعض الحقائق الشرعية لنرى كيف يتعامل الناس معها:

من الحقائق الشرعية التي دل عليها الكتاب والسنة هي حقيقة الموت قال ـ تعالى ـ: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠].

أيضاً لم يتعامل الناس مع هذه الحقيقة تعاملاً يناسبها خصوصاً أن هناك حقيقة أخرى تقول: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

حتى إن الناس كأنهم بهذه الحقيقة يكذبون، وينظرون إليها بمنظار خاطئ هو أن فلاناً كبير السن فالموت منه قريب، وفلاناً صغير السن فالموت منه بعيد.

والموت لا ينظر في أخذه للناس بهذا المنظار، ولكنه يتعامل معهم بحقيقة ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٤] كباراً كانوا أم صغاراً.

ولهذا قال بعضهم مبيناً خطأ هذه النظرة:

ولا تقل الصبا فيه امتهال ... وأبصر كم صبياً قد دفنا

وتعجَّب آخر من تعامل الناس مع هذه الحقيقة فقال:

ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأمانيُّ باطل

فحري بكل مسلم ومسلمة أن يكون بعيداً عن أسبابه؛ لكي ينجو من الانحطاط الخلقي الذي يمارسه الغاضب من سوء في المقال، وخبث في الأفعال بدون تمعنٍ في عاقبة الخذلان. وما هذا كله إلا لأن الغاضب لنفسه يقدم العاطفة على العقل في أقواله وأفعاله؛ فهو يتصرف بعاطفته لا بعقله، ولو علم حقيقة ما يغضب من أجله لعد نفسه من المجانين؛ لأنه بعيد عن واقع ما يغضب من أجله.

والمتأمل في كثير ممن يمارسون سرعة الغضب وانفعاله لديهم يرى أنهم يندمون على فعلهم في حال غضبهم، فهم في تعاسة في حال فعلهم، وحسرة على ما صدر منهم بعد زوال الغضب. فهم في شقاق وشقاء وظلام؛ لأنهم يفعلون ما لا يريدون، ويبغضون ما يصنعون، ويطلبون السلامة بما لا يقدرون إلا بتوفيق الحي القيوم.

هل من أولي بقية؟!

بقلم: عماد الدين سعد العسقلاني

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].

كلمات قليلة العدد عظيمة المعنى قد نمر عليها مر الكرام فلا تلفت لنا نظراً ولا تحرك لنا فكراً، وفي هذه الكلمات لا أريد شرح الآية ولكن لفت النظر إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلُوا بَقِيَّةٍ﴾ فما أهمية تلك الكلمات؟!

في هذه الآية ينبئنا الله عن سبب رئيس من أسباب هلاك القرون والأمم من قبلنا، ولكن نلاحظ أنه ـ سبحانه ـ لم يقل إن هلاكهم بسبب فسادهم ـ وإن كان سبباً ـ ولكن ركز على جانب آخر وصفة أخرى، عدمها فيهم أدى إلى عدمهم، وفناؤها فيهم أدى إلى فنائهم.

ما هذه الصفة؟ وما هذا الجانب؟

إنها عدم وجود فئة تنهى عن الفساد في الأرض.

ليس المطلوب أن تكون الأمة بأكملها أمة قائمة بأوامر الله دون نقص، فالنقص من صفات البشر الملازمة لهم، وليس المطلوب أيضاً أن تكون من الأمة فئة صالحة تتعبد لله وتقدسه ـ سبحانه ـ بغض النظر عما يفعله الآخرون.

لا .. ليس هذا المطلوب لتنجو الأمة من عذاب شامل يصيب الصالح والطالح، وإنما كل ما هو مطلوب للنجاة أن تبقى فئة تنهى عن الفساد، تأمر بالمعروف عندما ينكره الناس، وتنهى عن المنكر عندما يتعارف عليه الناس، تدعو أمتها وقومها إلى طاعة ملك الملوك، رب الأرباب، الذي خلقهم فعصوه، وأنعم عليهم فكفروه، وأمهلهم فنسوه، تدعو قومها ولسان حالها يقول: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١].

نعم لأن الأمة لن تسمح لهذه الفئة الباقية على أمر الله أن تأمر وتنهى وتدعو للنجاة، بل ستعتبرها فئة مزعجة تنغص عليها حياتها ومتعتها وما تعارفت عليه الأمة من فساد.

المؤمن مرآة أخيه

بقلم: عبد العزيز بن مشاري الصعب

المسلم ـ في هذا الزمن ـ وخاصة الملتزم والمحافظ على إسلامه والداعية إليه بحاجة إلى من يواسيه ويشاركه همَّ الدعوة إلى الله، ومن يوجهه ويأخذ بيده وينصح له وينقده نقداً بناءً يهدف إلى تقويمه لا إلى تثبيطه والتشهير به، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن». [صححه الألباني.. صحيح الجامع، ٦٦٥٦] وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ: فإنَّ المؤمن للمؤمن كاليدين؛ تُغَسِّل إحداهما الأخرى. وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة؛ لكن ذلك يُوجب من النظافة، والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين».

وهذه النصيحة مما يتعبد لله بإسدائها للمنصوح له، كما قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وأعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه. بل إنها تعتبر من الصدقة كما في الحديث الصحيح عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ وفيه أن النبي ﷺ قال: «وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة»، وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ما تصدق رجل بصدقة أفضل من موعظة يعظ بها جماعة، فيتفرقون وقد نفعهم الله بها. ونعمت الهدية كلمة من الخير يسمعها الرجل ثم يهديها إلى أخ له.

تأمل في مقولة لابن تيمية

بقلم: أم طلحة بنت عبد الغفور

(جنتي في صدري.. إن رحت فهي معي لا تفارقني: إن حبسي خلوة.. وقتلي شهادة.. وإخراجي من بلدي سياحة).

هذا ما قاله ابن تيمية في أصعب لحظات حياته عندما دخل سجن القلعة حيث توفي هناك.. موقف عصبي ومشهد تتحرك فيه المشاعر.. يضيق الصدر وتبدأ نجمة الأمل بالأفول.. ويصبح الطائر المغرد مكسور الجناح غضيض الطرف، يشدو بصوته الحزين.. وابن تيمية ينظر إليها وكأنها سياحة.. وخلوة.. بمعنى راحة نفسية .. أنعم بها من مقولة.. هذا هو موقف المسلم: صلب شديد.. قوي أريب .. متأمل في سيرة الأنبياء والسلف الصالح.. ليجد النماذج الحية في الصبر والتسلي عن المصائب .. تتوالى النكبات تلو النكبات والمصائب تلو المصائب.. وكأنه لم يحدث شيء... يرسم ابتسامة رضى على شفتيه.

هذا هو منهج الأنبياء ومنهج السلف .. محمد - عليه السلام - ربى أصحابه على ذلك؛ نراه وقد خرج من الطائف إلى مكة وقلَّ الناصر والمعين.. لا أهل ولا عشيرة ولا أقربين.. تغير وجه الأرض، وتنكر له العالم.. عندما قال: لا لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده.. وموسى وعيسى ويوسف وأيوب وإبراهيم - عليهم الصلاة والسلام - .. تعامل فذ وحنكة في التصرف.. جعلهم جبالاً شامخة صامدة تواجه كل الصعاب.. إن تخطي المصائب الدنيوية يورث قوة إرادية وعزيمة وحنكة .. ولذة في العبادة.. فالمرء بحاجة إلى تفكير بعين الفاحص المتأمل حتى يحيا مع الله دون عوائق ومشاق.

خُلُقٌ مكروه

بقلم: ماهر بن يوسف شحاده

مكارم الأخلاق وحسن الخلق هما الدعائم الكريمة والركائز المتينة في الأدب الإسلامي، فالمسلم الحق الملتزم بدين الله وأوامره لا يحمل في قلبه حقداً لأحد ولا بغضاً ولا نفوراً منه، بل تجد قلبه مفعمًا بحب الناس؛ لأن المؤمن الصادق يألف ويُؤْلف.

أما الصنف الآخر من الناس فهو الذي تعوَّد أن يدس أنفه في كل شيء سواءً كان يعنيه أو لا يعنيه يضيع وقته في تتبع ما يجري بين الناس، يدخل طرفًا ثالثًا بين المتحدثين، يفتي في أمورهم بما ليس له به علم أو خبر.

يحثنا الدين الإسلامي الحنيف أن نترك ما لا يعنينا، ونحفظ ألسنتنا من لغو الحديث؛ لأن كل إنسان محاسب على ما يصدر عنه من قول. يقول تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق: ١٨]

وفي توجيه نبوي كريم يقول المصطفى - عليه السلام - عما يجب على المسلم أن يفعله إذا أطلت الفتن بوجهها: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك».

بريد البيان

■ **الأخ / خالد مشبب الأحمري:**

والإخوة الذين أرسلوا ملحوظاتهم على موضوع: «ظاهرة ضعف الإيمان» نشكر لكم اهتمامكم وتواصلكم مع المجلة، وقد أرسلت هذه الملحوظات للكاتب لإفادتنا برأيه.

• • •

■ **الأخ / هلال جلال الدين «أبو حمزة»:**

ملحوظاتك على مقال: «التقنية في خدمة الدعوة» أرسلت للكاتب للرد عليها، شاكرين تواصلك مع مجلتك، وجزاكم الله خيراً .

• • •

■ **الأخ / محمد عبد السلام الباشا:**

نسعد كثيراً بما يأتينا من مشاركاتك، وستصلك رسالة خاصة ـ إن شاء الله ـ .

• • •

■ **الأخ / علي محمد الغريب:**

وصلتنا مشاركتك: «مفاوضة» وهي مجازة للنشر في البيان الأدبي ـ إن شاء الله ـ مع تمنياتنا بمزيد من التواصل.

• • •

■ **الأخ / عمر الصغير:**

نشكرك على ملحوظتك حول وجود التاريخ الميلادي على غلاف المجلة، ونقدر لك غيرتك على دين الله، ولا نحسب أن في هذا مشابهة للكفار، خاصة أنه غير مقدم على التاريخ الهجري، وهناك قراء للمجلة في دول لا تعتمد التاريخ الهجري، وكذلك ـ وللأسف ـ فإن كثيراً من التوثيق المعلوماتي يكون بالتاريخ الميلادي، ولهذا فإن وجود هذا التاريخ من باب المصلحة وليس التشبه.

• • •

■ **الإخوة / شادي السيد أحمد، وعبد العزيز العزاز:**

نشكر لكم مشاركاتكم، وستنشر ـ إن شاء الله ـ في البيان الأدبي.

• • •

■ **الإخوة/ خليفة بن عربي، عبد العزيز الوايلي:**

جزاكم الله خيراً على رسائلكم. مشاركاتكم سترى النور في منتدى القراء ـ إن شاء الله ـ .

• • •

■ **الإخوة / سالم مبارك الفلق، محمد العيد، علي بطيح العمري:**

جزاكم الله خيراً على رسائلكم ومشاركاتكم، ونتمنى لكم التوفيق في مرات قادمة .

• • •

■ **الأخ / فواز أبو راحيك:**

نشكر لك مشاركتك: «من القواعد الفقهية الكبرى» ونفيدكم بأنها ستنشر ـ إن شاء الله ـ .

• • •

الورقة الأخيرة

الأنوثة الفكرية؟

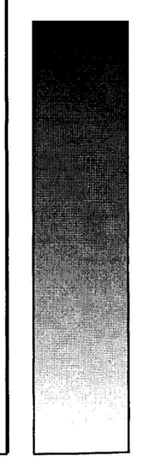
بقلم: محمد المغيري

السلوك ترجمة للفكر، وكلما كان الفكر أصيلاً، خالصًا من الشوائب، نقيًا من العوالق، واضحًا في الرؤية، متجذرًا في المنهج كلما أنتج ذلك سلوكًا رشيداً، وأثمر تعاملاً سديداً.

وصاحب الفكرة، ومعتنق المبدأ لا يرضى أن يلحق بفكرته أذى، أو أن يشوب مبدأه عالقة من نقص أو خلل. وهذا ما ينبغي أن يكون، وهو ما كان ـ ولا يزال ـ عند أصحاب العقول الرشيدة، والمبادئ الناصعة المستنيرة، والقيم المضيئة عند أتباع الحق وأنصار السنة المستمسكين بها في سرَّائهم وضرَّائهم.

وعندما تنخرم هذه القيمة ـ قيمة توافق الفكر والسلوك ـ وتظهر أعراض التصادم بينهما، وتبرز نتوء التناقض المريب، ويغدو الفكر سلعة في المزاد، ولباساً يُلبس ويُخلع تبعًا للحاجة إليه فإن حامله داخل في زمرة المصابين بمرض «الأنوثة الفكرية».

والمصابون بهذا المرض تعرفهم ـ أحيانًا ـ بسيماهم، وتعرفهم ـ كثيراً ـ في لحن القول: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ﴾ [النساء: ١٤٣] هم فئام كثيرة في مجتمعاتنا الإسلامية، مشكلتهم الكبرى أنهم محسوبون على المتدينين؟!، ومصيبتهم أنهم ـ طوعًا أو



كُرها ـ ينسبون إلى الصالحين؟! إما بماضيهم، أو بهيئاتهم، أو بألسنتهم، أو بمسمى وظائفهم، أو ببعض ذلك، أو جميعه.

وهم ليسوا سواء؛ بل هم مراتب ومنازل، أدناهم من: ﴿**فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ**﴾ [العنكبوت: ١٠] وأقصاهم وأشدهم وطأة من إذا: ﴿**لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٤].

فكم يجني هؤلاء ـ بعلم أو بجهل أو بمماحكة ـ على الدعوة وأهلها؟!

ـ رضي الله عنك ـ يا عمر.. يستحلف حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: هل عَدَّهُ رسول الله ﷺ من المنافقين..؟ وهو عمر!

لو تدبر مرضى الأنوثة الفكرية هذا الموقف .. وتأملوا ما فيه من الخشية والرهبة والمحاسبة لهانت عليهم الدنيا بمناصبها .. ودراهمها.. وكل حطامها. ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

اللَّهم اجعلنا أغنى خلقك بك.. وأفقرهم إليك.. ولا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك.

البيان
مجلة إسلامية
شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة :
د.عادل بن محمد السليم

مدير التحرير:
أحمد أبو عامر



المركز الرئيس:
AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR, U.K. Tel : 0171 - 731 8145 Fax : 0171 - 736 4255



احذروا..!!

عجيب أمر ادعياء العلمانية ومدعي التنوير فهم يستخدمون كل مواهبهم الشيطانية إلى الإساءة لكل منتم للإسلام، ويعملون ليل نهار للتشكيك حتى في نواياهم وأنهم وراء كل فتنة في العالم؛ فتارة يلمزون بالأصولية وتارة بـ (الإسلامويين)، وتارة بجماعات الإسلام السياسي. وهذه النعرات ذات منشأ أجنبي ويطلقها أعداء الإسلام ويتبناها هؤلاء الأذناب. صحيح أن هناك من ينتمي للإسلام ويحمل تصورات منحرفة ومنطلقات مشبوهة وقد يقوده اجتهاده ـ وهو لا يملك حق الاجتهاد ـ لأعمال متهورة وأفكار غير سديدة. لكن هذا الضعف ـ ولله الحمد ـ قليل إذا ما قيس بالغالب بما يقدمه الدعاة إلى الله على بصيرة من توعية وتوجيه وأعمال خيرية تنعكس إيجابيًا على كثير من المجتمعات الإسلامية وأفرادها.

إن المسلمين أفرادًا وجماعات يعلمون حق العلم أن هؤلاء العلمانيين في ادعاءاتهم تلك كاذبون ومفترون، وهم يشعرون أنهم بما لديهم من إمكانات كبيرة أضعف أثرًا وأقل تأثيرًا لا سيما وقد عرفناهم بالحدب على أعداء الإسلام والمطالبة بالحرية الكاملة حتى في الاعتداء على الذات الإلهية والمعلوم من الدين بالضرورة، بينما يخنسون حيال القوانين الوضعية التي تجرِّمهم بالاعتداء أمام أفراد أو هيئات مهما كان من قدرها.

فعلى الدعاة إلى الله التعاون على البر والتقوى والتسامي على الاتجاهات الحزبية، والترفع عن كل ما لا يليق؛ جمعًا للصف ودرءًا لسهام المغرضين والتزامًا بالإسلام قلبًا وقالبًا أمام أولئك الحاقدين علينا جميعًا فهم ـ بإذن الله ـ خائبون؛ لأن الله يدافع عن الذين آمنوا. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الحسابات

- مصرف فيصل الإسلامي
  حساب رقم:
  ٠٠٢ - ٤٥١٤-٤٢-١٠٩
- الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي
  حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- الإمارات - بنك دبي الإسلامي
  (فرع دبي) رقم الحساب
  ٥٥٤٦٥٢٤
- السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين
  حساب مجلة البيان رقم
  ٧/٢١٠٠
- قطر: مصرف قطر الإسلامي
  حساب رقم:٨٧٨٨٥٥ زكاة
  ٨٧٨٣٨٣ صدقات

National West minster Bank PLC. Fulham Branch 831 - Fulham Road London SW6 5HH Code No. 60 08 32 Account No Al-Muntada Trust (44348452)

سعر العدد

الأردن٥٠ قرشًا، الإمارات العربية ٦ دراهم، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن٤٠ ريالاً، مصر ١٢٥ قرشًا، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ٥٠ دينارًا، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5
(STERLING OR EQUIVALENT)

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	—	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرَّق	٥٠١٦٣	٣٤١١٠٧	٣٤٠٦٨٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٣٥٢٢٨٢	٣٥٢٢٩٢
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٥٥٧٧٣٤	٥٣١٥٥٠
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٩٠٩	٢٢٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	أوغندا	كمبالا	٤٦٦٧	٢٥٩٨٨٣	٢٥٩٨٨٣
١٣	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٤	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٥	بينين	كوتونو	٠٣-٤١٩٣	٣١١٤١٢	٣١١٤١٢

مراسلات البيان

الدول العربية :

البحرين: المحرَّق مكتب دار البيان ، ص.ب ٥٠١٦٣ - هاتف وفاكس ٣٤٠٦٨٠

السعودية : مكتب مجلة البيان - ص.ب ٢٦٩٧٠ الرياض : ١١٤٩٦

هاتف ٤٦٤١٢٢٢ - فاكس ٤٦٤١٤٤٦

أوروبا وأمريكا :

AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HR, U.K. Tel : 071 - 731 8145

Fax : 071 - 736 4255

في هـ



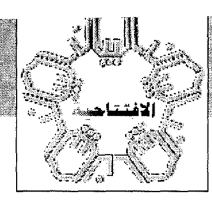
بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

ـــذا العـــدد

الموزعون

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢
الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨
قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠
مصر : القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .
المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤
السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .
اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧
السودان : دار اقرأ للنشر والتوزيع ، الخرطوم : ص.ب ٨٨ براري.

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥.
البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
أمريكا: Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065
الرقم المجاني: (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)



بعد التطوير الجديد

البيان على العهد كما عرفتموها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فانطلاقًا من مسؤوليتنا في أداء رسالتنا الدعوية والإعلامية ما زلنا نواصل هذا الدور؛ فيما قد مناه ونقدمه من دراسات وأبحاث ومقالات نتوخى فيها الفائدة للجميع وبهذا العدد تدخل به المجلة السنة الثالثة عشر، فنحمد الله ونشكره على ما يسره لنا من عون وتوفيق ونسأله ـ جل وعلا ـ السداد في القول والعمل.

ومن تحصيل الحاصل تأكيد ما يعانيه العالم الإسلامي من حرب ضروس من أعدائه الأصليين ممن كفروا به، ومن أعدائه في الداخل من المنتسبين له الذين هم من بني جلدتنا وممن يتكلمون بألستنا، لكنهم يعملون بكل وسائلهم الرخيصة وكيدهم ومكرهم المتمثل في النقد الظالم والتحليل الكاذب والاستهزاء السافر والكاريكاتير المسف محاولين إطفاء جذوة هذا الدين في نفوس أبنائه والمنتمين له، بقصد الهدم والتضليل بغزو العقول وتغريب الأفكار ليتسنى لهم تحقيق أهدافهم الدنيئة ومقاصدهم المشبوهة ليصلوا إلى تشكيك الناس بعامة والأجيال بصفة خاصة بعالمية الإسلام وكونه المهيمن على الشرائع كلها، ولكن الله مخيب آمالهم ومبطل كيدهم و﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

البيان

وعلى المنتسبين لهذا الدين والمؤمنين برسالته للناس كافة أن يكونوا على مستوى التحدي لمقاومة تلك الاتجاهات الظالمة وكشف أولئك الذين يحاربون دين الله بوسائلهم المعروفة التي يدَّعون عن طريقها أنهم أصحاب فكر ودعاة تنوير، وقد يتبن لنا أنهم مغرضون ومضللون ويكفي لكشف دعاواهم معرفة مواقفهم المتشنجة من الإسلام

باعتباره منهج حياة متكامل لا سيما ونحن نعيش في عصر الإعلام حتى يكاد أن يصبح العالم قرية كونية متشابكة، تقوم فيها كل الاتجاهات العقدية والفكرية ببث رسائلها ومنطلقاتها بكل الوسائل المتاحة، بينما بعض الدعاة مشغول بعضهم ببعض حتى غُزِينا في عقر دورنا، وصرنا مستهلكين وغير مبدعين إلى حد أن جُلَّ وسائل إعلامنا في كثير من البلدان تنقل عن أعدائنا أكثر ما يبثونه من زبالات الأفكار؛ وهذا ـ وبلا شك ـ له آثاره الكبرى في جعل أجيالنا مقلدة ومستلبة الفكر وممسوخة العقول؛ وفي هذا ما فيه من الإفساد والتدمير لكل المتلقين لذلك الإعلام بكافة وسائله.

إننا ندرك حجم المسؤولية العظيمة التي تصدّرنا لها في مجلة البيان، وندرك جسامة الأعباء المتراكمة التي تنتظرنا. وندرك كذلك ضعفنا وقلة إمكاناتنا، ولكننا ندرك أيضًا بأن الفاجر كما ليت، والضعف سمة القاعدين البطالين. ولو أن الإنسان لم ينظر إلا إلى المشكلات والعقبات التي تواجهه، فإنه لن يستطيع أن يعمل وينجز أو يتحرك خطوة واحدة إلى الإمام، ولهذا جاءت وصية النبي ﷺ: «استعن بالله ولا تعجز». وقديمًا قال الشاعر:

ومن يتهيب صعود الجبال   يعش أبد الدهر بين الحفر

إن الهمم العالية، والنفوس الوثابة الصادقة لا تعجزها العقبات، ولاتثبطها المكائد، بل تنطلق عزيزة صادقة ملتجأة بالله ـ تعالى ـ، لا يضرها من خذلها ولامن خالفها، ونسأل الله ـ عز وجل ـ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكون لنا من ذلك أوفر الحظ والنصيب، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا أو إلى أحد من خلقه طرفة عين.

ونحن في مجلة (**البيان**) مع إسهامنا بجهد المقل في هذا المجال ونحن ـ ولله الحمد ـ منذ العدد الأول الصادر في عام ١٤٠٦هـ نؤكد وما زلنا ندعو إلى العمل الإعلامي المتكامل في مجال تبليغ رسالة الإسلام داعين إلى معالم مهمة في الطريق لأداء هذه الرسالة منطلقين من أسس راسخة، نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يعيننا على الثبات عليها، ويطيب لنا أن نذكر قراءنا الكرام بأهدافنا العامة في هذه المجلة:

١ – نشر عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢ – نشر العلم الشرعي الذي يُبنى على الدليل، والتأصيل العلمي.

٣ – الاهتمام بالدراسات الدعوية والتربوية التي تعين في توجيه الأمة وتصحيح مسارها.

٤ – التعريف بواقع المسلمين السياسي والاقتصادي، والمساهمة في حل مشكلاتهم.

٥ – الدعوة إلى تجميع جهود المسلمين وطاقاتهم، والبعد عن التعصب إلى إقليم، أو حزب، أو جماعة.

٦ ـ تنبيه المسلمين عمومًا والدعاة خصوصًا إلى المؤامرات التي تحاك ضدهم لأخذ الحيطة والحذر.

ونذكر بما أكد عليه منذ العدد الأول بأن (البيان) هي مجلة كل مسلم مهما كان لونه وجنسه وموقعه، ولا ندعي أنها صوت المسلمين الوحيد، ولا نزدري الأصوات الأخرى في الساحة الدعوية؛ مع البعد عن التورط في أيِّ حوارات عقيمة أو مهاترات رخيصة، وفي الوقت نفسه لا نضيق بأي عمل إسلامي صادق أو جهد مشكور.

ولا شك أن العمل الإسلامي ـ لكي يؤدي رسالته ويوثر التأثير الإيجابي المطلوب في إصلاح الأفراد والمجتمعات ـ يلزمه زيادة على المنطلقات آنفة الذكر أن يواكب المستجدات في عالم الاتصال، وأن يأخذ بكل السبل المتاحة لأداء دوره بشكل مقبول. ومن هذا المنطلق عملت (أسرة التحرير) في (البيان) باذلة كل ما في مستطاعها للاستفادة من المختصين في المجال الإعلامي لإدخال التطوير الذي ترونه على صفحات هذا العدد، والذي حرصنا فيه أن يكون متناسبًا ونهج المجلة مع الحرص على مسائل مهمة رأينا أهميتها لتواكب هذه الخطوة ومنها:

البيان

١ - الالتزام بالوسطية والبعد عن الغلو لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢ - الأخذ بالدليل الشرعي الصحيح فيما نقدمه بعيدًا عن انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

٣ - استكتاب الأقلام المشهود لها بالخيرية والسابقة في الدعوة؛ ومن نافلة القول أن نذكِّر قراءنا الكرام بأن المجلة حينما تفسح صفحاتها لمقالة جيدة أو دراسة مفيدة؛ فإن هذا لا يعني بالضرورة تزكية مطلقة لكاتبها في كل الأحوال؛ فإنه ليس من مهام هذه المجلة أن تتحسس عن جوانب شخصيات كُتَّابها؛ فالمجلة تصل إلى أقطار عديدة من العالم، ويراسلها الكتاب من كل مكان، فمنهم من نعرف ومنهم من لا نعرف، ومن نعرفه ربما نتفق معه في مسائل ونختلف معه في مسائل أخرى ـ اختلافًا سائغًا ـ فالمجلة تهتم في الأساس بسلامة ما ينشر على قرائها وتضمن ـ بحول الله تعالى ـ عدم مخالفة المنطلقات الشرعية المعتبرة.

إن صلتنا مع قرائنا ولا سيما العلماء منهم والدعاة والمفكرون والكتاب المتعاونون ـ هذه الصلة قائمة ومستمرة، وسبق أن وضعنا استبانة بشأن ما يراه القارئ الكريم من إيجابيات وسلبيات ومقترحات للنهوض بهذه المجلة وجاءت الإجابات من كافة أنحاء العالم الذي تصله (البيان) ومما زاد في فرحتنا وأثلج صدورنا أن رأينا توالي وجهات



النظر من القراء والقارئات، وسرَّنا موقف قطاع كبير منهم يُؤْثرُ البيان لتميزها في المنهج وتنوعها في الطرح ومتابعتها لأحوال المسلمين؛ وكانت الاقتراحات كثيرة جدًا، منها:

- الاستمرار في التنوع الثقافي القائم، وأهمية الاستفادة من مشاركة العلماء والدعاة والمفكرين المعروفين على الساحة الإسلامية بالكتابة من قبلهم وإجراء الحوارات معهم.
- أهمية تحسين الإخراج الفني للمجلة والاستفادة من الرؤى الفنية للمختصين ليجتمع كمال الشكل مع المضمون معًا.
- أهمية إعطاء الأسرة بعامة والمرأة بخاصة مجالاً ودورًا أكبر، واهتمامًا أعمق عن طريق استكتاب الأقلام المختصة من الجنسين.
- أهمية إطلاع القراء على ما ينشر خارج العالم الإسلامي من مقالات وأبحاث مترجمة ليطلع القارئ على ما يتناوله الإعلام الأجنبي في مواقفه من الإسلام والمسلمين وكشفها.
- أهمية وضع مسابقة بهدف التوعية أولاً، وربط القارئ بالمجلة في الوقت نفسه ثانيًا.
- زيادة الاهتمام بقضايا العالم الإسلامي وبخاصة الساخنة منها، وتسليط الأضواء عليها بما يوضح حقائقها وخفاياها.

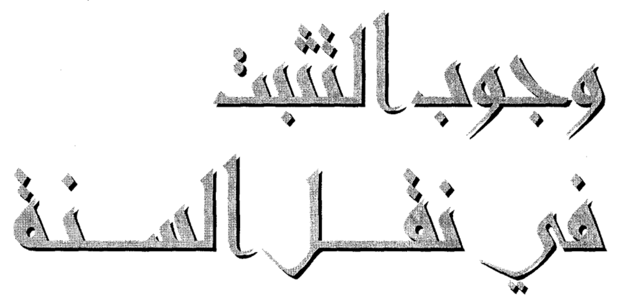
وهناك اقتراحات قد لا تتناسب واهتمام المجلة مثل الدعوة لوضع (كاريكاتير) و (صفحة للتعارف) و (الجديد في الطب والعلوم) و(تسالي وشذرات وقطوف خفيفة) و(ركن الطفل).. ونحوها.. ونحن مع احتفائنا بآراء الإخوة القراء قد وضعنا مرئياتهم نصب أعيننا، وأخذنا بما تيسر منها، ونعمل على الاستفادة منها مستقبلاً؛ ونعتقد أن التواصل مع القارئ الكريم هدف كبير لكل مطبوعة وبهذا التفاعل يكون الرقي والتطور نحو الأحسن والأفضل ـ بإذن الله ـ.

هذا هو العدد التطويري بين أيديكم بعد أن بذلنا فيه جهدنا، وما زلنا نواصل الإلحاح على كثير من الكتاب والعلماء والدعاة للمشاركة بالرأي والكتابة والتوجيه؛ وأملنا كبير بتواصلهم ـ إن شاء الله ـ وسيرى القارئ الكريم في الأعداد القادمة المزيد من الاستطلاعات والحوارات والندوات والمتابعات بما نتمنى أن يحقق طموح القراء والمحبين ويسهم في مزيد من التوعية والتوجيه، ونحن على أمل بتواصل الجميع لما فيه الخير والفائدة.

البيان







وجوب التثبت في نقل السنة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد: فمن البدهيات الشرعية أن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي. ومن المقرر عند العلماء المحققين أنه لا يجوز الاستدلال بالحديث في أي مجال من المجالات إلا إذا كان مقبولاً عند المحدثين. والملاحظ في عصرنا هذا قلة العناية بهذا الجانب بحيث تجد الكثيرين ينقلون الحديث، ويستدلون به دون معرفة بمرتبته. وبهذا فقد يساهمون في نشر الكذب على رسول الله ﷺ إذا كان الحديث موضوعًا؛ وهم لا يدرون ذلك.

ونظرًا لخطورة هذا المسلك أحببت أن أذكِّر بضرورة التثبت في نقل السنة انطلاقًا من قوله ﷺ: «من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

بقلم: جلال راغون



تخريج الحديث:

ورد هذا الحديث عن ثلاثة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حسب ما وقفت عليه: سمرة ابن جندب، والمغيرة بن شعبة، وعلي بن أبي طالب.

ـ أما حديث سمرة بن جندب:

فقد رواه عنه التابعي الجليل عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عيسى الكوفي، وهو ثقة وقد أخرج له الجماعة(١).

ورواه عنه الحكم بن عتبة، أبو محمد الكوفي، وهو تابعي ثقة ثَبْتٌ؛ إلا أنه ربما دلس. وقد أخرج له الجماعة(٢).

ورواه عنه أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج، أبو بسطام الواسطي ثم البصري؛ وقد خرج له الجماعة أيضًا(٣).

وقد ورد عنه هذا الحديث من طرق، منها:

١ ـ رواية وكيع بن الجراح، أبو سفيان الكوفي، وهو ثقة حافظ أخرج له الجماعة(٤).

ورواية وكيع أخرجها أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف في كتاب الأدب: ما ذكر من علامة النفاق(٥).

ومن طريق أبي بكر بن أبي شيبة أخرجه كل من مسلم في مقدمة صحيحه(٦) وابن ماجه في مقدمة السنن(٧).

وأبو بكر بن أبي شيبة إمام من أئمة الحديث أخرج له الجماعة ما عدا الترمذي(٨) فهذا إسناد صحيح رجاله رجال الشيخين، وعنعنة الحكم بن عتيبة لا تضر؛ لأنه قليل التدليس(٩) وروى عنه شعبة وهو أعلم الناس وأحفظهم لحديث الحكم(١٠).

---

(١) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٦، ص ٢٣٣، ط دار الكتب العلمية ببيروت، ط١: ١٤١٥هـ بتحقيق مصطفى عطا والتقريب، ج١، ص٥٨٨، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١: ١٤١٣هـ بتحقيق مصطفى عطا.

(٢) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٢، ص ٣٨٨ والتقريب، ج١ ، ص ٢٣٢.

(٣) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج١١، ص ٣٠٨ والتقريب، ج١ ، ص ٤١٨.

(٤) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٢، ص ١٠٩ والتقريب، ج١ ، ص ٢٨٣.

(٥) ج٦، ص ١٢٥.

(٦) ج١، ص ٦٢ بشرح النووي.

(٧) ح٣٥، ج١، ص ١٥ نسخة محمد فؤاد عبد الباقي ط، دار الفكر ببيروت بدون تاريخ.

(٨) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٦، ص ٥ والتقريب، ج١، ص ٥٢٨.

(٩) ذكره الحافظ ابن حجر في الطبقة الثانية من المدلسين، انظر طبقات المدلسين، ص ٤٧، ط دار الصحوة القاهرة، ط١: ١٤٠٧هـ.

(١٠) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٤، ص ٣١٢.



٢ ـ رواية أبي داود الطيالسي صاحب المسند. فقد رواه عن شعبة في المسند[١].

٣ ـ رواية محـمد بن جعفـر، أبو عبد الله البصـري المعروف بِغُنْدَر[٢] ثقة مجـمع عليه[٣] وروايته أخرجهـا ابن ماجه[٤] من طريق أبي بكر محمد بن بشـار البصري المعروف ببُنْدار[٥] وهو ثقة مجمع عليه[٦].

٤ ـ رواية الحسن بن موسى الأشيب: أبو علي البغدادي وهو ثقة مجمع عليه[٧]. وروايته أخرجهـا ابن ماجه[٨] من طريق أبي عبـد الرحمن مـحمد بن عـبد الله بن نميـر الكوفي، ثقة مجمع عليه[٩].

فحديث سمرة بن جندب حديث صحيح أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، ومسلم في مقدمة صحيحه، وابن ماجه في سننه. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند[١٠] وابن حبـان في صحيـحه[١١] وابن عبـد البر في مـقدمة التـمهـيد[١٢] والطحاوي في مشكل الآثار[١٣].

ـ وأما حديث المغيرة بن شعبة:

فقـد رواه عنه أبو نصر ميـمون بن أبي شبـيب الكوفي. وهو صدوق كثـير الإرسال. وقد أخرج له البـخاري في الأدب المفرد، ومسلم في مقدمة صـحيحه، وأصـحـاب السنن الأربعـة[١٤]. ورواه عنه أبو يحـيى حـبيـب بن أبي ثابت الكوفي. تابعي أيضًا وهو ثقة كثير الإرسال والتدليس. أخرج له الجماعة[١٥].

البيان

---

(١) ص، ١٢١.

(٢) لقبه بذلك ابن جريج؛ لأنه كان يـكثر التشغيب عليه، وأهل الحجاز يسمـون المشغب غندرًا (شرح النووي على مسلم، ج١، ص ٦٥).

(٣) الحافظ ابن حجر: التهذيب،ج٩، ص ٨١، والتقريب ، ج٢، ص ٦٣.

(٤) ح ٣٩، ج ١، ص ١٥.

(٥) هذا لقب معناه من في يده القانون وهو أصل ديوان الخراج، لقب بذلك لأنه كان بندارًا في الحديث جمع حديث بلده. انظر بذل الإحسان للحويني، ج١، ص ٢٥١.

(٦) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج ٩، ص٥٨، والتقريب، ج٢، ص ٥٨.

(٧) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٢، ص ٢٩٢ والتقريب، ج١، ص ٢١٠.

(٨) ج١، ص ١٥.

(٩) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٩، ص ٢٤٤ والتقريب، ج٢، ص ١٠٠.

(١٠) ج ٥، ص ١٩ ــ ٢٠.

(١١) ج١، ص ٢١٢ بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

(١٢) ج١، ص ٤١، ط المغرب.

(١٣) ج١، ص ١٧٥.

(١٤) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج١٠، ص ٣٤٧، والتقريب، ج٢، ص ٢٣٣.

(١٥) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٢، ص ١٦٤، والتقريب، ج١، ص ١٨٣.

ورواه عنه كل من شعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري أبو عبد الله الكوفي أمير المؤمنين في الحديث مجمع عليه[١].

وقد أخرج الإمام مسلم في مقدمة صحيحه[٢] روايتهما معًا من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع بن الجراح عنهما.

وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال الشيخين ما عدا ميمون بن أبي شبيب فإنه صدوق كما تقدم. ولم يصرح حبيب بن أبي ثابت بالسماع في رواية مسلم، وورد التخريج بذلك في رواية أبي داود الطيالسي في المسند[٣].

وأخرج رواية سفيان فقط من طريق وكيع بن الجراح الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه[٤].

ومن طريق أبي بكر بن أبي شيبة أخرجه ابن ماجه في سننه[٥].

وأخرج رواية سفيان فقط الإمام الترمذي في جامعه[٦] من طريق بندار[٧] عن عبد الرحمن ابن مهدي الإمام الحافظ المجمع عليه[٨] ، عن سفيان الثوري به.

فحديث المغيرة بن شعبة حديث حسن أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، والترمذي وابن ماجه في سننهما، وأبو داود الطيالسي في مسنده، وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، وكذا الإمام الطحاوي في مشكل الآثار[٩].

ـ وأما حديث علي بن أبي طالب:

فقد رواه عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى الذي رواه أيضًا عن سمرة كما تقدم.

ورواه عنه الحكم بن عتيبة الذي تقدم في حديث سمرة.

ورواه عنه كل من الأعمش ومحمد بن أبي ليلى.

أما الأعمش فهو الحافظ أبو محمد سليمان بن مهران الكوفي، وهو ثقة مدلس، وقد أخرج له الجماعة[١٠]. وروايته عن الحكم بن عتيبة ضعيفة كثيرة الأوهام كما ذكر ذلك الإمام علي بن المديني[١١].

---

(١) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٤، ص ١٠١، والتقريب، ج١، ص ٣٧١.

(٢) ج١، ص ٦٢ بشرح النووي.

(٣) ص ٩٤ ــ ٩٥.

(٤) ج٦، ص ١٢٥.

(٥) ح ٤١، ج١، ص ١٥.

(٦) كتاب العلم باب ما جاء فيمن روى حديثًا وهو يرى أنه كذب ح ٢٦٦٢ نسخة شاكر، ط دار الفكر، تحقيق كمال يوسف الحوت.

(٧) هو محمد بن بشار تقدم، انظر، ص ٢.

(٨) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٦، ص ٢٤٧، والتقريب، ج١، ص ٥٩٢.

(٩) ج١، ص ١٧٥.

(١٠) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٤، ص ٢٠١ والتقريب، ج١، ص ٣٩٢.

(١١) ابن رجب: شرح علل الترمذي، ص ٣٤٧.



ورواية الأعمش أخرجها ابن ماجه في سننه[1] من طريق عثمان بن أبي شيبة[2] أبو الحسن الكوفي وهو ثقة حافظ أخرج له الجماعة ما عدا الترمذي، وهو صاحب المسند والتفسير وأخو الحافظ أبي بكر عبد الله بن أبي شيبة[3].

عن محمد بن فضيل[4] أبي عبد الرحمن الكوفي صاحب التصانيف وهو مجمع عليه، عن الأعمش به.

ومن طريق عثمان بن أبي شيبة به، أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند.

وقد صحح هذا الإسناد كل من الشيخ أحمد شاكر[5] ـ رحمه الله ـ والشيخ شعيب الأرناؤوط[6] ـ حفظه الله ـ وهذا تساهل منهما؛ فإن هذا الإسناد له ثلاث علل:

الأولى: عنعنة الأعمش وهو مدلس.

الثانية: ضعف رواية الأعمش عن الحكم.

الثالثة: مخالفة الأعمش لشعبة. فالأعمش رواه عن الحكم عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن علي بن أبي طالب، فجعله من مسند علي. وخالفه شعبة فرواه عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سمرة بن جندب، فجعله من مسند سمرة. وشعبة كما ذكر العلماء أثبت في الحكم من الأعمش[7] وبذلك تقدم رواية شعبة عن الأعمش. وقد ذكر الإمام الترمذي في جامعه[8] أن رواية شعبة أصح عند المحدثين من رواية الأعمش.

ـ وأما محمد بن أبي ليلى فهو أبو عبد الرحمن الكوفي الفقيه قاضي الكوفة، وهو صدوق سيئ الحفظ جدًا، وقد أخرج له الأربعة[9].

(١) ح ٤٠، ج١، ص ١٥.

(٢) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٧، ص ١٣٢،والتقريب، ج١، ص ٦٦٤.

(٣) ولهما أخ ثالث وهو القاسم إلا أنه ضعيف، وهو أكبرهم. انظر الضعفاء للنسائي ، ص ٢٠١.

(٤) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٩، ص ٣٤٩ والتقريب، ج٢، ص ١٢٤ ــ ١٢٥.

(٥) ج٢، ص ٢٣٤ بتحقيق شعيب الأرناؤوط. (٦) في تعليقه على المسند، ج٢، ص ١٧٤.

(٧) الحافظ ابن حجر: التهذيب ، ج٤ ، ص ٣١٢.

(٨) ج٥، ص ٣٦ نسخة شاكر، ط دار الفكر بدون تاريخ.

(٩) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٩، ص ٢٦٠ والتقريب، ج٢، ص ١٠٥.

وروايته عن الحكم بن عتيبة أخرجها ابن ماجه في سننه[1] من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن علي بن هاشم، أبي الحسن الكوفي وهو صدوق يتشيع، وقد أخرج له البخاري في الأدب المفرد ومسلم، والأربعة[2] عنه، به.

وهذا إسناد ضعيف لضعف محمد بن أبي ليلى. ومتابعة محمد بن أبي ليلى للأعمش قد ترفع روايتهما إلى مرتبة الحسن لغيره ولكنها شاذة لمخالفتها لرواية شعبة وهي أصح.

وخلاصة القول: أن هذا الحديث ثبت عن سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة ولم يثبت عن علي بن أبي طالب. وقد كان الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ دقيقًا؛ حيث أخرج في مقدمة صحيحه حديث سمرة والمغيرة ولم يخرج حديث علي. والله تعالى أعلم.



فقه الحديث:

لكي نبين المقصود من هذا الحديث النبوي وما يستفاد منه، فلا بد من الإشارة إلى ما يتعلق بأهم ألفاظه من حيث الرواية واللغة.

ففي معظم طرق هذا الحديث ورد بلفظ: «من حدث عني بحديث». وفي رواية أحمد عن سمرة، ورواية أبي داود الطيالسي عن سمرة وعن المغيرة «من روى عني حديثًا» والمعنى واحد، والمقصود: من نسب حديثًا إلى رسول الله ﷺ ونقله عنه بأي وجه من الأوجه.

وقوله ﷺ: «يرى» يحتمل أن يكون بضم الياء، ويحتمل أن يكون بفتحها. ولم أقف على ضبط هذه الكلمة من حيث الرواية حسب ما وقفت عليه من طرق هذا الحديث. وقد ذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه على صحيح مسلم[3] أنه ضبطها بضم الياء وهو المشهور كما قال.

فإذا كانت بضم الياء فمعناها يَظُن. وفعل رأى إذا أريد به الظن فمضارعه يكون ملازمًا للمجهول. فلم يأت مضارع رأى بمعنى الظن إلا مجهولاً[4] أقول مثلاً: أُرَى زيدًا عالمًا أي أظنه عالمًا.

---

(١) ح ٣٨، ج١، ص ١٤.

(٢) الحافظ ابن حجر: التهذيب، ج٧، ص ٣٣١ والتقريب، ج١، ص ٧٠٤.

(٣) ج ٨، ص ٦٤.

(٤) د. أميل بديع يعقوب: موسوعة النحو والصرف والإعراب، ص ٣٩، ط دار العلم للملايين، ط٣.



وإذا كانت بفتح الياء فمعناها علم. فالرؤية القلبية معناها العلم حقيقة وقد تطلق على الظن مجازًا. وقد جمع الله بين المعنيين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦، ٧] أي يظنونه ونعلمه(١).

وساذكر فيما بعد ما يستفاد من الحديث في كلتا الحالتين.

وقوله ﷺ: «فهو أحد الكاذبين» يحتمل أن يكون بكسر الباء وفتح النون على الجمع، ويحتمل أن يكون بفتح الباء وكسر النون على التثنية. والطرق التي وقفت عليها لم يرد فيها تحديد ذلك رواية. وقد ذكر الإمام النووي(٢) أنه ضبطه بكسر الباء وفتح النون على الجمع، وقال بأن هذا هو المشهور. ونقل عن القاضي عياض قوله: «الرواية فيه عندنا: الكاذبين، على الجمع»(٣).

وذكر النووي أيضًا(٤) أن الإمام أبا نعيم الأصبهاني رواه في مستخرجه على صحيح مسلم عن حديث سمرة بصيغة التثنية واحتج به على أن الراوي له يشارك البادئ بهذا الكذب. ورواه أبو نعيم أيضًا من رواية المغيرة بالتثنية أو الجمع على الشك(٥).

والمعنى متقارب ففي حالة التثنية فالمقصود أن الراوي يشارك الكاذب في كذبه. وفي حالة الجمع فالمقصود أن الراوي أحد الكاذبين.

وفي رواية أبي داود الطيالسي عن سمرة وكذا المغيرة بن شعبة ورد الحديث بلفظ (الكذابين) بصيغة المبالغة وهي أبلغ في الزجر.

بعد هذا البيان أذكر ما يستفاد من الحديث في ضوء ما تقدم ذكره.

فالكلمة المحورية في هذا الحديث هي قوله ﷺ: «يرى»:

ـ فإذا كانت بفتح الياء بمعنى يعلم فإن من ينسب حديثًا إلى رسول الله ﷺ وهو يعلم أنه كذب ولا يبين ذلك فهو أحد الكاذبين على رسول الله. وقد أجمع العلماء على أنه لا تحل رواية الحديث الموضوع إلا مع بيان وضعه. قال الحافظ ابن حجر: «واتفقوا على تحريم رواية الموضوع إلا مقرونًا ببيانه لقوله ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد

(١) حاشية الملوي على المكودي، ص ٦٠.

(٢) شرح النووي على مسلم ، ج١، ص ٦٤.

(٣، ٤) المرجع السابق.

(٥) شرح النووي على مسلم، ج١، ص ٦٥.

الكاذبين»[1] والكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر؛ للحديث المتواتر: «من كـذب علي متعمدًا فليتبوأ مـقعده من النار»[2] وبالغ أبو محمـد الجويني والد إمام الحرمين فكفر متـعمد الكذب على رسول الله ﷺ[3] وتبعـه على ذلك طائفة من العلمـاء منهم الإمام ناصر الـدين بن المنير من أئمة المالكية[4].

ـ أما إذا كانت بضم الراء بمعنى يظن، فأصل الظن الشك مع ميل إلى أحد معتقديه[5] والظن شرعًا نوعان [6]: **محمود**: وهو الذي يستند إلى دليل. وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد.

ومذموم: وهو الذي لا يستند إلى دليل وإنما هو مـجرد أوهام. وهذا المقصود في قوله ـ تعالى ـ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢] واعـتبره النبي ﷺ أكذب الحديث؛ فقد أخرج الشيـخان من حديث أبي هريرة مرفوعًـا: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»[7] قال القـاضي عيـاض معلقًا علـى هذا الحديث: «وهذا الحديث حمله المحـققون على ظن مجرد عن الدليل لـيس مبنيًا على أصل ولا تحقيق نظر»[8].

البيان | **إذا علمنا هذا فـإن من ينقل حـديثًا عن رسـول الله ﷺ وينسبـه إليه وهو يظن أنه كذب فإن كان هذا الظن يستند إلى دليل فيجب عليه أن يبين ذلك، وإلا كان مساهمًا في نشر الكذب على رسول الله ﷺ.**

أما إذا كان هذا الظـن لا يستند إلى دليل؛ ففي هذه الحالة لا يحل له أن ينسـب حديثًا إلى رسول الله ﷺ وهو لا يعلم مرتبته؛ إذ قد يكون موضـوعًا وهو لا يعلم. وقد ترجم ابن حبان

(١) نزهة النظر ، ص ٨٨ بتحقيق نور الدين عتر.
(٢) استـوعب طرقه وألفـاظه السيـوطي في «تحذير الخـواص من أكاذيب القـصاص»، ص ٧٥ ـ ١١٩ تحقـيق محـمد الصباغ.
(٣) نزهة النظر، ص ٨٨.
(٤) السيوطي: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، ص ١٢٥.
(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص ٣٧٦.
(٦) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص ٣٣٢.
(٧) محمد فـؤاد عـبد الباقـي: اللؤلـؤ والمرجـان فيما اتفـق عليـه الشيـخان، ج٣، ص ١٤٦، ط دار الحـديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ .
(٨) الحافظ ابن حجر: فتح الباري، ج١٠، ص ٤٨١، ط دار الفكر بدون تاريخ.



لهذا الحديث بقوله: فصل ذكر إيجاب دخول النار لمن نسب الشيء إلى المصطفى ﷺ وهو غير عالم بصحته[1]. فتبين لنا أن هذا الحديث النبوي الشريف يحذرنا من نسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ دون تثبت؛ إذ إن من يفعل ذلك فقد يكون من الكاذبين على رسول الله ﷺ وهو لا يشعر.

فالواجب على المؤمن أن يتثبت في نقل السنة النبوية. ولنا في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الأسوة الحسنة. فهم أول من تثبَّت في نقل السنة وقبولها. والأمثلة على ذلك كثيرة[2] أقتصر على مثال واحد وهو الآتي:

ـ أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي، فرجعت. فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع». فقال: والله لتقيمن عليه بينة. أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أُبَيٌّ بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك. هذا لفظ البخاري[3]. وورد هذا الحديث من رواية أبي موسى الأشعري أخرجها مسلم وغيره؛ ومما جاء فيها قول عمر: «سبحان الله! إنما سمعت شيئًا فأحببت أن أتثبت»[4].

ومما جاء في رواية مالك في الموطأ من حديث أبي موسى قول عمر له: «أما إني لم أتهمك؛ ولكني خشيت أن يتقوَّل الناس على رسول الله ﷺ»[5] فهذا مظهر من مظاهر تثبت الصحابة في قبول السنة. وعلى هذا النهج سار التابعون وأتباعهم مما أسهم في ظهور علم يعتبر مفخرة للأمة الإسلامية ألا وهو علم أصول الحديث الذي يهتم بالأساس بنقد متن وإسناد الحديث لمعرفة ما ثبت منه مما لم يثبت. فهو بحق ميزان السنة النبوية.

---

(١) الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان، ج١، ص ٢١٢، بتحقيق شعيب الأرناؤوط.

(٢) يراجع على سبيل المثال أصول الحديث لعجاج الخطيب، ص ٨٨، ط دار الفكر ببيروت، ط ١٤٠٩هـ.

(٣) كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثًا، فتح الباري، ج١١، ص ٢٦.

(٤) صحيح مسلم، ج٣، ص١٦٩٧، محمد فؤاد عبد الباقي.

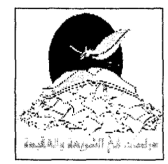
(٥) ابن الأثير: جامع الأصول، ج٦، ص ٥٨٣ بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ.

ولكي نتثبت في نقل السنة يتعين علينا دراسة هذا العلم وإتقانه وتطبيقه. بل ما أحوجنا إلى هذا العلم لنقد الأخبار بصفة عامة، وبذلك نجنب أنفسنا مزالق متعددة.

وخير ما أختتم به هذه الدراسة المتواضعة نص هام للحافظ ابن حجر له صلة بموضوعنا؛ حيث قال ـ رحمه الله ـ [1]: «سبيل من أراد أن يحتج بحديث من السنن أو بحديث من المسانيد واحد؛ إذ جميع ذلك لم يشترط من جمعه الصحة ولا الحسن خاصة. فهذا المحتج إن كان متأهلاً لمعرفة الصحيح من غيره فليس له أن يحتج بحديث من السنن من غير أن ينظر في اتصال إسناده وحال رواته. كما أنه ليس له أن يحتج بحديث من المسانيد حتى يحيط علمًا بذلك. وإن كان غير متأهل لدرك ذلك فسبيله أن ينظر في الحديث إن كان خرج في الصحيحين، أو صرح أحد من الأئمة بصحته، فله أن يقلد في ذلك. وإن لم يجد أحدًا صححه ولا حسنه فما له أن يقدم على الاحتجاج به فيكون كحاطب ليل؛ فلعله يحتج بالباطل وهو لا يشعر». فالتزام هذا السبيل خطوة للتثبت في نقل السنة. وفقنا الله لتحقيق ذلك وللعمل بسنة رسوله ﷺ. آمين والحمد لله رب العالمين.

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح، ج١، ص ٤٤٩ تحقيق ربيع بن هادي.







ـ علم القراءات: وهو علم يعتمده المفسر لمعرفة كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، ويترتب على ذلك ترجيح بعض المعاني القرآنية المحتملة على بعض، وهذا ما يساعد أيضًا على ترجيح بعض الأحكام الفقهية على بعض؛ إذ كلما تعددت القراءات، كلما تنوعت المعاني واختلفت الأحكام؛ فمثلاً من قرأ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ . .أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ . . .﴾ [النساء: ٤٣]. فسر الآية بأنه ـ تعالى ـ يريد باللمس الجماع؛ ومن قرأ بقراءة: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾. فسرها بأنه ـ تعالى ـ أراد مجرد الجس باليد؛ ولكل من المعنيين حكمه الخاص.

بقلم: ميمون بن عبد السلام باريش

ـ **علم أسباب النزول:** وهو علم لا بد منه للوقوف على المعنى الدقيق لآيات الذكر الحكيم؛ إذ الجهل بأسباب النزول يوقع في اللبس والإبهام، وقد روي أن عثمان بن مظعون وعمرو بن معد يكرب استحلا الخمر محتجين بظاهر قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] حتى علما سبب نزول هذه الآية، وأنها نزلت جوابًا على سؤال بعضهم لرسول الله ﷺ؛ إذ لما نزلت آية تحريم الخمر، قالوا: كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم. وقد أخبرنا الله ـ تعالى ـ أنها رجس؟ فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية [1].

وللإشارة، فإن العلم بسبب النزول يورث العالم به الفهم السديد لمدلول الآية؛ وذلك باستحضاره للإطار العام الذي نزلت فيه، بما في ذلك الحالات النفسية للمخاطبين إبان النزول سواء تعلق الأمر بالسلم أو الحرب، والأمن أو الخوف، وسعة الرزق أو الجوع، والنصر أو الهزيمة، والبداوة أو التحضر، والقوة أو الضعف... وما إلى ذلك من الحالات التي ترفع اللبس

(١) السيوطي: أسباب النزول، ص ٥، مراجعة وضبط وتعليق الشيخ محيي الدين محمد بعيون، دار ابن زيدون، بيروت، ط١.



عما أبهم من القرآن الكريم، وكل ما من شأنه أن يؤهل المفسر لأن «يكشف من صور التلاؤم بين النص القرآني والبيئة التي نزلت فيها: البشرية والزمانية والحالات النفسية والفكرية والفردية والجماعية ما لا يمكن استيفاؤه بنظرات عامات وعناصر محددات»[1]. ويدخل في ذلك أيضًا معرفة قصص الأنبياء، وأحوال الأمم السالفة وما سادها من جحود وطغيان وتنكر ونكبات.. كل ذلك يعد مفتاحًا ضروريًا لفهم النص القرآني فهما سديدًا يتلاءم مع مقامه المقدس، ولا بد في ذلك كله من مراعاة قاعدة: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[2].

ـ **علم الحديث رواية ودراية:** قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

فهذان النصان القرآنيان صريحان في اعتبار السنة النبوية الشريفة من المصادر التي يستمد منها المفسر مادته في تفسير الذكر الحكيم. وهذا ما يستوجب ضرورة استقراء الأحاديث المتعلقة بهذا الشأن، والنظر في متونها نظر تفقه وتدبر لاستخلاص ما كان منها مناسبًا لتفسير آية من الآيات. ولا يكفي للمفسر أن يكون ملمًا بمظان الحديث النبوي الشريف، مطلعًا على الأبواب الحديثية الخاصة بالتفسير، بل لا بد له ـ أكثر من ذلك ـ أن يكون ممارسًا للصناعة الحديثية متقنًا بها دراية أيضًا، حتى يتسنى له عرض الروايات المفسرة للقرآن على منهج النقد الحديثي، لا سيما وأن أغلب ما يروى في التفسير لا يعدو أن يكون ضعيفًا أو موضوعًا. ولقد أشار الإمام أحمد إلى هذه الحقيقة حيث قال: «ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير»[3]، بمعنى أن الغالب من هذه الكتب ليس لها أسانيد

---

(١) الشيخ عبد الرحمن الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ـــ عز وجل ـــ، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(٣) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص ٢٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.



صحاح متصلة. وقد ذكر جلال الدين السيوطي أن أغلب الروايات في التفسير ضعيفة وأن «الذي صح من ذلك قليل جدًا بل أصل المرفوع منه في غالب القلة»(١).

ولهذا لا بد للمفسر من علم واسع في مصطلح الحديث لتمييز الروايات الصحيحة من السقيمة عن طريق دراسة المتن والسند معًا دراسة نقدية علمية. وهذا الزاد المصطلحي لا يخص الأحاديث المرفوعة فحسب، بل يحتاج إليه المفسر في التعامل مع مرويات الصحابة للتمييز فيها بين ما كان موقوفًا على الصحابي مما استنبطه بمحض اجتهاده، وما كان موقوفًا عليه لكنه في حكم المرفوع مما لا مجال للرأي فيه... وكل ذلك يجعل عملية تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية الشريفة أو بأقوال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عملية تجمع بين الصحة والصواب.

البيان

ـ **علم أصول الدين:** وهو علم لا محيد للمفسر عنه، لا سيما وأن القرآن الكريم في جانب واسع منه قد عالج مسائل عقدية عدة بعضها يتعلق بالألوهية وبعضها بالنبوات وبعضها الآخر بالمعاد والوعد والوعيد وذكر الصراط المستقيم.. وغير ذلك من المسائل العقدية التي تدخل في اختصاص علم الكلام، وإلا فكيف يتسنى للمفسر أن يستدل عقليًا ـ في معرض تفسيره لآية مكية ـ على ذات الحق ـ تبارك وتعالى ـ وصفاته وأفعاله، وعلى ما يجوز وما يجب وما يستحيل في حقه ـ عز وجل ـ؟ وكيف يتسنى له أن يحارب عقائد الشرك والجحود ومجادلة أصحابها لرد ضلالاتهم وبدعهم ودحض شبههم إذا لم يكن عالمًا بطرق الحجاج والبرهان العقلي.

ـ **علم أصول الفقه:** وهو أيضًا مما يحتاج إليه المفسر لتفسير كتاب الله ـ عز وجل ـ، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام واستنباطها، ومن قواعده ما يدرك به حدود الأشياء، والصيغ القرآنية إنشائية كانت أو خبرية، وبه تعرف صيغ الأمر والنهي والمجمل والمبين والعموم والخصوص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه، وهو بهذا يساعد على «ضبط قوانين الاستدلال بالآيات والأخبار على أحكام الشريعة»(٢).

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٤/١٨١.

(٢) الغزالي: جواهر القرآن ودرره، ص ٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

ـ **علم الفقه:** وهو علم لا بد منه لتفسير كتاب الله بحيث إن في القرآن الكريم آيات خاصة بالسياسة المالية وما يدخل فيها من بيوع ومداينات وربويات ومواريث، وغنائم وصدقات.. وآيات خاصة بالمناكحات وما يتعلق بها من نكاح وطلاق ورجعة وعدة وخلع وصداق وإيلاء وظهار ولعان والديات والقصاص.. وفيه غير ما ذكر من الآيات المتعلقة بالعبادات أو بالمعاملات، وسواء أكانت مجملة أم مفصلة، فهي تحتاج في تفسيرها إلى عدة فقهية كافية، أصولاً وفروعًا... وعن أهمية هذا العلم، وعلاقته بكتاب الله ـ عز وجل ـ، يبين الغزالي أن إدراك الكثير من الآيات القرآنية لا يحصل إلا لمن جال وصال في كتب الأحكام الشرعية المندرجة تحت علم الفقه وعنه يقول: «علم الحدود الموضوعة للاختصاص بالأموال والنساء للاستعانة على البقاء في النفس والنسل، وهذا العلم يتولاه الفقهاء، ويشرح الاختصاصات المالية بمحل الحداثة أعني: النساء رُبْع النكاح، ويشرح الزجر عن مفسدات هذه الاختصاصات ربع الجنايات، وهذا العلم تعم إليه الحاجة لتعلقه بصلاح الدنيا أولاً ثم بصلاح الآخرة، ولهذا تميز صاحب هذا العلم بمزيد الاشتهار والتوقير وتقديمه على غيره من الوعاظ والقصاص والمتكلمين»(1).

البيان

ـ العلوم المستحدثة: ويقصد بها كل العلوم التي أفرزها التطور الحضاري، سواء في العالم الإسلامي أو في العوالم الأخرى، ومنها الطب والرياضيات والطبيعيات وعلم الفلك وعلم التشريح وعلم الأجنة والعلوم الكيميائية والفزيائية وعلم النفس، وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والعلوم الاقتصادية... وغيرها من العلوم المستحدثة.



وللأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ كلام نفيس في نقد التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: 189]، «وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها.. كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه!

(1) المصدر السابق، ص 26.



إن القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها.. إن كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة ـ أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة ـ تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي كما أنها تنطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم:

الأولى: الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم، على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ونهائي في حقائقه..

والثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي..

والثالثة: هي التأويل المستمر ـ مع التمحل والتكلف ـ لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر...

وكل أولئك لا يتفق وجلال القرآن...

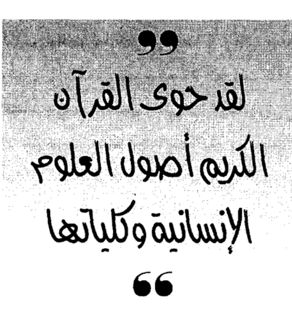
ولكن هذا لا يعني ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات ـ ومن حقائق ـ عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن...» (١).

البيان

وأما هذه، فقد اختلف علماء الإسلام في إمكانية الاستعانة بها لتفسير كتاب الله ـ عز وجل ـ.فانطلاقًا من مبدأ «أمية الشريعة»، ذهب الإمام الشاطبي إلى رفض المذهب القائل بتوظيف العلوم المستحدثة في التفسير حيث قال: «ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها ـ وهم العرب ـ ينبني عليه قواعد: منها أن كثيرًا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرفناه على ما تقدم لم يصح، وإلا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعي سوى ما تقدم (...) ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما

---

(١) في ظلال القرآن، ١/١٨١، ١٨٢، باختصار، وانظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي، ٢/٥٤٥ ـ ٧٠٢.



زعموا»[1] وهذا نفسه ما قال به بعض العلماء من السلف والخلف[2].

وإذا كان الإمام الشاطبي ومن نحا نحوه قد مثلوا الاتجاه الرافض لتفسير القرآن الكريم اعتمادًا على ما توصلت إليه العلوم من نتائج وحقائق، فإن ثلة من العلماء قد مثلوا الاتجاه المعاكس، ويأتي في مقدمتهم الغزالي الذي دعا دعوته الشهيرة إلى توظيف الحقائق العلمية لفهم خطاب الله ـ عز وجل ـ، وذلك من منطلق موافقة صحيح المعقول لصريح المنقول؛ ومن منطلق أن «القرآن هو البحر المحيط، ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين، كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها»[3]. وهو بهذا يؤكد أن أسرار الكثير من الآيات القرآنية لا يحيط بها إلا من أحاط بالعلوم الحقة؛ إذ بعد أن ذكر جملة من العلوم مما كان سائدًا في عصره، أو مما اندثر، أو مما هو محتمل الحدوث، قال: «ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن؛ فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله ـ تعالى ـ وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له، وأن البحر لو كان مدادًا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد، فمن أفعال الله ـ تعالى ـ وهو بحر الأفعال مثلاً الشفاء والمرض، كما قال الله ـ تعالى ـ حكاية عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله؛ إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه. ومن أفعاله ـ تبارك وتعالى ـ تقرير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان، وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]؛ وقال: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، ٢/٦٠، ٦١، شرحه وخرج أحاديثه فضيلة الشيخ عبد الله دراز، وضع تراجمه الأستاذ محمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) انظر أدلة القائلين بالنفي في كتاب «التفسير والمفسرون»، ٢/٤٩١ للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، ط٢، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

(٣) جواهر القرآن، ص ١٠.



الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨، ٩]، وقال: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [فاطر: ١٣]؛ وقال: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]. ولا يعرف حقيقة سر الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار، وكيفية تكور أحدهما على الآخر، إلا من عرف هيئات تركيب السماوات والأرض. ولا يعرف كمال معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨] إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرًا وباطنًا، وعدد أنواعها وحكمتها ومنافعها (...) ولو ذهبت أفصِّل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال»[1].

وللإشارة فإن ما ذهب إليه الغزالي من الاستعانة بنتائج العلوم لفهم الآيات القرآنية ذات الصبغة العلمية، قد وجد من يؤكده ويشهد بصحته؛ إذ قال به علماء جهابذة كبار يشهد لهم بالرسوخ في العلم وعلو الكعب فيه، فهذا جلال الدين السيوطي يقول: «وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا في القرآن الكريم ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السماوات والأرض وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات»[2].

انطلاقًا مما سبق ننتهي إلى القول:

ـ إن الدعوة إلى توظيف نتائج العلوم لتفسير القرآن الكريم هي دعوة نابعة من القرآن نفسه، من حيث إنه قد تحدث ـ في معرض الاستدلال على وجود الله وقدرته وعلمه.. ـ عن مختلف مظاهر الكون سواء المتعلقة بالآفاق أم المتعلقة بالأنفس، والتي يجملها قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [**فصلت**: ٥٣]، ولو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كلها ما خرجت في معانيها من قوله ـ تعالى ـ: ﴿فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [3].

(١) المصدر السابق، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٢/١٢٩، ١٣٠.

(٣) الدكتور أحمد الشرباصي: قصة التفسير، ص ٨٦، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

ـ إن الدعوة إلى توظيف الحقائق العلمية لتـدبر كتاب الله؛ لا تعني أبدًا أن القرآن الكريم قد حوى جـميع جزئيـات علم من العلوم، بل إنه تضمن أصـول هذه العلوم وكلياتهـا، وترك أمر الجزئيات للعـقول. لهذا نجد الغـزالي يختم حديثه بقـوله: «فتفكر في القرآن والتـمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين، وجملة أوائله، وإنما التفكر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله، وهو البحر الذي لا شاطئ له»[1].

ـ إن الدعوة إلى توظيف العلوم في الـتفسيـر لا تعني أبدًا أن القرآن الكريم كتـاب علم تجريبي، بل تعني منطـقيًا أنه كـتاب دعوة العـباد إلى عـبادة رب العـباد عن علم وتبـصر، «لأن الأصل فـي القرآن أنه كـتاب هداية وتشـريع لا كتاب علم وتشريـح، وهذا لا يمنع أنه قد جاء في القرآن الكريم طائفة من الآيات الكريمة التي تعرضت لموضوعات علمية تحدثت عنها حديث التعميم والإجمال لا حديث التفصيل والتحليل»[2].

ـ إن المطلوب توظيـفه من نتـائج العلوم في التـفسـيـر: الحقـائق العلميـة الثابتـة المؤكدة، لا الاحتمـالات الظنية الراجحـة أو المرجوحة، المصطلح عليـها بالنظريات أو الفرضيات [3].

البيان

وختامًا أقول:

إن علـم التفسيـر يحتـاج ـ ليتقوى وليـؤدي وظيفتـه التبليغيـة لا سـيمـا في العصـر الراهن، عـصر العلم والتـكنولوجيـا المتطورة، وعصر المذاهب الهدامة ـ إلى مـختلف العلوم سواء أكانت من العلوم التراثية أم من العلوم المستحدثة، فهو في حاجة إليها بقدر حاجته إلى الوحي، وهذا لا ينـفي القصـور عن هذه العلـوم؛ إذ هي بدورها في حاجة إلى علم التـفسير للاستئناس به إثر البتّ في القـضايا الكونية والإنسانية، أو في تقعيد بعض القواعد العقلية.

---

(١) جواهر القرآن، ص ٣٣.

(٢) الدكتور أحمد الشرباصي: قصة التفسير، ص ٨٧.

(٣) انظر التفصيل في كتاب قواعد التدبر الأمثل، ص ٢٢٥، وما بعدها للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، القاعدة الثالثة عشرة حول «أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية».



تعارض المصالح والمفاسد

شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية

تعارض المصالح والمفاسد من المسائل المشكلة في هذا العصر، والتي تحتاج إلى تحرير وتحقيق، وقد عُني شيخ الإسلام ابن تيمية بهذا الباب في مواضع متعددة من كتبه، وذكر ـ رحمه الله ـ أنه كلما ازداد النقص في اتباع الأدلة الشرعية كلما ازدادت مسائل التعارض بين المصالح والمفاسد، مما يؤول إلى الفتن بين المسلمين[1].

وفي هذا العدد نورد جوابًا لابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن سؤال مهم في هذا الباب وما تضمنه من تحرير متين، وتحقيق دقيق:

السؤال:

عن رجل متول ولايات، ومقطع إقطاعات، وعليها من الكُلَف السلطانية ما جرت به العادة، وهو يختار أن يسقط الظلم كله، ويجتهد في ذلك بحسب ما قدر عليه، وهو يعلم أنه إن ترك ذلك وأقطعها غيره وولى غيره، فإن الظلم لا يترك منه شيئًا؛ بل ربما يزداد، وهو يمكنه أن يخفف تلك المكوس التي في إقطاعه فيسقط النصف، والنصف الآخر جهة مصارف لا يمكنه إسقاطه. فإنه يطلب منه لتلك المصارف عوضها. وهو عاجز عن ذلك. لايمكنه ردها. فهل يجوز لمثل هذا بقاؤه على ولايته وإقطاعه؟ وقد عرفت نيته،

(١) انظر مثلاً: مجموع الفتاوى، ٢٠/٤٨ ـ ٦٢.



واجتهاده، وما رفعه من الظلم بحسب إمكانه، أم عليه أن يرفع يده عن هذه الولاية والإقطاع ، وهو إذا رفع يده لا يزول الظلم، بل يبقى ويزداد، فهل يجوز له البقاء على الولاية والإقطاع كما ذكر؟ وهل عليه إثم في هذا الفعل؟ أم لا؟ وإذا لم يكن عليه إثم: فهل يطالب على ذلك؟ أم لا؟ وأي الأمرين خير له: أن يستمر مع اجتهاده في رفع الظلم وتقليله، أم رفع يده مع بقاء الظلم وزيادة. وإذا كانت الرعية تختار بقاء يده لما لها في ذلك من المنفعة به، ورفع ما رفعه من الظلم: فهل الأوْلى له أن يوافق الرعية؟ أم يرفع يده، والرعية تكره ذلك لعلمها أن الظلم يبقى ويزداد برفع يده؟

فأجاب:

الحمد لله. نعم إذا كان مجتهدًا في العدل ورفع الظلم بحسب إمكانه، وولايته خير وأصلح للمسلمين من ولاية غيره، واستيلاؤه على الإقطاع خير من استيلاء غيره، كما قد ذكر: فإنه يجوز له البقاء على الولاية والإقطاع، ولا إثم عليه فى ذلك، بل بقاؤه على ذلك أفضل مِنْ تَرْكِهِ إذا لم يشتغل ـ إذا تركه ـ بما هو أفضل منه.

وقد يكون ذلك عليه واجبًا إذا لم يقم به غيره قادرًا عليه. فنشر العدل ـ بحسب الإمكان، ورفع الظلم بحسب الإمكان ـ فرض على الكفاية يقوم كل إنسان بما يقدر عليه من ذلك إذا لم يقم غيره في ذلك مقامه، ولا يطالب والحالة هذه بما يعجز عنه من رفع الظلم.

وما يقرره الملوك من الوظائف التي لا يمكنه رفعها لا يطلب بها، وإذا كانوا هم ونوابهم يطلبون أموالاً لا يمكن دفعها إلا بإقرار بعض تلك الوظائف، وإذا لم يدفع إليهم أعطوا تلك الإقطاعات والولاية لمن يقرِّر الظلم أو يزيده ولا يخففه كان أخذ تلك الوظائف ودفعها إليهم خيرًا للمسلمين من إقرارها كلها، ومن صرف هذه إلى العدل والإحسان فهو أقرب من غيره، ومن تناوله من هذا شيء أبعد عن العدل والإحسان من غيره، والمقطع الذي يفعل هذا الخير يرفع عن المسلمين ما أمكنه من الظلم، ويدفع شر الشرير بأخذ بعض ما يطلب منهم، فما لا يمكنه رفعه هو محسن إلى المسلمين غير ظالم لهم، يثاب، ولا إثم عليه فيما يأخذه على ما ذكره، ولا ضمان عليه فيما أخذه، ولا إثم عليه في الدنيا والآخرة إذا كان مجتهدًا في العدل والإحسان بحسب الإمكان.

وهذا كوصي اليتيم وناظر الوقف والعامل في المضاربة والشريك، وغير هؤلاء ممن يتصرف لغيره بحكم الولاية أو الوكالة إذا كان لا يمكنه فعل مصلحتهم إلا بأداء بعضه من أموالهم للقادر الظالم: فإنه محسن في ذلك غير مسيء، وذلك مثل ما يعطي هؤلاء المكّاسين وغيرهم في الطرقات، والأشوال، والأموال التي ائتمنوا؛ كما يعطونه من الوظائف المرتبة على العقار، والوظائف المرتبة على ما يباع ويشترى؛ فإن كل من تصرف لغيره أو لنفسه في هذه الأوقات من هذه البلاد ونحوها فلا بد أن يؤدي هذه الوظائف، فلو كان ذلك لا يجوز لأحد أن يتصرف لغيره لزم من ذلك فساد العباد وفوات مصالحهم.

والذي ينهى عن ذلك لئلا يقع ظلم قليل لو قَبِلَ الناس منه تضاعف الظلم والفساد عليهم، فهو بمنزلة من كانوا في طريق وخرج عليهم قطاع الطرق، فإن لم يرضوهم ببعض المال أخذوا أموالهم وقتلوهم. فمن قال لتلك القافلة: لا يحل لكم أن تعطوا لهؤلاء شيئًا من الأموال التي معكم للناس، فإنه يقصد بهذا حفظ ذلك القليل الذي ينهى عن دفعه، ولكن لو عملوا بما قال لهم ذهب القليل والكثير، وسلبوا مع ذلك، فهذا مما لا يشير به عاقل، فضلاً أن تأتي به الشرائع، فإن الله ـ تعالى ـ بعث الرسل لتحصيل المصالح، وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان.

فهذا المتولي المُقطَع الذي يدفع بما يوجد من الوظائف، ويصرف إلى من نسبه مستقرًا على ولايته وإقطاعه ظلمًا وشرًا كثيرًا عن المسلمين أعظم من ذلك، ولا يمكنه دفعه إلا بذلك، إذا رفع يده تولى من يقره ولا ينقص منه شيئًا، هو مثاب على ذلك، ولا إثم عليه في ذلك ولا ضمان في الدنيا والآخرة.

وهذا بمنزلة وصي اليتيم ، وناظر الوقف الذي لا يمكنه إقامة مصلحتهم إلا بدفع ما يوصل من المظالم السلطانية، إذا رفع يده تولى من يجور ويريد الظلم، فولايته جائزة، ولا إثم علهي فيما يدفعه؛ بل قد تجب عليه هذه الولاية.

وكذلك الجندي المُقْطَع الذي يخفف الوظائف عن بلاده، ولا يمكنه دفعها كلها؛ لأنه يُطلب منه خيل وسلاح ونفقة لا يمكنه إقامتها إلا بأن يأخذ بعض تلك الوظائف، وهذا مع هذا ينفع المسلمين في الجهاد، فإذا قيل له: لا يحل لك أن تأخذ شيئًا من هذا؛ بل ارفع يدك عن هذا الإقطاع، فتركه وأخذه من يريد الظلم،

ولا ينفع المسلمين: كان هذا القائل مخطئًا جاهلاً بحقائق الدين؛ بل بقاء الجند من الترك والعرب الذين هم خير من غيرهم، وأنفع للمسلمين، وأقرب للعدل على إقطاعهم، مع تخفيف الظلم بحسب الإمكان، خير للمسلمين من أن يأخذ تلك الإقطاعات من هو أقل نفعًا وأكثر ظلمًا.

والمجتهد من هؤلاء المقطعين كلهم في العدل والإحسان بحسب الإمكان يجزيه الله على ما فعل من الخير، ولا يعاقبه على ما عجز عنه، ولا يؤاخذه بما يأخذ ويصرف إذا لم يكن إلا ذلك: كان ترك ذلك يوجب شرًا أعظم منه. والله أعلم»[1].

(١) مجموع الفتاوى، ٣٥٦/٣٠ ـ ٣٦٠.





تكامل الشخصية النبوية لنبينا محمد ﷺ جعلت منه الحاكم والقائد والزوج والمعلم والداعية والمربي. وما تتبع قارئ للقرآن الكريم والسيرة النبوية إلا وجد فيهما عناصر التفوق ووسائل النجاح من خلال الكثير من المواقف التربوية الراقية التي هي قدوة حسنة لكل راغب في الوصول إلى الحق. وعن طريق هذا المنهج ينشأ الإنسان الصالح ومن ثم المجتمع الإسلامي الكريم.

ولقد استقرأ الكاتب نماذج وصورًا من المنهج التربوي النبوي، وقربها للقارئ الكريم تذكيرًا وترغيبًا في هذا المنهج المتكامل الذي أرسل الله به نبيه ﷺ للناس كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وكم نحن بحاجة للوقوف أمام هذه المعالم النبوية وتمثلها في حياتنا وسلوكنا؛ إذ هي السر في تميز الرعيل الأول – رضي الله عنهم – أجمعين.

ـ البيان ـ

بقلم: محمد عبد الله الدويش

معالم في المنهج التربوي النبوي

١ ـ الصبر وطول النفس:

يسهل على الإنسان أن يتعامل مع الآلة الصماء، ويستطيع الباحث أن يصبر ويكافح في دراسة هذه الظاهرة المادية أو تلك، لكن التعامل مع الإنسان له شأن آخر وبعد آخر، ذلك أن الناس بشر لا يحكم تصرفاتهم ومواقفهم قانون مطرد؛ فتراه تارة هنا وتارة هناك، تارة يرضى وتارة يسخط.

ولهذا أجمع المختصون بأن الظاهرة الإنسانية ظاهرة معقدة، وأن البحث فيها تكتنفه صعوبات عدة؛ فكيف بالتعامل المباشر مع الإنسان والسعي لتقويمه وتوجيه سلوكه؟

ومن يتأمل سيرة النبي ﷺ يرى كيف صبر وعانى حتى ربى هذا الجيل المبارك، وكم فترة من الزمن قضاها ﷺ؟ وكم هي المواقف التي واجهها ﷺ ؟ ومع ذلك صبر واحتسب، وكان طويل النفس بعيد النظر.

إن البشر مهما علا شأنهم فلن يصلوا إلى درجة العصمة، وهل هناك من هو أعلى شأنًا من أصحاب النبي ﷺ إلا الأنبياء، فها هم يتنزل فيهم في بدر: ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] وفي أحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وفي حنين: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

وحين قسم ﷺ غنائم حنين وجد بعض أصحابه في نفوسهم ما وجدوا.

وكان ﷺ يخطب فجاءت عير فتبعها الناس فنزل فيهم قرآن يتلى.

البيان

ومع ذلك يبقى هذا الجيل وهذا المجتمع هو القمة، وهو المثل الأعلى للناس في هذه الدنيا، ولن تكون هذه المواقف سببًا للحط من شأنهم ومكانتهم ـ رضوان الله عليهم ـ فكيف بمن دونهم؟! بل لا يسوغ أن يقارن بهم. إن ذلك يفرض على المربي أن يكون طويل النفس صابرًا عالي الهمة متفائلاً.

٢ ـ الخطاب الخاص:

وكما كان ﷺ يوجه الخطاب لعامة أصحابه، فقد كان يعتني بالخطاب الخاص لفئات خاصة من أصحابه.

فقد كان من هديه ﷺ حين يصلي العيد أن يتجه إلى النساء ويخطب فيهن، كما روى ذلك ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال خرج النبي ﷺ يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبل ولا بعد، ثم مال على النساء ومعه بلال فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن، فجعلت المرأة تلقي القُلْب والخُرْص[1].

بل تجاوز الأمر مجرد استثمار اللقاءات العابرة؛ فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النساء قلن لرسول الله ﷺ: غلبنا عليك الرجال؛ فاجعل لنا يومًا من نفسك. فواعدهن يومًا، فلقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان مما قال: «ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار». فقالت امرأة: واثنين فقال: «واثنين»[2].

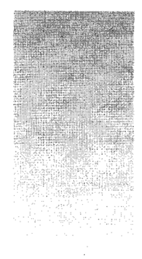
وقد يكون الخصوص لقوم أو فئة دون غيرهم، كما فعل في غزوة حنين حين دعا الأنصار، وأكد ألا يأتي غيرهم.

وكما بايع بعض أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئًا.

البيان

٣ ـ المشاركة العملية:

اعتاد بعض المربين أن يكون دورهم قاصرًا على إعطاء الأوامر ومراقبة التنفيذ، وهو مسلك مخالف لمنهج المربي الأولﷺ ، الذي كان يعيش مع أصحابه ويشاركهم أعمالهم وهمومهم.



فشاركهم في بناء المسجد: عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قدم النبيﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فأقام النبيﷺ فيهم أربع عشرة ليلة... وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبيﷺ معهم وهو يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة؛ فاغفر للأنصار والمهاجرة»[3].

وشاركهم في حفر الخندق: فعن سهل بن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، وهو يحفر ونحن ننقل التراب ويمر بنا فقال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»[4].

---

(١) رواه البخاري، ح/١٤٣١، ومسلم، ح/٨٨٤. القلب: الإسورة. الخُرص: القرط.

(٢) رواه البخاري، ح/١٠١، ومسلم، ح/٢٦٣٣.

(٣) رواه البخاري، ح/٤٢٨، ومسلم ،ح/ ٥٢٤.

(٤) رواه البخاري، ح/٦٤١٤، ومسلم، ح/ ١٨٠٤.

وكان يشاركهم في الفزع للصوت: فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عري وفي عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا» ثم قال: «وجدناه بحرًا، أو قال: إنه لبحر»[1].

وأما مشاركته لهم في الجهاد: فقد خرج ﷺ في (١٩) غزوة[2]، بل قال عن نفسه: «ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية»[3].

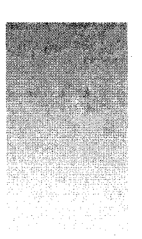
وهي مشاركة لا تلغي دورهم وتحولهم إلى مجرد آلات صماء، بل هي تدفع للتوازن بين هذا وبين تعويدهم على العمل والمشاركة.

إن مجرد إصدار الأوامر والتوجيه أمر يجيده الجميع، لكن الدخول مع الناس في الميدان ومشاركتهم يرفع قيمة المربي لديهم ويعلي شأنه ويشعرون أنه واحد منهم، وذلك أيضًا يدفعهم لمزيد من البذل والهمة والحماس عكس أولئك الذين يدعون للعمل ويربيهم بعيدٌ عنهم، وقد عبر عن هذا المعنى ذاك الحداء الذي كان يردده أصحاب النبي ﷺ:

لئن قعدنا والنبي يعمل   لذاك منا العمل المضلل

ثم إنه يشيع روح الود والإخاء، ويسهم في بناء علاقة إنسانية وطيدة بين المربي ومن يربيهم.

٤ ـ التربية بالأحداث:



من السهل أن نحدث الناس كثيرًا عن معاني عدة، وأن ننظر لجوانب متعددة، لكن ذلك وإن أثَّر فإن أثره يبقى باهتًا محدودًا.

أما النبي ﷺ فمع توجيهه لأصحابه في كل موطن، إلا أن تربيته كانت تتم من خلال الأحداث، فكان يضع الناس في الموقع والميدان ويأتي التوجيه حينها.

يشكو إليه الحالَ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وهما في الغار، فيقول ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

---

(١) رواه البخاري، ح/٢٩٠٨، ومسلم، ح/٢٣٠٧.

(٢) رواه البخاري، ح/٣٩٤٩، ومسلم، ح/١٢٥٤.

(٣) رواه البخاري، ح/٣٦، ومسلم، ح/١٨٧٦.

ويسأله رجل في الميدان والمعركة: أرأيت إن قتلت؟ فيجيبه إجابة تصل إلى شغاف قلبه فيتقدم حتى يستشهد؛ فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة»، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل»[1].

ويوصي عليًا ـ رضي الله عنه ـ بالدعوة ويذكِّره بفضلها وذلك؟ حين بعثه داعيًا إلى الله مجاهدًا في سبيله. عن سهيل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغدوا كلهم يرجوه، فقال: «أين علي؟» فقيل يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم؛ فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[2].

أترى أن تلك التوجيهات لو تلقاها أصحابها وهم جالسون قاعدون في بيوتهم ستترك أثرها؟ إن مثل هذه التربية هي التي خرَّجت الجيل الجاد العملي، الذي لم يتربَّ على مجرد التوجيه الجاف البارد، إنما كان يعيش العلم والعمل معًا.

٥ ـ الاختيار والاصطفاء:

إن التربية كما أنها موجهة لكل أفراد الأمة أجمع مهما كان شأنهم، والدين خطاب للجميع صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساءً.

إلا أن الدعوة تحتاج لمن يحملها ولمن يقوم بأعبائها، إنها تحتاج لفئة خاصة تُختار بعناية وتُربى بعناية.

لذا كان هذا الأمر بارزًا في سيرة النبي ﷺ وتربيته لأصحابه؛ فثمة مواقف عدة في السيرة يتكرر فيها ذكر كبار أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر وعمر؛ مما يوحي أن هؤلاء كانوا يتلقون إعدادًا وتربية أخص من غيرهم.

البيان

(١) رواه البخاري، ح/٤٠٤٦.

(٢) رواه البخاري، ح/٣٠٠٩.

> لقد كان التدرج معلمًا مهمًا من معالم التربية النبوية

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره؛ إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر» فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما؛ فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب[1].

ومنها قصة أبي هريرة حين كان بواب النبي ﷺ، فاستأذن أبو بكر، فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، ثم استأذن عمر، ثم عثمان... [2].

وما رواه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ حدثهم أن النبي ﷺ صعد أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال: «اثبت أُحُد؛ فإنما عليك نبي، وصدِّيق، وشهيدان»[3].

ومثله ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ؛ فما عليك إلا نبي، أو صدِّيق، أو شهيد»[4].

ويحكي لنا أحد أصحاب النبي ﷺ عن توجيه خاص بهم، حين بايعهم على أمر لم يعتد أن يبايع عليه سائر الناس.

عن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة، أو ثمانية، أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديثي عهد ببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» قال: فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله؛ فعلامَ نبايعك؟

---

(١) رواه البخاري، ح/٣٦٧٧، ومسلم، ح/٢٣٨٩.
(٢) رواه البخاري، ح/٣٦٧٤، ومسلم، ح/٢٤٠٣.
(٣) رواه البخاري، ح/ ٣٦٧٥.
(٤) رواه مسلم، ح/٢٤١٧.



قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتطيعوا، - وأسرَّ كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئًا» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم؛ فما يسأل أحدًا يناوله إياه(١).

وهذا الأمر لم يكن عامًا لأصحابه - رضوان الله عليهم -، بل خاصًا بهؤلاء، فقد كان بعض أصحاب النبي ﷺ يسألونه ويعطيهم، ولم يكن يمنعهم أو ينهاهم عن السؤال.

ومن ذلك أنه كان لا يأذن بالسؤال لخاصة أصحابه كما يأذن لغيرهم، كما روى نواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شيء، قال: فسألته عن البر والإثم، فقال رسول الله ﷺ: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(٢).

٦ـ التدرج:

إن الجوانب التي تتطلب التربية والإصلاح في النفس البشرية من الاتساع والتعدد والتنوع ما يجعل تحصيلها في وقت وجهد أمر عسير ومتعذر.

لذا فإن التدرج كان معلمًا مهمًا من معالم التربية النبوية، فخوطب الناس ابتداء بالاعتقاد والتوحيد، ثم أمروا بالفرائض، ثم سائر الأوامر.

البيان

وفي الجهاد أمروا بكف اليد، ثم بقتال من قاتلهم، ثم بقتال من يلونهم من الكفار، ثم بقتال الناس كافة. ومثل ذلك التدرج في تحريم الخمر، وإباحة نكاح المتعة ثم تحريمها، وهكذا. لكن يبقى جانب مهم مع الإيمان بمبدأ التدرج، ألا وهو أن ما نص الشرع على تحريمه لا يجوز أن نبيحه للناس، وما نص على وجوبه لا يجوز أن نسقطه عن الناس.

٧ـ تربية القادة لا العبيد:

ثمة سؤال يفرض نفسه ويقفز إلى أذهاننا: هل نحن نعنى بتعليم الناس وتهيئتهم ليكونوا أهل علم يستنبطون، ويبدعون ويبتكرون؟ أم أننا نربيهم على تلقي أقوال أساتذتهم بالتسليم دون مراجعة، وربما دون فهم لمضمون القول؟

---

(١) رواه مسلم، ح/١٤٠٣.

(٢) رواه مسلم، ح/٢٥٥٣.

هل نرى أن من أهدافنا في التعليم أن نربي ملكة التفكير والإبداع لدى طلابنا، وأن نعوِّدهم على استنباط الأحكام الشرعية من النصوص، وعلى الجمع بين ما يبدو متعارضًا؟

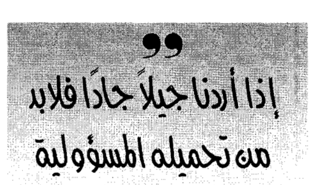
وهل من أهدافنا تربيتهم على تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع التي يرونها؟

البيان

إن المتأمل في واقع التعليم الذي نقدمه لأبنائنا ليلحظ أننا كثيرًا ما نستطرد في السرد العلمي المجرد، ونشعر بارتياح أكثر حين نقدم للطالب كمًا هائلاً من المعلومات، وهو الآخر ـ لِمَا غرسنا لديه ـ يقيس مدى النجاح والإنجاز بقدر ما يسطره مما يسمعه من أستاذه، والتقويم والامتحان إنما هو على أساس ما حفظه الطالب من معلومات، واستطاع استدعاء ذلك وتذكره.

وشيء من ذلك حق ولا شك؛ لكن توجيه الجهد لهذا النوع وهذا النمط من التعليم لا يعدو أن يخرج جيلاً يحفظ المسائل والمعارف ـ ثم ينساها بعد ذلك ـ أو يكون ظلاً لأستاذه وشيخه.

ولأن تُعَلِّمَ الجائع صيد السمك خيرٌ من أن تعطيه ألف سمكة.



وقد مثل ذلك في الأعمال الدعوية التي نقوم بها؛ فهل نحن نربي الناس على أن يكونوا عاملين مبدعين مشاركين، أم نربيهم على مجرد الاتباع والتقليد لما عليه كبراؤهم؟

أما النبي ﷺ فكانت تربيته لأصحابه لونًا آخر؛ ففي تربيته العلمية لهم خرَّج علماء وفقهاء، ولم يكن ﷺ يقتصر على مجرد إعطاء معلومات مجردة.

وكشف الواقع آثار هذه التربية النبوية، ففي ميدان العلم واجهت أصحابه قضايا طارئة مستجدة؛ لكنهم لم يقفوا أمامها حيارى، فاستثمروا نتاج التربية العلمية التي تلقوها، ولذا اجتهدوا في اتخاذ السجون، وجمع القرآن، وجلد الشارب، والخراج وغيرها.

وفي ميدان الجهاد وإدارة الدولة والدعوة قضوا في شهور على المرتدين بعد أن حسموا الموقف الشرعي من قضية الردة، ثم اتسعت الدولة ووطئت أقدام أصحاب النبي ﷺ بلاد المشرق حتى وصلوا أذربيجان وما وراء النهر، وبلاد المغرد حتى وصلوا غرب أفريقيا، ودفن منهم من دفن تحت أسوار القسطنطينية.



ولو تربى أولئك على غير هذه التربية لما صنعوا ما صنعوا.

فأين المربون اليوم الذين يترك أحدهم الفراغ حين يمضي؟ أين هم من هذه التربية النبوية؟

٨ ـ التوجيه الفردي والجماعي:

لقد كان ﷺ يجمع بين التربية والتوجيه الفردي من خلال الخطاب الشخصي المباشر، وبين التربية والتوجيه الجماعي.

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «علمني رسول الله ﷺ التشهد كفي بين كفيه»[1].

ومن ذلك ما ورد عن غير واحد من أصحابه: أوصاني رسول الله ﷺ.

ومن ذلك حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟»[2].

وعبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ زوَّجه أبوه امرأة فكان يتعاهدها، فتقول له: نِعْمَ الرجل لم يكشف لنا كنفًا ولم يطأ لنا فراشًا ـ تشير إلى اعتزاله ـ فاشتكاه إلى النبي ﷺ، فدعاه فكان معه الحوار الطويل حول الصيام وختم القرآن وقيام الليل.

وقد كان هذا الحوار والتوجيه له شخصيًا، بينما نجد أنه ﷺ في مواقف أخر يوجه توجيهًا عامًا، كما في خطبه ولقاءاته وتوجيهاته لعامة أصحابه؛ وهي أشهر من أن تورد وتحصر.

وها هنا مأخذ مهم في قصة عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ إذ إن النبي ﷺ دعاه وناقشه منفردًا به، بينما نجده في موقف آخر شبيه بهذا الموقف يعالج الأمر أمام الناس؛ فحين سأل طائفةٌ عن عبادته وتقالُّوها وقالوا ما قالوا صعد المنبر وخطب في الأمر.

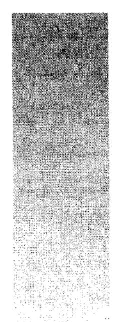
عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش؛ فحمد الله وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

البيان

---

(١) رواه البخاري، ح/٨٣١، ومسلم، ح/٤٠٢.

(٢) سبق تخريجه.



ومثل ذلك في قصة الذي قال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ، فعن أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن الأتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر ـ قال سفيان أيضًا فصعد المنبر ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول: هذا لك، وهذا لي؛ فهلاً جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده! لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته: إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه: «ألا هل بلغت» ثلاثًا[٢].

إذن فهناك جوانب يمكن أن تطرح وتناقش بصورة فردية، ولا يسوغ أن تطرح بصفة عامة، ولو مع عدم الإشارة إلى صاحبها؛ لأنها ربما كانت مشكلات فردية لا تعني غير صاحبها، بل قد يكون ضرر إشاعتها أكثر من نفعه.

وهناك جوانب يجب أن تطرح بوضوح وبصورة عامة وتعالج وتناقش أمام الجميع.

والمربي الناجح هو الذي يضع كل شيء موضعه.

٩ ـ التعويد على المشاركة والعمل:

اعتاد كثير من ناشئة المسلمين اليوم أن يُكفى كل شيء، فهو في المنزل يقدم له الطعام والشراب، ويتولى أهله تنظيم غرفته وغسل ملابسه، فساهم ذلك في توليد جيل كسول لا يعرف العمل والمسؤولية.

وفي المدرسة وميادين التعليم اعتاد التلاميذ الكسل الفكري، وصار دورهم مجرد تلقي المعلومات جاهزة دون أي جهد، وحتى حين يطلب منهم بحث أو مقالة فلا بد أن تحدد لهم المراجع، وبأرقام الصفحات، وقل مثل ذلك في كثير من المحاضن التربوية.

(١) رواه مسلم، ح/١٤٠١.

(٢) رواه البخاري، ح/٧١٧٤، ومسلم، ح/١٨٣٢.



إننا حين نريد تخريج الجيل الجاد فلا بد من تعويده من البداية على المشاركة وتحمل المسؤولية: في المنزل بأن يتولى شؤونه الخاصة، وفي المدرسة بأن يبذل جهدًا في التعلم.

وعلى القائمين اليوم على المحاضن التربوية أن يأخذوا بأيدي تلامذتهم، وأن يسعوا إلى أن يتجاوزوا ـ في برامجهم التي يقدمونها ـ القوالب الجاهزة، وأن يدركوا أن من حسن تربية الناشئة أن يمارسوا المسؤولية، وألا يبقوا أكلاًء على غيرهم في كل شيء، فينبغي أن يكون لهم دور ورأي في البرامج التي يتلقونها.

وحين نعود لسيرة المربي الأول فإننا نرى نماذج من رعاية هذا الجانب؛ فهو ﷺ يعلم الناس أن يتحملوا المسؤولية أجمع تجاه مجتمعهم، فليست المسؤولية لفرد أو فردين؛ فعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأسًا، فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه، فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي، ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»[1].

ومن ذلك أيضًا استشارته ﷺ لأصحابه في كثير من المواطن، بل لا تكاد تخلو غزوة أو موقف مشهور في السيرة من ذلك، وفي الاستشارة تعويد وتربية لهم، وفيها غرس للثقة، وفيها إشعار لهم بالمسؤولية، ولو عاش أصحاب النبي ﷺ على خلاف ذلك، أتراهم كانوا سيقفون المواقف المشهودة في حرب أهل الردة وفتوحات فارس والروم؟

(١) رواه البخاري، ح/٢٦٨٦.

وعلى المستوى الفردي كان النبي ﷺ يولي أصحابه المهام، من قيادة للجيش وإمارة ودعوة وقضاء وتعليم، فأرسل رسله للملوك، وبعث معاذًا إلى اليمن، وأمَّر أبا بكر على الحج، بل كان يؤمِّر الشباب مع وجود غيرهم، فأمَّر أسامة على سرية إلى الحرقات من جهينة [1]، ثم أمَّره على جيش يغزو الروم[2]، وولى عثمان بن أبي العاص إمامة قومه[3]... وهكذا فالسيرة تزخر بهذه المواقف.

فما أجدر الدعاة والمربين اليوم أن يسيروا على المنهج نفسه ليخرج لنا ـ بإذن الله ـ جيل جاد يحمل المسؤولية ويعطيها قدرها.

(١) رواه البخاري ، ح/٤٢٦٩، ومسلم، ح/٩٦.
(٢) رواه مسلم ، ح/٤٦٨.
(٣) رواه مسلم، ح/٤٦٨.





الثبات على المبدأ ورفض المساومة عليه

بقلم: د. محمد أمحزون

إن من أهم سمات التربية في المرحلة المكية الثبات على المبدأ، والصلابة في الحق، وعدم التنازل، ورفض أي شكل من أشكال المفاوضات وأنصاف الحلول في قضايا الدعوة.

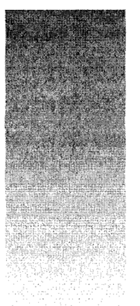
لقد ظل رسول الله ﷺ ـ صامدًا ـ أمام الإغراءات والعروض ولم ينثن أو يتراجع أمام التحديات وأساليب التهديد والترهيب التي مارسها إزاءه المشركون؛ فلم يساوم قط في دينه، وهو في أحرج المواقف العصيبة في مكة، وهو محاصر بدعوته، وأصحابه القلائل يُتَخَطَّفُون ويُؤْذَوْنَ في الله أشد الإيذاء، وهم صابرون محتسبون.

وقد اتخذت مساومة المشركين له في دعوته صورًا شتى، من المساومة على الدعوة كلها بأساليب التهديد والترغيب ـ كما جاء في كتب الحديث والسيرة ـ إلى المساومة على جانب منها للالتقاء معه في منتصف الطريق، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩].



أسلوب المشركين في المساومة على الدعوة بالترهيب:

لجأ المشركون في بادئ الأمر إلى أسلوب التهديد لثني صاحب الدعوة عن المضي في طريقه المرسوم. ومن ذلك ما روي عن عقيل بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: «جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال: يا عقيل! انطلق فائتني بمحمد، فاستخرجته من كنس، أو قال خنس ـ يقول: بيت صغير ـ فجاء به في الظهيرة في شدة الحر.



فلما أتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم. فحلّق رسول الله ﷺ ـ ببصره إلى السماء فقال: «ترون هذه الشمس»، قالوا: نعم، قال: «فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشعلة»، وفي رواية: «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار» فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط؛ فارجعوا راشدين»[1].

وصورة أخرى كانت في إذاية قومه له بعد إذ أعياهم أمره، نقلها عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ وهو شاهد عيان، قال: «حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط؛ سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا. لقد صرنا على أمر عظيم؛ أو كما قالوا.

قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت، فلما أن مرّ بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، فلما مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح»، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع...

---

(١) قال ابن حجر في المطالب العالية: رواه أبو يعلى وإسناده صحيح، والطبراني في الأوسط والكبير، رقم ٤٢٧٨، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ج٦، ص ١٥.

قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم منه، حتى إذا بدأكم بما تكرهوه تركتموه؛ فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا ـ كما كان يبلغهم عنه من عيب آلهته ودينهم ـ قال: فيقول رسول الله ﷺ: «نعم، أنا الذي أقول ذلك»، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم بجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشًا بلغت منه»[1].

وقوله: فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشًا بلغت منه، يعني ما رآه هو، وليس ما رأى غيره؛ حيث أوذي رسول الله ﷺ بأكثر من ذلك، كما سبق ذكره.

أسلوب المشركين في المزاوجة بين الترهيب والترغيب:

وصورة أخرى للمساومة تجلت في التلميح بالتهديد والإغراء في آن واحد، وذلك بتوعده، ثم إغرائه وعرض المناصب والمال والنساء عليه، فأبى عليهم.

فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: «اجتمعت قريش للنبي ﷺ يومًا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ما يرد عليه، قالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة، قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتَّتَّ أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا، ما ينظر إلى مثل منيحة الحبلة بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى.

(١) رواه أحمد في المسند، ج٢، ص ٢١٨. وقال الهيثمي في المجمع، رواه أحمد، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وبقية رجاله رجال الصحيح، ج٦، ص ١٦، وأخرجه البخاري مختصرًا في كتاب فضائل الصحابة، باب لو كنت متخذًا خليلاً، ج٤، ص ١٩٧، ١٩٨، وقال الحافظ: وصله البخاري من وجه آخر عن محمد بن عمرو، الفتح ، ج٧، ص ١٦٩.

أيها الرجل! إن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشرًا، (وفي رواية ابن إسحاق: يا ابن أخي! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد شرفًا سوَّدناك علينا فلا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا).

فقال رسول الله ﷺ: «أفرغت»؟ قال: نعم. قال فقال رسول الله ﷺ: ﴿ حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ حتى بلغ ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ فقال عتبة: حسبك، ما عندك غير هذا قال: «لا»[1].

استدراج صاحب الدعوة إلى أنصاف الحلول للتنازل عن بعض دعوته:

وحاول المشركون فتنة النبي ﷺ عن دينه ودعوته في صور أخرى منها: استدراجه بإظهار الوفاق والاستجابة لما يدعوهم إليه إن هو مس آلهتهم ولمَّ بها[2]، وفي رواية أخرى: طلبوا منه الإنظار لمدة سنة حتى يهدي لآلهتهم ثم يسلموا بعد ذلك[3].

فهمّ رسول الله ﷺ أن يقاربهم ويدانيهم في بعض ذلك، لكن الله امتن عليه وعصمه من كيدهم، وثبته على ما أوحي إليه، ووقاه الركون إليهم، ولو قليلاً، ووقاه عاقبة هذا الركون، وهي عذاب الدنيا والآخرة مضاعفًا، وفقدان المعين والنصير، في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥].

البيان

(١) رواه ابن هشام في السيرة، ج١، ص ٣١٣، وصححه الشيخ الألباني في حاشية فقه السيرة للغزالي، ص ١٦٨، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، ج١٤، ص ٢٩٥، ٢٩٦ والحاكم في المستدرك، وصححه ووافقه الذهبي، ج٢، ص ٢٥٣، ٢٥٤، وأبو نعيم في الدلائل رقم ٢٨٢، ج١، ص ٢٩٩.

(٢) رواه الطبراني بسند حسن إلى قتادة، جامع البيان، ج٩، ص١٣٠.

(٣) المصدر نفسه ، ج٩، ص ١٣٠.



قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «كان رسول الله ﷺ معصومًا، ولكن هذا تعريف لـلأمة لئلا يركن أحـد منهم إلى المشركين في أحكام الـله ـ تعالى ـ وشرائعه[1].

وصورة أخـرى للمساومة فـيما رواه الإمـام الطبري بسنده إلى سعـيد بن مينا مولى البحتري قال: «لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأميـة بن خلف رسول الله ﷺ فقـالوا: يا محمد! هلمّ فـلنعبد ما تعـبد وتعـبد مـا نعبـد، ونشركك في أمـرنا كله، فـإن كان الذي جـئت به خيـرًا مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا مما في يديك، كنت قـد شركـتنا في أمــرنا، وأخـذت منه بحظك، فـأنزل الله ـ عـز وجـل ـ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] حتى انقضت السورة»[2].

إن ما يستنتج من هذه الأساليب الماكـرة المتنوعة أن محاولات الحكام أو الملأ مع أصـحـاب الدعـوات لا تكاد تهـدأ أو تفتـر؛ إذ يحـاولون ترهيـبـهم وتهديـدهم لينصرفـوا عن دعوتهم بالكليـة، وإذا لم يفلحوا في هـذا الجانب حاولوا إغراءهم بشتى الوسائل لينحرفـوا ـ ولو قليلاً ـ عن استقامة الدعوة وصـلابتهـا وليرضـوا بالحلول الوسط التي يغـرونهم بهـا؛ فيطلبـون منهم تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق؛ لأن الحكام يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سلموا في جزء فقـدوا مقاومتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة سينتهي إلى تسليم الصفقة كلها.

وجدير بالإشارة أن التـسليم في جانب من جوانب الدعوة ولو ضـئيلاً لكسب الحكام إلى صـفـهـا هو هزيمـة نفسـيـة بالاعتـمـاد على أصحـاب السلطات في نصرة الدعوة؛ والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون في نصرة الحق[3].

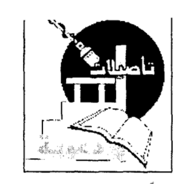
---

(١) القرطبي: أحكام القرآن ، ج١٠، ص ٣٠٠.

(٢) رواه الطبري في تفسيره بسند حسن، ج١٥، ص ٣٣١.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٢٤٥.

إن المفاصلة التي أمر بها الله ـ جلّ ذكره ـ رسوله ﷺ ضرورية اليوم للدعاة. إنه ليس هناك ترقيع مناهج، ولا أنصاف حلول، ولا التقاء في منتصف الطريق مع أعداء الدين من الكفار والمنافقين والمرتدين؛ إنما هي الدعوة إلى التوحيد الخالص، إلى تطبيق الإسلام وشريعته في كل نواحي الحياة، وإلا فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].



الحزبية وصفات الحزبيين

بقلم: د. إبراهيم بن محمد عباس

لقد انتشر مؤخرًا الحديث عن «الحزبية» وحظي هذا المصطلح بمساحة واسعة من ساحة الحوار والمناظرة، ومجالس الدروس العلمية والمحاضرة، ولم يفقد نصيبه كحديث مقروء لمن لم يدركوا السماع، سواء في بعض الصحف أو المصنفات الحديثة وبالأخص مصنفات «الردود»، حتى أصبحت «الحزبية» تهمة جاهزة تسدد لكل من لا يُرغب فيه من الدعاة.

ومن الغريب أن يلقى هذا الموضوع رواجًا غير عادي في صفوف بعض الدعاة وطلبة العلم حتى أشغلهم عن كثير من مهمات الأمور وواجبات الدعوة إلى الله، وزُيِّن لبعضهم أن الانشغال بمن يسمونهم بالحزبيين ـ على خلل واضح في تعريف الحزبيين عندهم ـ أهمٌ من تعليم الناس أمور دينهم والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكشف مخططات أعداء الدين كاليهود والنصارى والمنافقين وأصحاب البدع الشركية المنتشرين في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وطغى آخرون فوسعوا دائرة الحزبيين حتى شملت كل مسلم يسعى لدعوة أو خير أو إصلاح بين الناس حتى انتهى بهم الأمر إلى السؤال عن كل من تحدثه نفسه

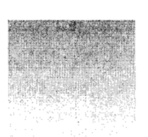
بالقيام بـأي عمل من أعمال البر التـي يتعدى نفعهـا للمسلمين: هل هو حزبي أو غـير حزبي؟ ليتـحدد الموقف منه ومن مساعـدته في هذا العمل أو ذاك، أو للتشكيك فـيه وفي نواياه؛ فلعله حزبي! أو لتصنيفه في القائمة الجائرة، بغضٍّ النظر عن الأسس المعتمدة في مثل هذا التصنيف وعن عدالـة قائله، وهل كان بـالظن أم باليقين، وبغض النظر عن نوعـية العـمل التطوعي الذي يقوم به أو حتى يفكر في القيام به.

ومع هذا ملا شك أن الحزبيـة داء عضال وسُمٌّ زعاف يسـري مي جسم الأمة ميضعفـه أو يقتله، وهي من أهم أسباب الفرقة مي المجتمـعات المتماسكة، وهي صفة ممقوتة لا يرضـاها إلا ذوو النفوس الضعيفة يسدون من خـلالها عجزهم وقلة حيلتهم، ويشبعون نزعة الغرور والأنانية مي نفوسهم، ميحقرون غيرهم ويسخرون منهم وإن كانوا أجلَّ منهم قدرًا وأكثر نفعًا.

أما شـيمة ذوي النفـوس الكبيـرة والقلوب المستنيرة والـهـمم العاليـة مهي البحث عن الحق دون حزبية أو تعصب.

البيان

ومتى اخترق هذا الداء ـ الحـزبية ـ أسوار الدعوة المباركة وسرى بين أركـانها وانتشر في أوساط أصحابها فـإن النتيجة حينئذٍ ضعف وفرقـة، وخواء وهزيمة، وجبن وخور أمام الباطل ودعاته والشيطان وحزبه؛ لأن الحزبية التي ينشأ عنها تقليـد أعمى وتبعية سلبية وهوى متبع تخل بالإخلاص وتقـيد الانطلاق الصـحيح وتقضي على كـثير مـن روافد الخيـر والنماء التي تصب في نهر الدعـوة المتدفق الفياض. وتحصـر الجهود في إطار ضيق وتقـضي على مبادئ قيـمة في غايـة الأهمية، فـتنكمش دائرة البر والإحـسان، وينزوي محـيط التعـاون على البر والتقوى فينمو ويترعرع كل ما هو عكس ذلك في ظل هذه التصورات الخاطئة.



ومما هو مشاهد اليـوم في صفوف بعض الجماعات الإسـلامية، في مناهجهـا، وفي سلوك بعض أفرادها أعراض كثـيرة وعلامات مـرضية خطيرة تدل كلها على ذلك الوباء الذي أضـعف العمل الدعوي والتربوي مما أدى إلى ضياع جهود كبيرة دون استثمار صحيح، في وقت أشد ما تكون فـيه الدعوة الإسـلاميـة بحاجـة إلى الجهـود المتضافـرة والقلوب المجتمعة تحت ظلال الحق والمنهج المستقيم.

لقد كان هذا الداء باديًا للعـيان، فهب المخلصون ينقدون ويـنـصحون، ما بين عالم مجـتهد وطالب علم باحث، وكانوا بين مـقل ومكثر، ومخطئ ومصيب، وكل يؤخـذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ.



ولقد كانت ردة الفعل عند بعض الناس كـبيرة جدًا، فأخذت حيزًا أكبـر مما تستحق، فزيد في حجم الأخطاء، وتكلف البعض في تتبعها واستقصائها بما يشبه التجسس وتتبع عورات المسلمين، حتى خرج الأمر من حد التغيير إلى التعيير، ومن حد النصيحة إلى حد الفضيحة والتشهير، ونتج عن ذلك عداء شديد، وكثر اللغط والتشويش، وظهر تيار جديد مضاد للحزبية والحزبيين وكان له بريق ولمعان، يتـكئ على هذا الجدار تارة وعلى الآخر تارة أخـرى، فانضم تحت لوائه شـتات من الناس، منهم صادق غيور، وجاهل مقلد، ومنافق ماكر يريد أن يتخذ من ذلك سلمًا يصعد به على أكتـاف الصادقين الناصحين ليتـربع على كرسي الشهـرة وليصد به عن سبـيل الله وعن الدعوة الطيبـة والعلم النافع، كل ذلك تحت مظلة النصح والنصيـحة والخوف على مستقـبل الدعوة، وبدعوى أن هذه الوسائل أو تلك تؤدي إلى الحـزبية والانقـسام وتشـتيت الأمـة وتضليل الناس، حتى انقسمت صفوف الدعاة بهذا الأسلوب الماكر إلى اتجاهين متضـادين متنافرين ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] إلا من عصـمه الله من الفتنة فـعرف أن الحق قد يـكون مع هذا بعضـه ومع هذا بعضــه، وأن كل الناس لا يسلمـون من الخطأ، وأن الخطأ مـردود على صـاحبـه، وأن الشخص لا يُؤاخـذ بجريرة غـيره، وأن الاختـلاف في بعض المسائل، في فهمها أو في تطبيقها لا يوجب عداءً ولا كراهية، ولا يلزم منه قطع المؤاخـاة ولا ترك النصـرة، وأنه ليس من مسؤولية الدعاة تصنيف الأعيان وسوء الظن بهم والطعن في نياتهم، فـهو بهذا لا يتـعصب لطائفة على طائفـة لوقوع هذه في أخطاء قد سلَّم الله مـنها الأخرى، فقـد يكون للطائفة الأخرى أخطاء لـم يفطن لها، ولم يوفق لإدراكها، وحـسبه أن يقف من هذا الأمر موقفًـا مشابهًا لموقف شيخ الإســلام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ إذ يقـول: «على أن عادتنا في مسائل الدين كلهـا دقها وجلها أن نقول بموجـبها، ولا نضرب بعـضها ببـعض، ولا نتعصب لطائفـة على طائفة، بل نوافق كل طائفـة على ما معـها من الحق، ونخالفها فيـما معها من خلاف الحق لا نستثني من ذلك طائفـة ولا مقالة، ونرجو من الله أن نحيا على ذلك ونموت عليه ونلقى الله به ولا قوة إلا بالله» أ. هـ[1].

"الحزبية الممقوتة هي التي تدعو إلى التعصب"

---

(١) طريق الهجرتين، ص ٣٦٦.

ومن هذا المنطلق أحببت أن أسهم بهذه المقالة في بيان صفات الحزبية، حتى لا يغتر بعض من يكيل الذم والعتب للحزبيين ليل نهار وقد غرق في صفاتهم إلى شحمة أذنيه دون علم، ونعوذ بالله من الجهل المركب.

والحزبية التي نعنيها هنا ليست مجرد التسمية أو الانتساب لحزب معين أو جماعة معينة، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد سمَّى أولياءه حزبًا، فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فأثبت الاسم والمسمى؛ إذ إن الانتساب إلى حزب يدعو إلى الخير بما يوافق شرع الله وسنة نبيه ﷺ، أو طائفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وفق الضوابط الشرعية يعدّ مطلبًا شرعيًا وبابًا عظيمًا من أبواب التعاون على البر والتقوى يتألف من خلاله كيان أمة وصفها الله ـ جل ذكره ـ بالفلاح: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

أما الحزبية المذمومة الممقوتة فهي التعصب لرأس الحزب أو لنظام الحزب ومنهجه دون اعتبار لموافقته للشرع من عدمه، وهذا إنما يعرف بصفات معينة ينبغي التنبيه عليها حتى لا يقع المسلم فريسة للحزبية من حيث لا يدري، ومن أهم هذه الصفات:

البيان

١ ـ تعظيم الأشخاص فوق القدر اللازم لهم حتى يصل هذا التعظيم والتقدير في بعض الأحيان إلى حد العصمة.

وهذا خطر عظيم قد أخرج بعض الطوائف من دائرة أهل السنة والجماعة وأبعدهم عن منهجها المستقيم، وفي مقدمتهم غلاة الرافضة الذين ادعوا العصمة لأئمتهم، وأهم الأسباب التي تؤدي إلى هذا الأمر المبالغة في حب بعض أهل الخير وأصحاب الفضل إلى قدر يخرج عن الحد الواجب لهم، واتخاذ هذا الأمر أصلاً مهمًا من أسس التربية التي يتربى عليها الأفراد، حيث يتردد اسم داعية أو عالم أو شيخ معين في كل حديث وفي كل غدوة وروحة، وتذكر مآثره بمناسبة وبغير مناسبة، وتحفظ أقواله بالنص، إضافة إلى أن يبالغ في فضائله ومحاسنه ومواقفه إلى القدر الذي يخرج بهذا التقدير والتكريم عن الحد المشروع؛ وبذلك تعتبر كل أقواله صحيحة، وكل مواقفه صائبة وسديدة، ولهذا تسوَّغ أخطاؤه وتؤوَّل هفواته، وتُلتمس له المعاذير



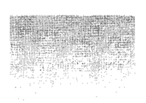
حتى فيمـا لا عذر له فيه، سواء كان هذا التـسويغ بالمقاييس العقلية وهوالغـالب، أو باستخدام التسويغ الشرعي المبني على ليّ أعناق النصوص أحيانًا؛ وهو أدهى وأمر.

ولهذا مـقد يؤدي ذلكم المسلك المتعـسف إلى آثار بالغة الخطورة، كتـقديس آراء أولئك الرجـال وتقديم أقوالهم عـلى النصوص الشرعـية: إمـا جهـلاً بهذه النصـوص لعدم العناية الكامـية بالعلوم الشـرعيـة، وإما عن هوى تفـسر به النصوص تفسيرًا خاطئًا يوامق مـرادهم، وبهذا نجد أن معيار الحق عند هؤلاء هو أقوال الأشخاص. والحق أن يُنقد الرجال بالحق.

إن هذه الصـفـة تؤدي إلى عطـب كبـيـر وخـلل جلي مي أسـاس التـربيـة ودعائمها؛ حيث يتربى الأشخاص على التسليم المطلق عند سماع القول الصادر من «ملان» ـ ممن تردد اسـمه ومضـائله مرات ومرات مي صـواني أذنيه ـ دون مناقشة أو نقد أو طلب للدليل على هذا القـول أو ذاك، خومًا من أن يعترض ملا يبقى له قبول أو تُساء به الظنون.

البيان

وهذا التعـصب والتحزب ليس شرطًا أن يكون لطائفـة، فقد يكون لشيخ مـعين، وقد يكون لطريقة مـعينة، ولكن الجـامع في كل أن تصل الموالاة والمعاداة في هذا الشـأن إلى الحد الذي يصنف فيه الناس إلى قسمين: معنا أو ضدنا.



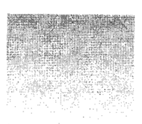
فهؤلاء إن لم تحـضر دروسهم، وتستشر قـادتهم، وتسمع لرموزهم وتقرأ فـي مصنفـاتهم، وتوالي من يوالون، وتعادي من يعـادون فلست منهم، وأولئك كذلك. ولا غـرابة في مثل هذا التصور أن تحـرم حتى من حقوق المسلم على المسلم، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

٢ ـ ضيق الأفق، وأحـادية النظرة وعدم احـترام الرأي الآخـر ولو كان سائغًـا. وهذا ينتج غالبًا عن التربية القاصرة التي يتربى عليها الفرد من خلال التلقي عن شخص معين من الناس والحجر عليه من أن يستفيد من الآخرين ويحـاورهم ويتدارس معهم، أو يتبادل معهم الأفكار في أي شأن من شؤون الحـياة، ومثله الاقتصار عـلى كتب معينة أو شرائط محـدودة لأسماء محـصورة، فينشـأ المتربي بعقليـة جامدة مـحاصرة، ذات إطار ضـيق ومجال مـحدود ينظر للآخـرين ومناهجهم وأطروحـاتهم من خـلاله ويفسـر أقوالـهم وآراءهم بما يتوفـر لديه من مقدمات سابقة عنهم، دون النظر في النص ذاته.

وهذا النمط من التفكير على ما ميه من إجحاف بحق الآخرين مإنه وإن صح لهم مي بعض الأحيان ومي بعض الأمور إلا أن ضيق النظرة يجعل الحكم على كثير من المسائل والمواقف قاصرًا أو مشلولاً، وخصوصًا تلك التي يحتاج الحكم ميها إلى متابعات وشواهد وقرائن قوية يترجح من خلالها أحد الأمرين المحتملين، أو تلك التي يتوقف على الحكم ميها تبني موقف معين عام قد يضر بالمصلحة العامة إذا كان الحكم غير مدروس دراسة وامية ميها تجرد وإخلاص.. ولذلك تراهم يفكرون مي بعض الأمور بواسطة العدسة المصغرة، ومن خلال الواقع القريب المحيط بهم أو بطائفتهم، ثم يقدمون هذا التفكير أو ذاك كنتائج مسلَّم بها وبصحتها ومعاليتها، وينسون أن ما يطرحون مي الساحة قد يقع مي مرأى أو مسمع القريب والبعيد والبر والفاجر، ملا يحسبون لذلك حسابًا.

البيان

والبصيرة تجعل الطرح المؤصل القوي قابلاً للتعامل معه هنا وهناك واليوم وغدًا طالما كانت ظروف وملابسات الرأي المطروح واحدة أو متشابهة. ولذلك نجد شواهد كثيرة في تاريخ السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ لكثير من المشكلات التي تعيشها الأمة اليوم، وحلولاً مناسبة حتى على هذا المدى الزمني البعيد، ومن هنا نحن في حاجة إلى إعادة دراسة تاريخنا دراسة متأنية بتأمل واعتبار.



وأعود فأقول: إن اتساع الأفق لا يعطي رحابة في التفكير والتصور وحسب، بل يؤدي إلى مرونة منضبطة في النتائج تلتئم معها كثير من المفاهيم المتشابهة، وتتقارب من خلالها الآراء المتنافرة وتجتمع الكلمة، شريطة أن يتم كل ذلك داخل إطار المنهج المحدد بالكتاب العظيم والسنة المشرفة والإجماع المعتبر والقياس الصحيح.

أما ذلك النوع من التربية الذي يؤدي إلى الحَجْر الفكري، فإنه يتمخض غالبًا عن إمَّعيَّة ممقوتة وذوبان للشخصية؛ وبذلك ينشأ البنيان ضعيفًا، إذا اعتمد كلية على مثل هذه البنيات الهشة.

٣ ـ صعوبة الاعتراف بالخطأ وصعوبة الرجوع عنه؛ فترى ذلك عند من يدافع عن خطئه أو أخطاء حزبه حتى ولو تبينت له الحقيقة؛ لأن الرجوع إلى الحق يعتبر عنده سببًا يهز ثقة الناس فيه وفي حزبه، وينسى هذا وأمثاله أن أي شخص مهما يكن مستواه العلمي أو الفكري ضئيلاً أو محدودًا فإنه يستطيع أن يدافع عن خطئه، وليس ذلك بمنقبة، ولكن المحمدة التي



ترفع قدر الإنسان في أعين الآخرين وتحفظ له احترامه عندهم وتسمو بها نفسه وتتهذب بها أخلاقه هي اعترافه بخطئه ورجوعه عنه، وبعض الناس ـ للأسف الشديد ـ قد يعترف بخطئه، ومع ذلك فإنه يصر عليه ولا يتراجع عنه. وبعض آخر يهون عليه أن يعترف بخطئه، ولكن إن أخطأ شيخه الذي يتحزب له فإنه ينافح عن هذا الخطأ بكل ما يستطيع حتى وإن كان واضحًا لا ينكره الشيخ نفسه، وهذا من عجائب ما تبتلى به بعض النفوس.

٤ ـ العُجب والاعتزاز بالنفس، ومي المقابل الازدراء والتحقير للآخرين ولآرائهم بحق وبغير حق؛ إذ المعيار هو موامقتهم محسب، وهذه أعظم الآمات التي تنشأ عن قلة الورع غالبًا وعن الجهل وقلة المعرمة أحيانًا، ومن هذا الباب تجد أن كل مكرة أو عمل من أعمال البر تلقى رواجًا وقبولاً بين الناس ينسبها الحزبيون إليهم، وأنها من نتائجهم وآثارهم ومن بنات أمكارهم؛ مهم أول من أنشأ هذا العمل أو ذاك، وأول من نبَّه إلى ذلك الخطر، وأول من سبق الناس إلى الفضل، وقد يكون ذلك وقد لا يكون، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

ولم يقتصر هذا الأسلوب على مجال معين من مجالات العمل، بل حتى الأشخاص والمصنفات ينسبونها إليهم متى وامقتهم، ويتبرؤون منها إن لم تتفق معهم.

البيان

وإذا ترك الحبل على الغارب خصوصًا في ميدان الفكر، ظن صاحب كل فكرة بأن هذا هو ما توصل إليه بحثه واجتهاده، وأصبحت الأمور فوضى لا مثيل لها، أما إلزام الآخرين بهذه الاجتهادات الشخصية والرؤى الفردية كما هو الحال عند بعض الحزبيين فهو يؤدي إلى فساد عظيم وخلل يستعصي علاجه؛ إذ إن الاجتهاد دون إخلاص ودون التقيد بالضوابط الشرعية مهلكة للمرء ومفسدة لسلوكه.

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... مأول ما يجني عليه اجتهاده

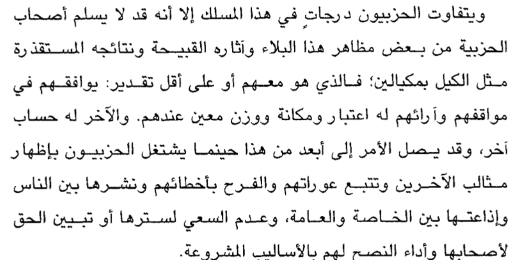
وينشأ غالبًا عن شدة العجب والغرور الحطُّ من قدر الآخرين واحتقار آرائهم وكأن موافقة الصواب وقفٌ عليهم، فكل طريقة غير طريقتهم باطلة، وكل فكرة لا تولد في منابعهم فعقيمة، وكل خطة لا تترعرع في أحضانهم لا تعرف النجاح، وليت الأمر يقف بهؤلاء عند هذا الحد بل تراهم يتلمسون للأبرياء الأخطاء والنقائص، ويطرحون عليهم رداء الجهل والسذاجة، ويرمونهم بشتى التهم، وليس وراء ذلك إلا خلافات ربما تكون يسيرة جدًا أحيانًا. والخلاف



عند أصحاب العقول السليمة والقلوب المؤمنة لا ينبغي أن يثير مثل هذه الأحقاد فيفسد الود ويضعف البناء، ويفتح الثغرات لكل من هب ودب أن يطعن في الدعاة.

٥ ـ ظلم الآخرين: والظلم ظلمات يوم القيامة، فمرتعه وخيم ونهايته مرة وآثاره سيئة، أما حين يقع هذا الظلم على إخوة في الدرب ينشدون الحق، ويتلمسون طرق البر فإنه يكون أشد تأثيرًا وأمرَّ كيدًا:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة — على النفس من وقع الحسام المهند





ويتفاوت الحزبيون درجاتٍ في هذا المسلك إلا أنه قد لا يسلم أصحاب الحزبية من بعض مظاهر هذا البلاء وآثاره القبيحة ونتائجه المستقذرة مثل الكيل بمكيالين؛ فالذي هو معهم أو على أقل تقدير: يوافقهم في مواقفهم وآرائهم له اعتبار ومكانة ووزن معين عندهم. والآخر له حساب آخر، وقد يصل الأمر إلى أبعد من هذا حينما يشتغل الحزبيون بإظهار مثالب الآخرين وتتبع عوراتهم والفرح بأخطائهم ونشرها بين الناس وإذاعتها بين الخاصة والعامة، وعدم السعي لسترها أو تبيين الحق لأصحابها وأداء النصح لهم بالأساليب المشروعة.

٦ ـ تقديم المصلحة الذاتية وجعلها هي الأساس ولو خالفت المصلحة الشرعية. وهذه سمة من سمات الحزبية الممقوتة نابعة عن الهوى وعدم الانقياد الخالص التسليم المطلق لأوامر الشرع المطهر. والذي ينبغي للمسلم هو تقديم ما يستوجبه النص الشرعي حتى ولو لم تظهر له الحكمة أو المصلحة مي ذلك، مقد يكون هذا بسبب قصور منه مي العلم والمعرمة وقد يكون قصورًا مي الحكمة والبصيرة؛ إذ إنه قد ينظر إلى المصلحة القريبة العاجلة ويغفل عن مصلحة أهم منها وأعظم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ **[الأحزاب: ٣٦] . وقد ينظر إلى المصلحة المؤقتة ويغفل عن مصلحة كبرى عامة أومستديمة.. وقد لا يدركون تلك المصالح المهمة؛ لأنهم لا يعرمونها بسبب التقوقع الحاصل لهم من الدوران مي ملك واحد. وعدم احتكاكهم بمخالفيهم، أو متح باب الحوار الهادئ معهم؛ وبذلك يحرمون من سماع أقوال الآخرين ومعرمة ما عندهم من الأدلة والفوائد.**





أدومه وإن قل (٢)

عبد الله المسلم

حين يتمثل الدعاة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ معنى المداومة في دعوتهم، فإنه يؤمل من هذا أن يولد نتائج عدة، منها:

١ ـ حصول التأسي بالنبي ﷺ؛ وهذا عبادة بحد ذاته يؤجر عليه المسلم، ويحصل به بركة متابعة النبي ﷺ.

٢ ـ أن العمل قد أعد له إعدادًا جيدًا، وأخذ نصيبه من الدراسة والمراجعة، ولم يكن نتاج فكرة طائشة أو خاطرة لم تأخذ حقها من التفكير.

٣ ـ المداومة تعني التخصص الذي ينشأ عنه سد للثغرات التي قد لا تجد لها مكانًا بين الأفكار الطارئة، وينشأ عنه التوزيع المعتدل للطاقات دون أن تسهم التفاعلات الفكرية والثقافية في تفتيتها أو تركزها في ميدان دون آخر؛ ذلك أن الحديث عن نجاح ميدان أو تجربة دعوية، أو الحديث عن أهمية ميدان ومجال مهمل، أو عن خطورة تحد يواجه الأمة والدعوة، ربما أسهم ذلك كله في توجه غير معتدل للطاقات نحو هذا الميدان مما ينشأ عنه إخلاء ثغور ومواقع لم تجد من يجيد الاستنفار لها.

٤ ـ المداومة تعني عمق القناعة بالعمل، وأنه لم يكن ناشئًا نتيجة ظرف معين أو خاطر سريع، وهو يعني أن تكون ردة الفعل تجاه الأحداث متزنة؛ إذ طالما أسهم الانسياق وراء حدث أو ظاهرة مفاجئة في ردة فعل تولد تطرفًا وغلوًا في الاتجاه المقابل.

٥ ـ المداومة على العمل تقضي على ظاهرة استعجال قطف الثمرة والإجهاض الفكري للمشروعات والبرامج الدعوية والتغييرية، وتلك إنما تنشأ عند أولئك الذين لم يستقر لهم قرار في ميدان دعوي، أو لم يحققوا مبدأ المداومة في الدعوة.

٦ ـ المداومة تعني انضباط أهداف العمل؛ إذ هي نتاج تفكير هادئ، وممارسة وتجارب طويلة، وعمل متخصص، وليست مجرد حماسة أو ردة فعل تجاه انحراف أو موقف معين.

٧ ـ المداومة تعني التدرج في العمل، والسير فيه بخطوات هادئة ثابتة متزنة، تنظر إلى المستقبل بعين واسعة، وأفق رحب. أما أولئك الذين تحركهم العواطف فلا يجيدون العمل المتدرج الهادئ، بل حين يقتنعون بأهميته وضرورته فلن يطيقوا الاستمرار فيه.

٨ ـ المداومة تعني صعوبة وصول الوصوليين، أو حُدثاء العهد بالاهتمامات الدعوية إلى مراكز الريادة والقيادة في العمل الإسلامي الذي أصبح يملك قدرًا من الاستمرار وثبات الأهداف، ويفرض على الطارئين أن ينموا بصورة طبيعية في ميدان العمل، وإلا فلن يجدوا لهم مكانًا رحبًا.

ولقد أسهم هذا الجانب في تصدُّر بعض من ليس أهلاً للتصدر في ساحة العمل الإسلامي ولدى جماهير الصحوة، سواء أكان حسن النية والطوية لكنه لم تنضج خبرته وتجربته الدعوية، أو كان سيئ النية.



والعناية بمبدأ المداومة في العمل الدعوي وأهميته لا يعني:

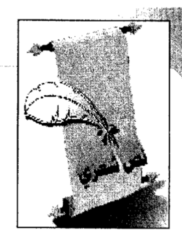
أ ـ احتقار البرامج الطارئة والابتكارات السريعة، التي ربما استفادت منها الدعوة دفعة جديدة، وفُتِحت فيها آفاق لم تكن قبل كذلك.

وكما أن العابد لربه الذي له هدي راتب من العمل حين تتاح له فرصة للخير وتتجه نفسه نحو باب من أبواب العبادة فإنه يستثمر ذلك، فكذلك الداعي إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ، ينبغي ألا تحول عنايته بالعمل الدائم دون اغتنام الفرص، لكنْ هناك فرق بين أن يكون ذلك هو الأصل وهو المسير للعمل، وبين أن يكون ميدانًا يستثمر حين يتاح.

ب ـ الجمود في الأعمال الدعوية والبرامج والوسائل؛ إذ التجديد والتطوير لا يعني إلغاء الأصل، كما أن الاستمرار والمداومة لا تعني المحافظة على الرسوم وتحوُّل الوسائل إلى غايات.

ج ـ عدم التكيف مع الظروف والتعامل معها؛ إذ هي تفرض نوعًا من المراجعة لأهداف العمل وبرامجه، بما يضمن لها استمرار البقاء والتأثير.

د ـ ترك توظيف الطاقات الأقل جدية والتي لا تجيد العمل الدائم، والبرامج بعيدة المدى، بل على الدعاة إلى الله أن يعنوا بتوظيف كل طاقة خيرة، وألا يحتقروا جهدًا أو فردًا يمكن أن يقدم عملاً مثمرًا، لكن يبقى أولئك في موقعهم الطبيعي، ولا يتحول هذا إلى قاعدة ينطلق منها الجميع.



مَعذرةً.. هِندُ

شعر: طاهر العتباني

مــــا زلـت تنســربـين في أبيــــاتي
وتحــــاولــينَ اللغــــوَ فــي كلمـــــاتي

مـــا زلتِ تَـتـــهـــمين كل قـــصـــائدي
أنْ لستُ في عـــيـنـيكِ أُبصـــر ذاتي

أنا يــا التـي كـــانــت تزلـزلنـي هَوىً
وأصبُّ فــي خلجـــاتهــــا خـلجــاتي

مـا عـدت أحـفل بالـعـيون وسِحْـرها
وأواصل الـعـبــرات بالـعــبــرات

أنا يـا التـي كـــانــت على أهـدابهــــا
رفَّت طيــور العـــشقَ في لوحـــاتي

مــا عــادَ يغــريني هـفـيف جـدائل
مــــا عُـدْتُ أعــشق أجـمل الملكات

أنا يا الـتي أحـرقـت فـيــهــا أحْـرفيً
وَرَجَـعْـتُ مـشنوقًـــا إلى كلمـــاتي

قـــد صـــرْتُ أنطر في ربوع ديـارنا
وأعـــود مَـــخْـنوقًـــا من المأســـاة

يا هنْدُ يا عَـهْـدَ التــغـزل والهــوى
ومــــراتع الآمـــالِ والـشــــهــــوات

إني صَـحَـوْتُ من الجنون وقـد غـدا
شــعـري يضـيق بهـذه الصبـوات

يا هِنْـد... لو تدرينَ مــا يعـتــادني
إذ أُبصـــر الأعـــداءَ فـي ربواتـي

يا هَنـد... لو تدرينَ مــا يجـتـــاحني
والقـــدس يـهـتف في حطـامِ مَـواتي

يا هنْدُ ... لو تدرينَ مـــا بجــــوانحي
منْ عَـسْفِ هذا اليــأسِ والظلـمـــات

لعلـمت أني إذ نسـيـتُ مـشــاعــري
وتركـتُ مـــا سطرتُ من نغــمــــات

مـــا كُنْتُ أصطنـع الجــفـــاءَ وإنما
قلبي أســيـــرٌ في الضـــيـــاع الآتي

هذى «ســراييــفــو» تـصيحُ ولا يدٌ
تمتـــدُّ، أو صَــوْتٌ يجـيب شَكاتي

قــد صـــارت النكبـاتُ إن هـي طوّقَتْ
يتـــسابق الشـعــراءُ في الـنكبـات

وتضـــافُ للمـــأســاة بَعْضُ قـصــائد
وتسـوَّدُ الـصـفـحـــاتُ بالصـفـحـات

حــــتى إذا سَكَتَ الـكلامُ وأقـــفـلتْ
قـــصص الـبطولـة أُهْدِرَتْ كلـمـــاتي

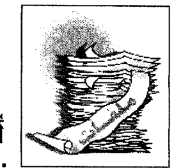
يــا هـنْـدُ... أول طـعــنـة نـالـتْ دمـي
ورأيت هَـتْكَ العـــرضِ في أخـــواتي

يا هَـند.. كَـــيْفَ أهيـمُ فيً غـــزليـــة
واليـــأسُ يَـصْلبُ أمــتي وثبـــاتي

وأرى على الأفـق الجـريـح حـمـامـةً
قـــد حُـــوصِـرَتْ بـالريحِ والطـعنات

يا هندُ ... لا أبغيك بعض قصيدة
يا هَنْدُ ... لا أبغيك قصة لَيْلة
يا هَنْد... لا أبغيك إلا مَوْطنًا
يا هَنْدُ... إن أصبحتَ في كلماتهم
أوْ أَصْبَحَتْ عيناك بين حروفهم
أوْ أصْبَحَتْ شفتاك في أعراسهم
فأنا أريدك في جبين طهارتي
مَهْلاً رِفاقَ الشعْر إن جوادكم
ما زال رغم ضياعَ وَجهي في الدجى
من ألف عام، والقصائد ترتوي
من ألفَ عامٍ، والكلام على فمي
منْ ألفَ عامٍ، والمآذن شجوها
والمسْجَدُ الأقصى، وهنْدُ وأمها
مهلاً رفاق الشعر إنَ قضيَّتي
والشعر ليس غوايةً في قصَّة
الشعر هنْدٌ حين يحمي وَجْهها
الشعر هَنْدٌ حين يحميها دمٌ
الشعر هَنْدٌ حين يقفز من دمي
ليعيد هنْدًا من إسار ضياعها
ويردّ عنها صَوْلة الذئب الذي
يا هنْد مَعْذرةً لأني شاعرٌ
يا هَنْد معذرةً لأني شاعرٌ
هذا دمي فوق الموائد كيفَ بي
هذه بلادي كيف أنْسى وَجْهها؟
هذي جراحي كيف أنْسى وَهْجَها
فأراكِ كأسًا أو ضلالة تائه
هذى حروفي... كيف أخنق دَمْعها
هذي طريقي ... كيف أترك رَهْجها
يا هِنْدُ مْعذرةً حياتي بِعْتُها

لا، إنني أبغيك أمَّ أباة
حمراءَ... لا أبغيكِ بعضَ فُتات
حرًا يرفرفُ في حروف لُغاتي
عطرًا يفوحُ بحمأة الطرقات
جدلاً يُضيع العمرَ في الغفلات
مجنونةً شبقيَّة الهمسات
نُورًا أصون حياته بحياتي
ما زال يضرب في السرابِ العاتي
مترنِّحًا في غمرة السكرات
من كأسها الشبقية الرشفات
يصحو على الطعنات بالطعنات
ينسابُ مَذْبوحًا بسيَف عداتي
عربيَّةً ذُبحَتْ على العتبات
مسكونةٌ بالنارِ واللفحات
تجتاحها الجمراتُ بالجمرات
حرفٌ أبيُّ الخطو والوثبات
ينسابُ في الأضلاع كالعزمات
لحنُ وسَيفٌ واثق الضربات
ويعيدها عُذْريَّةَ القسمات
يلهو بها في أسْوأ القتلات
لا أشتري الصفقات بالكلمات
لا أعْرفُ التزييفَ في لوْحاتي
أنْسى دمائي ... أزدري مأساتي
وأهيمُ في أسطورة اللذَّات؟
وأُضيعُ عُمْري في هوى الشهوات
وأظل أحْيا في خداعِ الذات
وأنا الذي قد أيْنَعَتْ زهراتي
وأبيعُ خيلَ الفتح والصَهَوات
لله أبْغي الفَوْزَ بالجَنَّات



الـردة.. مفهومها وأسبابها في العقيدة والشريعة

بقلم: د. عبد العزيز آل عبد اللطيف

الحمـد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الله ـ تعالى ـ أتم هذا الدين وجعل شريعة الإسلام أكمل الشرائع وأحسنها، وقد جاء هذا الدين شاملاً لجميع جوانب الحياة البشرية، ولذا أوجب الله ـ تعالى ـ على عباده الالتزام بجميع أحكام الإسلام فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، كما جاء هذا الدين موافقًا للفطرة السوية الصحيحة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] .

فإذا كان الشخص مسلمًا لله ـ تعالى ـ، والتزم بدين الله ـ تعالى ـ، فأبى إلا أن ينسلخ من الهدى، ويتلبس بالضلال، فيمرق من الحق والنور إلى الباطل والظلمات، فهذا مرتد عن دين الإسلام، ناقض لعقد الإيمان، مصادم لما عليه هذا الكون الفسيح ـ من سماء وأرض ونبات وحيوان ـ من الاستسلام لله ـ تعالى ـ والخضوع له، كما قال سبحانه: **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** [آل عمران: ٨٣].



وإذا كانت قوانين البشر - مع ما فيها من القصور والتناقض والاضطراب - توجب مخالفتها - عند أصحابها - الجزاءات والعقوبات؛ فكيف بمناقضة شرع الله - تعالى -، والانسلاخ من حكمه وهو أفضل الأحكام على الإطلاق؟

لقد شرع الله - تعالى - إقامة الحدود، ومنها: حد الردة تحقيقًا لأهم مقاصد الشريعة وهو حفظ الدين، وهو - سبحانه - الحكيم في شرعه، الرحيم بعباده، العليم بما يصلح أحوال خلقه في معاشهم ومعادهم.

وفي الآونة الأخيرة تطاول شرذمة من السفهاء على هذه الشريعة، فوصفوا الأحكام الشرعية المترتبة على المرتد بأنها استبداد وقسوة ومناقضة للحرية الفكرية... فقام من يرد ذلك الإفك بضعف وتأوُّل متكلف وانهزامية ظاهرة «فلا الإسلامَ نصروا ولا (السفهاء) كسروا».

ولذا سنعرض في هذه المقالة لمعنى الردة وشيء من أحكامها وتطبيقاتها، وأسباب الوقوع فيها.

إذا رجعنا إلى كتب الفقه، فإننا نجد أن الفقهاء - في كل مذهب من المذاهب الأربعة - يعقدون بابًا مستقلاً للمرتد وأحكامه، ونورد فيما يلي أمثلة لتعريفاتهم للردة، - أعاذنا الله منها - .

ففي بدائع الصنائع للكاساني الحنفي (ت٥٨٧هـ): «أما ركن الردة فهو إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان؛ إذ الردة عبارة عن الرجوع عن الإيمان» [٧/ ١٣٤].

ويقول «الصاوي» المالكي (ت ١٢٤١هـ) في الشرح الصغير: «الردة كفر مسلم بصريح من القول، أو قول يقتضي الكفر، أو فعل يتضمن الكفر» [٦/ ١٤٤].

وجاء في مغني المحتاج للشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ) : «الردة هي قطع الإسلام بينة، أو فعل سواءً قاله استهزاء، أو عنادًا، أو اعتقادًا» [٤/ ١٣٣].

ويقول البهوتي الحنبلي في كشاف القناع: «المرتد شرعًا الذي يكفر بعد إسلامه نطقًا أو اعتقادًا، أو شكًا، أو فعلاً» [٦/ ١٣٦].

وبنظرة في هذه التعريفات نجد أن الردة رجوع عن الإيمان، فهي رجوع باعتبار المعنى اللغوي؛ فالمرتد هو الراجع، ومن قوله - تعالى -: ﴿وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

والردة رجوع عن الإيمان باعتبار المعنى الشرعي؛ فالشرع يخصص اللغة ويقيّدها، كما أن الردة هي قطع الإسلام؛ لأن الإسـلام عقد وميثـاق، وحبل الله المتين، فإذا ارتد الشـخص فقد نقض العقد وقطع هذا الحبل.

والردة، كما ذكر البهوتي قد تكون نطقًا، أو اعتقادًا، أو شكًا، أو فعلاً، لكن يسوغ أن ندرج الشك ضمن الاعتقاد باعتبار أن الشك يكون في عمل القلب المتعلق بالاعتقاد.

ويمكن أن نخلص إلى أن الردة هي الرجـوع عن الإسلام إما باعـتقاد أو قـول أو فعل، ولا يخـفى أن هذا التعـريف يقـابل تعـريف الإيمان بأنه: اعتـقـاد بالجنان وقـول باللسان وعـمل بالجـوارح، وإذا قلنا: إن الإيمان قول وعـمل ـ كما في عبارات متقدمي أئمة السلف ـ أي قول القلب وعـمله، وقول اللسـان، وعمل الجـوارح، فـإن الردة ـ أيضًا ـ قـول وعـمل، فقـد تكون الردة قـولاً قلبـيًا كـتكذيب الله ـ تعـالى ـ في خبره، أو اعتقاد أن خالقًا مع الله ـ عز وجل ـ، وقد تكون عملاً قلبيًـا كبغض الله ـ تعالى ـ أو رسوله ﷺ، أو الاتباع والاسـتكبار عـن اتباع الرسول، وقد تكون الردة قـولاً باللسان كسبِّ الله ـ تعالى ـ أو رسوله ﷺ، أو الاستـهزاء بدين الله ـ تعالى ـ، وقـد تقع الردة بعمل ظاهر من أعمال الجوارح كالسجود للصنم، أو إهانة المصحف .

> في الآونة الأخيرة تطاول شرذمة من السفهاء على هذه الشريعة فوصفوا

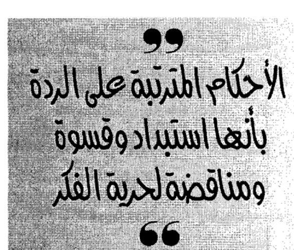
فإذا تقـرر مفـهوم الردة، فـإن من تلبّس بشـيء من تلك «النواقض» يكون مـرتدًا عن دين الإسلام، فيقتل بسيف الشرع؛ فالمبيح لدمه هو الكفر بعد الإيمان، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هذا المقام: «فإنه لو لم يقتل ذلك [المرتد] لكان الداخل في الدين يخرج منه؛ فقتله حفظ لأهل الدين وللدين؛ فإن ذلك يمنع مـن النقص(١) ويمنعهم من الخـروج عنه» [الفتاوى ٢٠/١٠٢].

(١) هكذا كتبت ، ويحتمل: النقض.

كما يقتل المرتد، فإنه لا يغسّل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يرث ولا يورث، بل يكون ماله فيئًا لبيت مال المسلمين كما هو مبسوط في موضعه(١).

ومما يدل على مشروعية قتل المرتد ما أخرجه البخاري ـ رحمه الله ـ أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أُتى بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: لو كنت أنا لم أحرِّقهم لنهي رسول الله ﷺ: «لا تعذِّبوا بعذاب الله، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: من بدّل دينه فأقتلوه».

والمراد من قول: «بدّل، دينه» أي بدل الإسلام بدين غيره؛ لأن الدين في الحقيقة هو الإسلام، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥](٢).



وقد التزم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بهذا الحكم، فعندما زار معاذ بن جبل أخاه أبا موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ، وكانا أميرين في اليمن، فإذا رجل موثق، فقال معاذ : ما هذا؟ قال أبو موسى: كان يهوديًا، فأسلم ثم تهوّد، ثم قال: اجلس، فقال معاذ: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ﷺ (ثلاث مرات)، فأمر به فقتل (٣).

وقد قام خلفاء وملوك الإسلام وفي عصور مختلفة بإقامة حكم الله ـ تعالى ـ في المرتدين تأسيًا برسول الله ﷺ؛ فلا يخفى موقف الصديق ـ رضي الله عنه ـ تجاه المرتدين وقتاله لهم، وسار على ذلك بقية الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان.

واشتهر المهدي الخليفة العباسي بمتابعة الزنادقة المرتدين، حيث عيّن رجلاً يتولى أمور الزنادقة.

---

(١) تحدث الفقهاء ـ رحمهم الله ـ عن هذه المسائل تفصيلاً، وألفت رسائل علمية مطبوعة في أحكام المرتد، منها : أحكام الردة والمرتدين لجبر الفضيلات، وأحكام المرتد لنعمان السامرائي.

(٢) انظر : فتح الباري ، ١٣/ ٢٧٢.

(٣) أخرجه البخاري.



يقول ابن كثير في حوادث سنة ١٦٧هـ: «وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبرًا بين يديه»[١].

ويعدّ الحلاَّج من أشهر الزنادقة الذين تمَّ قتلهم بسيف الشرع دون استتابة، يقول القاضي عياض: «وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول، وقوله: (أنا الحق) مع تمسكه في الظاهر بالشريعة، ولم يقبلوا توبته»[٢].

وقد بسط الحافظ ابن كثير الحديث عن أحوال الحلاج وصفة مقتله، فكان مما قال: « قُدِّم [الحلاج] فضُرِبَ ألف سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه، وحز رأسه، وأحرقت جثته، وألقى رمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان وطيف في تلك النواحي»[٣].

من أهم أخبار المرتدين وأكثرها عبرة ما سجله الحافظ ابن كثير في حوادث ٧٢٦هـ حيث «ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل الهيثي على كفره واستهانته بآيات الله وصحبته الزنادقة.

قال البرازلي: وربما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم بالكفر والتلاعب بدين الإسلام والاستهانة بالنبوة والقرآن.

البيان

وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة، قال: «وكان هذا الرجل قد حفظ التنبيه، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن، وعنده نباهة وفهم، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه، وكان قتله عزًا للإسلام، وذلاً للزنادقة وأهل البدع، قال ابن كثير: وقد شهدتُ قتله، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضرًا يومئذ، وقد أتاه وقرّعه على ما كان يصدر عنه قبل قتله، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك»[٤].

ومما يجدر ذكره في هذه المقالة أن الردة التي جاهر بها بعض زنادقة هذا العصر كـ «رشدي»، و«نسرين»، و«نصر أبو زيد»، و«البغدادي»، وأضرابهم أشنع من ردة أسلافهم كـ «الحلاج»، و«الهيثي»، والله المستعان.

---

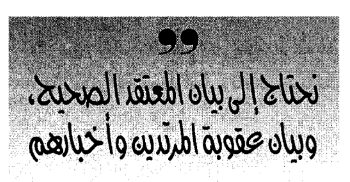
(١) البداية ١٤٩/١٠.

(٢) الشفا، ١٠٩١/٢.

(٣) البداية والنهاية، ١٤٣/١١.

(٤) البداية، ١٢٢/١٤.





وبالجملة فردة هؤلاء الزنادقة في القديم والحديث ليست مجرد ردة فحسب، بل ضموا إلى هذه الردة المحاربة لله - تعالى - ورسوله ﷺ، والإفراط في العداوة، والمبالغة في الطعن في دين الله - تعالى -، وصاحب هذه الردة المغلظة لا يسقط عنه القتل - وإن تاب - بعد القدرة عليه.

كما حرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: «إن الردة على قسمين: ردة مجردة، وردة مغلظة شرع القتل على خصوصها، وكلتاهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها؛ والأدلة الدالة على سقوط القتل بالتوبة لا تعمّ القسمين، بل إنما تدل على القسم الأول (الردة المجردة)، كما يظهر ذلك لمن تأمل الأدلة على قبول توبة المرتد، فيبقى القسم الثاني (الردة المغلظة) وقد قام الدليل على وجوب قتل صاحبه، ولم يأت نص ولا إجماع بسقوط القتل عنه، والقياس متعذر مع وجود الفرق الجلي، فانقطع الإلحاق؛ والذي يحقق هذه الطريقة أنه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا إجماع أن كل من ارتد بأي قول أو أي فعل كان فإنه يسقط عنه القتل إذا تاب بعد القدرة عليه، بل الكتاب والسنة والإجماع قد فرّق بين أنواع المرتدين...»(١).

وأما أسباب الوقوع في الردة فثمة أسباب متعددة لذلك منها:

- الجهل بدين الله - تعالى -، وضعف التمسك بالمعتقد الصحيح عند الكثير من المسلمين، مما أوقفهم - بسبب جهلهم وضعف تمسكهم - في جملة من المكفرات، فعلى الدعاة والعلماء أن يجتهدوا في إظهار العلم الشرعي وتبليغ دين الله - تعالى -، عبر برامج مرتبة، فيرغب أهل الإسلام بالمعتقد الصحيح علمًا وعملاً، ويحذرون من الردة وأنواعها، عن طرق حلَقِ التعليم، والخطب، والمؤلفات، والأشرطة، ونحوها، فيعنى بالتوحيد تقريرًا والتزامًا، كما يعنى بالتحذير من مظاهر الردة في الزمن المعاصر، ومن ذلك أن تُدرَّس رسالة «نواقض الإسلام» للشيخ «محمد بن عبد الوهاب» - رحمه الله - فهي رسالة مع كونها في غاية الإيجاز إلا أنها بينت أهم النواقض وأشملها، وأكثرها وقوعًا وانتشارًا(٢).

البيان

(١) الصارم المسلول، ٣/٦٩٦ .

(٢) شرح هذه الرسالة غير واحد، ومن أفضل الشروح: «التبيان شرح نواقض الإسلام» للشيخ سليمان بن ناصر العلوان.

وأن يبيّن للناس الأحكام الشرعية المترتبة على المرتد من: القتل، وعدم الصلاة عليه، وحل ماله، وأن تذكر أخبار المرتدين وأحوالهم وما نالوه في الدنيا من العقوبات والمثلات، وما أعدّ لهم من العذاب المقيم في الدار الآخرة.

وأن يراعى ـ أثناء التحذير من الردة وأنواعها ـ عوارض الأهلية عند الحكم على الأشخاص كالجهل والتأويل والخطأ والإكراه ونحوه، فربما وقع البعض في غلو وإفراط بمجرد علمهم بجملة من أنواع الردة، فيحكمون بذلك على أشخاص بأعيانهم دون التفات إلى اجتماع الشروط وانتفاء الموانع.

ـ ومن أسباب الوقوع في الردة: ظهور الإرجاء في هذه الأوقات.. فالإرجاء في مسألة الإيمان يقرر عبر مؤسسات تعليمية شرعية منتشرة في بلاد المسلمين، حيث تتبنى هذه المؤسسات المذهب الأشعري والماتريدي ـ ذي النزعة الإرجائية الغالية ـ، كما ساعد على ظهور الإرجاء بعض المنهزمين إزاء واقعنا الحاضر المليء بالانحرافات التي تناقض العقيدة السلفية، فقاموا «يبررون»، و«يسوغون» ذلك الانحراف بأنواع من التأويلات المتكلفة.

كما أن الغلو في التكفير والنزعة الخارجية ـ في هذا العصر ـ كان سببًا مساعدًا في ظهور الإرجاء كنتيجة عكسية، فجاء ذلك الإرجاء رد فعل لهذا الغلو.

فإذا كان الإيمان ـ عند طوائف من المرجئة ـ هو التصديق فحسب، ففي المقابل سيكون الكفر ـ أو الردة ـ هو التكذيب فقط عند قوم آخرين، فلا يكون الشخص مرتدًا عن دين الله ـ تعالى ـ إلا إذا كان مكذبًا جاحدًا! فلا يكون الشخص عند هؤلاء المرجئة مرتدًا بمجرد استهزائه بالله ـ تعالى ـ أو رسوله ﷺ أو دينه، كما لا يكون الشخص عندهم مرتدًا بمجرد سجوده للصنم أو إهانة المصحف!!.

البيان

فالردة عندهم مجرد اعتقاد، فلا تقع الردة بقول أو عمل!

ـ وسبب ثالث وهو تنحية شرع الله ـ عز وجل ـ في كثير من بلاد المسلمين، فلا يخفى أن وجود الولاية الشرعية سبب في حفظ الدين، فحيث تقام الحدود ومنها حد الردة فلن يتطاول زنديق مارق على دين الله ـ تعالى ـ، لكن «من أمن العقوبة أساء الأدب»، والله حسبنا ونعم

الوكيل، ورحم الله ابن العربي عندما وصف كفر غلاة الشيعة بأنه «كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف»[1].

وإليك - أخي القارئ - واقعة تاريخية توضح المراد كما دوّنها القاضي عياض في كتابه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» بقوله: «وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بـ (ابن أخي عَجَب)، وكان خرج يومًا، فأخذه المطر، فقال: بدأ الخرّاز يرش جلوده.

> لن يتطاول زنديق أو مارق إذا كان شرع الله قائمًا حكمًا بين الناس

وكان بعض الفقهاء بها (أي بقرطبة): «أبو زيد»، و«عبد الأعلى بن وهب»، و«ابن عيسى»، قد توقفوا عن سفك دمه، وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب، وأفتى بمثله القاضي حينئذ «موسى بن زياد»، فقال «ابن حبيب» : دمه في عنقي، أيشتمُ ربًا عبدناه، ولا ننصر له؟ إنا إذًا لعبيد سوء، وما نحن له بعابدين، وبكى، ورفع المجلس إلى الأمير بها «عبد الرحمن بن الحكم» الأموي (ت٢٨٢هـ).

وكانت عجَب عمة هذا المطلوب من حظاياه (أي من أحب الزوجات لعبد الرحمن بن الحكم)، وأُعلم باختلاف الفقهاء، فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول «ابن حبيب وصاحبه»، وأمر بقتله، فقُتل وصُلب بحضرة الفقيهين: «ابن حبيب وأصبغ»، وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة، ووبّخ بقية الفقهاء وسبّهم»(٢).

ولنا وقفة يسيرة مع هذه القصة فإن ابن أخي «عجب» تلفَّظ بعبارة تقتضي استخفافًا بالربّ - جل جلاله - وقد لا تكون صريحة في ذلك، والرجل لم يجاهر بهذه العبارة عبر إعلام مقروء أو منطوق أو نظم أو منثور، ومع ذلك فهذه العبارة في غاية النشاز والاشمئزاز في المجتمع الإسلامي - آنذاك - فلم يقبلها بالكلية، بل ونفر منها تمامًا، حتى بلغت أهل العلم - في قرطبة - فاجتمعوا لها فحكموا على صاحبها .

البيان

(١) العواصم من القواصم ، ص ٢٤٧.
(٢) الشفا ، ٢/١٠٩٣، ١٠٩٤.



وأخيرًا: تتجلى روعة الموقف عندما يمضي «عبد الرحمن بن الحكم الأموي» حكم القتل على ابن أخي زوجته «عجب» وهي أحب زوجاته إليه، ولا يكتفي بذلك بل ويعزل القاضي متهمًا له بالمداهنة، ويعاتب بقية الفقهاء.

فانظر - رعاك الله - إلى أثر الولاية الشرعية في تحقيق حفظ الدين وإقامة حكم الله - تعالى - على من تطاول على دين الله - تعالى -.

- وأما السبب الرابع في ظهور الردة، فإن الفوضى الفكرية التي يعيشها العالم المعاصر، والاضطراب الهائل في المفاهيم، والتناقض المكشوف في المعتقدات والمبادئ كان سببًا في الإخلال بالثوابت والتمرد على الدين والأخلاق.

لقد وجد الانسلاخ من الدين في العالم الغربي، والخروج عما استقر في الفطر السليمة والعقول الصحيحة، وأجلب أعداء الله - تعالى - بخيلهم ورجلهم، وسعوا إلى بث هذا الانحراف في بلاد المسلمين، وجاء أقوام من هذه الأمة يتتبعون مسلك أولئك المنتكسين حذو القذة بالقذة.

البيان

فلا عجب أن تظهر الحداثة - مثلاً - في بلاد المسلمين، بعد أن ظهرت في العالم الغربي، والتي تنادي برفض ما هو قديم وثابت، بما في ذلك المعتقدات والأخلاق - وتغيير المسلَّمات والحقائق الثابتة، وضرورة التحول والتطور من الأفكار القديمة إلى مواقف مستنيرة.

ثم «تؤصل» هذه الردة، وتقصّد، وتنشر في الآفاق عبر ملاحق أدبية، ومجلات متخصصة، ومن خلال محاضرات وندوات ومهرجانات.

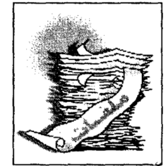
وأخيرًا:

فإن تقصير بعض علماء أهل السنة ودعاتهم تجاه هذا الانحراف الخطير - الردة - كان سببًا مساعدًا في ظهوره واستفحاله، فلو أن علماء أهل السنة ودعاتهم قاموا بواجب التبليغ لدين الله - تعالى -، وإظهار عقيدة التوحيد، والتحذير من الردة وأنواعها ووسائلها لما كان لمظاهر الكفر أن تنتشر كما هي عليه الآن.

البيان

إن الناظر إلى إخواننا من أهل السنة يرى تواكلاً وكسلاً، وتحميلاً للتبعات والمسؤوليات على الآخرين، وتلاومًا فيما بينهم، ألا فليجتهد الجميع في الحرص على ما ينفع، وأن نسعى في تبليغ ديننا والتحذير مما يضاده ويناقضه «ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين»[1].

(١) هذه العبارة سطّرها العلامة عبد الرحمن السعدي، في القول السديد ، ص ٣٦ .



أقلام الردة... أما آن لها أن تنكسر؟

بقلم: عبد العزيز مصطفى

في العصور الحديثة، كان الغزو النابليوني لمصر، بداية لتغيرات عميقة في المنطقة، هذا الغزو العسكري الذي كانت تؤزه دوافع الاستيلاء والاستعلاء معًا: الاستيلاء على الخيرات والمقدرات، والاستعلاء بفرض الصبغة الأوروبية الفرنسية ـ خاصة ـ نموذجًا بديلاً في الثقافة والحضارة، حيث لا يتم ذلك إلا بإحلال تقاليد وقوانين، بل وعقائد أجنبية غربية محل الإسلامية منها.

وقد قطع الفرنسيون في سبيل الوصول لتلك الغاية أشواطًا طويلة، واستأنف الإنجليز بعدهم المسيرة المشؤومة، بعد فرض سيطرتهم على مصر والعراق وأطراف الجزيرة وبقاعًا أخرى في العالم الإسلامي.

وعبر صراعات طويلة استتب الأمر أخيرًا للهيمنة الغربية.

وللحقيقة... فإنه مما يسجل لأمة الإسلام أنها لم تستسلم لهذا الطغيان الغربي بإطلاق، فقد قامت حركات إصلاحية مضادة، متأثرة بدعوات كلٍ من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، والصنعاني والشوكاني في اليمن، ثم الشيخ رشيد رضا في مصر وقد تركت تلك الدعوات الإصلاحية أثرًا عميقًا على الوعي الإسلامي، ظل يتفاعل حتى بعد سيطرة النمط



الغربي الذي فرَّخ في بلاد المسلمين أجيالاً مشوهة في الفكر والعقيدة، ما لبثت أن دُفعت إلى مكان الصدارة والتوجيه لجماهير مشوشة. لقد نظر البعض إلى الغزو الأوروبي على أنه بداية للتحديث في المنطقة العربية والإسلامية، وكان ممن ركزوا على هذا وحاولوا تسويغ هذا الغزو؛ نصارى العرب مثل (ألبرت حوراني) الذي أرخ للحداثة بالغزو النابليوني[1]. لكن نصارى العرب، لم يكونوا مؤهلين بعد للقيام بدور أكبر، فكان لا بد من تجنيد دعاة يتكلمون بلسان الغرب، ويلبسون مسوح الشرق!

ظهر تغريبيون كثيرون في ثوب إصلاحيين، من أمثال رفاعة الطهطاوي، وعلي مبارك، وخير الدين التونسي، وجمال الدين الأفغاني، ورفيق العظم، وغيرهم.. وكان هؤلاء بمثابة قنطرة عبر من فوقها حصان طروادة الكبير، الذي امتلأ عن آخره بأصناف وأشكال من عصابة المثقفين الكبار...

البيان

لم تكن الخطورة من هؤلاء كامنة فقط في تمييع شخصية الأمة والقضاء على تميزها القيمي وطابعها السلوكي، وإنما تعدت ذلك إلى ما هو أخطر... تعدته إلى تفردها العقائدي القويم الذي حازت به ما حُرِمت منه قطعان الأمم... فعقائد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر، كانت الموضوع الرئيس المستهدف، ومع هذا فإننا عندما نراجع قوائم المتهمين بالإجرام في حق الأمة المسلمة؛ نجد أنهم تقاسموا فيما بينهم وظائف التخريب باسم الثقافة تارة والأدب تارة والفن والإبداع والتحديث تارات أخرى، لكن تبقى الخطورة الأكبر في الفئة التي ندبت نفسها لإفساد العقائد في أكبر شريحة مستطاعة من (الجماهير)، وخطورة هؤلاء تكمن في أنهم ركزوا على الأساس الذي إذا أصابه الخلل، فإن البنيان كله يتداعى معه ويسقط. ولم تكن أدوات الهدم التي تزودوا بها مجرد مِعْول ومسحاة وقدُّوم، لكنها قلم وفرشاة وشاشات وقانون..! هذه تهدم، وذاك القانون يحمي ولا يجرم!

"أطلق العنان لـ: «طه حسين» لتشويه وجه المنهج الإسلامي"

والمجال هنا ـ بطبيعة الحال ـ لا يتسع لتعقب جهود المفسدين في مجالات الثقافة والأدب والفن

(١) العجب أن جمهورًا من المثقفين المشبوهين، ظلوا أوفياء لهذه الرؤية، حتى إنهم جعلوا من تاريخ دخول نابليون لمصر، مناسبة يحتفون فيها بالغزو الأوروبي، فالآن يجري الإعداد للاحتفال بمرور مئتي عام على غزو نابليون لمصر (!!!) وسيستمر الاحتفال حتى عام ٢٠٠٠م، ولعل الله أن ييسر الكتابة حول هذا الموضوع في مقال قادم.

والتعليم، ولكننا نركز على ذلك الصنف الذي استهدف العقائد دون أن يمتنع من المشاركة في ألوان الإفساد الأخرى...، وسنتخطى أيضًا من كانت آثاره الفكرية مما يحتمل التأويلات والتفسيرات، لنشير إلى الذين أسفروا بوضوح مفضوح عن كوامن قلوبهم...

ونبدأ بمن أطلق عليهم ـ لأهداف لا تخفى ـ: «جيل الرواد» أولئك الآباء الروحيون لأجيال تالية من (القواد) الذين مارسوا القوادة الفكرية لحساب أصحاب المطامع الأجنبية.

من هؤلاء (الرواد) وفي مقدمتهم (طه حسين)، ذلك الكاتب الذي أُطلق لقلمه العنان، وأُعطيت له الوصاية للتحدث باسم الأدب العربي، فانطلق مدفوعًا بالغرور والاستعلاء، يشوه وجه المنهج الإسلامي بإثارة الشبهات، وإذاعة أدب المجون، وإشاعة النقائص، في الوقت الذي عمل فيه على إبراز (الكمالات) في الفكر الوثني اليوناني القديم، والفكر الإلحادي الغربي الحديث، خاصة في جوانبه المادية والإباحية.

وفي سبيل ذلك كان أول من نقل سموم (مرجليوت) في الشعر الجاهلي، و(جولد سيهر) في العقيدة والشريعة، و(دوركايم) في التاريخ.. فأثبت في كل هذا أنه جمع بين نقيضين في آن، وهما الأمانة والخيانة: فكان أمينًا وفيًا لأساتذته المستشرقين من النصارى واليهود، خائنًا لله ولرسوله وللمؤمنين...

وهذه بعض آرائه ومعتقداته المبثوثة في كتبه ومقالاته:

ـ الدين خرج من الأرض ولم ينزل من السماء.

ـ الإسلام بقي على هامش حياة المسلمين الأولى.

ـ القرآن قابل للنقد باعتباره كتابًا أدبيًا.

ـ السيرة النبوية فيها أساطير، وهي قابلة لإلصاق أساطير أخرى بها.

ـ تعقب أخبار الزناة والفساق والفجرة... أدب رفيع...

ـ القرن الثاني للهجرة (عصر التابعين وتابعيهم) كان عصر شك وفسوق.

ـ الحضارة الغربية يجب أن تؤخذ بخيرها وشرها وحلوها ومرها.

ـ وجود إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ أمر مشكوك فيه، ولو ذكروا في التوراة والإنجيل والقرآن.. فلسنا ملزمين بتصديق أي منها!

ـ الفتح الإسلامي لمصر، كان استعمارًا كاستعمار الرومان والفرس والإنجليز[1].

---

(١) راجع تفاصيل هذه الانحرافات بالتوثيق في كتاب (محاكمة فكر طه حسين) للأستاذ أنور الجندي.

ونأتي إلى رمز ثانٍ من (جيل الرواد) وهوالأديب المشهور عربيًا وعالميًا... نجيب محفوظ، الحائز على جائز نوبل العالمية في (الأدب)! إن انحرافات نجيب محفوظ الاعتقادية أكثر من أن تحصر، وهو يتخفى وراء الرواية الأدبية، ليلقي السهم تلو السهم مستهدفًا قلب العقيدة، وهو الإيمان بالله ـ تعالى ـ هذا الإله الذي رمز له (نجيب) بأشخاص جعل منهم مثارًا للسخرية والتندر، ومبعثًا للهزء والكره... ففي روايته الشهيرة (أولاد حارتنا) التي اعتبرها أحب أعماله إليه، والتي من أجلها كافأه اليهود بجائزة (نوبل) رمز إلى الإله ـ سبحانه ـ بشخص سماه (الجبلاوي) وأعطاه في الرواية دور رجل متسلط على أهل حارة، وله أعوانه الذين يسيطر بهم على سكان الحارة، وهؤلاء الأعوان هم الأنبياء الذين رمز لكل واحد منهم باسم وشخص!

وله رواية باسم (الطريق) رمز فيها إلى الله ـ تعالى ـ برجل اسمه (سيد الرحيمي) متطاولاً على الذات الإلهية ولا شك أن عقائد الإيمان لا تساوي شيئًا عند نجيب محفوظ، يدل على ذلك أن له رواية بعنوان (الثلاثية) صرَّح فيها بأنه عبَّر عن آرائه الشخصية من خلال أحد أبطال القصة وهو (كمال عبد الجواد)، حيث أورد على لسانه كثيرًا من قناعاته، ووصفه في القصة بقوله: «كان كأنما يود أن ينعي إلى الناس عقيدته، لقد ثبتت عقيدته طوال عامين أمام عواصف الشك التي أرسلها (المعري) و (الخيَّام) حتى هوت عليها قبضة العلم الحديدية، فكانت القاضية» ثم قال على لسانه: «على أنني لست كافرًا... لا زلت أؤمن بالله، أما الدين... إن الدين ذهب.. كما ذهب رأس الحسين»!!

فهو هنا يفصح عن زندقة ظاهرة، عندما يزعم أن الإنسان يمكن أن يظل مؤمنًا بالله دون أن يؤمن بأي دين!!

فطريقته المفضلة في بث عقائده الباطلة، أن يوردها على ألسنة أبطال رواياته وهذا ما حصل منه أيضًا في رواية له باسم (الحرافيش) ساق فيها على لسان (عاشور الناجي) كل ما أراد من فلسفات وآراء منحرفة، وعندما يواجه نجيب بجرائمه الفكرية الكفرية، يردد هذه العبارة «لا يوجد فهم نهائي للعمل الأدبي»! إنها إذن باطنية جديدة تتدثر بالأدب، وغواية تتستر بفن الرواية! ونترك صاحب النجابة المزيفة (محفوظ) إلى صاحب الحكمة المدعاة (توفيق) صاحب القلم الساخر واللسان اللاذع، إنه الرجل الذي أفنى عمره وهو ينحت بقلمه شروخًا عميقة في أسس البنيان العقائدي للأمة، وانحرافات (توفيق الحكيم) خليط رديء من الزندقة والخرافة، والمجون، والإلحاد الذي يصل إلى حد الجنون، والمثال الذي سأذكره يدل على كل هذا.

> يقول أدونيس «إبليس»: لا أختار الله.. ولا الشيطان.. كلاهما جدار

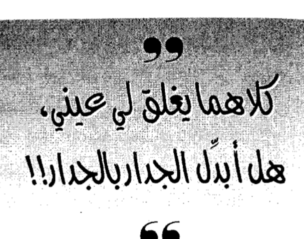
للأديب المشهور قصة بعنوان (الشهيد).. أتدري أيها القارئ من هو الشهيد؟!... اسمع لقصته... وسبح بحمد ربك الحليم على ظلم العباد، «أراد (...) أن يتوب، فذهب إلى شيخ الأزهر، وطلب منه أن يساعده على التوبة، فسخر منه شيخ الأزهر وقال له: إن بقاءك على الكفر ضروري لبقاء الإسلام... لكن (....) لم يستسلم لرفض شيخ الأزهر، فصعد إلى السماء وطلب من جبريل التوسط عند ربه لقبول توبته، فرده جبريل بجواب آخر وحجج أخرى، فحواها أن بقاءك على الكفر لا بد منه؛ لأنه لا معنى للفضيلة بغير وجود الرذيلة، ولا للأبيض بغير الأسود، ولا للنور بغير الظلام بل ولا للخير بغير الشر... فهنا ضجر (....) وقال: هل تظل النقمة لاحقة بي، واللعنة لاصقة باسمي على الرغم مما يسكن قلبي من حسن النية ونبيل الطوية؟ فأجيب: نعم يجب أن تظل هكذا إلى آخر الزمان».

أرأيت أيها القارئ مَنْ هو حَسَن النية ونبيل الطوية و(الشهيد) في رأي (الحكيم)؟! ... إنه (إبليس)، نعم إبليس، فهو يراه مظلومًا (فمن ظلمه؟) وقد سُدت أبواب التوبة في وجهه مع رغبته فيها، ولهذا اعتبره شهيدًا!

يختم توفيق ـ لا وفقه الله ـ روايته بعبارة قال فيها يصف حال إبليس بعد أن أغلق باب التوبة في وجهه: «بكى إبليس.... وترك السماء مذعنًا، وهبط إلى الأرض مستسلمًا، ولكن زفرة انطلقت من صدره وهو يخترق الفضاء، رددت صداها النجوم والأجرام في عين الوقت... كأنها اجتمعت كلها لتلفظ تلك الصرخة الدامية... إني شهيد ... إني شهيد»!

إن هذا الكفر المنشور على الناس، لم يجد سطرًا يجرمه في الشريعة الإنجلو فرنسية التي تطبق قسرًا في بلاد المسلمين، فإلى الله المشتكى! وعلى خطا توفيق الضالة، سار كاتب آخر هو (صادق جلال العظم)، حيث اعتبر في مقالة نشرت بمجلة (حوار) اللبنانية [العدد الثاني - السنة الرابعة] أن إبليس أول الموحدين!! لماذا؟؟ لأنه ـ كما قال ـ أبى أن يسجد لغير الله!! فعندما أمره الله أن يسجد لآدم رفض هذا الشرك (الذي وقعت فيه الملائكة طبعًا ـ حسب زعمه).

إن هؤلاء لا يؤمنون بأية قيمة أو مبدأ.. وحتى إبليس الذي يدافعون عنه، هم لايؤمنون بوجوده! يقول صادق العظم هذا: «لا أريد أن أتكلم عن إبليس باعتباره كائنًا موجودًا حقيقيًا،



وإنما أريد دراسة شخصيته باعتبارها شخصية خيالية أبدعتها مكة الإنسان الخرافية»!

لا شك أن هذا الفكر المتعفن ، قد ترسب في مستنقع آسن يصلح لأن تتربى فيه أشكال وأنواع من الكائنات أوالكوائن الصارخة في شذوذها وانحرافها، وبالفعل فقد تخرجت أجيال تلو أجيال على تلك الشاكلة، لا تحسن إلا الإساءة، الإساءة إلى الحق وإلى الحقيقة.. إلى العقيدة وإلى الشريعة ولئن كان أمثال طه ونجيب والحكيم قد حاولوا التستر خلف معان باطنية ماكرة ـ وإن كانت مفضوحة ـ فإن الأجيال التي تسلمت رايات الضلالة بعدهم، تبجحت بظاهرية كفرية وقحة، لا تستحيي من سب الإله علانية وعلى الملأ المسموع والمقروء والمشاهد.

وسنضرب أمثلة من أقوالهم، تدل على أن أمواج الفتن التي يركبون متونها؛ لا تزال تضرب بعنف مجنون صخرة العقيدة والإيمان في أكثر بلاد المسلمين، عربًا وعجمًا، فلنستعرض نماذج منهم في البلاد المختلفة:

*** من سوريا: ومثل السوء المضروب من هناك (أدونيس).. أو (علي أحمد سعيد) سابقًا، لذك القزم المتعملق.. ماذا كان وأين أصبح؟ كان على النحلة النصيرية المارقة، ثم تاب إلى إبليس منها، والتحق بالشيوعية، وتسمى بأحد أصنام القنيقيين (أدونيس) وانضم في مقتبل عمره إلى الحزب القومي السوري وتأثر برئيس الحزب النصراني (أنطوان سعادة) ثم مال إلى اليهودية بعد عمالة طويلة للماسونية... ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾... ومع كل هذا تتسابق الصحافة ودور النشر ووسائل الإعلام في عرض كفرياته التي يتفاخر بها على الشيطان. إن دينه الآن: الإلحاد المطلق! نقول: هو حر في اختيار ما يشاء من أودية الهلاك، ولكن الأمر المستغرب والسؤال المحير هو: لماذا الإصرار على رفع كل وضيع، وتشريف كل رقيع في الصحافة والإعلام، في أكثر بلاد المسلمين؟!**

البيان

يقول (أدونيس) في ديوان له صدر عام ١٩٦١م: «لا الله أختار.. ولا الشيطان .. كلاهما جدار، كلاهما يغلق لي عيني، هل أبدِّل الجدار بالجدار»! ـ تعالى ـ الله عما يقول هذا الظالم علوًا كبيرًا.. ويقول في كتابه (زمن الشعر) ص ١٥٦: «من أعقد مشاكلنا مشكلة (الله) وما يتصل



بها مباشرة في الطبيعة وما بعدها» ويقول في ديوان: (أغاني مهيار) ص ٤٩ «اعبر اعبر.. فوق الله والشيطان»! أما كتابه (مقدمة للشعر العربي) فيقول فيه في ص ١٣١: «الله في التصور الإسلامي التقليدي نقطة ثابتة متعالية، منفصلة عن الإنسان، لكن التصوف ـ على مذهب الحلاج طبعًا ـ ذوَّب ثبات الألوهية.. أزال الحاجز بينه وبين الإنسان، وبهذا المعنى قتله ـ أي الله ـ وأعطى للإنسان طاقاته»! ويقول ذلك الصنم في مجموعته الشعرية (١٥٠/٣): «يا أرضننا يا زوجة الإله والطغاة».. ويقول فيها (٢١٧/٣ ـ ٢١٨): «الله يحل في كل شيء! خلق الضد ليدل على المضدود، حل في آدم وفي إبليس»!! ويقول فيها (١٢١/١): «أشعلنا الشمع وصلينا... وتمنينا.. فرأينا الله بلا ميعاد»! ويقول في تلك المجموعة أيضًا (٣٠٤/١): نمضي ولا نصغي لذاك الإله، تقنا إلى رب جديد سواه»!!! سبحان الحليم الصبور، على كل شيطان كفور.

* ومن العراق: الشاعر العراقي الشهير (عبد الوهاب البياتي)... يقول في ديوانه (كلمات لا تموت) ص ٥٢٦: «الله في مدينتي يبيعه اليهود... الله في مدينتي مشرد طريد» ويقول: «في الأصقاع الوثنية، حيث الموسيقى والثورة والحب وحيث الله.... فسيبقى صوتي قنديلاً في باب الله».

* ومن اليمن: يقول شاعرها، الشهير أيضًا (عبد العزيز المقالح) في قصيدة له نشرتها مجلة العربي الكويتية: «صار الله رمادًا، حتمًا رعبًا في كف الجلادين، حقلاً ينبت سبحات وعمائم، بين الرب الأغنية والرب القادم من هوليود».

* ومن فلسطين: نسمع من هذه البلاد المبتلاة عن رجال ونساء جعلوا من سب الإله مادة أدبية تغذي روح «الكفاح» وتدفع إلى «المقاومة».. مقاومة من؟ اليهود؟!... أُشهد الله أنهم أكفر من اليهود يقول محمد درويش في قصيدته (الموت في الغابة):

نامي فعين الله نائمة — عنا وأسراب الشحارير

ويقول: معين أو (لعين) بسيسو في قصيدته (إلى سائحة):

«وآخر ديك قد صاح ذبحناه ... لم يبق سوى الله.. يعدو كغزال أخضر تتبعه كل كلاب الصيد ... ويتبعه الكذب على فرس شهباء سنطارده.. سنصيد له الله»!! ويقول في قصيدة (عيون مليكة المراكشية): «والله كان يلعب الشطرنج كل ليلة مع الملائكة»!! سبحان القدوس... سبحان القدوس ـ سبحانك ـ لا تؤآخذنا بما فعل السفهاء منا.



واستمع أيهـا القارئ للشاعرة الفلسطينيـة (فدوى طوقان) في قصيـدتها (مرثاة إلى نمر) تقول:

«وأنت يا من قيل عنه إنه هناك حانٍ لطيـف بالعبـــاد...
أين أنت لا أراك... دعني أراك.. كيٍ أقول إنه هناك»

أما (سميح قاسم) فيقول: في قصيدته (أبطال الرواية):

«والله نحن نشاؤه بغرورنا شيئًا له قسماتنا الشوهاء ترسمه أنانياتنا»!

* أما في مـصر ، فحدث ولا حـرج، فلقد ورَّث (جيل الرواد) فيـها أولادًا وأحفادًا، ولا ندري عن أيهم نتحدث، هل نتحدث عن الهالك (فرج فودة) الذي هاجم في كتاباته الإسلام صراحة وقال إنه يصلح عقيدة في القلب ولا يصلح نظامًا للحيـاة؟ أم نتحدث عن المرتد بحكم القانون فضلاً عن الشـريعة (نصر أبو زيد) الذي اعتـبر القرآن نصًا بشريًـا لا قدسية له، والذي صرح بقـناعته بأن العقيدة مؤسسة على الأساطير الشـائعة، وأن الشريعة صاغت نفسها مع حركة التاريخ، والذي نادى بتحويل (الإلـهيات) إلى إنسانيات، نصرٌ هذا الذي يتبـاكى عليه أمثـاله من الحاقدين على الإســلام قال في كتـابه (نقد الخطاب الديني): «ما زال الخطاب الديني يتـمسك بوجود القرآن في الـلوح المحفوظ، اعتـمادًا على فهم حـرفي للنص، وما زال يتـمسك بصورة الإله الملك بعـرشه وكرسيه وصولجانه ومملكته وجنوده الملائكة، وما زال يتمسك بالدرجة ذاتها من الحـرفيـة عن الشـياطين والجن والسـجـلات التي تدون فـيهـا الأعمـال، والأخطر من ذلك تمسكه بصور العقاب والثواب وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط.. إلى آخر ذلك كله من تصورات أسطورية»!!

فماذا أبقى الأستاذ الجـامعي للدين، وهو الذي أمضى سنوات عديدة يدرس للأجيال... حتى اكتشف أمره.. فجأة!

هل نتـحـدث بعـد ذلك عن (حـسن حنفي) الذي يـنكر وجـود الجنة والنار ووجود إبلـيس، والذي يقول في كـتابه (من العـقيدة إلى الثـورة): إن الله هو الإنسان الكامل!!

أم نتحـدث عن شيخ الضلالة (خلـيل عبد الكريم) صــاحب كتاب (شـدو الربابة في أحوال الصــحابة) الذي أطلق فـيه لســانًا سليطًا وفــاجرًا على شــخص النبي ﷺ وأصحــابه الكرام،



واصفًا إياهم بكل معيبة ومنقصة، إنه أراد ـ حسب زعمه ـ أن يكشف حقيقتهم أمام الناس، فألف ونشر ووزع ما تقيأه في كتبه المطبوعة، لقد صور الصحابة على أنهم كانوا يمثلون مجتمعًا متحللاً مشغولاً بالرذائل والهوس الجنسي! قال: وبئس ما قال: «ولم تكن التجاوزات مقصورة على مشاهير الصحابة ممن ذكرنا بعضهم على سبيل المثال، بل تعدتهم إلى صحابيات معروفات» ويتحدث هذا الأفاك عن النبي ﷺ بكل فظاظة وقلة أدب، فلا يذكره إلا باسمه المجرد (محمد)!، يقول في كتابه السيئ (مجتمع يثرب) ص ٥٤: «ونظرًا لأن التقاء الذكر بالأنثى والأنثى بالذكر طقس يومي من الطقوس الاجتماعية المعتادة في مجتمع يثرب، فقد اضطر محمد دفعًا للحرج أن يبيح لهم أن يسيروا في المسجد وهم جنب»!! والذي يظهر لنا أن الباطنية الرافضية، تتحالف الآن مع أمثال خليل عبد الكريم لبناء برج جديد للشيطان في مصر، يهدم الإسلام من خلال هدم رموزه وأعلامه، وعلى رأسهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، فإذا كانت هذه أحوال من صحبوا رسول الله ﷺ وعاينوا المعجزات وعاصروا الوحي، فأي خير يبقى في هذه الأمة!! ويدل على ذلك أيضًا أن شخصًا آخر من خطباء الفتنة يدعى: (حسن شحاتة) احترف سب كبار الصحابة من فوق المنبر، ووصف في إحدى أشرطته المتداولة في مصر: أخيرًا...

عثمان ـ رضي الله عنه ـ بأنه (بواب..) وقال عن عمر (قواد) واتهم عائشة في عرضها كل هذا بألفاظ بذيئة سوقية لا بد لنا ـ بعد استعراض ما ذكر ـ من وقفات :

أولاً: هذا الكم المزعج والمقزز من النقولات الكفرية، إنما هو للرموز البارزة جدًا، وإلا فإن استقصاء ما يبث وما ينشر لـ (الأجيال الصاعدة) التي تتلمذت على أيدي هؤلاء، لا يمكن حصرها.

ثانيًا: هذه الألفاظ المنقولة لهؤلاء، لا تعني بالضرورة أن كل إنتاجهم الفكري يحوي مثل هذه الجرأة والصراحة في الكفر.. ولكن يبقى أنها تشير بوضوح إلى الخلفية العقدية والسلوكية التي يكتبون بوحي منها.

ثالثًا: قد يقول قائل: إن هذه الفئة من الأدباء والشعراء والروائيين والمفكرين، لا تخاطب إلا فئة محدودة من الناس، وتأثيرهم بالتالي سيكون محدودًا.. أقول: إن هذه الشريحة التي يخاطبها هؤلاء، أكبر مما نتصور، فقصائد الشعر، قد ترددها الملايين في شكل أغنية بعد تلحينها، ورواية الأدب، قد تشاهدها الجماهير في مسرحية بعد تمثيلها... وقصة الكاتب قد تتعايش معها الجموع الغفيرة أمام الشاشات في شكل أفلام بعد إخراجها... ثم إن كثيرًا

من هؤلاء المفسدين يتربعون على قمم الأهرامات الإعلامية، ويتتبع الناس كلماتهم وأعمدتهم في الدوريات التي تقذف المطابع بالملايين منها يوميًا وأسبوعيًا وشهريًا.

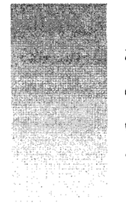
رابعًا: لا نظن أن الظواهر الشاذة جدًا في المجتمعات الإسلامية مثل ظاهرة الغلو في التكفير، أو ظاهرة الغلو في الكفر التي تفتك بالشباب، لا نظنها إلا نتيجة مباشرة لاستمرار ذاك التيار الفاسد، فالذين يغالون في التكفير، قد أصابهم هؤلاء بصدمة أفقدتهم الصواب، حتى لم يصدقوا أن مجتمعًا ينشر فيه مثل هذا الكفر. يمكن أن يكون مسلمًا

وكذلك فإن ظواهر الغلو في الكفر من الشباب، كظاهرة (عبدة الشيطان) التي برزت في مصر ولبنان مؤخرًا، ليست إلا تعبيرًا عن التمرد العملي المطلق في موازاة ومحاذاة التمرد الفكري المطلق.

خامسًا: إذا كان هذا التيار الإلحادي لا يزال مستمرًا حتى بعد سقوط الشيوعية والماركسية فإن مسؤولية المواجهة لا بد أن تستمر وتتضاعف، ولكن على عاتق من؟

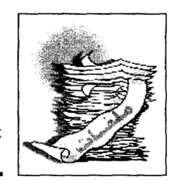
إنها بطبيعة الحال موزعة ومتنوعة، ولكنها تتركز بشكل خاص على من استرعاهم الله أمور المسلمين، فعليهم تقع بالأساس المسؤولية أمام الله ـ تعالى ـ وأمام الناس.

وأخيرًا:



همسة حارة وصادقة في أذن الذين نذروا أنفسهم لتعقب سقطات الدعاة وطلاب العلم.. أقول لهم.. أما يستحق أعداء عقيدتنا وعقيدتكم هؤلاء، أن تفرغوا لهم جزءًا من أوقاتكم الثمينة لكشفهم والتحذير منهم، أم لا زلتم مصرِّين على أن خطر بعض الدعاة على الإسلام أشد من هؤلاء الأعداء، وأشد من خطر اليهود والنصارى؟!

نسأل الله أن يبرم لهذه الأمة أمرًا رشيدًا يعز فيه أهل الإيمان، ويذل فيه أهل الكفر والعصيان.



القوانين الوضعية هل لها دور في انتشار الردة؟

بقلم: د. علي مقبول

تمهيد:

يُعـرَّف القانون الجنائي الـوضعي بأنه: «مـجمـوعـة القواعـد التي تنظم سلطة الدولة في توقيع العـقاب على المجرمين، وهو يشمل قـانون العقوبات وقانون أصـول المحاكمات الجـزائية أو قانون الإجـراءات الجنائية، ولكل من هذين تقنينٌ مستقل»(١).

والقانون الجنائي الإسلامـي كان ولا يزال يتعرض لهجـوم شديد من قِبَل أعـداء الإسـلام؛ لأنه ـ وللأسف الشـديد ـ لا يُدْرَس ولا يطبق منه في البـلاد الإسلامـية إلا الجزء الخـاص بالأحوال الشخصـية، وما عـدا ذلك فهو مـهمل إهمالاً يـكاد يكون تامًا. وقـد أدى هذا الإهمال إلى نتـيجة لا بد منـها وهي أن المجتمـعات الإسلامية أصبـحت تجهل أحكام هذا القسم جهلاً فـاضحًا؛ بدليل أننا لم نسمع أنه قد أقيم حد الردة، أو الرجم، أو نحو ذلك في هذه البلدان.

وكذلك رأينا كيف تعرض القانون الجنائي الإسلامـي للتغيير، وكانت بدايةُ ذلك على أيدي حكام الدولة التركية، فكان القانون الجنائي التركي أول قانون اقتُبس من القوانين الفرنسية.

(١) انظر د. عمر الأشقر، الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية، دار النفائس، ط٣، ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م ، ص ٧٨.



ثم بعد ذلك صـدر قانون العقـوبات المصري في مـصر سنة ١٨٧٥م، وطبق في المحاكم المختلطة ثم المحاكم الأهلية سنة ١٨٨٣م، وقد استمده واضعوه من القانون الفرنسي.

وقد استحدث القانون الجنائي المصري عـقوبات وإجراءات للتحقيق غريبة عن البـلاد، وأدى تطبيـقـه إلى شيء من الاضطراب، وازدادت الجـرائم عـقب تطبيقه زيادة لفتت الأنظار.

وقد لاحق رجـال القانونِ قانونَ العـقوبات بالتعديـل والتبديل، ولكن لم يُجْـدِ ذلك شيئًا فـقد استمر تكاثر الجريمة وانتشارها؛ ففي سنة ١٩٠٤م، صدر تقنين جديد لقانون العقوبات، ولقانون تحقـيق الجنايات، وقد أخذه واضـعوه من القـانون الفرنسـي والإيطالي والبلجـيكي والإنجليزي والهندي والسـوداني، وغُيِّرَ هذا القـانون في سنة ١٩٣٧م، ولم يفد كل هذا، ولـو أنصف القوم لأقاموا شريعة الله ـ تعالى ـ وعند ذلك سيرون كيف يعالج الجريمة ويقضي عليها[1].

وبعد هذا التمهيد لنا أن نتساءل: ما هو حكم المرتد في القوانين الوضعية؟

جرت القوانين الوضعية ـ مجتمعة ـ على إغفال النص على عقوبة المرتد؛ والسبب في إغفال ذلك من وجهة نظري ما يلي:

أولاً: الأخذ بمبدأ حرية العقيدة.

ثانيًا: الأخـذ بمبدأ القـاعدة القانونـية المشهـورة: (لا جريمة ولا عقـوبة إلا بنص في القانون).

ثالثًـا: التوقـيع على مبـادئ الإعلان العـالمي لحقـوق الإنسان (مواثيق الأمم المـتحدة المتـعلقة بحقوق الإنسان).

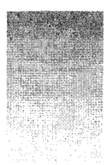
رابعًا: موقف واضعي القـوانين الوضعية من الدين.

وسوف أتناول دراسة هذه الأسباب بشيء من الإيجاز، ثم أبـين موقف الشريعـة الإسلامـية من ذلك.



(١) د. عبد المنعم فرج الصدة، أصول القانون، دار النهضة العربية، مصر، طبعة ١٩٧٨م، ص ٥٧.

أولاً: مبدأ حرية العقيدة والديانة:



يقصد بمبدأ حرية العقيدة والديانة: حرية الفرد في أن يعتنق الدين أو المبدأ الذي يريده، وحريته في أن يمارس شعائر ذلك الدين سواء في الخفاء أو العلانية، وحريته في أن لا يعتقد في أي دين، وحريته في أن لا يُفرض عليه دين معين، أو أن يُجبر على مباشرة المظاهر الخارجية أو الاشتراك في الطقوس المختلفة للدين، وحريته في تغيير دينه أو عقيدته، كل ذلك في حدود النظام والآداب[1].

وقد تناول دستور مصر الصادر سنة ١٩٢٣م هذه الحرية ـ كغيره من الدساتير ـ، فنصت المادة (١٢) على أن «حرية الاعتقاد مطلقة» كما نصت المادة (١٣) على أن: «تحمي الدولة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقًا للعادات المرعية في الديار المصرية، على أن لا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الآداب[2].

ومما سبق يتضح لنا: أن مجلس الدولة المصري حرص على حماية حرية العقيدة، إلا أنه قرن ذلك بضرورة خضوعها للعادات المرعية، وأن تجد حدها في عدم الإخلال بالنظام العام أو منافاة حرمة الآداب؛ دون إشارة إلى عقائد الإسلام بوجه خاص.

البيان

وقد أوضحت لنا محكمة القضاء الإداري (المصري) أن حرية العقيدة وإن كفلها الدستور وفرض على الدولة توفير حمايتها لكل فرد، إلا أنها ليست مطلقة من كل قيد، بل يجب أن تخضع للعادات المرعية، وأن تجد حدها عند عدم الإخلال بالنظام العام أو منافاة حرمة الآداب، فلا يسرف فيها إلى حد المغالاة والتطرف، ولا يتخذ منها وسيلة للطعن في عقيدة أخرى، بما يثير النفوس ويُحفظ الصدور، ولا يُتذرع بها للخروج على المألوف من الأسس الدنيوية والأوضاع الشرعية القائمة، ولا تُستغل بها عواطف البسطاء من الناس باسم الدين لبلبلة أفكارهم وزعزعة عقائدهم[3]. ولكن التطبيق العملي لذلك المبدأ القانوني فتح أبوابًا من الفوضى العقائدية...

---

(١) انظر د. عمر الأشقر، المرجع السابق، ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) انظر د. فاروق عبد البر، دور مجلس الدولة المصري في حماية الحقوق والحريات العامة، ط ١٩٨٨، ص ٢٦١.

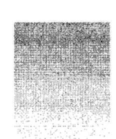
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦١.

ثانيًا: عدم وجود نص على عقوبة المرتد (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص).

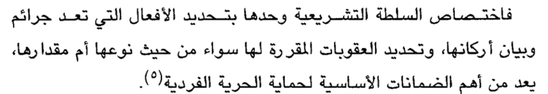
استُمدت معظم الدساتير العربية من الدستور المصري، ولهذا أكدت جميع تلك الدساتير على مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات[1] ومبدأ قضائية العقوبة كضمان للحريات الفردية من تعسف السلطة أو تجاوزاتها، ومن ذلك ما نصت عليه المادة (٦٦) من الدستور المصري على أن[2]: «العقوبة شخصية، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناءً على قانون، ولا توقع عقوبة إلا بحكم قضائي، ولا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لتاريخ نفاذ القانون»[3].

فالدساتير العربية قد نصت على هذا المبدأ، وقد أكد هذا المبدأ ـ أيضًا ـ التشريعات العقابية العربية، ومن بينها على سبيل المثال: قانون العقوبات الاتحادي رقم (٣) لسنة ١٩٧٨م لدولة الإمارات العربية المتحدة المادة (١، ٤)، قانون الجزاء الكويتي المادة (١)، قانون عقوبات قطر المادة (٢). وكلها تؤكد على أن العقاب على الجنايات والجنح والمخالفات وفق القانون المعمول به وقت ارتكابها. ويعد مبدأ الشرعية الجنائية دستور قانون العقوبات، ويقصد به: التغيير عن القاعدة الجنائية الشهيرة القائلة بأنه: «لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص في القانون»[4].

البيان



والهدف من هذه القاعدة: هو حماية الفرد من خطر التجريم والعقاب بغير الأداة التشريعية وهو القانون.



فاختصاص السلطة التشريعية وحدها بتحديد الأفعال التي تعد جرائم وبيان أركانها، وتحديد العقوبات المقررة لها سواء من حيث نوعها أم مقدارها، يعد من أهم الضمانات الأساسية لحماية الحرية الفردية[5].

---

(١) د. فاروق عبد البر، المرجع السابق، ص ٢٦٢.

(٢) انظر على سبيل المثال: الدستور المصري المادة (٦٦)، ودستور دولة الإمارات العربية المتحدة لعام ١٩٧١م المادة (٢٧)، ودستور الكويت المادة (٢٣)، الدستور السوري المادة (١٠)، الدستور اللبناني المادة (٨)، الدستور العراقي المادة (٢٠).

(٣) نص على هذا المبدأ في المادة (٦) من الدستور المصري لعام ١٩٢٣، والمادة (٢٣) من دستور سنة ١٩٥٦م، والمادة الثامنة من دستور ١٩٥٨م، والمادة (٢٥) من دستور ١٩٦٤م.

(٤) د. أحمد شوقي أبو خطوة، المساواة في القانون الجنائي، دراسة مقارنة، الناشر، دار النهضة العربية، ١٩٩١م، ص ٥٤، وما بعدها.

(٥) هذه القاعدة ترجمة للتعبير اللاتيني: Nullum Crimeha, nulla Poena Sinelege.

وخلاصة القول: أن مبدأ الشرعية يلزم المحاكم بأن لا تحاكم أي إنسان إلا بموجب القواعد المفروضة على جميع المتقاضين هذا أولاً. وثانيًا: يحظر قانون العقوبات القياس خشية امتداد النص الجنائي إلى أفعال لم يحرمها المشرع ولم يقرر لها عقابًا؛ فالقياس يفتح الباب على مصراعيه لتحكم القضاة في أحكامهم مما يؤدي إلى إهدار وانتهاك مساواة المواطنين أمام القانون الجنائي[1].

> لا عقوبة قانونية لمن خرج عن دينه.. وأشد العقوبة لمن خرج على القانون!

ثالثًا: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[2]:

أكد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨م على المساواة القانونية بصفة عامة، فنص في مادته الأولى على أنه: «يولد جميع الناس أحرارًا ومتساوين في الكرامة والحقوق، وهم قد وهبوا عقلاً وضميرًا وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضًا بروح الإخاء».

ويدين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التمييز بجميع أشكاله في التمتع بجميع الحقوق والحريات، وذلك فيما سطره في المادة الثانية من أنه: «لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع. ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسيًا أو غير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر...».

البيان

وكذلك نصت الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان[3] صراحة على حظر جميع أنواع التمييز بين الأفراد، حيث ذكرت المادة (١٤) من هذه الاتفاقية على أنه: «يكفل التمتع بالحقوق

---

(١) انظر: د. مأمون سلامة، قانون العقوبات، القسم العام، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م، ص ٢٤.

(٢) د. أحمد شوقي أبو خطوة، المرجع السابق، ص ٥٧ ــ ٥٨.

(٣) صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر، ١٩٤٨م. (انظر: حقوق الإنسان، مج١، الوثائق العالمية والإقليمية، إعداد: د. محمود شريف بسيوني، د. محمد السعيد الدقاق، د. عبد العظيم وزير، دار العلم للملايين، ط١، ص ١٧)، وراجع : د. علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١١، ص ٩٩٥، وراجع: المادة (٢) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.



والحريات المقررة في هذه المعاهدة دون تمييز أيًا كان أساسه: كالجنس أو العرق أو اللون أو اللغة أو العقيدة أو الرأي السياسي أو غيره أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الانتماء إلى أقلية قومية، أو الثروة، أو الميلاد، أو أي وضع آخر».

وقد يقول قائل: وما دخل هذه الاتفاقيات وحكم المرتد، خاصة وأن هذه الاتفاقات ليس لها قوة ملزمة بالنسبة للدول؟ فمن غير المقبول أن يكون لسلطة الجمعية العامة للأمم المتحدة فرض قواعد ملزمة على دول الأعضاء؛ لذا فإن هذه الإعلانات تأخذ في حقيقة الأمر شكل التوصيات؛ أي أنها إعلانات نوايا مجردة تمامًا من كل قيمة قانونية إلزامية[1].

البيان

والجواب:

أولاً: أن هناك من رجال القانون العام العرب[2] من يرى أن للقواعد التي تتضمنها إعلانات الحقوق قيمة قانونية تعادل القيمة القانونية للنصوص الدستورية؛ ومن ثم فإن قوتها تعلو القوانين العادية وتكون واجبة الاحترام من السلطة التشريعية.

ثانيًا: أن الدول الإسلامية ـ وللأسف الشديد مع ضعفها سياسيًا ـ تحسب لهذه القضايا ألف حساب؛ حيث أنها تراعي الديمقراطية الغربية والنمط الغربي، وتخاف من الضغوط الغربية عليها؛ ولذلك نسمع ونشاهد أنه عندما يحكم على أحد المجرمين بالإعدام في البلدان الإسلامية فإن الدنيا تقوم ولا تقعد، وقد يباد شعب من المسلمين بأكمله ولا يتحرك هذا الضمير الغربي المدافع عن حقوق الإنسان؛ والواقع المعاصر أكبر شاهد على ما نقول!

ثالثًا: تختلف القوانين الوضعية عن الشريعة الإسلامية في أنها لا تعاقب على تغيير الدين بالذات، ولكنها تأخذ بنظرية الشريعة وتطبقها على من يخرج على النظام الذي تقوم عليه الجماعة؛ فالدولة الشيوعية تعاقب من رعاياها من يترك المذهب الشيوعي وينادي بالديمقراطية أو الفاشية، والدولة الفاشية تعاقب من يخرج على الفاشية وينادى بالشيوعية أو الديمقراطية، والدول الديمقراطية تحارب الشيوعية والفاشية وتعتبرها جريمة؛ فالخروج على المذهب الذي يقوم عليه النظام الاجتماعي في دائرة القانون يقابل الخروج على الدين الإسلامي الذي يقوم عليه نظام الجماعة في الشريعة الإسلامية.

---

(١) راجع: حقوق الإنسان، مج١، الوثائق العالمية والإقليمية، المراجع السابقة، ص ٣٢٧.

(٢) راجع: د. عبد العزيز محمد سرحان، الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م، ص ٢٧.

والخلاف بين الشريعة والقوانين في هذه المسألة خلاف في تطبيق المبدأ وليس خلافًا على ذات المبدأ؛ فالشريعة الإسلامية تجعل الإسلام أساس النظام الاجتماعي، فكان من الطبيعي أن تعاقب على الردة لتحمي النظام الاجتماعي.

والقوانين الوضعية لا تجعل الدين أساسًا للنظام الاجتماعي، وإنما تجعل أساسه أحد المذاهب الاجتماعية. فكان من الطبيعي أن لا تحرم تغيير الدين وأن تهتم بتحريم كل مذهب اجتماعي مخالف للمذهب الذي أسس عليه نظام الجماعة[1].

ومما سبق يتبين لنا: أن القوانين الوضعية أغفلت النص على عقوبة المرتد، ولم يكن هذا الموضوع ليشغل بال واضعي القانون؛ وذلك لأن رجال القانون يعتبرون حد الردة وحشية وهمجية ولا يتناسب مع القرن العشرين الذي نعيش فيه!

وإن تعجب فعجبٌ أنَّ رجال القانون قد وضعوا عقوبة شديدة جدًا قد تصل إلى حد الإعدام لما يسمونه بالخيانة العظمى ـ على ما سيأتي تفصيله ـ وهي تتمثل في إفشاء أسرار الدولة الخارجية والداخلية، أو التعرض لشخص رئيس الدولة، ومن خلال النصوص التي ذكروها يتضح جليًا أن خيانة الدين والردة عنه مسألة فيها نظر؛ أما خيانة الوطن فهي مسألة ذات خطر؛ ولعلِّي ـ عزيزي القارئ ـ أبين لك بعض النصوص القانونية التي توضح ذلك.

تعريف الخيانة العظمى: يطلق رجال القانون اصطلاح الخيانة على عدد من الاعتداءات الخطيرة الواقعة على أمن الدولة الخارجي، وهي جميعها جنائية الوصف، وتنم عن فصم روابط الولاء الذي يشعر به المواطن نحو وطنه وأمته ودولته، وعن استهدافه في خدمة الدولة الأجنبية وتعهده مصالحها على حساب مصلحة دولته التي ينتمي إليها[2].

إذن فيعتبر خيانة عظمى: كل جريمة تمس سلامة الدولة أو أمنها الخارجي أو الداخلي أو نظام الحكم الجمهوري.

عقوبة الخيانة العظمى: يكون معاقبًا عليها في القوانين بعقوبات الإعدام، أوالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة، أو الاعتقال المؤبد أو المؤقت[3].

---

(١) من أهل هذا الرأي في النظام المصري: د. مصطفى أبو زيد، الدستور المصري ورقابة دستورية القوانين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ١٩٨، وغيره كثير.

(٢) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مقارنًا بالقانون الوضعي، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م، ج١/٥٣٦ فقرة (٣٧٧).

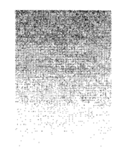
(٣) انظر: د. محمد الفاضل، الجرائم الواقعة على أمن الدولة، ج١، الطبعة والناشر بدون، ج١/١٤٧.

مع العلم أن مخالفة الأحكام الأساسية التي يقوم عليها الدستور لا تنضوي تحت مدلول «الخيانة العظمى» وإنما جعل المشرع الوضعي هذه المخالفة (مخالفة الخيانة العظمى) جريمة مستقلة وعاقب عليها بعقوبة خاصة(٢).

وكما تلاحظ فإن المشرِّع الوضعي أورد نصًا خاصًا ومستقلاً لجريمة الخيانة العظمى لخطورة هذه المسألة في نظره(٣) مع أنه لم يورد نصًا خاصًا أو عامًا عن أحكام الردة؛ لأن هذه مسألة تدخل في نطاق الحرية العقدية والدينية. فإلى الله المشتكى من هوان الدين على أبنائه.

وأذكر من باب الفائدة أن بعض القوانين الوضعية تفرق بين الخيانة العظمى وخيانة الوطن، أما الأولى: فتشمل أكثر الجرائم المخلة بأمن الدولة الداخلي كالجنايات الواقعة على الدستور وغيرها، وأما الثانية: أي خيانة الوطن فتقع على أمن الدولة الخارجي، وهي إما أن تكون خيانة عسكرية وتتناول جميع أنواع الخدمات التي يقدمها الفاعل إلى العدو في خلال الحرب، كما تتناول شتى ألوان الدسائس التي يستعملها لدن دولة أجنبية لدفعها إلى مباشرة الاعتداء على الوطن أو لتوفير الوسائل اللازمة لذلك. وإما أن تكون خيانة سياسية أو دبلوماسية وتتناول جميع الأفعال التي تؤول إلى إفشاء أسرار الدولة أو الإضرار بمركزها السياسي. وقد تقع أفعال الخيانة السياسية زمن السلم وزمن الحرب على السواء. ويُجمع شراح الأنظمة، في هذه الحال، على صعوبة التفريق بين أفعال هذه الخيانة وأفعال التجسس(٤).

البيان



وفي نهاية المطاف وقبل أن أبين موقف الشريعة الإسلامية من هذا الموضوع الخطير أرد على شبهتين أساسيتين هما:

أ ـ أن عقوبة المرتد تَدَخُّل في حرية العقيدة ومُصَادَرَةٌ لها، وإكراه على تبديل الدين، وإجبار الإنسان على اعتناق ما لا يريده ولا يرغب فيه.

وهذه الشبهة مردودة؛ لأنها تنطلق من الجهل بطبيعة هذه العقوبة، والجهل بمعنى الردة، ومعنى الإكراه على اعتناق العقيدة.

---

(٢) انظر على سبيل المثال: المادة (٥) من قانون محاكمة الوزراء السوري الصادر في ١٩٥٨/٦/٢٢م، والمواد (٧٧ ــ ٨٥) من قانون العقوبات المصري المتعلق بالخيانة العظمى.

(٣) د. محمد الفاضل، المرجع السابق، ج١/١٤٨.

(٤) راجع قانون العقوبات المصري حيث وردت نصوص بشأن الخيانة العظمى، وهي من المواد (٧٧ ــ ٨٥) .وراجع : جرائم أمن الدولة وعقوبتها في الفقه الإسلامي، د. يوسف عبد الهادي الشال، المختار الإسلامي، ط١، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

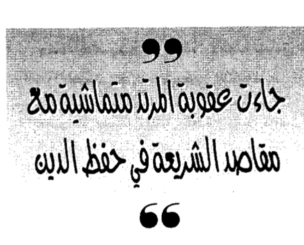
(١)١ د. محمد الفاضل، المراجع السابقة، ج١/ ١٥٠.

وبيـان ذلك: أن الردة ـ كـما هــو معـروف ـ رجـوع عن الإســلام، والمرتد هو الراجع عن الإسلام. فنحن إذن إزاء مسلم ارتكب جريمة معينة هي الردة، ولسنا أمام يهودي أو نصراني نريد أن نكرهه على تبديل دينه وحــمله على اعتناق الإسلام. ومبدأ أن لا إكـراه في الدين مبدأ مقـرر في الشـريعة الإسـلاميـة بنص القرآن ولا يجـوز المساس به، بدليل واضح بسـيط أن الإسلام شَرَعَ الجزية وعقد الذمة؛ وهذا يعني إبقاء غير المسلم على دينه وتركه وما يدين به.

فلو كان الإكراه على تبديل الدين واعتناق الإسلام بالجبر والإكراه مشروعًا لما شَرَعَ الإسلام عقد الذمة.

ولكن قــد يقـال: فلمـــاذا، إذن، نعـاقب المـرتد؟ ألا يعني هذا إكـــراهه على الاستمرار على دين الإسلام وقد أصبح لا يرضاه؟!

والجواب: أن المسلم بإسلامه التـزم أحكام الإسلام وعقيدته، والإخـلال بالالتزام لا يجوز، ويعاقب المخل بالتـزامه بالعقـوبة المناسبـة، فعقوبة المـرتد إذن وجبت لإخلال المسلم بالتـزامه. وبالإضافة إلــى هذا الإخلال فإن المرتد بردته يرتكب جملة جـرائم أخرى، وهذه الجرائم نتـيجة حتمـية لردته، وبيان هذه المسألة: أن المرتـد لا بد أن يعلن ردته بشكل من أشكال الإعلان؛ لأنه لو كتمـها ولم يعلنها لما عـرفنا به ولبقي من المنافقين، فإعـلانه للردة جريمة أخرى؛ لأن فـيها استخفـافًا بعقيدة الأمة ونظامهـا الذي ارتكز على الإسلام، كما أن في ردته تشجيـعًا للمنافقين لمتابعـته في ردته وإظهار نفـاقهم، وتشكيكًا لضــعاف العقـيدة بعقيـدتهم، وهذا كله يؤدي إلى اضطراب في المجـتمع واهتـزاز في نظامه القـائم على الإسلام واسـتخـفاف به؛ وهــذه أمور جسـيمة يجب منعـها عن المجـتمع الإسلامي بمعـاقبة المرتد. وجـعلت عقوبـة المرتد القتل؛ لأن جريمته خطيرة؛ ولأن إخلاله بالتزامه إخلال خطير جدًا، ويجب أن لا نستغرب ذلك؛ فرب إخلال بالالتزام يترتب عليـه قتل المخل ـ مثلما تقدم في عـقوبة الخيانة العظمى ـ بهذا، كمـا لو تعاقد شـخص مع الدولة لتـز ويد الجـيش بالأرزاق، فإذا تعـمد هذا المتعـاقد عـدم التزويد بالأرزاق، والجيش في حاجـة إليها، كمـا لو كان في حالة حرب، مع قـدرة المتعاقـد على الإيفاء بالتـزامه؛ فإن عقوبته قد تصل إلى الإعدام[1].



وأخـيـرًا: فـإن الشريـعة الإسـلامـيـة، مع خطورة جـرم المرتد أوجـبت إمــهاله ثلاثة أيام فإذا رجع عن ردته سقط عنه العـقاب، فهل بعد

(١) د. عبد الكريم زيدان، مجموعة بحوث فقهية، مؤسسة الرسالة، طبعة، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م، ص ٤١٥ ــ ٤١٦.

هذا الذي قلناه تبقى لأحد حجة للقول بأن في عقوبة المرتد تدخلاً في حرية العقيدة واكراهًا على تبديل واعتناق الإسلام؟!!

ب - أن في عقوبة المرتد مخالفة للنص الدستوري الذي ينص على أن: «حرية الاعتقاد مطلقة»[٢].

وهذه الشبهة - أيضًا - مردودة؛ لأن الدستور في جميع الدول الإسلامية ينص على: «أن الإسلام دين الدولة»[١]. واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع. كما تنص قوانين العقوبات الحالية على أن لا تخل أحكام هذا القانون في أي حال من الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة في الشريعة الغراء[٢].

البيان

وإذا كان الدستور يقضي باتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرًا رئيسًا[*]، للتشريع فإنه يترتب على ذلك أنه لا يجوز لتشريع وضعي لاحق لصدور الدستور، أو حتى كان سابقًا عليه أن يخالف حكمًا قطعيًا من أحكام الشريعة الإسلامية وإلا كان التشريع مشوبًا بعيب مخالفة الدستور.

والكلام السابق هو كلام رجال القانون، حيث بينوا أن أي حكم أو تشريع وضعي لاحق لصدور الدستور يعتبر مخالفًا للنصوص الدستورية الأعلى منه قوة وهو ما يطلق عليه عيب مخالفة الدستور[٣].

موقف الشريعة الإسلامية من الردة :

إن الردة تعتبر من الجرائم ذات الخطورة البالغة على المجتمع والدولة والأمة الإسلامية؛ والحس الإسلامي يرفض أن يكون هناك تساهل فيها؛ وقد شرع الإسلام القتل لجرائم أخف ضررًا؛ حيث أمر بقتل الزاني المحصن بأسلوب رادع زاجر؛ لما يترتب على فعله من نشر الفحشاء بين المسلمين، وأمر بالقصاص حفظًا لأمن الجماعة، فلا يعقل أن تكون معالجة جريمة الردة، وعقاب مرتكبها، أخف ضررًا مما سبق؛ لأنه يترتب على الردة انهيار أركان المجتمع بمجمله دون ذلك.

والحق أن المرتد إذا ثبتت ردته، وانطبقت عليه الشروط وانتفت الموانع فإنه يجب على الدولة الإسلامية قتله إذا لم يتب لما ثبت في ذلك من السنة وإجماع أهل العلم[٤].

وكذلك فإن من أهم مقاصد الشريعة: حفظ الدين من أعدائه أو من أدعيائه؛ وهو في هذه الحالة لا يكون مناقضًا لمبادئه؛ وإنما مؤكدًا لها وحاميًا في الوقت نفسه.

---

(١) انظر على سبيل المثال: المادة (١٢) من النظام الدستوري المصري.

(٢) انظر على سبيل المثال: المادة (٢) من دستور جمهورية مصر العربية الصادر سنة ١٩٧١م.

(*) هكذا يقولون لكي لا يلتزمون بذلك، إضافة أن هذه العبارة «الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للتشريع» مردودة شرعًا، فإن المتعين أن تكون الشريعة المصدر الوحيد للتشريع فلا يجوز اتخاذ شركاء مع الله - تعالى - في تشريعه وحكمه.

(٣) راجع: قانون العقوبات المصري.

(٤) النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية — دراسة مقارنة — للدكتور محمد مفتي، ود. سامي صالح الوكيل، إصدار مجموعة الأمة، طبعة بدون.





تقسيم العراق.. الضرُّ والضرُورة!

بقلم: عبد العزيز كامل

لا أظنها مصادفة أن يكون اسم (كعكة العيد)، من بين الأسماء التي أطلقت في الغرب على عملية «رعد الصحراء» التي أُرجئت، فهذا الوصف (كعكة العيد) مملوء بالإيحاءات والمعاني الواضحة، فالعراق بما فيه من ثروات وثورات، وما يعيشه من آمال وآلام.. أُدخل المطبخ الغربي المتطور جدًا، لتصنع منه كعكة كبيرة، يتولى صدام إشعال النار لإنضاجها للآكلين..

«كعكة العيد»!! ولكن أي عيد؟!

هل هو عيد خمسينية (إسرائيل) التي لا تزال تضع فوق منصة الكنيست عبارة التوراة المحرفة: «لنَسْلكَ أُعطي هذه الأرض، من النيل للفرات»؟!

أم هو عيد مئوية (بازل) والمؤتمر الأول لحكماء صهيون بزعامة «هرتزل» الذي اعتبر نصف العراق ضمن أرض الدولة اليهودية المستقبلية (إسرائيل الكبرى)؟! أم هو عيد الألفية الثانية عند النصارى الذين يؤمنون بحديث الإنجيل المحرف عن معركة (الهرمجدون) التي تمهد لعودة المسيح، تلك الحرب التي ستكون ضد قوى الشر من بلاد (آشور) ومن يتحالف معها؟!

على أي حال، لا يبعد وصف الكعكة كثيرًا عن وصف (القصعة) فكلاهما تتداعى عليه الأكلة.. أكلة الحقوق.. أكلة السحت.. بل أكلة لحوم البشر..! فالقصعة التي أخبر الرسول ﷺ عنها في الخبر الصحيح[1]،

(١) في الحديث الذي رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩٧) «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ...» الحديث.

لا نشك أن العراق وغير العراق تمثل ثريدها ولحمها الذي تتناهشه الذئاب البشرية. فالعراق/ الكعكة.. أو العراق/ القصعة، يبدو أنه اليوم على أعتاب عهد لم يعهده من قبل، ومرحلة جديدة كنا نقرأ عنها ولا نتصور تسارع الأحداث للوصول إليها بهذه الدرجة، وهي مرحلة التفتيت والتقسيم، التي تناثرت الأخبار عن المخططات الموضوعة لها، لا فيما يتعلق بالعراق فحسب، بل فيما يختص ببلاد أخرى في المنطقة كمصر والسودان ولبنان واليمن وغيرها بحيث تتحول إلى دويلات بدلاً من دول، على أسس طائفية أو عرقية أو قبلية. لتبقى دولة اليهود سيدة المنطقة، وصاحبة الذراع الطولى فيها، وسط كيانات هزيلة ممزقة، متصارعة، متناقضة، مشغولة بنفسها ومنكفئة على ذاتها.

وفيما يتعلق بالعراق أيضًا، هناك خطة، كان قد وضعها قبل أكثر من خمسة وعشرين عامًا الصهيوني المخضرم (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، وهي عبارة عن إطار استراتيجي عام، يتم بمقتضاه إبقاء الأوضاع ملتهبة بالاختلافات والتناقضات في المناطق المحيطة بـ (إسرائيل)، لتظل في مأمن من وجود كيان مستقر وقوي، أو قابل لأن يكون قويًا ومستقرًا. وفيما يخص العراق تقضي الخطة بترتيب ظروف سياسية وعسكرية كفيلة بإضعاف وحدته، ثم إقامة دولة جديدة في منطقة الخليج، تمتد على أكثر من ٨٠ بالمئة من أراضي الجنوب العراقي، إلى جانب منطقة الأحواز التي تقع غرب إيران، وتحاذي مناطق جنوب العراق، ومن شأن دولة كهذه أن تحظى بأكثر من ٦٠ بالمئة من الثروة النفطية الموجودة في كل من إيران والعراق، إلى جانب تمتعها بثروة كبيرة، وبقطعة زراعية مناسبة، هذا عدا التجانس الحاصل بين سكانها الذين ينتمي معظمهم إلى الطائفة الشيعية المنحدرة من أصول عربية.

> "هناك خطة موضوعة قبل أكثر من خمسة وعشرين عامًا لتقسيم العراق - وضعها الصهيوني المخضرم - هنري كيسنجر"

أهداف أمريكا من التقسيم:

تهدف واشنطن من وراء تنفيذ هذا

المخطط، أن تجني فوائد استراتيجية كبيرة على النحو التالي:

١ ـ اقتطاع جزء كبير من القدرات النفطية والبشرية والمائية والزراعية في كل من العراق وإيران، مما يقلل من حضورهما الإقليمي، ومن المخاطر التي يشكلها كل من البلدين على جيرانهما في الحال أو المآل.

٢ ـ إكمال دائرة السيطرة الأمريكية على معظم منابع النفط في منطقة الخليج بعد أن تكون هذه الدولة قد اقتطعت أكثر من ٦٠ بالمئة من الإمكانات النفطية لكل من العراق وإيران.

٣ ـ ستكون هذه الدولة ـ حال قيامها ـ عبارة عن شريط حدودي يفصل إيران والعراق عن جيرانهما من الدول الخليجية التي عانت لفترة طويلة من المخاطر المحتملة لهذين الجارين.

٤ ـ يمكن لهذه الدولة أن تمثل عامل استقطاب لأبناء الطائفة الشيعية من البلدين (العراق وإيران) يساعد على وضع هذه الطائفة ضمن سياق معيشي اجتماعي ذي طبيعة ثرية مترفة، تلتهي بها عن ميولها (الثورية) لتصبح مهيأة بعد ذلك للمساهمة في خدمة المصالح الاستراتيجية الأمريكية في الخليج.

التقسيم هدف قائم :

قد يقال: إن هذه الخطة الموضوعة منذ ربع قرن، قد تكون التغيرات في المنطقة الآن لا تساعدها على التنفيذ، أقول: قد يكون هذا، ولكن الخطة تدل ـ على أي حال ـ على أن تقسيم العراق وغيره هدف قديم للقوى الغربية التي قسمت بالفعل العالم العربي والإسلامي، وفرقت بين شعوبه بحدود وسدود جغرافية وسياسية. والغريب أن دولة (الأحواز) الرافضية هذه، لم يوارها النسيان كما يُظن، بل لا يزال التهامس بها يتردد في أروقة الغرب، فقد نقلت جريدة السياسة الكويتية في عددها الصادر في ١٤١٧/٥/٢٣هـ عن مصادر أردنية، أن هذه الدولة ربما ترى النور في غضون سنوات قليلة على حسب ما يتردد في أوساط الإدارة الأمريكية التي تؤكد المصادر أنها رصدت لتنفيذ المخطط مبلغ ثلاثين بليون دولارا!

واللافت للنظر، أن الأزمة الأخيرة، بما فيها من أحداث متتابعة، شهدت رواجًا لما يعرف بخيار (الحل الشيعي) ومؤداه: إقامة كيان شيعي في جنوب العراق، بتفاهم أو بدون تفاهم مع إيران، وبالرغم من أن

---

(١) كما تدل تصريحات زعمائهم لجريدة الشرق الأوسط، ١٤/٢/١٩٩٨م.

مجرد الحديث عن هذا الخيار يسيِّل لعاب روافض العراق، إلا أنهم - من باب التقية السياسية - يظهرون معارضتهم لهذا الحل[1]، ويعتبرون الحديث عن تقسيم العراق من اختراعات صدام حسين ليثير مخاوف دول الجوار إذا ذهب هو.. كما صرح بذلك (محمد بحر العلوم) الأمين العام لمركز أهل البيت بلندن، و(سامي العسكري) عضو المكتب السياسي لحزب الدعوة الإسلامية الشيعي في العراق، و(أكرم حكيم) عضو الشورى المركزية للمجلس الأعلى (للثورة) الإسلامية في العراق... ولا ندري... إذا كان هذا التقسيم مجرد وهم كما يقولون، فلماذا (الثورة) ومجلسها الأعلى؟![1] الظاهر أنهم يعارضون التقسيم - لو صدقوا - من باب عدم الاكتفاء بالجزء عن الكل، وهذا يذكرنا بموقف شيطان الجنوب في السودان (جون جارانج) الذي أطلق على ثورته (حركة تحرير السودان) وليس جنوب السودان فقط! ويذكر أيضًا بتصريحات (شنودة) بابا الأقباط في مصر الذي تعجَّب عندما سئل عن رغبة الأقباط في الاستقلال (بجنوب مصر) فقال: «كيف نكتفي بالجزء عن الكل..؟ إن مصر كلها وطن الأقباط، فكلنا أقباط، غير أن منا مسلمون ومنا مسيحيون»!!

إن الخطر الشيعي إذا بسط يديه على العراق، فإنه سوف يكون ظهيرًا - لا قدر الله - لحركة مد شيعي رافضي في المنطقة، تمتد من طهران إلى المنامة!

ولا يقال هنا إن العداء بين أمريكا وإيران يحول دون حصول ذلك، فأمريكا إن كانت تعادي إيران سياسيًا الآن، فإنها لا تعادي كل الروافض فالضرورة تحتم عليها أن تصادقهم[2] ثم متى كان الروافض على مر التاريخ أعداء للنصارى أو غيرهم من أعداء الأمة؟

وماذا عن الأكراد:

الظاهر أن الضرورة الأمريكية تقضي بأن يُعطى الأكراد قطعة من القصعة العراقية[3]؛ فللزعامة العلمانية الكردية

(١) المعارضة الشيعية العراقية بقيادة محمد باقر الحكيم الذي يقيم في طهران، لديها جيش يتألف من عشرة آلاف مقاتل مدرب فلماذا أُعد هذا الجيش؟

(٢) قال باقر الحكيم زعيم المعارضة الشيعية العراقية لجريدة النيوزويك الأمريكية (فبراير ١٩٩٨م): «إن الباب لا يزال مفتوحًا لمزيد من التعاون مع الأمريكيين... وتقوية هذا التعاون تتوقف على جدية أمريكا في إحداث تغيير في العراق»!

(٣) أنفقت الولايات المتحدة على المعارضة العراقية حوالي مئة مليون دولار ذهبت إلى الأمور الدعائية والإعلامية!

أطماعها القديمة في القسمة، وقد دأب الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة (مسعود البرزاني) بالمطالبة بحكم ذاتي للأكراد، وقاتل الحزب عبر سنوات طويلة للوصول إلى هذا الغرض، أما الحزب الآخر، وهو الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة (جلال الطالباني)، فقد جعل قضيته التي يناضل من أجلها: حق تقرير المصير للشعب الكردي، ويقترح الحزب إدارة (كونفدرالية) بين الحزبين الرئيسين لأكراد العراق، ويعتبر هذا حلاً وقتيًا آنيًا، **فما هو الحل الدائم؟**

إن الحزبين العلمانيين ينتظران ما ستسفر عنه المواجهة بين أمريكا والعراق، فإذا أسفرت عن سقوط النظام أو ضعفه الشديد، فسيفرضان سيطرتهما كقوتين أو كقوة واحدة فاعلة تمتلك أرضًا وشعبًا وقيادة. وقد شهدت الآونة الأخيرة انفراجًا في العلاقات بين الخصمين اللدودين في قيادة الحزبين.. فهل تسمح الظروف واقعيًا لإقامة كيان كردي مستقل في شمال العراق؟ أم أنها أوهام أيضًا...؟

نحن نجزم بأن القسمة الكردية (العلمانية) من الكعكة العراقية، حاصلة الآن واقعيًا، وإن لم تعلن رسميًا، ففي شمال العراق سلطة منفصلة عن السلطة المركزية في بغداد، وإن لم ترفع علمًا أو تختر نشيدًا أو ترسِّم حدودًا.

وسُنَّة العراق... مَنْ لهم؟

الثلث المتبقي من العراق في الوسط، من نصيب أهل السنة! ومن أضاحيك الزمان: أن صدامًا هو المسؤول (طائفيًا) عن أهل السنة وهو المرشح ـ فيما يبدو ـ لأن يظل جاثمًا على صدورهم إذا اقتُطع الشمال للأكراد والجنوب للشيعة، فصدام ليس على قائمة الأهداف في (رعد الصحراء) فالوصول إليه شخصيًا يكاد يكون مستحيلاً على حسب مزاعم الأمريكيين والبريطانيين، ولهذا فمن المظنون فيه أو المقطوع به، أنهم يريدونه مسؤولاً عن القطاع السني في عراق ما بعد التقسيم، ليظل كنُصب تذكاري، يذكِّر العرب بمفاخر القومية العربية البائدة... تعلوه راية (أم المعارك) الممزقة، وتعزف من

> "التقسيم حاصل الآن من الناحية العملية في شمال العراق"

حوله أنشودة الحماس الأجوف... أمجاد يا عرب أمجاد!

إن التسارع المحموم نحو تقسيم العراق، يخدم مجموعة متباينة من الأكلة، بالوكالة أو بالأصالة، وعلى رأس المستفيدين من القسمة الضيزى... الدولة اليهودية (إسرائيل).. ثم الإمبراطورية الصليبية (أمريكا).. ثم ـ وكالعادة.. تتقاسم بقية الضباع بقايا ما تتركه السباع. ولا ينبغي أن ننسى أن العراق ـ الذي يبدو الآن ضعيفًا وفقيرًا ـ لا يزال غنيًا بثرواته الجالبة للأطماع، فآبار النفط لم تنضب، ومجاري الأنهار لم تجف، والمساحات الزراعية لا تزال حية.

ومما يثير العجب أن الكل يقر في الظاهر بأن تقسيم العراق ضرر فادح... ولكن كل فريق بعد ذلك يتصرف فعليًا على أن التقسيم ضرورة لا مفر منها... بدءًا من صدام الذي يفضل التنازل عن وحدة العراق على التنازل عن الكرسي[1]، ومرورًا بفصائل المعارضة الانتهازية التي ترى في التقسيم فرصتها لإثبات الذات وإحراز المكتسبات، وانتهاء بأمريكا التي تريد أن تدخل القرن الجديد بخارطة تضمن مصالحها لأجيال قادمة[2]، لكن هناك طرفًا واحدًا يرى في التقسيم ضرورة خالصة، لا ضرر فيها، وهم اليهود! والظاهر أنهم لا يرونه ضرورة فقط، بل ضرورة عاجلة، فقد أدلى (بنيامين نتنياهو) بتصريح في آخر أيام عام ١٩٩٧ قال فيه: «كل المؤشرات المتوافرة تحت أيدينا تؤكد أن بغداد في حالة استكانة وضعف عسكري تام» [الشرق الأوسط، ١٩٩٧/١١/٢٦م] وبعد هذا الكلام الواضح عن قدرات العراق في نظر تقارير المخابرات الإسرائيلية، لم تمض أسابيع حتى ملأ اليهود (الإسرائيليون والأمريكان) الدنيا صراخًا عن قوة العراق المرعبة، وتكاثرت التصريحات على ألسنة المسؤولين الأمريكيين الكبار ـ وأكثرهم يهود ـ، وفي افتتاحيات أكبر الصحف الأمريكية ـ وأكثرها يهودية ـ، تعبر عن تخوف عظيم من الخطر العراقي الذي أصبح يتهدد كل

---

(١) قالت مادلين أولبرايت في حديث لها أمام لجنة العلاقات الدولية في الكونجرس (١٣/٢/١٩٩٨م): «إن الخيارات التي نعتمدها في منطقة الشرق الأوسط في الأشهر المتبقية من هذا القرن، ستحدد شكل القرن المقبل»!

(٢) أنفق صدام ما يصل إلى ألفي مليون دولار على قصوره الفخمة له ولزمرته الحاكمة في ظل الحصار الذي يعاني منه الشعب وحده!

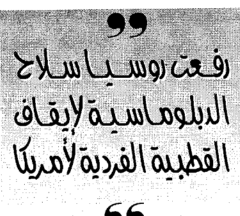
الجيران، خاصة الجار السابع (إسرائيل) وتحدث المحذرون عن خطر حقيقي يهدد اليابسة والماء والهواء معًا إذا استعمل العراق ما بحوزته من أسلحة!

ولم تكن هذه التحذيرات مجرد فرقعات إعلامية لصحافيين هواة أو محترفين، بل جاءت على ألسنة مسؤولين يفترض أن يكونوا محترمين؛ فوزير الدفاع في أكبر دولة في العالم (وليم كوهين) لوَّح وقتها أمام الملايين من المشاهدين الأمريكيين بكيس من السكر وقال لهم: «إن عبوة بهذه الحجم من الجراثيم التي يملكها العراق تكفي لإبادة كل سكان مدينة بحجم نيويورك»! ثم خرج بعدها وزير الدفاع البريطاني (جورج روبتسون) أمام الكاميرات وفي يده زجاجة مياه صحية، وقال للمشاهدين البريطانيين المذهولين: «إن عبوة مثل هذه الزجاجة من غاز (في - إكس) التي يملكها العراق، تكفي لإبادة كل سكان مدينة لندن»!! وأيضًا تبرع رئيس فريق الأمم المتحدة لنزع أسلحة العراق (ريتشارد بتلر) وذكر مدينة ثالثة هي (تل أبيب) وقال: «إن بقدرة صدام أن يبيد بلحظات كل سكان تل أبيب» ثم ظلت العجوز اليهودية (أولبرايت) وزيرة الخارجية الأمريكية تنفخ في جمر التحريض، لتشتعل نار الحرب! ونجح هؤلاء بتلك التصريحات النارية في إلهاب مشاعر السخط لدى قطاعات عريضة من شعوب الغرب - الساخط أصلاً - ودقت طبول الحرب عالية... واستمرت الحشود العسكرية متزايدة متوالية. وصدرت التوجيهات للرعايا الغربيين بمغادرة مواقع الأحداث المتوقعة.. ووزعت كمامات الوقاية من الغازات...

إيقاف اللعبة:

بعد كل هذا النفير وشد الأعصاب... فوجئت أمريكا ومعها بريطانيا... بأن حلفاءهما الدوليين - الفاهمين للعبة - غير موافقين على هذا الإجراء العسكري الذي يستهدف في النهاية الاستحواذ على الغنيمة كلها، ففرنسا وجدت نفسها مرة أخرى في موقف ضعف مع بريطانيا التي ظلت منافسًا رئيسًا لها طوال القرن الماضي وشطرًا من هذا القرن، كانت دائمًا تتصرف بمنطق الأنانية واستباق الوصول للغنيمة، لقد أقصت فرنسا عن مصر والسودان، وعرقلت تغلغلها في منطقة الخليج، وأحبطت مساعيها في الاستقرار في بلاد المغرب العربي، واليوم تزاحم بريطانيا على اكتساب موطئ قدم في

صنع سياسة الهيمنة الدولية في النظام الدولي الجديد بقيادة أمريكا... وقد بلغ التقارب البريطاني الأمريكي حدًا أفزع فرنسا، عندما أطلق (توني بلير) رئيس الوزراء البريطاني الوعيد للعراق من داخل غرفة عمليات الحرب العالمية الثانية في البيت الأبيض، وكلينتون واقف بجواره!... كان لا بد لفرنسا أن تعمل لإحباط مساعي بريطانيا في تقاسم أمريكا مغانم هذه الحرب المبيتة بليل، وهي لم تنس بَعْدُ أنها خرجت بخفي حنين من حرب الخليج التي شاركت فيها، حيث لم تفز المؤسسات الصناعية الفرنسية إلا بفتات العقود والصفقات التي حصدت الولايات المتحدة القسط الأكبر منها بالاشتراك مع بريطانيا؛ ولهذا رفعت سلاح (الدبلوماسية) وأصرت على تفعيله وتدويله، وشاركتها روسيا في رفع هذا السلاح؛ فالروس يشاركون الفرنسين في إحباطاتهم؛ لأن العراق كان صديقًا للسوفييت في الماضي وتتمنى روسيا أن يكون العراق سوقًا للروس في المستقبل، ولهذا تواصل روسيا دعمها للعراق سرًا وعلنًا، كما حدث عام ١٩٩٥م عندما باعت للعراق بشكل غير مشروع أجهزة يمكن استعمالها في تصنيع الأسلحة البيولوجية. وروسيا التي لا تزال تلعق جراح السقوط المدوي للقطب الثاني، لا تريد للقطبية الفردية لأمريكا أن تظل مهيمنة على العالم ـ خاصة ـ المناطق الغنية، وهي تبحث عن شركاء في هذا المطلب، وترى أن لدى الصين وإيران تضامنًا مع رؤيتها المستقبلية. يقول (أرييل كوهين) المحلل الأمريكي: «إن الهدف النهائي لروسيا في الآونة الأخيرة، إقامة تحالف روسي صيني إيراني جديد لتحدى الولايات المتحدة بدءًا من الخليج حتى مضايق تايوان».



موقف ألمانيا:

وفي حين تخرج فرنسا وروسيا عن الفلك السياسي الغربي فيما يتعلق بالعراق، نرى دولاً أخرى تدخل فيه مثل ألمانيا، التي اتخذت موقفًا مفاجئًا بوقوفها بقوة أمام

الحسم العسكري مخالفة بذلك موقفها التقليدي المتجانس مع فرنسا... فلماذا تتخذ ألمانيا هذا الموقف؟ إنها تريد أن ترد لها أمريكا الجميل بأن تقبل بعد ذلك طلبها المُلِحّ بالحصول على العضوية الدائمة في مجلس الأمن، ومن ناحية أخرى فهي لا تزال تحمل (عقدة الذنب) تجاه اليهود بسبب مواقف هتلر منهم، وهي تريد أن تثبت لهم أنها سوف تتوب توبة عملية بالمشاركة في تنفيذ واحدة من أكبر مخططاتهم في المنطقة!

وتركيا أيضًا:

أما تركيا (العلمانية)، فأطماعها في العراق لا تخفى، فهي بين آن وآخر تنادي باستعادة ولاية (الموصل) العراقية التي تعتبرها أرضًا تركية اقتُطعت لصالح العراق، وقد غزت شمال العراق عدة مرات بذريعة ملاحقة حزب العمال الكردستاني، وحاولت في كل مرة الاحتفاظ بوجود عسكري لها في العراق لإقامة شريط حدودي بزعم ضمان أمنها، وقد نجحت تركيا في مطلبها بفضل الحصار الأمريكي، فأصبح لها ما يشبه الوجود الدائم في شمال العراق، وهي عندما تحشد هذه القوات هناك، منتهكة القانون الدولي؛ فإنها تستعد بذلك لملء الفراغ الذي سيحدث في الشمال إذا دخلت الخطة فصولها النهائية، فهي تعلن أنها لن تسمح لإيران أو حزب العمال الكردستاني بملء هذا الفراغ.

إن تركيا المتحالفة الآن استراتيجيًا مع دولة اليهود... لن تتأخر في وضع إمكاناتها تحت تصرف اليهود، عندما يحين أوان تقسيم الكعكة.

> "تركيا تنادي بين آن وآخر باستعادة ولاية الموصل"

وهكذا يتضح أن المواقف المتعارضة والمتناقضة للقوى الدولية الفاعلة فيما يتعلق بأحداث العراق، تعكس تصارعها في التسابق لتحصيل مصالحها بكل جشع وأنانية.. وقد أفضت هذه الأحوال بأمريكا وبريطانيا ومن تحالف معهما، إلى أن وجدوا أنفسهم يواجهون وضعًا دوليًا مربكًا؛ فأمريكا التي ضربت العراق في حرب الخليج الثانية وسط تصفيق دولي ومباركة من (الشرعية الدولية)، ألجأها منافسوها هذه المرة إلى

وضع رأت فيه أنها تتحرك خارج ما يسمى بـ (الشرعية الدولية) فكان لا بد أن تبحث عن فرصة أخرى لضربة أخرى باسم تلك الشرعية الدولية... لهذا كان الاتفاق، وكان «أنان»، وكانت العودة للتفتيش عن أسلحة العراق مرة أخرى... ريثما يجد المفتشون كيسًا من السكر، أو زجاجة من الماء تحتوي على المواد التي تهدد بفناء واشنطن ولندن وتل أبيب!

فالاتفاق ـ في رأيي ـ هو المفتاح السري الذي يمكن لأمريكا أن تعيد به فتح باب الترحيب الدولي بإنهاء العراق.

فهذا الاتفاق قد رُبط مصيره بشيء واحد، هو احترام صدام لبنوده حرفًا حرفًا... حتى لو استُفز ... حتى لو استُدرج... حتى لو أُثير!! ومعنى هذا أن الحرب ـ تحت مظلة الشرعية الدولية ـ متوقفة على مجرد استفزاز أو استدراج أو إثارة من أمريكا لصدام!!! فهل هناك من يسبق أمريكا وعملاءها في الاستفزاز والاستدراج والإثارة؟ أم أن هناك من هو أقل صبرًا من صدام في الاستجابة الحمقاء للاستفزازات والاستدراجات...؟ لقد بدأت أمريكا مبكرًا في هذا الاستفزاز عمليًا بأن تم تنصيب (سكوت ريتر) رئيسًا لفريق التفتيش بعد الاتفاق الجديد... و(سكوت) هذا، كان قد اتُّهِم في العراق بأنه جاسوس.. فهل تراهن أمريكا على عدم سكوت صدام على (سكوت) رئيس الفريق الدولي؟!

إن الحشود المجتمعة في الخليج تتحرق شوقًا لجولة جديدة يقود إليها صدام.. فهي لم تأت لنزهة بحرية أو برية أو جوية... ولكنها جاءت لتسوية نهائية للمسألة العراقية على الطريقة اليهودية، فاللهم رحماك... ولك الله يا شعب العراق.



ذكرت بعض المصادر الإخبارية أن ياسر عرفات قد انهار أثناء اجتماع لوزراء خارجية الدول العربية بالقاهرة في شهر سبتمبر الماضي، ثم أغمي عليه أثناء اجتماع للمجلس التشريعي الفلسطيني في شهر أكتوبر ونقل إلى المستشفى. ويقول بعض من قابلوا عرفات خلال الآونة الأخيرة إنه يعاني أحيانًا من صعوبة في الحديث، وأن هناك ارتعاشًا لا إراديًا في شفته السفلى ويده وقدمه اليسريين، كما يقال إن ذاكرته بدأت تضعف. وأشارت تقارير صادرة عن الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية أن عرفات يعاني حاليًا من مرض (باركنسون) ويتلقى علاجًا لأعراض الرعشة وتصلب العضلات. وقد أكد طبيب عرفات الخاص د. أشرف الكرد المتخصص في طب الأعصاب بعض هذه الأعراض، وإن كان قد أكد على عدم خطورة الأمر.

كثر ذلك الكلام مؤخرًا عن متاعب عرفات الصحية، مما فتح بابًا للتكهنات حول مستقبل السلطة وعملية السلام برمتها. أما عرفات فإنه يبدي انزعاجه وقلقه بخصوص كثرة الحديث عن صحته، ولربما كان هذا أحد دوافعه للقيام بسفرات ورحلات مكوكية قياسية لم يبلغها أي زعيم آخر، فخلال أسابيع متتالية يذهب إلى عواصم كثيرة في آسيا وإفريقيا وأوروبا ليبرهن على سلامة صحته وقوته طبقًا للجملة المشهورة التي يستشهد بها كثيرًا: (يا جبل ما يهزك ريح) ولكن رغم

هذا لا يمكن إخفاء حقيقة أن صحته ليست على ما يرام.

ومع هذا فإننا نقول إن الأمر ليس غريبًا، فالرجل يبلغ من العمر ٦٨ عامًا (ونظام حياته السابق المجهد يقوم على العمل لمدة لا تقل عن ١٦ ساعة يوميًا، ولكن السؤال الأهم هو: **ماذا بعد عرفات**؟ وهل ستنتهي عملية السلام؟ ومن هو الشخص أو الكيان البديل؟

الشارع الفلسطيني لا يتحدث عن الرجل المريض بقدر ما يتحدث عن السلطة المريضة، فكل شخص تقابله يحدثك عن المحسوبية والرشوة والسرقات وأكل المال بدون حق، وما تقرير المجلس التشريعي التابع للسلطة نفسها الشامل عن هذا الأمر عنا ببعيد؛ حيث كشفت التحقيقات عن أرقام مفزعة من السرقات وأكوام من الاختلاسات الكبرى وفضائح عدد من الوزراء ممن كان وراء هذه السرقات، مما ألجأ عددًا كبيرًا من الوزراء والمسؤولين إلى تقديم استقالاتهم خوفًا من الفضيحة، ولكن عرفات أجَّل قبول هذه الاستقالة ووعد أكثر من مرة بإجراء تعديل وزاري وكانت آخر هذه الوعود قبيل نهاية العام المنصرم. وكان المجلس التشريعي قد طالب في بيانه ـ قبل نحو ٤ أشهر ـ بحل مجلس الوزراء والانصياع لمتطلبات التطهير الإداري، ولكن أنى هذا وحاميها هو حراميها؟ طالب الناس بالإصلاح والتغيير والمحاسبة حتى نفد صبرهم، ولم يتم أي شيء في هذا الخصوص، ولم يطالب بهذا الإسلاميون فقط أو المعارضون لعملية السلام بل حتى بعض الرموز من داخل السلطة أو ممن عمل معها طالبوا بذلك، فحيدر عبد الشافي الذي أحرز أعلى نسبة في أصوات الناخبين في المجلس التشريعي تحدث في كثير من المقابلات الصحفية التي أجريت معه وفي مقالاته وفي كتاب استقالته من المجلس التشريعي وفي محاضراته عن العفن داخل السلطة وعن الديكتاتورية العرفاتية. وفي محاضرة للدكتور زياد أبو عمرو أمام مئات الحاضرين ذكر بعض صور السلطة الهزيلة وهي: لنا سلطة رئيسها بحاجة إلى تصريح إسرائيلي ليطير من مكان إلى آخر، لنا قوة أمن مبعثرة وأشبه ما تكون بالمليليشيات، لنا عَلَم ولا نملك السيادة، لنا مجلس تشريعي تذهب توصياته وقراراته أدراج الرياح. [الوطن العربي، ٥/١٢/١٩٩٧م].

هذا جانب من صورة السلطة في وضعها الحالي، ولم يذكر الرجل صورًا

قائمة أخرى يراها المراقب الإسلامي مثل: المسلسل العدائي لكل ما هو إسلامي بدءًا من محاربة الرموز الإسلامية والسجن والتعذيب، مرورًا بشن حملة إفساد للشعب وبث الفجور.

خليفة عرفات:

على صدى الكلام عن صحة عرفات ومن سيخلفه، فقد شحذ البعض هممهم استعدادًا لخلافة عرفات بمجرد سماع الأنباء عن مرض عرفات وتدهور صحته، ولكن هل هناك شخصية معينة مؤهلة لنفس دور عرفات؟

من صفات عرفات الزئبقية التي يتميز بها قدرته الفائقة على إمساك العصا من الوسط، ودفع كل الأطراف في الساحة إلى الصراع في جميع الساحات بل والاشتباك إذا لزم الأمر باستثناء ساحة واحدة هي التزاحم على مركزية القيادة باعتباره خطًا أحمر لا يمكن الاقتراب منه. لقد تناحر مسؤولو السلطة حول كعكة المال وحصة كل منهم من أموال الدول المانحة كل بحسب استطاعته حتى جاءت النتيجة وبسرعة مذهلة لتكشف عن حجم غريب من السرقات، كما أنهم توزعوا الكراسي داخل المجلس الوطني والوزارات المختلفة ولكن كل هذا الاختلاف ــ حتى بين الفصائل المختلفة ــ رافقه إجماع على زعامة عرفات وعدم المساس بها. ولذلك يمكن القول بأن الصراع على التركة ستكون بعد ذهاب عرفات لا قبل ذلك، فالمتربصون جميعًا يجمعون على قيادة عرفات وزعامته.

> ❝ كان أول إنجازات عرفات بناء ٣٠ مركزًا للاعتقال ❞

والحقيقة الظاهرة لنا أنه لا يوجد من قيادات السلطة كافة من يستطيع أن يملأ هذا الفراغ ويقوم بالأدوار نفسها. وقد تداول المراقبون عدة أسماء مرشحة لخلافته مثل محمود عباس، وفاروق قدومي، أو بعض العسكريين مثل جبريل الرجوب... ولعل أبرز الشخصيات المرشحة والأوفر حظًا لخلافة عرفات هو محمود عباس (أبو مازن) أمين سر اللجنة المركزية لحركة فتح؛ فالرجل سياسي ممن أسهم بصورة كبيرة في السعي للحلول السلمية مع (إسرائيل) وهو مفضل أميركيًا،

وربما يقوم حلف بينه وبين بعض العسكريين على تقاسم السلطة بحيث لا يفقدون امتيازاتهم ويعملون في الوقت نفسه على الوقوف ضد التيار الإسلامي.

ولكن بدلاً من الخوض في هذه التخمينات، دعونا نلقي نظرة إلى وضع السلطة الفلسطينية والحال التي وصلت إليها، وخططها التفاوضية مقارنة مع التخطيط الإسرائيلي.

تدهور شعبية عرفات وسلطته:

المراقب للوضع الفلسطيني، يلاحظ افتقاد عرفات للشعبية؛ فمسيرة السلام وأحلامها تعثرت، وسياسة الاستيطان الإسرائيلية على أشدها والوضع الاقتصادي للناس في تدهور. أما عن السلطة فقد أقام عرفات سلطته على المحسوبيات وعلى نظام متعفن انتقل بين العواصم العربية وكان يعاني من ألوان من السوء والفساد أصلاً. وقد جمع عرفات إلى هذا ديكتاتوريته المعروفة، وعمل على بناء أجهزة عسكرية مختلفة ليضمن بقاء السلطة بيده ووضع على رأس هذه الأجهزة أشخاصًا من الموالين له ممن يأتمرون بأمره ومن أبرزهم شقيقه د. موسى عرفات رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية الفلسطينية. ويطلق الناس كثيرًا من النكات عن ميليشيات السلطة المنتشرة على طريقة: (حارة كل مين إيدو إلو).

لقد كان من أوائل إنجازات عرفات بناء ٣٠ مركزًا للتوقيف والاعتقال، و١٧ سجنًا مع أكثر من ٤٠ ألفًا من شرطته التي دخلت في حرب مع الشعب الفلسطيني. وحوَّل عرفات الأجزاء الصغيرة من فلسطين الواقعة تحت سيطرته إلى جحيم لا يطاق، وكم كان مؤلمًا ذلك التقرير الذي أعده الصحافي الإنجليزي المخضرم (باتريك سيل) عن ممارسات سلطة عرفات القمعية ونشره في صحيفة الإندبندنت قبل أشهر بعنوان: (عار في غزة).

صور الفساد والطريق المسدود الذي وصلت إليه السلطة أدى إلى حالة من الإحباط لدى الناس؛ فالأوضاع الاقتصادية على سبيل المثال بلغت غاية في السوء، ولعل الدول المانحة والمتصدقة تضخ بعض الأموال كمسكنات للوضع حتى لا ينفجر، ولكن الناس يعانون ويشعرون بالإحباط للنتائج الحالية. ذكر رئيس البنك الدولي كمال درويش في مؤتمر الدوحة المنعقد قبل أيام: «أن متوسط دخل الفرد الفلسطيني في مناطق السلطة الوطنية انخفض بنسبة ٣٠٪ عما كان عليه عام ١٩٩٣م» [العالم اليوم،

«ارتفع الرصيد الشعبي للإسلاميين على حساب المنظمة»

٢٩/١١/١٩٩٧م)، [لا يعني هذا أن الوضع عام ١٩٩٣م كان ممتازًا]. ولا شك أن السلطة فقدت كثيرًا من بريقها، فقد ذهبت السكرة وجاءت الفكرة، وتبين للناس أن المستقبل الوردي وسنغافورة الشرق الأوسط ما كان إلا عقَّارًا للتخدير.

السلطة والوضع الداخلي:

هناك مجموعة من المشكلات الكبيرة داخل السلطة، ومن أواخرها تلك الحاصلة بين تنظيم حركة فتح وبين الأمن الوقائي بقيادة جبريل الرجوب، أحد الشخصيات القوية التي رشحها بعض المراقبين لخلافة عرفات، فكلٌ من الطرفين يحاول الإيقاع بالآخر وعزله وإضعافه. ويطالب بعض أعضاء اللجنة المركزية لفتح مثل: صخر حبش، وزكي عباس، بإبعاد الرجوب، ويتهمونه بالتواطؤ مع (إسرائيل) (خصوصًا بعد الكشف عن تسليمه لعضوين من خلية سرية لحماس في قرية صوريف).

من جهة أخرى فإن هناك عدة دلائل تبين انخفاض الشعبية التي كانت تتمتع بها المنظمة؛ فالانتخابات في الجامعات والنقابات تبين ارتفاع الرصيد الشعبي للإسلاميين على حساب المنظمة. وعلى سبيل المثال فإن احتفالات الذكرى التاسعة لإعلان الاستقلال الفلسطيني خيم عليها جو من الكآبة الكامنة في الأعماق، ففي أوسع ساحات التجمع لم يتجمع سوى بضع مئات معظهم من صغار السن الذين جذبتهم الأضواء والزينات وصوت المرفقعات؛ بينما لزم الكبار البيوت يجترون خيبة الأمل، رغم أن السلطة حرصت على إقامة الاحتفالات ووضعت لها برامجًا لتغطي كافة المناطق. ومن الأمور المضحكة أن يذكر عرفات أنه سيعلن قيام الدولة الفلسطينية بعد عامين مع العلم أنه تم الإعلان عن هذه الدولة قبل ذلك، فما هو الجديد؟

الوضع على صعيد المفاوضات:

ها قد انقضت أربعة أعوام على اتفاق أوسلو فما هي نتيجة هذه الاتفاقيات؟ إنه وضع عجيب: أراضٍ محاصرة فلا الغزاوي يستطيع أن يذهب إلى الضفة، ولا الضفاوي بقادر على الذهاب إلى غزة إلا

بتصريح - وربما لا يستطيع الحصول عليه - إن نسبة المساحة المتاحة للفلسطينيين الآن من مساحة الضفة الغربية لا تتجاوز ٣٪، وغاية العروض الإسرائيلية المقدمة ستحصر الفلسطينيين في مساحة من ٦ إلى ٨٪ من الأرض، وقد كانت (معركة السلام)(!) في الأيام الأخيرة تدور حول النسبة الممنوحة لإعادة انتشار القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية وهل هي أقل من ٩٪ كما يطرح اليهود، أو هي من رقمين كما تصر الولايات المتحدة (!) والرقمين تعني نسبة لا تتجاوز ١١٪.

فما الجدوى من المفاوضات والعملية المسمَّاة بالسلمية برمتها إن كانت النتيجة سجنًا هذه هي مساحته؟ لقد ضاعت الأرض وتوقفت الانتفاضة ولم يتحقق السلام، وابتُلعت القدس وبقي اللاجئون مشردون في أصقاع الدنيا وزادت الأحوال سوءًا، فهل هذه النتيجة التي يحلم بها الناس بعد سنوات؟!

يجمع المراقبون على أن المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود، على سبيل المثال في ندوة مستقبل الوطن العربي التي عقدت في (أبو ظبي) على مدى ثلاثة أيام في بداية شهر نوفمبر الماضي والتي شارك فيها نحو ١٥٠ من الشخصيات السياسية البارزة من العالم العربي وغيره في هذه الندوة أجمع المشاركون على أن المفاوضات المتوقفة فعلى جميع المسارات وصلت حدًا خطيرًا. ففيما يؤكد عصمت عبد المجيد الأمين العام للجامعة العربية أن (إسرائيل) تريد سلامًا أعرج يحقق مطالبها الأمنية دون أي اعتبارات أخرى، فإن فاروق قدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير يؤكد أن السلام يُحتضَر وربما يكون قد مات بالفعل. وفي حين كانت لهجة ريتشارد ميرفي أقل تشاؤمًا فإنه مع هذا يؤكد أن الوضع خطير جدًا في الشرق الأوسط، بينما بلغ تشاؤم حيدر عبد الشافي حدًا بعيدًا.

ويشير محمد حسنين هيكل الكاتب المصري المعروف أيضًا إلى أن عرفات يؤدي في مسيرته السلمية دورًا محددًا ثم ينتهي، فهو يقوم بما لا يستطيع غيره القيام به، فيشق طريق التسوية ثم يخلي الساحة لسواه بعد أن تكون قد أرهقته، بل أنهته سياسيًا نتائج فعلته. ويكون دوره كما أسر عرفات لهيكل نفسه بقوله: إنني أشعر بما يريدونه مني ... إنهم يريدون أن ألعب دور ذكر النحل: يقوم بتلقيح الملكة ... ثم يموت.[الرأي العام، ٢٠/١٢/١٩٩٧م].

إن نتنياهو يضع العراقيل يوميًا في وجه المفاوضات التي لا تناسب اليهود[1]، ونتنياهو هذا اعتبر اتفاقات أوسلو خطرًا على (إسرائيل)، كما اعتبر عملية السلام ككل (ضارة) بالدولة اليهودية. بينما عرفات لا يعرف عقلية مؤلف كتاب (مكان تحت الشمس) أعني (نتنياهو) لهذا فهو لا يستطيع أن يزاحمه في مكان لائق تحت الشمس.

الدور الأمريكي:

تحاول الولايات المتحدة بين آونة وأخرى أن تضخ الدماء في عروق المفاوضات حرصًا على سلامة (إسرائيل) وأمنها، ولكن ما من سبيل؛ فإسرائيل تريد الحلول التي تراها مناسبة ولا تُفرض عليها فرضًا. والحقائق التاريخية تؤكد أن الدور الأمريكي في المنطقة دور ملطخ منذ بدايته، كله ظلم وصلف ودعم لدولة اليهود، ومع هذا فلا زال البعض يعلق آمالاً عريضة على دور راعي السلام.

هل نحن بحاجة إلى بيان الدور الأمريكي معنا؟ الأدوار الأميركية المشينة معنا لها تاريخ طويل، فما بالك الآن وقد أصبحت الإدارة الأمريكية غابة من اليهود،

أصابت المفاوضات والقيادة الفلسطينية بإحباط شديد

والبيت الأبيض يعج بالشخصيات الصهيونية في كل دائرة وبأيديهم أهم الوزارات كالخارجية والدفاع وأهم المناصب كمجلس الأمن القومي.

لقد زارت (مادلين أولبرايت) المنطقة فماذا حققت زيارتها؟ لقد طلبت أولبرايت من (إسرائيل) وقف عمليات الاستيطان(!)، وجاء على لسان (ناطق إسرائيلي) رسمي أن وقف الاستيطان يعني وقف الحياة، ولا نسمح لأحد أن يطلب منا الموت. ومنذ وصولها إلى إسرائيل ـ حيث جرت العادة في الرحلات المكوكية الأمريكية أن تكون إسرائيل هي أول محطة وآخر محطة كذلك ـ أعلنت أولبرايت الانحياز الكامل لوجهة النظر الإسرائيلية، وشنت حربًا صارخة على الإرهابيين (أي الإسلاميين) ودعت عرفات لمواجهة حماس والجهاد معًا.

لم يكن هناك فارق بين ما يطرحه

---

(١) رويتر، ١٢/٢٨/١٩٩٧م.

نتنياهو وما تطرحه الإدارة الأمريكية، فقد كان التركيز الأول والأخير على قضايا الأمن. كما عبرت الزيارة من جهة عن رفض للمطالب الفلسطينية في قيام الدولة وتجميد الاستيطان، وكانت اللغة صريحة في هذا الشأن. وتركت الزيارة (إسرائيل) قوةً تتحدى الجميع، وقادرة على إعلان حرب على سورية، وإذا حدث ذلك فإن واشنطن لن تكون بعيدة عن تأييد هذه الخطوة. ومجمل القول أن الولايات المتحدة و(إسرائيل) تريدان من عرفات أن يقوم بدور (أنطوان لحد) في جنوب لبنان، وكل الاتفاقات القديمة والجديدة تصب في هذه الزاوية وهي التشديد على التصدي للإسلاميين في فلسطين.

وفي هذا الإطار فإن المستجدات الأخيرة مثل استقالة وزير الخارجية الإسرائيلي دافيد ليفي في ٤/١/١٩٩٨م التي ستزيد من صعوبات مسيرة السلام المزعومة؛ لأنه من أبرز رموزها في حكومة نتنياهو. من جهة أخرى فإن نتنياهو وجه إلى السلطة الفلسطينية ضربة مذهلة (على حد رأي حماس) من خلال تصريحاته يوم ١٩/١٢/١٩٩٧م ـ أي بعد يومين من لقاء نتياهو بأولبرايت ـ التي زعم فيها أن الضفة الغربية تشكل جزءًا من إسرائيل. فماذا كانت ردة فعل عرفات؟ وفيما يصرح عرفات أثناء زيارته للوكسمبورغ: بـ(أن هذه التصريحات تشكل انتهاكًا خطيرًا لاتفاقيات السلام المبرمة في واشنطن) يستمر نتنياهو وكافة المسؤولين اليهود في تعجرفهم وعدم مبالاتهم بكل الاتفاقات. إن هذه هي عقيدة حزب ليكود والعمل وكل اليهود وهي استراتيجيات وقناعات يهودية، وليست رد فعل على عمليات عسكرية، واليهود لم ولن يرضوا عن عملية السلام إلا بمقدار ما تقوم السلطة بتحقيقه نيابة عنهم بقمع الشعب المسلم في فلسطين وفتح الأبواب لهم ليكونوا معبرًا إلى العواصم العربية والإسلامية، فهل يفهم هذا عرفات؟

وآخر تصريحات نتنياهو وعشية وصول دينيس روس منسق عملية السلام الأمريكي قوله بأنه لن يقبل أي ضغط على حكومته. [وكالات الأنباء، ٥/١/١٩٩٨م].

تخطيط يهودي.. وتخبط فلسطيني :

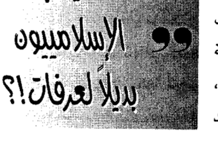
في مقابل التخبط الحاصل في السلطة الفسلطينية والضعف العام في الأنظمة المجاورة، نلمح على الطرف الآخر التخطيط اليهودي، والحديث عنه حديث طويل ذو

شجون، ولكن هناك بعض الإشارات المهمة؛ فلقد مضى مئة عام على مؤتمر بال بسويسرا وفي الخمسين الأولى منها يعتبر اليهود أن التركيز هو على إقامة الدولة، أما الخمسون الثانية فهي مرحلة إقامة إسرائيل الكبرى. ويتحدث علماء إسرائيل وأحبارها عن بناء الهيكل حتى عام ٢٠٠٠م وأنهم إن لم يتموا بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى فسيكونون مقصرين حسب زعمهم في تنفيذ أوامر الرب.

كما لا يغفل التخطيط اليهودي مسألة احتمال اندلاع حرب مع العرب حين تسنح الفرصة، وهناك عدة دلائل على هذا الأمر. ولا شك أن هناك خططًا إسرائيلية كثيرة نجحت، فقد تم نجاح إيقاف الانتفاضة، وتم إيقاع الفلسطينيين في فخ الحكم الذاتي ولعبة المفاوضات وغير ذلك.

هل من عودة إلى الانتفاضة؟

كانت الانتفاضة التي بدأت عام ١٩٨٧م ملحمة سطر فيها الفلسطينيون شبانًا وأطفالاً ورجالاً ونساءً صورًا شامخة من البطولات علمت اليهود دروسًا ودروسًا، وبلغ عدد من قتل فيها أكثر من ١٢٠٠ من الفلسطينيين غير آلاف المصابين والمعاقين. وكان النتيجة أن شجعت الانتفاضة على الجلوس على مائدة المفاوضات مع عرفات ومنظمة التحرير، وساعد اليهود على زرع كيان جديد من أبناء جلدتنا لسحق المجاهدين وقمعهم وتوفير جهد ودماء اليهود. قال يوسي بيلين عضو البرلمان الإسرائيلي عن حزب العمل الذي كان من أوائل المفاوضين مع منظمة التحرير: (الدرس المستفاد من الانتفاضة أنه في غياب عملية السلام، البديل الوحيد هو العنف).



[رويتر، ١٩٩٧/١٢/٤م].

لكن هل هناك أمل في أن تعود الانتفاضة من جديد؟ تدل المؤشرات وتقارير كثير من المراقبين على استبعاد هذا الخيار حاليًا، ولكن هل ستبقى الأوضاع على ما هي عليه؟ لا يمكن أن يبقى الناس مكتوفي الأيدي وهم يعانون من شتى ألوان الظلم، لا نريد أن تكون نظرتنا للأمر سوداوية، لكن الأوضاع الحالية في أكثر بلاد المسلمين ـ وليس فقط في فلسطين ـ لا تدل على أن الوضع

سيتغير سريعًا. ولكننا متفائلون بالمستقبل ـ إن شاء الله ـ، وقد علمتنا أمة محمد ﷺ على امتداد العصور أنها أمة حية لا تموت.

الإسلام هو البديل:

في الآونة الأخيرة ارتفع رصيد حركة حماس وشعبيتها بصورة كبيرة لم تخطط حماس لها، خصوصًا بعد محاولة اغتيال (خالد مشعل) رئيس المكتب السياسي لحماس في عمان، وما أعقب ذلك من إطلاق الشيخ أحمد ياسين. من ناحية أخرى فإن ممارسات السلطة وتكشُّف فضائحها المالية وأنواع الفساد الأخرى، والوضع العام المزري أدى ذلك كله إلى وجود فجوة بين السلطة وبين الناس، وهناك حالة من الفراغ، تصب في خانة الإسلاميين.

ولا شك أن التيار الإسلامي هو الغالب على الساحة، ولكنه مع شعبيته وقوته يصعب أن يكون البديل السياسي القوي في الأوضاع الحالية. فالوضع في داخل فلسطين شديد الصعوبة ولا يمكن أن تسمح (إسرائيل) ولا الولايات المتحدة بل ولا الدول الأخرى بقيام كيان إسلامي في فلسطين.

الإسلاميون والدور المطلوب؟

لسنا في مقام من يوجه ويصحح ويعلم بقدر ما يذكر وينصح ، وإنما بضع همسات لعلها تساهم في الوصول إلى أهدافنا التي نصبو إليها.

إن هذا التخطيط اليهودي والصليبي الحاقد يتطلب من المسلمين أمورًا مهمة وعلى رأسها:

١ ـ الحرص على بقاء (إسلامية) المعركة: لقد حرص اليهود منذ عشرات السنين على إقصاء البعد الإسلامي عن قضية فلسطين، فقد نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية[1] مقالاً جاء فيه «إن على وسائل إعلامنا ألا تنسى حقيقة مهمة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، وهي أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا (!) في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال الثلاثين عامًا، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدًا عن المعركة إلى الأبد، لذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل وبأي

---

(١) في ١٨/٣/١٩٧٨م.



أسلوب». هذا الخوف والهلع كان يسيطر من قبل على زعيم اليهود ورئيس وزرائهم الأول دافيد ابن غوريون الذي قال «إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد».

وانظروا إلى صورة من المخططات اليهودية في محاولات اقتلاع الإسلام من النفوس. لقد اعتمدت إسرائيل سياسة تجفيف المنابع الإسلامية مقلدة في ذلك بعض الأنظمة، وعلمت السلطة الفلسطينية بقوة في هذا الاتجاه، وقد أخذت هذه السياسة صورًا كثيرة في وسائل التعليم وإمامة المساجد وإلغاء الجمعيات الخيرية. فقام اليهود بتأميم المساجد الواقعة تحت السيطرة اليهودية في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م، ويشرف على ذلك يهودي عراقي في وزارة الأديان يسمى (موسى بن حاييم) حيث لا يتم تعيين أي إمام قبل أن يجري مقابلة مع (موسى حاييم) الذي يتقن العربية، ويحذر أي إمام من تبني مواقف وأفكار لا توافق عليها إسرائيل. كما حُرِمَ المسلمون من أي وسيلة إعلامية فاعلة في الأراضي التي يسيطر عليها اليهود.

٢ ـ سلامة الإعداد والتخطيط: لا ينبغي للجزئيات والتفاصيل أن تستغرقنا فننسى هذه الأهداف البعيدة، وعلينا أن نخطط بصورة جيدة؛ فالعدو لا ينام وقد غلب علينا في حياتنا ومواقفنا العشوائية ورفع الشعارات المدوية والعواطف المتأججة وردود الأفعال، بينما الأعداء يخططون ويكفينا مثلاً مؤتمر بال بسويسرا.

٣ ـ إعطاء التربية اهتمامًا أكبر: على الإسلاميين ـ خصوصًا حماس ـ أن يحملوا على عاتقهم مسؤولية إذكاء جذوة الإسلام في النفوس والدفاع عن الإسلام وتربية الشعب عليه، وفي المرحلة الحالية قد لا يكون الخيار العسكري هو ما نستطيعه، إذن فلا بد أن نربي الناس على معاني الجهاد وسلامة المنهج وعندما يأذن الله فسنحرر فلسطين وغيرها من رجس يهود والأذناب، وهذا الأمر يعتبر في أعلى قائمة الأولويات.

٤ ـ عدم الخوف من أعداء الله، وقد أعطت حماس الأمة دروسًا في هذا الباب في قهر العدو وكسر حاجز الخوف النفسي، حتى أظهر الله ضعف اليهود في مواطن كثيرة، وما محاولة اغتيال رئيس

المكتب السياسي لحركة «حماس» الأخ خالد عبد الرحيم مشعل التي نفذها رجال الموساد الإسرائيلي عنا ببعيد، فقد فضحت هذه المحاولة أسطورة قوة الموساد التي توحي للناس بشكل أو بآخر بأنها قادرة على كل شيء.

نعم نجح الأعداء في إسكات الانتفاضة، ثم لجأوا إلى محاولات إخماد جذوة الحمية والحماس في النفوس ودعمتهم السلطة في هذا الأمر. وهذا يتطلب إبقاء جذوة الحماس وروح الغيرة والجهاد في النفوس حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

٥ ـ إحياء رسالة المسجد لمقاومة التيارات المنحرفة الجارفة إعلاميًا وثقافيًا وأخلاقيًا.

٦ ـ توحيد الصفوف والبعد عن الشقاق، وإحياء أدب الخلاف كما كان بين السلف. وكم نتمنى أن تتوحد الجهود الموجودة على منهج سليم. مع العلم أن الكثيرين يراهنون على انشقاق حماس ويتمنون أن يدب الشقاق بين أبنائها.

٧ ـ علينا أن نزرع الثقة والأمل في نفوس شعوبنا بأن المستقبل للإسلام ـ بإذن الله ـ، ونبين ذلك بالأدلة الشرعية حتى لا تيأس الأمة. إننا نعاني الآن من الضعف والفرقة والعدو يملك ميزان القوة العسكرية حاليًا ولكنها فترة وجيزة ومحنة سنتجاوزها ثم تتغير الأحوال بإذن الله.

ونود أن نشير إلى أنه قد صدر عن بعض الإسلاميين تصريحات غير منضبطة إسلاميًا، ونحن نقدر عاطفتهم الإسلامية وغيرتهم والجهود التي قاموا بها ولكن لا بد من الانضباط، ومن هذه الأمور مواقف البعض من السلطة. أو قول بعضهم نحن مستعدون للعيش مع اليهود أحسن عيشة في أخوة (!) وتعاون وتعايش بشرط ألا يلتهموا حقوقنا.

يا إخوتاه .. لا شك أن الطريق طويل ولا بد فيه من الفتن والصبر عليها، إنه طريق طويل وصعب نعم ولكنه هو الطريق الوحيد المستقيم. والله سبحانه لا يسألنا عن النتائج وإنما علينا أن نعمل ونغرس حتى لو كان هذا للجيل القادم وجنده القادمين ـ بإذن الله ـ ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** [البقرة: ٢٨٦]، ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ١٠٥].



محور جديد..
بروز الوفاق التركي ـ الإسرائيلي

بقلم: دانيال بايبس

عن ذي ناشيونال إنترست «الاهتمام القومي»، خاص بمجلة البيان «بالاتفاق مع المجموعة الإعلامية الدولية ـ الولايات المتحدة».

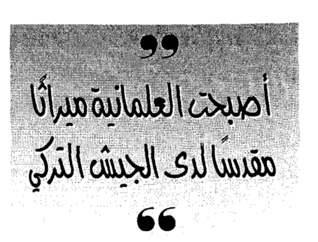
في «سنكان» وهي إحدى ضواحي العاصمة التركية أنقرة رعى مجلس البلدة مهرجانًا من أجل تخليد ذكرى «يوم القدس» وحوت منصة المهرجان صورة كبيرة لفتحي الشقاقي، واندفع السياسيون والنشطاء بالإضافة لضيف شرف المهرجان وهو السفير الإيراني في تركيا في إلقاء كلماتهم المتوقعة والتي تُلاقي استقبالاً حسنًا، وهذا المهرجان عادة ما يجذب القليل من الاهتمام ضمن المسار العادي للأحداث، إلا أن الأمور لم تمض في مسارها المعتاد في تركيا في فبراير المنصرم، ففي اليوم التالي للمهرجان صرح أحد المسؤولين العسكريين رفيعي المستوى لأحد مراسلي صحيفة (الحرية) قائلاً «لقد تابعت الاجتماع في سنكان، ولقد ذعرت مما شاهدته»، وفي اليوم التالي أرسل الجيش تشكيلة من العربات العسكرية في أرجاء البلدة، ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد، حيث اعتقل وزير الداخلية عمدة البلدة وطرده من منصبه. وتم إخبار السفير الإيراني أن «إسرائيل صديقتنا، ولا يمكنك التحدث عنها بهذا الشكل». وتم طرده فعليًا من تركيا مما دفع طهران لطرد السفير التركي ردًا على ذلك.

إن هذا مذهل بحد ذاته، فهل يعقل احتلال بلدة لأنها احتفل بيوم القدس؟ وهل يعقل اعتقال عمدة وطرده من وظيفته لتصريحاته المعادية لإسرائيل؟ وكيف يمكن أن يكون هناك شجار دبلوماسي حول عداء سفير للصهيونية؟ كل هذا لا يمكنه أن يحدث في الشرق الأوسط في أي مكان عدا تركيا. وهي البلد المسلم الوحيد الذي يحتوي على مؤسسة قوية ترفض وبشكل تام العداء لإسرائيل بل وتدعم نواة صلبة من المشاعر المتعاطفة مع إسرائيل. إن الأحداث في سنكان تشير إلى تطور استراتيجي شديد الأهمية وهو قوة الاصطفاف التركي الإسرائيلي وما يوحي ذلك من إمكانية تغيير الخارطة الاستراتيجية للشرق الأوسط، وإعادة صياغة التحالفات الأمريكية هناك وتضاؤل عزلة إسرائيل الإقليمية.

البيان

مراحل الصعود والهبوط:

تعود العلاقات بين تركيا وإسرائيل إلى مايو ١٩٤٩م، بعد أقل من عام على قيام إسرائيل؛ وذلك عندما اعترفت أنقرة بالدولة اليهودية. وفي الواقع فإن العلاقة التركية ـ الإسرائيلية في تلك الفترة كانت رمزية رغم مخاوف جعلتها ذات محتوى، إلا أنه لم يكن لديها الكثير من ذلك. وتضاءلت العلاقات بعد حرب ١٩٧٣م عندما رضخت تركيا لسلام النفط العربي وأبعدت نفسها عن إسرائيل. ولقد حسنت تركيا وإسرائيل من تعاونهما الاستخباري وبشكل هادئ بعد اجتياح إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢م إلا أن العلاقات الرسمية والعامة بقيت باردة. ولقد أسعد مسار أوسلو الذي بدأ صيف ١٩٩٣م أنقرة كثيرًا؛ حيث كان رد فعل تركيا على «المصافحة» بأن أرسلت أخيرًا سفيرًا إلى إسرائيل. وبعد ذلك مباشرة قام وزير الخارجية التركي بزيارة غير مسبوقة لإسرائيل؛ حيث وقعت الدولتان خلال السنة التالية على ثلاث اتفاقيات وتبع ذلك المزيد من الزيارات رفيعة المستوى. وفي فبراير عام ١٩٩٦م أقامت إسرائيل أول اتصال عسكري لها بدولة ذات أغلبية مسلمة عندما وقعت على اتفاقية تدريب عسكري تسمح من



خلالها لسلاح الطيـران الإسرائيلي بالتحليق في الأجواء التركيـة. وفي المحصلة فإن الطرفين وقعا على ثلاثة عـشر اتفاقية. ثم جاءت أحداث يـوليو ١٩٩٦م، وجلبت معها احتـمالية ضربة قاتلة لـهذه العلاقـة المزدهرة وذلك عندما أصـبح نجم الدين أربكان رئيس وزراء تركـيا وهو الأصولي المسلم الذي ينظر إلى إسرائيل بنفس المنظور الذي ينظر به القادة الإيرانيون، ويتكلم عن إسرائيل كونها «العدو الأبدي» وهو يحذر من «إســرائيل كبرى» تمتد من النيل إلى الفرات ويلقي باللوم على «مـؤامرة صهيـونية» فيمـا يتعلق بمشاكل تركـيا الاقتـصادية. وفي الوقت الذي تسلم أربكان منصـبـه، فإن التـعليقـات الإخـبارية بدأت تتنبـأ بأنه سـوف يقوم بإلغـاء الاتفاقيات التركيـة الإسرائيلية الحديثة. ولو كانت تركيا كبقـية دول الشرق الأوسط فإنه كان بإمكانه أن يحـقق وعوده بلا شـك. فمن بإمكانه، بعـد هذا كله، أن يسـاند الروابط مع الدولة اليهودية في مواجهة رئيس وزراء مصمم على انهائها؟

رجال اتاتورك؟

إلا أن تركيا مخـتلفة، والميراث العلماني لكمال اتاتورك مـؤسس الجمهورية التركـية هو إبرز عناصرها. ولقـد تمكن اتاتورك في فتـرة بسيطة هي خمـسة عشر عامًا (١٩٢٣ ـ ١٩٣٨م) من تقوية نظام من الأفكار المتحدثة التي ليس لها نظيـر في العـالم المسلم حـتى اليـوم، ولقـد تراجعت تركـيـا ككل عن الميـراث الأتاتوركي بشكل كبير خـلال العقود الستة الماضية، إلا أن مـؤسسة واحدة لم تتغـير. فالهيـئة العسكرية المؤلفـة من خمسة وثلاثين ألف ضـابط عسكري لا تزال تحافظ على هذا الميراث كـوديعة مقدسة. لذلك لم يـكن من الغريب عندما وصل أربكان وحزب الرفـاه للحكم في يوليو عام ١٩٩٦م أن العسـاكر الأتراك اخـتاروا أن يجـعلوا إسرائـيل إحدى النقـاط المركزيـة في خلافـهم الواسع مع الأصوليين. ولم يصروا فقط على المحافظة على هذه العـلاقات بل على تقويتها كذلك.

البيان

لقد حصل الجـيش على هذا الحق؛ لأن الدستور منحه دورًا سيـاسيًا، ويفسر ذلك سـيفيك بيـر المتحدث الـدؤوب والذي يشغل منصب نائب رئيس هيـئة الأركـان: «إننا نتصـرف وفق الدستور التركي بشكل صـارم. حيث يشير البند الثاني أننا دولة علمانـية، ويشير البند الرابع

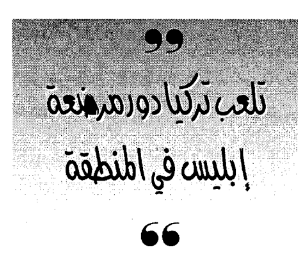
أن هذا النص لا يمكن تغييره، ولقد أعطانا البرلمان مسؤولية حماية الأراضي التركية وحماية الجمهورية التركية. في الولايات المتحدة وبريطانيا ليس من مهمة الجيش الدفاع عن النظام السياسي، أما في تركيا فإن هذه المهمة معطاة لنا من قبل القانون. وتشير الأدلة إلى أن أربكان أرغم على الاستقالة في ١٨ يونيو، وهو حدث يشار إليه داخل تركيا غالبًا «لي أنه انقلاب» هادئ أو «صامت».

توسيع العلاقات :

ونظرًا للدور الذي يلعبه الجيش التركي في السياسة، فإن العلاقات العسكرية برزت في لب العلاقات التركية ـ الإسرائيلية الجديدة. واتسعت هذه العلاقات بشكل ملحوظ منذ أحداث سنكان. ولقد سافر رئيس هيئة الأركان في الجيش التركي إسماعيل حقي كاراداي إلى إسرائيل في نهاية فبراير ١٩٩٧م، في أول زيارة لمسؤول عسكري تركي رفيع المستوى. ثم زار وزير الدفاع التركي ترهان تايان إسرائيل بعد ذلك، وبحلول الجزء الأول من ١٩٩٧م، فإن جميع الضباط الكبار لكلا الطرفين قد التقوا ببعضهم البعض. وعلى مستوى أدنى، يجري هناك حوار استراتيجي بشكل سنوي تقريبًا، وفي يونيو الماضي بدأت السفن التركية بزيارة الموانئ الإسرائيلية، والنتائج الكاملة لهذه التبادلات المكثفة ورفيعة المستوى ليست علنية بالطبع. إلا أن الإعلانات الرسمية والمتحدثون المساعدون يشيرون إلى أن هذه النتائج تشمل خمسة جوانب رئيسة.

أولاً: مجال تحديث الأسلحة. حيث تقوم شركات التصنيع الجوي الإسرائيلية بتحديث أربعة وخمسين طائرة فانتوم تركية من طراز (F-4E)، وهي قاذفة من فترة حرب فيتنام. وهذا أكبر جزء من العديد من الاتفاقات التي أبرمت بين شركات الدفاع التركية والإسرائيلية وهو بقيمة ٦٣٢,٥ مليون دولار. حيث أن طائرة «فانتوم ٢٠٠٠» سوف تمتلك قوة ضاربة محسنة وكذلك مجالاً أكبر للمناورة بالإضافة إلى أساليب رؤية والكترونيات أفضل. وتسعى إسرائيل كذلك لتحديث الدبابات التركية البالية (م ـ ٦٠) الأمريكية الصنع.

ثانيًا: شراء المعدات. بعض الأسلحة (مثل صواريخ بوبا ١) يتم الحصول عليها من خلال تحديثات الفانتوم ويتم شراؤها بشكل منفصل. وبالإضافة لذلك فقد عبرت تركيات عن اهتمامها بالصاروخ الدفاعي (السهم) وبأنظمة الإنذار المبكر لطائرات الفانتوم، وبنطام رادار من أجل الكشف عن الألغام البلاستيكية والتقليدية. بالإضافة إلى أسيجة رادارات من أجل إغلاق الحدود التركية مع سوريا والعراق (لمنع تسلل حزب العمال). وتأمل إسرائيل أن تزود تركيا بألف دبابة ميركافا مارك (٣)، وهي الدبابات الرئيسة للجيش الإسرائيلي، بتكلفة ٥ بليون دولار.



ثالثًا: الإنتاج المشترك؛ حيث اتفق الطرفان على استثمار ١٥٠ مليون دولار من أجل إنتاج المئات من صواريخ بوبا (٢) والحديث جار حول مشروع إنتاج صواريخ (دالية) بعيدة المدى.

رابعًا: التدريب. حيث يتعلم الطيارون الأتراك والأطقم حول الحرب الالكترونية في إسرائيل بينما يحصل الطيارون الإسرائيليون على منفذ للامتدادات الشاسعة في الأناضول من أجل التدريب على الطيران بعيد المدى فوق الأراضي الجبلية (وهو يختلف جدًا عن الطيران فوق الماء ويخدم كاستعداد محتمل لمهمات ضد إيران). وفي خطوة مثيرة أعلنت كل من أنقرة والقدس عن خططها لتدريبات بحرية ثلاثية مع الولايات المتحدة ولمدة خمسة أيام. أطلق عليها اسم (الحدود المعتمدة)، وكان من المفروض أن يتم إجراؤها في أواسط نوفمبر ١٩٩٧م، ولقد كان أمر إقامة هذه التدريبات مثيرًا ومفاجئًا للعديد من الدول في المنطقة لدرجة أنه تم تأجيل إقامتها مرتين، ومن غير الواضح من هو الطرف الذي طالب بالتأجيل وما الأسباب وراء ذلك؟

خامسًا: التشارك الاستخباري. حسب تقرير صحفي تركي (وتم إنكاره من قبل وزير الدفاع التركي) فإنه عندما أفلست ألمانيا الشرقية فإن الأسلحة السوفيتية الصنع تم تحويلها لجمهورية ألمانيا الفيدرالية، والتي بدورها زودت إسرائيل بثلاث طائرات ميغ ـ ٢٩. حيث شاركت إسرائيل المعلومات التقنية حول الميغ ـ ٢٩ (وهي أحدث طائرة حربية تمتلكها سوريا)

مع الأتراك. ويسود الاعتقاد أن الإسرائيليين يستغلون طيرانهم في الأناضول قريبًا من سوريا والعراق وإيران؛ وذلك من أجل جمع المعلومات حول هذه الدول المعادية. وبالإضافة للجانب العسكري المكثف، فإن للعلاقات التركية ـ الإسرائيلية أبعادًا أخرى، ولكن ليس بنفس الديناميكية والتفصيل، وتشمل ما يلي:

التجارة: حيث يتم التوقيع على اتفاق لمنطقة تجارة حرة تركية إسرائيلية في مارس ١٩٩٦م . حيث يتوقع أن تساهم في ارتفاع التجارة إلى أربعة أضعاف ما هي عليه خلال ثلاث سنوات من ٤٥٠ مليون إلى٢ بليون دولار.

النقل: يقال إن الطرفين قد وقعا على اتفاقية للنقل الأرضي والتي ستكون موضع تنفيذ فقط بعد «تطبيع» العلاقات في المنطقة، أي بعد حدوث تغير في سوريا وهي الجسر الأرضي بين البلدين يسمح بالتجارة عبر أراضيها. وحتى بدون النقل الأرضي فإنه ليس هناك نقص في النقل بين البلدين؛ حيث زار تركيا في السنة الماضية حوالي ٤٠٠ ألف إسرائيلي (ما يعادل ٨٪ من السكان) وأنفقوا ما يعادل ثلاثة بلايين دولار. (وبشكل آخر مثير، فإن الخطوط الجوية التركية هي ثاني أكبر ناقل من تل أبيب وإليها، بعد شركة الطيران الإسرائيلية العال).

المياه: حيث تتركز الاقتراحات التركية حول «أنانيب السلام» والأفكار الإسرائيلية حول «قناة السلام» حول نقل المياه العذبة من تركيا إلى إسرائيل. ولم تثمر أي من هذه الخطط وذلك لرفض السلطات السورية مرور هذه المياه من أراضيها. ويجري الآن النقاش حول أساليب أخرى لنقل المياه بالرغم من ضخامة تكاليفها.

الديانة: حيث أعلن مفتي أستنبول في أول زيارة لوفد ديني تركي لإسرائيل في إبريل ١٩٩٧م أنه «ليس هناك اعتراض إسلامي ديني على وجود دولة إسرائيلية» وهو ليس بالتصريح التقليدي لرجال الدين. وتبدو الدولتان غير متأكدتين حول الكيفية التي يجب بها تصوير هذا التعاون المتزايد. فأحيانًا نجد التشديد على المحتوى السلمي وفي أحيان أخرى نجد التلويح بالجانب الحاد لهذا التعاون. ويناقض القادة الأتراك والإسرائيليون أنفسهم فيما يتعلق بسوريا؛ حيث يصرون أحيانًا أن تعاونهما ليس موجهًا ضد طرف ثالث.

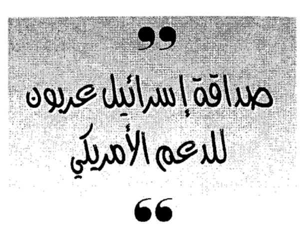


لماذا التغيير؟



ليس هنالك أي تغيير جوهري فيما يتعلق بالحوافز الإسرائيلية الرئيسة حيث سعت إسرائيل منذ أيام دافيد بن غوريون إلى علاقات أفضل مع تركيا كإسفين يتم من خلاله كسر أطواق عداء الدول المجاورة الناطقة بالعربية، ويبقى السؤال المطروح: لماذا يسعى الأتراك وهم يتعاملون مع مد ديني يجتاح العالم المسلم قاطبة إلى علاقات وثيقة كهذه مع إسرائيل؟ وتنقسم الإجابة على هذا السؤال إلى قسمين يدعم كل منهما الآخر وهو الميل العام والاحتياجات العملية. فبالنسبة للجزء الأول، فإن الأتراك يستذكرون العلاقات السابقة مع اليهود بشكل أفضل من العلاقات مع العرب. حيث صرح وزير الدفاع التركي على سبيل المثال «أنه لم يكن لدينا أي مشاكل مع إسرائيل والأمة اليهودية عبر التاريخ» وهو شيء لا يمكنه وهو غير قادر على قوله بإمانة فيما يتعلق بالعرب. وتشترك تركيا وإسرائيل فيما يطلق عليه المحلل الآن ماكومشكي «شعورًا مشتركًا بالاختلاف عن الأنظمة الديموقراطية العربية التي تهيمن على المنطقة». أضف إلى ذلك أن المؤسسة العسكرية التركية ودولة إسرائيل تشتركان في مقدمة سياسية فريدة كونهما أقوى مؤسستين معاديتين للأصولية في المنطقة.

ولدى تركيا كذلك مشاكل إقليمية لم تحل بعدُ مع دولتين عربيتين مجاورتين وكلاهما عدو قديم لإسرائيل؛ ففي حالة العراق فإن تركيا لم تتخل عن مطالبها القديمة لمنطقة الموصل. حيث أعاد الرئيس ديميريل هذه المطالب إلى الحياة مرة أخرى في مايو ١٩٩٥م عندما أعلن أن «الحدود خاطئة» وقال بأن «هذا الأمر يجب تصحيحه». وتبقى المشكلة الرئيسة هي سوريا، حيث ما زالت الحكومة السورية تطالب وبإصرار بمقاطعة تركية كاملة وهي (حاتاي) كملك لها. وتظهر الخرائط الرسمية السورية حاتاي كجزء من سوريا. إلا أن المشاكل مع سوريا تتعدى النزاع حول الأراضي. حيث تطالب دمشق بحصص أكبر للمياه المتدفقة من الفرات واعترضت بشدة على المشاريع المائية التركية التي تنقص مع حصة سوريا في هذه المياه. ولتركيا كذلك مصالح مشتركة مع إسرائيل. حيث أن قبرص اليونانية لا تزال تمثل مشكلة



بالنسبة لأنقرة فهي أيضًا كذلك موضع قلق للقدس نظرًا لتواجد العديد من المجموعات الفلسطينية هناك. وبالنسبة لإيران فإنه منذ الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م فقد سعى النظام الإيراني لتدمير إسرائيل ولقيام جمهورية تركية إسلامية في آن واحد، وتكتسب تركيا قوة من خلال عملها مع إسرائيل كونها مجاورة لثلاث دول عدوانية. ولو أن حافظ الأسد ابتدأ العدوان ضد تركيا فإن عليه أن يقلق من إسرائيل التي تلاحقه من ناحية الجنوب. ولتركيا كذلك مصالح من وراء ذلك في مواجهة اليونان؛ حيث عبَّر أحد المحللين الصحفيين عن ذلك بقوله أن الروابط مع إسرائيل قد أبطلت مفعول بعض الأوراق الرابحة التي حاولت الحكومة اليونانية لعبها ضد أنقرة».

وتكسب إسرائيل كذلك في أوقات الحرب من غير اشتراك تركي مباشر كما يوضح مايكل ايزنستادت: «بإمكان الجيش التركي أن يحشد قواته على الحدود مع سوريا. وهذا سيؤدي إلى تقييد الاحتياط الاستراتيجي السوري وبإمكان تركيا أن تسمح للطائرات الإسرائيلية المعطوبة بالهبوط في القواعد التركية وتقوم بتحرير المعلومات الواردة من الطيران الاستطلاعي. وهذا سيدفع سوريا إلى إعادة صياغة أنظمة الدفاع الجوية. وفي البحر، فإن بإمكان تركيا أن تسمح لإسرائيل بالعمل من خلال القاعدة البحرية في الأسكندورنة أو في المناطق المحظورة في المياه التركية قريبًا من سوريا مما يدفع بسوريا لتوزيع أسطولها».

وهذه الشراكة التركية الإسرائيلية الجديدة مناسبة على المستوى الدولي كذلك. حيث تسعى تركيا إلى مصدر يمكن الاعتماد عليه فيما يتعلق بالمعدات العسكرية ذات التقنية العالية. وبالنسبة للأتراك وهم غريبون نسبيًا في واشنطون فإن لديهم الآن حليفًا ذا اتصال ويتوقعون منه الكثير؛ حيث صرح أحد المحللين الأتراك قائلاً: «العديد من الأتراك يؤمنون أن عربون الصداقة مع إسرائيل يعني الحصول على الدعم الأمريكي».

البيان



الردود:

في الوقت الذي يؤكد فيه كبار الزوار على أن تركيا وإسرائيل هما «الدولتان الديموقراطيتان الوحيدتان في المنطقة» فإن العلاقة بينهما لا يمكن اعتبارها خيارًا ديموقراطيًا. ويشير بعض الإسرائيليين إلى أن القوات المسلحة التركية هي التي أصرت على كثرة الاتفاقات مع إسرائيل وليس الحكومة. ويقدر المحللون الأتراك والإسرائيليون الاحتمالات المهمة لهذه العلاقة الجديدة. حيث يكتب الصحافي التركي اللامع سامي كوهين قائلاً: «إن هذا التحالف الغني قد غير من ميزان القوى الاستراتيجي في الشرق الأوسط الغني بالنفط». ويصف صبري سيلري وهو محلل سياسي هذه العلاقة بأنها «أهم علاقة عسكرية» في الشرق الأوسط. أما وزير الدفاع الإسرائيلي السابق موشيه أرينز فيراها بأنها «تغيير مهم في جيوبوليتكية الشرق الأوسط» ويصفق معظم الغربيين بصراحة لهذه التطورات؛ حيث وصفتها النيويورك تايمز بأنها «أقوى صداقة عسكرية في الشرق الأوسط». أما نشرة (Defens News) فتصفها بأنها «حركة رائعة ترفع الأمن التركي والإسرائيلي لدرجة لا يمكن عمليًا التعرض لها». ولقد دعمت إدارة كلينتون بصلابة حليفيها الرئيسين في الشرق الأوسط وهما يشكلان هذه الشراكة وينبغي الإشارة بذلك. حيث صرح مسؤول وزارة الخارجية في تصريح غير مألوف في رعونته «أن من الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة أن تقوم تركيا وإسرائيل بتحسين تعاونهما العسكري وعلاقاتهما السياسية. وإذا لم يعجب ذلك بعض الدول العربية فإن ذلك أمر حلف. «إلا أن الإزدهار في العلاقات التركية الإسرائيلية قد أصاب العديد من الخصوم الإقليميين بفجع شديد. حيث اتهم وزير الخارجية السوري فاروق الشرع تركيا وإسرائيل بتشكيل «تحالف عسكري». أما وكالة الأنباء الليبية فقد عبرت عن قلقها إزاء «حلف عسكري مشبوه» يهدف لسرقة «النفط والمصادر المائية». أما الإيرانيون فحددوا مخاوفهم بقدرة الإسرائيليين الآن على استهداف منشآتهم النووية. أما حزب العمال الكردستاني فقد صور باستهزاء رئيس هيئة الأركان التركية على أنه «خادم مدني لإسرائيل».

إن الرباط التركي الإسرائيلي في حال استمراره في مساره الحالي سوف يؤدي إلى تغيير الخارطة الاستراتيجية للشرق الأوسط. والسؤال هو هل سيؤدي لاستقرار أم بلبلة في المنطقة؟ مبدئيًا، هذا التحالف قد يؤدي لمزيد من المشاكل، وكمثال للعنف الذي قد يسفر عن ذلك قام فلسطينيون بإلقاء زجاجة مولوتوف في الحديقة الأمامية للقنصلية التركية في القدس الشرقية في أوائل مايو، ثم قاموا بإلقاء سائل سريع الاشتعال على سيارة القنصل التركي. وتشير تقارير الأنباء أن بشار ابن حافظ الأسد قد اجتمع بزعيم حزب الله حسن نصر الله «واتفق الاثنان على مهاجمة أهداف تركية» وتم فتح الحدود العراقية السورية وهي التي كانت مغلقة لمدة سبعة عشر عامًا نتيجة اعتراف أسدي حزب البعث حافظ الأسد وصدام حسين أنهما يواجهان تحالفًا مهددًا مشتركًا.

البيان

أما على المدى البعيد، فإن الروابط التركية الإسرائيلية القوية ستؤدي إلى استقرار المنطقة من خلال قيامها لردع كردع عسكري مهول ضد أي عدو محتمل، ومن المحتمل أن ثمار ذلك قد بدأت بالظهور حيث تشير تقارير الصحافة العربية إلى أن سوريا قررت عدم الدخول في تحالف استراتيجي مع إيران خوفًا من أن «يؤدي ذلك لزيادة التنسيق ما بين أنقرة وتل أبيب ضد دمشق» مما يؤدي إلى مزيد من العزلة. وتوفر المشاركة التركية الإسرائيلية العديد من الميزات لشراكة إقليمية مكونة من حلفاء ديموقراطيين وذات توجه أمريكي؛ وذلك خلافًا للحكام الأوتوقراطيين الذين اعتمدت عليهم واشنطن لخمسة عقود كما هو الحال في أوروبا. وفي حال تم تنمية هذا التحالف بحذر، فقد، ينضم إليه الأردن كذلك بالإضافة لبعض الدول لاحقًا. والنتيجة النهائية هي الهدف الذي استقصي تحقيقه من بين الأهداف إلا وهو: شرق أوسط مسالم.



المرتدون.. لا بواكي لهم

إن تكفير الكتَّاب، والدعوة إلى حرقهم، وحرق كتبهم وجرجرتهم إلى المحاكم، والتحريض على قتلهم، وتطليق زوجاتهم، أصبحت مهام «مقدسة» لمشايخ «مباحث» الإيمان التي تحظى بجرأة في ذبح المطبوعات لا تحظى بها أجهزة الذبح الرسمية، إنها تفرض القهر، فمن سوى الله يلهمنا الصبر!!

إن الصراع لن يتوقف بين الكاتب والرقابة، بين النور والعتمة، بين الإبداع والفاشية، بين اللحم والسكين، ومهما كانت شراسة الصراع، فإن البقاء في النهاية للأصل، للأمل، للحرية.

[عادل حمودة ـ مجلة روز اليوسف عدد (٣٦٣٤)].



أستبعد احتمال إطاحة صدام حسين بسهولة، إن مثل هذه العملية تتطلب وجودًا عسكريًا أمريكيًا بريًا على الأرض في العراق في حدود نصف مليون جندي!! ولكن.. هل الكونجرس مستعد لإرسال هذه القوات؟

مادلين أولبرايت ـ جريدة الحياة عدد (١٢٧٦٣).

مازال اليسار يحلم

رغم الصورة القاتمة للكرة الأرضية في ظل سيادة الرأسمالية المتوحشة، فما زلنا نمتلك القدرة على التفاؤل والأمل، ليس لأن اليسار هو التطلع إلى غد أفضل، وهو القدرة على الحلم والإصرار على تحقيقه، ولكن لأننا نلمح في وسط هذا الظلام بصيصًا من النور يأتي من هنا وهناك.

مجلة اليسار عدد (٩٥)

كوسوفو.. إلى المحرقة:

أ ـ مع بداية المواجهات الشديدة ومقتل العشرات من مسلمي كوسوفو على يد القوات الصربية رفع الاتحاد الأوروبي حظر السفر عن خمسة من الزعماء الصرب المتشددين إلى دول الاتحاد.

ب ـ أعربت دول الاتحاد الأوروبي عن قلقها إزاء التطورات، وأصدرت الولايات المتحدة بيانًا حول المواجهات خلا من انتقاد السلطات الصربية.

ج ـ إن زعيم صرب البوسنة السابق (رادوفان كاراجيتش) وقائده العسكري (راتكو ملاديتش) كانا رمزًا لكفاح التحرير العادل للشعب الصربي، ولن نتدخل في تسليمهما إلى محكمة لاهاي؛ لأنهما أحرار في تقرير مصيرهما بنفسيهما.

[بيليانا بلافيتيش رئيسة صرب البوسنة ، (جريدة الحياة عدد ١٢٧٨٣)].

وأنعم بها من سلام!

في أكبر سابقة في العلاقات الدبلوماسية بين مختلف دول العالم سجلت إحصاءات الاحتجاجات الرسمية الإسرائيلية ضد مصر منذ إقامة علاقات دبلوماسية معها في عام ١٩٧٨م حتى الآن الرقم القياسي في تاريخ الدبلوماسية العالمية، حيث سجلت إدارة الوثائق بالخارجية الإسرائيلية حتى منتصف فبراير ١٩٩٨م أكثر من ٥ آلاف احتجاج إسرائيلي ضد السلطات المصرية، وتقدمت مصر بنحو ١٩٤٠ احتجاجًا ضد الممارسات والأنشطة السياسية والأمنية ضد المصالح وكبار الشخصيات المصرية منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية معها حتى الآن.

[جريدة الوطن الكويتية عدد (٧٩١٥)].

بابا.. للمسلمين

كلما قام البابا يوحنا بولس الثاني برحلة خارج الفاتيكان تملكني خليط من الإعجاب والحسرة، الإعجاب بالجهد الذي يبذله الرجل في الدفاع عن المسيحية والمسيحيين رغم تقدمه في السن (٧٨ عامًا) ورغم اعتلال صحته.

والحسرة لأن المسلمين ليس لهم «بابا» يدافع عنهم ويرعى شؤونهم.

[فهمي هويدي، مجلة المجلة عدد (٩٤٠)].



كوبنهاجن..

مُسعر حرب في ذكراه الأولى

أ - إذا كان لتحالف كوبنهاجن من إنجاز فإنه لا يتعدى إشعال الحرب الأهلية بين المثقفين العرب، وأسوأ ما فيه، هو أن العناصر التي تزعمت الدعوة إليه، كانت في السابق من أبرز عناصر الجبهة الداعية لاستخدام سلاح وقف التطبيع كسلاح تفاوضي في ظل الصراع العربي الإسرائيلي، فجأة.. ومن دون سابق إنذار انتقلت هذه المجموعة إلى الجبهة الأخرى.

[صلاح عيسى، معارض لتحالف كوبنهاجن].

ب - إن الذي يتصور أن الخلاف في الرأي يمكن أن يصل إلى حد الحرب الأهلية يكون متخلفًا وغير قادر على الاختلاف، ولا يستحق البقاء.

[لطفي الخولي أحد مؤسسي التحالف - جريدة الحياة عدد (١٢٧٨١)].

الحصاد الاجتماعي للعلمانية

عدد المواطنين العرب الذين يعيشون تحت خط الفقر يراوح بين ٦٥ مليونًا، و٧٣ مليون نسمة، و١٠ ملايين لا يجدون الغذاء الكافي، و٦٠ مليون أمي.

[تقرير مؤتمر العمل العربي جريدة الحياة ـ عدد (١٢٧٨٢)].

فواتير الرخاء.. والسداد لمن؟

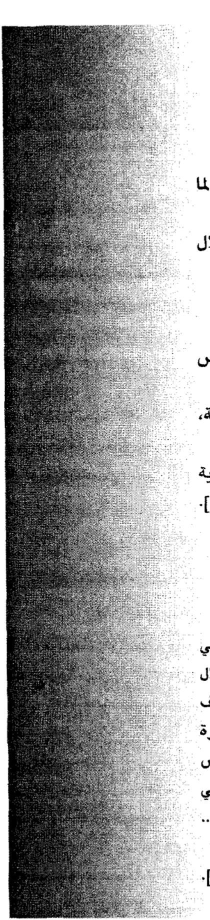
أ - إن على اليابانيين أن يفعلوا شيئًا لإنقاذ اقتصاد آسيا، وليس الولايات المتحدة، إن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تستمر كقائد وحيد للتجارة العالمية يقدم العون للدول الأخرى، ولا أحد لديه إناء لا ينفد من الذهب.

[وزير التجارة الأمريكي وليام ديلي].

ب - إن الولايات المتحدة ستفرج عن مساعدات للكيان الصربي قيمتها ٦٥ مليون دولار.

[مادلين أولبرايت]

(جريدة الخليج الإماراتية عدد ٦٨٥٣).



سؤال مباشر.. وإجابة ..!!

س: من يذبح في الجزائر، ومن يتحمل المسؤولية المعنوية لما يجري؟

ج: الأمر بكل وضوح، أن من يتبنون الذبح من خلال منشوراتهم خارج البلاد هم من يتحملون المسؤولية.

س: تقصد الجماعة الإسلامية المسلحة؟

ج: هم من يتحملون هذا.

س: ما مدى سيطرة المؤسسة العسكرية على رئيس الجمهورية؟

ج: رئيس الجمهورية أصلاً من أبناء المؤسسة العسكرية، والتي لولاها لتمزقت الجزائر إربًا إربًا.

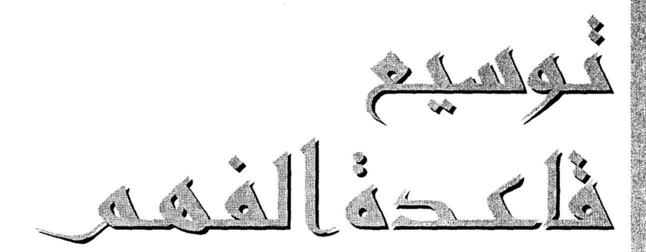
[الشيخ محفوظ نحناح في حوار لجريدة الرأي العام الكويتية عدد ١١٢٠٩].

دولة عرفاتية.. ورقية

من كل قلبي أريد قيام الدولة الفلسطينية، لكني لا أضحك على نفسي وأقيم دولة على الورق لا كيان لها، دولة محاصرة تحت الاحتلال بحدودها المغلقة وجيش أجنبي يحتلها ولنفرض أن الدولة قامت واعترف بها العالم، فما هي تلك الدولة التي تخضع في كل صغيرة وكبيرة لإمرة السلطات الإسرائيلية؟ الدولة الفلسطينية يجب أن تقوم على أرض فلسطينية حرة لا سيطرة لغيرنا عليها، وهنا فقط سأشارك بكل قواي في بناء هذه الدولة، لكن لن أشارك في بناء دولة ممسوخة تخدم الاحتلال.. هذه ليست دولة.

[الشيخ: أحمد ياسين، جريدة الحياة، عدد، ١٢٧٨٦].





توسيع قاعدة الفهم

بقلم: د. عبد الكريم بكار

لم تكن الحاجة ماسَّة إلى الفهم العميق في يوم من الأيام كما هي اليوم؛ فالمعلومات متوفرة إلى حد التخمة، وصار الفارق الواضح بين إنسان وآخر يتمثل في مقدرته على الفهم، والاستفادة من تلك المعلومات على نحو حسن. وهذا لن يتم إلا من خلال امتلاك مركَّب عقلي جديد، ذي بنية متميزة. ومهمة التربية أن تساهم في تكوين تلك البنية وصقلها. وسنذكر هنا بعض المسائل ذات العلاقة بذلك:

أ ـ إن أول عمل علينا أن نقوم به هو أن نقلع الأشواك من الأرض الطيبة التي نريد أن نزرعها. كثيرًا ما نعمد إلى محاولة تلقين الطلاب بعض المبادئ المنطقية، أو نشرح لهم بعض أساليب التفكير؛ وعند النظر في مدى التأثير الذي يتركه ذلك في تصحيح تصوراتهم نجد أنه محدود جدًا. وقد رأينا كثيرًا ممن يدرِّس علم (المنطق) وكثيرًا ممن درسه، ورأينا أن تفكيرهم يفتقر إلى بعض البدهيات التي يحتاجها التفكير القويم! ولذا فإن من الصحيح أن

يركز المربي في البداية على إلقاء الأضواء الكاشفة على الأفكار والرواسب السابقة، والمفاهيم والعادات العقلية والنفسية التي تحول دون الرؤية الصحيحة[1]، مثل التعصب والمبالغة والرؤية النصفية، والميل إلى التبسيط، والانغلاق، والخضوع للمقولات الشائعة، والتعامل مع الواقع على أنه كتلة صلدة... وأعتقد أن أثر الأسرة في هذا لن يكون كبيرًا؛ حيث إن هذه المسائل أعقد من أن ينتبه إليها الأشخاص العاديون؛ وإنما المعوَّل في ذلك على الوسائل الإعلامية والمناهج المدرسية والمجالس والندوات الفكرية.

ب ـ إن تقدم العالم كان في الأغلب عن طريق (الأزمات) وإن القفزات العلمية والإبداعية جاءت في الأغلب من خلال الاصطدام بمشكلات كبيرة ومحيرة. الذين استطاعوا تجاوز العقبات والإتيان بالمبهر العظيم، ليسوا أولئك الذين استسلموا للمقولات والمفاهيم السائدة في الساحة العلمية، ولا أولئك الذين يتبرمون بالنتائج التي خالفت توقعاتهم، وفروض بحوثهم؛ وإنما أولئك الذين يملكون العقل المنظم الذي يهش ويبش في وجه المسائل المحيرة والمعضلات الغامضة، ويمنحها الرعاية والملاطفة؛ حتى يجد مخرجًا أو برهانًا يثبتها على محك التجربة والاختبار[2]. إن كثيرًا من أفكارنا لن يبلغ حده الكافي من التبلور والنضج إلا إذا اغتبطنا بالحقائق التي لا تتطابق مع ملاحظاتنا وفروضنا الأولية؛ حيث من خلالها نستطيع إدخال تعديلات على أفكارنا، ونجعلها أكثر ملاءمة للتقدم، وأقرب إلى الدقة والصواب. نحن بشر وتحليلاتنا وملاحظاتنا، ستظل قابلة للتشذيب والتطوير، ويجب أن نعلِّم أطفالنا وطلابنا هذه الحقيقة، ونُريهم من خلال الوقائع والمواقف التطبيقات التي تجعلها تتغلغل في (اللاشعور) منهم.

ج ـ قالوا قديمًا: نصف عالم أضر على الأمة من جاهل. وهذا من الحكم الرائعة؛ لأن الجاهل يملك بعض الأخلاقيات، مثل التواضع وحب المعرفة، والقدرة على الاستماع دون مقاطعة. أما نصف العالم، فإن لديه قدرة على تكرار الألفاظ، وطرح الفروض المبتذلة والدارجة، وعنده حظ من الغرور والتعالم؛ ولذا فإنه يسدل حجبًا سميكة على عقله، فلا

(١) حاولنا في كتاب «فصول في التفكير الموضوعي» تسليط الضوء على شيء من ذلك.
(٢) قاموس جون ديوي للتربية: ١٣٠.

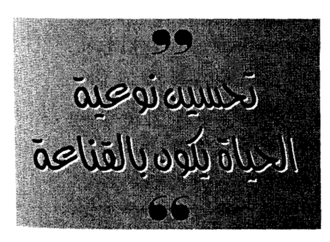
يتقبل الأفكار الجديدة، ولا يملك من الحماسة ما يكفي لتطوير مفهوماته وطروحاته.

إن توسيع قاعدة الفهم، يتطلب منا أن نؤكد دون ملل على ضرورة وضع معارفنا وأفكارنا في موضعها الصحيح من جسم المعرفة البشرية المنظمة، والسائدة اليوم، وأن ننظر بجدية إلى خطورة ما نجهله حول كل قضية من القضايا المعاصرة. وأرى في هذا السياق أن قدر العالم وفضله لا ينبعان من كثرة ما يعرف، وإنما من حدسه بما لا يعرفه وتقديره له، وأخذه بعين الاعتبار عند إصداره الأحكام.

إن صاحب الفهم الصحيح، يحاول دائمًا أن يجعل أفكاره متساوقة مع حجم البراهين المتوفرة لديه، فعلى مقدار صلابة المعلومات والبراهين تكون صلابة الأفكار ودرجة الوثوق بها. وإذا نظرنا في واقع عالم الأفكار لدى كثيرين منا، وجدنا أن درجة الوثوق واليقين كثيرًا ما تكون متقدمة على ما هو متوفر لديهم من أدلة وبراهين ومعلومات؛ مما يجعلهم في حالة دائمة من الاضطراب والتشوش، ومما يجعل خيبة الأمل حليفة لهم!

البيان

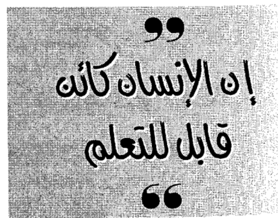
د ـ حتى تتسع قاعدة الفهم لدى الناشئة، فلا بد من إكسابهم (المرونة) الفكرية، وسرعة استيعاب المتغيرات الهائلة التي تجتاح العالم. إن شاب الغد يحتاج إلى أن يكون مستعدًا للتنقل الجغرافي من أجل طلب الرزق، فمنطق العصر هو (الترحال) بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى. ويجب أن يكون أيضًا مستعدًا لتغيير اختصاصه ومهنته بحسب ما يتوفر من فرص العمل. وبحاجة إلى تغيير مفاهيمه عن أشياء كثيرة محيطة به[1]. وهذا كله يحتاج من الشاب أن يمتلك المرونة الفكرية والنفسية. لعل مما يساعده على اكتساب هذه المرونة أن ينظر إلى أن الاستجابة للتغيير ليست عبئًا خالصًا؛ فهي بما تتطلبه من التكيف، تخلص الإنسان من الملل والسأم، وتخلصه من كثير من الواقع السيئ الذي يعيشه؛ فالتغيير حين يقوده مسلم، يكون ـ بإذن الله ـ نحو الأحسن والأفضل.



(١) العرب وعصر المعلومات: ٣٩٤.

مما يسهم في تكوين المرونة الذهنية لدى الأطفال، جعلهم يدركون جملة الفروق والاختلاف بين بني البشر، وأنه لا يمكن جعلهم نسخًا مكررة بعضهم عن بعض في كل أمر؛ بل إن الله ـ جل وعلا ـ خلقهم مختلفين ليكمل بعضهم بعضًا على جميع المستويات: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]. ففي الاختلاف ثراء وتنوع وإخصاب وتعاون، وهو عامل أساسي في توازن الحياة العامة. إن فهم الناس العميق للحياة، بكل ما فيها من تعقيدات وتشابكات بهدي من المنهج الرباني، وبتبصير من الخبرة، سوف يخفف إلى حد بعيد من الشعور بالألم، ومن التلاوم، وسوف يجعل أحلامهم ممكنة، وخيالهم معقولاً بعقال ما يمكن توقعه؛ أي سيكونون أقرب إلى الحكمة. وكما كان يقول (نيتشة): «إن النمو في الحكمة يقاس بدقة بانخفاض المرارة»(١).

ولا ينبغي أن نهمل في هذا الصدد مساهمة معرفة حدود (الجائز والممنوع) في مسألة المرونة؛ فحين يتضح للمرء بجلاء ما هو جائز، ويتميز عما هو محظور وممنوع، فإنه يقبل بجرأة كل الأشياء التي تدخل في حيز المباح، مهما كانت صورها وأشكالها، ومهما كانت غريبة وغير مألوفة. ومشكلة معظم الشعوب المتخلفة خلو خبرتها ووعيها من الجذور الفاصلة بين الجائز والممنوع ـ على المستوى القانوني على الأقل ـ؛ حيث إن لديها إلى جوار كل قانون مكتوب قانونًا غير مكتوب؛ مما جعل لدى الناس أنواعًا من الخوف غير المسوَّغ، وأحدث حالة من الإحجام المبهم، كما أنه تسبب في تورط بعض الناس في أمور، كانوا يظنون أنها من قبيل المباح: وهذا هو السر الأكبر القابع خلف سلبية الإنسان لدينا!



مما ينمي خبرة التفريق بين الجائزات والممنوعات، أن نستمع بأذن صاغية، وبعقل

(١) قصة الفلسفة: ٤٩٤.

مفتوح لكل ما يُطرح من أفكار، وأن نتقبله على أنه اجتهاد، ما لم يصادم إجماعًا أو نصًا قطعيًا؛ فالأفكار لا تنضج، ولا تتبلور ما لم تلكها ألسنة المناظرة. من خلال الحوار والنقاش والمفاتحة، ومن خلال الوقوف على الأهواء والأخطاء، بنصر طريقنا إلى المنظور الكلي الذي هو الحقيقة. ولا ريب بعد هذا وذاك في أن سعة الفهم، لا تؤدي إلى الاتفاق في الآراء، لكنها تمنح الأساس للاختلاف، أي تجعل الاختلاف مؤصلاً واضحًا، وتجعل ما يتم من اتفاق متينًا؛ لأنه يقوم على قواعد فكرية ومنهجية صحيحة. ونستفيد من ذلك التسامح والتعاطف المتبادل في حالة الاختلاف، والتعاون والمشاركة في حالة الاتفاق.

إن الإنسان كائن قابل للتعلم، بل إن الإنسانية كلها، تظل تتعلم باستمرار، وإذا تملكتنا هذه الفكرة، فسوف نعرف كيف نكتسب المرونة، وكيف نستخدمها في تحسين نوعية الحياة. البيان

هـ ـ إن الهدف الأساسي من كل ما نتلقاه من تعليم وتدريب، ليس أن نتمكن من سرد المعلومات عن ظهر قلب، ولكن أن نحاول ترشيد أحكامنا العقلية، التي نستند إليها في كل القرارات التي نتخذها في جميع مجالات الحياة. وهذا يعني أن على التربية والتعليم استهداف تكوين (العقل المثقف) وهو ذلك الذي اجتاز عددًا كبيرًا من حالات التدرب على التفكير المستقيم، والذي يستطيع استخلاص نموذج خاص وملامح محددة من خلال استعراض عدد كبير من وجهات النظر المختلفة في المسألة الواحدة. وهذا يعني الاطلاع على مقولات كثيرة في الموضوع الواحد، وتدريب الذهن على الاستفادة من تلك الموضوعات في بلورة رؤية خاصة متماسكة[1].

«الفارق بين إنسان وآخر هو القدرة على الفهم والاستيعاب»

(١) انظر الثقافة الفردية وثقافة الجمهور: ٨٣.

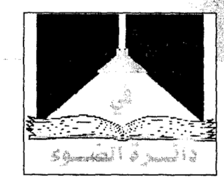
كان أفلاطون يرى أن من الضروري أن يكون للعقل نوع من الاستقلال النسبي عن الوسط الذي يعيش فيه[1]. وهذه الوضعية ـ في تصوري ـ مما يجب أن تشملها جهود توسعة قاعدة الفهم، وتربية العقل المثقف؛ إذ إن توحد عقول الناشئة مع الأوساط والبيئات التي يعيشون فيها، سيؤدي بهم إلى أن يصبحوا (إمَّعات) لا يحسنون سوى التقليد، لكن حين يشجعون على إبداء وجهات نظر مغايرة لما هو سائد، فإنه سيتكون لديهم عقل ناقد، وسيكون ذلك مصدرًا لتجديد متوازن. إن تثقيف العقل وتدريبه على إصدار الأحكام، يشبه تقوية العضلات، حيث يمكن بعد تقويتها أن نستفيد منها في أي عمل يتطلب القيام به استعمالها. إنه يمكن تنمية (العقل المثقف) بطرق عديدة، منها تهذيب قوى الملاحظة المميزة، وتقوية ملكة المنطق ليتمكن الفرد من تتبع الحجة نقطة بعد أخرى، وبالعمل على إنضاج القدرة على المقارنة.

البيان

إن بإمكان الدراسات اللغوية والعلوم الطبيعية أن تنمي عادات الملاحظة الدقيقة، وإن الرياضيات هي المدرب التقليدي لملكات التفكير. أما التاريخ والدراسات الأدبية، فهي تسهم في تنمية القدرة على الحكم[2].

(١) الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس: ١٣٨.

(٢) المصدر السابق: ١٣٩.



صراع الحضارات أم هيمنة الحضارة الغربية؟

بقلم: د. محمد يحيى

اتسع نطاق الجدل في الآونة الأخيرة حـول المقولة التي عرفت باسم: «صراع الحضـارات» والتي ولدت من خلال دراسة لأستـاذ جامعي أمريكي هو «صـمويل هنتنجـتـون» سعى فـيـهـا من وجـهـة نظره إلى تحليل الوضع العـالمي تحليـلاً استراتيجيًا مـستقبليًا على ضوء التغيرات في السنوات الماضيـة فيما كان يعرف بالاتحاد السوفـييتي والكتلة الشرقيـة أو الشيوعية، وهي نفس المتـغيرات التي ألهمت زميل له هو «فرانيس فوكرياما» بتكوين مقولة حول «نهاية التاريخ» كان لها هي الأخـرى نصيب في إثارة الجدل والنقـاش. وقد انطلق «هنتنجـتون» من واقع زوال القطب الشـيوعي في الحـضارة الغـربية إلى طرح افـتراضـات حول المسار الذي سوف تأخذه السياسـة الدولية مع الدخول في القرن الميلادي الواحد والعشـرين، وانتهى إلى أن الحـضارة الغـربية (التي رأى أنهـا تشمل الشـعوب البيضاء أو ذات الأصل القوقازي، والمسيحية الديانة، والأوروبية الفكر والثقافة) سوف تواجه بخصم عنيـد محتمل في المستقبل القـريب يطرح تحديه على خلفية حضارية ثقافية تتحرك أمامها التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل والعـسكرية وهذا الخصم هو بـالمقام الأول الحـضارة الإسـلاميـة ثم الحضـارة الآسيوية الشرقية أو الكتلة البوذية.

وذهب «هنتنجتـون» أو مفسروه إلى أن التنافس والصـراع سوف يكون طابع العـلاقة بين الحـضارات المذكـورة ليس فـقط حول النفـوذ السيـاسي والاقـتـصـادي بل أيضًـا حول ـ وبـسبب ـ الـثقـافـة والقـيم الـحـضـارية والاجتماعية والعقائد الدينية والمذاهب الفكرية.

وقد أثارت هذه المقولة فور ذيوعـها ردود فعل عديدة كان أغلبهـا على الجانب الصحفي السطحي المتسم بالعصبـية. وكـان أول وأبرز ردود الفعل هذه، وهو ما سـبق لكاتب هذه السطور أن تعـرض له، أن صدرت بيانـات وتصريحات ودفـاع من جانب رمـوز إسلامـية رسمية في بلدان معينة تنفي أن يكون الإسـلام يسعى للمواجهة والصراع، وتؤكد أنه يريد التعـاون والمشاركـة مع الغرب، وراحت هذه الأصـوات تعيـد تكرار المقولات المألوفـة التي نسمـعها كلمـا اتهم الغرب الإسـلام بالتعصب أو التـطرف أو الإرهاب من أن الإسلام دين تسامح ومحـبة واحترام واعـتراف بالآخرين. ورأى كاتب هذا المقـال أن رد الفعل هذا كان المقـصود بدايةً عـن الترويج الإعـلامي الغـربي لمقولـة «هنتنجتـون». حـيث بدا أن الدوائر السيـاسية والإعلاميـة في الولايات المتحـدة بالذات أرادت أن تخـرج من الدول الإسـلامية ولا سيما الواقعة تحت نفوذها بتطمينات حول نوايا المؤسـسـات والتوجهات الإسلامية نحو الغرب بـعد أن كثـر الحديث حـول ما يوصف بخطر الـتوسع الأصولـي الإسلامي. أي أن الهدف من الترويج الدعائي للمقولة على نطاق شعبي كان حثًا على رد فعل دفاعي اعتذاري من الجانب الإسـلامي ينكر فيـه هذا الجانب أية نوايا عدوانيـة ضد الغرب، ثم يـلتزم علنًا وأمـام العـالم بالموقف الفكري والعـملي الذي يـريده الغـرب من المسلمين ألا وهو مـوقف الانضمام إلى توجـهات الغرب وعلمنة الفكر والعقيـدة الإسلامية وتغريبـها إلى الحد الذي تصبح فـيه مماثلة لما عند الغرب من عـقائد، كمـا تصبح فيه مـألوفة مأمـونة الجانب لدى الجمهور الغربي. إذن كان الترويج الواسع لمقولة صراع الحضارات على المستوى الإعلامي مدبرًا ليقوم الجانب الإسلامي برد فعل يخدم الغرب.

لكن هذا الرأي ـ على وجـاهتـه ـ لم يمس المقولـة نفسـها قـدر مـا لمس أحد الجـوانب السياقية في ترويجها الإعلامي. ومقولة «هنتنجتون» تحفل بالجوانب التي تثير الفكر، ولعل أول هذه الجوانب هو سبب اختـراع أو تصور خصم مستقبلي للحضـارة الغربية بعد زوال الخصم السوفييتي ولكن مع الفارق؛ لأن الخصم الشيوعي كان خصمًا من داخل الحضارة

ذاتها؛ بينما الخصوم المطروحون هم من خارج تلك الحضارة؛ إلا إذا فسرنا الحضارة الصينية واليابانية على أنها متأثرة فكريًا وثقافيًا بالغرب سواء في شيوعية الصين، أو في انغماس اليابان في التكنولوجيا المادية ذات الأصول الغربية. إن هذه الرغبة في خلق أو تصور الخصوم قد تبدو غير مفهومة إلا إذا تصوَّرنا وجود نية عدوانية دفينة لدى دوائر أمريكية سياسية وفكرية تريد التعبير عنها من خلال اختلاق الأعداء لإعلان الحرب عليهم والتنفيس عن هذه الرغبات العدائية.

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة فإذا أردنا أن نكسب طرح «هنتنجتون» مصداقية فكرية أكبر لجاز لنا القول إن اختراع وتصور الأعداء والخصوم المستقبليين بعد زوال خصوم الماضي يدل على رغبة عارمة لإثبات الذات والهوية، ولا يتأتى هذا إلا بمثول منافس وخصم عنيد أمام هذه الذات والهوية تثبت وجودها وجدارتها في الوقوف أمامه والتسابق والتنافس ثم الصراع معه، ولعل «هنتنجتون» هنا يعيد بوعي أو بدون وعي مقولات «هيجل» المشهورة في الفكر الغربي حول الذات والآخر وإثبات الذات لوجودها فقط من خلال الصراع مع الآخر. وهناك جانب ثقافي عملي آخر لعملية اختراع الخصوم أو الأعداء وهو محاولة بث الحيوية والنشاط واستنهاض الهمة في الحضارة الغربية بالتحذير من وجود أعداء خطرين على الأفق والتلويح بهم؛ ذلك أنه قد ساد الإحساس في العقود الأخيرة وبالذات في دوائر السياسة والأكاديمية الأمريكية اليمينية المحافظة بأن الحضارة والثقافة الغربية تتعرض للانهيار والتدهور والتآكل من الداخل لا سيما على المستويات الأخلاقية والإنتاجية (بل لقد اتخذ انهيار الكتلة الشرقية نفسه على أنه من علامات هذا الانهيار)، وإزاء هذا التصور المقلق بوجود تدهور ذاتي داخلي في هذه الحضارة كان رد الفعل الطبيعي بالنسبة للدوائر المدافعة عنها هو اختلاق عدد خطير وتحد كبير يقف خارج هذه الحضارة والتلويح بهذا الخطر والعدو كوسيلة لحث واستثارة طاقات الفعل والاستجابة والنهضة الثقافية عند أبناء الحضارة الغربية ليتجاوزوا الضعف والتآكل.

> كانت الردود على النظرية اعتذار وبيان للموافقة على علمنة الفكر والعقيدة

يمكن القول من هذه الزاوية: إن مقولة صراع الحضارات لها جانب قد نسميه بالسياقي، ونعني به: أن لها دوافعها وبواعثها في إطار السياسات والأوضاع الثقافية في الغرب وبالتحديد لدى دوائر أمريكية ذات نفوذ تريد الحفاظ على الهوية الحضارية الغربية وتجديد حيويتها وقدراتها النزالية التنافسية بطرح خصوم المستقبل الألداء، وإفهام أبناء الحضارة أنه إذا كان العدو السوفييتي وكتلته قد زالا فإن هناك على الأفق من الخصوم الأشد (وهم على المستوى الحضاري ذاته) الذين ينبغي الحذر منهم، والاستعداد لدفع كيدهم، والتقوي والنهضة لاحتمالات المنافسة والصراع معهم. ولكن إثبات الذات والهوية في وجه تحدي الآخر قد لا يكفي هو الآخر لتفسير مقولات «هنتنجتون» واستقصاء جوانبها وأبعادها لا سيما أن الآخر المطلوب التحذير منه ليس كله وهمًا مختلقًا بل له صفات تستحق التأمل فيها. إن قائمة أعداء وخصوم متنافس الغرب تستحق الدراسة.

وأول ما يلفت النظر في هذه القائمة أنها ليست على مستوى واحد من الطرح فهي تجمع بين خصوم واقعيين فعليين قائمين (الحضارة الآسيوية الناهضة أو البوذية أو الصينية اليابانية) وخصوم محتملين ليسوا سوى إمكانية قد تتحقق أو لا تتحق (الخصم الإسلامي) كما تخلو منها أسماء حضارات وثقافات قائمة ذات قوة نووية مؤكدة وقوة اقتصادية ذات إمكانات قوية (الهند، إسرائيل، البرازيل، جنوب أفريقيا وكتلة الدول الموالية)، فلماذا نجد في مقولة صراع الحضارات قوى قائمة ومؤكدة قد وضعت بجانب قوى محتملة على قائمة الخصوم؟ ثم لماذا تخلو القائمة من قوى أخرى مؤكدة؟ قد يقال في تفسير هذا الأمر الأخير أن تلك القوى المحذوفة لا تمثل خطرًا على الحضارة الغربية في المستقبل حتى لو تسلحت بالأسلحة الذرية وملكت زمام القوى الاقتصادية الكبيرة، فالعلاقة مع إسرائيل اليهودية أوضح من كل بيان؛ والبدهي أن أمريكا تعتبر هذا الكيان امتدادًا لها

وسط الساحة العربية الإسلامية؛ فإسرائيل قوة مضافة لصالح الحضارة الغربية حتى ولو كانت يهودية الدين سامية الأصل عبرانية اللغة شرق أوسطية الموقع، فهي بمثابة الطليعة الزاحفة للجيش أو الحصن المتقدم. أما البرازيل فربما يقال إنها بنت الغرب بدينها الكاثوليكي ولغتها البرتغالية وتلاحمها الاقتصادي العضوي مع قارتها التي تعتبر من لواحق الغرب. ولا ننسى أن مقولة «هنتنجتون» تقيم أساسها على أطروحات العرق والأصول الأوروبية، وينطبق الشيء نفسه على جنوب أفريقيا حتى على الرغم من الكلام الكثير الذي قيل حول إنهاء نظام سيطرة الأقلية البيضاء؛ لكن البلاد تبقى مرتبطة بالحضارة الغربية على مستويات أعمق من العرق هي اللغة والمسيحية والاقتصاد.

لكن الهند الهندوكية الآسيوية تبقى هي اللغز في الاستبعاد من قائمة الخصوم. فلماذا استبعدت الهند وهي دولة نووية التسلح فيما يقول الغرب نفسه، وهم كذلك يقولون لنا إنها قوة اقتصادية ناهضة تشبه في عدد سكانها وطبيعة نشاطاتها الاقتصادية (بل تفوق) ما تسمى **باقتصاديات النمور الآسيوية**؟ لماذا استبعدت الهند ووضعت الصين واليابان وقوى آسيوية أخرى على قائمة خصوم الغرب المحتمل أن يتصارعوا معه؟ هل ذلك لأن قوة الهند الذرية والاقتصادية هي قوة مكرسة علنًا ضد المسلمين حول الهند في بنجلاديش وباكستان وشمالها في وسط آسيا بل وإلى إيران والخليج أو نزولاً إلى ماليزيا وإندونيسيا؟ وإذا كانت الهند مستبعدة من قائمة خصوم الغرب في القرن القادم برغم أنها ليست قوة غربية وبرغم إمكاناتها العسكرية والاقتصادية الهائلة فقط لأنها قوة ستنهض بدور المواجهة للإسلام حولها؛ فماذا يدلنا ذلك عن مقولة صراع الحضارات؟ إن الدلالة الواضحة هي أن تلك المقولة لا تنبني فقط على مبدأ الدفاع عن الحضارة الغربية والانتصار لإثبات ذاتها وهويتها بل إنها تقوم أيضًا على منطلق ديني معاد للإسلام يقبل بأن يتحد الغرب الأبيض المسيحي الأوروبي الثقافة مع حضارة سمراء هندوكية شرقية آسيوية ولا يتخذ منها خصمًا محتملاً رغم إمكاناتها القوية الواضحة؛ لا لشيء إلا لأن هذه الحضارة أو الثقافة قد حددت بالفعل استراتيجياتها للمواجهة؛ بحيث تتصادم لا مع الغرب (أمريكا أو روسيا أو أوروبا) بل مع الكتلة الإسلامية المجاورة لها بل وقد تتصادم كذلك مع الكتلة الصينية التي يخشاها الغرب وكان قد سبق لهم صدام من قبل.

وإذا عدنا إلى قائمة الخصوم كما تحددها مقولة صراع الحضارات فسوف يستوقفنا المزج كما قلنا بين القوى الموجودة بالفعل والقوى الموجودة فقط بالاحتمال النظري غير المؤكد؛ مع إعطاء الأولوية في الخطورة ودرجة التحذير لهذه القوى الأخيرة، ونعني بها الإسلام. فالتركيز يجري على الخطر المحتمل من جانب الحضارة أو التيارات الإسلامية قبل أي شيء آخر؛ رغم أن هذه التيارات تعاني من ضعف شديد أو على الأقل تعاني من هجمة شرسة ليس فقط من جانب الغرب بل من جانب أنصار وعملاء الغرب داخل الدول الإسلامية نفسها سواء أكان هؤلاء من التيارات العلمانية المتغربة أو من الدوائر الحاكمة. وهنا يثور التساؤل: لماذا يوضع الإسلام الجريح ـ كدول وتيارات ـ موضع الخطر الأسمى وهو مجرد احتمال قوة؟ بينما لا تذكر القوى الفعلية المؤكدة التي يعاني منها الغرب بالفعل الآن إلا في المرتبة الأخيرة، وربما على سبيل العرض أو لإعطاء الانطباع بأن الإسلام لا يستهدف وحده؟ إن وجود إجابة على هذا السؤال من الأهمية بمكان، إذا كان الأمر قضية تحذير حقيقي من خصوم سوف يجري معهم الصراع في السنوات القادمة كما يقال؛ فلماذا لا يتصدر القائمة الخصوم

> كيف أسقطت النظرية طروحات اللادينيين في البلاد العربية!؟

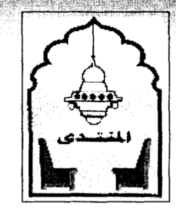
والمنافسون القائمون فعلاً ويتصدرها خصوم محتملون بدرجة ضعيفة؟ إن الشكوى الآن في الغرب هي من المنافسة الاقتصادية الطاحنة من جانب الصين واليابان وسائر الاقتصاديات الآسيوية الناهضة مما يهدد حقيقة وفعلاً ربحية الصناعة والتجارة الغربية ويهدر قدرتها على المنافسة، بل إن الشكوى كانت وما زالت قائمة من التنافس الاقتصادي الشديد داخل الكتلة الغربية ذاتها (ألمانيا في مواجهة دول أوروبا الغربية وأوروبا الغربية، في مواجهة أمريكا... إلخ) فلماذا والحالة هكذا ينحّى هؤلاء الخصوم القائمون الفعليون ويصدَّر الإسلام للعداوة وهم لم ينافس ويصارع الغرب بعدُ بدرجة تمثل أي تهديد؟ وربما يقال إن هؤلاء الخصوم اقتصاديون أساسًا في تهديدهم بينما تهديد الإسلام المحتمل أو

منافسته هي على المستوى الثقافي الحضاري أو العقائدي الأوسع وهو ما يهم الغرب في الجوهر على الرغم من إعلاء شأن المادة والنقد والاقتصاد في الحضارة الغربية. وأيًا كانت الحال فإن وضع الإسلام بالذات منفرداً على أول قائمة الحضارات التي سيجري الصراع معها من جانب الغرب في المستقبل القريب على الرغم من وجود خصوم يفترض أنهم أجدر منه بتلك المكانة لذو دلالة.

يدل هذا الوضع المنفرد على أن تصور الغرب للصراع القادم يراه عقائديًا في جوهره وليس كما يذهب العلمانيون في الأقطار العربية الإسلامية اقتصاديًا ماديًا وإن كان بالطبع ينطوي على هذا الجانب. كما يدل أيضًا على أن الإسلام كدين وعقيدة مستهدف بذاته وليس أيضًا كما يذهب العلمانيون وكارهو الإسلام في بلادنا إلى أنه قد استهدف بالعداوة من الغرب بسبب تصرفات من يسمون بالمتطرفين أو الأصوليين أو الإرهابيين على الجانب الإسلامي. لقد أصبح من المقررات الثابتة في هذه الأيام أن نسمع ونقرأ تصريحات لمسؤولين كبار ورموز دينية تبرئ الغرب من تهمة العداء للإسلام واستهدافه وترمي باللوم على المسلمين الذين أتوا ـ في زعم هذه التصريحات ـ من الأفعال المتطرفة والمشوِّهة لصورة الإسلام ما جعل الغرب يخشى الإسلام ويعاديه، لكن هذه المزاعم تفضحها وتنقضها مقولة صراع الحضارات، فمهما بلغت شراسة ما تسمى بأفعال التطرف (ونلاحظ أن معظمها ينصبُّ على داخل المجتمعات الإسلامية ذاتها وليس على الغرب مباشرة) فإنها لا تسوِّغ أن يطرح أستاذ جامعي بحثًا علميًا يفترض فيه الموضوعية يضع الإسلام على رأس قائمة الأخطار المهددة للحضارة الغربية، ويسقط أو يقلل من الأخطار القائمة بالفعل من ثقافات وأيديولوجيات ودول وأنظمة قوية وقائمة. لا يمكن لأعمال التطرف وحتى الإرهاب أن تسوِّغ هذا الطرح كما يتبجح العلمانيون الذين يهتمون بالدفاع عن الغرب وتسويغ توجهاته أكثر بكثير مما يهتمون بالإسلام كما يدعون وإلا، فقد بدر من الصين مثلاً من الأعمال العدائية للأمريكان مثلاً في الماضي القريب ما كان يدعو إلى اتخاذها العدو الأول في الحاضر والآتي ومع ذلك تجد من يسوِّغون الصداقة والتعاون معها.

إن مقولة «هنتنجتون» حول صراع الحضارات آتت بنتيجة ربما لم تكن متوقعة منها وهي أنها أسقطت ودحضت أحد أهم طروحات اللادينيين في البلاد العربية في الوقت الراهن وهو أن المسلمين مسؤولون بسلوكياتهم عن إساءة صورة الإسلام في الغرب مما دفع الغربيين إلى اتجاه العداوة، ذلك أن طرح «هنتنجتون» عن الجوانب العميقة والجوهرية في علاقات الحضارات ولا يتوقف عند أعمال عنف أو تطرف هنا أو هناك على زعم صحتها، وهو إذ يتحرك على هذا المستوى الأعمق يصدق مع النفس (أي مع الذات الحضارية الغربية) ويرى أن الإسلام سوف يكون هو الخصم الأكبر للغرب وليس أي من الحضارات الأخرى. صحيح أن «هنتنجتون» يتحدث كسائر الصحف الغربية عن الإرهاب والأصولية والتشدد الإسلامي لكن كل هذه الدعاوى تبدو فجة وواهية بل وكاذبة إذا ما وضعت بجانب الحقيقة التي يدركها الجميع وهي أن الإسلام كقوة دولية فاعلة ومؤثرة ليس موجودًا الآن بالحجم الذي يسوِّغ كل هذا التهويل؛ لذلك تبقى الحقيقة أو الاستنتاج المنطقي بأن استهداف الإسلام بتسميته الخصم الحضاري للغرب لا ينطلق إلا من دافع العداء الصرف لهذا الدين والعقيدة. وهناك الدوافع التي ألمحت إليها من قبل باستنهاض همم الغربيين وحشد قواهم وتوجيهها ناحية العدو الخارجي وليس الداخلي مع إيجاد فرصة للذات الحضارية الغربية لكي تتحدد وتتجدد في مواجهة الآخر. وفوق هذه الدوافع نجد أن أطروحة «هنتنجتون» ترمي إلى مساعدة الدوائر الحاكمة في الغرب على تحديد استراتيجية للمستقبل بوضع العدو المحتمل أمام أنظارهم. وإذا تتبعنا مسار السياسات الغربية ولا سيما الأمريكية في الأعوام الأخيرة لوجدنا أن هذه الأطروحة قد أصبحت بالفعل تمثل النور الهادي والمرشد للتحركات الغربية عن عداء وملاحقة للإسلام ومن تحريض للأنظمة والدوائر التابعة على مواصلة هذه الملاحقة والاضطهاد للحركات الإسلامية. وهكذا تتحول الأطروحة النظرية إلي واقع عملي منظور.

وما تزال مقولة صراع الحضارات تجلِّي لنا من الجوانب الكاشفة الشيء الكثير الذي ينتظر البحث في مقال قادم بإذن الله.



دعوة النساء

مما لايخفى على المراقب لأوضاع الدعوة الإسلامية ونشاطاتها ـ في المجال النسوي ـ أن هناك ثمة أخطاء وسلبيات لا بد من إلقاء الضوء عليها في محاولة للنهوض لأداء دورها الفاعل في المجتمع. وتجنبًا للإطالة فإنه يمكن أن ألخص ما أريده فيما يلي:

١ – غياب الترتيب والتنظيم في النشاطات الدعوية والاعتماد على:

- الارتجالية في العمل .
- عدم الاستفادة من الخبرات القديمة.
- عدم محاولة التطوير لما هو أحسن.

٢ – مركزية القرار عند من يتخذ القرار، وعدم استعمال مبدأ الشورى وغياب مفهوم التفويض مما يؤدي إلى:

- ضياع طاقة الممسكين بزمام الأمور في أعمال قد يستطيع أي فرد آخر أقل منهم قدرة أن يقوم بها.
- تربية الأفراد على التبعية وعدم تأهيلهم للإمساك بالزمام فيما بعد. وهذا يقودنا إلى نقطة مهمة.. أن معاشر الفتيات لا يربين! وليس هناك خطة لتربيتهن تربية جادة لاستغلال طاقاتهن في إطار إمكانياتهن وداخل حدودهن. وواقع الفتيات أن كل من تلتزم منهن بالطريق الصحيح تصبح كنباتات البر كلاً ينمو على حدة، كلاً له غذاؤه وكلاً له مساءه، وكلاً له طريقته.

٣ – غياب القدوات الحية التي تقوم بدور المغناطيس الذي يجذب كل من حوله؛ وذلك أن كل فكرة أو عقيدة لا بد لها من شخص يؤمن بها ويجعلها أسلوبًا لحياته؛ فتتطلع أنظار الناس إليه وتتعلق به وبما يملك؛ لأنه يعيشها واقعًا حيًا يراه الناس، وليست كلمات مجردة في خطب قد تكون مؤثرة ولكن ينتهي دورها عند غياب صوتها وهذا الغياب الذي طبع النشاطات بطابع الفوضى حيث لا توجد محاولة للانتقاء.

٤ – ذوبان الأهداف العامة وعدم وجود إجابة محددة لسؤال مطروح:

- ماذا نريد؟ وكيف سنحققه؟

٥ – الاختلاف حول تطبيقات مفهوم قوله ـ تعالى ـ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] مما يجعل نشاطاتنا تقع ما بين مؤيد ومعارض بلا نقاط التقاء.. حيث يلتزم الفريق الأول بمفهوم الآية النصي، ويلتزم الفريق الثاني بقاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد.

ويقال إن المرأة نصف المجتمع بل كما تشير الإحصائيات الحديثة والدلائل النبوية أنها أكثر من ذلك. فهل نحسن الاستفادة من هذا النصف؟!

هند القحطاني



١ ـ استثمار مسؤولية الدعوة وحمل همّ تبليغ الدعوة إلى الناس فتكون شغلك الشاغل وعملك الدائم.

٢ ـ العمل في الدعوة على أكمل مناهجها وأشرف طرقها والاتصال بالعلماء الربانيين والدعاة وسؤالهم فيما يعسر عليك.

٣ ـ العمل بما يقوله العلماء العاملون.

٤ ـ السير في الدعوة بمناهج صحيحة والاستنارة بكتاب الله الكريم وسنة نبيه المصطفى الأمين ﷺ.

من أدب الصغار

بينما كنت ماشيًا بين أزقة المدينة وشوارعها رغبت في شرب الماء؛ فبحثت هنا وهناك علّي أجد ماء سبيل أرتوي منه، فأقبلت على أحدها فوجدت أنه قد سبقني غلام بشرب الماء، فانتظرت دوري فما كان منه لما رآني إلا أن ملأ الكوب ماءً وقدمه لي وقال: تفضل. حاولت أن أرده إلا أنه ألح بكل أدب فلما فرغت، شرب هو الماء بدوره وقد سمّى بالله، ثم حمده، ثم انصرف، تأملت في تصرف هذا الغلام وعجبت من أدبه وسمته، وقلت في نفسي: إن سلوكًا مثل هذا لا يمكن أن يأتي إلا من بيئته الطيبة وتأديب أبويه له، كيف لا، وهو في سن تكثر فيه الاهتمامات التافهة والتصرفات الطائشة. وكنت سألت ذات مرة بعض الشباب المراهق عن اهتماماتهم فقال أحدهم: إني أتمنى أن أركب سيارة بورش السباقية، وقال آخر: إني أتمنى أن أجمع أكبر قدر من الطوابع القديمة من مختلفة أنحاء العالم، وكذلك صور الفراشات الملونة. ثم توجهت بالسؤال إلى نمط من الشباب الصغار من ذوي التربية الناضجة فقال أحدهم: إني أتمنى أن أكمل حفظ القرآن الكريم كاملاً لأرضي ربي، وقال آخر: إن مشكلتي هي أني لا أقوم لصلاة الفجر فأتمنى من الله أن يعينني عليها، وآخر اهتماماته في القراءة، وآخر اهتماماته في علوم الفلك، عجبًا والله! أليس السن واحدًا؟ أليس مشربهم واحدًا ومأكلهم واحدًا؟ بلى! ولكن تأديبهم وتوجيههم ليس بواحد، فرق بين أب يحكي لأبنائه قصص السيرة النبوية وقصص السلف الصالح في جلسة عائلية رائعة، وبين أب يحكي لأبنائه آخر أخبار الفن والفنانين والرياضة والرياضيين، ما أجمل أن يسير الأب مع ابنه جنبًا إلى جنب إلى المسجد وقد حان وقت الصلاة، فالأب ينصح ابنه، والابن يوقظ أباه لصلاة الفجر! إنها صورة مشرقة تشترى بماء الذهب، لكنها لا تأتي من فراغ. قالوا قديمًا:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوّده أبوه

فمتى يصحو بعض الآباء من غفلتهم، وإلى متى يتركون أبناءهم هملاً هكذا، بل لعلك تجد أبًا يحرص على مستوى ابنه الدراسي حرصًا شديدًا لكنه لا يعير أدنى اهتمام لمستوى ابنه الإيماني والأخلاقي وكأن الدراسة أهم، أمّا الدين والخلق فهما أمران جانبيان، وليصاحب الابن من شاء فالمهم ألا يتأثر دراسيًا! منطق عجيب يتحلى به بعض الآباء، ولن يصحو مثل هؤلاء إلا عندما يكبر أبناؤهم ويقطفون ثمرة تربيتهم، وكيف لا يظهر العقوق؟ فمن ضعف دينه فليس للحياء والأدب مكان في قلبه.

أسامة عبدالرؤوف الجامع

---

٥ ـ على الداعية أن يكون قريبًا من الناس يتألفهم ويتودد إليهم بالأخلاق الحميدة والخصال الكريمة.

٦ ـ الصبر على تبليغ الدعوة والعمل بلا يأس ولا منّة.

٧ ـ إحسان الظن بالله، وأن تعظم أملك في الله؛ فقد تكون وحدك ولكن الله يبارك بعملك وجهدك.

٨ ـ احتساب الأجر عند الله، وأن يكون همك الآخرة؛ فالعبرة مقام العبد عند الله وليس عند الناس.

٩ ـ عليك بالأخلاق اللطيفة ولين الجانب والرفق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على صفوة عباده المرسلين.

عمر بجاد العصيمي

أمة المشركين

إن محاولات الكفار والعلمانـيين للنيل من الإسلام وأهله ليس بغريب ولا بجديد من عدو متربـص سواء كان في قدم الزمان أو حاضره؛ فـالأعداء هم الأعداء، ولن ننتظر يومًا من عدو قوي مـستكبر أن يدافع عن عقيدتنا ومقـدساتنا وحقوقنا، هذا لن يكون أبدًا إلا إذا كنا أمة هابطة لا نعي ولا نفهم وليس لنا عبرة في تاريخ الأمم ومما قصـه الله علينا في كتابه الكريم، يقـول ـ تعالى ـ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢].

ولكن مـاذا عن أحـوالنا معـاشر المسلمين؟ هل نحن أهلٌ لحـمل هذه الرسـالة الخالدة الـتي عجزت عن حـملها السموات والأرض والجـبال؟ هل نحن جـادون بالتمـسك بتعـاليم ديننا الحنيف أفرادًا وجمـاعات وحكومات؟ هل استجبنا لنداء الله ورسوله، يقول ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. فـهل آن الأوان لكل مسلم أن يسـتـجيب لله ولرسوله اعتقادًا وتطبيـقًا قولاً وعملاً ونسير كما سار عليه سلفنا الصـالح أخوة متناصحين يوالي بعضنا بعضًا متعاونين على البر والتقوى، ومنتهين عما نهانا الله عنه ورسوله.

سعد الزهـراني

فراسة محدث

ذكر الحـافظ المزّي في تهـذيبه[1] عن شيخ أهل الحـديث في عصـره الإمام مـحمـد بن إبراهيم بن سعـيد البـوشنجي أنه قال: «من أراد العلم والفـقه بغـيـر أدب، فـقـد اقتـحم على أنْ يـكذِبَ على الله ورسوله ﷺ».

لقد استوقـفتني كثيرًا عبـارة هذا الإمام الحافظ الثقة ذي الرحلة الواسعة في طلب العلم.

فهو يفصح ـ رحمه الله ـ بأنَّ طلب العلم إنْ كان غيـر مقرونٍ بالآداب السـامية، والأخـلاق الفاضلة، فهو وبال على صاحبه.

فكيف يؤخـذ العلم ويكون له تأثيـره على طالبـه ممن ليس هو فـي مـصـاف أهل القـدوة؛ فكم من امـرئ أصبح له قـدْرٌ لدى عـامة الناس من خـلال سمته وأسلوب معاملته الحسنة مع الناس.

وهل العـلم أصـلاً إلا قناة مـن قنوات غـرس الأخلاق الحسنة لدى من يطلبه وينمّيه له؟

ويدخل في عبارة هذا الإمام أدب طالب العلم مع شيخه وأقرانه في الطلب.

وأذكر في هذا الصدد:

مـا حكاه الإمـام ابن الجـوزي[2] يصف بعض شيـوخه ممن طلبوا العلـم بالأدب فتأثر بهم فـقال: «ولقـيت عـبـد الوهاب الأنماطي فكان على قـانون السلف لم يسمع في مجلسه غـيبة، ولا كان يطلب أجـرًا على سـماع الحـديث، وكنت إذا قـرأت عليـه أحـاديث الرقـائق بكى واتصل بكـاؤه، فكنت وأنا صغـير السن حـينئذ يعـمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد[3]. وكان على سـمت المشايخ الذين سـمعنا أوصافهم في النقل...».

وانظر إلى طلبة اليوم، فقـسم منهم يأتي لا للاستفادة والعلم وطلب المزيد، وإنما للمناقـشة العـقيمـة مع شيخ المادة، أو لتصيد عيوب الشـيخ العلمية، وقسم آخر ما أن ينتهي وقت المحـاضرة، إلا وقـد هرول مسرعـًا خارج القاعـة كأنه يهـرب من قفص أسـد، سابقًـا شيـخه في الخروج، رافعًا صوته باللغو.

فأيّ أدب هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأين نحن من قول الحسن البصري «كان الرجل يطلب العلـم فـلا يلبث أن يُرى ذلك في تخـشـعـه وهديه ولسانه وبصره ويده»[4].

فنسـأل الله ـ تعـالى ـ أن يرزقنا أدبًا مـقـرونًا بالعلم النافع إنه مجيب الدعاء.

طارق محمد العمودي

---

(١) ٣١٣/٢٤. (٢) صيد الخاطر، ص ١٤٠. (٣) يقصد قواعد الأدب في نفسه.

(٤) الزهد لابن المبـارك، ص٢٦، والزهد لأحـمد، ص ٢٦١، وسنن الدارمي، ٨٩/١، والمدخل للبيـهقي، ص ٣٢١، وأخـلاق العلماء للآجري، ص ٧١، وجامع بيان العلم لابن عبد البر، ٦٠/١، ١٢٧، ورجاله إسناده ثقات.

المسلمون المنسيون.. الأقليات المسلمة

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.
[آل عمران: ١١٠].

إن لنا إخوة في العقيدة في بلاد إسلامية شتى نسيناهم أو تناسيناهم في أوقات هم بأمس الحاجة إلينا، فكما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا. فشبك بين أصابعه» وإن علينا دورًا كبيرًا في الوقوف بجانبهم ومؤازرتهم بكل ما نملك بالمال، الدعاء، النفس؛ وهذا لا شك من الجهاد في سبيل الله والدعوة؛ إذ هم يعانون من الاضطهاد والتشرد والجوع والحاجة والعوز؛ فهم بلا شك في محنة وابتلاء فهل نحن معشر ممن يعيش في رغد من العيش نعرف عن أحوال إخواننا المسلمين هؤلاء وعما يعانونه من آلام وآمال فنحس بهم إحساسًا إيجابيًا؟ ففي أفريقيا منهم من يواجه التنصير بأعتى أسلحته وأقواها حتى يصدهم عن دينهم الحق دين الفطرة السليمة، وفي بلاد أخرى قد لا يجدون القرآن الكريم، وفي غيرها يواجهون المذابح والمشانق والمطاردة والسجون.

لماذا؟ لأنهم قالوا: ربنا الله. وفي فلسطين يحتل الأعداء ـ عليهم من الله ما يستحقون ـ يحتلون الأرض المقدسة ويقتلون الأبرياء والعزل من السلاح. وهؤلاء الأعداء هوايتهم لعق الدماء. وهل تعرفون أوجادين التي هي جزء من الصومال؟ ومأساة المسلمين فيها وماذا عن المسلمين في آسيا ـ الهند ـ وكشمير الجريحة منذ زمان طويل أخت فلسطين. وجبهة مورو ـ التي تمثل المسلمين في الفلبين ـ وتركستان، والصين الشعبية، وماذا عن إقليم فطاني المسلم، والمسلمون في بورما وغيرها وما يعانيه إخواننا المستضعفون أولئك من ضعف الإمكانات؟ فلم يُلتفت إليهم في تلك البلدان، بل هم على الهامش؛ فلا تقام لهم الدور الخاصة بالرعاية، أو المستشفيات والمدارس، ولا يسمح لهم بممارسة عباداتهم وأعمالهم؛ وحالة المسلمين بحاجة كبيرة إلى إعادة النظر فيها، وفي مساعدة البلاد الإسلامية لها وما تبعثه من دعاة ناصحين ومعلمين يسدون الحاجة فيُعلّمون الأقليات المسلمة العقيدة الصحيحة السليمة بالإضافة إلى توجيههم وإرشادهم وحثهم على توحيد صفوفهم في مواجهة الأعداء في تلك البلاد التي تحاربهم وتفتنهم عن دينهم والعياذ بالله. إضافة إلى وجوب دعم هذه الأقليات المسلمة إسلاميًا ودوليًا وإقليميًا ومحليًا واجتماعيًا؛ وكل ذلك مطلوب منا جميعًا، منا نحن إخوانهم في العقيدة والدين.

عبد الله السبيعي

مساحة للشيطان

إن للشيطان نصيب في كل إنسان بدءً بالعالم ومرورًا بالعابد وعـوامّ المسلمين وقسامتهم وانتهاءً برؤوس الكفر والإلحاد، فترى الشيطان في جـانب العالم العامل يناور من بعيد ويهش وينش، ويعّس ويدس، فمن الوسـوسة والخـواطر واستغـلال السوانح والسـوامح حينما يكون الحـديد حامـيًا، إلى التحـريك والتوجـيه والتـزيين والتلوين فإذا تمكن من إلقـاء الوساوس قـام بتزيين البـاطل وتحريك الدوافع الكامنة في التركيبة النفسية للإنسان وشيئًا فشيئًا وخطوة من خطوات الشيطان حتى ينكسه على رأسه ويرده على عـقبه ويركسه في الفتنة وكلّمـا قل وضحل نصيب المسلـم من العلم والعمل صـار للشيطـان منه نصيب الأسـد وهكذا حـتى يسـتحـوذ عليـه الشيطان بـالكامل، وهكذا خطوات الشيطان من الوسوسـة إلى اللعب ومنه إلى التلاعب ومن عبادة الله إلى عبـادة الشيطان ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسـار «لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبًا مـفروضًا»، ﴿ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالاً بعيـدًا﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشـيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمـر بالفحـشاء والمنكر، ولولا فـضل الله عليكم ورحمـته ما زكى منكم من أحـد أبدا ولكن الله يزركي من يشاء﴾.

أعاذنا الله وحمـانا ورحمانا ووقانا من شـر الشيطان وشركه ومن شـرور أنفسنا «اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين».

حمد بن إبراهيم

الصوفية في ثوبها الجديد

فإن الحـياة الدنيـا في نظر المتصـوفة مَنْضُـولَةٌ عن الدين وهي تشغل زاويةً بعـيدة عن الحـياة؛ مطوية فيهـا طيَّ السجل للكتب، وأما الدين ـ في نظرهـم ـ إنما أنزل لإصـلاح الآخرة والدنيا إنما هي دار الغرور، ولحطامها يجمع من لا عقل له.

إن الشطط الذي أصاب العلمانيين عند فصلهم للحياتين المتكاملتين ـ الدنيا والآخرة ـ أصاب أيضًا المتصـوفة فجـعلوا من الدين مسائل فـردية، أو مسائل جـماعية لكـنَّها لا تصل إلى حَدِّ الهَـيُمنة على الأرض وتذليلها لحكم الله.

إن التصوف ليس ظاهرة محصورة فيمن فيمن لبـس عمامة بيضاء وأمسك بسبحة طويلة وطاف حول قبور الأولياء وأناب إلي أضرحتهم وتمايلوا على أنغامها وهم يرددون الله ... الله.

ولا في أولئك الذين يلـبسـون الصـوف ويقـومون الليـالي الطويـلة في انتظار أن يَسْـقُطَ عنهم التكليف. ولكنها ظاهرة تتواجد ترينة لضعف الأمة.

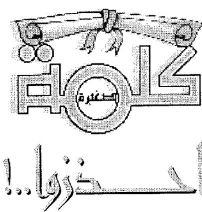
عبد الوهاب بن أحمد مرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

البيان
مجلة إسلامية
شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة :
د.عادل بن محمد السليم
مدير التحرير:
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:
AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR. U.K. Tel : 0171 - 731 8145 Fax : 0171 - 736 4255



احذروا..!

عجيب أمر أدعياء العلمانية ومدعي التنوير فهم يستخدمون كل مواهبهم في الإساءة لكل منتم للإسلام ، ويعملون ليل نهار للتشكيك حتى في نواياهم وأنهم وراء كل فتنة في العالم ؛ فتارة يلمزون بالأصولية، وتارة بـ (الإسلاموية) ، وتارة بجماعات الإسلام السياسي. وهذه النعرات ذات منشأ أجنبي يطلقها أعداء الإسلام ويتبناها هؤلاء الأذناب. صحيح أن هناك من ينتمي للإسلام ويحمل تصورات منحرفة ومنطلقات مشبوهة وقد يقوده اجتهاده ـ وهو لا يملك حق الاجتهاد ـ لأعمال متهورة وأفكار غير سديدة . لكن هذا الضعف ـ ولله الحمد ـ قليل إذا ما قيس بالغالب مما يقدمه الدعاة إلى الله على بصيرة من توعية وتوجيه وأعمال خيرية تنعكس إيجابياً على كثير من المجتمعات الإسلامية وأفرادها.

إن المسلمين أفراداً وجماعات يعلمون حق العلم أن هؤلاء العلمانيين في ادعاءاتهم تلك كاذبون ومفترون، وهم يشعرون أنهم بما لديهم من إمكانات كبيرة أضعف أثراً وأقل تأثيراً لا سيما وقد عرفناهم بالحدب على أعداء الإسلام والمطالبة بالحرية الكاملة حتى في الاعتداء على الذات الإلهية والمعلوم من الدين بالضرورة، بينما يخنسون حيال القوانين الوضعية التي تجرِّمهم بالاعتداء أمام أفراد أو هيئات مهما كان قدرها .

فعلى الدعاة إلى الله التعاون على البر والتقوى والتسامي على الاتجاهات الحزبية العصبية، والترفع عن كل ما لا يليق؛ جمعاً للصف ودرءاً لسهام المغرضين والتزاماً بالإسلام قلباً وقالباً أمام أولئك الحاقدين علينا جميعاً فهم ـ بإذن الله ـ خائبون ؛ لأن الله يدافع عن الذين آمنوا . وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الحسابات

- مصرف فيصل الإسلامي
  حساب رقم:
  ٠٠٢ - ٤٥١٤-٤٢-١٠٩
- الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي
  حساب رقم ٦٣٤٩٢٤
- الإمارات - بنك دبي الإسلامي
  (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة شارع الأربعين
  حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
- قطر: مصرف قطر الإسلامي
  حساب رقم:٨٧٨٨٥٥ زكاة
  ٨٧٨٣٨٣ صدقات

National West minster Bank PLC. Fulham Branch 831 - Fulham Road London SW6 5HH Code No. 60 08 32 Account No Al-Muntada Trust (44348452)

سعر العدد

الأردن٥٠ قرشًا، الإمارات العربية ٦ دراهم، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه إسترليني أو ما يعادلها، البحرين ٦٠٠ فلس، اليمن٤٠ ريالاً، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم، قطر ٨ ريالات، السودان ٥٠ دينارًا، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5
(STERLING OR EQUIVALENT)

مكاتب المنتدى الإسلامي ومجلة البيان

م	الدولة	المدينة	ص. ب.	الهاتف	الفاكس
١	بريطانيا	لندن	—	٧٣١٨١٤٥	٧٣٦٤٢٥٥
٢	السعودية	الرياض	٢٦٩٧٠	٤٦٤١٢٢٢	٤٦٤١٤٤٦
٣	البحرين	المحرَّق	٥٠١٦٣	٣٤١١٠٧	٣٤٠٦٨٠
٤	قطر	الدوحة	١٦٤٦٤	٣٥٢٢٨٢	٣٥٢٢٩٢
٥	كينيا	نيروبي	٧٧٨٠٢	٥٥٧٧٣٤	٥٣١٥٥٠
٦	غانا	أكرا	٢٠	٢٣٥٧٦٦	٢٣٥٧٦٧
٧	بنغلاديش	دكا	١٢٠٧	٩٨٠٢٠١٥	٩٨٠٣٠٠٥
٨	السودان	بور تسودان	٦٩٥	٢٢٥٣٣	٢٢٥٣٣
٩	مالي	باماكو	E٢٠٣	٢٢٣٩٠٩	٢٢٣٩٠٩
١٠	جيبوتي/الصومال	جيبوتي	٣٢٨٠	٣٤١١١٣	٣٤١١١٣
١١	تشاد	أنجمينا	١٧٨٩	٥١٨٥٩١	٥١٨٥٩٠
١٢	أوغندا	كمبالا	٤٦٦٧	٢٥٩٨٨٣	٢٥٩٨٨٣
١٣	توجو	لومي	١٠٧٤	٢٦١٦١١	٢٦١٦١١
١٤	نيجيريا	كانو	٢٦٣٥	٦٣٧١٩٠	٦٣٧١٨٠
١٥	بينين	كوتونو	٠٣-٤١٩٣	٣١١٤١٢	٣١١٤١٢

المراسلات والإعلانات

الدول العربية :

البحرين: المحرّق مكتب دار البيان ، ص.ب ٥٠١٦٣ – هاتف وفاكس ٣٤٠٦٨٠

السعودية : مكتب مجلة البيان – ص.ب ٢٦٩٧٠ الرياض : ١١٤٩٦

هاتف ٤٦٤١٢٢٢ – فاكس ٤٦٤١٤٤٦

أوروبا وأمريكا :

AL BAYAN MAGAZINE 7 Bridges Place, Parsons Green London SW6 4HR, U.K. Tel : 071 - 731 8145

Fax : 071 - 736 4255

في هـ

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

ـــذا العـــدد

الموزعون

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

السودان : دار اقرأ للنشر والتوزيع ، الخرطوم : ص.ب ٨٨ براري.

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥.

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا: International Media Group
Ann Arbor, MI 48107 U.S.A.- P.O. Box 7560
Tel. 734-975-1115 Fax. 734-975-9997



الصحوة الإسلامية والحاجة إلى طور جديد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهناك أمور تجعل المرء على يقين بأن الصحوة الإسلامية المعاصرة قدر إلهي ماضٍ إلى منتهىً مرسوم: أولها: من الناحية الزمانية: حيث تفاعل وجود هذه الصحوة وانتشر في بدايات قرن هجري جديد هو القرن الخامس عشر، فكان ذلك إرهاصًا بحصول السَّنن المحتوم بتجديد الدين على رأس كل مئة عام، وثانيها: من الناحية المكانية: حيث غطت الصحوة معظم أراضي المسلمين بنسب متفاوتة مما أبعد احتمال الادعاء بأنها ظاهرة محدودة في رقعة محدودة. وثالثها: من الناحية الإنسانية، حيث كان الجمهور الأكبر من أبناء الصحوة من الطبقة التي تمثل نخبة المجتمعات وأواسطها من حيث الثقافات والأعمار والمستويات، حتى لا يقال إنها تمثل طبقة المعدمين الكادحين الناقمين، أو الأثرياء المتطلعين الطامحين. ورابعها: ـ وهو أهمها ـ أن هذه الصحوة جاءت على غير تدبير مسبق من البشر، فهي ليست من صنع شخص بعينه، ولا هيئة ولا دولة ولا جماعة بعينها، إنما جاءت تعبيرًا عن تحرك في الأمة بمجموعها لنصرة الدين، تحرك على مستوى الشعوب وليس على مستوى الدول أو الأنظمة.

لقد انطلق أبناء هذه الصحوة للعمل لنصرة الدين، ولكن وسط ظروف غير طبيعية ولا سوية؛ ذلك لأن الأنظمة التي يفترض فيها أن تحتضن حركات الإصلاح النابعة من رعاياها ـ خاصة في ظروف الأزمات ـ تعامل معظمها مع الصحوة بطريقة فجة مريبة، فليتهم إذ غلُّوا أيديهم عن مساعدتها تركوها وشأنها وكفوا أذاهم عنها، ولكن الحاصل ـ مما يعلمه الجميع ـ

أن العراقيل وضعت، والمشاكل حشدت، والاتهامات جُهزت، والدسائس حيكت، بما لا يسمح أبدًا لهذه الصحوة أن تستأنف سيرها الطبيعي في طريق الإصلاح.

(متى يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبني ثم غيرك يهدم)

ولهذا فكثيرًا ما اعتور هذه المسيرة الإصلاحية كبوات ونكبات كادت أن تقضي عليها، بل قضت عليها بالفعل في بعض البلدان... لكن سرعان ما كان نورها الذي يخبو في مكان يعود ليتوهج في مكان آخر، وذلك عبر ما يقرب من ربع قرن من الزمان.

وإذا حاولنا اليوم، ونحن على مشارف انتهاء العقد الثاني من القرن الخامس عشر، أن نسترجع ما في الذاكرة لاستعراض مسيرة الصحوة فسوف نجد أنها مرت بمراحل عدة وأطوار بارزة.



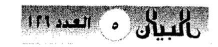
الطور الأول: بدأت فيه الصحوة بدوافع عاطفية روحية، حيث تحركت في بداياتها المبكرة بتلك الدوافع مستجيبة للحنين الفطري للدين؛ فقد أحست جماهير المسلمين بالحاجة للانتماء إلى شيء عظيم، بعد أن ملت من الانتماءات التافهة الممسوخة من قوميات ووطنيات وعنصريات، وبعد أن صدمتها أحداث جسام ترادفت في وقعها ووقوعها، لتوقظ الغفلات وتحرك الساكنات.

لقد كانت ظاهرة الاندفاع العاطفي والحماسي هي المحرك الأساس لمسيرة الصحوة في تلك المرحلة دون اعتماد كبير على الأصول العلمية والتربوية التي توجه العاطفة، وتضبط الحماس.

الطور الثاني: الصحوة العملية: وكانت استجابة بالأفعال والأعمال لنداء العواطف الجياشة لنصرة الدين، ولو عدنا بالذاكرة إلى الوراء قليلاً لوجدنا أنه قد نشأت أنماط من العمل الإسلامي، اتجهت مباشرة إلى التجارب الميدانية، قبل أن تستكمل قسطًا وافيًا من الدراسات التأصيلية المتعمقة والمتعلقة بالأطر الشرعية لهذا العمل أو ذاك، وبمعنى آخر: كانت (التجربة) هي المحك والمقياس لصواب العمل أو خطئه، ولذلك رأينا أن فصائل العمل الإسلامي المتنوعة في وجهاتها، نزلت إلى ساحات الممارسة العملية بشكل غير مرتب ولا محسوب، فهو لا يعتمد إلا على الاستحسان الذاتي في الغالب من كل إنسان لما يرى أنه يحقق ذاتيته ويلائم شخصيته ويشبع ميوله، فاتجه هذا إلى العمل السياسي، وذاك إلى العمل الاجتماعي، وآخر انحاز إلى العمل الجهادي، واختار آخر العمل الدعوي والعلمي.

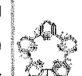
ولا نشك أن هذا الاندفاع (العملي)، قد أثمر زخمًا متنوعًا قوّى من عود الصحوة، واستلفت الأنظار إليها بشدة، ولكننا أيضًا لا نشك في أنه ـ ولافتقاره إلى التأصيل (العلمي) ـ قد خلّف نوعًا من الفوضى غير المحمودة التي أنشأت تناقضات واختلافات في الاجتهادات لم تلبث أن تحولت إلى نزاعات وفي بعض الأحيان إلى صراعات! إذ اجتمع كل فريق في الغالب حول عمل لا يرى نصرة الدين إلا فيه، ولا يرى في الناس خيرًا إلا إذا اجتمعوا عليه...!





الطور الثالث: الصحـوة الدعوية: وهـي مـرحلة انطلقت فيهـا اتجاهات العـمل إلى الدعوة لكسب الأنصار، وحـشد أكبر شـريحة من المتعـاطفين مع الدين إليها؛ وفي تلك المرحلة كـثرت المؤلفات والأطروحات المقروءة والمسموعة حتى صـارت كثرة التآليف والتصانيف والمساجلات والتسجـيلات (ظاهرة) لافتة، ودار تنافس مـحموم للانتقـال بـ (العملي) إلى (العلمي) ولكن بعض هذا التنافس ـ للأسف ـ لم يكن بأسلوب علمي!

لقد تميـزت هذه المرحلة بمحاولة كل اتجـاه للتأصيل لما يراه من عـمل، وكان من الطبيعي أن تكـثر الاجتهادات غيـر المبنية على أصول صحـيحة في ظل ندرة القدرات العلمية المتخصصة، أو على الأقل في ظل ندرة تفرغها، فتكلم باسم العلم من يحـسن ومن لا يحسن، وتكلم عن الدلـيل من لا يحسن فـهم الدليل، بل بدرت بادرة جديدة لم تكـن من قَبْلُ معـهودة وهي (التأصـيل للبدع)، وكـذلك تصويب الخطأ أو تسويغ الزلل بإضـفاء صبـغة علمية عليـه، وظلت المطابع تلقي بالغث والسمين والصـالح والطالح إلى جمهور المتـعاطفين مع الصحـوة، الذين تختلط على كثير منهم الأمور، حتى ليُظن أن كل بيضاء شحمة وكل سوداء فحمة.



ولاحت لأعداء الإسلام فرصة تاريخية، ما كانوا ليضيعوا اغتنامها أو يفوِّتوا اهتبالها وهي: ضرب قلوب المسلمين بعـضهم ببعض، ليكفوا بعـد ذلك عن الحديث عن (الصحوة) وليـنكفئوا بعدها في مزالق الكبوة.

ولهذا نـقول: إن الصحـوة الإسلامـية التي مـرت بأطوارها: (العاطفـية) و(العمـلية) و(الدعوية) تحتاج الآن وبإلحاح للانتقال إلى طور جديد:

طور «الصحوة العلمية» :

لقد كان التـرتيب الأنسب، بل الأصوب للصحوة أن تبدأ بالعـلم قبل العمل... ولكن ظروف النشـأة وظروف الإمكانات وظروف الـتحـدي أيضًـا، حـالت دون ذلك، إضـافـة إلى أن هذه الصحوة ـ كما سبق ذكره ـ لم تكن من صنع شخص بعينه أو جـهة أو هيئة أو جماعة بعينها حتى تُحكِم قـيادها أو تضبط وجـهتها، ولكنهـا سارت حسب أقدار الـعليم الحكيم الذي يقول: **﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾** [آل عمران: ١٧٩].

إننا لا نرى اليوم عذرًا لرموز الصحوة وموجهيها في المشارق والمغارب أن يتخطوا العلم إلى العمل مرة أخرى، فكل عمل لا ينضبط على أساس متين من دلائل الدين، فهو في الحقيقة ضرب من اتبـاع الهوى، ونربـأ بأنفسنا وإخـواننا عن اتبـاع الهـوى وهم يسعـون إلى التـمكين للدين والاستخلاف في الأرض. وقد كان عـمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يأمر الناس بالتعلم قبل التصدي للعمل فيقول: (تعلموا قبل أن تسودوا) وذلك حتى لا يقودوا الناس بالأهواء.

وعندما نـقول بضرورة انتـقال الصـحوة إلى الطور العلمي، فليس مـعنى هذا أن نقلل من شأن مـا بذل وما يبـذل في خدمة العلـم... ولكن نقول: إنه لم يسـتثمـر على المستـوى العام، ولذلك؛ فهو لم يرقَ بعدُ إلى المستوى الذي يوصف معه بأنه صحوة علمية عامة.

لسنا نطالب الناس جـميـعـاً بأن يكونوا علماء أو طلاب عـلم، ولكن المطلوب على الأقل أن يعرف الناس قدر العلم وبركة الأثر، وتأثير الدليل عندما ننقاد له أثناء المسير.

ولقـد رأينا كيـف شردت الأهواء بأصناف من أصـحـاب (العمل)، عـندما أطلقـوه دون أن يربطوه بلجام الحكمة ووثاق العلم.

إن أمامنا حـقائق ماثلة تدعم الرأي القائل بأن الوقت قـد حان لحركة إصـلاح علمي تضبط السلوك وتقوِّم المناهج وتوجه الأعمال، ومن تلك الحقائق:

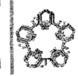
أولاً: أن الصـحوة الإسـلاميـة الآن أصبح لهـا من القدرات العلمـية (علمـاء وطلاب علم) في كـثـيـر من البلدان؛ مـا يكفـي لأن تنطلق بهم إلى تلـك النقلة المباركة، وهذا لم يكن متوافراً في بدايتها.

ثانيـاً: أن كـثـيراً من أنمـاط العمل الإسـلامي، قـد اسـتنفـدت مـا يكفي من (التجـارب) التي ثبت أنها تحتـاج إلى مراجعـة سواء في الميدان السـيـاسي أو الجهادي أو الدعوي.

ثالثـاً: أن هناك ظاهرة قـد برزت بالفـعل في الآونة الأخـيرة في السـاحـة الإسلامـية، وهي ظاهرة (وقـفات المراجـعة) .. ولا أقل من أن تكون (المراجـعة العلمية) للمناهج، هي إحدى أهم هذه الوقفات.

وأخـيراً: ثبت أن الصـحوة الإسـلاميـة معـرضة لعـوامل القوة والضـعف، والانتشار والانحسـار والمد والجزر، ولهذا فلا بد من بذل أسباب الاسـتمرار لها وإبعاد العـراقيل من طريقهـا، وذلك بأن يراعى أولاً بأول تصحيح مـسارها في مسارها للتصحيح.

فـهل نـطمع ـ ولو من باب تحـديث النفس بالغـزو ـ أن نرى للصــحـوة الإسلامـية في العـالم انطلاقة علمـية تكسـر قيـود الجمـود، وتحرر الآراء من الأهواء .. هل نطمع أن نرى للصـحوة على مـستـوى العالم قـيادتهـا العلمـية الموثوقة، ومرجعياتها العلمية المخلصة.. التي تقودها إلى وحدة منهجية تجمع القلوب والصفوف... ذلك أمل... نرجو أن يتبعه عمل ..



والله من وراء القصد،





العبودية لله قواعد ومسائل

د. عبد العزيز آل عبد اللطيف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين. وبعد:

فهذه جملة قواعد ومسائل مستفادة من كلام أهل العلم في موضوع العبودية لله - تعالى - فإن جميع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - من أولهم إلى آخرهم دعوا إلى عبادة الله - تعالى - وحده لا شريك له: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] كما أن الله - عز وجل - قد جعل العبودية وصفاً لأكمل خلقه وأقربهم إليه وهم الأنبياء والملائكة فقال - سبحانه -: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٧٢].

ووصف الله - تعالى - أكرم خلقه عليه وأعلاهم عنده منزلة ﷺ بالعبودية في أشرف مقاماته، فقال - تعالى -: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١]، وقال - سبحانه -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وجعل النبي ﷺ إحسان العبودية أعلى مراتب الدين، وهو الإحسان، فقال في حديث جبريل - وقد سأله عن الإحسان -: «أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أخرجه مسلم[1].

---

(١) انظر: العبودية لابن تيمية، ص ٤٠ ـــ ٤٣، ومدارج السالكين ١/١٠١ ـــ ١٠٣.

يمكن أن نخلص - من خلال هذه المقدمة - إلى قاعدة، وهي: أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله - تعالى -، فأكرم ما يكون العبد عند الله - تعالى - عندما يكون أعظم عبادة وخضوعًا لله - عز وجل -.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله - تعالى -، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته»(١).

ويقول في موضع آخر: «والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقارًا إليه وخضوعًا له، كان أقرب إليه، وأعزّ له، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق: أعظمهم عبودية لله، وأما المخلوق فكما قيل: احتجْ إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره. فأعظم ما يكون العبد قدرًا وحرمة عند الخلق إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم، كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتى احتجت إليهم - ولو في شربة ماء - نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته، ليكون الدين كله لله ولا يُشرَك به شيء»(٢).

وها هنا قاعدة أخرى، وهي أن حاجة الإنسان وضرورته إلى عبادة الله - تعالى - فوق كل حاجة وضرورة.

يقول ابن تيمية - في هذا الصدد -: «اعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئًا، ليس له نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها، الله الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحًا فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه.



ولو حصل للعبد لذّات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ به غير منعم له ولا ملتذ به، بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنه، ويضره ذلك. وأما إلهه فلا بد له منه في كل حال وكل وقت، وأينما كان فهو معه...»(٣).

---

(١) العبودية، ص ٨٠.
(٢) مجموع الفتاوى، ١/ ٣٩.
(٣) مجموع الفتاوى، ١/ ٢٤، ٢٥، وانظر مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٣٢.

ويقول ابن القيم – مقررًا تلك الحاجة –: «اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم، والسجود والتقرب، أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به؛ فإن حقيقة القلب روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره.. ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها»(١).

كلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية لله ازداد كماله وعلت درجته

وأما عن تعريف العبادة، فالعبادة لغةً: من الذلّ، يقال: بعير معبّد، أي مذلل.

وقد تنوّعت أقوال العلماء في تعريف العبادة:

فقال ابن جرير: «معنى العبادة الخضوع لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة»(٢)، وفسّر ابن عباس – رضي الله عنهما – العبادة بالتوحيد(٣).

وقال القاضي أبو يعلى: «حقيقة العبادة هي الأفعال الواقعة لله – عز وجل – على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد»(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»(٥).

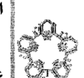
وفصّل ابن القيم التعريف السابق بقوله: «وبنى «إياك نعبد» على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح. فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب «إياك نعبد» حقًا هم أصحابها، فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله – سبحانه – به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله.

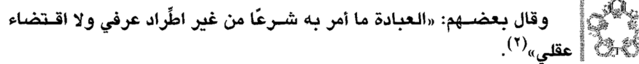
(١) طريق الهجرتين، ص ٥٧.
(٢) تفسير ابن جرير، ١/١٦٠.
(٣) انظر تفسير ابن جرير، ١/١٦٠.
(٤) المعتمد في أصول الدين ، ص ١٠٣.
(٥) العبودية، ص ٣٨.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه والذبّ عنه وتبين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكر وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، وغير ذلك من أعمال القلوب.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك»[1].





وقال بعضهم: «العبادة ما أمر به شرعًا من غير اطِّراد عرفي ولا اقتضاء عقلي»[2].

وبالنظر إلى هذه التعريفات المتعددة نرى أن الخلاف بينها يكاد أن يكون من خلاف التنوع؛ وذلك أن العبادة قائمة على أصلين كبيرين، وهما: غاية الخضوع وكماله، وغاية الحبّ وكماله. فعرّف ابن جرير وأبو يعلى العبادة بالخضوع – والسلف قد يعرِّفون الشيء ببعض أفراده – ومرادهم بالخضوع – ها هنا – ما كان مقترنًا بالمحبة والتعظيم كما هو ظاهر عبارة أبي يعلى في قوله: «نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع» فنهاية الخضوع وكماله لا تتحقق إلا بالمحبة والتعظيم.

وأما ابن تيمية وابن القيم فقد عرّفا العبادة بما يحبه الله ويرضاه باعتبار أن العبادة هي أعلى مراتب الحبّ.. ولذا يقول ابن تيمية: «فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها، وخَلَقَ لأجلها، هي ما في عبادته وحده لا شريك له؛ إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل»[3].

وأما تعريف ابن عباس – رضي الله عنهما – للعبادة بالتوحيد، فهو اعتبار العبادة المقبولة، فلا تقبل العبادة عند الله – تعالى – إلا بتحقيق التوحيد، وأما العبادة من حيث هي فهي أعم من كونها توحيدًا عامًا مطلقًا، فكل موحد عابد لله – تعالى –، وليس كل من عبد الله – تعالى – يكون موحدًا [4].

وأما من عرّف العبادة بما أمر به شرعًا من غير اطِّراد عرفي ولا اقتضاء عقلي، فهو باعتبار أن الشرع هو مورد العبادة وضابطها، فلا تخضع العبادة لاطراد العرف، بل قد تكون مضادة لعوائد وأعراف، كما أن العبادة لا تخضع لاقتضاء العقل واستحسانه؛ فمن العبادات الشرعية ما تكون محيّرة للعقول[*]. والله أعلم.

(١) مدارج السالكين، ١/١٠٠، ١٠١ باختصار يسير.
(٢) مجموعة التوحيد (رسالة في تعريف العبادة لأبي بطين)، ص ٤٠٠.
(٣) قاعدة في المحبة (ضمن جامع الرسائل) ، ٢/١٩٦، وانظر مدارج السالكين، ٣/٢٨.
(٤) انظر مجموعة التوحيد، ص ٤٠١.
(*) أي غير مُدْرَكة حكمتها للعقول.



ومن قواعد هذا الموضوع: أن الحبّ الخلي عن ذل، والذل الخلي عن حبّ لا يكون عبادة؛ فالعبادة ما يجمع كمال الأمرين: كمال الحبّ وغايته، وكمال الذلّ وغايته.

يقول ابن تيمية: «من خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحبّ شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما قد يحبّ الرجل ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله – تعالى –، بل يجب أن يكون الله أحبّ إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله»[1].

ويقول ابن القيّم: «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع؛ فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له، لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة، لم تكن عابدًا له، حتى تكون محبًا خاضعًا»[2].

ومن القواعد أيضًا: كل من استكبر عن عبادة الله – تعالى –، فلا بد أن يعبد غيره.

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الظاهرة والباطنة وهي

يقرر ابن تيمية ذلك بقوله: «الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكبارًا عن عبادة الله، كان أعظم إشراكًا بالله؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة الله – تعالى –، ازداد فقرًا وحاجة إلى المراد المحبوب الذي هو المقصود».

فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه من إرادته، بل استكبر عن ذلك، فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله، فيكون عبدًا لذلك المراد المحبوب: إما المال، وإما الجاه، وإما الصور، وإما ما يتخذه إلهًا من دون الله»[3].

ويقول – في موضع آخر – : «وهكذا أهل البدع لا تجد أحدًا ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل إلا وقع في بدعة، ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئًا من السنة، كما جاء في الحديث: «ما ابتدع قوم بدعة إلا تركوا من السنة مثلها»[4] رواه الإمام أحمد.

---

(١) العبودية، ص ٤٤، وانظر مجموع الفتاوى، ١٠/١٩، ٥٦.

(٢) مدارج السالكين، ١/٧٤.

(٣) العبودية، ص ١١٢ ــ ١١١٤؛ بتصرف وتقديم.

(٤) أخرجه أحمد، ٤/١٠٥، ولفظه «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة».

وقد قال – تعالى –: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ١٤]، فلما تركوا حظًا مما ذكروا به اعتاضوا بغيره، فوقعت بينهم العداوة والبغضاء، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] فأمر باتباع ما أنزل، ونهى عما يضاد ذلك وهو اتباع أولياء من دونه، فمن لم يتبع أحدهما اتبع الآخر.

وكذلك من لم يفعل المأمور، فعل بعض المحظور، ومن فعل المحظور، لم يفعل جميع المأمور، فلا يمكن لإنسان أن يفعل جميع ما أمر به مع فعله لبعض ما حظر، ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر»[1].

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : «كل من أعرض عن شيء من الحق وجحده، وقع في باطل مقابل لما أعرض عنه من الحق وجحده ولا بد، حتى في الأعمال، فمن رغب عن العمل لوجه الله وحده ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق، فرغب عن العمل لمن ضرّه ونفعه وموته وحياته وسعادته بيده، فابتلي بالعمل لمن لا يملك له شيئًا من ذلك، وكذلك من رغب عن إنفاق ماله في طاعة الله ابتلي بإنفاقه لغير الله وهو راغم، وكذلك من رغب عن التعب لله ابتلي بالتعب في خدمة الخلق ولا بدّ، وكذلك من رغب عن الهدى بالوحي، ابتلي بكناسة الآراء وزبالة الأذهان ووسخ الأفكار»[2].

> تقوم على أصلين كبيرين هما
> - غاية الخضوع وكماله
> - غاية الحب وكماله

ويؤكد العلاّمة عبد الرحمن السعدي هذه القاعدة قائلاً: «لما كان من العوائد القدسية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه وأمكن الانتفاع به ولم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذلّ لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل»[3].

ومن أجل مسائل هذا الموضوع: العبودية الباطنة والقيام بعبودية القلب؛ فإن أعمال القلب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (الإيمان) ٧/١٧٣، ١٧٤؛ باختصار. وانظر اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/٦١٧، ومجموع الفتاوى، ٢٩/٣٢٩.
(٢) مدارج السالكين، ١/١٦٥، وانظر الفوائد، ص ٢٧.
(٣) تفسير السعدي، ١/١٨.
(٤) انظر بدائع الفوائد لابن القيم، ٣/٢٣٠.

وقد غفل الكثير من المسلمين عن فقه هذه العبادات وتحقيقها، وكان لاشتغالهم بالرسوم والمظاهر، وتأثرهم بالنزعة الإرجائية الكلامية أبلغ الأثر في إهمال أعمال القلوب وعبوديتها، فما أكثر من استُعبد قلبه لغير الله – تعالى – من الشهوات والملذات، فطائفة أشربت حبّ المال، وطائفة صار همها وشغلها المنصب والوظيفة والرياسة، وطائفة ثالثة تعلقت قلوبها بالنساء، وطائفة أخرى صار مقصودها سفاسف الأمور من مطعوم أو ملبوس أو مركوب، أو «كرة» أو عبث ولهو، أو «فن»....

فعبد المال قد صار الدرهم والدينار هجيّراه؛ فهمُّه ومقصوده المال، فلا يصبح ولا يمسي إلا وهمه المال، فمن أجله يوالي ويعادي، فإن أعطي رضي، وإن منع سخط.

لقد تحدث علماء السلف – رحمهم الله – عن عبودية القلب، فكان حديثًا عن علم وبصيرة وذوق وتحقيق.

ومن ذلك ما سطّره يراع شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول: «إذا كان القلب – الذي هو ملك الجسم – رقيقًا مستعبدًا، متيمًا لغير الله، فهذا هو الذل والأسْر المحض، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب.

وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب.. فمن استُعبد قلبه فصار عبدًا لغير الله، فهذا يضره ذلك، ولو كان في الظاهر ملك الناس.

فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس، قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس» أخرجه الشيخان.

وهذا لعمر الله إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة، أو صبي؛ فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب»(1).

ويقرر ابن القيم هذه العبودية بقوله: «الإنابة هي عكوف القلب على الله – عز وجل –، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفاء لقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل، وكان حظه العكوف على الربّ الجليل. والتماثيل جمع تمثال، وهي الصور المثلة، فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شرك عباد الأصنام بالعكوف

(1) العبودية، ص ٩٦، ٩٧، باختصار يسير. وانظر ، ص ١٠٨.

بقلوبهم وهممهم وإراداتهم على تماثيلهم، فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته بحيث يكون عاكفًا عليها فهو نظير عكوف الأصنام عليها، ولهذا سماه النبي ﷺ عبدًا لها، ودعا عليه بالتعس والنكس، فقال: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم. تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش[1]»[2].

وبسط ابن القيم الحديث عن أرباب عبودية القلب وأحوالهم فكان مما قال: «وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته، فسرَت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحبّ، قد أنساهم حبّه ذكر غيره، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه، فدنفوا بحبه عن حبّ من سواه، وبذكره عن ذكر من سواه، وبخوفه ورجائه والرغبة إليه والرهبة منه، والتوكل عليه والإنابة إليه، والسكون إليه والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره، فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همّه عليه متذكرًا صفاته العلى وأسمائه الحسنى، مشاهدًا له في أسمائه وصفاته، قد تجلت على قلبه أنوارها فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته، فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد أوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه، وأسجده بين يديه خاضعًا ذليلاً منكسرًا من كل جهة من جهاته. فيا لها سجدة ما أشرفها من سجدة، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء، وقيل لبعض العارفين: أيسجد القلب بين يدي ربه؟ قال: إي والله، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة»[3].

> الشرع هو مورد العبادة وضابطها فلا تخضع العبادة لاطراد العرف بل قد تكون مضادة للعوائد والأعراف

ويشير ابن رجب إلى عبودية القلب قائلاً: «إن تحقق القلب بمعنى لا إله إلا الله وصدقه فيها، وإخلاصه بها يقتضي أن يرسخ فيه تألّه الله وحده، إجلالاً، وهيبة، ومخافة، ومحبة، ورجاء، وتعظيمًا، وتوكلاً، ويمتلئ بذلك، وينتفي عنه تأله ما سواه من المخلوقين، ومتى كان كذلك، لم يبق فيه محبة، ولا إرادة، ولا طلب لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه، وينتفي بذلك من القلب جميع أهواء النفوس وإراداتها، ووساوس الشيطان، فمن أحبّ شيئًا وأطاعه، وأحبّ

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير حديث ٢٨٨٧ والترمذي في الزهد ٢٣٧٥، وابن ماجة في الزهد ٤١٣٦.

(٢) الفوائد، ص ١٨٦.

(٣) طريق الهجرتين، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧، وانظر، ص ٣٠٥.



عليه وأبغض عليه فهو إلهــه، فمن كان لا يحب ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي ولا يعادي إلا له، فالله إلهه حقًا، ومن أحبّ لهواه، وأبغض لهواه، ووالى عليه، وعادى عليه، فإلهه هواه»[١].

ونختم هذه المسألة الجليلة بمثــال عملي سطّره الصحابي الجليل أبو عبد الـرحمن عبد الله ابن عمـر - رضـي الله عنهما - حيث باع حـمارًا له، فقيل له: لو أمـسكته! فقال: لقـد كان لنا موافقًا، ولكنه أذهب بشعبة من قلبي، فكرهت أن أشغل قلبي بشيء[٢].

فما أتم عبادة ابن عمر لله - تعالى -، وما أكمل توحيده وعكوف قلبه على الله - عز وجل - فهـو لما رأى التفاتًا تجـاه هذا الحمار، بادر إلى بيـعه والتخـلص منه مع كونه موافـقًا له.. فشتان بين هذا المقام الرفيع وبين من تفرّق قلـبه في أودية الدنيا وملذاتها، فصارت جل شعب قلبه متعلقة بمال، أو امرأة، أو منصب ووظيفة، والله المستعان.

ومن أجلِّ قواعد هذا الموضـوع: أن عبودية الله - تـعالى - ملائمة لحـقيقة الإنسان وجبِلَّته، ومستوعبة لمقاصده وأعماله.

وقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ قوله: «أصدق الأسماء حارث وهمَّام»[٣] فكل إنســان همام أي مريد ومـفكر، وكل همام حـارث أي صاحب عـمل وكسب وسعي، وعبـودية الله - تعالى - مناسبة للفطرة فـتتسق وتتفق مع طبـيعة الإنسان وحقيقته، وتستوعب كل نشاطه وحركته همًا وحرثًا[٤].

وقد أكّد ابن تيمية هذا المعنى في غير موضع؛ فكان مما قاله: «العبد مجبول على أن يقصد شيئًا ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في تحصيل مراده؛ وهذا أمر حتم لازم ضروري في حق كل إنسان».

فإذا تدبر الإنســان حال نفسه وحــال جميع الناس، وجدهم لا ينفكون عن هذين الأمرين: لا بد للنفس من شــيء تطمئن إلـيه وتنتـهي إليـه محبتها، وهو إلهها، ولا بد لها من شيء تثق به وتعتـمد عليه في نيل مطلوبهـا هو مستعـانها، سواءًا كان ذلك هو الله أو غيـره، وإذا كان فقد يكون عامًا وهو الكفر، كمن عبد غير الله مطلقًا، وسـأل غـير الله مطلقًـا.. وقد يكون خـاصًا في

«لا تجد أحدًا ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها والعمل بها إلا وقع في بدعة ولا تجد صاحب بدعة إلا ترك شيئًا من السنة»

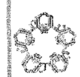
(١) جامع العلوم والحكم، ١/٥٢٤.
(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد، ص ١٩٥.
(٣) أخرجه أحمد، ٤/٣٤٥، وأبو داود والنسائي.
(٤) انظر ظاهرة الإرجاء، ١/١٢٤.

المسلمين مثل من غلب عليه حبّ المال، أو حبّ شخص، أو حب الرياسة حتى صار عبد ذلك[1].

ونختم هذه المقالة بمسألة جليلة: وهي أن فقه أسماء الله - تعالى - وصفاته، والتعبّد لله - عز وجل - بها من أعظم أسباب تحقيق عبودية الله - تعالى -.

يقول العز بن عبد السلام: «فهم معاني أسماء الله - تعالى - وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء والمهابة والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات»[2].

وعُنِيَ ابن القيم - رحمه الله - بتقرير هذه المسألة في أكثر من كتاب، ومن ذلك قوله: «لكل صفة عبودية خاصةٌ هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني: من موجبات العلم بها والتحقيق بمعرفتها؛ وهذا مُطَّرِدٌ في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح؛ فعلم العبد بتفرد الربّ بالضر والنفع والعطاء والمنع، والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا، وعلمه بسمعه - تعالى - وبصره وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة، وأنه يعلم السرّ ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله.. ومعرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة... فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»[3].



ويؤكد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - هذه المسألة بقوله: «وأما توحيد الصفات، فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات»[4].

بل ويثبت الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن أصول العبادة الثلاثة: (الحب، والرجاء، والخوف) من ثمرات ولوازم التعبد بأسماء الله - تعالى - وصفاته، فيقول: «أركان الدين: الحب، والرجاء، والخوف؛ فالحب في الأولى: وهي «الحمد لله رب العالمين»، والرجاء في الثانية: وهي «الرحمن الرحيم»، والخوف في الثالثة: وهي «مالك يوم الدين»[5].

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعيننا وسائر إخواننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/ ٣٤، ٣٥، باختصار. وانظر ١/ ٢١، وجامع الرسائل (قاعدة في المحبة)، ٢/ ٢٣١.

(٢) شجرة المعارف والأحوال، ص١٧، وانظر الفوائد، ص ٦٣ ــ ٦٤.

(٣) مفتاح دار السعادة، ٢/ ٩٠، باختصار.

(٤) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (الفتاوى)، ٣/ ٤٢.

(٥) تاريخ ابن غنام ، ٢/ ٣٦٠.





التفسير بالرأي مفهومه.. حكمه.. أنواعه

(١ من ٢)

مساعد الطيار

مفهوم الرأي:

الرأي: مصدر رأى رأيًا. مهموز، ويُجمع على آراء وأرءاءٍ.

والرأي: التفكُّرُ في مبادئ الأمور، ونظر عواقبها، وعلم ما تؤول إليه من الخطأ والصواب(١).

والتفسير بالرأي: أن يُعْمِلَ المفسر عقله في فَهْمِ القرآن، والاستنباط منه، مستخدمًا آلات الاجتهاد. ويَرِدُ للرأي مصطلحاتٌ مرادفةٌ في التفسير، وهي: التفسير العقلي، والتفسير الاجتهادي. ومصدر الرأي: العقلُ، ولذا جُعِلَ التفسيرُ العقليُ مرادفًا للتفسير بالرأي.

والقول بالرأي: اجتهادٌ من القائل به، ولذا جُعِلَ التفسيرُ بالاجتهادِ مرادفًا للتفسير بالرأي.

ونتيجة الرأي: استنباط حكم أو فائدةٍ، ولذا فإن استنباطات المفسرين من قَبِيلِ القول بالرأي.

أَنْوَاعُ الرَّأي، وموقف السلف منها: يحمل مصطلح (الرأي) حساسية خاصة، تجعل بعضهم يقف منه موقف المتردِّد؛ ذلك أنه ورد عن السلف، آثارٌ في ذمِّه.

بَيْدَ أنَّ المستقرئ ما ورد عنهم في هذا الباب (أي: الرأي) يجد إعمالاً منهم للرأي، فما موقف السلف في ذلك؟

لنعرض بعض أقوالهم في ذلك، ثمَّ نتبيَّن موقفهم منه.

---

(١) الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي، ١/٦٣.



أقوالٌ في ذمِّ الرأي:

١- ورد عن فاروق الأمة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قوله: «اتقوا الرأي في دينكم»(١).

وقال: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن. أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلُّوا وأضلوا»(٢).

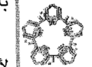
٢ - وورد عن الحسن البصري (ت:١١٠) قوله: «اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم»(٣).

أقوالٌ في إعمال الرأي:

ورد عن عمر بن الخطاب والحسن البصري - اللذين نقلت قولاً لهما بذمِّ الرأي ما يدلُّ على إجازتهما إعمال الرأي، وهذه الأقوال:

١ - أما ما ورد عن عمر فقوله لشريح - لما بعثه على قضاء الكوفة -: «انظر ما تبين لك في كتاب الله؛ فلا تسأل عنه أحدًا، وما لم يتبيَّن لك في كتاب الله، فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ، وما لم يتبيَّن لك فيه سنة، فاجتهد رأيك»(٤).

٢ - أمَّا ما ورد عن الحسن، فإن أبا سلمة بن عبد الرحمن سأله: أريت ما يفتى به الناس، أشيءٌ سمعته أم برأيك؟



فقال الحسن: ما كل ما يفتى به الناس سمعناه، ولكنَّ رَأْيَنا لهم خيرٌ من رأيهم لأنفسهم»(٥).

هذان عَلَمان من أعلام السلف ورد عنهما قولان مختلفان في الظاهر، غير أنك إذا تدبَّرت قولهم، تبيَّن لك أن الرأي عندهم نوعان:

* رأي مذموم، وهو الذي وقع عليه نهيهم.
* ورأي محمود، وهو الذي عليه عملهم.

وإذا لم تَقُلْ بهذا أوقعت التناقض في أقوالهم، كما قال ابن عبد البَرِّ (ت: ٤٦٣هـ) - لما ذكر من حُفِظ عنه أنه قال وأفتى مجتهدًا -: «ومن أهل البصرة: الحسن وابن سيرين، وقد جاء -

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، ١٩٠، وانظر ، ص ١٩٢، الأثر رقم ٢١٧.

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى، ١٩١، وانظر قولاً لمسروق في جامع بيان العلم، ١٦٨/٢، وقولاً للزهري، ١٦٩/٢.

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى، ١٩٦.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ٧١/٢، وانظر، ص ٧٤.

(٥) جامع بيان العلم، ٧٥/٢.



عنهما وعن الشعبي - ذمُّ القياس، ومعناه عندنا قياسٌ على غيرِ أصلٍ؛ لئلا يتناقض ما جاء عنهم»[1]. والقياس: نوع من الرأي؛ كما سيأتي.

العلوم التي يدخلها الرأي:

يدخل الرأي في كثير من العلوم الدينية، غير أنه يبرز في ثلاثة علوم، وهي: علم التوحيد، وعلم الفقه، وعلم التفسير.

أما علم التوحيد، فيدخله الرأي المذموم، ويسمى الرأي فيه: (هوىً وبدعة). ولذا تجد في كثير من كتب السلف مصطلح: (أهل الأهواء والبدع)، وهم الذين قالوا برأيهم في ذات الله - سبحانه -.

وأما علم الفقه، فيدخله الرأيان: المحمود والمذموم، ويسمى الرأي فيه: (قياسًا)، كما يسمى رأيًا، ولذا تجد بعض عباراتٍ للسلف تنهى عن القياس أو الرأي في فروع الأحكام، والمراد به القياس والرأي المذموم.

وأما علم التفسير، فيدخله الرأيان: المحمود والمذموم، ويسمى فيه: (رأيًا)، ولم يرد له مرادفٌ عند السلف، وإنما ورد مؤخرًا مصطلح: (التفسير العقلي).

وبهذا يظهر أن ما ورد من نهي السلف عن الرأي فإنه يلحق أهل الأهواء والبدع، وأهل القياس الفاسد، والرأي المذموم؛ إذ ليس كلُّ قياسٍ أو رأيٍ فاسدًا أو مذمومًا.

حُكمُ القَوْلِ بالرَّأي:

سيكون الحديث في حكم الرأي المتعلق بالعلوم الشرعية عمومًا - وإن كان يغلب عليه الرأي والقياس في الأحكام - وقد سبق أن الرأي نوعان: رأي مذموم، ورأي محمود.

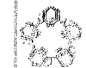
أولاً: الرَّأيُ المَذْمُومُ:

ورد النهي عن هذا النوع في كتاب الله - تعالى - وسنة نبيِّه ﷺ، كما ورد نهي السلف عنه.

وحَدُّ الرأي المذموم: أن يكون قولاً بغير علمٍ وهو نوعان: علم فاسد ينشأ عنه الهوى، أو علم غير تام وينشأ عنه الجهل، ويكون منشؤه الجهل أو الهوى.

وهذا الحدُّ مستنبط من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أمَّا من كتاب الله فما يلي:



(١) جامع بيان العلم، ٢/٧٧، وانظر كلام ابن بطال في هذا الموضوع في فتح الباري، ١٣/٣٠١.

١ - قوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

٢ - وقوله - تعالى -: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

٣ - وقوله - تعالى -: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

في هذه الآيات نهي وتشنيع على القول على الله بغير علم؛ ففي الآية الأولى جعله من المحرَّمات، وفي الآية الثانية جعله من اتباع خطوات الشيطان، وفي الآية الثالثة جعله منهيًا عنه. وفي هذا كلِّه دليلٌ على عدم جواز القول على الله بغير علم.

وأما في سنة الرسول ﷺ:

فإن من أصرح ما ورد فيها قوله: «إن الله - عز وجل - لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء، فيقبض العلم، حتى إذا لم يترك عالمًا، اتخذ الناس رؤساء جُهَّالاً، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» رواه البخاري في كتاب الاعتصام، وترجم له بقوله: «بابُ ما يذكر من ذمِّ الرأي وتكلف القياس»[1].

وأمَّا ما ورد عن السلف، فمنها:

١ - ما سبق ذكره عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - والحسن البصري - رحمه الله - من نهيهما عن الرأي.

٢ - عن مسروق (ت: ٦٣هـ) قال: «من يرغب برأيه عن أمر الله يضلُّ»[2].

٣ - وقال الزهري (ت:١٢٤هـ): «إياكم وأصحاب الرأي، أعيتهم الأحاديث أن يعوها»[3].

وممن نُقِل عنه ذم الرأي أو القياس ابن مسعود (ت: ٣٣هـ) من الصحابة، وابن سيرين (ت: ١١٠هـ) من تابعي الكوفة، وعامر الشعبي (ت: ١٠٤هـ) من تابعي الكوفة، وغيرهم[4].

صور الرأي المذموم:

ذكر العلماء صورًا للرأي المذموم، ويطغى على هذه الصُّوَر الجانب الفقهي؛ لكثرة حاجة الناس له، حيث يتعلَّق بحياتهم ومعاملاتهم. ومن هذه الصور ما يلي:

---

(١) انظر الحديث في فتح الباري، (١٣/ ٢٩٥).

(٢) جامع بيان العلم، ٢/ ١٦٨.

(٣) جامع بيان العلم ٢/ ١٦٩.

(٤) انظر: جامع بيان العلم، ٢/ ٧٧، وفتح الباري، ١٣/ ٣١٠.



١ - **القياس على غير أصل**[1].

٢ - **قياس الفروع على الفروع**[2].

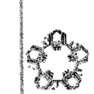
٣ - **الاشتغال بالمعضلات**[3].

٤ - **الحكم على ما لم يقع من النَّوازل**[4].

٥ - **ترك النظر في السنن اقتصارًا على الرأي، والإكثار منه**[5].

٦ - **من عارض النصَّ بالرأي، وتكلف لردِّ النص بالتأويل**[6].

٧ - **ضُروب البدع العقدية المخالفة للسنن**[7].



هذه بعض الصور التي ذكرها العلماء في الرأي المذموم، وسيأتي صور أخرى تخصُّ التفسير.

ثانيًا: الرأي المحمود:

هذا النوع من الرأي هو الذي عَـمِلَ به الصحـابة والتابعـون ومن بعدهم من علمـاء الأمَّة، وحدُّه أن يكون مـستندًا إلى علمٍ[8]، ومـا كان كـذلك فإنه خـارج عن معنى الذمِّ الذي ذكـره السلف في الرأي.

ومن أدلة جواز إعمال الرأي المحمود ما يلي:

١ - مفهـوم الآيات السابقة والحديث المذكور في أدلة النهي عن الرأي المذمـوم؛ لأنها كلها تدل على أن القول بغير علم لا يجوز، ويفهم من ذلك أن القول بعلم يجوز.

٢ - فعل السلف وأقوالهم، ومنها:

أ - عن عبد الرحمن بن يزيد قال: أكثرَ الناس علـى عبد الله (يعني: ابن مسعود) يسألونه، فقـال: أيها الناس إنه قـد أتى علينا زمان نقـضـي ولسنا هناك، فمن ابتلي بقـضـاءٍ بعـد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن أتاه ما ليس في كتاب الله - ولم يَقُلْهُ نبيُّه - فليقض بما قضى به الصالحون، فإن أتاه أمر لم يقض به الصالحون - ولـيس في كتاب الله، ولم يقل فيه نبيُّه - فليـجتـهد رأيه، ولا يقـول: أخاف وأرى، فـإن الحـلال بَيِّنٌ، والحرام بَيِّنٌ، وبَيْنَ ذلك أمـورٌ مشتبهات، فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم»[9].

---

(١) جامع بيان العلم، ٢/٧٠، ٧١، ٧٧.

(٢ ، ٣، ٤) جامع بيان العلم، ٢/١٧٠.

(٥) الاعتصام للشاطبي، ١/١٠٤.

(٦) فتح الباري، ١٣/٣٠٣.

(٧) جامع بيان العلم، ٢/١٦٩.

(٨) العلم يقابل الجهل المذكور في حدِّ الرأي المذموم، أما الهوى، فيقابله الورع؛ لأنَّ الوَرَعَ يقي صاحبه من مخالفة الحقِّ.

(٩) جامع بيان العلم، ٢/٧٠ ــ ٧١.

قال ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) معلقًا على هذا القول: «هذا يوضح لك أن الاجتهاد لا يكون إلا على أصولٍ يضاف إليـها التحليل والتحـريم، وأنه لا يجتهد إلا عالم بهـا، ومن أشكل عليه شيءٌ لزمه الوقوف، ولم يَجُز له أن يُحـيلَ على الله قولاً في دينه لا نظير له من أصلٍ ولا هو في معنى أصلٍ. وهذا لا خلاف فيه بين أئمة الأمصار قديمًا وحديثًا؛ فتدبَّره»[1].

ب – وعن الشعبي (ت: ١٠٤هـ) قال: لما بعث عمرُ شريحًا على قضاء الكوفة قال له: انظر ما تبيَّن لك في كـتاب الله فلا تسأل عنه أحدًا، ومـا لم يتبيَّن لك في كتاب الله فـاتَّبع فيه سنة رسول الله ﷺ، وما لم يتبين لك فيه السنة فاجتهد رأيك»[2].

ج – وعن مسروق (ت: ٦٣هـ) قال: سألت أُبَيَّ بن كعب عن شيءٍ؛ فقال: أكان هذا؟

قلت: لا.

قال: فأجمَّنا (أي: اتركنا أو أرحنا) حتى يكون؛ فإذا كان اجتهدنا لك رأينا»[3].

الرَّأيُ فِي التَّفْسِيرِ:

اعلم أن ما سبق كان مقدمة للدخـول في الموضوع الأساس، وهو التفسيـر بالـرأي، وكان لا بدَّ لهذا البحث من هذا المدخل، وإن كان الموضوع متـشابكًا يصعب تفكيك بعضه عن بعض، ولذا سأحرص على عدم تكرار ما سبق، وسأكتفي بالإحالة عليه، إن احتاج الأمر إلى ذلك.

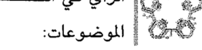
وسأطرح في هذا ثلاثة موضوعات:

الأول: موقف السلف من القول في التفسير.

الثاني: أنواع الرأي في التفسير.

الثالث: التفسير بين المأثور والرأي.

وسيـتخلَّل هذه الموضوعـات مسائل عـِدَّة؛ كشروط القـول بالرأي، وأدلة جواز



الرأي في التـفـسـيـر، وصـور الرأي المذمـوم.... إلخ، وإليك الآن تـفـصـيل هذه الموضوعات:

(١، ٢) جامع بيان العلم، ٢/٧١.

(٣) جامع بيان العلم، ٢/٧٢، وانظر غيرها من الآثار، ص ٦٩ ـــ ٧٩.



أولاً: موقف السلف من القول في التفسير:

التفسير: بيان لمراد الله - سبحانه - بكلامه، ولما كان كذلك، فإن المتصدي للتفسير عرضة لأن يقول: معنى قول الله كذا.

ثم قد يكون الأمر بخلاف ما قال. ولذا قال مسروق بن الأجدع (ت: ٦٣هـ): «اتقوا التفسير؛ فإنما هو الرواية عن الله - عز وجل -».

وقد اتخذ هذا العلم طابعًا خاصًا من حيث توقِّي بعض السلف وتحرجهم من القول في التفسير، حتى كان بعضهم إذا سئل عن الحلال والحرام أفتى، فإذا سئل عن آية من كتاب الله سكت كأن لم يسمع.

ومن هنا يمكن القول: إن السلف - من حيث التصدي للتفسير - فريقان: فريق تكلَّم في التفسير واجتهد فيه رأيه، وفريق تورَّع فقلَّ أو نَدُرَ عنه القول في التفسير.

وممن تكلم في التفسير ونُقِلَ رأيه فيه عمر بن الخطاب (ت: ٢٣هـ) وعلي بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) وابن مسعود (ت: ٣٣هـ) وابن عباس (ت: ٦٧هـ) وغيرهم من الصحابة.

ومن التابعين وأتباعهم: مجاهد بن جبر (ت: ١٠٣هـ) وسعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ) وعكرمة مولى ابن عباس (ت: ١٠٧هـ) والحسن البصري (ت: ١١٠هـ) وقتادة (ت: ١١٧هـ) وأبو العالية (ت: ٩٣هـ) وزيد بن أسلم (ت: ١٣٦هـ) وإبراهيم النخعي (ت: ٩٦هـ) ومحمد ابن كعب القرظي (ت: ١١٧هـ) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت: ١٨٢هـ) وعبد الملك بن جريج (ت: ١٥٠هـ) ومقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) ومقاتل بن حيان (ت: ١٥٠هـ) وإسماعيل السدي (ت: ١٢٧هـ) والضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٥هـ) ويحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ)، وغيرهم.

وأما من تورَّع في التفسير فجمعٌ من التابعين[١] من أهل المدينة والكوفة.

أما أهل المدينة، فقال عنهم عبيد الله بن عمر: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلظون القول في التفسير؛ منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع[٢].

---

(١) لم أجد نقلاً عن أحد من الصحابة يدل على أن مذهبه كهذا المذهب الذي برز عند التابعين.

(٢) تفسير الطبري (ط شاكر)، ١/٨٥.

وقال يزيد بن أبي يزيد: «كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام - وكان أعلم الناس - فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع»(١).

وقال هشام بن عروة بن الزبير: «ما سمعت أبي يتأوَّل آية من كتاب الله قطّ»(٢).

وأمَّا أهل الكوفة فقد أسند إبراهيم النخعي إليهم قَولَه: «كان أصحابنا - يعني: علماء الكوفة - يتَّقون التفسير ويهابونه»(٣).

هذا.. ولقد سلك مسلك الحذر وبالغ فيه إمام اللغة الأصمعي (ت: ٢١٥هـ)، حيث نقل عنه أنه كان يتوقَّى تبيين معنى لفظة وردت في القرآن(٤).

فما ورد عن هؤلاء الكرام من التوقي في التفسير إنما كان تورُّعًا منهم، وخشية ألاَّ يصيبوا في القول.

ثانيًا: أنواع الرأي في التفسير:

الرأي في التفسير نوعان: محمود، ومذموم.

النوع الأول: الرأي المحمود.

إنما يحمد الرأي إذا كان مستندًا إلى علم يقي صاحبه الوقوع في الخطأ. ويمكن استنباط أدلةٍ تدلُّ على جواز القول بالرأي المحمود.

ومن هذه الأدلَّة ما يلي:

١ - الآيات الآمرة بالتدبُّر:

وردت عدَّة آيات تحثّ على التدبُّر؛ كقوله - تعالى -: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] ، وقوله: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. وغيرها من الآيات.

وفي حثِّ الله على التدبر ما يدلُّ على أن علينا معرفة تأويل ما لم يُحجب عنا تأويله؛ لأنه محالٌ أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له: اعتبر بما لا فهم لك به(٥).

والتدبُّر: التفكُّر والتأمُّل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلامٍ قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبِّر تدبُّرًا انكشف له معانٍ لم تكن له بادئ النظر(٦).

---

(١) تفسير الطبري (ط شاكر)، ١/٨٦.

(٢ ، ٣) فضائل القرآن لأبي عبيد، ٢٢٩.

(٤) انظر في ذلك: الكامل للمبرد (تحقيق: الدالي) ٢/٩٢٨، ٤١٣٥، تهذيب اللغة ١/١٤، إعجاز القرآن للخطابي (تحقيق: عبد الله الصديق) ٤٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري (ط شاكر)، ١/٨٢ ـ ٨٣.

(٦) التحرير والتنوير، ٢٣/٢٥٢.



والتدبُّر: عملية عـقلية يجريها المتـدبـر من أجل فهـم معاني الخطـاب الـقرآني ومراداتـه، ولا شك أن ما يظهر له من الفهم إنما هو اجتهاده الذي بلغه، ورأيه الذي وصل إليه.

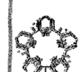
٢ – إقرارُ الرسول ﷺ اجتهادَ الصحابة في التفسير: لا يبعد أن يقال: إن تفسير القرآن بالرأي نشأ في عهد الرسول ﷺ، وفي ذلك وقائع يمكن استنباط هذه المسألة منها، ومن هذه الوقائع ما يلي:

أ – قـال عمـرو بن العـاص: بعـثني رسـول الله ﷺ عام ذات السُّلاسِلِ، فاحتلمت في لـيلة باردةٍ شديدة البرد، فأشفـقت إن اغتسلت أن أهلك، فتـيمَّمت به، ثمَّ صليت بأصحـابي صلاة الصبح، فلما قـدمت على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جُنُبٌ؟

قلت: نعم يا رسول الله، إني احـتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فـأشفقت إن اغـتسلت أن أَهْلَـكَ، وذكرتُ قـول الله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] فتيمَّمْتُ، ثم صليت، فضحك ﷺ ولم يقل شيئًا»(١).

في هذا الأثر ترى أن عَـمْرًا اجـتـهد رأيه في فـهم هذه الآية، وطبَّـقهـا على نفسه، فـصلى بالقوم بعد التيمم، وهو جنب، ولـم ينكر عليه الرسول ﷺ هذا الاجتهاد والرأي.

ب – وفي حديث ابن مسـعود، لما نزلت آية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعـام: ٨٢] قلنا يا رسـول الله: وأيـنا لم يظلم نفسـه، فـقـال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]**»(٢)، ترى أن الصحابة فهمـوا الآية على العموم، وما كان ذلك إلا رأيًا واجتهادًا منهم في الفهم، فلمـا استشكلوا ذلك سألوا رسول الله ﷺ، فأرشدهم إلى المعنى المراد، ولم ينههم عن تفهُّم القرآن والقول فيـه بما فهموه. كما يدل على أنهم إذا لم يستشكلوا شيئًا لم يحتاجوا إلى سؤال الرسول ﷺ. والله أعلم.**



(١) مسند الإمام أحمد، ٢٠٣/٤، ٢٠٤، وأبو داود برقم ٣٣٥، وانظر تفسير ابن كثير، ٤٨٠/٢، والدر المنثور، ٤٩٧/٢.
(٢) أخرجه البخاري في أكثر من موضع، كتاب الإيمان ح/٣٢، أحاديث الأنبياء/٣٣٦٠، ٣٤٢٨.



٣ - دعاء الرسول ﷺ لابن عباس: دعا الرسول ﷺ لابن عباس بقوله: «اللهم فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل» وفي إحدى روايات البخاري: «اللهم علمه الكتاب»(١).

والتأويل: التفسير، ولو كان المراد المسموع من التفسير عن النبي ﷺ لما كان لابن عباس مَزِيَّةٌ بهذا الدعاء؛ لأنه يشاركه فيه غيره(٢)، وهذا يدلُّ على أن التأويل المراد: الفهم في القرآن(٣)، وهذا الفهم إنما هو رأيٌ لصاحبه.

٤ - عمل الصحابة: مما يدل على أن الصحابة قالوا بالرأي وعملوا به ما ورد عنهم من اختلافٍ في تفسير القرآن؛ إذ لو كان التفسير مسموعًا عن النبي ﷺ لما وقع بينهم هذا الاختلاف.

ومما ورد عنهم نصًا في ذلك قولُ صدِّيق الأمة أبي بكر - رضي الله عنه - لما سئل عن الكلالة، قال: «أقول فيها برأيي؛ فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان»(٤).

وكذا ما ورد عن علي - رضي الله عنه - لما سئل: هل عندكم عن رسول الله ﷺ شيءٌ سوى القرآن؟ قال: «لا، والذي فلق الحبَّة، وبرأ النسمة، إلا أن يُعطِي الله عبدًا فهمًا في كتابه»(٥).



والفهم إمـا هو رأي يتولَّد للمرء عند تفهُّم القرآن؛ ولذا يختلف في معنى الآية فهم فلان عن غيره.

---

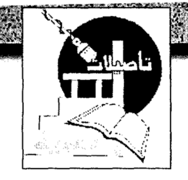
(١) انظر: فتح الباري، ١/٢٠٤، وانظر شرح ابن حجر، ١/٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ١/٣٣، وجامع الأصول، ٢/٤.

(٣) انظر: فتح الباري، ١/٢٠٥.

(٤) انظر قوله في تفسير الطبري، (ط شاكر) ، ٨/٥٣، ٥٤.

(٥) رواه البخاري، (فتح الباري، ١/٢٤٦) وغيرها من المواضع التي ذكرها لهذا الحديث.



(١ من ٢)



عبد الحكيم بن محمد بلال

لو أردنا أسلوبًا دعويًا يشمل الأساليب الدعوية كلها، لم نجد إلا الحكمة.

وتبدو أهمية هذا الموضوع في الأمور التالية:

١ - أن الله ـ تعالى ـ حكيم، متصف بالحكمة، وهي منه بمعنى: علمه بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام.

٢ - أن الله نسبها إلى نفسه، وجعل إيتاءها من عنده فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٣ - أن النبي ﷺ مُلئ قلبه بالحكمة ـ كما في حادثة شق الصدر ـ [١]، وكانت مهمته تعليم الحكمة، فجاءت أعماله ملازمة للحكمة في أكمل صورها.

٤ - أن الحكمة هي الفقه في الدين - كما فسرها كثير من السلف - والرسول ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدِّين»[٢].

٥ - أنها كلمة جامعة بين العلم والعمل.

---

(١) رواه البخاري ، ح/٣٤٩، ومسلم، ح/١٣٦. وفيه أن الملك ملأ صدره بالحكمة بعد أن فرَّغه من غيرها.

(٢) رواه البخاري، ح/٧١، ومسلم، ح/١٠٣٧.



٦ – أن الله مدحها لاشتمالها على الخير الكثير، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].
وقد أمر بها مطلقًا من غير تقييدها بالحسن؛ لأنها حسنة بذاتها، فقال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [النحل: ١٢٥].

٧ – أنها طريق من طرق الدعوة، وأسلوب يندرج تحته بقية الأساليب.

٨ – أنها ضالة المؤمن، متى وجدها فهو أحق بها.

٩ – أنها موضع تحاسد وغبطة، لاستحقاقها ذلك لشرفها ومكانتها، قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[1].

١٠ – الفهم الخاطئ لمعنى الحكمة؛ حيث يفهمه البعض على أنه اللين والرفق دومًا، ويرى آخرون أن المداهنة والسكوت عن الحق حكمة، ويحسب آخرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قادحًا في الحكمة.

١١ – كونها مدار نجاح الدعوات. والصحوة اليوم بأمس الحاجة إلى سلوك سبيل الحكمة، خاصة أن بعض المواقف والأعمال التي قامت بها بعض الجماعات الإسلامية، وبعض الدعاة الغيورين كانت تفتقر إلى الحكمة، كالدخول في معارك عسكرية مع الأنظمة، حتى وإن كانت كافرة، ومثل أسلوب الاغتيالات، أو إحراق أماكن الفساد في بلد لا يملك فيه المسلمون السلطة... وكل ذلك ناشئ عن الجهل في فهم النصوص ودلالاتها، والخلط فيما تقتضي النصوص التفريق بينه.

١٢ – وتظهر أهمية الحكمة أيضًا بمعرفة آثارها، التي منها: الوصول إلى الأهداف من أقرب طريق، وبأكثر النتائج، وأقل الخسائر. ومنها: تقريب القلوب من الدعوة والدعاة، وإزالة الشحناء والبغضاء.

مفهوم الحكمة:

تدور معاني الحكمة في اللغة حول المنع؛ (لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم فيه، أو ما قد يندم عليه، وتمنعه من اختيار المفضول دون الفاضل، أو المهم قبل الأهم)[2].

وقد وردت في القرآن مقترنة بالكتاب فـفسرت بالسنة، كما وردت مفردة ففسرها المفسرون بتفسيرين:

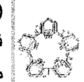
---

(١) رواه مسلم، ح/٨١٦، ومعنى (فسلطه على هلكته) أي: على إنفاقه في الطاعات.
(٢) الحكمة، العمر، ص ١٣.



الأول: النبوة، والثاني: العلم والإتقان، والتوفيق، والبصيرة، والعمل الصائب، ومنع الظلم، ووضع الشيء في موضعه، وكلها معان متقاربة. وقد وردت في السنة النبوية بنحو هذا المعنى(1).

ويمكن تعريفها بتعريف جامع مانع، فيقال هي: (الإصابة في القول والعمل والاعتقاد، ووضع كل شيء في موضعه، بإحكام وإتقان)(2)، أو بتعبير آخر: (فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي)(3)، فهذا يشمل القول أيضًا؛ لأنه يعدّ فعلاً. والوجه الذي ينبغي: الطريقة التي يؤدى بها القول أو الفعل أيًا كان، مع مراعاة اختلاف الزمان والمكان.



فتبين أن الحكمة في الدعوة لا تقتصر على الكلام اللين أو الترغيب أو الحلم أو الرفق أو العفو... بل هي إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فتشمل جميع الأساليب الدعوية فيوضع القول الحكيم والتعليم والتربية في موضعه، وتوضع الموعظة في موضعها، والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها، ومجادلة الظالم المعاند في موضعها، والزجر والقوة والغلظة والشدة والسيف في مواضعها، وهذا هو عين الحكمة، لموافقته لقوله - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

كل ذلك مع الاستقامة على دين الله وحسن النية وسلامة القصد وصدق الرغبة فيما عند الله - تعالى -، وإلا كان كل ذلك نوعًا من النفاق.

وهناك علاقة بين الحكمة والذكاء من حيث إنه مادة ووسيلة للتعرف على الحكمة، ولكن لا يلزم منه وجودها. وإذا عُرِّف الذكاء بحسن التكيف والتلاؤم مع البيئة والأحوال والأحداث الطارئة، فإن هذا لا يصلح تفسيرًا للحكمة كما ترى - وإن حاوله البعض -؛ إذ يدخل فيه المنافق والمجرم(4).

وما ظُلِمَتْ كلمة مثل الحكمة باسم الحكمة؛ فكم أساء فهمها الكثير، حتى من المنتسبين للعلم والدعوة، حتى صارت مركبًا سهلاً لكل من صعب عليه التزام المنهج، أو لاحت أمامه

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١٩ وما بعدها.

(٣) الحكمة، سعيد القحطاني، ص ٣٠.

(٤) انظر: الحكمة، العمر، ص ٢٥.

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، ١/ ١٧ - ١٩

المكاسب الدنيوية والمصالح الشخصية فصار شعاره الحكمة، ولكن بمفهوم آخر تماماً يدل عليه منهجه الذي جعله متمثلاً في اتباع اللين في كل أمر، ومجاراة الأمر الواقع، وربما التنازل عن المبادئ، والخجل من التزام الشرائع، والتشنيع على كل من يلتزمها... والخطورة تكمن في محاولة هؤلاء المتخاذلين المنهزمين طمس معالم المنهج الصحيح، وإحلال منهجهم ذي الحكمة المترهلة العجينة المزيفة.

خوارم الحكمة وموانعها:

قد يصرف الداعية - أو تنحرف الدعوة - عن الحكمة بسبب أمور يغفل عنها الكثير، ومنها[1]:

١ - **الهوى وعدم التجرد لله - عز وجل - بالإخلاص، ولنبيه ﷺ بالمتابعة:** وهو سبب للضلال عن الحق والحكمة، قال - تعالى -: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] ؛ لأنه يعمي عن الحق، ويصم.

٢ - **الجهل:** لأن الحكمة تحتاج إلى العلم. وقد بين - تعالى - أن سبب عدم توفيق الكفار للحق والحكمة هو الجهل فقال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

٣ - **الأخذ بظواهر النصوص:** كمنهج الظاهرية، فلم يوفقوا للحق في كثير من المسائل، وعدم الجمع بين الأدلة؛ فإن من لا يجمع بين الأدلة يقع في التناقضات التي تنافي الحكمة، فلا يوفق للحق في كثير من المسائل.

٤ - **الاستدلال بالأدلة في غير مواضعها:** كمن يستدل بقوله - تعالى -: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أنها تدل على عكس هذا كما يفهم من قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فإن الاهتداء لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكمن يستدل بقوله - عز وجل -: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] على ترك الجهاد، مع أن تركه هو التهلكة، كما هو واضح من سبب نزول الآية.

٥ - **عدم فهم الدليل:** فيخالف الحكمة في تطبيقه له وتصرفه على أساس الفهم الخاطئ.

٦ - **قلة التجربة:** وهو سبب مخالفة كثير من الشباب للحكمة.

٧ - **الفردية:** ولذا قال ﷺ: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[2]، والحكمة تقتضي الجماعة والتعاون.

---

(١) انظر: الحكمة، العمر، ص ٤٧ - ٦٤.

(٢) رواه أبو داود، ح/٥٤٧، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ح/٥١١.



> صارت الحكمة مركباً سهلاً لكل من صعب عليه المنهج

٨ - **عدم تحديد الأهداف:** المؤدي إلى آنية التفكير وموسمية العمل والارتجال، وهو ناشئ عادة من النظرة السطحية للأمور، والوقوف عند ظواهر الأحداث، دون النظر في أسبابها، وآثارها، ونتائجها.

٩ - **تقديم الجزئيات على الكليات:** وهو ناشئ من قصور العلم، وقصر النظر. وحاله كحال من رأى شوكة في يد جريح ينزف جرحه، فانشغل بإخراج الشوكة عن عَصْبِ الجرح ومعالجته. وقد استغل الأعداء هذه الثغرة، فأقاموا بعض شعائر الإسلام الجزئية وأشغلوا الناس بها، وهدموا أصوله وأركانه الكلية في غفلة من الناس.

١٠ - العجلة، وعدم ضبط النفس.

١١ - الخلط في المفاهيم: فإن الحكيم ينطلق من مفاهيم صحيحة، وقواعد ثابتة، مستمدة من الوحي، ومن صور الخلط في المفاهيم:

أ - الخلط في مفهوم خوف الفتنة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية الفتنة!!

ب - الخلط بين الحزبية والانتماء: فحوربت الجماعة والوحدة والائتلاف باسم النهي عن الحزبية المقيتة والانتماء، مع أن من الانتماء ما هو محمود ومنه ما هو مذموم؛ فالانتماء لأهل السنة والجماعة مطلوب محمود، بخلاف تحزّب المسلمين بعضهم ضد بعض، فإنه مذموم.

ج - الخلط بين الوسائل والغايات.

د - الخلط بين الثوابت والمتغيرات.

هـ - الظن بأن حب السلف والدفاع عن منهجهم يكفي عن فهمه وتطبيقه والتزامه.

ومن الأمثلة أيضًا: الخلط بين الكرم وبين الإسراف، والخلط بين الرفق واللين وبين الضعف، والخلط بين المداراة وبين المداهنة، والخلط بين المصلحة وبين المفسدة، والخلط بين النصيحة وبين التشهير، والخلط بين الإسرار وبين السكوت عن الحق، والخلط بين الغيرة وبين الاندفاع غير المنضبط، والخلط بين العزة وبين التكبر، والخلط بين التواضع وبين الذل والخلط بين التأني وبين البرود والخمول والكسل، والخلط بين الشجاعة وبين التهور، والخلط بين خوف الفتنة وبين الجبن والخوف.

الحكمة توهب من الله، وتكتسب أيضاً فلها أسبابها

وأول هذه الأمور كلها محمود ممدوح، وثانيها مذموم.

١٤ - عدم إتقان قاعدة المصالح والمفاسد: وهذا يؤدي إلى تقديم جلب المصالح على دفع المفاسد، وإلى ارتكاب المفسدة الكبرى لدفع الصغرى، وجلب المصلحة الصغرى وترك الكبرى... مع أن الواجب هو العكس تماماً. والحكيم من يعرف خير الخيرين، وشر الشرين.

١٥ - الغفلة عن مكائد الأعداء: بسبب الجهل بفقه الواقع؛ إذ كيف يمكن للمرء أن يفعل ما ينبغي كما ينبغي، إذا كان لا يدرك ماذا ينبغي؟ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

١٦ - الغلظة والعنف والطيش: لأن سرعة الغضب والانفعال من خوارم الحكمة، وإنما يترك الناس من جَانَبَ الحكمة. قال - تعالى -: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

أركان الحكمة وأسباب اكتسابها:

الحكمة رتبة رفيعة، وليست متاحة لكل أحد، بل هي مع بذل الأسباب، وتوافر الأركان فضل من الله ونعمة، ولذا قال - تعالى -: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [البقرة: ٢٦٩]، مما يوجب على طالبها أن يسألها من مالكها - سبحانه وتعالى-، وعلى من حصلت له أن يستشعر محض فضل الله ومنته، مع سعيه في توفير أركانها، وبذل أسبابها التي تحصل بها، والتي منها:

١ - التجرد والإخلاص والتقوى: قال - تعالى -: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وإذا كان الهوى من موانع الحكمة، فإن التقوى والإخلاص أساسها، وما أوضح هذا المعنى في قوله - تعالى -: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٤]، فإنه لن يكون إماماً ذا اعتبار إلا إذا كان إماماً للمتقين، فهو متقٍ؛ لأن التقوى صفة للإمام قبل المأمومين. وتحصل التقوى بالعمل الصالح الناتج عن العلم النافع، وتثمر بالاستقامة والثبات عليها.

٢ - **العلم الشرعي:** وقد قرن الله بين الحكم - وهي الحكمة - والعلم في عدة آيات، منها قوله: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤]. والمراد بالعلم: العلم بالله وأسمائه وصفاته، والعلم بأخباره، وأوامره المتعلقة بالقلوب والجوارح.

٣ - **الحلم:** وهو رجاحة العقل. والعقل: مكان الحكمة وبيتها. وبينهما اشتراك لفظي ومعنوي، ومما يدل على علاقته بها أن الله - تعالى - ذكر الحكمة، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ، ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ ليبين أنه - تعالى وتقدس - لا يؤتي الحكمة إلا أهل العقول الوافية؛ فهم الذين يعرفون النافع فيعلمونه، والضار فيتركونه.

ويراد بالحلم أيضًا: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وهو حالة متوسطة بين الغضب والبلادة، وهذه الحالة يقتضيها العقل السليم.

٤ - **الأناة:** وهي لغةً: التثبت وعدم العجلة. وتعرف بأنها: التصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ. وهي: مظهر من مظاهر الصبر، وهي معينة على إحكام الأمور ووضعها في مواضعها. وليس للأناة مقادير زمنية ثابتة، ولكنها تختلف باختلاف حاجة الأشياء إلى مقدار السرعة الزمنية التي تحتاجها وتستدعيها النتائج المطلوبة.

وقد أمر الله بالتثبت فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] وفي قراءة ﴿فتثبتوا﴾، وذم العجلة والاستخفاف فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] ويستثنى ما كان الخير فيه واضحًا، قال - تعالى - ممتدحًا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٥ - **التجربة والخبرة:** والتجربة في الحياة رصيد ضخم تعادل أعلى الشهادات، فإذا أضيفت إلى العلم أصبحت أهم من الشهادات؛ لأن التجربة في الشهادة قاصرة. قال معاوية - رضي الله عنه - (لا حكيم إلا ذو تجربة)(١).

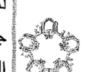
والتجارب تنمي المواهب والقدرات، وتزيد البصير بصرًا، والحليم حلمًا، وتجعل العاقل حكيمًا، وقد تشجع الجبان، وتليِّن القاسي، وتسخِّي البخيل، وتقوِّي الضعيف... والداعية إذا خالط الناس عرف حاجتهم، وركَّز على ما ينفعهم، ووضع كل شيء في موضعه، وإذا أخطأ استفاد من خطئه، قال ﷺ: «لا يُلْدَغُ المؤمن من جحر واحد مرتين»(٢).

---

(١) رواه البخاري موقوفًا مجزومًا به، الفتح، ١٠/٥٤٦.

(٢) رواه البخاري، ح/٦١٣٣.

ولذا كان أكمل الناس تجربة وحكمة الأنبياء: رعوا الغنم، ثم جربوا الناس فازدادوا بهم خبرة، وعرفوا سنن قيادتهم، قال موسى - عليه الصلاة والسلام - لنبينا محمد ﷺ: «إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة في كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك»[1].



٦ - **الاستشارة:** وهي من عوامل تجنب الفردية القادحة في الحكمة، وقد وصف الله بها المؤمنين، فقال مثنيًا عليهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] ، ولو استغنى عنها صاحب عقل لكان أغنى الناس عنها من كان يأتيه الوحي من السماء ﷺ، ومع ذلك يأمره ربه - عز وجل - بمشاورة أصحابه؛ فيقول مبينًا أن الشورى هي مقتضى الحكمة: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد أوجب الله المشورة بين الوالدين، في قضية فطام الولد، وهي قضية تتطلب الحكمة لئلا يتضرر الولد بالفطام: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾. [البقرة: ٢٣٣] .

٧ - **بُعْدُ النظر وعلو الهمة وسمو الأهداف**، وهو سبب عظيم للسداد في الرأي، والتوفيق للصواب؛ حيث إن الذي يعيش لقضية مصيرية يختلف عن إنسان يعيش على هامش الحياة؛ فإن الأول يربط كل حدث بالأهداف التي يسعى إليها، ويعالجه من خلال منظور معين، بخلاف الثاني.

> «الحكمة ليست مرادفاً للين في كل حين، بل قد تقتضي الشدة أحياناً»

٨ - **فقه السنن:** وقد حث الله على النظر في السنن الكونية الشرعية، والتفكر في أحوال الماضين فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، فقرن السير في الأرض - وهو إما حسي أو معنوي - بالعقل، وهو موطن الحكمة، ويحصل مثل هذا السير بالاطلاع على أحوال الماضين، وقراءة التاريخ لمعرفة تجارب الآخرين وإضافتها إلى التجربة الشخصية.

---

(١) رواه البخاري، ح/٣٨٨٧.

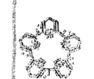
٩ - **المجاهدة:** وهي الجهاد بعد الجهاد، وحمل النفس على تحقيق مراد الله - تعالى - مرة بعد أخرى، قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، أي: لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، وهي عين الحكمة، وهذا وعد الله.

١٠ - **الدعاء والاستخارة:** قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. والرشد: إصابة الحق وفعله، وهذا من معاني الحكمة. والاستخارة نوع من الدعاء، عندما يتحير المرء في أي الطرق يسلك، فإنه بالاستخارة يوفق للحكمة والصواب.

١١ - **السلوك الحكيم:** وهو المظهر الدال على الخلق الباطن، ويمكن للداعية أن يحقق ذلك السلوك من خلال:

أ - الاقتداء بالصادق الأمين ﷺ، ذي الخلق العظيم، والذي بعث متممًا لمكارم الأخلاق.

ب - اتباع أصول السلوك الحكيم، ومن أهم هذه الأصول تأثيرًا في اكتساب الحكمة ما ورد مثلاً في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] ، وما في معناها من النصوص.



ومن الأصول المؤثرة جدًا:

الصبر: وهو ركن ركين للإمامة التي لا ينالها إلا ذو حكمة، قال - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] . ومما يبين أثر الصبر في التوفيق للحكمة قوله - تعالى -: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] فإن الإنسان إذا سلك منهجًا يجعل من عدوه حميمًا وصديقًا، فإن ذلك دليل على الحكمة وحسن التصرف.

الرفق ولين الجانب: قال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1]، وكان ﷺ يوصي صحابته بذلك وقد مدحه الله - تعالى - فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، والله - عز وجل - رفيق يحب الرفق.

---

(١) مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، حديث رقم (٢٥٩٤).

والرفق واللين لا يضـاد القوة، ولا يسـتلزم الضـعف، وإنما يضاد العـنف والفظاظة والغلظة، والجهاد مظهر من مظاهر القوة، ولا يضاد اللين والرفق، فلا منافاة بين اللين والرفق، وبين القوة.

١٢ - العمل بالعلم المقرون بالصدق والإخلاص: وليس من الإخلاص أن يكون قصده بالعمل التحلي بالحكمة فحسب.

١٣ - الاستقامة: وهي كلمة جامعة تجمع الدين كله، قال الله - تعالى -: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وهي السداد، فإن لم يستطع فعليه بالمقاربة لها، وفي كلتا الحالتين عليه أن يستحضر فضل الله ورحمته.

فالعمل وحده لا ينجي، قال ﷺ: «قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[1].

ومَنْ أخلص دعوته لله، وأحسن العمل، واعتز بدينه فهو مستقيم ولا أحد أحسن منه، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وإذا عرض له في دعوته شياطين الإنس دفعهم بالتي هي أحسن، واستعاذ بالله من شياطين الجن، قال - تعالى -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠].



فمن سلك هذه المسالك المستقيمة نال الحكمة والسداد - بإذن الله تعالى -.

١٤ - السياسة الدعوية الحكيمة: وطرقها كثيرة، ومنها:

(أ) تحري أوقات الفراغ، والنشاط والحاجة عند المدعوين؛ حتى لا يملوا، ولئلا يفوتهم شيء من الخير.

(ب) ترك الأمر الذي لا ضرر في تركه ولا إثم؛ اتقاء الفتنة.

(ج) تأليف القلوب بالمال والجاه أحيانًا، حسب الحاجة، فإن الداعية كالطبيب.

(د) التأليف بالعفو في موضع الانتقام، والإحسان مكان الإساءة... وكل خطأ بالخُلق المضاد له.

---

(١) رواه مسلم، ح/٢٨١٦.



(هـ) عدم مواجهة الداعية أحدًا بعينه عندما يريد أن يؤدبه أو يزجره، ما دام يجد في الموعظة العامة كفاية.

(و) إعطاء الوسائل صورة الغايات، بتبيين ثمرات أفعال الخير العظيمة، مثل: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[1] وبتوضيح آثار أعمال الشر، وذلك بسد الذرائع الموصلة إليها، كتحريم مسبة آلهة المشركين إذا خشي سبهم لله - تعالى -.

(ز) أن يجيب على السؤال الخاص بجواب عام؛ بحيث يتناول السائل وغيره، ليكون الجواب قاعدة عامة ينفع كل من سمعه. كنحو ما فعله النبي ﷺ مع عمرو بن العاص، لما أراد أن يشترط أن يُغْفَرَ له قبل أن يُسلِمَ، فقال له: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله...»[2].

١٥ - فقه أركان الدعوة إلى الله: وهي من البصيرة اللازمة، وأركانها هي:

أ - موضوع الدعوة: (ما يدعو إليه الداعية)، وهو دين الإسلام بخصائصه العظيمة المميزة له عن سائر الأديان، من شموله وعمومه، ووسطيته، وجلبه للمصالح.

ب - الداعي من حيث:

* وظيفته، وهي الدعوة، والبلاغ، بصورة فردية وجماعية.

* عدته وسلاحه من الفهم الدقيق، والإيمان العميق، والتعلق بالله في كل حال.

* أخلاقه وصفاته التي لا تخفى.

> فلنتدبر «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»

ج - المدعو، فالإسلام عام لكل البشرية، وبين الناس تفاوت عظيم في الأديان والأفكار والعقول والطباع والأحوال...، فلا بد من مراعاة كل ذلك، ويبدأ الطريق بإصلاح النفس، ثم الأهل، ثم المجتمع المسلم، ثم غير المسلمين.

---

(١) رواه مسلم، ح/١٨٩٣.

(٢) رواه مسلم، ح/١٢١.

د - أساليب الدعوة ووسائل تبليغها:

وأساليبها هي:

١ - تشخيص الداء في المدعوين، وتحديد الدواء.

٢ - إزالة الشبهات التي تمنع من الإحساس بالخطأ، ومعرفة الصواب.

٣ - الترغيب، ثم الترهيب.

٤ - تعهد المستجيبين بالتربية والتعليم.

٥- تقويم جميع هذه الأساليب على أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، واستخدام القوة مع المعاندين.

وأما وسائل الدعوة فعلى نوعين:

١ - خارجية: كالحذر مع التوكل، والاستعانة بالله على كل خير، والالتزام بكل نظام مشروع فيه ترتيب لحياة الداعية.

٢ - مباشرة: وهي بالقول بشتى صوره، والعمل، والسيرة الحسنة.





لنحترم أوقات الآخرين

عبد الله المسلم

ندرك جميعًا أن من واجبات المرء أن يحافظ على وقته ويرعاه، وأن يحاسب نفسه على الأوقات التي أضاعها لا الأوقات التي اغتنمها.

لكننا أحيانًا في تعاملنا مع غيرنا ـ خاصة من أهل العلم والدعوة الذين يقصدهم الناس ويزدحمون عند أبوابهم ـ ربما أسأنا لأوقاتهم من حيث لا نشعر، وأحيانًا يغيب عن أذهاننا أن من مسؤوليتنا المحافظة على أوقات الآخرين أو على الأقل احترامها.

ومن صور تلك المحافظة: افتراض الخلاف حول تحديد الأولويات، فما نراه مهمًا لدينا قد لا يكون كذلك لديهم، وحتى حين يبقى الخلاف قائمًا فالقضية تتعلق بصاحب الوقت؛ فرأيه أوْلى أن يعتبر.

وقد نرى أننا بحاجة إلى مساعدة شخصية من أمثال هؤلاء، كقراءة مسودة كتاب، أو مشروع عمل، أو تقديم استشارة في أمر ما، وهذا مطلب مشروع؛ لكنه حين يتجاوز دائرة الطلب إلى الإلحاح والإصرار فهو ينم عن صورة من صور الوصاية على أوقات الآخرين.

وحين يعتذر لنا بالانشغال فتقديرنا لانشغاله وقبولنا لعذره يمثل صورة من صور احترام وقته، وكيف نلوم من اعتذر عن استقبالنا وهو حق شرعي له؛ وقد أدَّبنا القرآن بهذا الأدب ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨] والرجوع الأزكى ينبغي أن يصحب بالتقدير للاعتذار لا الانصراف بالسخط واللوم.

روى ابن جرير بإسناده إلى قتادة قال: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية، فما أدركتها: أن أستأذن على بعض إخواني فيقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٨].

وقد جاء تحديد ذلك بالثلاث في السُّنَّة النبوية، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع»[1].

وتقدير الانشغال بأعمال خاصة بهم أنفسهم كالذكر والقراءة ونحو ذلك مظهر من مظاهر رعاية أوقاتهم، خلافًا لما يسلكه بعض الناس حين يقدم على من هو منشغل بذكر أو تلاوة فيقطع عليه ذلك لأمر لا يستحق.

وقد نبه ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلى أن إيثار المرء الناس بوقته أمر يفسد عليه حاله فقال: «مثل أن تؤثر جليسك على ذكرك، وتوجهك وجمعيتك على الله، فتكون قد آثرته بنصيبك من الله ما لا يستحق الإيثار، فيكون مثلك كمثل مسافر سائر في الطريق لقيه رجل فاستوقفه، وأخذ يحدثه ويلهيه حتى فاته الرفاق، وهذا حال أكثر الخلق مع الصادق السائر إلى الله تعالى؛ فإيثارهم عليه عين الغبن، وما أكثر المؤثرين على الله ـ تعالى ـ غيره، وما أقل المؤثرين الله على غيره. وكذلك الإيثار بما يفسد على المؤثر وقته قبيح أيضًا، مثل أن يؤثر بوقته، ويفرق قلبه في طلب خلقه، أو يؤثر بأمر قد جمع قلبه وهمه على الله؛ فيفرق قلبه عليه بعد جمعيته، ويشتت خاطره، فهذا أيضًا إيثار غير محمود. وكذلك الإيثار باشتغال القلب والفكر في مهماتهم ومصالحهم التي لا تتعين عليك، على الفكر النافع، واشتغال القلب بالله، ونظائر ذلك لا تخفى، بل ذلك حال الخلق، والغالب عليهم. وكل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثر به أحدًا؛ فإن آثرت فإنما تؤثر الشيطان وأنت لا تعلم»[2].



ومن مظاهر احترام أوقات الآخرين احترام مواعيدهم من حيث الانضباط فيها، والاعتذار عند حصول مانع مفاجئ.

ومن الأدب مع أوقاتهم، أن يبادر المرء **بالاستئذان** متى ما انتهى من شغله وحاجته، أو شعر أنه قد أطال بما فيه الكفاية؛ إذ قد يجد الرجل حرجًا من أن يطلب من زائره الانصراف وهو ربما كان ينتظر انصرافه على أحر من الجمر.

وقد يظن بعض الناس أن الإلحاح في الدعوة والمشاركة في المناسبات الخاصة أمر يعكس عظم قدر الشخص عنده، وقد لا يكون الأمر كذلك، بل يمثل إهدارًا لوقت كان يمكن أن يستفيد منه فيما هو أوْلى.

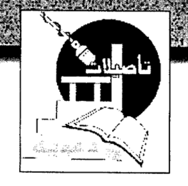
ويبقى الأمر بعد ذلك محتاجًا إلى الاتزان؛ فعلى الدعاة وأهل العلم أن يسعوا للإعطاء من أوقاتهم والاحتساب في ذلك، وعلى من يعاملهم أن يوازن بين استفادته من أوقاتهم، وبين إسهامه في المحافظة عليها.

---

(١) رواه البخاري، ح/٦٢٤٥، ومسلم ، ح/٢١٥٤.

(٢) مدارج السالكين، ٢/٣١٠.





كيف نعالج الاختلاف

الاختلاف بين البشر ظاهرة طبيعية، وأمر فطري؛ وذلك لاختلاف عقولهم وأفهامهم وتعدد رغباتهم وأهوائهم مما يؤثر في تصورهم للأشياء، ومن ثَمَّ حكمهم على الأمور. وبعض الاختلاف قد يكون سائغًا ومقبولاً؛ وذلك إذا كان الاختلاف في الأمور الاجتهادية التي ليس فيها نص قطعي الدلالة والثبوت؛ فهذا لا ضير فيه إذا بذل الإنسان فيه وسعه وكان قصده الحق من غير تعصب ولا هوى متبع؛ فإنه يكون مأجورًا وإن أخطأ، وهذا الذي وقع بين الصحابة - رضي الله عنهم - وهو الذي يكثر وروده في كتب الفقه. وهذا النوع هو اختلاف تنوع لا يوجب شقاقًا أو نفرة. قال يحيى بن سعيد: «ما برح المستفتون يُستفتون، فيحل هذا، ويحرم هذا، فلا يرى المحرِّم أن المحلل هلك لتحليله، ولا يرى المحلل أن المحرِّم هلك لتحريمه»(١).

مبارك عامر بقنه

وأما الاختلاف في أصول الدين كالاختلاف في الألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات أو في الرسل أو في القرآن، أو نحو ذلك من أصول الاعتقاد، فإنه لا يسيغ الاتفاق والاجتماع على ذلك؛ لأن في ذلك فساد الدين، ونصر الباطل، وتأييد أهل البدع على بدعتهم، بل يجب أن يكون موقفنا ممن خالف أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة الافتراق؛ لأن التعاون والتكاتف لا يكون على حساب الدين والقيم ومبدأ الإسلام. فإن الجماعة والوحدة المطلوبة هي ما وافقت

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/٩٠٣).

الحق ولو كانت فئة قليلة. قال عمرو بن ميمون الأودي: «صحبت معاذًا باليمن، فما فارقته حتى واريته التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ثم سمعته يومًا من الأيام وهو يقول: سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة. قال: قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدثونا؟ قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول: صلِّ الصلاة وحدك، وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة؟ قال: يا عمرو بن ميمون، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، تدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: إن جمهور الجماعة: الذين فارقوا الجماعة؛ الجماعةُ ما وافق الحق، وإن كنت وحدك»(1).

وتشتد حاجة الأمة في هذا العصر إلى الوحدة والترابط بالمفهوم الشامل، فالعالم اليوم يسعى إلى التضامن والتوحد من أجل السيطرة والبقاء، فنحن نعيش في عصر التكتل والجماعات؛ فلا بقاء للوحدة والانفراد. فلا بد أن يكون في حس الداعي إلى الله الدعوة إلى ائتلاف القلوب، ووحدة الصف، وجمع الكلمة على الحق، ونبذ الفرقة والشقاق: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. فهذا هارون - عليه السلام - عندما عبد بنو إسرائيل العجل نهاهم عن ذلك وحذرهم وقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]، فلما رجع موسى - عليه السلام - عاتب هارون - عليه السلام - بسبب تأخره عنه؛ حيث لم يلحقه فيخبره بما حدث، فكان جواب هارون - عليه السلام -: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤]، فاعتذر بعدم اللحاق به بأنه خشي فرقة بني إسرائيل، فحرص على وحدة قومه واجتماعهم على ما فيهم من منكر عظيم إلى أن يرجع إليهم موسى - عليه السلام - فيحكم بينهم.

> الاختلاف في الأمور الاجتهادية التي لا نص قطعيًا فيها لا ضير فيه وهذا ما حصل في عصر الصحابة وهو من قبيل اختلاف التنوع

فالاختلاف والتفرق من أشد العوامل التي تنخر في جسد الأمة حتى تجعلها كالخشبة المسندة، تسقطها أدنى ريح، وتقلعها أهون عاصفة. فالاختلاف يسبب العداوة والبغضاء والتحزب والتقاتل؛ ولذلك جاء النهي عنه والتحذير منه في آيات وأحاديث كثيرة، كقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾

(1) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/٦٩).



مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢] وقوله - تعالى -: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقول النبي ﷺ: «أيها الناس عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة. ثلاث مرات»[1]. وقوله ﷺ: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا، فهلكوا»[2].

> الرجوع عند التنازع إلى الوحيين من أنجع الوسائل للوقاية من داء الاختلاف

ومع هذا التحذير إلا أننا نجد أن الشارع الحكيم قد أخبر أن الاختلاف واقع في هذه الأمة قَدَرًا وأنه لا مفر منه قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] ففي رواية عن الحسن البصري أنه قال: «وللاختلاف خلقهم»[3]. وفي الحديث: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[4] والجمع بين الأخبار التي وردت بأن الاختلاف واقع في هذه الأمة وبين النهي عن الاختلاف والتفرق، هو أن الاختلاف لا بد أن يقع على هذه الأمة ولكن ليس على جميعها، فالله عصم أمة محمد ﷺ من الضلال؛ فلا تزال طائفة من أمة محمد ﷺ على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك؛ ففي الأوامر الشرعية حث على الاعتصام بهذه الطائفة المنصورة التي تسترشد بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإن خالف من خالف؛ ففي النهي عن الاختلاف تكثير لهذه الطائفة المنصورة، وتثبيتها، وزيادة إيمانها[5]. وكذلك فيه أمر بالمعروف وإنكار على هذا الاختلاف والتفرق؛ فهو لا يعني الاستسلام للخلاف وعدم المحاولة في إزالة أسبابه، وقلع جذوره؛ لا، ليس هو كذلك؛ فنحن مطالبون شرعًا بالاعتصام والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف. فيجب أن نفرق بين الأمر الشرعي والأمر القدري. فعلينا أن نسلك الأسباب والآداب التي تمنع الاختلاف والتشتت؛ ومن هذه الأسباب:

١ - **الاعتصام بالكتاب والسنة:** فأحكام الله ورسوله جاءت لتؤلف القلوب، وتوحد الصف ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فالرجوع عند التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أنجع

(١) أحمد (٥/٣٧٠) ومجمع الزوائد للهيثمي رقم (٩٠٩٦).
(٢) صحيح الجامع رقم (٧٢٥٥).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٨٢).
(٤) السلسلة الصحيحة، ح/٢٠٣.
(٥) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٥٢).

السبل في الوقـاية من داء الاختلاف، كما قـال الله - تعالى -: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩] ونستضيء بفهم السلف الصالح لفهم نصـوص الوحي حتى لا نضل وتموج بنا الأهواء، فـلا تقدم الآراء والعقـول على الوحي المطهر فـتلوى أعناق النصوص وتُؤول لتوافـق شهوة في النفس، فـترد الأخبار الصحيحة ويصبح الدين لا مرجعية له إلا الآراء والعقول الفاسدة.

وفي هؤلاء يقـول عمـر - رضي الله عنه -: «أصـبح أهل الرأي أعداء السنة؛ أعـيتـهم أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم»[١].

٢ - العلم والفـهم بالمسألة المخـتلف فـيهـا: فكثيـر ما تحـدث الخلافـات في القضايا بسبب عدم الإلمام بالمسألة من جميع جوانبها، فلو أحاط الشخص بالمسألة لوجد أن هناك متسعًا في الأمر. «فكثيـرًا ما يؤدي الاهتمام بناحية - أي ناحية - على حـساب الفهـم الكلي إلى الانحراف عن الطريق السـوي، ولعل هذا من أكـبر أسبـاب نشوء الفرق الإسلامـية»[٢]. قال ابن تيـمية: «أكثر مـا يكون المنازعة في الشـيء القليل قبل إحكامه وجمع حـواشيه وأطرافه»[٣]. قال الشاطبي: «الاختلاف في بعض القواعد الكلية لا يقع في العادة الجارية بين المتبحرين في علم الشريعة، الخائـضين في لجتـها العظمى، العـالمين بمواردها ومصـادرها»[٤]، فـقد يعـتقـد الإنسان في نفسه - بعد قراءته لبعض الكتب - أنه من أهل العلم والاجتهاد، فإذا به يتصدر، ويخالف العلماء ويقول برأيه، فيهدم من حيث لا يدري، ويضل الناس من حيث لا يشعـر، فعن ابن عمرو - رضي الله عنـهما - أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتـزاعًا ينتزعه من العـباد، ولكن يقبض العلم بقـبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فـسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٥]. قال بعض العلماء: تقدير هذا الحديث يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبَلِ علمائهم، وإنما يؤتون من قبَلِ أنه إذا مات علماؤهم؛ أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قبَلِه[٦].



(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٠٤٢).
(٢) الفتور في حياة الدعاة (٢١).
(٣) اقتضاء الصراط (١/١٤٩).
(٤) الاعتصام (٢/٦٧٩).
(٥) صحيح الجامع الصغير رقم (١٨٥٤).
(٦) الاعتصام (٢/٦٨٠).



٣ - **التثبت والتبين:** فكثير من الناس يحكمون على الآخرين من خلال ما يسمعونه عنهم من غير أن يكلفوا أنفسهم السؤال والتحري عن حقيقة ما سمعوا؛ قد يكون ما سمعوه هو من اختلاق بعض المغرضين القاصدين للفرقة والنزاع في الصف الإسلامي. والتثبت مما نسمع هو من منهج الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه -، فهذا سليمان - عليه السلام - يقول للهدهد بعد أن أخبره الخبر: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧] وقد عاتب الله داود في حكمه للخصمين قبل أن يسمع ويتثبت من الآخر، قال النحاس: «ويقال إن خطيئة داود هي قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ [ص: ٢٤]لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت»[١] والله - سبحانه - يقول: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. ومن أصول التثبت في الأخبار هو النظر في عدالة المخبر، وضبطه لما ينقل، والتبين ممن أخذ المخبر؛ فقد يكون أخذه من كاذب، ثم النظر في هذا الخبر قبل الحكم على الأمر؛ فقد يحتمل أوجهًا متعددة فيحمل على أحسنها.

٤ - **الحوار في المختلف فيه:** فطرح القضية للنقاش بأسلوب هادئ بعيد عن التجريح وتسفيه رأي الآخر، مع إتاحة الفرصة لتبادل الرأي، وسماع الطرف الآخر، خليق بأن يجعل هناك نوعًا من التقارب في وجهات النظر. ومما يؤسف له حقيقة أن كثيرًا من المختلفين لا يجتمعون ولا يتحاورون فيما بينهم، وإن اجتمعوا للنقاش والتحاور فلا يحسنون آداب الحوار وعرض القضايا، مما يجعل كل طرف يتعصب لرأيه وإن ظهر له الحق خلاف ذلك. ولكي تتقبل الآراء يجب أن يكون الحوار بالحسنى، فإذا كان الله أمرنا أن نجادل أهل الكتاب بالحسنى، فإخواننا في العقيدة أوْلى بذلك منهم.

> الاختلاف والتفرق من أشد العوامل التي تنخر في جسد الأمة لما يورثه من العداوة والبغضاء

(١) فتح القدير (٤/٥٩٨).

> كثير من الناس يحكمون على الآخرين من خلال ما يسمعونه عنهم من غير أن يكلفوا أنفسهم التحري عن مدى حقيقة ما سمعوه

٥ - حسن الظن بالطرف الآخر: فالشكوك والقدح في نيات الآخرين كفيلة بإيجاد جفوة وشقة بعيدة لا يمكن التلاقي فيها، فكل قول أو فعل يحمل على خلاف الظاهر المتبادر منه للذهن من دون قرينة تصرفه عن ظاهره فيه ظلم وتجنٍّ على الآخرين، ورحم الله الشافعي حيث قال: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب». فهكذا يجب أن نحمل آراء الآخرين على المحمل الحسن ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، عندها سنجد أن كثيرًا من الاختلافات قد زالت.

٦ - الإخلاص في تحري الحق: فالانتصار للذات، والتعصب للرأي، يؤدي إلى رفض الحق، ومخالفة وجهة النظر؛ فمن قصد الانتصار لنفسه وهواه فلا يوافق الآخرين في رأيهم وإن بدا له أنه صواب، ولا شك أن هذا خلاف منهج الصالحين؛ فهذا الشافعي يقول: «والله ما أبالي أن يظهر الحق على لساني أو على لسان خصمي»؛ فالتجرد للحق، والإخلاص لله، يزيل عقبات الاختلاف؛ ولكن الأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس في ذلك، وإلزامها الحق بقوة. والله الموفق.



حوارية ضياع دار

حفيظ بن عجب آل حفيظ

(١)

في الليل وكلٌ قد نامَا
والظلمُ تمطَّى جذلانا
دخل المسكينُ لغُرفَته
يبكي بالدمعةِ أحزانا
يبكي بالحسرة آلامًا
ويبثُّ اللوعةَ أشْجَانا
العبرةُ كادت تقتله
والآهة ليست ترسله
والشعر أبى أن يُسْعفَه
والظلم تمطَّى جَذْلانا
الصوتُ شديدٌ مُرتفعٌ
قَدْ طَالَ وهزَّ الجُدْرَانَا
قد طالَ وأيقظ نائمةً
بالنوم أزالتْ أحْزَانا

(٢)

ولدي يا ولدي يا ولدي
ماذا يُشجِيكْ؟
قل لي يا ولدي حدثني
ماذا يُبْكِيْكْ؟
لا تكْتُمْ عني يا ولدي
إني أرضيكْ
إني أرضيكَ أيا ولدي
إني أرضيكْ

(٣)

يا أمي لا لا ترتاعي
فالجرحُ عَمِيق
وأنا بهمومي يا أمي
قد صِرْتُ غَرِيقْ
يا أمي نامي ودعيني
وغدًا سأفيقْ
وسأرجعُ لصوابي يومًا
يومًا سأفيقْ
روحي ودعيني يا أمي
إني سأفيق

(٤)

يا ولدي لنْ يهدأ بالي
والهَمُّ يُقَطِّع أوصَالي
لا أهدأُ أبدًا يا ولدي
حتى أرْضِيكْ
حتى أسْلِيكَ أيا ولدي
حتى أُسْلِيكْ
حدثني قلْ لي يا ولدي
عَلِّي أُسْلِيك

(٥)

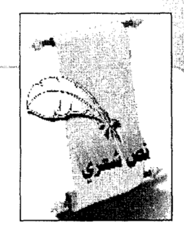
يا أمي قد ضاعَ بياني
وتجمد بالعيِّ لساني
يا أمي لا أدري ماذا
أحكي يا أمي من شاني

يا أمـــي قـــد كـانت داري
فـوق الجـــوزاءِ ولا أحـســـنْ
قد كانت جـنــــــةَ آمالـــي
قد كانت شمـسًا بـل أحسـنْ
قـــد كـان فِنَاها يا أمـــي
يحوي الأمـصار
قــد كـان فسيحًا يـا أمـي
قـد كـــان ديَـارْ
قـد كـــان يُحـيطُ أيـا أمــي
كل الآبـــــارْ
يا أمــي قد كان مُــرادي
أنْ ينشـــأ فيهـا إخـواني
أن تنمـو فيهـا أحـــلامي
أن أُنْشِـدَ فيـهـــا ألحانـي
يا أمي قـد كـان مُـــرَادي
أنْ تبقـى لي طـــولَ زمَاني
لكن يا أمـي أحـلامـــــي
قد ضاعت في ليلِ منامـــي
أصبحت بيومٍ يا أمي
فـــرأيت الدارْ
قـد صـــارت نارًا يا أمي
قـد صــــارت نارْ
ورأيتُ عــــدوي فـي داري
يتبختـــرُ في ثـــوبٍ نـــاري
يا أمـــي قَـتَّل إخـــواني
ورمــــى بالرُمْـح فأرداني
وتهـكَّم بـــي حـــين رآنـي
وتـهـكَّـــم بـي حـين رآنـي
وعـلانـي يا أمــي فَـرِحًــا
وتباهـــى حـــين تَحـدَّاني
وأتـى بـــوثـاقٍ يـوثـقـنـي
وأتـــى بـــوثـاقْ
صلبـــوني يـا أمي حـــتي
أصـبـحتُ مُــعَـاقْ

وأرونـــي يـــا أمـــي ... آه
مـــــا ليس يُطـاقْ
جـــاؤوا بـبعـــروسي يـا أمي
من غـــيـــر دِثَارْ
من غـيـــر حـجـــابٍ يا أمي
من غـيـــر ستـــارْ
تستصـــرخُ يـــا أمـي باسمـي
وتقـــول الـعــــارْ
العـــــارُ أتـانـــا أنقـــذنـا
هل تخـشـى العـارْ؟!
يا زوجـي قـــد طـار دِثَاري
وتكـشَّف عـنّي يـا عـــــاري
يا عـــــاري آهٍ يا عـــــاري
يا عـــــاري آهٍ يا عـــــاري
فـعـلوا بعـروسي.. وانفـسـي
وبأختـــي مـــا أفنـى حِسِّي
واحـــتلـــوا يا أمـــي داري
ورمـــوني منهــــا بإزاري
يا أمي قـــد ضـــاعت داري
وبكيتُ أنا ذكــــرى عـــاري
يا عـــــاري آهٍ يا عـــــاري
يا عـــــاري آهٍ يا عـــــاري

(٦)

ولدي فلْـتـصـبْـر ولْتـبـحـثْ
عـــن درب الـــدارْ
وأعـــدَّ سـلاحـك يسـتـرجع
هـــاتـيـك الـدارْ
وتقــــدَّمْ يـــا ولـــدي هيَّـــا
لـتَــــرُدَّ الدارْ
وتُـــزيــلَ الـعـــار أيــا ولدي
وتُـزيل الـعــــارْ



شموخ

محمد سعد دياب

دَعْنا نُسَامرْ عطرها المَيَّادا ... تلكَ الصحائفُ.. كمْ زَهَتْ أمجادا

تاريخُنا.. وتَتيهُ ألفُ نُجَيْمَةٍ ... تَثبُ الأهلَّةُ.. تُمْطرُ الإنشادا

كانت سيوفُ الفَتْحِ يلمعُ حَدُّها ... بَرَقَتْ تُدَمْدمُ ريحُها إرعادا

تلك الجحافلُ ضاعتِ الدنيا بها ... حَفَرَتْ عزائمَها.. انبرتْ ميعادا

ضربوا فجَاجَ المستحيل جسارةً ... وَتَبَوَّؤوا هَامَ الشموس مُرَادا

وَشَمُوا على جفنِ السُهَا أيامَهم ... إنَّا نرى سَعْدًا.. نرى المِقْدَادا

كانت مَآقي الدهرِ تَرْقُب خطوَهم ... سُحِرَتْ.. وبات كرَى العيونِ سُهَادا

أرسوا هُدَى الرحمنِ فانجابَ الدُّجَى ... واخْضَرَّ صبحٌ.. دافقاً إسعادا

حملوا الرسالةَ وافتدوها مُقْلَةً ... وَنُهَى تَوَسَّدَ نبضُها الأكبادا

سَرَت المعارفُ.. أتْرَعَتْ بِرُوائها ... دنيا.. أنارَ عبيرُها الأبعادا

الذارياتُ حَمَلْنَ شُعْلَتها سَنًى ... ليفيضَ في لُجَج الدُّنا إرشادا

تلكَ البيارقُ حينَ آخاها المُنَى ... صدْقًا.. أفاءتْ كي تطيبَ حَصَادا

قِمَمٌ تَجَذَّرَ غرْسُها فتحدَّرَتْ ... بَحْرًا من النُّعْمَى.. هَمَى جَوَّادا

سِفْرٌ من السِّيَرِ الوريقةِ قد نَضَا ... كالدُّرِّ في مَسْرَى الزمانِ.. وزادا

* * *

ذَيَّاكَ ميراثٌ نُبَاهي دَهْرَنا ... بشموخه.. نعلو به أنجادا

الوارثون المجدَ نحنُ.. نقولُها ... تَدْوي.. تَرُجُّ السَمعَ والآمادا

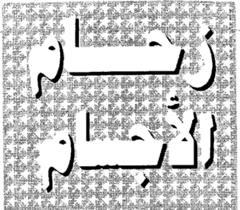
سَنُعيدُ ما عَبَقَ القَصيدُ بذكْرِه ... لن نرتَخي همَمًا.. نلوذَ رُقَادا

نحنُ الذين سَنُسْرِجُ القَنديلَ.. نَقْـ ... ـدَحُ جَذْوَةً تَسْقي رُبًا وَوِهَادا

هذا كتابُ الله نرفعُهُ هُدًى ... وَعْدًا يَشعُّ بقلبنا.. ورشادا

تالله لا.. لا.. لن تَضلَّ دروبُنا ... تالله لا.. لا.. لنْ نَشتَّ فُرَادَى

الله أكبرُ.. فلتكنْ راياتِنا ... وَحُداءَنا.. وسِرَاجَنا الوقَّادا



هناك من يعيش وقد أفاد بحياته آلافًا من البشر.. وكم تزدحم الحياة بمن يعيش ليعيش.. وربما ليميت..

محمد بن عبد الله المقرن

سئمَ القصيدُ وَجَفّت الأقلامُ   ما عاد.. يجدي بالفصيح كلامُ
ما عاد يُجْدي أن نريقَ دموعَنا   أو أن تذيبَ قلوبَنا الآلامُ
ما عاد يُجْدي أن نجمّعَ حسرةً   وتبثّها بجمودنا الأوهامُ
نبني من الأقوال قصرًا شامخًا   والفعل دون الشامخات ركامُ!!
نحكي الهوانَ على شواطئ لهونا   وأمامنا يُتَقَاذفُ الإسلامُ
إن لم نخضْ بَحْرَ الصراع فعيشنا   في شاطئ الذلّ السحيق حرامُ
ما بالنا يا قومُ نرتع بالهوى   وتصوغ قمةَ مجدنا الأحلامُ
أرواحنا تهوي تخرُّ صريعةً   وعلى الحياة تطاول الأجسامُ!!
إني لأصرخ بالحقيقة مُرْغماً   ولكم أطالَ بصَمْتي الإرغامُ!!
الحرب في زمن العجائب أصبحت   حرباً تقامُ وسَاحها الأفهامُ!!
كم موفد للغرب جاء لأمتي   بحضارةٍ يصحو بها وينامُ
قد جاءَ والإعجاب يملأ قلبه   بل جاءَ يَملأ قلبَه الإجرامُ
كمْ فكرة فاحت بها صحف الهوى   ولكم بغت بسمومها أقلامُ
زعموا الحضارة فصل دين إلهنا   عن منهج منه الحياة تقامُ
تباً لهم.. تَباً لوحل عقولهم   ضلوا الطريقَ فتاهت الأفهامُ
سلْ في ديار العرْب باراتِ الهوى!!   سل ساهرات الرقص فيم تقامُ
سلْ كيف تدعى للسفورَ نساؤنا   وبأيٍّ أثمان الهوان تسامُ
سلْ غيرة «العملاء» أين حياؤهم؟!   بشرٌ ولكنْ بالهوى أغنامُ
سلْ من يربي بالمعازف جيلَنا   سلْ أيَّ سمٍّ ينفثُ الإعلامُ
كنا نرى سفكَ الدماء وعزّنا   فإذا بذلٍّ تُسفك الأفهامُ
قد كانت الأشلاءُ سُلَّم أمة   يسمو على أعتابها الإسلامُ
فإذا بحرب الفكر تطحن أمةً   تحكي مصارعَ ذلّها الأيامُ
يا معشر العملاء مثلي واقفٌ   يحمي الحمى وبقبضتيه سهامُ
كابوس صحوتنا يقضُّ منامَكم   ويَرُوع من طافت به الأحلامُ
الدين أسمى من مبادئ لؤمكم   كالشمس تنفذ والسماء غمامُ
فليسمع الكون الفسيح بأسره   كلماتنا.. ولتكتب الأيّامُ!!
إنْ ماتت الأرواح بالهمم استوتْ   في موتها وحياتها الأجسامُ

خــاطــرة ســريعــة

نحو أدب هادف

طاهر عبد الله الثقفي

ها نحن الآن في العصر الحديث، عصر المدنية المغلقة على أبنائها، عصر الجمال الصناعي بشتى أصنافه، عصر الشعر المبتذل غالباً، والمتكلف أحياناً. وهذا هو واقعنا للأسف.... فماذا نفعل؟

إذا أردنا أن نزيح هذا الكابوس عن أفكارنا وأحاسيسنا فيجب علينا أن نبدأ بأنفسنا .. ثم بالجيل الصاعد من أبنائنا. إنَّ تذوُّق الأدب الراقي يصقل الموهبة، ويربي الذوق، وتشفُّ له النفس وترقُّ، ويتفتح الذهن على عالمٍ واسعٍ من الخيال. إنَّ التذوق الأدبي من الدعائم الراسية لبناء الشخصية التي نبحث عنها ونسعى لإيجادها في مجتمعاتنا؛ فهو مصدر متميزٌ لإرساء القيم النبيلة في أعماق الشخصية بحكم طبيعته وارتباطه بها.

وقد نعجز عن الإحاطة بما للأدب الراقي من مردودات للفرد والمجتمع. فلنا أسوة بعلمائنا ومفكرينا وعظماء تاريخنا الإسلامي؛ حيث كان الأدب من أساسات تعليمهم عبر حياتهم العلمية؛ ففسروا القرآن الكريم خير تفسير، وفهموا الأحاديث الشريفة أحسن فهم، وقدموا لنا العلم في أساليب رصينةٍ عميقةٍ جميلة.

فلماذا نزهد اليوم في بناء الذوق الأدبي لدى هذه الأجيال المتطلعة للمستقبل ونحن بحاجةٍ إلى تلك الشخصية الإسلامية القوية؟ لماذا؛ ونحن نعلم ما بهذا الجيل من عوزٍ إلى القيم الإيجابية الصادقة؛ والفكر الواسع المتأمل، والعين الفاحصة المدققة؟

يجب ألا يُسمح للمتلاعبين بالأدب والمرتزقة والفوضويين أن يفسدوا ذوق هذا الجيل الذي نتطلع إليه بكل أمانينا ليحمل الهموم الإسلامية، ويعمل دائماً للخير والصلاح.

إنَّ الأدب الذي ندرِّسه لأبنائنا ليس صافياً خالصاً، وإنما هو خليطٌ من تاريخ الأدب والتراجم والنقد والأدب، سواءً في التعليم العام أو الجامعات.. فإذا أردنا أن نصل إلى تذوقٍ أدبي يغوص في أعماق النص الأدبي ويكتشف جمالياته ويقدر ما فيه من درر وجواهر، فعلينا أن ندرِّس الأدب على أنه علمٌ وفنٌ مستقلان عن التاريخ والتراجم والنقد الأدبي؛ فبعد اختيار ما رقى وطهر من النصوص الأدبية ندرس لغتها وبلاغتها، وفلسفة النص واختصاصاته كنصٍ يحمل رسالةً يجب أن تُقرأ.

فإن فعلنا فسوف نخرج بقرَّاء وكتاب للأدب الجميل الهادف لنشر الوعي الإسلامي الصحيح. وإلا فإن الأدب سيبقى حبراً على ورق... وسيفقد طاقاتٍ بشرية نحن بحاجة ماسةٍ إليها.



لست أهذي ولكن

شادي السيد أحمد

استيقظت - كالعادة - قبل أذان الفجر بساعة، على الأذان الأول، الذي يُوقظ الناس لإدراك صلاة الليل، وكذلك للسحور لمن أراد الصوم.

اكتظ المسجد الجامع في الحيّ الذي أسكن فيه بالمصلين قبل الأذان بدقائق، وبعد نصف ساعة أقيمت الصلاة، وصلّى الإمام صلاة طويلة؛ كما كان يفعل النبيّ ﷺ، فاستغرقت حوالي خمس وعشرين دقيقة.

مرّت ساعة كاملة بعد انقضاء الصلاة، وما زال المسجد ممتلئاً بالمصلين؛ الذين انهمك كل واحد منهم في قراءة أذكار الصباح.

في تمام السادسة عمّ النشاط المدينة بأكملها؛ الجميع يتجهون إلى أعمالهم ومدارسهم وجامعاتهم.. وبدأت المحال التجارية في فتح أبوابها.

وصلتُ في تمام السادسة والربع إلى «مركز تلفاز العالم الإسلامي» - (I.W.T.C) - حيث مقرُّ عملي، وفي السادسة والنصف كنت خلف مكتبي في قسم «الإعداد والإشراف» في الطابق الثامن والثلاثين.

انهمكتُ في إعداد تقرير دوري؛ لإرساله إلى مراكز تلفاز العالم الإسلامي في ثلاثين دولة في العالم، ومراجعة بعض الأوراق، حتى إنني لم أشعر بأحد الموظفين في قسم «المتابعة والتطوير» حينما دخل عليَّ لأعتمد برامج «مركز تلفاز العالم الإسلامي» ليوم غد - بإذن الله تعالى - وجاءت البرامج المقترحة على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز تلفاز العالم الإسلامي

(المركز الرئيس بواشنطن)

قسم الإعداد والإشراف

• **الموضوع: مواد وبرامج يوم الخميس: ١٥/٣/١٤٢٨هـ (حسب تقويم أم القرى).**

■ **الفترة الأولى:**

– ٣,٤٥ صباحًا: تلاوة قرآنية بصوت الشيخ/ محمود خليل الحصري (الحزب السادس).

– ٤,١٥: نقل أذان وصلاة الفجر على الهواء مباشرة من بيت الله الحرام بمكة المكرمة.

– ٤,٥٥: أذكار الصباح.

– ٥,١٠: تلاوة قرآنية بصوت الشيخ/ علي بن عبد الرحمن الحذيفي (الحزب الثلاثون).

– ٦,٠٠: برامج المرأة (الأخت المسلمة هذا الصباح).

– ٧,٠٠: برامج المرأة: فتاوى نسائية.

– ٨,٠٠: نشرة أخبار العالم الإسلامي.

– ٨,٣٠: برامج الأطفال (براعم الإيمان).

– ٩,٣٠: برامج الأطفال (ناشئ في رحاب القرآن).

– ١٠,٠٠: برنامج (تلاوة وتفسير).

– ١١,٠٠: برنامج (العلم والإيمان).

– ١١,٣٠: من نوادر العرب.

– ١٢,٠٠: موجز الأنباء.

– ١٢,١٠: أناشيد إسلامية للأطفال.

– ١٢,٣٠: نقل أذان وصلاة الظهر على الهواء مباشرة من المسجد الأقصى بفلسطين.

١,٠٠: حتى ٤,٠٠ راحة.

■ **الفترة الثانية:**

– ٤,٠٠: تلاوة قرآنية بصوت القارئ/ عبد الباسط عبد الصمد (الحزب التاسع).

– ٤,٣٥: نقل أذان وصلاة العصر على الهواء مباشرة من جامع الأزهر بالقاهرة.

– ٥,٠٠: نور على الدرب.

– ٦,٠٠: البرامج التعليمية (مقرر التوحيد للثانوية العامة في الوطن الإسلامي).

– ٧,٠٠: الصحة العامة (الهدي النبويّ في الطعام والشراب).

– ٧,١٥: نقل أذان وصلاة المغرب على الهواء مباشرة من المسجد النبوي الشريف بالمدينة النبوية.

– ٧,٤٥: تلاوة قرآنية بصوت الشيخ/ سعود بن إبراهيم الشريم (الحزب ٥٥).

– ٨,٠٠: أخبار العالم الإسلامي.

– ٨,٤٥: نقل أذان وصلاة العشاء على الهواء مباشرة من بيت الله الحرام بمكة المكرمة.

– ٩,٢٠: برنامج: صحابي جليل.

- ٩,٣٠: ألعاب ترفيهية.
- ٩,٤٠: تلاوة قرآنية بصوت الشيخ/ محمد صديق المنشاوي (الحزب ٢٢).
- ١٠,٠٠: الختام.

- صورة لمركز المعلومات.
- صورة لقسم التنفيذ.
- صورة لفروع المركز الرئيس في: مكة المكرمة - القاهرة - دبي - دمشق - الرباط - الكويت - بغداد - نواكشوط - كابول - مانيلا - لندن - ڤيينا - إسلام أباد - طوكيو - أروى - ستوكهولم - روسيا - ميلانو - باريس - بازل.
- صورة لصُحف العالم الإسلامي.
- صورة لمركز القمر الفضائي الإسلامي.

يعتمد

مدير قسم الإعداد والإشراف

بعد اعتماد مواد وبرامج الغد، توجهتُ لقسم «التصوير الخارجي» لمتابعة تغطية مؤتمر علماء الإسلام المنعقد في القدس بدولة فلسطين المحرّرة.

عدتُ إلى بيتي منهكًا بعد يوم حافل بالأحداث في العمل، وأويتُ إلى فراشي في العاشرة والنصف، بعد أن تأكدت من نوم الأولاد في غرفهم.

استسلمتُ للنوم دون أدنى مقاومة، وبعد فترة من الوقت - لا أعرف مقدارها - قمتُ فزعًا على استغاثة امرأة، وأصوات رجال يضحكون بشدة، على أنغام موسيقى صاخبة!!

قفزتُ من فراشي محاولاً معرفة مصدر هذه الأصوات، وأنا أكبِّر وأهلِّل، وقد تحفّزتْ عضلاتُ جسمي، وتصببتُ عرقًا!!

وقفتُ حينما سمعتُ صوتَ زوجتي تخبرني أن هذه الأصوات التي سمعتها صادرة من تلفاز الجيران!!

نظرتُ إلى الساعة في ذهول، وقد تجاوزت عقاربها الثالثة صباحًا! صِحتُ وقلتُ: كيف يحدث هذا؟! وقد اعتمدتُ اليوم برامج مركز تلفاز العالم الإسلامي!! لا بد أن أعداء الإسلام قد احتلوا مرك.. ... ... !! وجدتُني أقف فجأة عن الكلام، وأنا أحكُّ رأسي كمن ينفض عن نفسه النعاس! هَرَعَتْ إليَّ زوجتي، وهي تتحسس رأسي، وتهتف في جزع: هل أصابتك الحمى يا زوجي؟!! لقد كنتَ تهذي بكلام عجيب!! هدّأتُ من روعها، وقلت: لها: لا عليك..! لست أهذي.. لقد كان مجرد حُلم!!

حُلم جميل ... مشهد العمر الذي طوّح به ما يعرضه التلفاز في هذه الساعة المتأخرة!!!



الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع

مقدمة:

لا جدال في أن من يملك الإعلام في هذا الزمان يملك زمام الشعوب؛ ففي عالم تحوَّل إلى قرية صغيرة تطورت فيه وسائل الإعلام والاتصالات، وغزت فيه عالمنا الإسلامي الأفكار والقيم الواردة من كل أنحاء العالم... وأصبح من المهم بل من الضروري البحث في أثر هذا الإعلام على حسم الصراعات والخلافات الفكرية وغير ذلك، في هذه القرية العالمية. وقد أدى تطور وسائل الإعلام وتضخم الآلة الإعلامية الغربية إلى ظهور خطرها على الهويات الدينية والعرقية لكثير من شعوب العالم؛ ففي عالم تزيد عدد اللغات فيه عن ٦٠٠٠ لغة، وتتنوع وتتباين فيه القيم الحضارية والدينية، يمثل الإعلام الغربي أكثر من ٩٠٪ من حركة الإعلام المتدفق بين أرجاء العالم[1]. ولا شك أن لهذا آثارًا سلبية على محاولات الحفاظ على الهوية الدينية، والوقاية من الأمراض الأخلاقية الغربية التي تتسرب إلى الشعوب من خلال تدفق المعلومات.

د. باسم خفاجي

(١) «أثر عولمة وسائل الإعلام على السياسة الدولية» د. علي الرحال - دورية أوروبا والعرب - ٨/ ٩/ ١٩٩٧م

والإعلام الغربي يؤثر أيضًا بصورة فعالة على كثير من القيادات السياسية في العالم، مما دعا الأمين العام السابق للأمم المتحدة للقول بأن «وكالة الأنباء التلفزيونية CNN هي العضو رقم (٦) في مجلس الأمن». ولكن المعلوم أن هذا الإعلام لا يعبِّر عن المعاناة الحقيقية للبشر. **إن المتتبع للإعلام الغربي وطرق صياغته وأساليب إيصاله إلى المواطن يرى الكثير من التجاوزات في المصداقية والحيدة.** وكثرت في الآونة الأخيرة الدلائل على المحاولات المتعمدة لإعادة صياغة المواقف السياسية وتفسيرها وتشويهها بما يخدم أهداف الغرب ومن يدور في فلكه.

ومن هنا تأتي أهمية تتبع الآثار التي تنتج عن تشويه الإعلام الغربي لحقائق الصراع في كثير من بقاع العالم. والحديث في هذا المجال لا بد أن يتطرق إلى المنطلقات الشرعية في فهم حقائق الصراع العالمي، والحديث عمن يملك الإعلام الغربي، والآثار المنظورة والمحسوسة للإعلام على الرأي العام للشعوب. كما أنه من الضروري التطرق إلى بعض أمثلة تشويه الحقائق وتغييرها من قبل الإعلام الغربي، والبحث عن المستفيد من وراء ذلك، وأخيرًا ما هو دور الإعلام الإسلامي في مقاومة هذا التشويه لحقائق الصراعات القائمة في العالم؟

تحذير قرآني:

لقد فضح القرآن الكريم لنا أساليب وسائل الإعلام الكافرة عبر التاريخ في حرب الإسلام وأهله، التي تنوعت صورها ووسائلها وجمع بينها جميعًا رابط الكيد والعداء للإسلام، والكذب والخداع وتشويه الحقائق. ولنتأمل قول الله - تعالى -: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾** [فصلت: ٢٦] وكذلك قوله: **﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾** [المائدة: ٤١]، وكذلك قوله - جل شأنه -: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [آل عمران: ٧١].

> «أساليب الإعلام الغربي ووسائل إيصاله للمتلقي يلمس فيها التجاوزات في الصدقية والحيدة وكل ذلك يخدم أهداف الغرب ومن وراءه»

كما أن الاستهزاء بالإسلام والمسلمين، والسخرية منهم، وإشاعة الأخبار السيئة عنهم ليس بالأمر المستغرب أو الجديد في ساحة الصراع بين حزب الرحمن وحزب الشيطان منذ بدايات هذا الصراع. وقد أصبحت وسائل الإعلام الغربية من أهم وسائل إدارة هذا الصراع وتأجيج ناره في العقود الأخيرة. وقد حذر الله - تبارك وتعالى - الأمة المجاهدة من هذه الوسائل الشيطانية في أكثر من موضع في الكتاب العزيز. ومن ذلك: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾** [آل عمران: ١١٨]، **﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** [البقرة: ٢١٢]، **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ**

مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣].

هل تثق الشعوب الغربية في إعلامها؟

في دراسة أعدها كل من (أندرو كوت) و(روبرت توث) حول ثقة المواطن الأمريكي في مصداقية الإعلام الغربي، ونُشرت في دورية «الصحافة والسياسة» الصادرة عن جامعة هارفارد، وجد أن المجتمع الأمريكي قد انخفضت ثقته بالإعلام الغربي بصورة واضحة في السنوات الأخيرة، ودلت الدراسة على أن الغالبية من الشعب الأمريكي التي كانت تثق في مصداقية وسائل الإعلام الغربية قد تحولت إلى أقلية خلال عشر السنوات الماضية. فبينما اعتقد ٣٣٪ من الشعب الأمريكي في عام ١٩٨٥م أن الإعلام بصورة عامة يفتقد المصداقية، فقد ارتفعت هذه النسبة إلى ٤٤٪ في عام ١٩٩٢م، وبلغت في نهاية عام ١٩٩٧م حوالي ٥٣٪، كما أظهرت الدراسة نفسها أن أكثر من ٦٠٪ من الشعب الأمريكي يعتقد أن الإعلام يركز على الجوانب السلبية أكثر من اللازم(١). كما بينت الدراسة أن أهم أسباب عدم المصداقية يرجع إلى «عدم الحيدة» من جانب الإعلام الغربي عند طرح القضايا وتحليلها. وعدم الحيدة يرجع إلى عدد من الأسباب التي من أهمها وأبرزها: ملكية اليهود لوسائل الإعلام وتأثيرهم المباشر على هذا الإعلام بشكل لافت للنظر.

من يملك الإعلام الغربي؟

تجمع معظم الإحصاءات أن المواطن الأمريكي يتابع ما يحدث في بلده وفي باقي أنحاء العالم من خلال نشرات الأخبار التلفزيونية التي تشكل أهم مصدر إخباري لنسبة ٨٥٪ من الشعب الأمريكي. وهناك أربع شبكات تلفزيونية تشكل في مجموعها أكثر من ٩٥٪ من الأخبار المحلية والعالمية التي تجمع وتصور وتبث للمواطن الأمريكي. وهذه الشبكات هي: سي. إن. إن (CNN) وتملكها شركة تايم – وارنر التي يرأسها جيرالد ليفين (يهودي)، وشبكة إي. بي. سي (ABC) وتملكها شركة والت ديزني التي يرأسها مايكل إيزنار (يهودي)، وشبكة سي. بي. إس. (CBS) وتملكها شركة وستنجهاوس ويرأس الشبكة إيريك وابر (يهودي)، وشبكة إن. بي. سي. (NBC) وتملكها جنرال إليكتريك ويرأس قطاع الأخبار فيها أندرو لاك (يهودي). ومن المفاجئ بلا شك أن نجد أن كل هذه الشبكات تدار حاليًا من قبل اليهود. وهذا يعني أن ١٠٠٪ من القرار الخاص بالأخبار تبث من أكبر أربع شبكات تلفزيونية أمريكية تتحكم في ٩٥٪ من الأخبار في أمريكا، ولها تأثير بالغ؛ لأنها تشكل مصدرًا رئيسًا للأخبار التي يتلقاها

> «ملكية اليهود لوسائل الإعلام الغربي من أسباب عدم مصداقيته»

(١) «كيف يحب الناس من لا يثقون به» دراسة إعلامية لـ (أندرو كوت، وروبرت توث)، دورية «الصحافة والسياسة» "Harvard International Journal of Press/Politics" مجلد (٣) عدد (١) شتاء ١٩٩٨م، ص ١١٠ – ١١٧.

٨٥٪ من الشعب الأمريكي هي لليهود. فهل يعقل أن تكون هذه مصادفة!

أما الصحافة اليومية فقد نجح اليهود في السيطرة عليها بل وامتلاك أكبر ثلاث مؤسسات صحفية أمريكية مؤثرة. وهذه الصحف هي: (نيويورك تايمز) التي تعتبر الصحيفة الموجهة لنبض المجتمع الأمريكي والمعبرة عن ثقافته، ويتولى رئاستها ويشغل منصب الناشر لها في الوقت الحالي أرثر أوكس سالزبرج (يهودي). وإضافة إلى الصحيفة اليومية الهامة، فإن مؤسسة نيويورك تايمز تمتلك أيضًا ٣٦ صحيفة يومية أخرى و١٢ مجلة هامة، و٣ شركات لطباعة الكتب، وتتولى نيويورك تايمز تزويد ما يزيد عن ٥٠٠ صحيفة يومية بالأخبار. والصحيفة الثانية هي (واشنطن بوست) وهي الجريدة السياسية الأولى في أمريكا، ويقرؤها معظم صانعي القرار ابتداءً من البيت الأبيض، وحتى ممثلي الولايات في الكونجرس الأمريكي. وقد اشترى إيجين ماير (يهودي) هذه الصحيفة عام ١٩٣٣ ولا تزال مملوكة لعائلته، وتملك الحصة الكبرى فيها إحدى حفيدات إيجين وهي كاثرين ماير (يهودية). أما صحيفة (وول ستريت جورنال) وهي صحيفة المال والتجارة، والتي يقرؤها السياسيون ورؤساء الشركات والمستثمرون وأصحاب الأموال في أمريكا وكثير من بقاع العالم، وتعتبر أكثر الصحف الأمريكية انتشارًا؛ حيث يطبع منها ما يزيد على ٢,١ مليون نسخة يوميًا فهي مملوكة لشركة داو جونز التي يرأسها بيتر كان (يهودي). وتصدر المؤسسة ٢٤ صحيفة يومية وأسبوعية أخرى. أما المجلات الأسبوعية فنجد أن أهمها على الساحة السياسية مملوك تمامًا لليهود. وهذه المجلات هي: مجلة التايم (٤,١ مليون نسخة أسبوعيًا) وتملكها تايم وارنر التي يرأسها جيرالد ليفين (يهودي)، ومجلة نيوزويك (٢,٣ مليون نسخة) وهي مملوكة للواشنطن بوست التي ترأسها كاثرين ماير (يهودية) وأخيرًا مجلة يو إس نيوز (٢,٣ مليون نسخة) ويملك أغلب أسهمها ويرأسها مارتينمر زوكرمان (يهودي).

أما من ناحية دور النشر فيوجد في أمريكا مئات دور النشر في المجالات الثقافية والعلمية المختلفة؛ ولكننا نجد عند البحث عن أكبر هذه الدور أنها مملوكة وتدار أيضًا من قِبَل اليهود؛ فمؤسسة تايم بوكس مملوكة لشركة تايم - وارنر التي ذكرنا سابقاً أن رئيسها هو جيرالد ليفين (يهودي)، ومؤسسة راندم هاوس يملكها نيوهاوس صاامويل (يهودي). ومؤسسة سايمون أند شوستر مملوكة لشركة بارامونت التي يرأسها مارتين دايفز (يهودي). وأخيرًا شركة وسترن التي يرأسها ريشارد برنستاين (يهودي). ولذلك فليس من المستغرب أن نشاهد هذا التواطؤ الإعلامي على تشويه حقائق الصراع في كل مناطق العالم الإسلامي، وطرحها بصورة تخدم التوجهات الغربية واليهودية.

تشويه الواقع: لماذا؟

في كتاب بعنوان: «الإعلام الأمريكي والشرق الأوسط: الصورة والانطباع» يذكر مؤلف الكتاب سببين للتشويه المتكرر في الإعلام الغربي لصورة الإسلام والمسلمين: السبب الأول في نظر الكاتب: هو أن طبيعة الشرق الأوسط والإسلام غير مفهومة بشكل صحيح لمن ينقلونها إلى الإعلام الغربي من مراسلين ومحررين غربيين. والسبب الثاني: هو أن هذه الوسائل الإعلامية تنقل رسالتها من

خلال منطلقات علمانية غربية؛ وهذه ليست بالضرورة أفضل وسيلة لنقل المعلومات عن العالم الإسلامي. ورغم أن الكاتب قد يكون مصيبًا في ذكر هاتين النقطتين كسببين لتفسير هذا التشويه، إلا أن هذه الأسباب ليست هي الأسباب الأكثر أهمية. كما أن هذه الأسباب تنطبق أيضًا على إسرائيل مثلاً؛ ومع ذلك فلا نجد أي تشويه متعمد أو غير ذلك فيما يتعلق بمواقفها. ومن خلال دراسة سابقة حول الهيمنة الصهيونية على الإعلام الغربي(١) لوحظ أن السيطرة الصهيونية على معظم وسائل الإعلام الغربي هي السبب الرئيس في هذا التشويه المتعمد والمتكرر لكثير من حقائق الصراعات في العالم بالشكل الذي يخدم مصالح هذه الفئة - ويغلب على كافة المصالح الأخرى - ومن بينها المصالح الأمريكية ذاتها.

كما أن هناك أسبابًا أخرى ساهمت بصورة أساسية في تكوين الانطباع السلبي العام عن الإسلام والمسلمين في القارة الأمريكية مما سهل بلا شك تقبُّل ما يقدمه الإعلام من صور سيئة عن المسلمين؛ ومن ذلك أن كثيرًا من المستعمرين الأوائل للقارة الأمريكية القادمين من أوروبا كانوا يعقدون الكثير من الشبه بين واقعهم من ناحية فرارهم من الاضطهاد الكنسي في أوروبا، وبين تاريخ بني إسرائيل وفرارهم بدينهم. وفي بداية هذا القرن، رأى الأمريكيون أن اليهود في فلسطين يقومون بنفس العمل الذي قام به أجدادهم عندما قدموا إلى أمريكا. ولذلك فكما رأى الأجداد الأوائل أن هذه البلاد غير مأهولة إلا بالرعاع من الهنود الحمر الذين كان لهم أحد خيارين: إما التنصر وخدمة الرجل الأبيض، أو القتل، فإن الحكومة الأمريكية قد تعاملت مع بداية إسرائيل وعلاقتها بالفلسطينيين بنفس المنطق والتصور. وأخيرًا فإن المبشرين من القارة الأمريكية قد انطلقوا في القرن الماضي في حملات متوالية لتنصير المسلمين في الشرق الأوسط وفي فلسطين خاصة، وفوجئ هؤلاء المنصرون بصعوبة تنصير المسلمين بل حتى بصعوبة تحويل نصارى العرب إلى البروتستانتية. وأدى ذلك إلى كتابة عدد من الكتب عن تجاربهم السلبية.

> ❞ الشخصيات اليهودية هي التي تسير أكبر ثلاث مؤسسات صحفية أمريكية لتحقيق أهدافها المرسومة ❝

وامتلأت تلك الكتب بالأوصاف السيئة عن جمود العرب وتخلفهم، وعدم قبولهم للهداية التي جاؤوا بها(٢). وكان لهذه الأسباب مجتمعة أثر كبير في قناعات كثير من القائمين على أوجه التأثير الإعلامي في القارة الأمريكية، ولذلك لا يستغرب انصياعهم واستجابتهم للتشويه المتعمد من قبل اليهود الذين سعوا منذ نشأة الإعلام الغربي لتوجيهه ضد الإسلام والمسلمين.

---

(١) «الهيمنة الصهيونية على الإعلام الغربي» د. باسم خفاجي، المجموعة الإعلامية الدولية، أمريكا ١٩٩٨م.

(٢) «الإعلام الأمريكي والشرق الأوسط: الصورة والانطباع» يحيى كمالبور - ص ١٩ - برجير للنشر، ١٩٩٥م.

وسائل التشويه

إخفاء الحقائق :

المتتبع للإعلام الغربي يلحظ عدم الحيدة بشكل واضح عندما يتعرض الأمر لاهتمامات إسرائيل؛ فلا يتم الإعلان عن الجرائم التي ترتكب يوميًا في فلسطين على يد المتطرفين اليهود، بينما تبرز العمليات الاستشهادية وتستغل أبشع استغلال. وهناك تصوير الغزو لجنوب لبنان على أنه عمل تحريري ودفاعي، بينما يمثل الجهاد الأفغاني ضد الاحتلال الروسي بأنه تطرف وأصولية. وعلى صعيد آخر نلاحظ في الفترة الأخيرة الحملة التي يتبناها الإعلام الفرنسي ويتبعه في ذلك العلمانيون والتنويريون في مصر للاحتفال بمرور ٢٠٠ عام على الحملة الفرنسية على مصر، وإبراز الحملة كنقلة حضارية للشعب المصري، وتعمد إخفاء أنها كانت استعمارًا واحتلالاً انتُهكت فيه حرمة المقدسات الدينية، وعُبِثَ فيه بالأزهر الشريف، وقُتِلَ آلاف المسلمين من أبناء مصر دفاعًا عن دينهم ووطنهم.

ويذكر الكاتب الأمريكي (بالتز) أن الإعلام الأمريكي قد ضلل الشعب الأمريكي وقيادته بشكل واضح خلال الفترة التي سبقت انهيار إمبراطورية الشاه في إيران(١). ومن ذلك أن معارضة حكم الشاه كانت تصور دائمًا على أنها مقاومة من أقلية دينية متطرفة. ولم تجرؤ وسائل الإعلام الغربية على وصفه بالدكتاتورية حتى نهاية حكمه، وكان معارضوه يوصفون دائمًا بعدم التنظيم، وكان المراسلون يكررون دائمًا صعوبة الانقلاب على الشاه، وأنه أمر غير محتمل.

كما يبدو واضحًا للمتابع حرص الإعلام على إخفاء بعض الوقائع التاريخية التي لا تخدم اهتمامات الإعلام الغربي الحالية. فرغم كثرة استشهاد وسائل الإعلام الغربية في المناسبات القومية وغيرها بأقوال مؤسسي الولايات المتحدة، وتقديمها للشعب الأمريكي على أنها من الحِكَمِ والمآثر للأجداد الذين قامت على أكتافهم الحضارة والتفوق الأمريكي، إلا أننا نجد تعتيمًا تامًا لمواقف هؤلاء الزعماء من الوجود اليهودي في القارة. وقد قرأت مؤخرًا أحد خطابات الرئيس الأمريكي السابق (بنجامين فرانكلين) في عام ١٧٧٩م محذرًا أول مجلس تأسيسي للولايات المتحدة من خطر اليهود قائلاً: «لا تظنوا أن أمريكا قد نجت من الأخطار لمجرد أنها نالت استقلالها، فهي ما زالت مهددة بخطر جسيم وهو تكاثر اليهود في بلادنا.. إن هؤلاء اليهود هم أبالسة وخفافيش ليل.. اطردوا هذه الفئة الفاجرة من بلادنا قبل فوات الأوان .. أيها السادة: ثقوا أنكم إذا لم تتخذوا هذا القرار فورًا، فإن الأجيال القادمة ستلاحقكم بلعناتها وهي تئن تحت أقدام اليهود».

الكذب المتعمد :

يروي دافيد بن جوريون - وهو الرئيس الإسرائيلي الأسبق - في مذكراته أنه اتفق مع جمال عبد الناصر خلال الحملة على الإخوان

(١) «القوة السياسية للإعلام» بالتر وانتمان - فري برس - نيويورك - ١٩٨١م.

المسلمين أن تقوم الإذاعة الإسرائيلية بالدفاع عن الإخوان والهجوم على عبد الناصر للإيحاء بوجود صلة بين الإخوان واليهود، ولإعطاء الفرصة لعبد الناصر باتهام الإخوان بالعمالة لليهود والتعاون معهم. وقد ذكر هذه الواقعة أيضًا رئيس الوزراء الأردني السابق سعد جمعة في كتابه: «أبناء الأفاعي» نقلاً عن مايلز كوبلاند صاحب كتاب: «لعبة الأمم». كما تعمد هذا الإعلام اليهودي نقل قصص الفساد الإداري في الدولة العثمانية في بداية القرن للتعجيل بسقوطها، وإبراز حوادث الانحلال والاستبداد من خلال الحملة الشعواء التي شنها الإعلام الغربي على الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد، ووصفه بلقب «السلطان الأحمر» عقب رفضه بيع فلسطين للوفد الصهيوني الذي أراد انتزاع ذلك الاعتراف منه. وتلا ذلك إبراز الخلافة العثمانية بصورة «الرجل المريض» وإثارة التيارات القومية التركية للانقضاض على الخلافة وتقويض أركانها.

ولعل أحد شواهد أثر هذا الكذب الإعلامي هو ما نقلته صحيفة الصنداي تايمز في أحد أعداد عام ١٩٨١م عن الصحفية الأمريكية اليهودية: (سارة ايهرمان) أن مؤسسة الضغط اليهودية إيباك قد تمكنت باستخدام الوسائل الإعلامية من تغيير الرأي العام الأمريكي خلال ٤٨ ساعة فقط عقب قصف إسرائيل للمفاعل النووي العراقي. وتدعي الصحيفة بكل فخر نجاح الضغط الإعلامي في تحويل الرأي العام الأمريكي من الموقف الغاضب جدًا ضد إسرائيل إلى تقبل وجهة النظر اليهودية، بل والقناعة بأن ضرب المفاعل كان عملاً شجاعًا من أجل سلام العالم[١].

وقد استخدمت وسائل إعلامية أخرى مؤثرة لنقل الكذب والحقد على الإسلام والعرب في العالم الغربي؛ ومن ذلك استخدام الأفلام السينمائية التي تؤثر على قناعات عامة الشعوب الغربية. فمثلاً تظهر جولدا مائير في صورة المرأة الرحيمة في أحد الأفلام الغربية التي تصور قصة حياتها، فعندما تسألها طفلة أمريكية: «متى يتحقق السلام بينكم وبين العرب؟» ترد الممثلة التي تؤدي دورها في إنسانية ورحمة: «عندما يفوق حب العرب لأولادهم على بغضهم لليهود سيتحقق السلام بيننا»[٢]. وفي المقابل يظهر العربي المسلم في معظم الأفلام الأمريكية الحديثة بصورة الغوغائي الدموي الحاقد على الغرب، والذي لا يعرف للإنسانية أو الرحمة معنى. وقد تنبه الكثير من المؤسسات الصحفية المحايدة منذ زمن طويل إلى السيطرة الرهيبة لليهود على صناعة الأفلام الغربية، فذكرت مجلة نصرانية تسمى: «الأخبار المسيحية الحرة» في عام ١٩٣٨م تحذيرًا لهذه الظاهرة قائلة: «إن

”هذان السببان هما الدافع للتشويه المتعمد لصورة الإسلام والمسلمين كما استنتجها مؤلف غربي“

(١) «السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية» زياد أبو غنيمة، ص ١٣٤ - دار عمار - الأردن، ١٩٨٩م.
(٢) «السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية» زياد أبو غنيمة، ص ٧٤ - دار عمار - الأردن، ١٩٨٩م.

صناعة السينما في أمريكا يهودية بأكملها، ويتحكم اليهود فيها دون منازعة، ويطردون كل من لا ينتمي إليها، وجميع العاملين فيها هم إما من اليهود، أو من صنائعهم، ولقد أصبحت هوليوود بسببهم «سدوم» العصر الحديث، حيث تنحر الفضيلة، وتنشر الرذيلة، وتسترخص الأعراض... أوقفوا هذه الصناعة المجرمة؛ لأنها أضحت أعظم سلاح يمتلكه اليهود لنشر دعايتهم المضللة المفسدة». وكتب كثير من الكتاب المعاصرين عن سيطرة اليهود على صناعة السينما والتلفزيون وأثر ذلك على صورة العرب في أذهان الشعب الأمريكي؛ ومن ذلك كتاب صدر في العام الماضي لكاتب اسمه جولدبرج بعنوان «قوة اليهود»، أفرد فيه فصلاً كاملاً للحديث عن تغلغل اليهود في صناعة السينما الأمريكية. كما كتب (روبرت شارج) في بحث له عن تأثير الإعلام الغربي على صورة الشخصية العربية في نفوس الأطفال الأمريكيين. وركز في دراسته على بعض البرامج الأمريكية المشهورة التي تنتجها مؤسسة (والت ديزني) التي يمتلكها اليهود. ومن ذلك قصة علاء الدين الذي يظهر فيها كشخصية عربية تتحول تدريجيًا إلى النمط الغربي، وتحظى بحب كل من يتعامل معها في مقابل شخصية عربية أخرى هي «جعفر» تمثل جانب الشر وتبقى محتفظة بالمظهر العربي، وكذلك بكراهية كل من يتعامل معها. ويركز الباحث على الأثر النفسي لمثل هذا الفيلم على قناعات الأطفال في المجتمع الأمريكي تجاه الشرق الأوسط؛ خاصة أن الفيلم تجاوزت مبيعاته ١٠ ملايين نسخة.

السخرية والتهكم:

نشرت إحدى الصحف البريطانية الشعبية مؤخرًا رسمًا كاريكاتوريا على الصفحة الأولى يبرز صورة الشيخ عمر عبد الرحمن بجوار صورة الطفلة البريطانية التي قتلت في حادث الأقصر مؤخرًا، وقد كتب تحت الكاريكاتور تعليق حاد وهو: «من أجل هذا الشيطان قتلت هذه البريئة» ويروي الأستاذ زياد أبو غنيمة في كتابه: «السيطرة الصهيونية» على وسائل الإعلام العالمية» أنه رأى إعلاناً في إحدى القنوات التلفزيونية الأمريكية عام ١٩٧٥م عن أحد أنواع المنظفات الذي يبدأ بصوت المعلن قائلاً: «إن هذا الصابون ينظف أي شيء.. حتى العربي» ثم يظهر شخص في زي عربي متسخ وتحاول إحدى الفتيات تنظيفه بالمنظف الجديد وينتهي الإعلان بقول الفتاة: «لقد بذلنا كل ما في وسعنا» ويظهر المعلن مرة أخرى ليقول: إن تقارير المختبرات أثبتت أن عدم نظافة العربي لا يرجع إلى عدم وجود المنظفات، ولكن «لأن العربي لا يمكن أن يصبح نظيفًا أبدًا» (١). وفي إعلان آخر عن وسيلة لحماية النساء من المعتدين تسير فتاة باطمئنان ثم يفاجئها رجل يرتدي الزي العربي ليهجم عليها بخنجر في يديه، فتستخدم الفتاة مادة مخدرة ترشها في وجهه ليسقط مغشيًا عليه، ولا تنسى الفتاة قبل أن تمضي أن تبصق على العربي.

تعميق الإحساس بالكراهية:

لقد أجاد الإعلام الغربي في تعميق إحساس الكراهية لدى الشعوب الغربية تجاه الإسلام والمسلمين على مدى العشرين

(١) المصدر السابق، ص ١٢٣.

سنة الماضية، وكان لأحداث مثل المظاهرات التي أعقبت صدور كتاب: «آيات شيطانية» وعمت أنحاء أوروبا أثر كبير في استغلال صور انفعال المسلمين لما في هذا الكتاب من إهانة للنبي ﷺ وزوجاته والصحابة لتصوير المسلمين أنهم جهلاء ولا يتمتعون بروح السماحة والنقاش الحر، وهي أمور يعتبرها الغربي من المسلَّمات والبدهيات خاصة في المجتمعات الغربية التي غُيِّبَ فيها الدين بصورة تامة عن الحياة اليومية للشعوب، وشاهد المتفرجون على شاشات التلفزيون الفرنسي صورة المظاهرة التي قام بها ٥٠٠ شاب مسلم في باريس مطالبين بالاقتصاص من كاتب ذلك الكتاب، وأعيدت المشاهد الانفعالية لهذه المظاهرة مرات عديدة خلال الأيام التالية، وعبرت عن ذلك جريدة النيويورك تايمز في عدد ٥ مارس ١٩٨٩م قائلة: «لقد ظهر هؤلاء المتظاهرون فجأة في المجتمع كطابور خامس للتطرف الإسلامي في فرنسا التي كانت تحتفل بمرور القرن الثاني على ثورتها ضد الدين» وخرجت إحدى اليمينيات في ذلك الوقت لتقول: «إن الإسلام دين قائم على عدم التسامح».

وذكر (روبرت فيسك) في مقال له صدر في جريدة الإندبندنت البريطانية في يوم ٣/١٢/١٩٩٧م حول الإعلام الغربي وتعامله مع قضايا المسلمين أن هناك تعمدًا مستمرًا للإساءة للدين الإسلامي بكل الطرق الإعلامية الممكنة من قِبَلِ الصحافة والإعلام الغربي. وذكر في مقاله مثالين على ذلك وهما: وصف مجلة «باري ماتش» الفرنسية لحادثة الأقصر بأنها من فعل «مجانين الله»، وكذلك غلاف مجلة التايم الأمريكية عقب تفجير برج التجارة العالمي في نيويورك، والذي خرج بعنوان «الإرهاب الإسلامي». وفي المقابل فعندما قام الصرب بكل أنواع التنكيل والتعذيب للمسلمين في البوسنة والهرسك، كان ذلك ينقل في الإعلام الفرنسي على أنه صراع عرقي وليس ديني. ولم يحدث أن أشير إلى جرائم الصرب على أنها جرائم «لنصارى أوروبا»، ولكنها صورت في معظم وسائل الإعلام الغربية على أنها صراعات من أجل الهيمنة على الأرض أو الحدود الجغرافية. وتلقفت كثير من وسائل الإعلام العربية هذا الموقف نفسه وبدأت في إعادة بثه في وسائل الإعلام العربية.

التعتيم والمحاصرة:

رغم أن الدراسات الإحصائية قد أثبتت أن أكثر من ٥٠٪ من حملة شهادات الدكتوراه في المجالات الهندسية في القارة الأمريكية هم من أبناء العالم الإسلامي، وكثير من العلماء البارزين في شتى فروع العلوم الطبيعية والتقنية في الجامعات الأمريكية هم من المسلمين، إلا أن الإعلام الغربي يصر على تصوير هذه النجاحات على أنها نجاحات فردية، بينما تبرز نجاحات اليهود المماثلة على أنها تفوُّق عرقي وأنها تؤكد تميُّز وذكاء الشعب اليهودي بأكمله. وقد صدر مؤخرًا في أمريكا كتاب بعنوان: «بين اليهود والسود» يعقد سلسلة من المقارنات بين السود واليهود في أمريكا، ويؤكد صاحب الكتاب في أكثر من موضع أنه رغم أن كل من اليهود والسود في أمريكا يمثلان أقلية عرقية، إلا أن هناك فرقًا شاسعًا بين تأثير كل منهما على الحضارة الغربية. ويتفنن الكاتب في ذكر مناقب الأقلية اليهودية والذكاء الفطري لها، والإنجازات العلمية والحضارية لأبنائها، بينما يهوِّن من

الناحية الأخرى من شأن السود ويلتمس لهم الأعذار، ويقدم بطريقة ماهرة وماكرة صورة سلبية وقاتمة لهذه الأقلية. وحيث إن الإسلام هو الدين الأسرع انتشارًا بين طوائف السود في القارة الأمريكية، فلا يخفى على القارئ الربط الذي سيعقده الأمريكي العادي عند قراءة مثل هذا الكتاب.

نماذج تاريخية: الصراع العربي الإسرائيلي في مجلة التايم:

في دراسة متخصصة عن القضية الفلسطينية والإعلام الأمريكي، قام (ر. س. زهارنة) بدراسة إعلامية تعقَّب فيها كيف تعاملت أشهر المجلات الأمريكية والعالمية – مجلة التايم – مع القضية الفلسطينية منذ بداية الكيان اليهودي في فلسطين (١٩٤٨م). ولاحظ الباحث أن التايم قد بدأت منذ عام ١٩٤٦– ١٩٤٩م في تغيير كلمة «الفسلطينيون» إلى كلمات أخرى من مثل «سكان فلسطين» و«عرب فلسطين» وذلك لإخفاء الهوية الحقيقية للسكان الأصليين في المنطقة. ثم تغيرت هذه المصطلحات خلال الفترة من ١٩٥٠م إلى نهاية الستينيات إلى: «العرب غير الأردنيين» و«العرب الإسرائيليين» و«الأردنيين»، وصاحَبَ ذلك تطور آخر وهو التركيز على خصوصية العلاقة بين أمريكا وإسرائيل لدرجة أن مجلة التايم قامت بنقل الموضوعات الخاصة بقضية إسرائيل من صفحات القضايا الدولية في المجلة إلى الصفحات المحلية. واستمر هذا التغيير منذ ذلك الحين. أما من ناحية اللقاءات الصحفية فقد كان أغلبها يتم مع مسؤولين أمريكيين أو إسرائيليين مما جعل الطرح الصحفي دائمًا متحيزًا للجانب الإسرائيلي من النزاع، وكان لتصوير الفلسطينيين أنهم من العرب أثر إعلامي قوي في أمريكا بين مختلف فئات الشعب الأمريكي لاستغلال الكراهية المترسخة نحو العرب من جراء سنوات من الإعلام السلبي، إضافة إلى تصوير إسرائيل كيانًا صغيرًا في مقابل عدو ضخم هم العرب، بدلاً من التركيز على المجازر الوحشية التي ارتكبتها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني.

كما قامت التايم بعدد من التحقيقات الإنسانية مع العائلات اليهودية المهاجرة إلى أرض الميعاد، وركزت هذه التحقيقات على جوانب التضحية والمعاناة والمشقة. ومثال ذلك تحقيق أجري في عدد ١٩٤٩/٢/٧م مع عائلة يهودية مهاجرة. كما استخدمت المقارنات الإعلامية لإضفاء البريق على اليهودي والضعف والمهانة على العربي. ففي عدد ١٩٤٨/٤/٢٦م كان عنوان أحد المقالات: «اليهود يحتفلون بأسبوع من النصر، والعرب قد أصابهم الضعف والضياع»، وفي عدد ١٩٤٨/٥/١٧م: «اليهود ينتظرون انتهاء الانتداب البريطاني في ثقة تامة، والعرب الفلسطينيون في انهيار نفسي تام». عقب ذلك وخلال الفترة من ١٩٥٠م – ١٩٦٧م انتقل تركيز مجلة التايم إلى الحديث عن شؤون إسرائيل، وإبرازها قوة دولية مؤثرة، بينما كثر الحديث عن ضعف أبناء فلسطين وتشردهم في البلاد العربية والغربية وعدم وجود قيادة لهم، وكانت صور الملاجئ تؤكد هذا الانطباع في نفس القارئ، كما استمرت المجلة في

امتهان الشخصية العربية وتصويرها بشكل مخز ومقزز، فمثلاً كان الملك عبد الله ملك الأردن يوصف بأنه «الرجل الصغير» ذو «الابتسامة البلهاء» و«الغارق في مغامرات الصراعات العربية»[1].

أما في الفترة من ١٩٦٧م - ١٩٨٧م فقد اختلفت الصورة تدريجًا، فمع إنشاء منظمة التحرير عند بداية العمليات الفدائية، بدأ التركيز على صورة الفلسطيني الإرهابي، وانتقلت الصورة الماثلة في أعين الغربيين عن الفلسطيني الذي كان ينظر إليه على أنه مشرد لا حول له ولا قوة، إلى الإرهابي خاطف الطائرات وقاتل الأطفال والنساء بلا رحمة ولا شفقة. وانتقلت مجلة التايم مرة أخرى إلى نوع جديد من التصوير السلبي للفلسطينيين لتصفهم بأنهم «متوحشون» ، «إرهابيون بلا رحمة» و«غير منطقيين»[2]. ولذلك كان هناك نوع من التأييد عند احتلال إسرائيل لجنوب لبنان فيما صُوِّر أنه محاولة للقضاء على الإرهاب الفلسطيني الذي يهدد العالم بأسره، ولكن تبع ذلك مذابح صبرا وشاتيلا فعادت مرة أخرى صورة الفلسطيني المشرد المغلوب على أمره تحتل عناوين التايم وكأنما كان ذلك لامتصاص غضبة العرب والمسلمين تجاه تلك المذابح الرهيبة.

أما في الفترة التي بدأت منذ عام ١٩٨٨م فقد ظهر تغير في النظرة تجاه القضية الفلسطينية وذلك عقب الانتفاضة التي قدمت الشعب الفلسطيني للعالم كشعب أعزل يقاتل بالحجر وحشية الجندي اليهودي المدجج بالسلاح. وهنا بدأ الإعلام الغربي في إعادة رسم وتقديم منظمة التحرير كشريك مقبول للسلام، وبدأت عمليات تجميل صورة قيادات المنظمة التي كانت حتى عهد قريب توصف بأنها منظمة إرهابية، ويرجع كثير من الباحثين هذا التغيير في السياسة الإعلامية التي تحركها اهتمامات اللوبي اليهودي في أمريكا إلى الحاجة التي ظهرت لاستبدال قيادة الشعب الفلسطيني واللحاق بها قبل أن تقع في أيدي الإسلاميين الذين ظهرت مصداقيتهم للشعب خلال أحداث الانتفاضة، وفجأة تتحول مجلة التايم إلى دور المدافع عن ياسر عرفات عندما رفض جورج شولتز وزير الخارجية آنذاك منحه تأشيرة دخول أمريكا لإلقاء خطاب في الأمم المتحدة.

وتعقَّب التايم على ذلك في عدد ١٩٨٨/١٢/٥م قائلة: «جهد فردي لمنع رئيس المنظمة من التحدث أمام الأمم المتحدة». وصُوِّر عرفات عقب ذلك أنه «النجم الصاعد الذي يتحدى صلف الحكومة الأمريكية»[3] والملاحظ هنا أن المنظمة لم يتم الاعتراف بها من قبل الإعلام الأمريكي كممثل للشعب الفلسطيني عندما نالت المنظمة الاعتراف الدولي في عام ١٩٧٤م، ولكن تم ذلك بعد أكثر من ١٩ عامًا؛ إذ تطابقت سياسة المنظمة

---

(١) مجلة التايم - عدد ٢٤ مايو ١٩٤٨، ص ٣٣.
(٢) مجلة التايم - عدد ٢٧ مايو ١٩٧٤، ص ٢٤.
(٣) مجلة التايم - عدد ١٩٨٨/١٢/٢٦، ص ٢٤.

"وسائل تشويه الإسلام والمسلمين كثيرة وبطرق مدروسة؛ فأين نحن من ذلك؟"

مع سياسة قادة إسرائيل عام ١٩٩٣م. ولأول مرة تبدأ مجلة التايم في إظهار الجانب الإنساني في شخصية عرفات بوصفه «محبًا للأطفال» و«الرجل المسن» في عدد ١٣/٩/١٩٩٣م، كما اختفى الحديث عن العداء، وبدأ ذكر عبارات الحوار والنقاش و«الخروج من دوامة الصدامات التاريخية» و«البناء المشترك لأرض الميعاد» و«الحياة جنبًا إلى جنب».

دور الإعلام الإسلامي:

لا شك أن الإعلام الغربي قد نجح طوال القرون الماضية في صياغة عقول وتصورات الكثير من الغربيين بل والشرقيين أيضًا حول قضايا وصراعات العالم. ونحن في حاجة ماسة إلى الأخذ بزمام المبادرة في توعية الأمة بمثل هذه المكائد. ولا بد من إدراك حقيقة أن الوقاية خير من العلاج، وأن وجود الجهاز الإعلامي الإسلامي القادر على التعامل مع هذه المكائد وصدها يجب أن يكون في دائرة اهتمام المخلصين من الأمة، ولا بد للإعلام الإسلامي أن يتمتع بالجرأة والمصداقية والعزم الصادق في التصدي لمحاولات تغييب وتحريف هذا الدين، ولا بد من مشاركة المهتمين من غير المسلمين في هذه القضية ودفع عجلتها إلى الإمام. لقد عقد في العام الماضي المؤتمر الدولي الأول حول الجوانب الأخلاقية والقانونية والمجتمعية للمعلومات الرقمية في مونت كارلو. وركز عدد من المندوبين في هذا المؤتمر على أهمية الحفاظ على حيدة المعلومات والمصداقية في نقلها وتوزيعها. وعبر المدير العام لمنظمة اليونسكو عن قضية هامة وهي ضرورة تحقيق ديمقراطية المعلومات. وأكد على أهمية تأمين المعلومات والاتصالات للجميع؛ لأن مجتمع المعلومات ليس جمعية سرية أو ناديًا خاصًا وإنما هو أمر يهم كافة المجتمعات والثقافات. وأنهى حديثه بالتأكيد على أن أخلاقية المعلومات تتحقق بديمقراطية المعلومات[1]، ولذلك ينبغي لنا أن نبذل قصارى الجهد في إيقاف محاولات التشويه المتعمدة لديننا وواقعنا وقيمنا الحضارية المستمدة من الدين الإسلامي، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(١) «أثر عولمة وسائل الإعلام على السياسة الدولية» د. علي الرحال - دورية أوروبا والعرب - أغسطس وسبتمبر ١٩٩٧م.



افتراس النمور الآسيوية

عامر عبد المنعم

ما زالت الأسواق النقدية والبورصات في دول جنوب شرق آسيا، التي أطلق عليها «النمور الآسيوية» غارقة في أمواج متلاحقة من الصدمات والانهيارات؛ إذ تراجعت معدلات النمو التي أذهلت العالم خلال السنوات الأخيرة، بمعدل غير مسبوق، لتفقد هذه الدول نسبة كبيرة من إجمالي ثرواتها تتراوح بين ٤٠٪ إلى ٦٠٪ في غضون الأشهر القليلة الماضية.

تسببت الأزمة في شيوع موجة من القلق والهلع في كل أنحاء العالم خشية انتقال عدوى الانهيارات الاقتصادية إلى الولايات المتحدة وأوروبا وباقي الدول.

فقد انخفضت أسعار العملات في تايلاند وكوريا الجنوبية وأندونيسيا وماليزيا وسنغافورة والفلبين في مقابل الدولار الأمريكي بنسب كبيرة، وتأثرت اليابان والصين بشكل نسبي.

كانت قمة التدهور في تايلاند التي بدأت منها شرارة التقلبات حيث قررت مع تفاقم الأزمة تصفية ٥٦ بنكًا من بين ٥٨ مؤسسة مالية نتيجة تراكم الديون عليها وعجزها عن تسديد المستحقات للمقرضين من البنوك والشركات الأمريكية.

لا أحد يدري إلى أي مدى ستصل الأزمة؛ فمن الواضح حتى الآن أنها بلا قاع.. فلا توجد دراسات ومعلومات مؤكدة عن زمن احتواء هذه الأزمة ومتى يتوقف هذا التردي؟!

والحكومات نفسها - خاصة في الغرب - لا تعرف حدود انتشار هذه الانهيارات واحتمالات وصولها إلى كبريات الأسواق الصاعدة في الصين وروسيا؛ فصناع السياسة في كل أنحاء العالم يتخوفون من هذه الأزمة لسرعة انتشارها وكأنها مرض معدٍ يسقط بسببه المزيد من الضحايا يوميًا.

السؤال الذي يتردد في كل مكان هو: **لماذا حدثت هذه الانهيارات؟ وما الحقيقة وراء هذه الأزمة الخطيرة التي أكلت حصاد السنين في أيام؟**

لا يمكن الحديث عن سبب واحد، وإنما العديد من الأسباب، كما أن الأسباب قد تختلف من دولة إلى أخرى، ومع هذا فإن هناك بعض الأسباب الظاهرة التي كانت وراء نسبة كبيرة من الانهيارات.

١ - قروض الربا:

في مقدمة هذه الأسباب: القروض الربوية التي قدمتها المؤسسات المالية الأمريكية للبنوك والشركات في هذه البلدان بدون ضمانات، وإغراقها في هذا المستنقع لربط اقتصاديات هذه البلدان بعجلة الاقتصاد الأمريكي، وفتح أسواقها للمنتجات الأمريكية.. وقد نجحت الولايات المتحدة فعلاً في تحقيق أهدافها خلال السنوات الماضية؛ إذ استطاعت أن تفتح أسواق هذه البلدان أمام السلع والمنتجات والخدمات الأمريكية من خلال شبكة المستوردين ورجال الأعمال الذين ارتبطوا بالمصالح الأمريكية.

وتشير الإحصاءات إلى أن ٤٠٪ من إجمالي الصادرات الأمريكية توجهت إلى بلدان جنوب شرق آسيا.

بدأ التأثير المدمر للقروض الأمريكية في تايلاند في البداية مشعلاً الأزمة في دول الجوار، فقد أغرقت تايلاند نفسها وسقطت في هذا المستنقع منذ عام ١٩٩٤م عندما فتحت حكومتها الباب على مصراعيه للمقرضين بالدولار، الذين ضخوا ٥٠ مليار دولار في هذا البلد على مدى السنوات الثلاث التالية، فكانت النتيجة تخمة من الاقتراض؛ حيث كانت الشركات المالية - البنوك - الـ ٩١ فيها تأخذ الدولار وتعطي مقابله العملة التايلاندية (البات) مشعلة بذلك حمى من الإنفاق والبناء حتى أصبح أفق بانكوك الآن مسدودًا بناطحات سحاب لم تكتمل ومباني مكاتب شبه خاوية، مما ترتب عليه إفلاس هذه البنوك لتتقلص من ٩١ إلى ٥٨ بنكًا ثم إلى بنكين اثنين بعد صدمة الانهيارات التي ضربت عصب الاقتصاد.

وصاحبَ ذلك سَحْبُ الشركات الأمريكية والمستثمرين الأمريكيين كلَّ أرصدتهم من تايلاند، هربًا من الخسائر؛ فساهموا في الانهيار الكامل للاقتصاد وزادوا الأمر سوءًا.

ونظرًا للارتباط الوثيق بين دول جنوب شرق آسيا فإن سقوط تايلاند كان سببًا في تتابع بقية الدول في الهبوط بسرعة الصاروخ في هذه الدوامة؛ حيث دب الذعر بين المستثمرين ووسط الأسواق الاقتصادية المجاورة فانهارت هي الأخرى .

٢ - الإنفاق الاستهلاكي :

هناك بُعْدٌ آخر في أزمة تايلاند أسهم في سرعة الانهيار وهو الإنفاق الاستهلاكي السفيه والبذخ؛ فمن الغريب أن هذا البلد الصغير كان قبل يونيو ١٩٩٧م ثاني أكبر سوق لسيارات المرسيدس في العالم.

والواقع أن تايلاند مثل سائر دول جنوب شرق آسيا كانت تعيش رغد الحياة في ظل الاقتراض الذي جعل الملايين من أبناء الطبقة المتوسطة يشعرون زورًا بأنهم أثرياء، وعاشوا نمط حياة الأثرياء الحقيقيين؛ لكن بعد أن بدأ السوق ينهار فقدَ أبناء الطبقة المتوسطة وظائفهم، وصودرت مرهوناتهم وسياراتهم الفارهة، واضطروا إلى إلغاء رحلاتهم إلى أوروبا وأمريكا، وإلى إخراج أبنائهم من المدارس الخاصة.

وكما يقول رئيس البنك الزراعي التايلاندي لـ «نيوزويك»: إن أبناء أقوى العائلات نفوذًا وأكثرها ثروة شاهدوا ثرواتهم تنكمش بنسبة ٦٠٪، ومن اقترض قروضًا كبيرة بضمان ممتلكاته شهد هذه الممتلكات تتبدد تمامًا، ولم يعد العالم الذي تعوَّدوا عليه موجودًا، ولا يعرف الكثيرون منهم كيف سيخرجون من هذه الوهدة.

> ❝ ما حصل يؤكد أن هناك تدبيرًا لإجهاد الاقتصاد الماليزي المنطلق ❞

والذين صعدوا مع موجة الازدهار لم يكادوا يستمتعون بالثراء الذي حط عليهم؛ فسياراتهم لم تزل تبدو جديدة في مرائبها، ومنازلهم ما زالت تفوح منها رائحة الطلاء وهم الآن يفقدون كل شيء.

٣ - ماليزيا واليهود :

وإذا كانت القروض الربوية والإنفاق السفيه هما القاسم المشترك في الانهيارات الاقتصادية في دول جنوب شرق آسيا فإن هناك سببًا آخر لا يقل خطورة، ظهر بوضوح في اهتزاز الاقتصاد الماليزي، وهو الدور اليهودي بالمضاربة في البورصة والأسواق المالية.

فقد استطاع رجل الأعمال اليهودي (جورج سوروس) توجيه ضربة موجعة للاقتصاد الماليزي من خلال سحب الدولار من الأسواق مما تسبب في انهيار العملة الماليزية، وإثارة الذعر داخل البورصة، وهروب رؤوس الأموال إلى الخارج.

يعد (جورج سوروس) من أشهر رجال المال اليهود المتخصصين في المضاربات فهو أمريكي من أصل مجري، وله تاريخ طويل في المضاربات؛ إذ راهن في عام ١٩٩٢م على تراجع الجنيه الإسترليني فاقترض الكثير منه لأجلٍ قصير وحوَّله إلى ماركات ألمانية وتحقق ما راهن عليه، وفقد الجنيه الإسترليني ما يزيد على ١٢٪ من قيمته، وكان الفرق ربحًا صافيًا لـ (سوروس) يعادل المليار دولار.

وقد اتهم رئيس الوزراء الماليزي مهاتير محمد صراحة (جورج سوروس) بدوره في الانهيار الذي أصاب البورصة الماليزية، وأشار إلى مؤامرة يهودية لتدمير اقتصاد ذلك البلد المسلم.

وقد أدت تصريحات مهاتير إلى تصاعد هجوم المنظمات اليهودية الأمريكية ضد الحكم الماليزي مما ساهم في قيام شركات أمريكية عديدة بتحويل رؤوس أموالها إلى خارج ماليزيا لتزيد من قوة الصدمة.

ما سبق لا يعني تراجع أهمية الأسباب الأخرى للانهيار في ماليزيا مثل الاستغراق في الإنفاق الاستهلاكي والبذخ؛ فقد صاحب تزايد معدلات النمو وارتفاع الدخول شيوع القيم الاستهلاكية؛ وهو ما دعا الحكومة الماليزية إلى توجيه النصائح للمواطنين من خلال التلفزيون مرارًا بعدم شراء سلع الرفاهية المستوردة، وبعدم السفر إلى الخارج للحفاظ على العملة الأجنبية، وامتلأت الصحف بنصائح عن أماكن السياحة الداخلية التي يمكن الاستعاضة بها عن الرحلات المكلفة إلى أوروبا وأمريكا.

محاولات احتواء الأزمة:

نتيجة للارتباط الوثيق بين أسواق المال في آسيا وأسواق أمريكا اللاتينية والارتباط بين الاقتصاد الأمريكي بالاقتصاد الياباني فقد سعت دول العالم لاحتواء الأزمة. وسعى صندوق النقد الدولي والمؤسسات الدولية الأخرى لتقديم مساعداتها وخبراتها لحكومات الدول الآسيوية لوقف الانهيارات ثم إصلاح ما تم من خسائر.

في هذا الإطار وقَّع صندوق النقد الدولي العديد من الاتفاقيات مع دول الأزمة تم بمقتضاها تقديم ٤٧ مليار دولار إلى تايلاند، و٤٠ مليار دولار إلى أندونيسيا، و٥٧ مليار إلى كوريا.

وقادت اليابان الحملة الدولية لإنقاذ الاقتصاد التايلاندي وباقي الدول على اعتبار أن تايلاند وجاراتها شريك اقتصادي كبير الأهمية. فعلى سبيل المثال فإن تايلاند هي سادس أهم سوق مستوردة للسلع

اليابانية، كما أنها من أهم الأسواق الآسيوية المستقبلة للاستثمارات اليابانية. كذلك فإن اليابان تعد بالمقابل أهم شريك تجاري واستثماري واقتصادي عمومًا لتايلاند، وتعتبر النموذج الاقتصادي الذي تسترشد به تايلاند في تجربتها التنموية القائمة على الاقتصاد الحر، وعلى الاندماج في الاقتصاد الدولي، وعلى التصنيع من أجل التصدير كمحفز للنمو.

وقد بذلت اليابان إلى جانب تايلاند مساعي حثيثة لتأمين المساعدات لتايلاند من صندوق النقد الدولي ومن دول تكتل مجموعة «الأسيان».

وحرص اليابان على إنقاذ أزمة (الأسيان) لا يقل عن حرص الولايات المتحدة على حماية الاقتصاد الياباني من أي انهيارات؛ وذلك لأن أي اهتزاز في اليابان يصاحبه بنفس القدر اهتزاز في أسواق المال الأمريكية.

فالبنوك اليابانية تعد أكبر مشترٍ لسندات الخزانة الأمريكية، فهي تمتلك حوالي ٣٧٠ مليار دولار من هذه السندات، وفي حال أي انهيار فإن البنوك اليابانية ستضطر إلى بيع هذه السندات والتخلص منها؛ وهذا معناه دمار مؤكد للاقتصاد الأمريكي.

ومن جهتها - وخوفًا من حدوث أي خطر مستقبلي - أرسلت الولايات المتحدة مبعوثين من وزارة الخزانة الأمريكية إلى اليابان للتأكد من عدم تفكير اليابان في تسييل هذه السندات في حالة حصول أي هزة، وتقديم الوعود بوقوف الحكومة الأمريكية إلى جانب اليابان.

وهذا القلق هو الذي دفع الولايات المتحدة إلى السماح لصندوق النقد الذي يخضع للنفوذ الأمريكي بتقديم أكبر كم من القروض لدول الأزمة لم يحدث أن قُدِّم مثلها من قبل لأي دولة في العالم وبهذه السرعة.

«العولمة فتحت المجال للمتآمرين للتأثير في اقتصاديات الدول»

تأثر دول الغرب بالأزمة:

هناك توقعان رئيسان حول احتمال تسرب هذه الأزمة من آسيا إلى باقي أنحاء العالم: الأول: عن طريق التجارة، والثاني: عن طريق القطاع المالي الذي يشمل البورصات، وفي كلا المجالين كان الاتجاه خلال العشرين عامًا الماضية يميل إلى مزيد من التحرر الاقتصادي ورفع الحواجز وحرية تدفق المنتجات والخدمات من دولة

إلى أخرى وهو ما يطلق عليه مجازًا: (العولمة) مما جعل الاقتصاد العالمي أشبه بحلقات شديدة الالتصاق بعضها ببعض أكثر من أي وقت مضى.

وبينما كان فيما مضى من الممكن أن تفرض كل دولة سلسلة من الإجراءات والاحتياطات لحماية سوقها المحلية إلا أن منظمة التجارة العالمية - ومقرها في جنيف - أصبح من حقها الإصرار على أن تفرض على كل الدول إعطاء الشركات الأجنبية حرية التنافس في أسواقها. وفي القطاع المالي نجد أن شركات الصرافة الأجنبية تتبادل يوميًا مبالغ وهمية داخل الأسواق المحلية. فمثلاً يبلغ حجم ما تتداوله هذه الشركات في بريطانيا تريليون دولار.

وإذا أخذنا بريطانيا كمثال على مدى تأثر دولة أوروبية بما يحدث في آسيا فسنرى أنها تأثرت بشكل كبير بما جرى هناك رغم آلاف الأميال والبحار التي تفصل بينها وبين أرض الأزمة.

فعندما انهارت مؤخرًا مؤسسة (ياماتشي) في اليابان فقد ٣٢٠ شخصًا وظائفهم في لندن، ممن كانوا يعملون لدى فرع الشركة هناك، ومن الممكن أن يكون هذا الفقدان المحدود للوظائف بداية لفقدان عدد أكبر من الأشخاص لوظائفهم.

من جهة أخرى فإن بريطانيا تُعَدُّ من أكبر الدول التجارية في العالم، ودخل صادراتها يعادل ثلث الدخل الكلي لباقي مجالات الاقتصاد والخدمات، و ٩٪ من صادراتها يذهب إلى اليابان وباقي دول آسيا، والآن تعاني هذه الدول من كساد اقتصادي بسبب إجراءات التقشف المجبرة على اتباعها والمفروضة عليها من قِبَلِ صندوق النقد الدولي كوسيلة للخروج من الأزمة مما قلل بالفعل من الطلبات الآسيوية على المنتجات البريطانية... وهكذا.

ويمكن القول إن الدرس المستفاد من أزمة البلدان الآسيوية هو إخفاق وصفة النظام الاقتصادي العالمي في تحقيق الرخاء للشعوب؛ فقد دمرت القروض الربوية اقتصاديات النمور، وابتلع الإنفاق الاستهلاكي السفيه في أيام الثروة جهود أعوام طويلة.

لقد ثبت أن سياسة فتح الأبواب وتطبيق سياسات العولمة وإزالة الضوابط وتحرير السوق جعل للمضاربين والمتآمرين القدرة على توجيه ضربات عميقة للاقتصاديات الوطنية في لحظات.



الحرب بوسائل السلام

شذرات من ملف السلام بين مصر والعدو الصهيوني

كمال السعيد حبيب

هناك حقيقة يجب أن نعيَها تمامًا هي أن الحرب لا تقتصر فقط على صِدَامِ الجيوش في ساحات المعارك؛ ولكنها تمتد إلى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة، وإذا كان «كلاو زفتر» العسكري الألماني الشهير قال: «الحرب هي السياسة بوسائل أخرى» فإنه يمكننا القول أيضًا: «إن السياسة هي الحرب أيضًا بوسائل السلم» لذا فإن العلاقات بين الدول حتى تلك التي تنتمي إلى معسكر واحد لا تعرف انتفاء الصراع بينها ويطلق عليه في هذه الحالة: «الصراع التعاوني».

وفي العالم المعاصر تبدو وسائل السلم في الصراع أشد فتكًا وخطرًا؛ وتكفي الإشارة فقط إلى ما حدث من انهيار في بورصات آسيا وأسواقها؛ حيث يبدو هذا الانهيار من ناحية نتائجه أشد خطرًا من الحرب.

وفي العلاقة بين مصر و(إسرائيل) عقب توقيع اتفاقية السلام بين البلدين لم تنته حالة الحرب والصراع؛ لكنها اتخذت أشكالاً أخرى في مجالات الاقتصاد والثقافة والأخلاق والاجتماع.

وفي الواقع فإن أوهام السلام في بداياته قد أحاطت بعقول صُنّاع القرار في مصر، فجعلتهم يراهنون على أن تكون لدى الساسة اليهود مثل ما لديهم من رغبة في السلام متناسين «الطبيعة الخاصة لليهود» التي أبانها القرآن الكريم في غير موضعٍ، لكن الواقع الحي والخبرة

اليومية العملية المستمرة على مدى ثمانية عشر عامًا في التعامل مع اليهود ردَّت هؤلاء الساسة إلى جادة الحق فاستيقظوا من غفوتهم ويمَّموا وجوههم شطر إخوانهم في العالم العربي والإسلامي لبناء علاقات اقتصادية وسياسية حقيقية معهم.

زيف السلام مع اليهود:

ذكرت إحصائية رسمية أنه بعد مرور ما يقرب من عشرين عامًا على توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بلغت الاحتجاجات الرسمية لـ (إسرائيل) ضد مصر ما يقرب من (٣٧٥٠) احتجاجًا مقابل (١٩٤٠) احتجاجًا مصريًا وهو رقم غير مسبوق في تاريخ الدبلوماسية العالمية. وتؤكد أرقام الاحتجاجات المتبادلة بين البلدين أن السلام بينهما هو «سلام للحرب والصراع» فإذا عدنا إلى تفاصيل ملف هذه العلاقة تأكد لدينا زيف السلام مع الصهاينة؛ ففي المجال الاقتصادي تشير التقديرات إلى أن حجم الاستثمار اليهودي في مصر بلغ ٧١٣ مليون دولار تنحصر بشكل أساس في مجال الزراعة والبترول والنسيج.

ففي مجال الزراعة يدفع الكيان الصهيوني (عشرة ملايين دولار) لتمويل نفقات عمل خبرائه الزراعيين بمنطقة النوبارية ووادي النطرون وسيناء والإسكندرية؛ وذلك تحت مسمى: «استغلال الأراضي المصرية حقولَ تجارب لأصناف البذور (الإسرائيلية) الجديدة» ويدفع هذا الكيان أيضًا (عشرين مليون دولار) بداية من عام ١٩٨٥ بدعوى تدريب الخبراء المصريين في (إسرائيل). وتشير التقديرات أن عدد الخريجين المصريين الذين درسوا في (إسرائيل) بدءًا من عام ١٩٩٤م بلغوا (١٧٠٠ متدربًا)، ويستثمر الكيان الصهيوني في مجال توريد الفاكهة لمصر ما يقدَّر (بعشرين مليون دولار) ضمن الـ ٧٥ مليون دولار وهي حجم التبادل التجاري بين البلدين عام ١٩٩٦م.

> «أوهام السلام سيطرت على عقول صناع القرار.. فكان الرهان خاسرًا»

أخطار جلبها الصهاينة:

وبالعودة إلى الممارسة العملية في هذا المجال تبين أن (إسرائيل) تقوم بإغراق الأسواق المصرية بسلع منتهية الصلاحية وملوثة بالإشعاعات؛ ولذا فإن وزير التجارة والتموين المصري أصدر قرارًا بضرورة الفحص الدقيق والشامل لكل السلع (الإسرائيلية) الموجودة بالأسواق، وأثبت الفحص المبدئي أن ٥٠٪ من السلع (الإسرائيلية) بالسوق المصرية مهرَّبة وأغلبها موجودة بالمناطق الشعبية، وحدثت حالات تسمم نتيجة لتناول هذه السلع، وتمزج (إسرائيل) مواد مشعة بالأدوية التي تصدِّرها إلى مصر بحيث تقضي على الذين يستخدمونها بعد سنوات قليلة؛ لأنها ليست سريعة المفعول؛ وتؤكد آراء الخبراء أن التعاون مع اليهود في مجال الإنتاج الزراعي والفني والهندسة الوراثية له آثار سلبية واضحة فيما يتعلق بنوعية المنتجات وقيمتها الغذائية وكذلك على النواحي الصحية؛ بالإضافة إلى انخفاض إنتاجية الفدان ونقل الفيروسات والطفيليات إلى النباتات الأخرى. وتعد السلع اليهودية سلعًا منافسة للمنتجات الوطنية وهو ما يؤثر على قدرتها التنافسية

> ❞ تؤكد أرقام الاحتجاجات المتبادلة بين البلدين أن السلام بينهما هو «سلام للحرب والصراع» ❝

لصالح المنتجات الصهيونية، وما ذكر عن وجود ٥٠ مليون دولار فائض في الميزان التجاري بين البلدين لصالح مصر لا يعود إلى أن مصر تصدِّر لإسرائيل أكثر من استيرادها منها؛ وإنما يرجع ذلك إلى أن البترول المصري يمثل ٩٠٪ من قيمة الصادرات المصرية إلى الكيان الصهيوني.

وفي مجال البترول رصدت شركة «مرحاف» ٥٠٠ مليون دولار للاستثمار في مصر، وتبني إسرائيل آمالاً كبارًا على مشروع الغاز المصري وتوصيله إليها؛ لأنه سيوفر لها ٢٠٠ مليون دولار سنويًا، وفي مجال الكمبيوتر تستثمر (١٠ مليون دولار) حيث توجد عمالة مصرية رخيصة (يصل أجر العامل الإسرائيلي عشرة أضعاف أجر العامل المصري).

وفي تصريح لوزير الطاقة المصري «حمدي البنبي» قال بأن الغاز الطبيعي لن يمد إلى (إسرائيل) وأنه سمع عن المشروع من الصحف؛ لأن التصدير إلى (إسرائيل) لا يمثل سوى نسبة ضئيلة غير اقتصادية.

وفي مجال برامج الأطفال نجد برنامج «الباور رينجرز» الذي كان يعرض في التلفزيون المصري في شهر رمضان عقب الإفطار العام الماضي، وهو برنامج تملكه شركة «حاييم صابان» اليهودي المصري الأصل وهو يستثمر في هذا المجال (٧٠ مليون دولار) .

وقد توقف هذا العام ولم نعد نرى الانتشار الوبائي لإعلانات «الباور رينجرز» التي طالت كل شيء بدءًا من الأحذية والحقائب حتى الملابس.

> فتح المجال للاستثمارات اليهودية في كل شيء : من البترول حتى برامج الأطفال

وفي مجال النسيج ترصد (إسرائيل) مئات الملايين من الدولارات لضرب الصناعة المصرية العتيقة في أسواق الداخل والخارج، وشركة «كفرون» هي أشهر الشركات التي كانت تعمل من الباطن في مجال صناعة المنسوجات وكان يعمل بها الجاسوس الدرزي الإسرائيلي «عزام متعب عزام» والجاسوس المصري «عماد الدين إسماعيل». وفي مجال المعلومات تستثمر شركة «ماج» الصهيونية في مصر مبلغ مليون دولار حيث كانت تعمل في جمع المعلومات الاقتصادية عن الشركات المصرية، وتقوم ببيعها؛ وهذا النشاط يمثل الدرجة الأولى من درجات سلم التجسس الصناعي المعلن.

وفي مجال الأدوية تم اكتشاف شركة يهودية تعمل تحت غطاء هولندي تمتلك شركة للخامات الدوائية بمنطقة «إنشاص» الحسَّاسة بمبلغ ١٠ مليون دولار، أما التجارة اليهودية المهرَّبة وغير الشرعية إلى مصر فتبلغ ٤٠ مليون دولار.

خطر تهافت الشباب المصري عليهم :

وفي ظل عملية السلام سافر كثير من الشباب المصري إلى (إسرائيل)، وتشير

التقديرات إلى أنهم بلغوا (١٥ ألفًا) في العام، وكان يتم تجنيد كثير من هؤلاء من قِبَلِ الموساد وهو ما أدى إلى مطالبة لجنة القوى العاملة في البرلمان المصري بوضع ضوابط على سفر المصريين للعمل في (إسرائيل) وهي التوصية الأولى من نوعها في هذا المجال، وأعيد شرط الإذن الأمني لمن يريد السفر إلى هناك. وتشير التقديرات إلى أن الذين سافروا إلى (إسرائيل) من المصريين عام ١٩٩٧م لم يزيدوا على (١٣) ثلاثة عشر شخصًا.

وبعد الحكم على (الجاسوس الإسرائيلي) «عزام عزام» بالسجن (١٥ عامًا) بدأت الشرطة الصهيونية في القبض العشوائي على المصريين هناك لكي تبادل بهم الجاسوس؛ وكانت هذه فكرة «إرييل شارون» وزير البنية التحتية الصهيوني.

وبلغت وقاحة السفير الصهيوني في مصر «زيفي ميزائيل» إلى نقد الصحافة المصرية ومهاجمتها في لقائه بجمعية المراسلين الأجانب؛ لأنها على حد زعمه تسيء للعلاقة بين البلدين، رغم أنه لا يجوز لأحد أن يتدخل في عمل الصحافة باعتبارها سلطة حرة، كما اعترض على هيئة المساحة المصرية؛ لأنها رفعت عنوان السفارة الصهيونية والمركز الأكاديمي الصهيوني من خريطة السياحة المصرية.

> «شكّل سفر الشباب المصري إلى الأرض المغتصبة خطرًا كبيرًا على مستويات مختلفة»

ماذا فعلوا بالأسرى المصريين؟!

ويمثل ملف «الأسرى المصريين» أحد الملفات التي تكشف عن الوجه الصهيوني القبيح، وقد كشف عن هذا الملف الصهيوني «أرييه بيرو» نائب «رافائيل إيتان» رئيس الأركان الصهيوني السابق الذي كان يقود الكتيبة ٩٠؛ حيث اعترف بقتل (٤٩) مصريًا من العسكريين و (٣٠٠) من عمال إحدى الشركات البترولية، وتشير المعلومات إلى أن المقابر الجماعية للأسرى المصريين تبلغ (١١) مقبرة، منها مقبرة «وادي ميدان الجماعية» و «وادي العريش الجوية»، وكان

اليهود يبيعون أعضاء الأسرى المصريين قطع غيار، كما كان الطلبة في كليات الطب الإسرائيلية يستخدمون أجسادهم في مختبرات التجارب!

وأخيرًا وليس آخرًا:

وآخر النقاط المتوترة في العلاقات بين البلدين هي محاولة ابتزاز السفير المصري «محمد بسيوني» عن طريق فضيحة أخلاقية، وقد عاد فعلاً إلى مصر ولم يرجع بعدُ إلى هناك، وقبل ذلك تعرضت سيارته للتفتيش خلافًا للتقاليد الدبلوماسية، كما هاجم السفارة المصرية في «تل أبيب» متطرفون يهود حيث فتشوا طرودًا بها، وبلغت وقاحة «نتنياهو» اعتبار ما حدث مجرد «مداعبات» للسفير؛ وهنا رد عليه الرئيس المصري وقال: إن ذلك استفزاز لكبرياء مصر، وقد يؤدي إلى عواقب وخيمة!

استخدام أعضاء الأسرى المصريين قطع غيار ونماذج لطلبة كليات الطب

هذه بعض الشذرات من ملف السلام مع العدو الصهيوني، وهو ملف متخم بالعداء والكراهية والتخريب ـــ إنه سلام الحرب والردع كما يشير «نتنياهو» ـــ وكان لا بد لمصر أن تستيقظ على أن «اليهود» لا عهد لهم ولا ذمة، وتراجع سياستها داخليًا وخارجيًا.

يقظة مصر:

رفضت مصر عدم الذهاب إلى «مؤتمر الدوحة الاقتصادي» رغم التهديدات الأمريكية، وكانت حجتها أنه لا يمكن التقدم في مجال «التعاون الاقتصادي الإقليمي» بينما عملية السلام تنتكس ويتلاعب بها اليهود؛ ومعنى ذلك هو مكافأة المجرمين المعتدين. ويعد عدم ذهاب مصر إلى مؤتمر «الدوحة» إعلانًا لنهاية أطروحة «الشرق أوسطية» التي طرحها «شيمون بيريز» كإطار اقتصادي تكون (إسرائيل) فيه مركز التفاعلات الاقتصادية في العالم العربي.

وعلى المستوى العربي سياسيًا بدأت مصر تراجع سياستها تجاه «السودان» واستقبل الرئيس المصري «الزبير صالح»

نائب الرئيس السوداني قبل مقتله في حادثة سقوط طائرة مروحية، وبدأ تنشيط العلاقات ثانية بين البلدين في مجالات الملاحة النهرية وإعادة ممتلكات المصريين في السودان، واستقبلت مصر المتمرد «جون جارانج» لتفهمه أن مصر لا يمكنها أن تقبل تهديد وحدة السودان، ورفضت مصر قرار العقوبات الأمريكي على السودان، كما أعلنت رفضها «لجولة أولبرايت» الأخيرة في إفريقيا، هذه الجولة التي استقبلت فيها المعارضة السودانية وأعلنت العزم على إسقاط نظام الخرطوم، وقالت مصر: «إن السودان ليست قاعدة للإرهاب، وإنه لا يشكل خطرًا على جيرانه» وهناك إعداد لزيارة البشير لمصر، وتسعى مصر لتحقيق مصالحة داخلية بين المعارضة السودانية والنظام. وأصبح للسودان الآن في مصر سفير، وسيذهب سفير مصري إلى السودان بعد قطيعة دامت عامين.

> ملف السلام مع اليهود، ملف متخم بالعداء والكراهية

ورفضت مصر توجيه ضربة عسكرية للعراق، كما تسعى لرفع المعاناة عن شعبه، وهي حريصة على وحدته باعتباره في التحليل النهائي جزءًا من تحقيق التوازن شرق العالم العربي.

وعلى مستوى التعاون الاقتصادي العربي تدعو مصر إلى اعتبار السوق العربية المشتركة خيارًا استراتيجيًا لا يمكن التفريط فيه، وسيبدأ العمل في مناطق التجارة الحرة هذا العام، وهو ما يعني رفض مصر للمشاريع البديلة للنظام العربي. كما تتجه مصر شرقًا (مجموعة الـ ١٥) لمحاولة تخفيف قيود علاقاتها بأمريكا.

مبادرة مطلوبة:

المشاريع الصهيونية تجاه المنطقة لا تستبعد الحرب حتى مع العرب الذين دخلوا معها في اتفاقية شراكة استراتيجية مثل

> صراعنا مع اليهود صراع عقيدة ووجود لا صراع حدود

«الأردن»، ولا تزال إسرائيل ترى مصر عدوها الرئيس، كما لا يزال الجيش المصري يرى (إسرائيل) عدوًا له. وفي الواقع فإن «اليهود» هم «الابتلاء» الذي تختبر به الأمة الإسلامية؛ لذا فإن التدافع معها لا محيص عنه وفقًا لما نطلق عليه: «الأمم المتدافعة» في مقابل (الأمم المتحدة).

وصراعنا – نحن المسلمين – مع اليهود هو صراع وجود لا صراع حدود، وهو صراع عَقَدي ديني؛ وفي السُّنَّة: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»، والصهاينة كلما بنوا مستوطنة أحاطوها بالغرقد ـ التين الشوكي ـ.

وحيث إن المعركة مع اليهود هي معركة عقدية دينية فعلى مصر أن تستكمل حلقة الاستعداد للمواجهة القادمة وتصلح ما بينها وبين الحركة الإسلامية فتخفف القيود عن حركتهم، ولا تسمع لوساوس اليهود.

فاليهود يرون أن عدوهم الأساسي هو الحركة الإسلامية؛ لذا فإنهم يغرون النظام ضدهم حتى يستفيدوا هم؛ وبعد كشف خفاء الوجه الصهيوني القبيح فإن الخطوة القادمة تفرض المصالحة مع الحركة الإسلامية حتى يمكن الاستعداد للمواجهة الحتمية مع اليهود التي لا نملك لها دفعًا.

دلالات جولة كلينتون في أفريقيا

د. جلال الدين محمد صالح

مئات الآلاف من مواطني القارة الأفريقية في الدول التي زارها الرئيس الأمريكي «كلينتون» اصطفوا في حشود ضخمة لاستقباله، وتسابقوا إلى مصافحته، والاستماع إلى خطابه ناسين أن هذه الزيارة لم تشد رحالها لتعبر عن الحزن الأمريكي بمعاناة أبناء القارة السوداء، وما يعتصرهم من آلام الفقر المدقع، ومآسي الاقتتال بكل ما ينجم عنه من تشرد أسري، وحرمان اقتصادي، ودمار عمراني؛ بالرغم مما رافق هذه الزيارة من ضجة إعلامية صوَّرتها وكأنها رحلة رخاء وسخاء اقتصادي سترفع عن أفريقيا إصرها والأغلال التي عليها من النزاعات العرقية والقبلية، كما أنها لم تكن رسالة وفاء صادق مهداة من البيت الأبيض للنهوض بالقارة نحو الرقي الاجتماعي والاستقرار السياسي، فضلاً على أنها جاءت في وقت أشد ما تكون فيه أفريقيا حاجة إلى حل معضلاتها الأمنية، وتعقيداتها الاقتصادية التي أورثتها الفقر وأثقلت كاهلها لعهود طويلة، وإنما كل ما توحي به من دلالات سياسية لا يتجاوز حدود تأكيد الهيمنة الأمريكية عالميًا، والبرهنة على تفردها بالفريسة وقدرتها على صياغتها صياغة جديدة تمليها مصالحها وتتماشى مع متطلباتها السياسية دونما إعطاء أي اعتبار لآلام هذه القارة الحزينة وآمالها.

تبرز أمارات هذه الرؤية بشكل جلي في الخطاب الذي ألقاه كلينتون على الغانيِّين قائلاً فيه: «آن الأوان لوضع أفريقيا جديدة على خريطتنا»[1] وهذه الخريطة الجديدة لأفريقيا لا يتورع الأمريكان من تشكيلها ولو بإثارة القلاقل بين الأفارقة وتجويعهم مهما كانت نتائج ذلك، وهذا ما يمكن أن نلمسه في التصريحات التي توجهت بها «ألبرايت» وزيرة الخارجية الأمريكية إلى دول من شرق القارة محرضة إياها على الإطاحة بالنظام الحاكم في السودان باعتبار أنه شب عن الطوق ورفض الانصياع. ويتجلى ذلك أيضًا في المساعدات العسكرية التي تقدمها أمريكا إلى هذه الدول بذريعة أنها تواجه الخطر الأصولي، إضافة إلى الحصار الاقتصادي المضروب على السودان تجويعًا حتى يلين ويستكين، وتحفيزًا لجون قرنق على مواصلة العصيان والتمرد، وإبطالاً لمحادثات السلام التي تجريها الحكومة.

ومن الخطأ الفاضح أن ننظر إلى هذه الزيارة بمنظار يفصلها عن مقاصدها البعيدة والمشبوهة؛ ليس فقط فيما يخص العلاقة بالسودان؛ وإنما أيضًا مع كل من يحاول من الأفارقة الإفلات من سياسات الاحتواء والتوظيف التي تنتهجها أمريكا في علاقاتها السياسية الراهنة. ولقد اصطفى «كلينتون» للقائه عددًا من رؤساء شرق أفريقيا مستثنيًا السودان وجيبوتي بالرغم من أنهما من دول «الإيقاد»

> لهذا السبب لم يزر كلينتون جيبوتي والسودان

ومن الأطراف التي يهمها أمن المنطقة واستقرارها، وليس من مغزى سياسي لهذا الانتقاء والتجاهل إلا لأن السودان وجيبوتي يمثلان امتدادًا عربيًا وإسلاميًا في القارة الأفريقية بينما البقية المختارة تحمل موقفًا رافضًا وكارهاً في معظمها للوجود العربي والإسلامي، ولا تبدي في غالبها أيضًا أي تحفظ عما تريده وتخطط له أمريكا، وقد شملت أجندة النقاش معها حرب الجنوب.

---

(١) القدس ١٩٩٨/٣/٢٤م.

وغير متوقع بداهة من أمريكا وهي التي وضعت السودان على قائمة الإرهاب أن تطرح من الحلول ما يؤدي إلى إخماد شرارة هذه الحرب بالوسائل السلمية من خلال دعم مبادرة حكومة السودان التي تجاوبت معها بعض فصائل الجنوب التي رأت فيها حلاً عادلاً يرقى إلى درجة تقرير المصير، وإنما ستؤجج روح العناد والتصلب في مواجهة كل الحلول الحادبة على مصلحة المجتمع السوداني ما دامت لا تجد فيها ما يمكنها من تنفيذ سياساتها المعروفة مما يفقد المنطقة استقرارها، ويجعل من أبنائها وقودًا يحترق بين أثافي القدر الأمريكي الذي لا يتوقف عن الغليان أبدًا إلا بعد إحراق مصالح الآخرين لحساب مصلحته، وهي مصالح لا تأخذ بعين الاعتبار والاهتمام إلا استراتيجيات ومصالح الكيان الصهيوني في فلسطين، وعلى عتباتها جرت مجازر رواندا بين الهوتو. والتوتسي، وارتضت أن تتفرج صامتة، وكان بإمكانها أن تحُول دون حدوثها أو التخفيف منها؛ لأن تلك المجازر ذات مردود إيجابي لا يجني ثمارها الاقتصادية والسياسية إلا هي؛ ولا بأس بعد ذلك من أن يقوم بل كلينتون بجولة يعزي فيها الضحايا ويوهمهم بحسن نوايا حكومته تجاههم. وهذه النزعة الاستعلائية نفسها هي التي تعتمدها أمريكا اليوم في تعاملها مع الملف السوداني والصومالي الذي أوكلت مهمة البحث في شؤونه إلى هذه الدول ذاتها التي تؤلبها بين الحين والآخر على الزحف نحو الخرطوم بعد أن جربت هي الخوض فيه عسكريًا، وآثرت الانسحاب بعدما أصابها من جرح وقرح مهين. وآثرت تنفيذ سياساتها فيه عبر حلفائها. وعلى ضوء تلك السياسات تجري الترتيبات في الصومال، وتصر على احتكار الملف الصومالي، وحصره قدر الإمكان في أيد أمينة ووفية من دول القرن الأفريقي تجد في إضعاف الصومال وتفتيته إلى دويلات قبلية متنازعة إنجازًا ضروريًا لغرض هيمنتها الإقليمية التي تنسجم وتتناغم تمامًا مع سياستها المعروفة، ولعل التحرك المصري الأخير سواء في الإطار السوداني، أو الصومالي جاء نابعًا من وعي وإدراك أهداف هذه السياسة وأبعادها الخطيرة، ولم تكن تصريحات

القيادة المصرية التي تناقلتها وكالات الأنباء مؤخرًا، واتهمت فيها دولاً بمحاولة عزلها عن شؤون الصومال إلا تأكيدًا لرفض كل سياسات التقسيم التي تحاك لحل الأزمة الصومالية.

والإدارة الأمريكية بسياساتها هذه لا تعمل أبدًا لاستقرار الأحوال الأمنية في أفريقيا، ولا تحمل أجندتها توسيع نطاق الديمقراطية فيها كما تدعي، ومن السذاجة أن نتصور ذلك؛ ونحن نراها تتحالف مع أنظمة بطشية غير ديمقراطية؛ وماذا يمكن أن يعني هذا سوى أن الديمقراطية التي تلوِّح بها إنما هي للتسلط على من لا ينضوي تحت لوائها، وهذا هو سر التحالف مع نظام ديكتاتوري غير ديمقراطي في إريتريا يسوغ تدخلاته العسكرية والسياسية في السودان بإعادة الديمقراطية فيه! ولا غرابة في هذا؛ فإن «جين كير كبارتريك» سفيرة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة في عهد «ريجان» تقول: «إن إجبار حلفاء أمريكا على تبني الديمقراطية بين عشية وضحاها، أدى إلى جعل دولتين حليفتين في ذلك الوقت هما: إيران ونيكاراجوا دولتين معاديتين تحكمهما أنظمة دكتاتورية متطرفة.. وأكدت أنه ينبغي علينا عدم تشجيع الديمقراطية في وقت تكون فيه الحكومة المؤيدة من قِبَلنا تصارع أعداءها من أجل البقاء»(1).

والنظام في إريتريا ـ حسب التحليل الأمريكي ـ يواجه مدًا أصوليًا وافدًا من السودان؛ ومن مصلحة السياسة الأمريكية خنق الديمقراطية ودفنها في إريتريا بحجة أن تشجيعها وفرضها على النظام الحاكم في أسمرا سيعزز من موقف ما يسمونه بالأصولية في المنطقة، هذا في حين أن إدارة «كلينتون» استخدمت القوة لإعادة الرئيس الهاييتي بذريعة أنه منتخب ديمقراطيًا، وحالت دون انقلاب عسكري في غواتيمالا، فما لهذه الازدواجية من تفسير سوى أن الديمقراطية يمكن مقايضتها بمنافع أخرى، ويؤكد هذا التفسير ما أورده «روبرت كاغان» صاحب كتاب (القوة الأمريكية ونيكاراجوا) عن «توماس كارويترس» من أن «الإدارة الأمريكية خجلت وتجنبت

(1) مجلة قراءات عدد نوفمبر ، ديسمبر، ١٩٩٧م.

الضغط بشدة من أجل الإصلاح الديمقراطي في نيجيريا التي يوجد بها بترول، والتزمت الصمت حيال التوجه نحو الحكم الأوتوقراطي الاستبدادي في كازاخستان مصدر البترول... ورغم أن الإدارة كانت ترغب في تطبيق عقوبات ضد بلد صغير وقليل الأهمية كبورما وذلك لقمعها الحركة الديمقراطية.. إلا أن اهتمامها بالتصرفات الاستبدادية للأنظمة الحاكمة في كل من الصين وإندونيسيا قد تراجع أمام طمع الشركات الأمريكية في الأسواق البكر».

ويضيف «روبرت» قائلاً: والجميع يتفق على أنه من الخطر دعم الديمقراطية بجميع صورها في العالم الإسلامي إلا بشكل جزئي في تركيا!!.. أما بالنسبة للشعوب الإفريقية فإذا قررت الدول هناك إجراء انتخابات فهذا من دواعي السرور، أما إذا تم إلغاؤها، أو بدؤوا في ذبح بعضهم البعض فيمكننا أن نرقد هانئين؛ لأننا نعرف أن هؤلاء لم يكونوا جاهزين للانتخابات ابتداءًا»[1].

فأي انفراج وتطور تُحمل عليه إذن زيارة «كلينتون» لأفريقيا؟ والسياسةُ الأمريكية تنطلق في نظرتها للشعوب من هذه الزاوية المجحفة، وتتعامل لمجرد تكريس نفوذها مع أنظمة قمعية تسلطية تهين شعوبها، وتنتهك حقوق الإنسان والمواطنة، وتتلقى من العون الأمريكي ما يقوِّي وجودها، ويطيل أمدها في مواجهة إرادة شعوبها المتطلعة إلى التنمية وسيادة نظام سياسي تصان في ظله كرامة المواطن، ولا يؤمم حقه في التعبير السياسي.

"هذه الزيارة لأفريقيا ليست سوى تعزيز للمصالح الأمريكية وهذا ما فطن له (مانديلا)"

ليس من مصلحة أفريقيا أن تنقاد لأمريكا وتستسلم لهيمنتها؛ وقد فطنت بعض القيادات الأفريقية إلى خطورة هذه الهيمنة على مستقبل القارة، وحذرت من

(١) قراءات عدد نوفمبر ، ديسمبر، ١٩٩٧م.

الانسياق خلفها وطالبت الأمريكان بترك أفريقيا وشؤونها حيث انتقد «نلسون مانديلا» أطروحات «كلينتون» التي رأى فيها تجاوزات تربط مصالح القارة الأفريقية بمؤخرة قطار المصالح الأمريكية، كما أنه ليس من القراءة الواعية أن ننظر إلى جولة كلينتون هذه أكثر من كونها تعزيزًا للمصالح الأمريكية مقابل المصالح الفرنسية، ولا يمكن أن تمثل هذه الجولة في تحليل الفرنسيين إلا عاملاً من عوامل النشاط الأمريكي الذي بات يشكل مصدر قلق مؤرق بالنسبة لهم؛ لما يرون فيه بوضوح من محاولات إقصائهم عن مواطن نفوذهم، أو مزاحمتهم فيها على الأقل، ولكن إذا كان من حق كل الأمم والشعوب الحفاظ على مصالحهم الحيوية والبحث عما يقوي نفوذهم فأين الأنظمة العربية من كل ما يجري حولها؟ ولماذا تتعامل مع هذه الأحداث بمنتهى البرود، وكأنها لا تمس مصالحها؟ حقًا لو كان العرب يدركون أهمية العمق الأفريقي لاستراتيجياتهم الأمنية في صراعهم مع اليهود لما تركوا الوضع الصومالي يتردى إلى هذه المأساة المؤلمة. ومن السخرية أن ينأى العرب عن حل قضايا الصومال والسودان ويتركوها تتفاقم ليجد فيها الآخرون مجال عبث ولعب، ومن السخرية أن ينظر العرب إلى حلفائهم وامتداد حضارتهم في القارة الأفريقية نظرة اللامبالاة؛ صحيح أنهم يعيشون وضعًا استثنائيًا يعكس ضعفهم وتشرذمهم؛ ولكن ومهما كان هذا الوضع فلا يعفيهم من تحمل مسؤولياتهم، والتحرك لقطع الطريق على الطفيليات الصهيونية التي تنشط ضد المصالح العربية والإسلامية في القارة الأفريقية؛ وإلا فإنهم سيجدون أنفسهم وقد تجردوا من كل مواقع التأثير والتغيير على الشعوب الأفريقية؛ وليس هذا فقط؛ وإنما أيضًا مهددة في قلب دارها وعمق عواصمها في أعز ما تملك من زرع وضرع، ونبع نفطي، ومائي؛ فهل من يقظة بعد غفلة، وعودة بعد غيبة، وحركة بعد جمود؟! ذلك ما نأمله ونرجوه.

والله فوق كيد الكائدين.



أدونيس.. واعظاً !

هل يُدرك «الناطقون باسم الأمـة» أنهم، يقطعون الجذع الذي يتمكسون به، والذي يحول بينهم وبين الهاوية؟

ذلك أن الموقف هذا يؤدي إذا استمر وساد إلى قتل الطاقة الإبداعية، لا في الأمة وحدها، بل في لغتها أيضا، ولماذا ينسى هؤلاء أن يهجموا على الكتب العربية القديمة ويطالبوا بمنعها أو حرقها؟ وهل يقرؤون حقًا هذه الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] أو هذه الآية: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]؟ أو هذه الآية: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]؟ ولماذا لا يقتدون بالكتاب العزيز نفسه، فقد أثبت بين دفتيه كلام إبليس ذاته، ولعلهم يعرفون ما كلام إبليس! مجرد تساؤلات.

[أدونيس معقبًا على استجواب الإسلاميين لوزير الإعلام الكويتي حول الكتب التي تسيء للعقيدة
ـ جريدة الحياة عدد: (١٢٧٩٩)]

لماذا المرصد..؟

في هذه الزاوية، تنقل (البيان) للقارئ، أخبار ما أهملته الأخبار، من الأقوال والأحداث والمواقف.. ننقلها كما هي من مصادرها دون تصرف إلا في وضع العنوان الذي يعبر عن دلالة الخبر... والدعوة مفتوحة لقرائنا الكرام أن يرسلوا إلينا ما يرون أنه جدير بلفت اهتمام المسلم لما خلف الخبر، على أن يرسل لنا أصل الخبر ومصدره مع التعليق والاسم.

البيان

وواعظ آخر!! إنني أضم صوتي إلى الشيخ خليل عبد الكريم، وأطلب من مكفرينا الرسميين، أن يتفضلوا فيقبلوا مناظرتنا فيما يحاكموننا بشأنه، وإذا استمر الوضع على ما هو عليه، فلن نسمح من جانبنا باستمراره قبل أن يضيع الوطن كله، ونلحق بالأمم الغوابر، أو قبل أن نتحول إلى حديقة حيوان مفتوحة لكائنات عجزت عن التكيف مع المتغيرات، قبل أن تتحول الجماهير إلى فئران تجارب للأطعمة والأدوية بعد أن فقد العالم الأمل في صلاح أمرها ولحاقها بركب الإنسانية الحرة، ولكن والله لن نهاجر وسنظل هنا في حلقوم المكفرين نكنس الجهل والتخلف من حياتنا، ومن موقعنا هنا يمكن ـ إن شئنا ـ مخاطبة العالم، وأن نقيم الدنيا ولا نقعدها إلا على رؤوسهم الخاوية إلا من جهل مركب وتعصب مقيت وعنصرية مفضوحة وسادية علنية ودموية تليق بمراحل ما قبل الإنسانية.

[د. سيد القمني معقبًا على منع الأزهر لكتب خليل عبد الكريم بعدما مُنعت كتبه هو أيضًا ـ جريدة الدستور القاهرية عدد: (١١٦)]

وهل ترضى اليهود عن النصارى؟!

أ ـ لقد عانى الشعب اليهودي الكثير على مراحل مختلفة، وفي مناطق متنوعة، إلا أن المحرقة كانت أبشع معاناته، إن الطريقة غير الإنسانية التي استخدمت لاضطهاد اليهود وتعذيبهم خلال هذا القرن تعجز الكلمات عن وصف بشاعتها، كل ذلك حصل لكونهم فقط يهودًا. إننا نأسف بشدة للأخطاء والهفوات التي قام بها أبناء وبنات الكنيسة.

[من وثيقة الفاتيكان في شأن المحرقة اليهودية]

ب ـ كنت أود لو أن الفاتيكان اعترفت بأن اللاسامية المسيحية أدت إلى المحرقة، وكنت أرغب أيضًا في أن تدلي بموقفها من الشبكات الملحقة بالكنيسة التي أتاحت للمجرمين النازيين الهرب بعد الحرب العالمية الثانية.

[افراييم زوروف، مدير مركز فيزنتال للأبحاث حول النازية ـ جريدة الحياة ـ عدد: (١٢٧٩٧)]

ولن ترضى عنا النصارى

الأوربيون يقبلون اليهود الآن مساوين لهم، مع كل الحقوق السياسية والدينية للأوروبيين، في حين لم يحقق المسلمون هذا التقدم، وإذا كان بإمكان الأوروبيين أن يتعلموا قبول اليهود واليهودية، أوَ ليس من الممكن بالنسبة لهم أن يتسامحوا تجاه الإسلام والمسلمين؟! وهل نحن بحاجة إلى هولوكوست حتى يحدث هذا التغيير؟ يجب أن يتجاوز الأوروبيون نظرتهم للمسلمين «كعدو معاد للمسيحية» من أجل تفادي اصطدام الحضارات.

[مهاتير محمد ـ جريدة الخليج عدد: (٦٨٨٤)]

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا!!

أحسست أن ما تبقى من قلبي المعطوب سقط اليوم، وأشعر بشيء من «عبثية الحياة» فما جدوى الشعر، ما دام الشاعر فانياً « أكرر شعوري بعبثية ما حدث»، وأحتاج إلى وقت كبير لأتوازن. قلت لأحد الأصدقاء : أرجو أن لا يموت نزار؛ لأنني غير جاهز لاستقبال الخبر.

[محمود درويش معلقاً على وفاة نزار قباني، جريدة الحياة عدد: (١٢٨٤١)]

خرافة روزاليوسف!!

لا شيء موجود اسمه الغزو الثقافي، وإن مسألة الغزو الثقافي هذه، ما هي إلا وهم كبير لا يزال يعيش في أذهان البعض من مخلفات الحرب الباردة، وليس صحيحًا أن غزوًا ثقافيًا أعده الأعداء ليصدِّروه لنا ويدمروا مجتمعنا وقيمنا الراسخة، إن هذا المنطق «منطق خرافات» لا يتعامل مع عقول ناضجة بالقدر الكافي.

[مجلة روز اليوسف ـ عدد: (٣٦٣٦)]

معبد أبرهة جديد .. في اليمن

وافقت الحكومة اليمنية على بناء مركز كاثوليكي في صنعاء، وكان الناطق باسم الفاتيكان قد زار اليمن لبحث هذا المشروع، ويوجد في اليمن ثلاثة آلاف كاثوليكي «جميعهم من الأجانب» يرعاهم أربعة كهنة و٢٦ راهبة.

[جريدة الحياة ـ عدد: (١٢٨٠٨)]

أحرام على بلابلنا «الثأر»!

إن الهجمات التي يشنها الإسلاميون هي رد مشروع على ما يقوم به الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، وإن المسألة لم تعد مجرد مشروعية تلك الهجمات أم عدم مشروعيتها؛ فالجيش الإسرائيلي يقتل نساء، وأطفالاً أبرياء، والمهاجمون يقتلون مدنيين أبرياء أيضًا، فلماذا يُعطى الجيش الإسرائيلي الحق في ذلك ويُحرم الفلسطينيون منه؟

[صبري عكرمة، مفتي القدس ـ جريدة الأنباء، عدد: (٧٨٤٥)]

أفلح





إن أي مستوطن يدخل المناطق الفلسطينية ويعتدي على الفلسطينيين لن يغادرها حيًا، واجبنا أن نحمي شعبنا ونصون أمن وكرامة كل فلسطيني في مناطق السيادة!

[جبريل الرجوب، رئيس الأمن الوقائي في الضفة الغربية بعد مصرع ثلاثة فلسطينيين في ترقوميا على يد يهود ـ الشرق الأوسط عدد: (٧٠٤٩)]

صدق أو لا تصدق!

أبدت جامعات أسترالية استعدادها لقبول الطالبات التركيات اللواتي منعن من حق التعليم في بلادهن بسبب ارتداء الحجاب، وقالت إنها سترحب بكل طالبة تركية تعرضت لمثل هذه المعاملة دون النظر إلى ما ترتديه.

[جريدة الخليج ـ عدد: (٦٨٧٩)]

أشد الناس عداوة:

أكد استطلاع للرأي أن ثلاثة من كل أربعة إسرائيليين يؤيدون اغتيال قادة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وقال ٧٦٪ ممن شملهم الاستطلاع إنه يجب قتل مسؤولي حماس الذين تلطخت أيديهم بدم يهودي، وجرى هذا الاستفتاء بعد مقتل محيي الدين الشريف.

[جريدة الشرق الأوسط، عدد: (٧٠٦٧)]

يا حسرة على الرفاق

تصاعدت الخلافات في الحزب الشيوعي الأردني إثر اتهام أمينه العام السابق الدكتور يعقوب زيادين قيادات في الحزب بتلقي «المنح المالية الضخمة» من الاستخبارات الأمريكية!! وأكد زيادين أن تلقي قيادات شيوعية معونات أمريكية رسمية حقيقة موضوعية وأن لديه معلومات ووثائق تؤكد تلقي بعض القيادات معونات كانت إحدى دفعاتها أكثر من ٦٠ ألف دولار.

[جريدة الحياة: عدد: (١٢٨١٧)]

صراحة.. وحقد!!

إن المرء عندما ينظر إلى حالات العنف الحديثة بين العالم الإسلامي والعالم غير المسلم، فإن العالم غير المسلم هو الذي اتخذ الجانب العدواني ضد المسلمين وليس العكس، وهذا لا يعني أن العالم الإسلامي أفضل، إنه ببساطة أضعف وسيبقى كذلك.

[ميدل إيست جورنال، عن دورية قراءات ـ عدد: (محرم/صفر ١٤١٩هـ)]

مملكة السلام الدافئ

ذكرت ليا رابين أرملة رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين أن ملك الأردن حسين وزوجته نور تبرعا بمبلغ قيمته خمسون ألف دولار لمركز إسحاق رابين للسلام في العيد السبعين لميلاد ليا.

[جريدة الأنباء: عدد: (٧٨٦٢)]

ضد من هذه القوة؟

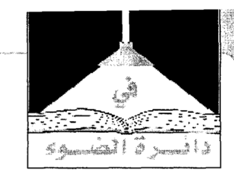
أكدت صحيفة «ميلليت» التركية أنه توجد في قاعدة أنجرليك الجوية ١٥ قنبلة نووية أمريكية، ونسبت الصحيفة إلى مصادر دفاعية أمريكية أن القنابل الموجودة في أنجرليك من طراز (بي ٦١) يمكن قذفها من الطائرات، وأن قدرة الواحدة منها تعادل تسعة أضعاف قدرة القنبلة التي أسقطت على هيروشيما.

[جريدة الأنباء: عدد : (٧٨٦٦)]

أنصار .. من؟!

في هجوم متشنج من أحد أعضاء (حزب الأمة السوداني) المسمون بالأنصار قال: إن النظام الحالي قد مُكِّن له في الأرض، ولن يعترف بأي رأي آخر وإنه لن يسلم السلطة إلا لعيسى ابن مريم، النظام يدعي أنه يدافع عن الإسلام، وأن حزبه هو حزب الله، وكل الذين يعارضونه إنما يعارضون شرع الله، وهذا زعم باطل، إننا نعتقد أن الخطر على الإسلام هو وجود هذا النظام.

[عبد المحمود أبو أمين ـ أمين عام هيئة شؤون الأنصار لحزب الأمة السوداني ـ جريدة الخليج عدد: (٦٨٧٣)]



صراع الحضارات مرة أخرى

د. محمد يحيى

على الرغم من تـعـرض العـديد من الكتـاب لمقـولة الأسـتـاذ الجـامـعي: «صمويـل هنتنجتون» التي عرفت باسم صـراع أو صدام الحضارات (نـسبة إلى مقالتـه عام ١٩٩٢م ثم كتابه الموسع حول الموضـوع وتحت الاسم نفسه عام ١٩٩٦م) إلا أن هذه المـقولة – وإن بدت سطحـية الطابع – تحتـوي على أعماق وأبعاد وجوانب كثيرة تتجلى كلما تعرض لها المرء بالبحث أو التأمل، وقد حاولت في مقال بل مـقالات سابقة أن أجلي بعض هذه الجوانب وتركت أخرى لعلّي أعالجها فيما بعد.

ومن الجوانب التي ما زالت بحاجـة إلى المزيد من الإيضاح في هذه المقولة هو دورها ووضعـها داخل سـياق الفكر الغـربي والأوضاع المعـاصرة هناك، وهو مـا ألقـيت عليـه بعض الضـوء في المقـال السـابق، وأرجـو أن أسلـط المزيد الآن.

تبدو مقولة صدِام الحضارات للنظر - من زاوية - وكأنها محاولة واسعة النطاق لجمع شتات الصف الغربي ورسم هويته بحدة ووضوح شديد؛ ذلك لأن الصف الغربي الذي كان موحدًا في القرون الوسطى بل وقبلها تحت راية الإمبراطورية الرومانية ثم المسيحية (ولا أقصد بالوحدة هنا السياسية أو السياسية وحدها) هذا الصف قد تناثر شظايا وشُعبًا حتى العصر الحديث عصر الاستقطابات السياسية والانقسامات الأيديولوجية والتناثر الاجتماعي. وصحيح أن محاولات الوحدة على كل المستويات كثرت وتعددت حتى جاء عهد التكنولوجيا الحديثة وثورة الاتصالات مع سقوط المعسكر الشيوعي والتي بدت كلها عوامل تشجع على الوحدة؛ إلا أن الوحدة بالمفهوم الحضاري الوجودي الأوسع كوحدة عقيدة وهوية ومصلحة مشتركة كبرى ظلت مع ذلك مفتقدة. ومن هنا تأتي أهمية المقولة.

إن دعوة «هنتنجتون» تحاول أن ترسم صورة قد لا تكون مكتملة في الوقت الراهن لحضارة اسمها: (الحضارة الغربية)، وهي وإن سكتت عن مكونات وأسس هذه الحضارة، وانشغلت برسم ملامح صورة العدو (الآخر الحضاري) التفصيلية إلا أنها مع ذلك تفصح عند استنطاقها عن هذه المكونات والأسس وتقدم لنا العجب؛ فالحضارة الغربية المتطورة تجمع أقطابًا وأطرافًا كانت حتى الماضي القريب جدًا من الأضداد المتصارعة. فهذه روسيا (الاتحاد السوفييتي السابق) ومعها بلدان أوروبا الشرقية (المعسكر الاشتراكي أو الكتلة الشرقية سابقًا) تصبح من مكونات ولبنات الحضارة الغربية حتى وإن كانت حتى القريب العدو الأول للغرب الذي يعني الكتلة الرأسمالية الليبرالية المنضوية تحت لواء حلف الأطلسي. وهنا نجد أن مفهوم الغرب قد اتسع ليشمل «الشرق» لكنه شرق مسيحي أبيض (وإن كان أرثوذكسي المذهب).

ومفهوم الحضارة الغربية المطروح في مقولة «هنتنجتون» يجمع بين أوروبا وأمريكا ويبقي ما كان من توتر وما هو كائن من تضارب في المصالح الاقتصادية. بل إنه داخل الكتلة الغربية الأوروبية ذاتها يجمع ما بين الكتل المصلحية الثقافية المتضاربة من بريطانية وفرنسية وألمانية وشمال أوروبية وجنوب أوروبية. ولا يكتفي مفهوم الغرب الجديد في التوسع شرقاً حتى حدود الصين واليابان ووسط آسيا (حيث امتداد روسيا) بل إنه يضرب إلى الجنوب الأمريكي حتى القارة الجنوبية المتجمدة حيث يتضمن الأمريكتين: الوسطى، والجنوبية. وهناك أيضًا تسود المسيحية الكاثوليكية التي مقرها في روما، ويسود العنصر الأبيض حتى وإن وجدت الأعراق والعناصر الأخرى بكثافة عددية أكبر: من زنوج

ومخلطين في البرازيل، أو هنود في البلدان الأخرى. لكن ارتباط هذه القارة بالتاريخ الأوروبي، والمنحى العام للحضارة الغربية قد ترسخ منذ «اكتشافها» (حسب الزعم الغربي) في القرن الخامس عشر الميلادي، ويعاد اكتشاف هذا الإقليم الآن بثرواته وإمكاناته الهائلة ليُدرج في صف الحضارة الغربية بعد أن كانت بعض تصنيفات الفكر اليساري الغربي تضعه في خانة «العالم الثالث» ثم «الجنوب» في مواجهة «العالم الأول» أو «الشمال» وهو (الغرب). وبالطبع فإن أستراليا ونيوزيلندا في أقصى الشرق، وإلى الشرق حتى من الخصم الجديد للحضارة الغربية (الإسلام والصين الناهضة أو الكتلة البوذية... إلخ) تقع هي الأخرى ضمن صف الحضارة الغربية الذي تنشئه مقولة صِدام الحضارات.

إذن: نجد أن طرح التصور للحضارة الغربية عند «هنتنجتون» يتضمن ما يمكن تسميته بإعادة تأسيس وإنشاء صف الحضارة الغربية بشكل يختلف جذريًا عما اعتاد عليه الفكر السياسي والثقافي والفكري حتى عهود بالغة القرب. فالغرب كما قلنا كان يقتصر على مجموعة بلدان غرب أوروبا (جغرافيًا) بالإضافة طبعًا إلى كتلة القارة الأمريكية الشمالية، لكن المفهوم الجديد يوسع المدى الجغرافي للغرب كثيرًا إلى حد ينعدم معه معنى «الغرب» ذاته مع الامتداد العميق إلى أقصى الشرق من ناحية وأقصى الجنوب من الناحية الأخرى، ثم محاولة التوغل في الوسط من خلال الطرح المكمل لمفهوم الغرب وهو طرح الحضارة المتوسطية التي يفترض أن تضم بلدان حوض شرق البحر المتوسط ومعظمها إسلامية. وهذا الطرح جاء من بلدان أوروبا الغربية والجنوبية وهو إن حاول التظاهر بخلق أو إحياء كيان حضاري متميز (البحر متوسطي) إلا أنه في الحقيقة لا يكاد يخفي أنه أداة لاستيعاب وضم الدول الإسلامية الكبرى المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط وإلحاقها بالحضارة الغربية (المسيحية - الوثنية) وإدراجها كعناصر داخل هذه الحضارة بعد تجريدها من خصوصياتها الحضارية وتمييع هويتها العقدية. وهكذا يتسع مفهوم الحضارة الغربية الجديد ليشمل نطاقًا جغرافيًا هائلاً بل - وهو الأهم - ليشمل ويبتلع نطاقات ثقافية كانت بشكل ما خارجة عن نطاق الثقافة الغربية كروسيا وأمريكا الجنوبية.

وينقلب هذا التوسع الجغرافي عدوانيًا عندما يتحرك ليهاجم قلب العالم الإسلامي من خلال طرح مفهوم الحضارة المتوسطية وهو في جوهره مجرد مفهوم وسيط يمهد لإلحاق الحضارة الإسلامية أو بلدانها المركزية بالحضارة الغربية ومجال النفوذ الغربي بعد فصلها أولاً عن الوسط الإسلامي وضمها إلى ذلك الكائن المصطنع (البحر متوسطي) الذي لن يلبث أن يكشف عن وجهه الحقيقي فإذا هو غربي بحت بعد أن يكون فات أوان العودة إلى الهوية الإسلامية بالنسبة للبلاد الإسلامية التي تكون انضوت تحت لوائه.



ويتجلى هذا التوسع الجغرافي الشرس والشاسع لمفهوم الغرب في التصور الجديد من بعض التصورات التي ينقصها الوضوح في مقولة «هنتنجتون» أو التي يسكت عنها؛ فما هو وضع الهند أو إفريقيا في خارطة الصراع الحضاري الذي يتنبأ به الكاتب الأمريكي للقرن الحادي والعشرين الميلادي؟

لقد تعرضت في مقالتي السابقة لوضع الهند وخلصت إلى أن «هنتنجتون» لا يصنفها في خانة أعداء الغرب رغم أنها كالصين (وأكثر من العالم الإسلامي) تمتلك القوة النووية حسب أرجح التصورات، وفوقها إمكانات عسكرية واقتصادية كبيرة حالية ومتوقعة، كما خلصتُ إلى أن عدم وضع الهند في خانة العدو الحضاري المحتمل يعني أنها واقعة في خانة الأصدقاء أو الحلفاء المحتملين للحضارة الغربية حتى وإن لم توضع صراحة في الصف الغربي. ولا يُنسى أن الجذور الأولى للحضارة واللغات الأوروبية تستمد نفسها من الماضي الآري السنسكريتي في الهند؛ فضلاً عن أن المنطق الاستراتيجي السليم يحتم وضع الهند في الصف الغربي في مواجهة الحضارتين الإسلامية غربًا وجنوبًا، والصينية شرقًا. تتبقى إذن قارة إفريقيا؛ ووضعها - من هذه الناحية - غامض؛ فهي غير مذكورة في الصف الغربي إضافة إلى أن ضعفها الحالي والمتواتر يجعل من غير المحتمل وضعها كالهند في خانة الحلفاء المستقبليين. لكن الواقع يقول إن عملية «هندسة سياسية» ضخمة تجري الآن لإلحاق سائر إفريقيا في إقليم ما يعرف بـ (جنوب الصحراء) إلى الصف الغربي. وإلا فلماذا عودة جنوب إفريقيا كالابن الضال إلى صف السياسات الدولية من منظور غربي؟ ولماذا عملية التغييرات حتى في قلب ووسط إفريقيا ثم في الاتجاهات الأربعة من ذلك القلب لرسم خريطة سياسية جديدة من إمبراطوريات لا تتميز بشيء قدر تميزها بالعداء للإسلام، والولاء السياسي والاقتصادي لأمريكا، والانتماء الديني إلى المذاهب المسيحية الغربية وبعدها الثقافة المتأورية؟ إن المسرح السياسي العام يعد الآن في وسط وأطراف إفريقيا لتأكيد الضم والإلحاق بالغرب على أصعدة تمتد من الاقتصادي إلى الثقافي والديني في مواجهة الشمال والشرق الإفريقي المسلم.

ومن ثم نرى أن الحضارة الغربية التي سوف تواجه العدو الإسلامي في المستقبل القريب حسب مقولة «هنتنجتون» هي صف أوسع وأكبر وأخطر بكثير من ذلك التصور

الذي ساد حتى عهد قـريب حول «الغرب» وليست القضية مجرد توسع جغـرافي مهما كان مداه وخطورته، بل إن هذا التـوسع عدواني في المقام الأول أي إنه مـستمـر وزاحف ينتهج سيـاسات الضم والإلحـاق والإدراج، وترتيب الحلفاء والأصـدقاء، وتحيـيد القـوى التي قد تنضم إلى العدو؛ فهو صف يتبع أساليب عسكرية واضحة في التفكير والنهج. والأخطر من ذلك كله أن هذا الصف الغـربي في شكله الجـديد الذي تؤسـسـه وتنشئـه مـقولة صـراع الحضارات يقوم على أساس ظن البعض أنه قد مات في الغرب إلى الأبد؛ وأعني به الأساس العقدي وبالتحديد: الديـني المسيحي؛ فبعد قرون من سيادة نهج التـفكير العلماني، وبعد أن بشَّر الفكر الغـربي في طرحه البراجـماتي والليبرالي بنهـاية الأيديولوجيا أو نهـاية سيطرة المفاهيم العقائدية على توجيه الأمور في عصر العلم وثورة التكنولوجيا، كان من المظنون أن أي طرح يقيم الحضارة والثقافة والهوية على أسس دينيـة عقائدية قد مضى وقته إلى غير عودة في الغرب؛ لكن ها هو البروفيسور الأمريكي يبـشر بحضارة غربية تقيم هويتها على أساس مواجهة خصم ديني (الإسلام) وهذا لا يكون إلا إذا كانت تلك الحضارة نفسها تقوم على أساس ديني أو هي شديدة الوعي والحـساسية بدور الدين ووضعه كمـقوِّم للحضارة والهـوية والكيـان. وعند هذه النقطة بالـذات ينهـار منطق الردود التـي جـاءت من العـالم الإسلامي على مقولة صِدام الحضارات.

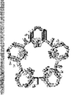
لقد تناولت من قبل بعض سمات الردود القادمة من بلدان إسلامية على هذه المقولة، لكن السمة الكبرى فـيها هي أنها صدرت عن أصوات ودوائر ذات توجه علماني مـتغرب؛ فضلاً عن أنه واقع تحت سيطرة التـوجيه المباشـر للدوائر السياسيـة الحاكمة وهذا طبـيعي؛ لأن الواقع في بلداننا الإسـلامية يبين أن هذا التـيار العلمـاني المتغرب قـد أعطيت له في الآونة الأخيرة السـيطرة على منابر الفكر والثقافـة والإعلام والتعليم والعمل الاجـتماعي في إطار الحملة الجارفة علـى الحركات الإسلامية بل والإسلام ذاته؛ ولذلك جـاء تعامل هذا الصوت العلماني مع مقولة صدام الحضارات غريبًا ولافتًا للنظر رغم صدوره عن أشخاص وأجهزة في بلدان إسـلامية حـسب التاريخ وحـسب الأغلبيـة، وينبغي التركـيز على هذه الحـقيـقة لغرابتـها؛ فالرد الظاهر في العالم الإسـلامي على مقولة «هنتنجتـون» لم يجئ من أصوات إسـلاميـة فكرية صادقـة (وهو قد جـاء ولكن تعرض لـلتعـتيم) لكنه جـاء من ذلك التيـار العلماني المتـغرب المسيطر بقوة الغـير. لذلك تراوح الرد بين اتهامـات سخيفة لـ «صـمويل هنتنجـتون» بأنه «أصولي» (ولولا بقـية من حـياء لقالوا أصـولي إسلامي!) وبين مـقولات

مضادة تروِّج لفكرة أن العلاقة الأساسية التي يدعو لها الإسلام (تذكَّر أن هذا الطرح صادر عن علمانيين!) هي علاقة التفاعل والتعاون والتبادل بين الحضارات.

والمشكلة أو الأزمة التي وقع فيها الصوت العلماني المتغرب في البلدان الإسلامية في تعامله مع مقولة صراع الحضارات أنه لم يعد يتوقع أو يفهم أن يؤسس أحد فكرة أو طرحًا على قواعد الدين والعقيدة! إن هذا الصوت كان تلميذًا نجيبًا ومطيعًا استوعب دروس علمانية الغرب التاريخية حتى النخاع، ونبذ الإسلام وراء ظهره نهائيًا. وهذا الصوت لم يعد يستطيع أن يفهم أو يتعامل مع أي طرح يصدر عن الدين والعقيدة إلا بالرفض أو عدم التصور. ولذلك فعندما فوجئ هذا الصوت أو التيار بالعلمانية تسقط في الغرب، والمسيحية تنهض عند كثير من الفلاسفة وأصحاب المذاهب هناك (وهنتنجتون بالمناسبة هو مجرد صوت صغير غير ذي أهمية في سياق هذه العودة للمسيحية في تصور الأمور) أُسقِط في يديه ولم يعد يعرف كيف يتصرف أو يرد. لم يستطع هذا التيار أن ينادي بنهضة أو إحياء إسلامي، ولم يستطع أن ينادي بتأسيس وحدة حضارية إسلامية شاملة لتواجه الطرح الحضاري الغربي المؤسس على المسيحية الناهضة أو الأصولية!

وباختصار: لم يستطع الصوت العلماني - في تعامله مع مقولة صراع الحضارات - أن يدعو إلى رد إسلامي أو مواجهة إسلامية؛ لأنه نبذ الإسلام وتخلى عنه؛ فكان الرد الوحيد هو هيستيريا اتهام «هنتنجتون» بالأصولية تمامًا كهيستيريا اتهام المسلمين بالأصولية والتطرف!

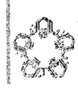
ولم تتوقف المشكلة والمأزق عند هذا الحد؛ فالصوت العلماني المسيطر في التعامل القادم من البلدان الإسلامية مع مقولة صراع الحضارات قد أُشرِبَ الحضارة الغربية وثقافتها وفكرها؛ بحيث لم يعد يتصور أو يفهم أنه توجد حضارات أخرى وثقافات وعقائد غيرها. ومرة أخرى كان هذا هو الدرس الذي تلقاه ذلك الصوت من معلميه الغربيين واتبعه بنجابة التلميذ المطيع. ولهذا فعندما جاءت مقولة «هنتنجتون» تتحدث مذعورة عن خطر الثقافات والعقائد الأخرى على الغرب وقع الصوت العلماني في البلاد الإسلامية في حيرة مضاعفة: كيف يكون هناك خطر وقد تعلمنا أن كل الثقافات الأخرى غابرة، وأن حضارة الغرب وحدها هي القادمة وهي المنتصرة وهي الوحيدة؟ لقد رأى «هنتنجتون» أن هناك صحوة إسلامية تتحول إلى نهضة حضارية تنافس وتجبُّ حضارة أمته الغربية.



أما العلمانيون الذين يحملون أسماء إسلامية فلم يروا في هذه الصحوة إلا «ردة» (حسب تعبيرهم) إلى عهود الظلام والرجعية .. إلخ، وردة عن النور الذي جاء من الغرب؛ ولهذا السبب لم يستطع الصوت العلماني أن يرد على مقولة صراع الحضارات بالدعوة إلى دعم الحضارة الإسلامية بكل الأساليب وعلى كل الأصعدة لتتصدى لهجمة الحضارة الغربية الشرسة المتوسعة، والتي تناصب الآخرين العداء، وتتخذ منهم أعداء حسب طرح «هنتنجتون».

على ضوء تغرب الصوت العلماني حتى النخاع لم يكن الرد المتوقع إلا أن يكون الدعوة إلى الحوار والتعاون والتفاعل والمشاركة مع الغرب مع إلصاق هذا المدخل بالإسلام. أوَليس الإسلام دين المحبة والسلام؟ لكن هؤلاء العلمانيين لم يكونوا يهتمون بالإسلام بأدنى قدر في هذا الطرح يوازي اهتمامهم بنفي أي احتمال للصراع مع الغرب سواء أكان ذلك سياسيًا أو اقتصاديًا أو حضاريًا؛ إذ كيف يقبلون بوجود أي صراع مع الغرب مهما كان مسوَّغًا بدوافع الدفاع عن الذات والهوية الإسلامية؛ بينما كل انتمائهم هم، وهويتهم هم، وذاتيتهم هم: غربية الطابع؟

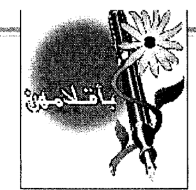
لقد عمي الصوت العلماني عن الصورة الجديدة والتشكيل الجديد لمفهوم الغرب كما تجلى في مقولة صراع الحضارات. لم ير الصوت العلماني أية غرابة في أن تتوسع الحضارة الغربية وتتقوى أو أن تعادي الإسلام؛ فهم من أبناء هذه الحضارة الغربية بالروح وإن لم يكن بالجسد. لكنهم وجدوا الغرابة كل الغرابة في أن تخاف الحضارة الغربية من الإسلام، وتخشى النزال معه، وتحشد لذلك عدتها؛ فطفقوا وباسم الإسلام (!) ينادون بني جلدتهم المسلمين بأنه يجب أن لا يكون صراع مع الغرب بل إخاء وسلم ومحبة وتذلل وأخذ؛ حتى ولو أشهر الغرب سيوف التنصير والاستغلال الاقتصادي، وأعلن الحرب على الإسلام والمسلمين!

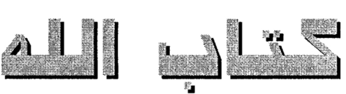


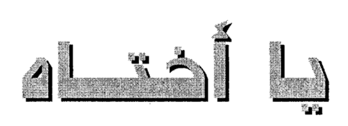
إن الرد القادم من بلدان إسلامية عديدة، والذي جرى إبرازه بحيث يتصور المرء أنه هو الرد «الإسلامي» على مقولة صراع الحضارات جاء في الحقيقة وفي معظمه من الأصوات العلمانية المسيطرة والموجودة حتى داخل المؤسسات الدينية الشهيرة بل وعلى رأسها في أحيان؛ ولذلك تخبط هذا الرد بين اتهامات مضحكة لهنتنجتون بالأصولية الفكرية أو الردة عن العلمانية! (وكأنها دين منزل عند هؤلاء الذين لا يقبلون الأديان) وبين اتهامات أخرى بأنه يذكي نيران العداوة والإحن؛ وكأنه ليس مجرد ممثل ومعبر عن حضارته المتوسعة

الشرسة في طرحها المعاصر الذي هيمنت عليه المسيحية كعقيدة ودين تؤسس عليه الدول والسياسات والمواقف ويكون قاعدتها المتينة.

الرد «الإسلامي» على «هنتنجتون» كان في الحقيقة ردًا علمانيًا متغربًا يهاجم الباحث الأمريكي؛ لأنه بطرحه الواضح المباشر لمفهوم الصراع الحضاري والثقافي والديني أعطى الإسلاميين وفكرهم دفعة ومسوِّغًا وحجة كان العلمانيون في البلدان الإسلامية يجتهدون لدفعها وإخفائها. إن العلمانيين في البلدان الإسلامية يبشرون بانتهاء عهد العقائد والديانات وحلول عهد العالمية والكوكبية (وهي ليست سوى هيمنة الحضارة الغربية بعد أن وُصِفت «بالعالمية» المطلقة) لكن ظهور مقولة صراع الحضارات وانتشارها بالشكل الإعلامي الواسع وذيوعها بين الجماهير العريضة أربك هذا الطرح العلماني بين ظهرانينا، وأظهر على العلن ما كان العلمانيون يبذلون ما في وسعهم لإخفائه بفضل سيطرتهم على منابر الإعلام والثقافة ألا وهو أن عهد الفكر العلماني قد ولى في الغرب نفسه، وحل محله عهد من بروز الأديان والعقائد كأسس للحضارة والثقافة عند الغرب، كما أن الحضارة الغربية التي طُرحت على الناس كحضارة عالمية وحيدة تجبُّ كل الحضارات والعقائد بحكم أنها ذروة خط التقدم الإنساني قد ظهرت الآن ومن خلال مقولة صِدَام الحضارات على أنها ليست هي المطلقة بحكم أنها قمة التقدم البشري؛ بل إنها مجرد حضارة وعقيدة من بين حضارات وعقائد أخرى، وأنها ليست المطلقة بل تسعى إلى فرض نفسها بالقوة وتخاف من حضارة الإسلام وتسعى للكيد لها. كل هذه الحقائق فضحتها أطروحات «هنتنجتون» ولذلك جاء الرد العلماني عليه ليس من الغرب - حيث انهارت العلمانية - وإنما - وللغرابة - من العالم الإسلامي حيث تحتكر العلمانية دون حق منابر الفعل والفكر والتأثير؛ وجاء هذا الرد غريبًا من حيث أنه يتمسح بالإسلام (حقًا أو باطلاً) ويدعو المسلمين إلى عدم النهوض للتحدي الذي تطرحه مقولة «هنتنجتون» بل على العكس إلى الخضوع لهذا التحدي والاستسلام له تحت زعم أن الإسلام باعتباره دينًا للمحبة والسلام لا ينبغي له أن ينهض للصراع والتنافس والجهاد حتى في وجه من يرفعون شعار النزال!







نجوى الدمياطي

إلى أختي المسلمة أهدي هذه الكلمات:

اعلمي أن دوام الصلة بكتاب الله تلاوة وتدبرًا وعملاً، يعمق الإيمان ويوقظ التقوى.

فالقرآن هو البيئة الصالحة لإنبات أنضر النبات .. نبات الإيمان، وإخراج أطيب الثمار .. ثمار العمل والوعي والجهاد .

وتيقني أن مدرسة القرآن هي السبيل الأوحد إلى تربية الجيل المسلم، وإحياء الأمة الفاضلة.

أختاه.. تعلمين أنه في مكة، وحين كانت الدعوة الإسلامية تعيش فترة الاتصال بين السماء والأرض عبر وحي الله ـ عز وجل ـ الذي فتح به آذاناً صماً وعيوناً عمياً وقلوباً غلفاً.. كان القرآن ينقل خطى الإنسان الجاهلي في جزيرة العرب من «حضيض» واقعه، إلى «قمة» مستقبله السامق.. ويتخطى به «ظلمات الجاهلية» إلى «نور الإسلام».. ليُخرج منه ومن غيره ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠].

أختاه.. إن هذا القرآن الذي أخرج بهديه ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ لم يجئ لفترة من الزمان أو لجيل من الناس، وإنما جاء ليعمل في كل جيل وفي كل بيئة.. ولذلك فالقرآن هو القادر اليوم على نقل خطى البشرية من واقعها الأليم إلى أملها المنشود.

أختـاه.. إنه «لا يصلح آخـر هذه الأمـة إلا بما صلح بـه أولـهـا» كما قـال مـالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ ولقد صلح أولها بالقرآن..

ولذلك فلن يصلح آخـرها إلا به.. فالقـرآن غنى كامل في كل شيء.. في كل زمـان ومكان، وفي كل جيل وقوم كما أخـبر ـ سبحانه ـ قائلاً: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ، فالقرآن ﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعـقيد فيـها ولا غـموض.. و﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ في عـالم العبـادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة.. و﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ في علاقات الناس بعضـهم ببعض أفرادًا وأزواجًا، وحكومات وشعوبًا، ودولاً وأجناسًا، ويقيم هذه العـلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي أو بالهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا يصرفها المصالح والأغراض(١).

أختـاه.. لقد أقسم الله ـ عز وجل ـ فـقال: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ – ٣] فتأكـدي أن كل أحد خاسر إلا من آمن وعمل صـالحاً، وكمّل غيره بالتـوصية بالحق والصبر عليه.. ولذلك فإنه حقيق بكل عاقل أن ينفق ساعات عمره فيمـا يخلصه من الخسـران المبين، «وليس ذلك إلا بالإقبـال على القرآن وتفهـمـه وتدبره واستـخراج كنوزه وآثار دفـائنه، وصـرف العناية إليـه، والعكوف بالهـمـة عليـه؛ فـإنه الكفـيل بمصالح العباد، في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد»(٢).



ولا شك ـــ يا أختاه ـــ أن كتاب الـله الذي هذا شأنه، وتلك هي آثاره في النفس والمجتمع جدير بأن يتلوه الإنسان آناء الليل وآناء النهار؛ فذلك السبيل إلى الفوز في الدنيا والآخرة كما أخبر ـ سبحانه ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠] .

وكـما أخـبر رسـول الله ﷺ : «مثـل المؤمن الذي يقرأ القـرآن مثل الأترجـة ريحهـا طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو»(٣).

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، م٤ ، ص ٢٢١٥ .

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، جـ١، ص١١.

(٣) رواه البخاري ، ومسلم .



وقال ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السَفَرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[1].

أختاه.. إن القرآن هو مأدبة الله ـ كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، فأقبلي على مأدبة الله، واحرصي أن تكون لك في هذه المأدبة صواحب.. صحبة طاهرة ملتزمة بالدين، مخلصة لله، بعيدة عن البدع والمعاصي، حريصة على أمر الآخرة..

فهذه الصحبة الطاهرة تزيد من حرصك وتُقَوّي من أزرك، وتحقق فيك قول رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»، وقوله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2].



... فما الذي هو أجمل من أن تنزل عليك السكينة ـ أختاه ـ وتحفك الملائكة، وتغشاك الرحمة.. وما أعظم من أن يذكرك الله فيمن عنده؟!

عن أسيد بن حضير أنه بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت، فسكنت، فقرأ، فجالت الفرس فسكت، فسكنت، ثم قرأ.. فجالت الفرس، فانصرف ـ وكان ابنه يحيى قريباً منها، وأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه «أي جر أسيد ابنه يحيى من ذلك المكان» رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى يراها.. فلما أصبح حدَّث النبيَّ ﷺ فقال: «اقرأ يا ابن حضير.. اقرأ يا ابن حضير.. وتدري ما ذلك؟» قال: لا، قال ﷺ: «تلك الملائكة دنت لصوتك، لو قرأتَ لأصبحتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»[3].

أختاه.. إن الحياة في ظلال القرآن نعمة.. نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه.. ومن عاش مع القرآن شعر بالتكريم الإلهي العلوي الجليل، فعاش هادئ النفس، مطمئن السريرة، قرير العين[4] تغشاه السكينة التي ما تنزل في قلب عبد إلا أكسبته

(١) رواه البخاري، ومسلم.
(٢) رواه البخاري معلقًا.
(٣) رواه البخاري معلقاً.
(٤) مستفاد من في ظلال القرآن، جـ١، ص ١١.

الوقار والطمأنينة «وأنطقت لسانه بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الفحش واللغو والهجر، وكل باطل.. قال ابن عباس (رضي الله عنه): «كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه».. بل «كثيرًا ما ينطق صاحب السكينة بكلام لم يكن على فكرة منه، ولا روية ولا هبة ويستغربه هو من نفسه، كما يستغرب السامع له، وربما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه»[1].

وهكذا هو القرآن ـ يا أختاه ـ به تطمئن القلوب بالإيمان واليقين، فكيف تكون قراءتك له؟

أختاه.. إن قراءتك للقرآن لا بد أن تكون وفق أمر رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[2].

فتحسين الصوت بالقرآن والتخشع فيه أمر يحبه رسول الله ﷺ؛ فقد قال لأبي موسى: «يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة» فرد أبو موسى قائلاً : والله لو علمتُ أنك تسمع قراءتي لحبَّرتها لك تحبيرًا».

ولا شك أن رد أبي موسى يدل على جواز تحسين الصوت بالقرآن، وقد كان أبو موسى قد أُعطيَ صوتًا حسنًا، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «لقد أوتيتَ مزمارًا من مزامير آل داود».

وإذن ـ يا أختاه ـ فتحسين الصوت بالقرآن مطلوب شرعًا، ولكن هذا لا يعني أن يشغلك ذلك عن تدبر معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، بل لا بد من الصبر على تدبر القرآن آية آية، وترك النص القرآني يحدثنا عن الموضوع الذي يتناوله والحقائق التي يقررها .. والنظر في كلام الله ـ سبحانه ـ نظرة قلب يشعر معانيه، وعقل جمع الفكر لفهم آياته.. وتَدَبُّر خطاب الملك الذي «لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، وهو عالم بما في نفوس عباده، مطلع على أسرارهم وعلانيتهم، منفرد بتدبير مملكته، يسمع ويرى ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويكرم ويهين، ويخلق ويرزق ويحيي ويميت، لا تتحرك من ذرة إلا بإذنه ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها... فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكًا عظيمًا رحيمًا جوادًا هذا شأنه، فكيف لا تحبه وتتنافس في القرب منه، وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه آثر عندها من رضا كل ما سواه»[3].

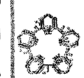


(١) ابن القيم ، مدارج السالكين، جـ٢، ص ٥٢٧ . (٢) رواه أبو داود. (٣) ابن القيم، الفوائد، ص٤٣، ٤٤.

وفي ظل هذه اللـذة الروحـيـة في الأنس بـالله وبالقـرآن، أود أن أذكـرك ـ يـا أخـتـاه ـ بمسؤوليتك عن أولادك وعن بيتك .. فلا بد أن تعلِّمي أطفالك قراءة القرآن، وتُقَوّي صلتهم به، ذلك أن الطفل يقبل من أمه ويفهم منها ما لا يقبله ولا يفهمه من غيرها.

فإذا كان طفلك في سن يعقل فيـها ويميز فعلميه قليلاً قليلاً بحسب همتـه ونهمته وحفظه وجودة ذهنه.. وأمّا إذا كـان لا يعقل ما يقال له فـقد «استحب بعض السلف أن يـترك الصبيّ في ابتداء عمـره قليلاً للعب، ثم توفر همته عـلى القراءة لئلا يُلْزَم أولاً بالقراءة فيـملها ويعدل عنها إلى اللعب»[١].

وأمّا بيتك ـ أختاه ـ فاجعليه بيتًا يعمره القرآن؛ وقد كان أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: «إن البيتِ ليتسع على أهله وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويكثر خيره أن يقـرأ فيه القرآن، وإن البـيت ليضيق على أهله وتهجـره الملائكة وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يُقرأ فيه القرآن»[٢].. واحذري ـ أختاه ـ الذين يهجرون القرآن ، فلا «يفتحون له أسمـاعهم، ولا يتدبرونه ليدركوا الحق من خلاله، ويجدوا الهدى على نوره.. ويهـجرونه فلا يجعلـونه دستورحيـاتهم، وهو الذي جاء ليكون منهاج حياة يقود البشرية إلى أقوم طريق»[٣].



احذري ـ يـا أختاه ـ كـل هؤلاء الذين هجروا القـرآن.. واجعلي في سـمعك دائمًـا شكوى رسول الله ﷺ لربه: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٣٠] واعلمي ـ أختاه ـ أنه وإن كانت الآية نزلت في شأن المشركين الذين إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه «فهـذا من هـجرانه» ، وترك تدبره وتفهمه من هـجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامـره واجتناب زواجره من هـجرانه، والعدول عنه إلى غيـره من شعر أو قول أو غناء أو لهو من هجرانه»[٤].. وكذلك من هجـرانه «هـجر تحكيمـه والتحاكم إليـه في أصول الدين وفروعه»[٥].

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ، ص٤٤ .
(٢) سنن الدارمي: فضائل القرآن، حديث (٣٣٠٩) .
(٣) مستفاد من ظلال القرآن ، سيد قطب ، م٥، ص ٢٥٦١ .
(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ٣ ، ص ٣١٧.
(٥) ابن القيم ، الفوائد ، ص ١١٢ .

فدعكِ ـ أختاه ـ من كل هجر للقرآن.. واجـعلي لنفسك وِرداً خاصاً تحافظين عليه مهما كانت مشاغلك.. تقرئينه، وتنزلين نفسك على أمر الله في القرآن، ولا تنزلي القرآن على هوى نفسك، واعلمي ـ أختـاه ـ أن هذه هي السبيل للانتفاع بالقرآن.

أختــاه..اقـرئي .. ورتلي .. وليكن منك عـلى ذكـر قـول النبي ﷺ: «يقــال لصاحب القـرآن إذا دخل الجنة: اقرأ وارقَ واصعد، فـيقرأ ويصعـد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»[1]، وقوله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشـر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن: ألف حـرف، ولام حرف، وميم حرف» [2].

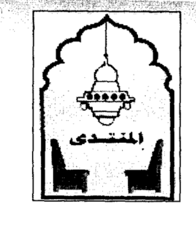
هذه وصيـتي إليك، وهذه فوائدها؛ فـاغتنمـيهـا. وفقني الله وإياك إلى خـيرَيِ الدارين .

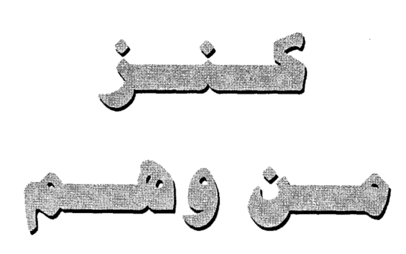
---

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح .







منذ كنا صبية
وبذور الصمت في أفواهنا
وكبرنا... فإذا أفواهنا مهجورة
لم يعد يسكنها إلا الوجوم
يوم كنا صبية ..
كنت طفلا
هامتي شامخة
وحروفي غابة يقطنها ورد وشوك
كل أشواك حروفي
حينما أرمي بها ... لم تكن تدمي فمي
لم تكن مأسورة في قيد خوفي
وإذا راودني حلمٌ شهيٌ
صاغه ورد حروفي لوحة فاتنة
وبدت زاهية فيها حروفي

□ □ □

كنت طفلا
ذات يوم خطفوني... ومضوا بي.
في طريقي واديان:
في فم الأول نخلهْ ... لم أجد فيه لسانْ
فسألت الحارس الواقف في حلق الطريق:
أنتَ... ما هذا المكان؟
لم يجبني... ومضوا بي
أسدل الكون جفونهْ
سجد الليل... وغطاني جبينه
أنزلوني
دهست رجلي لسانا
لامست كفي لسانا
أيها الوادي العجيب!
أي أسرار هنا مخبوءة؟
لم يجبني... ومضوا بي.
في فم الآخر نخلهْ
ولسانْ
وعلى أطرافه شبه ضياء
وسألت الحارس الواقف في حلق الطريق:
أنت... ما هذا المكان؟
أخرج الحارس من فيه لساناً

وعلى رأس اللسان
عُلّقت بعض حروف
وبدت واضحة تلك الحروف
إن تكن تملك حرفاً من لجين
فلزوم الصمت كنز من ذهب
ومضوا بي
وبدا الوادي مضيئاً
وبه يصطف أشباه الرجال
كلهم يفتح فاه
وعلى كل لسان... عُلّقت تلك الحروف
أنْزَلوني ... تركوني حائراً
سألتني جدتي ضاحكة... أفهمت؟
ثم لـمَّا لم أجب ... خبّرتني
أن صمتي كلما كان طويلاً
كان هذا من علامات الأدب
منذ كنا صبية ... علموني كلهم عشق الذهب
إن يكن صوتي لجيناً ... فسكوتي من ذهب
حَذَّروني أن صوتي إن بدت أطرافه
إن يكن حظي سعيداً ... فجزائي بين خنق
وعتاب
خدعوني...
حيث فتّشت عن الكنز.. حروفي
لم أجد إلا ركامًا من تراب

علي محمد الغامدي

القناعة

إنَّ السـعادةَ حـاضرٌ مَنْ عـاشَ في
أيامِـهـا وبدا بهـا فَلَـهـا وَصَلْ
أمـا الشـقيُّ فَـمَنْ يُمنِّي نـفسَـه
سَـعْـدًا بأيامٍ تلي ولـهـا اشـتـغلْ
نحـيـا حـيـاةَ الخـائفين مِنَ الذي
يأتي، وهلْ ندري مـتى يأتي الأجلْ؟!
عشْ في الحـيـاة كـزائرٍ مـا همُّـهُ
في عـيـشِـه إلاّ صَـلاحٌ في العـملْ
كُنْ في الحـياةِ كـريمَ قومٍ واغـتنمْ
مـا خـابَ مَنْ بحـيـاتِهِ تَرَكَ الجَـدَلْ
كُنْ صـابرًا بلْ كُـنْ جـريئًـا لا تبـا
لي ظُلْمَ قـوم والسعـيـدُ مَنِ اعتـدلْ
قـد قَـسَّمَ الأرزاقَ ربٌّ عـادلٌ
كُنْ في الهُدى عَلَمًـا وحاذرْ مِنْ فَشَلْ
مَنْ زادَ في شـغلٍ لَهُ وَبِهِ اعـتنى
يا ليـتَـهُ مِنْ قَـبْلِ شُـغْلٍ قـدْ سَـألْ
اللـهُ باركَ سـعـيَنـا يا قـومَنا
لا بُدَّ مِنْ بَذْلِ الجـهـودِ على مَـهلْ
والسعيُ في الإنسانِ مـحضُ عبادةٍ
حـاذرْ بهـذا مِنْ وُقـوعٍ فـي الزَّللْ
إنَّ القناعـةَ في الحـيـاةِ سـعـادةٌ
شكواكَ لنْ تُجـدي ولـن يجـدي المللْ
واعلمْ بـأنَّ حـيـاتَنا تمـضي ولن
نبـقى بهـا؛ ولكل إنسـان أجلْ

محمد عبد السلام الباشا

المسلمون المنسيون.. الأقليات المسلمة

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.
[آل عمران: ١١٠].

إن لنا إخوة في العقيدة في بلاد إسلامية شتى نسيناهم أو تناسيناهم في أوقات هم بأمسِّ الحاجة إلينا، فكما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» فإن علينا دورًا كبيرًا في الوقوف بجانبهم ومؤازرتهم بكل ما نملك: بالمال، والدعاء، والنفس؛ وهذا لا شك من الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الحق؛ إذ هم يعانون من الاضطهاد والتشرد والجوع والحاجة والعوز؛ وهم بلا شك في محنة وابتلاء؛ فهل نحن ـ معشرَ من يعيش في رغد من العيش ـ نعرف عن أحوال إخواننا المسلمين هؤلاء وعما يعانونه من آلام وآمال فنحس بهم إحساسًا إيجابيًا؟ ففي إفريقيا منهم من يواجه التنصير بأعتى أسلحته وأقواها حتى يصدهم عن دينهم الحق دين الفطرة السليمة، وفي بلاد أخرى قد لا يجدون نسخًا من القرآن الكريم، وفي غيرها يواجهون المذابح والمشانق والمطاردة والسجون.

لماذا؟ لأنهم قالوا: ربنا الله. وفي فلسطين يحتل الأعداء ـ عليهم من الله ما يستحقون ـ يحتلون الأرض المقدسة ويقتلون الأبرياء والعزل من السلاح. وهؤلاء الأعداء هوايتهم لعق الدماء. وهل تعرفون (أوجادين) التي هي جزء من الصومال؟ ومأساة المسلمين فيها؟ وماذا عن المسلمين في آسيا ـ الهند ـ و(كشمير) الجريحة منذ زمان طويل أخت فلسطين. و(جبهة مورو) ـ التي تمثل المسلمين في الفلبين ـ وتركستان، والصين الشعبية، وماذا عن إقليم فطاني المسلم، والمسلمون في بورما وغيرها وما يعانيه إخواننا المستضعفون أولئك من ضعف الإمكانات؟ فلم يُلتفت إليهم في تلك البلدان، بل هم على الهامش؛ فلا تقام لهم الدور الخاصة بالرعاية، أو المستشفيات والمدارس، ولا يسمح لهم بممارسة عباداتهم وأعمالهم؛ وحالة المسلمين بحاجة كبيرة إلى إعادة النظر فيها، وفي مساعدة البلاد الإسلامية لها وما تبعثه من دعاة ناصحين ومعلمين يسدُّون الحاجة فيُعلِّمون الأقليات المسلمة العقيدة الصحيحة السليمة؛ بالإضافة إلى توجيههم وإرشادهم وحثهم على توحيد صفوفهم في مواجهة الأعداء في تلك البلاد التي تحاربهم وتفتنهم عن دينهم والعياذ بالله. إضافة إلى وجوب دعم هذه الأقليات المسلمة إسلاميًا ودوليًا وإقليميًا ومحليًا واجتماعيًا؛ وكل ذلك مطلوب منا جميعًا، فنحن إخوانهم في العقيدة والدين.

عبد الله السبيعي

مساحة للشيطان

إن للشيطان نصيبًا في كل إنسان بدءًا بالعالم ومرورًا بالعابد وعوامّ المسلمين وفساقهم، وانتهاءًا برؤوس الكفر والإلحاد؛ فترى الشيطان في جانب العالم العامل يناور من بعيد يهش ويبش، ويعسّ ويدس، فمن الوسوسة والخواطر واستغلال السوانح والسوامح حينما يكون الحديد حاميًا، إلى التحريك والتوجيه والتزيين والتلوين؛ فإذا تمكن من إلقاء الوساوس قام بتزيين الباطل وتحريك الدوافع الكامنة في التركيبة النفسية للإنسان شيئًا فشيئًا وخطوة فخطوة حتى ينكِّسه على رأسه، ويرده على عقبيه، ويركسه في الفتنة، وكلّما قلّ وضحل نصيب المسلم من العلم والعمل صار للشيطان منه نصيب الأسد، وهكذا حتى يستحوذ عليه كليًا، وهكذا خطوات الشيطان: من الوسوسة إلى اللعب والتلاعب، ومن عبادة الله إلى عبادة الشيطان، ومن أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

أعاذنا الله وحمانا ورحمنا ووقانا من شر الشيطان وشركه، ومن شرور أنفسنا «اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين».

حمد بن إبراهيم

ماذا عساي أن أفعل ؟

نسمع الكثير من القصص المفجعة ولا نملك حلاً.. نبكي نتألم ندعو على الظالمين؛ وسرعان ما تنسينا زخارف الدنيا وشهواتها ويظل السؤال المحير.. نعم أنا أحمل همـاً في قلبي؛ عرفت هذا الهم يوم أن علمتُ أنهم مسلمون، يوم أن تصورت أن تلك الأم التي فقدت وليدها هي أنا أو تلك المرأة التي انتهك عرضها وسلب حياؤها كأنها أنا أو أمي أو أختي أو ابنتي، أو تلك المرأة التي دمرت أرضها وشرد أبناؤها وقتل أهلها وعذبوا هل لي ـ وأنا مسلمة مثلها ـ أن أحتمل، وهل البسمة ستعود طريقها لترتسم على شفتيّ بعد ضياع دامٍ، وأين المسلمون وهم يسمعون صيحات المستغيثين؟ وكم من أخ سمع أو رأى إخوانه وإذا به يبث نداءهم ويبحث بين الزحام عن مغيث ومساعد فإذا الكل نائم.. ويتردد السؤال لديّ: ماذا عساي أن أفعل؟؟؟

فاتن الصويلح



معاذ الله

معاذ الله من تيه	عن الرحمن يلهينا
ومن لهو وشيطانٍ	لفعل الشرِّ يغوينا
ومن دنيا وما فيها	فقد تغري مآقينا
فتغوي القلب والعقلا	بسحر بات يشقينا
معاذ الله من صاحٍ	لدنيا الفسق يطغينا

شعر: غازي المهر

بريد

ـ الإخوة: عبد العزيز عبد الله الزهراني، منصور محمد القحطاني، سعد إبراهيم سعد، حمد بن إبراهيم آل حمد، نجاح عبد القادر سرور: نشكر لكم تواصلكم مع المجلة، وهذا من دواعي سرورنا، ونتمنى لكم التوفيق والسداد في مشاركات قادمة ـ إن شاء الله ـ.

ـ الأخ: محمد الروبي عبد الوهاب، نعتذر عن نشر مشاركتكم: (إلى النائمين عن صلاة الفجر) لأنها موجهة إلى مجلة أخرى، وعن مشاركتكم عن الأسواق، فإنها ستنشر في المنتدى ـ إن شاء الله ـ.

ـ الأخ: سامي المغلوث: جزيت خيرًا على تواصلك مع المجلة، أمَّا عن مشاركتك المرسلة للبيان فإننا نعتذر عن نشرها؛ لأنها نشرت في المجلة العربية، والبيان لا تنشر مواد سبق نشرها، والبيان ترحب بك في مقالات أخرى.

ـ الأخت: عُلا محمد جلبي: نشكر لك متابعتك وملحوظاتك المفيدة، وهي محل عنايتنا، وننتظر مشاركات أخرى، وجزاك الله خيرًا.

ـ الإخوة : سمير عبد العزيز الحديثي، عيد المطيري، علي جبريل أمين، أيمن محمد الحداد: سعدنا كثيرًا برسائلكم واقتراحاتكم الطيبة المفيدة، ولعلكم مع رؤيتكم للمجلة في ثوبها الجديد أن تدركوا أننا قد لبينا أكثر مقترحاتكم، وفق الله الجميع إلى ما يحب ويرضى.

ـ الأخ: د. شاكر السروي، نشكر لكم ملحوظتكم على مقالة: (الإيمان بالله وأسمائه) في العدد ١٢٣ السطر الأخير من الصفحة ٣٠، حيث ورد [بصفاته وبتغير...] والصواب [بصفاته ويتغير...] وهو خطأ طباعي، فجزاكم الله خيرًا.

ـ الإخوة: محمد عبد السلام الباشا، وأسامة محمد أبو دنيا، وعلي بن محمد مريع، والأخت: فاطمة عبد العزيز: وفقكم الله وجزاكم خيرًا على مشاركتكم وتواصلكم مع المجلة، وستنشر هذه المشاركات ـ إن شاء الله ـ في المنتدى.

ـ الأخت: نجوى الدمياطي: نشكر لك تواصلك مع المجلة الذي انقطع منذ فترة، ومشاركتك: «متعلم على سبيل نجاة» مجازة للنشر.



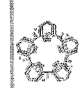
الفصام النكد!

حسن قطامش

ظاهرة جديدة بدأت تستدعي انتباه الكثيرين، وهي في مجملها ظاهرة غير صحية، وفي إغفالها وعدم الالتفات إليها وإلى تداعياتها المستقبلية خطر حقيقي على الصحوة وتحدٍّ جديد يواجهها من داخلها!!

وهذه الظاهرة تتضح بجلاء في أولئك النخبة من الشباب المثقف، أصحاب العقول الواعية حقيقة لا انتحالاً، وهم أصحاب اطلاع كبير على مجريات الأمور السياسية والثقافية والأدبية والاقتصادية، وكل هذه مؤهلات ـ في ذاتها ـ تحتاج إليها الصحوة، وتحتاج إلى عطاءاتها في تلك المجالات.

فأين تكمن المشكلة إذن؟ إن المشكلة التي تواجه هذه النخب وتوجهها هي «الأنفة الفكرية» التي تأخذ بزمام عقولهم، فالكمُّ المعرفي للثقافات العصرية التي حصلوا عليها ومعايشتهم لها فترات مختلفة، جعلت بينهم وبين إخوانهم من أصحاب العلوم الشرعية نوعًا من النفرة النفسية؛ إذ قد اختلفت الاهتمامات والتصورات، وضُرب سياج نوعي على الأشخاص الذين تربطهم بهم علاقة، إما حميمة، وإما عادية.



إن من الأسباب الرئيسة في نشوء تلك الطائفة هو ذلك «التمرد الفكري»، والذي يَعْتَوِرُ كثيرًا من الشباب في بداية الطلب مع اختلاطهم بمذاهب فكرية و تربوية مختلفة، مما يجعل المقارنة عندهم تجري بصورة منتظمة كلما التقوا بفكر ما٠

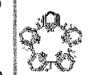
فتتشكل بعد ذلك قناعة غير مستقرة ـ لا علميًا ولا عمليًا ـ، وهذه القناعة من حيث



كونها ارتكزت على تصور علمي واضح، فـهذا غير موجود، ومن حيث تداعيـاتها العملية، فغيـر ممكن أن تترجم إلى عمل صريح يطرحون بـه القوم والمنهج وراءهم ـ وإن كان ذلك يحدث أحيانًا ـ فيظلون كالمعلقـة؛ فهم من حيث الظاهر، مرتبطون بفكر ومنهج، ومن حيث الانتساب الحقيقي ليس عليه دليل واضح بـيّن إلا في المناسبات العامة أو المشاركات التي لا تكلفهم التنازل عن قناعتهم السابقة.

ولكن هذه الفئة لا تتحمل مسؤولية نشوئها وظهورها بمفردها؛ فإن طبيعة النفس أن تميل إلى من يشاركها اهتماماتها وأفكارها.

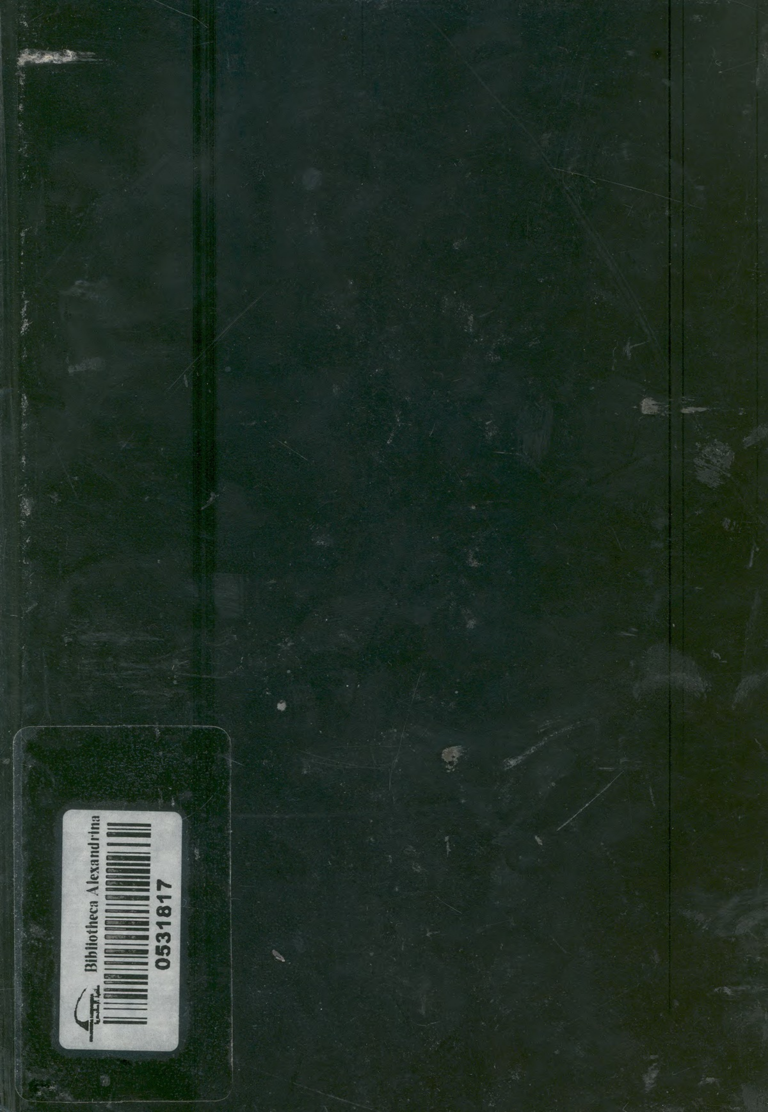
إن من الغبن ترك أولئك النفر من الشباب الفذ من أصحاب العقول الناضجة دون متابعـة حقيقية وارتبـاط وثيق حتى يستوي العود على سوقـه ويشتد، ويجب عدم الاغترار بكون ذلك الشاب قد أصبح «أستاذًا» أو «دكتورًا».



وكـذلك فـإن السكوت عن الشطحـات الفـكرية والعـمليـة التي تصـدر من بعضهم يعتبر إقرارًا بصحتها مع خطورة نتائجها.

ونحن لا نطالب هؤلاء «الأساتذة» بأن يصـبحوا «مشايخ» ومع أننـا نكبر دورهم وما يقدمونه، ولكن.. لا بد مـن وجود خط يقف عليه أولئك يعصمـهم من الزلل، ولا بد من قدرٍ من الرجوع «للشيوخ» للاستشارة فيما يريدون أن يقدموه لدين الله، حتى يستقيم عملهم باكتمال صورته والأهم من ذلك مراجعة القناعات السابقة، والتنازل ـ ولو قليلاً ـ عن هذه الكبرياء في التصورات التي تبلـورت في وقت ما، وفي ظروف ما، حتى لا نكون ممن زُيِّنَ له سوء عمله ويحـسب أنه على خير، ولا نحسبـهم ـ إن شاء الله ـ إلا راجعـين إلى الحق حين يظهر لهم.

وما سبق ما هو إلا ملحوظات لظاهرة اجتمع على إثبات وجودها نفر غير قليل، ولذلك كان لا بد من النصح والبيان.


Bibliotheca Alexandrina
0531817